

الْقَبْرِيُّ

لِقَاصِدِ أَمْرِ الْقَبْرِ

تَأْلِيف

المحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر
محب الدين الطبري ثم المكي

المولود سنة ٦١٥ — المتوفى سنة ٦٩٤ هـ

مَقَالَةٌ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ — قال اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي الْآيَاتِ (١٢٧ - ١٢٩) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ :
 «وَاذْكُرْ فِعْلُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا
 مَنَاسِكَتَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ
 يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ» (١٢٩) .

٢ — وقال اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَتَيْنِ (٩٦، ٩٧) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ
 وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيَّنَّتْ مَقَامُ
 إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
 وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» .

٣ — وقال تعالى فِي (الآيَاتِ ٢٦ - ٢٩) مِنْ سُورَةِ الْحَجِّ : «وَاذْكُرْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ
 مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تَشْرِكَ بِي شَيْئًا، وَطَهَّرَ بَنِيَّ لِلْعَاطِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَ
 السُّجُودِ» (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ
 فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ
 الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
 نَّذْرَهُمْ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» (٢٩) .

الحمد لله الذى أنزل القرآن نورا وهُدًى للناس ، وجعل رسالة محمد عليه الصلاة والسلام رحمة لجميع الأمم والأجناس .

أما بعد ، فهذا قبس من نور الله ، يتضمن مناسك الحج فى الإسلام ، مُحَدَّدة المعالم ، معرَفة المَوَاسِم ، فى نَسَقٍ جامع ، وَمَنْهَجٍ واضح رائع ، جعله مؤلفه دليلا مُرشدا لِحُجَّاج المسلمين ، وقِرْئى لقاصد أُمِّ الْقُرْئى ، لزيارة البيت التَّيِّق .

شئ من تاريخ الحج

أَسَّس إبراهيم وإسماعيل السَّكَنِيَّة لِعبادة الله وخُده ، فى زمن عَمَّت فيه الوَثْنِيَّة أكثر بلاد الدنيا ، ودعا إبراهيم الناس إلى حج هذا البيت الأول ، الذى انبثقت فيه أنوار الهداية الربَّانية بدين التوحيد ، فَهَرَّعَ الناس إليه من كل فج عميق ، يأخذون عنه قواعد الدِّيانَةِ ، وأصول المِلَّةِ ، ويتخلَّصُونَ من أوزار الوَثْنِيَّة وأوضارها ، إلى عقيدة التوحيد السَّهْلَةِ الواضحة .

وقد انتشر دين إبراهيم فى جزيرة العرب ، فَكَانَتْ قبائلهم تَحْجُّ البيت ، وتُعَظِّمُ حُرُمَاتِهِ ، على مارسمه لهم أبوم إبراهيم من ضروب الذُّك ، وَلَيَثْبُتُوا على ذلك أحقابا ، إلى أن نَسُوا معالم تلك الدِّيانَةِ ، بتقادم الزمن ، وبما عهم من جَهْل ، وبقلة ظهور المذكَرِينَ والمجدِّدِينَ ، من الأنبياء والمُعَلِّمِينَ ، وباختلاطهم بمن حولهم من الأمم ، وأخذهم عنهم ضروبا من الذُّك والعبادات الوَثْنِيَّة ، والنَّحْلُ الغريبة ، نقلوها إلى جزيرتهم ، بعد أن نَسُوا دِيَانَتَهُمْ ، حتى بلغ من جهلهم أن نَصَبُوا الأصنام التى جلبوها من البلاد الخارجية ، حول الكعبة ، وفى جوفها . وجاء الإسلام وهم على هذه الحال من فَوْضَى الدِّيانَاتِ والعقائد ، حتى كان فى جزيرة العرب عند ظهور الإسلام مُعَظَّمُ الدِّيانَاتِ والنَّحْلِ المعروفة فى العالم ، ومع ذلك كانت بَقِيَّةً من ذكريات دين إبراهيم وإسماعيل تُطِيفُ برؤوس المُتَحَنِّفِينَ والمُتَسَاهِلِينَ منهم ، وبخاصَّة ما اتصل منها بشئون الحج ، فإنه كان أوضح مظاهر ذلك الدين القديم ، وإن كان مختلطا بما لابسهُ من مذاهبٍ وبِدَعٍ وخُرَافَاتٍ .

ولما قوى الإسلام ، ودخل فيه أكثر العرب ، حجَّ النبيَّ حِجَّةَ الوداع الكبرى ، في السنة العاشرة من الهجرة ، وحجَّ معه عشرات الألوف من المسلمين ، يقتدون به ، يأخذون مناسكهم عنه ، فجَدَّد شعائر الحج وسننه وآدابه ، وردها إلى مثل صورتها الأولى على عهد إبراهيم وإسماعيل ، مُبَرِّأة مما دخلها من البدع والفساد . واحتذى المسلمون فعل النبي في الحج احتذاء غاية في الدقة ، ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة ، مما يعرض للحاج منذ خروجه من بيته إلى أن يعود إليه ، إلا سألوه عنها ، وحفظوا كل لفظة نطق بها صلى الله عليه وسلم ، مع الحرص البالغ ، والوعى الذى لا مثيل له ، يتنافس في ذلك شبابه وشيوخهم ، ورجالهم ونسأؤهم ، وسادتهم وعبيدهم ، حتى اخصوا جميع أعماله صلى الله عليه وسلم وأقواله ، إحصاء لم يؤثر في تاريخ أمة من الأمم مع زعيم من زعمائها ، أو حكيم من حُكَّامها .

حكمة اشتراع الحج

فرض الإسلام الحجَّ على المسلمين القادرين عليه في قول القرآن الكريم : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » . ولهذه الفريضة من الفضائل النفسية والاجتماعية مالا يحصى على المتأمل .

فمن أول تلك الفضائل تعظيم ذلك البيت المقدس وعِمَّارته ، إذ هو الرمز الباقي لقيام ديانة التوحيد في الأرض ، وخلاص الإنسان من فوضى الوثنية ، والنحل الزائغة الضالة : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ » .

ومن ذلك تعمير الأرض المقدسة التي حصَّنت ذلك الدين الجديد : دين التوحيد ، إلى أن ترعرع وقوى ، ونما وانتشر ، وقضى على الأوثان والأصنام في جزيرة العرب أولاً ، فلولا هذه البيئة البعيدة عن مُعْتَرَك الحياة الصاخبة بتيارات المذنيات ، وغطْرسة الملوك والجبابرة ، لم يُبَحِّ لهذا الدين أن ينمو ويذيع . وحسبنا دليلاً على هذا ما لقيه إبراهيم من اضطهاد بين قومه وعشيرته ، حتى اضطروه إلى الهجرة بدينه من بلاده ، والآية الكريمة :

«رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » مُفَصِّحَةٌ بهذا المعنى أى إفصاح .

ومن أعظم الأسرار التى ينطوى عليها مؤيم الحج ، اجتماع زُرافات من المسلمين ، من جميع الأجناس والآفاق ، فى صعيد واحد ، وفيهم كثير من سَرَوَاتِ الناس ، وأهل الرأى والعَمَل ، يجمع بينهم الإخلاص لدين الله ، والطاعة لله وكتابه ورسوله ، كما يشملهم الصفاء والغبطة بهذا اللقاء ، والفرح بأخوة الإسلام ، فى عيد ربانى ، وموسم رُوحانى . ولمثل هذا الاجتماع حكمته الجليلة ، وغايته النبيلة ، ولمثل هذا المؤتمر العالمى الإنسانى تُشد الرِّحال ، وتوجه الآمال ، فكم زعيم يلتقى بزعيم ، ورئيس يقترب من رئيس ، وشعارهم أخوة الإسلام ، وكلمتهم كلمة الإخلاص والإيمان ، فهل يصعب على أمثال هؤلاء الإخوة المتعابدين فى الله ، وهم جيران بيت الله ، وضيوف رسول الله ، أن يتعاونوا على البر والتقوى ، وأن يُدَبِّرُوا الخِطط الرشيدة ، ويتخذوا الوسائل الحكيمة ، لتكون كلمة المسلمين هى العليا ، وطريقهم هى المثل ، وليكون المسلمون فى مشارق الأرض ومقاربها جماعة واحدة . تعمل تحت راية القرآن ، لتأييد السلام والعدالة فى العالم ، وهم أحق بذلك وأهله ، كما كان آبؤهم السالفون معيار السلام ، وقسطاس العدالة فى أرجاء الدنيا ، عاشوا أعزاء بمقائدهم ، سادة بشجاعتهم وفضائلهم ، نبراسا للأمم ، هداة للبشر ، بنور الله الذى اصطفاهم ، ونور بصائرهم .

إن فى موسم الحج لمؤتمرا إسلاميا عاليا ، وتجمعا بالقادة والزعماء حافلا ، فليتهم المسلمون حكمة الحج هذه على حقيقتها ، ولينشاوروا سائتهم وكبرائهم فى هذا الحرم المقدس ، الذى كان مَهْبِطاً لوحي السماء ، وليندروسوا جميع الشئون الإسلامية ، على أساس من النور الإلهى القرآنى ، والهدى النبوى الحمدي ، وليُصْدِرُوا القرارات التى تكون دُستورا عاما لهم ،

يعلمون به ، حتى يَلْتَقُوا في المَوسِمِ من قَابل . وبهذا يكون الحَجُّ موسماً اجتماعياً خطيراً ،
يتنافس في شهوده الشَّهْبُ اللوامع . من زعماء المسلمين وكبرائهم .

أما الفائدة التهديبية التي يجنيها الحاج من رحلته ، فهي رياضة النفس وتذليلها ، فإن
أعمال الحج منذ يشرع الحاج في توجيه النية ، والنطق بالتلبية ، تُدْخِل في نفسه شعوراً
قلبياً بالقرُب من الله ، ولا يزال هذا الشعور ينمو ويزيد كلما اقترب من الأماكن المقدَّسة ،
حتى إذا حل تلك الرُّحَاب النَّصْرَة ، والساحل المَطْهَرَة ، وانغمس في أداء الأعمال ، شعر
بسموِّ رُوحِيٍّ ، وفَيْضِ إلهيٍّ ، يدب في نفسه ، وينتقل به من حال إلى حال ، حتى ينتهي
إلى احتقار سلطان المادة وتأثيره في النفس ، وهذا الفيض الشموري تَمَزَّج فيه العناصر الروحية
بعضها ببعض . وتتجاوب في النفس ، وتنبين آثارها في الإرادة والعمل ، من تعظيم للدين ،
وحب شديد للرسول الأكرم ، صلى الله عليه وسلم ، والسلف الصالح من الأمة ، وغيره
على المجتمع الإسلامي ، ورغبة في إيساعده ؛ ومن ندم على ما سبق من التفريط في جنب الله ،
ورغبة في استدراك ما فات في أزمان الغفلة وغيره الشباب ، من الطاعات والقرُّبات . وهذه
الرياضة النفسية ، هي ثمرة الحج الكبرى ، حتى إذا انتهت أعماله ، وعاد الحاج إلى وطنه
وأهله ، لم يفارقه ذلك الشعور الرَّبَّاني . ولا ريب أن كثيراً ممن حَجَّوا مخلصين لله ، تتأثر
حياتهم بذلك الشعور الفَيَّاض ، الذي كسبوه في أثناء ارتحالهم في الأراضى المقدسة ، وتلمح
في أخلاقهم الاستقامة ، والإقلاع عن كثير من المساوئ التي كانت تشوب حياتهم قبل
الحج . ومثل هذا يسمى الحج المبرور ، الذي يتقبله الله ، ويُعْظَم الثواب عليه ، كما جاء
في الحديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

والمبرور: الذي لا يخالطه إثم، أو الذي لارياء فيه ولا سُئمة ، وَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوق .
وعلاوة برِّ الحج أن يزداد بعده خيراً ، ولا يعاود المعاصي بعد رجوعه^(١) .

وهكذا كان الحج ، ولا يزال ، دِعاة قوية من دعائم الإسلام ، وفريضة من أعظم فرائض الدين ، وقُرْبَة من أحسن القربات بين الله والعباد .

على أن في السفر الطويل الشاق إلى أرض الحجاز ، فائدة جليّة ، وهي تمويد المسافر خلال تلك الرحلة ، احتمال كثير من المشقات ، بالتنقل المستمر لأداء المناسك من الطواف والسّعى ، والوقوف بعرفات ، والرجوع إلى منى ، ورمى الجمار ، ونقل الأئمة والأزواد ، ونصب الخيام أو تقويضها ، وإعداد الرواحل أو السيارات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة ولا شك أن بقاء الحاج شهراً أو شهرين أو أكثر على هذه الحال ، يجعله حسن الاستعداد لملاقاة المتاعب والمشاق في سبيل السفر للتجارة ، أو للزهة ، أو للحرب ، أو نحو ذلك من الدواعي التي لا تخلو منها حياة الناس . وقد خففت المخترعات الحديثة ، كالسفن السريعة والسيارات ، والطائرات ، كثيراً من متاعب السفر في البر والبحر والهواء ، وقصّرت المسافات ، وقلّت النفقات ، فلا تبلغ متاعب الحجاج اليوم عشر متاعبهم في قديم الأزمان .

وبعض الحجاج يلتمسون مع أداء فريضة الحج في هذا الموسم ضروباً من النفع المادي ، فينتقلون المتاجر من شتى البلاد إلى الحجاز ، ويبيعونها هناك ، ويتزوّدون لبلادهم وأهلهم من طوائف الحجاز ، ومما يحمله إليه الناس من سائر البقاع والأصقاع . وليس هذا العمل محرّماً في الدين ، تقول الآية الكريمة : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » . وتقول آية أخرى « وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » . ومن هذه المنافع التجارة ، التي يقوم عليها الموسم .

ويمكن أن نجعل البلاد المقدسة سوقاً إسلامية عامة للتجارة ، كما كانت في القرون الإسلامية الأولى سوقاً من أعظم الأسواق بين الممالك الإسلامية الشرقية والغربية ، أعظم الأسباب لنشر الحضارة والثقافة ، في أحقاب طويلة ، فقد كان التجار يتجسّسون موسم

الحج، لينقلوا حاصلات بلادهم، وثمرات اجتهدام، إلى مكة والمدينة، حيث يجتمع العديدُ الأكبر، فيقبل الناس على اقتناء الطُرْف والنفائس، من الثياب والخِلْي والطنافس والأواني النحاسية وأنواع الطيب ونحو ذلك، ويتخذون منها الهدايا للأهل والأصحاب.

وكان العلماء وأصحاب الفنون يلتقون في الموسم، فيأخذ بعضهم عن بعض، ويتبادلون الكتب والآثار العلمية والفنية، وخاصة علماء الحديث، الذين يجدون في هذا الموسم أحسن الفرص للرواية والإجازة، وكان هذا العبادل التجاري والثقافي في جميع مظاهره من أحسن الوسائل لتعميم الحضارة، وبعث روح التنافس الجِدِّي بين المسلمين في الممالك والأقطار المختلفة

هذا بعض مآظهر لى من حكم الحج وأسراره وفوائده، وهو بعض ماتشير إليه الآية الكريمة من المنافع، التي اختص الله بها حُجَّاج بيته، ورؤُاد حَرَمه.

القرى لقاصد أم القرى

والكتاب الذى قدمتُ بين يديه هذه الكلمة الموجزة، هو كتاب القرى، لقاصد أم القرى، وهو من أحسن مألَف في مناسك الحج، ويمتاز بصفات:

١ - أنه أجمع كتاب في موضوعه، وحسبه أنه يشتمل على جميع ماورد في الحج من الآيات القرآنية، والنصوص الحديثية، من كُتب الصحاح الستة: البخارى، ومسلم، والموطأ، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، ومن غيرها من كتب المسانيد والسنن، التتقط منها أصح ما فيها، مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل، وسنن سعيد بن منصور، وأبى حاتم الرازى، والبيهقى، وتمام الرازى، وأخبار مكة للأزرقي، ومُنير الفرام لابن الجوزى، إلى غيرها من كتب السنن والمناسك، مع كثير من أخبار الصالحين والصوفية، من العبَّاد والزُّهاد.

٢ - وأنه أحسن كتاب رتب أعمال الحج ومناسكه، ترتيباً علمياً دقيقاً، فقد فرَّق تلك المادة الغزيرة في أربعين باباً، وقسم كل باب إلى عدة فصول، يُرِي بعضها على المئة،

وبعضها لا يجاوز فصلين أو ثلاثة. وهذا الترتيب البارِع لمواد الكتاب يجعله موردا سهلا،
قريبا من يد المتناول .

٣ - أنه أجمع كتاب لأحكام الحج ، فهو كتاب حديث وفقه ، مثل موطأ مالك ،
وجامع أبي عيسى الترمذى . ولكن مؤلفه وهو شافعى المذهب ، لا يكتفى ببيان وجهة نظر
الشافعية فى استخراج الأحكام من نصوص الأحاديث ، بل يُعنى بالمذاهب الأخرى المشهورة ،
كذهب مالك بن أنس ، ومذهب أهل العراق (أبى حنيفة وتلاميذه) ، ومذهب الإمام
أحمد بن حنبل . وكذلك يعنى بمذاهب أجلاء الصحابة والتابعين ، من أمثال ابن عباس ،
وابن عمر ، وبلال ، وجابر ، وعطاء ، والحسن ، وطاوس ، وابن المسيب ، والثور .. الخ

وإذا تعارضت الأحاديث شمر عن ساعديه ، للموازنة والتزجيح بينها غالبا ، وأبلى عن
فقه وأصالة فهم ، دون تعصب لرواية ، أو لإمام من أئمة الحديث أو الفقه ، وإنما يكون
رائده بيان الحق ، ونُصرة العلم ، وفى كثير من الأحيان يجتهد فى التوفيق بين الروايات
المتعارضة ، خروجاً من إسقاط بعض الروايات الثابتة . ويتبين مبلغُ فقه المؤلف ، وعُلُوُّ
مرتبته فى الحديث ، من قراءة تعليقاته فى مثل باب وجوه أداء النسكين : (الأفراد ، والقران
والتمتع) ، فقد أبان فيه عن علم جَمّ ، وفهم ثاقب ، ودقة واستقصاء لا مزيد عليها .

٤ - أنه واضح التأليف ، لم يترك مؤلفه فيه موضعاً للشك ، أو الغموض : أما فيه
الشك ، فبإسناد جميع الأحاديث إلى رواتها من الصحابة ، ونسبة كل حديث إلى مصدره
من كتب السنة ، وبهذا يمكن التحقق من الأحاديث فى مظانها من الكتب ، والاطمئنان
إلى حال رواتها . وإذا كان الحديث معلولا بعلّة ، كشف عن وجه الضعف فيه ، وعزاه
إلى الحدث الناقد الذى أعلّه .

وأما فيه الغموض ، فإنه لم يترك فى متون الأحاديث لفظاً يغمض على القارىء إلا شرحه
وبيّنه ، ولا نصّاً يمكن استنباط حكم منه ، إلا استخرجه ووضّحه ، وبيّن وجهه وحجّته .
وقد رأينا أنه يستمد شروحه اللغوية غالباً من كتاب النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير

وأحيانا من صحاح الجوهرى فلم يترك لنا مجالا للشرح إلا فى مواضع قليلة ، يراها القارى بين الحين والحين ، مبثوثة فى حواشى الكتاب ، أما الأحكام فهو يستمد كثيرا منها مما كتبه أئمة الشافعية كاللاوردى وغيره .

النسخ التى اعتمدنا عليها ، ومنهجنا فى تصحيح الكتاب النسخة المكية (م)

يرجع الفضل الأول فى نشر هذا الكتاب إلى سعادة الشيخ السيد عباس يوسف قَطَّان ، من أعيان الحجازيين ، فقد رغب فى ذلك رغبة شديدة منذ سنين ، وكلف أحد النساخين بمكة كتابة نسخة منه ، فنقلها من نسخة عالم هندى كان بمكة ، يسمى الشيخ عبد الستار ، ويكنى أبا الفيض ، ثم عهد إلى لجنة علمية مؤلفة من حضرات العلماء المحدِّثين بالحجاز: الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، وكيل إمام المسجد المسكى ، ومحدِّث الحرم ، ومدرس دار الحديث بمكة ، والشيخ محمود بن على شُوَيْبَل ، من رجال الحديث والفقه بالمدينة ، والشيخ إبراهيم حمدى مدير مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة عهد إلى حضراتهم فى تصحيح النسخة العباسية ، ومضاهاتها بالنسختين المحفوظتين بمكة ، وهما النسخة العيسرية نسبة (إلى عبد الستار) ، والنسخة الماجدية ، وهى الأصل الذى نقلت عنه نسخة الشيخ عبد الستار ، وهى بيد أسرة المرحوم الشيخ ماجد الكردى ، من كبار تجار الكتب وأصحاب المطابع بمكة

وقد قابلت اللجنة المحترمة النسخة العباسية على النسختين المذكورتين فى عدة مجالس ، وكتبت عليها فى الهوامش تعليقات وتصويبات بمداد أزرق .

حمل سعادة الشيخ عباس قَطَّان هذه النسخة إلى مصر ، راغبا فى طبعها بإحدى مطابعها ، وعرضها أخيرا على مكتبة المرحوم السيد مصطفى البابى الحلبي الكتبي الشهير ، فعرضتها المكتبة على ، راغبة فى نشرها ، فاشتطت لقبول ذلك بأدى ذى بدء الحصول على النسختين المكييتين ، أو النسخة الماجدية على الأقل ، لأنها أصل للنسختين الآخرين . فوُعدت بذلك ، ثم تعذر وصول شيء من أصول الكتاب من مكة . ولحسن حظ الكتاب ومؤلفه ،

أُني وجدت نسخة منه مخطوطة (رقم ٩٤٧ حديث) بدار الكتب المصرية، كتبت بعد المؤلف بنحو مئة سنة فقط ، وبمضاهاة النسخة العباسية بها ، وجدت فروقا كثيرة جدا بينهما : في الصحة والوضوح ، واستقامة عبارة التأليف ، فاطمأنت أشد الاطمئنان إلى أنه يمكن نشر الكتاب بالاعتماد على هذه النسخة المصرية وإن كانت واحدة . أما النسخة المكيّة فلم تكن وحدها صالحة لتكون أساسا لنشر الكتاب وطبعه طبعة خالية من التحريف والتصحيح ، الذي يجعل طبعه قليل الفائدة .

ويظهر لي أن نسخ مكة كلها قد أصابها كثير من التحريف والتغيير ، ولعل السبب في هذا أن المؤلف كان من أئمة الحديث في مكة ، وكان الناس يأخذون عنه مؤلفاته ويستنسخونها ، ولعل أكثر الناسخين لم يكونوا من العلماء ، وإنما كانوا كتابا ماجورين ، فبأيدي هؤلاء الكتاب المتعاقبين وقع التحريف الكثير والتغيير ، وإدخال الطّرر في المتن ، وإسقاط بعض الأصول والفصول .

النسخة القاهرية (٢)

أما نسخة القاهرة فقد برّئت من أكثر هذه العيوب ، وامتازت بالوضوح والصحة ، وخلو من التغيير ، والحذف والزيادة . وسرّ ذلك أنها قريبة جدا من عصر المؤلف ، ليس بينها وبينه إلا نحو مئة عام . ولذلك جعلتها أساساً لإخراج الكتاب .

تاريخ الفراغ من نسخ هذه النسخة هو يوم الأحد آخر صفر من سنة ثمانين وسبع مئة ، وليس عليها اسم ناسخها ولا مالِكها ، ولا البلد الذي كتبت فيه . وهي مكتوبة بخط نسخي معتاد . وأرجح أنها كتبت في مكة لافي القاهرة ، ثم نقلت إلى مصر . وعلى الصفحة الأولى منها ، في الزاوية العليا اليسرى ، بجانب اسم الكتاب ، هذه العبارة : « في نوبة أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني ، غفر له بمنه ، آمين » . والسيد محمد مرتضى الحسيني هو العلامة الزبيدي صاحب « تاج العروس ، من جواهر القاموس » . ولعل السيد محمد مرتضى هو الذي جلب هذه النسخة من مكة إلى القاهرة ، في رحلته إلى مصر من بلاده .

وفي دار الكتب المصرية طائفة من الكتب ، تملكها السيدى محمد مرتضى الحسينى الزبىدى ، وعليها خطه الجميل كذلك .

ولعل من القرائن التى تدل على أن هذه النسخة القاهرية مكية الأصل ، أن كاتبها لا يهمز الكلمات المستحقة للهمز ، كما يفعل المكيون قديما وحديثا فى نطقهم وكتابتهم ، متأثرين بلغة قريش ، التى لم تكن تهمز الكلمات ، بل تسميها ؛ والمغاربة كذلك لا يهمزون ، ولو كان خط هذه النسخة مغربيا ، لظننت أنها مغربية ، ولكن خطها نسخى ، قريية قاعدته من القاعدة المصرية .

ويظهر أن مكتبة السيد محمد مرتضى الحسينى الزبىدى بعد موته تفرقت فى مدارس ومساجد شتى ، فكان من حظ هذه النسخة أن استقرت فى جامع محرم افندى الشهير بالكردى ، (فى حى الحسينية) بالقاهرة ؛ ثم أضيفت إلى دار الكتب المصرية أخيرا فى ٥ من أكتوبر سنة ١٨٨١ م كما يتضح من العبارة المكتوبة على الصفحة الأولى من الكتاب .

كتبت هذه النسخة على ورق أبيض كتانى صفيق متين ، ولم تؤثر فيها السنون الطوال أى تأثير ، فهى لا تزال قوية سليمة من الآفات .

عدد ورقاتها ٢٢٢ ورقة متوسطة الحجم ، وطول المكتوب منها ٢٠ سنتيمترا ، ومسطرتها سبعة وعشرون سطرًا ، وعرض السطر ١٤ سنتيمترا ، يحتوى على ست عشرة كلمة فى المتوسط . واسم الكتاب مكتوب بالذهب ، فى مستطيل مُجدُول بالذهب ، على أرض من اللازورد الأزرق ، وبداخله نقوش ورسوم بألوان من المداد . وقد أخطأ الكاتب فوضع كلمة « ساكن » فى مكان كلمة « قاصد » ، ولكن اسم الكتاب ورد صحيحا فى المقدمة والخاتمة .

وعندى بعض الشك فى أن المستطيل المذهب الذى فيه اسم الكتاب من صنعة كاتب النسخة . وأرجح أنه كتب أخيرا على ورقة مستقلة ، ثم ألصق فى موضع الاسم الذى بخط الناسخ .

وليس على هذه النسخة سماعات ولا إجازات ، ولا طُرُر مُطولة ، وإنما عليها ، تصحيحات لبعض كلمات في داخل المتن ، طارئة على خط الكاتب . وعليها علامات إلحاق لتصويبات كتبت بهامش 'النسخة كتابة رأسية لأتقية ، وهذه الإصلاحات تدل على أن بعض العلماء المتقنين قرأ النسخة قراءة دقيقة ، واستدرك على الكاتب أخطاء ، أصلحها هو بقلمه . ولذلك جاءت سليمة ، خالية من الشوائب التي وجدت في النسخة م .

وقد أغنانى العمل على هذه النسخة ، عن كتابة كثير من التعليقات ، لتحرير المُشْتَبِه من الألفاظ ، لأن جُمهرة التحريفات والمواضع التي يُشْتَبِه فيها في النسخة م جاءت فيها واضحة مثل فَلَنَى الصبح . فاعتقدت أن تدوين نتائج المقارنة بين النسختين عَـبَثَ ، ليس له أية قيمة علمية ، وهو تثقيل للكتاب بالخواشي والتعليقات ، التي لاغناء فيها ، وبخاصة أن النسخة م التي بأيدينا ، ليست أصلاً أصيلاً ، وإنما هي صورة من صورة من نسخة أصيلة وهي النسخة الماجدية ، وهذه بعيدة عنا ، ولو أُتِيح لنا رؤيتها ، أو رؤية النسخة العَبَسَرِيَّةَ لَأَمَكُنْتُ الموازنة والمقارنة بينهما ، ولو اعتمدت النسخة العباسية م للطبع ، حتى مع ما أضافته إليها اللجنة من التصويبات الكثيرة لاستغرقت تعليقات الكتاب وحواشيه ثلث حجمه على الأقل أو نصفه ، ولـسـكان ذلك عبثاً ثَقِيلاً على القارى العادى ، الذى يريد هذا الكتاب ليقراه فى سهولة ووضوح ، ويجعله دليلاً مريعاً لحجه ونسكه .

على أننى لم أَغْفَل من حسابنا النسخة العباسية م ، وإنما عولت عليها فى تحرير المُشْتَبِه من الألفاظ والعبارات أحياناً ، فكانت لى أصدق عون ، كما عولت على تقييدات اللجنة المحترمة ، من المُحدِّثين الحجازيين الأعلام ، وَقَيَّدَتْ فى هامش هذه الطبعة ما أخذته عنهم من فوائد وتحقيقات ، وعزوتها إليهم غالباً بقولى : « وهو من تصويبات اللجنة الملكية » : إعترافاً بالفضل لصاحبه .

ونسبت بعض الفوائد والتعليقات إلى نسخة أبى الفيض ، وهو الشيخ عبد الستار الهندى ؛ وكان قد اشتبهت على كنيته ، فحسبته أباً الفيض محمد مرتضى الحسينى ، إلى أن نبهنى حضرة العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة فى كتاب منه إلى ، أن « أباً الفيض كنية

أحد علماء مكة : الشيخ عبد الستار الهندي ، صاحب الأصل المنقول عنه ، وقد توفي من بضع سنين ^(١) .

وإني إذا كتبت هذه المقدمة لهذا السفر النفيس ، أرجو من أهل العلم والفضل والتحقيق ، في البلاد الإسلامية عامة ، ألا يضمنوا على بملاحظاتهم ، وتصويباتهم لما عسى أن يكون قد فرط من خطأ لم أتبينه ، وخاصة من بيدهم نسخة مخطوطة من الكتاب ، أو من يستطيعون مراجعة الأحاديث على بعض كتب السنة التي ليست بيدي ؛ فإني لم آل جهدا في معارضة الكتاب بأصول كتب السنة المطبوعة المخطوطة ؛ حتى استقام لي ما فيه من ميل ، وأصلح ما وقع من خلل ، وبالله العصمة من الخطأ والزلل ، وإياه أستعين ، وعليه أتوكل .

ولابد لي هنا من إشارة إلى شيء يعرفه العلماء المتخصصون في دراسة الحديث ، وهو أن الأحاديث الواردة في متن الكتاب ، قد تختلف عبارتها قليلا أو كثيرا عن عبارة ما يقع لبعض القراء من نسخ الأصول ، التي عزيت إليها الأحاديث . ومجرد هذا الاختلاف لا يدل على أن تحريفا وقع في هذا الكتاب ، لأن كتب السنة قد حملها عن أصحابها تلاميذ مختلفون في التجويد ، والإتقان في النقل ، وقد ينفرد بعضهم برواية أشياء لم يروها غيره ممن شاركه في السماع على صاحب الأصل ، وقد ذاعت الأصول الحديثية على ما بينها من اختلاف بين الناس ، فلذلك تختلف عبارة الأحاديث بحسب اختلاف النسخ المنقول عنها . ومن أمثلة ذلك أن الموطأ مثلا نقل عن الإمام مالك بعدة روايات ، أشهرها رواية يحيى ابن يحيى الليثي . والبخاري له تسع روايات ، وكذا غيرها من كتب السنة ، وقد يجد الإنسان حديثا في بعض نسخ الموطأ ، ولكنه لا يجده في نسخة يحيى بن يحيى . وقد نقل المؤلف عن صحيح مسلم أحاديث لم أجدها موافقة تمام الموافقة لنسخة مسلم المطبوعة في مصر وعليها شرح النووي . وقد نهبت على ذلك في صفحة ٢٨ من هذا الكتاب .

(١) وانظر الحاشية رقم (١) بصفحة ٣٠ من هذا الكتاب .

هذا ما أردت بيانه لالعلماء الحديث المتخصصين ، وإنما بينت للقارى غير المتخصص الذى يريد أن يستفيد فائدة عماية من الكتاب ، فقد ينظر فيجد حديثا منسوبا إلى البخارى أو مسلم أو غيرهما ، فإذا ضاهاه بما فى نسخة أخرى من البخارى أو مسلم وجد اختلافا فى بعض العبارة ، فظن أن فى الكتاب تحريفا من المؤلف أو الناسخ أو الناشر ، وكلهم برّاء .

من أجل هذا كانت طريقتى فى تصحيح هذا الكتاب ، أنى عند الاشتباه أعرض الموضع على المظان التى أخذ منها المؤلف ، من كتب الأحاديث أو الأخبار ، أو كتب الرجال ؛ فإن قَطَعْتُ بوجود خلل أو خطأ فى المتن أو الرواية ، أصاحته بدون تردد ، مع التنبيه عليه . وإن لم أستطع القطع بالخطأ ، وكان هناك احتمال لما فى أصل الكتاب ولغيره أبقى النص الذى أورده المؤلف على حاله ، لجواز أن يكون محل الشبهة أو الخلاف رواية ثابتة فى نسخة اعتمدها المؤلف أو غيره من العلماء .

وقد أستعين على تصحيح بعض الروايات بمناقشة الشراح للأحاديث وبيان أحكامها ، كالنووى على مسلم ، والقسطلانى وفتح البارى على البخارى وغيرهم .

مؤلف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب أحد أعلام المحدثين وفقهاء الشافعية ، الحافظ القدوة ، أحمد ابن عبد الله ، محب الدين الطبري ، أبو العباس وأبو جعفر^(١) ؛ فرع دوحة كبيرة من دوحات الشرف والرياسة في العلم والخسب . ينتهي نسبهم إلى الحسين بن علي أبي طالب رستخت أصولهم في طبرستان من بلاد المعجم في الشرق ، وامتدت فروعهم إلى أم القرى في بلاد الحجاز ، وتوارث هو وبنو أعمامه وأبنائهم وأحفادهم ، مناصب التدريس والقضاء والخطابة وإمامة الحرم المكي نحو ستة قرون ، وكانوا أكبر أصحاب البيوتات بمكة ، حتى كان الأشراف حكام مكة لا يعذلون بهم أحدا في الشرف والصهر والنسب . وكان نساء هذه الأسرة يبارين فحول الرجال في رفع مقام العلم ، والاستباق إلى غايات الجدة ، حتى خلد التاريخ ذكرهن في النابرين .

قال الفاسي مؤرخ مكة في كتابه « العقد الثمين » في الورقة (١٢ وجه) : وله تواليف حسنة في فنون العلم ، إلا أنه وقع له في بعض كتبه الحديثية شيء لا يستحسن ، وهو أن ضمنها أحاديث ضعيفة وموضوعة في فضائل الأعمال ، فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، ومن غير تنبيه على ذلك ، ولا ذكر إسنادها ليعلم منه حالها ، وغاية ما صنع أن يقول : أخرجه فلان ، ويسمى الطبراني مثلا وغيره من مؤلفي الكتب التي أخرج منها الحديث المشار إليه ، وكان حقه أن يخرج الحديث بسنده ، في الكتاب الذي أخرجه ، ليسلم بذلك من الانتقاد ، كما سلم به مؤلف الكتاب الذي أخرج منه الحب الطبري الحديث الذي أخرجه . أو يقول : أخرجه الطبراني بسند ضعيف ، كما صنع غير واحد من المحدثين ، في بيان حكم سند الحديث الذي يريدون إخراجه ، أو ذكره بسند المؤلف الذي يخرجونه من كتابه .

(١) لم يكنه بأبي جعفر إلا السيد محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس . وسياق كلامه .

ونقل هنا من التاريخ شهادات نستحق أن تكتب بأحرف من نور ، عن المؤلف وأشرته التي طبقت شهرتها الخافقين -

١

نقل المولى محمد المحجبي صاحب « خلاصة الأثر » ، في أعيان القرن الحادى عشر « نسب أسرة الطبريين ، في ترجمة عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبرى ، فقال ^(١) :

« عبد القادر بن يحيى بن مُكْرَم بن مُحِب الدين بن رَضَى الدين بن مُحِب الدين ابن شهاب الدين بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر ابن على بن فارس بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الواحد بن موسى بن إبراهيم ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين السُّنْط بن على بن أبى طالب ، رضى الله تعالى عنه ، الحُسَيْنى ، الطبريَّ المسكى ، الشافعى ، إمام أئمة الحجاز » .

٢

ونسب هذه الأسرة إلى على بن أبى طالب مُتَّفَق عليه عند جماعة من المؤرخين المسكيين : « فإن الحافظ المُمدة سراج الدين عمر بن فهد ، مؤرِّخ مكة ، ترجم أبا بكر ابن محمد الطبرى [الجد الثانى للدولف] ونسبه فى كتاب : « التَّبْيِين ، فى تراجم الطبريين » بهذا النسب . وَوُجِدَ ذلك بخط الحافظ المُمدة المحدث ، أبى عبد الله محمد بن أحمد بن الوادى آشى ، وبخط الشيخ تقي الدين بن فهد ، وذكر أنه وجد بخط رضى الدين بن الحب الطبرى وسرده كذلك السراج الفَهْدِي فى معجمه وذيله على تاريخ القاسمى ، المُسمَّى بـ « الدر السكين ، بذيل العقد الثمين » ، عند ترجمة الإمام مُحِب الدين الطبرى . وذكره فى ترجمة المذكور أيضا ، الشيخ عز الدين بن فهد فى مُعْجَمه ، وفى كتابه المُسمَّى : « نزهة ذوى الأحلام ، بأخبار الخطباء والأئمة وقُضَاة بلد الله الحرام » . وساقه أيضا الشيخ الرحلة جار الله بن فهد فى معجمه المُسمى : « نوافج النَّفَحِ الْمِسْكِي ، بِمُعْجَم جار الله بن فهد المسكى »

عند ترجمة شيخه الإمام محيي الدين الطبري ؛ وفي كتابه المسمى : « القول الموثق » ،
في الخمسة البيوت المنسوبين للشرف .

٣

وقال المولى محمد الحجي في مواضع متفرقة من تلك الترجمة « والطبريُّون بيت علم
وشرف ، مشهورون في مشارق الأرض ومغاربها ، وهم أقدم ذوى البيوتات بمكة » ..
« وإن أول من قَدِم مكة منهم الشيخ رضي الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عليّ
ابن فارس الحُسَيْنِي الطَّبَرِيّ ، قيل سنة سبعين وخمس مئة ، أوفى التي بعدها ، وانقطع بها ،
وزار النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تعالى عنده أولادا علماء هُدَاة مَرْضِيّين ، فولد
له سبعة أولاد ، وهم : محمد ، وأحمد ، وعليّ ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب
وكانوا كلهم فقهاء علماء مدرسين ..

وكان دخول القضاء وإمامة مقام إبراهيم في بيتهم سنة ثلاث وسبعين وست مئة ،
كما ذكره النجم بن فهد في تاريخه : « إتحاف الوري ، بأخبار أمّ القرى » وذكره الفاسي
في كتابه : « العقد الثمين ، في تاريخ بلد الله الأمين » . ولا تزال إمامة المقام المذكور
مخصوصة بهم ، لا مدخل معهم في ذلك لأجنبي ، وكل من كملّ منهم للباشرة يباشر ،
ولا يحتاج إلى إذن جديد ، لوقوع الإذن المُطلق لهم من زمن السلاطين السابقين ،
والأشراف المتقدمين .

« وكان منصب الخطابة قديما ينتقل بمكة في ثلاثة بيوت : الطبريين ، والظهيريين ،
والنؤيزيين . وبيت الطبريّ أُنْدمهم في ذلك ، كما يُعلم من كتب التواريخ القديمة . ومن
خطباء الطبريين : المُحبّ الطبري ، والبهاء الطبري » .

« ولبنى الطبريّ مزيد التقوى والورع والصّلاح ، وتوفّر أسباب الخير والفلاح ،
وزيادة الألفة بينهم وبين وُلاة مكة المشرفة ، والتراسل بينهم بالأشعار الحسنة اللطيفة ،
مما هو مذكور في التواريخ المذكورة وغيرها ، حتى إن تلك الألفة بينهم اقتضت المواصلة

بالمصاهرة ، وأكملت ما هو من أسباب المفاخرة ، فقد نقل الفاسي أن زينب بنت قاضي مكة الشهاب أحمد بن قاضيها أيضا الجلال محمد الطبري ، كانت زوجة للشریف عجلان صاحب مكة سنة سبعين وسبع مئة ... ومن طالع « العقد الثمين » عِلْمُ ما لهم من المناقب ، وما اشتملوا عليه من المناصب .

٤

وقال العلامة شمس الدين الذهبي في ترجمة المؤلف ، في كتابه : « تذكرة الحفاظ » طبع حيدر أباد (ج ٤ ص ٢٥٥) :

« الإمام المحدث المُفتي ، فقيه الحرّم ، محبّ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي بكر الطبري ، ثم المسكي ، الشافعي ، مُصَنَّفُ الأحكام . ولد سنة خمس عشرة وستمائة وسميع من أبي الحسن بن المُقَيَّر البغدادي ، وابن الجُمَيْزِي ، وشُعَيْب الزعفراني ، وعبد الرحمن بن أبي حَزْمِي ، وجماعة ، وَتَفَقَّه ، وَدَرَّسَ ، وَأَفْتَى ، وَصَنَّفَ ، وكان شيخ الشافعية ، ومحدث الحجاز .

رَوَى عنه الدُّمَيْطِيُّ من نظمه ، وأبو الحسن المطَّار ، وأبو محمد بن البرزالي ، وآخرون . وكان إماما صالحا زاهدا كبير الشأن . روى عنه أيضا ولده قاضي مكة ، وكتب إلى برزويّاته . توفي في جُمَادَى الْأُولَى سنة أربع وسبعين وست مئة »

٥

وقال الشُّبْكِيُّ في طبقات الشافعية (طبعة السعادة بالقاهرة . ج ٥ ص ٨ ، ٩) :

« أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم ، الحافظ أبو العباس مُحِبُّ الدين الطبري ، ثم للكي ، شيخ الحرّم ، وحافظ الحجاز بلا مُدافعة ، مولده سنة عشر^(١) وستمائة في جُمَادَى الْآخِرَةِ

(١) تقدم في كلام الذهبي أنه ولد سنة ست عشرة وست مئة . والصواب أن ميلاده سنة خمس عشرة وستمائة كما في العقد الثمين للفاسي .

سمع ابن المقير^(١) ، البغدادي وابن الجُمَيْرِي وغيرهما ، روى عنه البرزالي وغيره :
وتفقه بقوص على الشيخ مجد الدين القُشَيْرِي ، والد شيخ الإسلام ثقي الدين^(٢) ؛ وصنّف
التصانيف الجيّدة ؛ منها في الحديث : « الأحكام » الكتاب المشهور المبسوط ، ذلّ على
فضل كبير . وله مختصر في الحديث أيضا ، رتبّه على أبواب « التنبيه » ، وله كتاب في فضل
مكة حافل^(٣) . وله شرح على التنبيه مبسوط ، فيه علم كثير .

استدعاء المظفر صاحب اليمن ، لسمع عليه الحديث ، فتوجّه إليه من مكة ، وأقام عنده
مدة ، وفي تلك المدة نظم قصيدة يتشوّق إلى مكة ، منها :

مَرَبُضُكَ مِنْ صُدُودِكَ لَا يُعَادُ بِهِ أَلَمْ لِنَفِيرِكَ لَا يُعَادُ
وَقَدْ أَلَفَ التَّدَاوِيَّ بِالتَّدَانِي فَهَلْ أَيْامٌ وَضَلِمَ تَعَادُ
ومنها :

لَحَا اللَّهُ الْعَوَازِلَ كَمْ أَلْحَوْا وَكَمْ عَذَلُوا فَمَا أَصْنَى وَعَادُوا
وَلَوْ لَمَحَوْا مِنَ الْأَحْبَابِ مَعْنَى لِمَا أَبَدُوا هُنَاكَ وَلَا أَعَادُوا
ومنها :

أُرِيدُ وَصَالَهَا وَتَرِيدُ بُعْدِي فَمَا أَشَقَى مُرِيدًا لَا يُرَادُ
وهي طويلة تحمّسها بعض الأدباء لاستحسانه لها .

(١) في الأصل : « ابن القيرواني » . تحريف . وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن محمد
ابن منصور بن المقير ، البغدادي الحنبلي ، كما ذكره مسند الشام ومقرئها البرهان بن كسباري العمادي في
أسانيده . وهو بنشديد الياء مكسورة . وكان من القرباء الواردين إلى مكة ، المنقطعين لتدريس الحديث .
وغنه أخذ المؤلف . (انظر ص ٨٢ ، ١٠٠ من « لحظ الألفاظ ، بذيّل طبقات الحفاظ » لثقي الدين بن فهد
المكي ، طبعة دمشق سنة ١٣٤٧ هـ .

(٢) المشهور بابن دقيق العيد .

(٣) لعل العلامة السبكي يريد كتاب (القرى ، لقاصد أم القرى) هذا ، وكأنه سمع به أو قرأ منه

فوائد ومسائل من الحافظ الطبري: ذكر في شرح التنبيه أنه يجوز قطع ما يُتَقَدَّى به من نبات الحرم غير الإذخر ، كالْبَقْلَةِ المُسَمَّاةِ عند أهل مصر بالرجلة ، لأنه في معنى الزرع^(١) .

٦

وقال السيد محمد مُرْتَضَى الزَّيْدِيُّ في « تاج العروس ، من جواهر القاموس » مادة (طَبَر) :

« وَطَبَرِشْتَانُ بِلَادٌ وَاسِعَةٌ ، وَإِلَيْهَا يَنْسَبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ فَارَسِ الطَّبْرِينِ بِمَكَّةَ ، أُمَّةُ الْمَقَامِ ، يُقَالُ إِنَّهُ دَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا ، أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ عُلَمَاءَ ، فَاسْتَجَابَ . كَذَا ذَكَرَ الْمُتَرِيزِيُّ فِي بَعْضِ مُؤَلَّفَاتِهِ .

قلت : ومنهم شيخ الحجاز وحافظه ، مُحِبُّ الدِّينِ أَبُو جَعْفَرٍ ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ وَأَوْلَادُهُ . وَإِمَامُ الْمَقَامِ الرَّضِيِّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَمِنْ وَلَدِهِ مُحِبُّ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الرَّضِيِّ ، سَمِعَ عَنْ عَمِّ أَبِيهِ أَبِي الْيَمْنَنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ ابْنِ الرَّضِيِّ ، وَقَدْ أَجَازَ السَّيُوطِيُّ ، وَمِنْ وَلَدِهِ الْإِمَامُ الْمُعَمَّرُ الْمُسْنَدُ ، عِمَادُ الدِّينِ يُحْيَى بْنُ مَكْرَمِ ابْنِ الْحَبِّ ، رَوَى عَنْ جَدِّهِ لِلذَّكُورِ ، وَعَنْ الشَّيْطَوِيِّ ، وَقَدْ مَصَّرَ ، فَأَخَذَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا ، وَالشَّرَفِ السَّنْبَاطِيِّ ، وَالْكَامِلِ الْقَلْقَشَنْدِيِّ ، وَآخَرِينَ ، وَشَارَكَهُ فِي الْأَخْذِ وَلَدُهُ الرَّضِيُّ مُحَمَّدٌ ، وَحَفِيدُهُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يُحْيَى ، رَوَى عَنْ جَدِّهِ ، وَعَنْ الشَّمْسِ الرَّمْلِيِّ وَأَوْلَادِهِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ ، أَجَازَهُ الْحِصَارِيُّ الْمُعَمَّرُ ، سَنَةَ ١٠١١ ، وَأَخَذَ عَنْهُ الْبَصْرِيُّ وَالْعَجَمِيُّ ، وَالثَّعَالِبِيُّ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٧٨ ، وَعَلَى بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ ، أَجَازَهُمَا الْحِصَارِيُّ ، وَعَنْهُمَا أَبُو حَامِدُ الْبُذَيْنِيُّ ، وَمُحَمَّدُ الْمُرَابِطُ ، وَالْعَجَمِيُّ .

(١) أقول هذا الحكم مما يدل على اجتهاد المؤلف في استنباط الأحكام .

٧

ومن سمع الحديث وأتممه من نساء هذه الأسرة ، ونفع فيه ، حتى تسابق كبار الحفاظ إلى الأخذ عنهم : « الأختان الأصيلتان ، أم الحسن : فاطمة ، وأم محمد : علماء ابنتا الإمام أبي اليُمْن محمد بن أحمد بن إبراهيم الطبري ، قرأ عليهما الحديث بمنزلهما بالشوبة بمكة ، الإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي السكي ، والأختان الفاطمتان : أم الحسن ، وأم الحسين ، ابنتا الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري ^(١) » .

مرجى مرجى ! ألا فليسمع نساء الجيل الحاضر من المسلمات ، أخبار سلفهن الصالح من كرائم النساء ، وليجملن منهن قدوة لمن في التعافى في الجهد الصحيح الخالد ، ولا يتشاغلن عنه بالزخرف الزائف .

٨

- ومن كتب الحق الطبري غير ما ذكره الذهبي والسبكي :
- (١) كتاب « خلاصة سير سيد البشر » صلى الله عليه وسلم .
- (٢) كتاب « صفوة القرى » ، في صفة حجة المصطفى ، وطوفه بأمم القرى » ، عدد ورقانه ٢٢ وجدتهما ضمن مجموعة في علم التاريخ (تراجم وسير رقم ٤) بدار الكتب المصرية .
- (٣) السمط الثمين ، في مناقب أمهات المؤمنين ، طبعة راغب الطباخ في حلب .
- (٤) ذخائر المعقبي ، في مناقب ذوى القربى . طبعة القدسي بمصر سنة ١٣٥٦ .

(١) انظر كتاب « لحظ الألفاظ يذيل طبقات الحفاظ ابن فهد السكي » ، طبع مطبعة التوفيق

٩ - صحيفة الشكر والثناء

يجمل بي بعد أن انتهيت من تقديم كتاب [القرى ؛ لقاصد أم القرى] أن
أودّي بعض ما طَلَى من فروض الشكر للأعوان والإخوان وأبناء الصدق، الذين
أنامدين لهم فلهمد أفندي جمال الموظف بقسم التواصل بدار الكتب المصرية
خالص شكري ، لمعاونته الصادقة في مقابلة الكتاب على أصله المخطوط
بدار الكتب . وللابن البار ، الأستاذ حسين نصار ، خريج كلية الآداب ، عظيم
تقديري واحترامي ، وشكري على معونته الصادقة في مضاهاة تجارب الطبع على
نسخة الأصل ، وعلى ملاحظاته القيمة ، التي تدل على نضجه ، وحسن استعداده ،
وأصالة فهمه ، وغزارة علمه .

وموفور الشكر والثناء الخالص ، بعد كل ذلك ، أزجيه لحضرة المحترم
« محمود بك نصار الحلبي » مدير شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده ، وأحد أصحابها ، فبتوجيهاته الفنية السديدة ، وإشرافه العملي الموفق ،
خرج هذا السفر ، في هذه الحلة الجميلة . ولا غرو ، فدار الحلبي للطباعة والنشر
من أقدم دور الطبع والنشر في الشرق قريه وبعيده ، وقد امتازت بحسن
استعدادها ، واكتمال أدواتها ، وقدرتها على إخراج المشروعات العلمية الكبيرة ،
في أبهى الحلال ؛ سنة لهم توارثها الخلف الطيّب ، عن السلف الصالح ، في نحو
قرن من الزمان .

سَدَّدَ اللهُ خُطاهم ، ووفقههم إلى خدمة الثقافة العربية والإسلامية في الشرق ،
بما يظهرون من كنوزها ، ويحيون من مَوَاتها ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا ما

مصطفى السقا

أستاذ مساعد

(كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول)

{ ٢١ من ربيع الأول سنة ١٣٦٧
أول فبراير سنة ١٩٤٨ }

القاهرة في

استدراك وتصويب

١ - عُمر المَلَأ :

ورد ذكر أبي حفص عمر المَلَأ في هذا الكتاب عدة مرات، ولم أعثَر على ترجمة له في أنباء الطبعة الأولى. ثم وجدت في كتاب الرّوضتين، في أخبار الدولتين: (النورية والصلاحية) لأبي شامة شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي، المطبوع بمطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ ما يأتي في صفحة ١٨٩ من الجزء الأول قال : « قال العماد : وكان بالموصل رجل صالح يعرف بعمر المَلَأ، سمي بذلك لأنه كان يملأُ تنانير الجِصِّ بأجرة يتقوت بها، وكل ما عليه من قيص ورداد وكسوة وكساء، قد ملّسه سواء واستعاره، فلا يملك ثوبه ولا إزاره، وكان له شيء فوهبه لأحد مرّيته، وهو يتجر لنفسه فيه، فإذا جاءه ضيف قرأه ذلك المرّيد. وكان ذا معرفة بأحكام القرآن والأحاديث النبوية، وكان العلماء والفقهاء والملوك والأمراء يزورونه في زاويته، ويتركون بهيمته، ويتمنون بركته. وله كل سنة دعوة يحتفل بها في أيام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضره فيها صاحب الموصل، ويحضر الشعراء، وينشدون مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المحفل. وكان نور الدين من أخص محبيه، يستشير في حضوره، ويكاتبه في مصالح أموره الخ.

قلت : فلعله الذي ورد ذكره في هذا الكتاب مرات كثيرة، مصطفى السقا.

٢ - في: الباب الثلاثون، الفصل الرابع والعشرون ما جاء في فضل السرحة التي

بين الأخشبين من منى :

قال المؤلف : أخرجه مالك والنسائي وأبو حاتم.

ونص الحديث في موطأ مالك الذي عليه شرح السيوطي (تنوير الحوالك) هكذا :

عن مالك، عن محمد بن عمرو بن حاحلة الديلي، عن محمد بن عمران الأنصاري، عن أبيه

أنه قال : « عدل إلى عبد الله بن مُهر وأنا نازل تحت سرحة بطريق مكة ، فقال : ما أنزلك تحت هذه السَّرْحَة ؟ فقلت : أردت ظلّها . فقال : هل غير ذلك ؟ فقلت : لا ، ما أنزلني إلا ذلك . فقال عبد الله بن مُهر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنت بين الأخشين من مِنى ، ونَفَخَ بيده نحو المشرق ، فإن هناك واديا يقال له السَّرَر ، به شجرة سَرَر تحتها سبعون نبياً » .

وقال السيوطى فى تنوير الحوالك بشرح موطأ مالك تطبيقاً على ألفاظ من الحديث مانصه : قال ابن عبد البر : لا أعرف محمد بن عمران هذا إلا بهذا الحديث ، وإن لم يكن أبوه عمران بن حيان الأنصارى ، أو عمران بن سودة ، فلا أدري من هو ؟ « سرحة » هى الشجرة الطويلة التى بها شعب . « بين الأخشين » : هما الجبلان تحت عقبة منى ، « ونفخ بيده » : أى أشار بها ماذا ، « سر تحتها سبعون نبيا » : أى قطعت سرتهم إذ ولدوا تحتها . وقيل هو من السرور ، أى نبثوا تحتها واحدا بعد واحد ، فسروا بذلك » .

وقرأت فى شرح الزرقانى على الموطأ فى « باب فى جامع الحج » فى الجزء الثانى منه نحو شرح السيوطى ، فليراجع هذا عند إعادة طبع كتاب القرى .

مقدمة المؤلف^(١)

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذى الفضل والإنعام، والجلال والإكرام ، والصلاة والسلام على النبي الأمي سيد الأنام ، وعلى آله وصحبه الصّفوة الكرام .

وبعد ، فلما أنعم الله علىّ بأفضل النعم ، أن جعلني من ساكني الحرم ، وكان زاده الله تشريفا ، نهّاس الوجود ، وشّرعة واجبة الورد ، استخرتُ الله جلّ وعزّ في أن أجمع لكل وافد إليه ناسك ، منشوف لأخبار المناسك ، مجموعا من الكتب الستة^(٢) المشهورة مشتملا على أحاديثها الماثورة ، ليكون أفضل « قري ، لقاصد أم القرى » ، فيبّسره الله تعالى بمئة وطوله ، وقدرته وحوله ، مبرّبا أقرب تبويب ، مرتبا أحسن ترتيب .

وحذفت الإسناد تقريبا للطالب ، وتيسيرا للراغب ، ونهّيت في آخر كل حديث أو أحاديث ، على أصله المخرّج منه ، وضمنته جملة أحاديث من الأجزاء المشهورة ، ممّزية إلى أصولها ، وفي بعضها مسنده وجعلته أربعين بابا تيمّنا وتبركا بالأربعين ، وإلى الله في ذلك أرغب . وبه أستعين .

نفع الله به مؤلفه وطالبه ، وقارّنه وكاتبه ، بمئة وكرمه .

(١) استهلّت بعد البسملة ، بالمباركة الآتية ، وسقط منها بعض كلمات ، فوضعت مكانها نقطا :

وصلّى الله على سيد ...

قال شيخنا الإمام العلامة ، إمام الحرمين ، قدوة بقية السلف ، عمدة الخلف ، جلال العلماء ، زين الصلحاء ، محب الدين . . . أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري . . . الشافعي ، أكرم الله مأواه ، وجعل الجنة مثواه .

(٢) صرح المؤلف بأسماء الكتب الستة في مقدمة كتابه : « صفوة القرى » ، في صفة حجة المصطفى وطوقه بأمر القرى » قال : وبعد ، فلما وفق الله لتجريد أحاديث المناسك من الكتب الستة : البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وسنن أبي داود ، والنسائي ، والموطأ ، ومن غيرها مما نهّيت على أصله المخرّجة منه ، وجمعتها في الكتاب الموسوم بـ « القرى » ، لقاصد أم القرى » ، استخرت الله سبحانه ، واستخرجت منه صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم .

كتاب المناسك

ويشتمل على أربعين باباً :

الباب الأول

في فضل الحج والترغيب فيه

٢ - ما جاء في أن الحج يهدم ما قبله ، ويصير به الناسك كيوم ولدته أمه :

عن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، قال :

لما جعل الله الإسلام في قلبي ، أتيت رسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أبسط يدك ^(٢) فلا بأك . قال ^(٣) : فبسط ^(٤) ، فقبضت يدي . فقال : مالك يا عمرو ؟ قال : قلت : أشرت ^(٥) . قال : تشتط ماذا ^(٦) ؟ قلت ^(٧) : أن يُغفر لي . قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما ^(٨) قبله ، وأن الهجرة تهدم ما ^(٨) قبلها ، وأن الحج يهدم ما ^(٨) قبله ؟ ضرب به مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ أتى هذا البيت ، فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه . أخرجه الشيخان .

(١) كذا في الأصلين : هـ ، م . وفي صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٢ ص ١٣٧ - كتاب الإيمان) طبعة المطبعة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٩ م = ١٣٤٧ هـ : النبي . (٢) في صحيح مسلم : يمينك . (٣) قال : ساقطة من صحيح مسلم . (٤) في صحيح مسلم : فبسط يمينه قال . (٥) في صحيح مسلم : أردت أن أشرت . (٦) في صحيح مسلم : بماذا ؟ . (٧) في صحيح مسلم : قال . (٨) في صحيح مسلم : ما كان ، في المواضع الثلاثة .

واللفظ البخارى : « من حَجَّ فلم يرفث » . وقال الدارقطنى : « من حَجَّ واعتمر » .
شرح — الرفثُ الجماع ، على ما جاء فى تفسير ابن عباس . وقيل : الفحش . وقيل :
التصریح بذکر الجماع . وقال الأزهري : هى كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة . وروى
البغوى فى شرحه عن ابن عباس ، أنه أنشد شعرا فيه ذكر الجماع ، فقيل له : أتقول الرفثُ
وأنت محرم ؟ فقال : إنما الرفث ما ووجه^(١) به النساء^(٢) . فكأنه يرى الرفث المنهى عنه
فى قوله تعالى : « فَلَا رَفَثَ ... » ماخوطف به المرأة ، دون ما يتكلم به من غير أن
تسمع المرأة .

والرفث فى قوله تعالى « أَهْلًا لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ » : الجماع . والسوق
هنا : المعاصى ، قاله ابن عباس . وقيل السباب . وقيل : ما أصاب من محارم الله تعالى
ومن الصيد . وقيل : قول الزور .

ومعنى « كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » أى بلا ذنب .

وعن عمر رضى الله عنه : « مَنْ أتى هذا البيت لا ينهزه غير صلاة فيه ، رجى
كما ولدت أمه .

وفى رواية : مَنْ أتى هذا البيت لا يريد إلا إياه ، وطاف طوافا ، كان من ذنوبه كيوم
ولدت أمه . فربهما سعيد بن منصور .

شرح — ينهزه : النهز : الدفع ، يقال نهزه ينهزه ، مثل لكره ووكزه ، أى دفعه
ونهز رأسه : إذا حركه .

وعن أبى موسى الأشعري قال : الحاج يشفع فى أربع مئة من أهل بيته ،
ويبارك فى أربعين بعيرا من أمهات البعير الذى حمله ، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدت أمه ،
فقال رجل : يا أبا موسى ، إني كنت أعالج الحج ، وقد ضعفت فكبرت ، فهل من شيء
يمدح الحج ؟ قال : هل تستطيع أن تمنق سبعين رقبة مؤمنة من ولد إسماعيل ؟
فرب عبد الرزاق فى مسنده ، وذكره ابن الحاج فى منسكه .

(١) فى الترغيب والترهيب للعافظ المنذرى : روجع ، أى خوطب . (٢) النساء : ساقطة من م .

وفي رواية من حديث غيره: وبُيَّرك في أربعين من أصحاب بعيره . يريد: من صحبه في سفر حجته ، ذكره ابن الحاج أيضا .

وعن أبي ذرٍّ وقد مرَّ به أقوام فقال: من أين أقبلتم ؟ قالوا: من مكة . قال أو من البيت العتيق ؟ قالوا: نعم . قال: مامعكم تجارة ولا بيع ؟ قالوا: لا . قال: استقبلوا العمل^(١) ، فأما ما سلفَ فقد كُفيتُموه ضربهم سعيد أيضا .

وفي استفهام أبي ذرٍّ ، واشتراط عمر الإخلاص ، دليل على أن الإتيان والحج في الحديث الأول مشروط بشيئين : الإخلاص ، وعدم الرفث والفسوق .

وعن جابر قال . قال رسول الله صلى عليه وسلم ، من جاء هذا البيت حاجًا فطاف به أسبوعا ، ثم أتى مقام إبراهيم عليه السلام ، فصلى عنده ركعتين ، ثم أتى زمزم فشرب من مائها ، أخرج به الله تعالى من ذنوبه كيوم ولدته أمه

ضربهم ابن الجوزي مُسندا في كتاب « منير الغرام الساكن »^(٢) .

وفيه دلالة على أن الإتيان المطلق فيما تقدم محمول على الحج ، وبذلك عليه لفظ البخاري ، والعمره في معناه ، وتدل عليه زيادة الدارِ قطنى . ومن ضرورتهما الطَّواف المشترط في حديث عمر . ويزيد هذا الحديث باشتراط الصلاة عند مقام إبراهيم ، وشرب ماء زمزم . فينبغي للحاج والمعتمر ، أن يأتي بجميع ماتضمنته الأحاديث من الشروط من

(١) كذا في م . وفي م : الكل . وفي هامشها بخط بعض تراثها مانصه : قوله « الكل » يفتح الكاف ، أى الثقل من كل ما يتكلف وهو معنى قوله في الحديث الثانى : « عمل لما بقى أو لما يبقى قاله أبو الفيز ، ولا نعلم من أبو الفيز الذى ينسب إليه هذا القول ؟ ولعله يريد السيد محمد مرتضى الحسينى الزبى صاحب تاج العروس ، وقد شرح كلمة الكل بما يقرب من ألفاظ العبارة السابقة . وقد وجدنا على وجه نسخة القاهرة من كتاب القرى ، في الزاوية اليسرى العليا مانصه : « في نوبة أبي الفيز محمد مرتضى الحسينى ، غفرله بمنه آمين » . ولكننا لم نجد بهامش النسخة (م) في هذا الموضع أى تعليق بالهامش .

(٢) اسم كتاب ابن الجوزي : « منير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن » . ونسب إليه بعضهم كتابا اسمه منير الغرام ، لساكني الشام . ولم أجده في ثبوت كتبه المذكور في « تذكرة الحفاظ للإمامة الذهبي » . وفي دار الكتب المصرية كتاب : « منير الغرام » إلى زيارة القدس والشام ، « اشهاب الدين المقدسى » مخطوط رقم ٢٤ تاريخ .

الإخلاص ، وعدم الرِّفْق والفسق ، والطواف ، والصلاة عند مقام إبراهيم ، وشرب ماء زمزم بعد ذلك ، وأهمها الإخلاص ، وتصحيح القصد .

وعن أنس بن مالك ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي على الناس زمان يجج أغنياء أمتي للنزعة ، وأوساطهم للتجارة ، وقراؤهم للرياء والسُّمعة ، وفقراؤهم للمسألة .

ضربه أبو الفرج في مثير الغرام مسندا فليجتهد الناسك في تصفية قصده من جميع ذلك .

١ - ما جاء في أن الحج يُغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر :

عن عبد الله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ جاء حاجًّا يريد وجه الله ، غُفِرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وَشَفَعَ فيمن دعا له .

أخبرنا به الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري ، بإجازة مكاتبة من مصر ، قال : أخبرنا أبو بكر عبد العزيز بن أبي الفتح السيبي ، وأبو الحسن علي ابن أبي الفتح البصري (ولنا من البصري هذا إجازة) قالوا : أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو الفضل محمد بن أحمد الحداد ، أنا أبو نعيم الأصبهاني ، ثنا أبو الطيب عبد الواحد بن الحسن المقرئ ، ثنا الحسين بن محمد بن شريح ، ثنا أبو يزيد بن طريف ، ثنا زكريا بن يحيى بن زكريا ، ثنا إسماعيل بن يحيى ، عن مسمر ، عن حماد ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحديث ^(١) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قضى نُسكَه ، وسلم الناس من لسانه ويده ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . أخبرنا به الحافظ المنذري ، والشيخ المعمر أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي حريم إذناهما قالوا : أنا الحافظ أبو محمد القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الدمشقي ، في كتابه إلينا ، قال : أنا والدي الحافظ أبو القاسم ، بإجازة إن لم يكن سماعا (ع) ^(٢) .

(١) وقع في هذا السند بعض تحريف في أسماء الرواة ، فأثبتنا هنا ما في نسخة ٥ ، مع مراجعة كتب الطبقات لتصحيح ما قد يكون من خلل .

(٢) ح عند المحدثين إذا وقعت بين الإسنادين ، فهي إشارة إلى لفظ الحديث السابق .

وأخبرنا شيخنا أبو النعمان بشير بن أبي بكر حامد التبريزي إذنا ، قال : أجاز لنا الحافظ أبو القاسم ، قال : أنابه أبو منصور الحسين بن طلحة بن الحسين ، وأمُّ البهاء فاطمة بنت محمد ، قالا : أنا إبراهيم بن منصور ، أنا أبو بكر بن العزى ، أنا أبو يعلى ، نازهير ، ناسروان بن معاوية الفزاربي ، عن موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن عبيدة عن أبيه ^(١) ، عن جابر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحديث .

قال الحافظ الدمشقي : قوله « عن أبيه » : وهم ، فقد رواه أيوب الوزان ، عن مروان ولم يقل عن أبيه . هذا آخر كلامه .

قال الحافظ المنذرى : وموسى بن عبيدة هو الربذي ، ضعفه أحمد ، ويحيى بن معين وأبو حاتم الرازي . والحديث مرسل ، فإن عبد الله بن عبيدة لم يسمع من جابر ، قال يحيى ابن معين : موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن جابر : مرسل . وفي الباب عن عائشة وسياتي في فضل النفقة في الحج .

وعن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر للحاج ولن استغفر له . أغرم ابن الحاج في منسكه .

٣ - ما جاء في أن الحج أفضل العمل بعد الإيمان والجهاد :

عن أبي هريرة قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور . أغرم الشيخان .

وعن ما عزم التميمي أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله عز وجل ، وجهاد في سبيله ، ثم أرعدت نخد السائل ، ثم قال : ثم مه ؟

(١) في هـ . عتبة . وسياتي بعد هذا قريبا ما يرجع رواية م .

تقال : ثم عمل أفضل من سائر الأعمال إلا كمثلته ^(١) ، حِجَّةٌ بارة ، حِجَّةٌ بارة .
فهرم الحافظ أبو الفرج في منير الفهرام .

وفيها دلالة على أفضلية الحج على سائر الأعمال البدنية ، بعد الإيمان والجهاد .
وفي المسئلة ثلاثة أقوال . أحدها الصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، وقوله صلى الله عليه وسلم : الصلاة خير موضوع . والثاني الصوم أفضل ، لقوله صلى الله عليه وسلم في الصوم : لا مثل له ، الصوم لى وأنا أجزي به ، والثالث الحج ، لما تقدم .

قال أبو الشفاء : نظرت في أعمال البر ، فإذا الصلاة تجتهد البدن ، والصوم كذلك ، والصدقة تجتهد المال ، والحج يجتهدهما ، فرأيت أنه أفضل . وكان لا يما كس في الكرا إلى مكة ولا في الرقبة بشرها للعتق ، ولا في الضحية ، ولا يما كس في كل شيء يقترب به إلى الله عز وجل .

٤ — ما جاء في الحج المبرور :

عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يارسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لكن ^(٢) أفضل الجهاد حج مبرور .

وعنها قالت : قلت : يارسول الله ، ألا نفرز ونجاهد معكم ؟ فقال : لكن ^(٣) أحسن الجهاد وأجمله الحج ، حج مبرور . قالت عائشة : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضع الثلاثة الشيخان .

(١) كذا في ق ومنير للفهرام لابن الجوزي ، مخطوط رقم ١٤٣٢ تاريخ ، مدار الكتب المصرية : (الورقة ١٣) وفي م : البدنية ، في مكان : إلا كمثلته .

(٢) روى بضم الكاف وكسرهما .

وعن جابر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . قالوا: يارسول الله ، ما برّ الحج ؟ قال : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام . ضربهم الإمام أحمد . وضربهم المخلص الذهبي^(١) . قال : وطيب الكلام ، مكان إفشاء السلام .

شرح — المبرور : أى الذى لا يخالطه إثم . وقيل : المتقبل . وقيل الذى لاريا فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق . وقيل : علامة بر الحج أن يزداد بمده خيرا ، ولا يعاود المعاصى بعد رجوعه . يقال برّ حجّه ، وأبرّ الله حجّه ، برّا ، بالكسر ، وإبرارا . وعن الحسن البصري في الحج المبرور : أن يرجع زاهدا في الدنيا ، راغبا في الآخرة . وقوله « ليس له جزاء إلا الجنة » أى لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب ، بل لا بد أن يبلغ به الجنة .

٥ — ما جاء فيما يفضل الله عز وجل به على الحاجّ ، من حين يخرج من بيته ، إلى آخر طواف بالبيت :

عن ابن عمر قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، كلمات أسأل عنهنّ . قال : اجلس . وجاء رجل من ثقيف ، فقال : يارسول الله ، كلمات أسأل عنهنّ . فقال صلى الله عليه وسلم ، سبقك الأنصارى . فقال الأنصارى : إنه رجل غريب ، وإن للغريب حقا ، فأبدأ به . فأقبل على الثقي ، فقال : إن شئت أجبتك . عما كنت تسأل ، وإن شئت سألتني وأخبرك^(٢) . فقال : يارسول الله ، بل أخبرني . عما كنت أسألك . قل : جئت تسألني عن الركوع والسجود والصلاة والصوم . فقال : والذي بيمينك بالحق ، ما أخطأت مما كان في نفسي شيئا . قال : فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ، ثم فرّج بين أصابعك ، ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه ، فإذا

(١) هو أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن البغدادي ، المتوفى سنة ٣٩٣ هـ أحد الحفاظ المشهورين . والمخلص : الذى يخلص الذهب من الفسور . وقد جاءت هذه الكلمة في الأصول معرفة هكذا : « المخلص » . كأنها اسم كتاب للعلامة الذهبي المتأخر . انظر تاج العروس في (ذهب) . وذيل تذكرة الحفاظ ص ٧٥ .
(٢) في م : وأخبرتك ..

سجدت فمكن جبهتك ، ولا تنقرُ نقرًا ، وصلّ أول النهار وآخره . فقال : يا نبي الله ، فإن أنا صليت بينهما ؟ قال : فانت إذا مصلّ ، وصمّ من كل شهر ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ، فقام الثقفى ، ثم أقبل على الأنصارى ، فقال : إن شئت أخبرتك عما جئت نسال ، وإن شئت تسألنى فأخبرك . قال : لا ، يا نبي الله ، بل أخبرنى عما جئتُ أسأل . قال : جئت تسألنى عن الحاجّ ، ماله حين يخرج من بيته ؟ وماله حين يقوم بعرفات ؟ وماله حين يرى الجمار ؟ وماله حين يحلق رأسه ! وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت ؟ فقال : يا نبي الله ، والذي بمثلك بالحقّ ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئًا ، قال : فإن له حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كتب الله له بها حسنة أو حطّت عنه بها خطيئة ؛ فإذا وقف بعرفة فإن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا ، فيقول : انظروا إلى عبادى أتوبنى شعثًا غبراء ، أشهدوا أنى قد غفرت لهم ذنوبهم ، وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج وإذا رمى الجمار لا يدرى أخذ ماله حتى يوفاه يوم القيامة ، وإذا حلق رأسه ، فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة ، وإذا قضى آخر طواف بالبيت ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وهزمه أبو حاتم بن حبان فى كتاب التقاسيم والأنواع . وخرج منه الحافظ أبو الفرج فى مشير الغرام : أن النّبي صلى الله عليه وسلم قال للأنصارى : لك بكل خطوة تحطوها راحلتك حسنة ، ويحطّ عنك بها سيئة ويرفع لك بها درجة .

وهزمه بكاله سعيد بن منصور فى سننه ، وأبو الوليد الأزرقي فى كتاب مكة ، من حديث أنس بن مالك ، بتغيير بعض اللفظ ، وتقديم وتأخير وزيادة .

ولفظه^(١) : عن أنس بن مالك قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الخيف ، فجاءه رجلان : أحدهما أنصارى ، والآخر ثقفى ، فسأما عليه ودعوا له ، وقالا : جئناك يا رسول الله نسالك . فقال : إن شئما أخبرتكما عما جئتما عنه تسألان ، وإن شئما

(١) قلنا رواية المؤلف هنا على نسخة أخبار مكة للأزرقي المطبوعة بمدينة ليزرج بعناية المستشرق وستندل الصلحة ٢٥٣ ، فرأينا اختلافًا كثيرًا فى العبارة . فليراجع .

سكت فتسألان ، فقالا : أخبرنا يا رسول الله نزدد إيماناً ، أو قالوا : يقينا ، شك الراوى ، فقال الأنصارى للثقفى : سل رسول الله ، فقال الثقفى : بل أنت فاسأله ، فإنى أعرف لك حَقَّك . قال : أخبرنى يا رسول الله ، قال : جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه ؟ وعن طوافك بالبيت ومالك فيه ؟ وعن الركعتين بعد الطواف ومالك فيهما ؟ وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك فيه ؟ وعن موقوفك عشية عرفة ومالك فيه ؟ وعن رميك الجمار ومالك فيه ؟ وعن تحرك ومالك فيه ؟ وعن حِلَّاقِكَ رأسك ومالك فيه ؟ وعن طوافك بالبيت بعد ذلك ومالك فيه ؟ قال : إى والذى بعثك بالحق ، إنه الذى جئت أسألك عنه . فقال صلى الله عليه وسلم : فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام ، لاتضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك بها حسنة ، ومحا عنك بها خطيئة . وأما طوافك بالبيت ، فإنك لاتضع رجلا ولا ترفعهما إلا كتب الله لك بها حسنة ، ومحا عنك بها خطيئة ورفع لك بها درجة . وأما ركعتاك بعد الطواف فمتى رقة من بنى إسماعيل . وأما طوافك بين الصفا والمروة فيعدل سبعين رقة . وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله عز وجل يهبط إلى السماء الدنيا ، فيباهى بك الملائكة ، فيقول : هؤلاء عبادى ، جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق ، يرجون رحمتى ومغفرتى ، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل ، أو كعدد القطر ، أو كزبد البحر لمغفرتها . أفيضوا عبادى مغفورا لكم ، ولن شفعم لهم . وأما رميك الجمار فيغفر^(١) لك بكل حصاة رميتها كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات . وأما تحركك فذخور لك عند ربك . وأما حِلَّاقِكَ رأسك فلك بكل شعرة حلقها حسنة ، ويُمحى عنك بها خطيئة . فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن كانت الذنوب أقل من ذلك ؟ فقال : إذن يُدْخِرُ لك فى حسناتك وأما طوافك بالبيت بعد ذلك (معنى الإفاضة) فإنك تطوف ولا ذنب لك ، ويأتى مَلَك حتى يضع كفه بين كتفيك ، فيقول لك : اعمل لما قد بقى فقد غفر لك ماضى .

وقال الثقفى : أخبرنى يا رسول الله . قال : جئت تسألنى عن الصلاة ، فقال : إى والذى بعثك بالحق ، أعنها جئت أسألك . قال : إذا قلت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ، فإنك

(١) فى ٥، م والترغيب والترهيب للمنفردى ، بدون فاء فى جواب أما .

إذا تَمَضُّضت انتثر الذنوب من شفتيك ، وإذا استنشقت انتثر من منخريك ، وإذا غسلت وجهك انتثر الذنوب من أشعار عينيك ، وإذا غسلت يديك انتثر الذنوب من أظفار يديك ، وإذا مسحت رأسك انتثر الذنوب من رأسك ، وإذا غسلت قدميك انتثر الذنوب من أظفار قدميك ، فإذا قمت إلى الصلاة فاقراً من القرآن ما تيسر ، فإذا ركعت فأمكن يديك على ركبتيك حتى تطمئن راكعاً ، وافرُق بين أصابعك ، فإذا سجّدت فأمكن رأسك من السجود حتى تطمئن ساجداً ، وصل من أول الليل وآخره . قال : فإن صليت الليل كله ، قال : فأنت إذن أنت .

شرح — قوله في حديث أبي حاتم المتقدم « ولو كانت عدد رمل عالج » : هو موضع بالبادية كثير الرمل ، قاله الجوهري . وقال غيره : عالج : ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض ، وجمعه : عوالج .

وعن عمر بن الخطاب : أنه مرّ على رَاحِلٍ مُنَاخَةٍ بفناء الكعبة . فقال : لو يعلم الركب ماذا يرجعون إليه بعد المغفرة لقرت أعينهم ، مارفعت خُفّاً ولا وضعت إلا يرفع له درجة ، وتُحطّ عنه خطيئة . ضرب أبو ذرّ الهَرَوِيُّ في منسكه .

وضرب ابن الحاجّ المالكي في منسكه بزيادة . ولفظه : عن عمر أنه خرج فرأى ركبا ، فقال : من الركب ؟ فقالوا : حاجين قال أنهزكم غيره ، ثلاث مرات ؟ قالوا : لا ، قال : لو يعلم الركب بمن أناخوا لقرت أعينهم بالفضل بعد المغفرة ؛ والذي نفس عمر بيده : مارفعت ناقة خفا ولا وضعت إلا رفّع الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، وكتب له حسنة . شرح — قوله « أنهزكم » : أي دفعكم . وقد تقدم ذكره في الفصل الأول .

٦ — ما جاء في تسمية الحج جهاداً

تقدم في فصل الحج المبرور طرّف منه .

وعن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جهاد الكبير والصغير والمرأة والحج والعمرة . ضرب النّسائي . وفيه دلالة على أن ثواب عبادة الصغير لنفسه .

وعن عثمان بن سليمان ، عن جدته أم أبيه ، قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني أريد الجهاد في سبيل الله ، فقال : ألا أدلك على جهاد لا شوك فيه ؟ فقال : بلى . فقال : حج البيت . **ضربه سعيد بن منصور .**
وعن عمرو أنه قال : إذا وضعتم السروج ، فشدوا الرحال للحج والعمرّة ، فإنها أحد الجهادين . **ضربه أبو ذر .**

٧ — ما جاء في أن حج من لم يحج أفضل من الجهاد

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حجة لمن لم يحج ، خير من عشر غزوات ، وغزوة لمن قد حج ، خير من عشر حجج ، وغزوة في البحر ، خير من عشر في البر ، ومن جاز البحر فكأنما جاز الأودية كلها ، والمائد فيه كاللشعط في دمه . **ضربه أبو ذر في منسكه .**

شرح — المائد : هو الذي يُدار برأسه من ريج البحر ، واضطراب السفينة بالأمواج ، من ماد يميد : إذا مال وتحرك .

وعن عمر قال : حجة أحجها وأنا صرورة أحب من ست غزوات أو سبع غزوات . شك الراوى . **ضربه أبو ذر . والصرورة : الذي لم يحج .**

٨ — ما جاء في فضل الجهاد بسبب تقدم الحج عليه

عن علي عليه السلام ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزاة ، كتبت غزاته بأربع مئة حجة ، قال : فانكسرت قلوب قوم لا يقدرّون على الجهاد ولا الحج ، قال : فأوحى الله عز وجل إليه : ما صلى عليك أحد إلا كتبت صلاتك بأربع مئة غزاة ، كل غزاة بأربع مئة حجة . **ضربه أبو حفص عمر الميائشي^(١) في المجالس المسكية .**

(١) ميائش : من قرى المهديّة بأفريقية ، منها عمر بن عبد الحميد بن الحسن الميائش ، نزيل مكة ، مات بها . قال ياقوت في معجم البلدان : روى عنه شيوخنا .

٩ - ماجاء في أن الحجاج والمعمار وقد الله عز وجل

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد الله ثلاثة : الغازي ، والحاج ، والمعتز . فزاد في بعض طرقه : دعاهم فأجابوا . ورواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر ، وذكر هذه الزيادة ، وزاد : فسألوه فأعطاهم . وذكره ابن الحاج في منسكه ، وعن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحجاج والمعمار وفد الله ، إن سألوا أعطوا ، وإن دعوا أجيبوا ^(١) ، وإن أنفقوا أخلف عليهم . والذي نفس أبي القاسم بيده : ما أهل مهل ولا كبر مكبر على شرف من الأشراف ، إلا هلل ما بين يديه ، وكبر بتكبيره ، حتى ينقطع مبلغ التراب .

فهرم تلم الرازي في فوائده . وفهرم ابن الجوزي في كتاب منير الفرام الساكن ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، وقال في آخره : حتى يبلغ منقطع التراب .

١٠ - ماجاء في إجابة دعاء الحج والمعتز

تقدم في الفصل آتيا طرف منه .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس دعوات لا ترد ، دعوة الحاج حتى يصدر ، ودعوة الغازي حتى يرجع ، ودعوة المظلوم حتى ينصر ، ودعوة المريض حتى يبرأ ، ودعوة الأخ لأخيه بالغيث . أسرع هؤلاء الدعوات إجابة : دعوة الأخ لأخيه بالغيث . حديث صحيح ، من حديث سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . فهرم الحافظ أبو منصور عبدالله بن محمد بن الوليد ، في كتابه الجامع للدعاء الصحيح . وخرج ابن الجوزي منه في كتاب منير الفرام الساكن ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : دعوة الحاج لا ترد حتى يرجع ، والرجوع ، أعم من الصدور . وخرج عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أراد دنيا وآخرة

(١) وإن دعوا أجيبوا : ساقطة من منير الفرام لابن الجوزي ، المخطوط رقم ١٤٣٢ تاريخ ، بدار الكتب المصرية (الورقة ١٤) .

فليؤم هذا البيت ، ما آتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه منها ، ولا آخرة إلا أخر له منها .
وعن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه : أن عمر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم
في العمرة ، فأذن له ، وقال : لا تنسنا من دعائك ، أو أشر كنا في دعائك . ضربه أبو ذر الهروي .

١٩ — ماجاء في مصالحة الحاج عند قدمه وسؤاله الاستغفار .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا لقيت الحاج فسلم عليه
وصالحه ، ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته ، فإنه مغفور له .
ضربه الإمام أحمد في المسند .

١٢ — ماجاء في ثواب المتابعة بين الحج والعمرة

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تابعوا بين الحج
والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة .
وليس للعمرة المبرورة ثواب إلا الجنة . ضربه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ؛
وأبو حاتم في صحيحه .

وعن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تابعوا بين الحج والعمرة ؛ فإن متابعة
ما بينهما تزيد في العمر والرزق ، وتنفي الذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد .
ضربه ابن أبي خيثمة في تاريخه ، وذكره ابن الحاج في منسكه .
وضربه ابن الجوزي في منير الغرام الساكن .

شرح — قوله «تابعوا» : يجوز أن يراد به التتابع المثلر إليه في قوله تعالى : «فَصِيَامٌ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» ، فيأتي بكل واحد من النُسكين عقيب الآخر ، بحيث لا يتخلل
بينهما زمان يصح إيقاع الثاني فيه ؛ وهو الظاهر من لفظ المتابعة ، ويحتمل أن يراد به
إتباع أحد النُسكين الآخر ولو تخلل بينهما زمان ، بحيث يظهر مع ذلك الاهتمام بهما ،
ويطلق عليه في العرف أنه ردفه وتبعه . والاحتمالان جاريان في قوله صلى الله عليه وسلم :
«من صام رمضان وأتبعه بست من شوال» ، والاحتمال الثاني أظهر فيهما ، إذ القصد
الاهتمام بهما وعدم الإهمال ، وذلك يحصل بما ذكرناه ، وسواء تقدمت العمرة أو تأخرت ،
لأن اللفظ يصدق على الحالين ..

١٣ - ماجاء فيمن أضحى محرماً يلبي

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أضحى يوماً محرماً ملبياً حتى غربت الشمس ، غربت بذنوبه ، فعاد كما ولدته أمه .
 وضره الإمام أحمد . وضره ابن ماجه .

ولفظه : ما من محرم يَضْحَى لله تعالى يومه يلبي حتى تغيب الشمس ، إلا غابت بذنوبه ، فعاد كما ولدته أمه .

وضره تمام الرازى فى فوائده . ولفظه : ما من مُحْرِمٍ يَضْحَى للشمس حتى تغرب ، إلا غزبت بذنوبه ، حتى يعود كما ولدته أمه . وضره ابن الحاج المالكي فى منسكه .
 ولفظه : ما من رجل يضع ثوبه وهو محرم ، فتصيبه الشمس حتى تغرب ، إلا غربت خطاياہ .
 شرح - الإضحاء : الظهور للشمس ، واعتزال الكِنِّ والظل ، يقال : ضَحِيت للشمس بالسكسر ، وأضحيت إضحاء : إذا برزت لها وظهرت ، والضَّحَاء بالفتح والمد : قريب من نصف النهار . والضَّحوة : أول ارتفاع النهار . والضُّحَى بالقصر والضم : فوق ذلك ، وبه سميت صلاة الضحى .

١٤ - ماجاء فيمن مات حاجاً أو معتمراً

عن عائشة : من مات فى هذا الوجه من حاجٍ أو معتمر ، لم يُعْرَضْ ولم يحاسب . وقيل له : ادخل الجنة . وضره الدارقطنى وتمام الرازى ، وقال : من مات فى طريق مكة ، ولم يُقَلْ : وقيل له ادخل الجنة . وضره بزيادته الحافظ أبو الفرج فى كتاب مثير الغرام ، وقال : من مات فى هذا الطريق . وضره أئنى ابن الجوزى بنحو ما أخرجه تمام ، من حديث جابر فى كتاب الموضوعات ، وقال : هذا حديث لا يصح فى طريقه رجل . قال الدارقطنى : هو فى عداد من يضع الحديث . وضره من حديث عائشة ، وفى طريقه عائذ بن سُيْرٍ ، قال يحيى بن معين : وهو ضعيف ، يروى أحاديث مناكير .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خرج مجاهداً فمات ، كتب الله له أجره إلى يوم القيامة ، ومن خرج حاجاً فمات ، كتب الله له أجره إلى يوم

القيامة ، ومن خرج معتمرا فمات ، كتب الله له أجره إلى يوم القيامة . **خرجه أبو ذر .**
وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا البيت دعامة الإسلام .
فمن خرج يوم هذا البيت زائرا من حاج أو معتمر ، كان مضمونا على الله إن قبضه أن
يدخله الجنة ، وإن رده رده بأجر وغنيمة .

رواه عبد الملك بن جريج ، عن أبي الزبير المكي ، عن جابر ، وهو حديث حسن
غريب . **وخرجه أبو الوليد الأزرقي في باب فضل الطواف بالكعبة .** وخرج معناه الحافظ
أبو الفرج في كتاب مثير الفرام ، من حديث ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
ولفظه : الحاج والمعتمر ضمانهم على الله ، من مات منهم أدخله الله الجنة ، ومن قلبه قلبه مغفورا له .
وعن خيثمة قال : حج فمات في عامه ذلك دخل الجنة . ومن صام رمضان فمات
في عامه ذلك ، دخل الجنة . **خرجه سعيد بن منصور .**

وعن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات على
مرتبة من هذه المراتب ، بُعث عليها يوم القيامة . يعني الغزو والحج والعمرة . **خرجه**
ابن قتيبة ، وذكر ابن الحاج في منسكه .

١٥ - ذكر ثواب من مات عقيب الحج

عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله .
قالوا : وكيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته .

وعن أبي عتبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبد خيرا
عَسَلَهُ . قالوا : وما عَسَلَهُ ؟ قال : يفتح الله له عملا صالحا قبل موته ، ثم يقبضه عليه .

قال الحافظ أبو الفرج : أبو عتبة هذا صحابي ، واسمه عبد الله بن عتبة ، وجملة من
في الصحابة اسمه عبد الله مِثْنَان وعشرون ، ليس فيهم من يقال له ابن عتبة سواه ، ولا من
يكنى أبا عتبة غيره .

وعن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال : من مات عقيب رمضان أو عقيب
عمرة أو حجة أو غزوة ، مات شهيدا . **خرجه أبو الفرج .**

وحكى الإمام أبو الفضل عِيَّاض بن موسى اليَخْصَبِي عن بعض شيوخ المغرب :
أن قوما أتوه ، فأعلموه أن قوما من أهل الزبيغ في بعض بلادهم قتلوا رجلا ، وأضرموا
عليه النار طول الليل ، فلم تعمل فيه ، وبقي أبيض البدن . فقال : لعله حج ثلاث حججات .
فقالوا : نعم . فقال : حدثت أن من حج ثلاث حجج ، حرم الله شعره وبشره على النار .
ذكره الإمام تقي الدين ابن الصلاح في منسكه .

١٦ - ما جاء في فضل النفقة في الحج

تقدم في فصل «الحاج والعمار وفدا لله» قوله صلى الله عليه وسلم : وإن أنفقوا أخلف عليهم
وعن بُرَيْدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النفقة في الحج كالنفقة
في سبيل الله ، الدرهم بسبع مئة ضعف . - زهير بن أبي شيبة والإمام أحمد في مسنديهما .
وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها في عمرتها : إن لك من الأجر
قدر نصيبك ونفقتك . - زهير الدارقطني .

وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خرج الحاج من بيته كان
في حرز الله : فإن مات قبل أن يَقْضَى نُسْكَه وقع أجره على الله ، وإن بقي حتى يَقْضَى
نُسْكَه ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ وإتفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل
أربعين ألف ألف فيما سواه . أخبرنا به الحافظ المنذرى بإجازة ، قال : أنا أبو حفص عمر
ابن محمد البغدادي ، أنا الحافظ أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي ، أنا أبو عمرو بن أبي عبد الله
ابن مَنْدَةَ . قال : أخبرني والدي الحافظ ، قال : أنا أحمد بن عبد الله الحمصي ، ثنا موسى
ابن عيسى ، ثنا موسى بن أيوب ، ثنا الحسن بن عبد الله ، عن عُبَيْة الفَزَارِي ، عن يعقوب
ابن عطاء ، عن أبيه ، عن هاني بن قيس ، عن عائشة ... الحديث .

١٧ - ما جاء في الترغيب في طيب النفقة في الحج

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من يم هذا البيت بالكسب
الحرام ، شَخَّصَ في غير طاعة الله ، فإذا أَهَلَ ووضع رجله في الركاب ، وبعث راحلته ،
وقال : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لالبيك ولا سمديك ، كسبك حرام ،

وثيابك حرام ، وراحلتك حرام ، وزادك حرام ، ارجع مأزورا^(١) غير مأجور ، وأبشر بما يسوءك . وإذا خرج الرجل حاجا بمال حلال ، ووضع رجله في الركاب ، وبعث راحلته ، وقال : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك ، أجبت بما تحب ، راحلتك حلال ، وثيابك حلال ، وزادك حلال . ارجع مبرورا غير مأزور ، واستأنف العمل . ضربه أبو ذر .

شرح — قوله « شَخَصَ » شَخَصَ المَسَافِر : خروجه من منزله ، من قولهم شَخَصَ الرجل : إذا أتاه أمر يُزِجُّه ويُقْلِقُه . وقوله : « أَهْلٌ » أى رفع صوته بالتلبية ، يقال أَهْلٌ يَهْلُ إِهْلَالًا ، فهو مُهْلٌ . والتلبية : يأتى شرحها فيما بعد إن شاء الله .

وعن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا حجَّ الرجلُ بمالٍ من غير حِلِّه ، فقال : لبيك اللهم لبيك ، قال الله عز وجل : لا لبيك ولا سعديك . هذا مردود عليك . ضربه الحافظ أبو الفرج في مثير الفرام .

وعن مكحول ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أربعٌ لا تُقبلُ في أربع : نفقة من خيانة ، أو سرقة ، أو غُلُول ، أو مال يتيَم ، في حَجٍّ ولا عمرة ، ولا صدقة ، ولا جهاد . ضربه سعيد بن منصور .

شرح — الغُلُول : الخيانة في المَنَم ، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة ، يقال غَلَّ يُغَلُّ غُلُولًا فهو غَالٌ ، وكل من خان في شيء خَفِيَةٌ فقد غَلَّ .

وعن أحمد بن أبي الخوارزمي ، عن أبي سليمان الداراني ، أنه قال : بلغني أنه قال : من حجَّ من غير حِلِّه ثم لَبَّى ، قال الله عز وجل : لا لبيك ولا سعديك ، حتى تَرُدَّ ما في يديك . ضربه أبو الفرج أيضا .

١٨ — ماباء في معونة الله تعالى للحاج

عن أبي أمامة وائلة بن الأسقع قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة حق على الله عز وجل عونُهُم : الغازي ، والمتزوج ، والمكاتب ، والحاج .

(١) أى موزورا من الوزر ، وإنما همزه ليناسب « مأجورا » .

١٩ - ماجاء في فضل الراحلة التي يحج عليها

عن عمرو بن يسار المكي ، قال : إن البعير إذا حُجَّ عليه بُورك في أربعين من أمهاته ، وإذا حُجَّ عليه سَبَّعَ مراراً ، كان حَقًّا على الله أن يرعى في رياض الجنة .
خرجه الأزرقي .

٢٠ - ماجاء في استحباب تواضع الحاج في ركوبه

عن أنس قال : حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم على رِخْل رَثَ ، عليه قَطيْفة لانسوى أربعة دراهم ، وقال : اللهم اجعله حَجًّا لارياء فيه ولا سُنة .
خرجه أبو ذر .
شرح - قَطيْفة : كساء له شَحْل ، أى هُدْب .

وعن ابن عباس أن أسامة كان رَدَفَ النبي صلى الله عليه وسلم من عَرَفة إلى المَزْدَلِفة ، ثم أردف الفضل من المَزْدَلِفة إلى مِنى .
أُخرجه الشيخان .

شرح - الرَدَف : المُرتَدَف ، وهو الذي يركب خلف الراكب ، وأردفته أنا : إذا أركبته .

٢١ - ماجاء في فضل المشى في الحج

عن ابن عباس قال : كانت الأنبياء يَحْجُّونَ مُشاة حُفاة ، يطوفون بالبيت العتيق ، وَيَقْضُونَ المَناسِكَ مُشاة حُفاة .

وعن ابن عباس أن آدم عليه السلام حجَّ أربعين حِجَّة من الهند على رجله .
قيل للجاهد : أفلا كان يركب ؟ قال : وأى شيء كان يحمله .
خرجه أبو الفرج في منير الغرام .
وقد روى أن آدم وإبراهيم وإسماعيل حَجُّوا مُشاة . وسيأتي .

وعن سعيد بن جبيرة قال : دخلت على ابن عباس في مرضه الذي مات فيه ، فسمعتة يقول لابنيه : يا بني ، حُجُّوا مُشاة ، فإنى ما آسى على شيء ما آسى على أنى لم أُحجَّ ماشياً .
قالوا : من أين ؟ قال : من مكة حتى ترجعوا إليها ، فإن للراكب بكل خطوة سبعين حسنة ، والماشى بكل خطوة سَبْع مِئة حسنة من حسنات مكة . قالوا : وما حسنات مكة ؟ قال .
الواحدة بمئة ألف . قال : عطاء . ولا أحسب السيئة إلا مثلها .
خرجهما أبو ذر .

شرح - الآسى ، مفتوح مقصور : الحُزْن ، يقال آسى آسى فهو آس .

وعن زاذان : مرض ابن عباس مرضا شديدا ، فدعا ولده فجمعهم ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خرج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة ، كتب الله له بكل خطوة سبع مئة حسنة ، كل حسنة مثل حسنات الحرم . قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : بكل حسنة مئة ألف حسنة . فهم أبو ذر . وفهم والحديث قبله أبو الوليد الأزرق في كتاب مكة ، في باب فضل الطواف بالكعبة ، وقال : بكل قدم ، مكان خطوة .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حج من منى إلى عرفة ماشيا ، كتبت له مئة ألف حسنة من حسنات الحرم . قالوا : يا رسول الله ، وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة مئة ألف حسنة .

هكذا فهم أبو الفرج في كتاب منير الفرام ، وخرج أيضا الحديثين قبله .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة لتصافح رُكبان الحاج ، وتعتنق المشاة .

وعن ابن عباس قال : كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة خفاة ، ويطوفون بالبيت ، ويقضون الناسك خفاة مشاة . فهم أبو الفرج أيضا .

وعن ابن عباس قال : حج الخواريقون ، فلما دخلوا الحرم مشوا تعظيما للحرم . فهم أبو الفرج أيضا .

وقال مصعب الزبيري : حج الحسن بن علي خمس وعشرين حجة ماشيا . وكان ابن جرير والثوري يحجان ماشيين .

وعن علي بن شعيب السقاء ، أنه حج من نيسابور على قدميه نيفا وستين حجة . وعن عبد الله بن إبراهيم ، قال : حدثني أبي ، قال : سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفرا حافيا محرما صائما .

وعن محمد بن عبيد الله ، قال : سمعت أبا العباس العباسي يقول : حججت ثمانين حجة على قدمي ، وحج أبو عبد الله المغربي على قدميه سبعا وتسعين حجة ، وعاش مئة وعشرين سنة .

وعن عتياش بن عبد الله الشافعي ، قال : خرج أبو حمزة الصوفي من قزوين محرما راجلا ، فحج ورجع ، فقليل له في ذلك ، فقال : ما خرجت إلا لأسأل الله تعالى ألا يرزقني من الدنيا فوق قوتي .

وعن إبراهيم الخواص ، قال : سمعت حسنا أخا سينان الدبفوري يقول : حججت ست عشرة حجة راجلا حافيا بغير زاد . ذكر ذلك كله أبو الفرج في كتاب منير الغرام . واختلف أهل العلم ، فقال إسحاق : الماشي أفضل . وقال مالك والشافعي : الركوب أحب إلينا من المشي . قال ابن المنذر : وهو أقرب إلى الفضل من المشي ، لأنه موافق لفعله صلى الله عليه وسلم ، وأعون على العبادة .

٢٢ - ما جاء في حج آدم عليه السلام ، وحج الملائكة

عن عطاء بن أبي رباح أن آدم هبط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة ، فهي هذه التي يَتَطَيَّبُ الناس بها ، وأنه حج هذا البيت ، وطاف بين الصفا والمروة ، وقضى مناسك الحج . فربه سعيد بن منصور .

وعن أبي المليح قال : كان أبو هريرة يقول : حج آدم عليه السلام ، فقضى المناسك ، فلما فرغ قال : يا رب ، إن لكل عامل أجرا . قال الله تعالى : أما أنت يا آدم فقد غفرت لك ، وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت ، فبأذنيه ، فقد غفرت له ، فحج آدم ، فاستقبلته الملائكة بالردم ، فقالت : برّ حجك يا آدم ، إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بأني عام ، قال فما كنتم تقولون ؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . فكان آدم إذا طاف قال هؤلاء الكلمات . فربه الأزرق . وعن عثمان بن ساج أن آدم لما بنى البيت قال : يا رب ، إن لكل عامل أجرا ... ثم ذكر معنى ما تقدم : وسيأتي في فصل بناء الكعبة .

شرح - باء : أي التزم وأقر . وأصل البؤء : الزوم . وقوله برّ حجك ، أي تُقبل . وقد تقدم شرح الحج المبرور ، في فصل الحج المبرور : والردم : موضع بأعلى مكة معروف .

وعن عثمان بن ساج ، قال : أخبرني سعيد . أن آدم عليه السلام حجَّ على رجليه سبعين حجة ماشيا ، وأن الملائكة لقيته بالمأزمين ، فقالوا : برَّ حجَّك يا آدم ، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام . ضربه الأزرقي .

شرح للمأزمان : موضع بين عرفة ومزدلفة ، وهو المضيق في الجبال ، حيث يلتقي بصها ببعض ويتسع ما وراءه . والميم زائدة ، وكأنه من الأزم : القوة والشدة . ودون مني أيضا مأزمان ، والله أعلم بالمراد منهما .

وعن وهب بن منته قال : قرأت في بعض الكتب الأول : أنه ليس من ملك يبعثه الله تعالى إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت ، فينقَضَ من تحت العرش محرما ملبيا ، حتى يستلم الحجر ، ثم يطوف سبعا بالبيت ، ثم يركع في جوفه ركعتين ، ثم يصعد . ضربه أبو الفرج في مثير الغرام .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام إلى موضع السكبة ، وهو مثل الفلَّك من شدة رعدته ، وأنزل عليه الحجر الأسود ، وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء ، فأخذه آدم عليه السلام ، فضمه إليه استئناسا به ، ثم أنزل عليه العضا ، ثم قال : يا آدم تحطّ ، فتخطّ ، فإذا هو بأرض الهند ، فسك هنالك ماشاء الله ، ثم استوحش إلى البيت ، فقبل له : حجّ يا آدم ، فأقبل يتخطّ ، فصار موضع كل قدم قرية ، وما بين ذلك مفازة ، حتى قدم مكة ، فلقيته الملائكة ، فقالوا : برَّ حجك يا آدم ، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام ؛ قال : فما كنتم تقولون حوله ؟ ثم ذكر نحو ما تقدم .

ضربه الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام .

ولا تضاد بين هذا وبين ما تقدم عن عطاء : أن آدم هبط بأرض الهند ، فإنه يجوز أن يكون تحطيه من مكة إلى أرض الهند أطلق عليه هبوط ، لأنه انحطاط من علو إلى سفلى ، فإن مكة أرفع من أرض الهند ؛ ولو فرضت المساواة ، جاز إطلاق الهبوط في كل واحد من المكانين بالاعتبار الأول ، فيكون في الأول حقيقة ، وفي الثاني مجازا ، والله أعلم .

٢٣ - ماجاء في حج إبراهيم عليه السلام حين فرغ من بناء البيت

وتعليم جبريل إياه المناسك

عن عثمان بن ساج ، قال : أخبرني محمد بن إسحق ، قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام ، جاءه جبريل عليه السلام ، فقال له : طُفْ به سبعا ، فطاف به سبعا هو وإسماعيل ، يستلمان الأركان كلها في كل طواف ، فلما أكلا سبعا صليا خلف المقام ركعتين . قال : فقام معه جبريل ، فأراه المناسك كلها : الصَّما ، والمروة ، ومي ، ومزدلفة ، وعرفة . وفي رواية : أنه لما أراه الصفا والمروة قال : هذا من شعائر الله . قال : فلما دخل مي وهبط من العقبة ، تمثل له إبليس عند جرة العقبة ، فقال له جبريل : ارمه ، وفي رواية : كبر وارمه بسبع حصيات . فغاب عنه . ثم برز له عند الجرة الوسطى ، قال له جبريل عليه السلام : ارمه ، وفي رواية : كبر وارمه . فرمى بسبع حصيات ، فغاب عنه . ثم برز له عند الجرة الشفلى ، قال له جبريل عليه السلام : ارمه ، وفي رواية : كبر وارمه ، فرماه إبراهيم بسبع حصيات مثل حصي الخذف ، فغاب عنه إبليس .

ثم مضى إبراهيم في حجه ، وجبريل يوقفه على المواقف ، ويعلمه المناسك ، حتى انتهى إلى عرفات ، فلما انتهى إليها قال له جبريل عليه السلام : أعرفت مناسكك ؟ قال إبراهيم عليه السلام : نعم . قال : فسميت عرفات لذلك . وفي رواية : ثم انطلق إلى المشعر الحرام ، ثم أتى به عرفة ، فقال له جبريل : هل عرفت ما أريتك ؟ ثلاث مرات ، قال : نعم . ثم أمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج . قال : فقال إبراهيم : يا رب . وما يبلغ صوتي ؟ قال الله تعالى : أذنْ وعلى البلاغ . قال : فعلا على المقام ، فأشرف به ، حتى صار أرفع الجبال وأطولها ، تجمعت له الأرض يومئذ : سبلها وجبلها ، وبرها وبحرها ، وإنسها وجنها ، حتى أسمعهم جميعا ، وأدخل إصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمنا وشاما ، وشرقا وغربا ، وبدأ بشق اليمن ، فقال : أيها الناس ، كُتِبَ عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فلجئوا ربكم . فلجأوه من تحت التخوم السبعة ، ومن بين المشرق والمغرب ، إلى منقطع التراب ، من أقطار الأرض كلها : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . وفي رواية أنه قيل له :

أُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ؟ فقال : كيف أقول ؟ قال : قل يا أيها الناس أجيئوا ربيكم ، ثلاث مرات . قال : وكانت الحجارة على ما هي اليوم ، إلا أن الله تعالى أراد أن يجعل المقام آية ، فكان أن تقدمه في المقام إلى اليوم . قال : أفلا تراهم اليوم يقولون : كَبَيْتَكَ اللَّهُمَّ كَبَيْتَكَ : قال : فكل من حج إلى اليوم ، فهم من أجاب إبراهيم . وإنما حجَّهم على قدر إجابتهم يومئذ ، فمن حجَّ حجتين فقد كان أجاب مرتين ، أو ثلاثا فثلاثا ، على هذا . قال : فأثر قدميه في المقام آية ، وذلك قوله تعالى : « فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ » .

شرح — نخوم الأرض : معاملها وحدودها ، وأحدها نخم . وأقطارها : جوانبها . وعن زهير بن محمد قال : لما فرغ إبراهيم من البيت الحرام ، قال أي رب قد فعلت ، فأرنا مَنَّا سَكَنًا ، فبعث الله جبريل عليه السلام فحج به ، حتى إذا جاء يوم النحر عرض له إبليس ، فقال : اخصب . فخصب سبع حصيات ، ثم اللد ، ثم اليوم الثالث ، ثم علا على ثبير وقال : يا عباد الله ، أجيئوا : فسمع دعوته من بين الأنجر ، ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فقالوا : كَبَيْتَكَ اللَّهُمَّ كَبَيْتَكَ . قال : ولم ينزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ، لولا ذلك لأهليكت الأرض ومن عليها .

شرح — اخصب : أي ارم بالحصباء . وعن ابن الزبير قال : بلغني أن البيت وُضِعَ لآدم بطوف به وبعبد الله عنده ، وأن نوحا قد حجه وجاءه وعظمه قبل الفرق ، فلما أصاب الأرض الفرق حين أهلك الله قوم نوح ، أصاب البيت ما أصاب الأرض من الفرق ، فكان ربة حمراء معروفا^(١) مكانه ، فبعث الله هودا إلى عاد ، فتشاغل بأمر قومه حتى هلك ولم يحجه . ثم بعث الله صالحا إلى قومه ، فتشاغل بأمر قومه حتى هلك ولم يحجه . ثم بعث الله تعالى لإبراهيم ، فحجه وعلم مناسكه ، ودعا إلى زيارته . ثم لم يبعث الله تعالى نبيا بعد إبراهيم إلا حجَّه . قال ابن إسحاق : وحجَّ البيت إسحاق وسارة من الشام ، وكان إبراهيم يحجه كل سنة على البراق . قال : وحجَّت بعد ذلك الأنبياء والأمم . شرح جميع أحاديث هذا الفصل الأزرق في كتاب مكة .

(١) كذا في ٣ ، ٤ . وفي أخبلو مكة للأزرق طبع الماجدية بمكة سنة ١٣٥٢ هـ (الجزء الأول ، صفحة ٣٣) : معروفا .

٢٤ - ماجاء في حج إسماعيل ، وتعليم إبراهيم إياه المناسك عليهما السلام
عن محمد بن إسحاق قال : حدثني بعض أهل العلم : أن ابن الزبير قال لمعبد بن
عمير الآبى : كيف بلغك أن إبراهيم عليه السلام دعا إلى الحج ؟ قال : بلغني أنه لما رفع
إبراهيم القواعد وإسماعيل عليهما السلام ، وانتهى إلى ما أراد الله تعالى من ذلك ، وحضر
الحج ، استقبل اليمين ، فدعا إلى الله عز وجل ، وإلى حج بيته ، فأجيب أن : كَتَبْتُكَ كَتَبْتُكَ ؛
وإلى المغرب بمنزل ذلك ، وإلى الشام بمنزل ذلك . ثم حج بإسماعيل ومن معه من المسلمين
من جُرم ، وهم سُكَّانُ الْحَرَمِ يومئذ مع إسماعيل ، وهم أصهاره ، وصلى بهم الظهر والعصر
والمغرب والعشاء بمعى ، ثم بات حتى أصبح ، وصلى بهم الغداة ، ثم غدا بهم إلى تمرّة ،
فقال بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس ، جمع بين الظهر والعصر بمعى ، في مسجد إبراهيم
عليه السلام ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة ، فوقف بهم ، وهو الموقف من عرفة ، الذى
يقف عليه الإمام ، يريه ويعلمه . فلما غرّبت الشمس دفع به ومن معه ، حتى أتى المزدلفة ،
فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ، ثم بات حتى إذا طلع الفجر صلى بهم صلاة الغداة ،
ثم وقف به على قَرْحٍ من المزدلفة وبين معه ، وهو الموقف الذى يقف به الإمام ، حتى
إذا أسفر غير مُشرق ، دفع به وبين معه ، يريه ويعلمه كيف يرمى الجمار ، حتى إذا فرغ
من الحج كله ، وأذن به فى الناس ، ثم انصرف إبراهيم راجعا إلى الشام ، فتوفى بها ،
صلوات الله عليه وعلى جميع أنبياء الله والمرسلين . فخرم الأزرقي .

شرح - تمرّة : هو الجبل الذى عليه أنصاب الحرم بعرفات . قاله ابن الأثير .
وقال غيره : ليس من عرفة . وقَرْح : جبل صغير بمزدلفة ، يقف عنده الإمام .
وقال مجاهد : حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين . ذكره أبو الفرج في كتاب منير الغرام .

٢٥ - ماجاء في حج الأنبياء عليهم السلام عن ذكرناه

عن عروة بن الزبير قال : بلغني أن البيت وُضِعَ لآدم عليه السلام يطوف به ،
وأن نوحا قد حجّه وجاءه وعظمه قبل الفرق . فخرم أبو الفرج في منير الغرام الساكن .
قال ابن إسحاق : لم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم إلا وقد حج .

وعن داود، عن أبي العالية، عن ابن عباس، قال : سِرْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة، فررنا بواد، فقال : أَيُّ واد هذا؟ قالوا : وادى الأزرق . قال : كأنى أنظر إلى موسى ، فذكر لونه وشعره، وشيثا لم يحفظه داود ، واضعا أصبعه في أذنه، له جُؤار إلى الله تعالى بالتَّسْلِيَةِ ، مارًا بهذا الوادى . قال : ثم سرنا الوادى حتى أتينا على ثنية فقال : أى ثنية هذه ؟ فقالوا : هَرَشَى ، أولفت . فقال : كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء ، خطام ناقته لَيْفُ خَلْبَةٍ ، وعليه جُبَّةٌ له من صوف ، مارًا بهذا الوادى مُلْبِيًا : أضرب مسلم . وقال أبو حاتم بن حبان : يُهَلّ نهارا بهذه الثنية ملبييا . وفى رواية : فقال : ما هذه الثنية ؟ قيل : ثنية كذا . قال : كأنى أنظر إلى موسى يرمى الحجرة ، على ناقة حمراء خطامها من لَيْف ، وعليه جُبَّةٌ من صوف . ضربه بهذا اللفظ أبو حاتم بن حبان . ومعناه فى الصحيحين بتغير بعض ألفاظه .

شرح — الجُؤار : رفع الصوت بالاستغاثة . تقول منه جَارَ يَجَارُ . والخُلْبَةُ : اللَّيْف . وجمعه خُلْبٌ . وثنية هَرَشَى : هى ثنية بين مكة والمدينة ، على عَيْنٍ سالك خَبَتِ الْبُرْزَوَى ، قريبا من وَدَّان : وقيل : هَرَشَى : جبل بقرب الجَحْفَةِ .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر إلى موسى ابن عمران فى هذا الوادى محرما يلبي بين قَطَوَانَيْنِ . ضربه أبو ذر .

شرح — القَطَوَانِيَّة : عبادة بيضاء قصيرة الخمل . والنون زائدة . هكذا ذكره الجوهري فى المعتل ، ويقال كساء قَطَوَانِي .

وعن مجاهد قال : حج موسى النبى صلى الله عليه وسلم على جبل أحمر ، فربالروءاء . عليه عباءتان قَطَوَانِيَتان ، مؤتزرا بإحداهما ، مرتديا بالأخرى ، وطاف بالبيت ، ثم طاف بين الصفا والمروة ، إذ سمع صوتا من السماء وهو يقول : كَبَّيْكَ عَبْدى ، أنا معك . قال : فخر موسى ساجدا .

وعن عطاء بن أبى رباح ، أن موسى بن عمران عليه السلام طاف بين الصفا والمروة عليه عباءة قَطَوَانِيَّة ، وهو يقول : كَبَّيْكَ اللَّهُمَّ كَبَّيْكَ ، فأجابه ربه عز وجل : كَبَّيْكَ يَا موسى ، وهذا أنا معك .

وعن طاحنة بن عُبَيْد الله بن كَرِيز الخزاعي، أن موسى عليه السلام طاف بالبيت، فلما خرج إلى الصفا لقيه جبريل عليه السلام، فقال: يا نبي الله، إنه الشدُّ إذا هبطت بطن الوادي، فاحتزم نبي الله بثوبه، فلما انحدر عن الصفا، وبلغ بطن الوادي، سعى وهو يقول: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، قال: يقول الله تعالى: لَبَّيْكَ يا موسى، وهذا أنا معك. وعن ابن عباس قال: أقبل موسى عليه السلام يابى، تجاوبه جبال الشام، على جبل أحر عليه قَطَوَانِيتان. ضرم الأربعة الأزرق في كتاب مكة، وتابعه أبو الفرج على بعضها.

وعن عبد الله بن الزُّبَيْر قال: حج البيت ألف نبي من بنى إسرائيل، لم يدخلوا مكة حتى وضعوا نعالهم بذى طُوًى. ضربه أبوذر. شرح — ذو طُوًى: وادٍ معروف عند باب مكة، سمي ببئر مطوية ثم، وهو بضم الطاء وفتح الواو والخففة، وقيل غير ذلك. وسيأتى تنمة الكلام فيه في فصل دخول مكة، إن شاء الله تعالى.

وعن مجاهد قال: حج البيت سبعون نبيا فيهم موسى عليه السلام، عليه عباةتان قَطَوَانِيتان، وفيهم يونس يقول: لَبَّيْكَ كاشف الكرب لَبَّيْكَ. ضربه سعيد بن منصور وأبوذر.

وعن ابن عباس: قال أتى على هذا الوادي عيسى وموسى وصالح؛ وذكر غيرهم من الأنبياء على بَكَرَات، خُطْمُهُمُ اللَّيْف، أُرْزُهُمُ النَّار، وَأُرْدِيَتُهُمُ الْعَبَاء، يحجون البيت العتيق. ضربه أبوذر.

شرح — البَكَرَات: جمع بَكَرَةٍ بالفتح، والذكر: بَكَر، وهو الفتي من الإبل، بمنزلة الغلام من الناس والنَّار: جمع نَمْرَةٍ، وهى كل شَمْلَةٍ مُحَطَّطَةٍ، كأنها أخذت من لون النمر، لما فيه من السواد والبياض.

وعن عبد الرحمن بن سابط، قال: سمعت عبد الله بن ضَمْرَةَ السَّلَوِي يقول: ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر سبعة وسبعين نبيا، جاءوا حُجَّاجًا، فُقُبِرُوا هنالك.

وعن محمد بن سابط ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان النبي من الأنبياء إذا هلك أمتة لحق بمكة ، فيعبد الله فيها ومن معه حتى يموت ، فمات فيها نوح وهود وصالح وشُعيب ، وقبورهم بين زمزم والحجر .

وعن مجاهد قال : حج خمسة وسبعون نبيا ، كلهم قد طاف بالبيت ، وصلى في مسجد منى ، فإن استطعت ألا تفوتك الصلاة في مسجد منى فافعل .

وعن ابن عباس : مرَّ بِصِفَاحِ الرُّوحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ، إِيَّاهُمْ مُحَاطَةٌ بِاللَّيْفِ . وفي رواية عنه : لقد سلك فِجَ الرُّوحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا حُجَّاجًا ، عَلَيْهِمْ لِبَاسُ الصُّوفِ ، خُطُمُ إِيَّاهُمْ حِبَالُ اللَّيْفِ .

وعن عثمان بن ساج قال : أخبرني صادق أنه بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مرَّ بِفِجِ الرُّوحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ، عَلَى نُوقٍ حُمْرٍ ، خُطُمُهُمُ اللَّيْفُ ، أَبْوَسُهُمُ الْعَبَاءُ ، وَتَلْيِيَتُهُمْ شَتَّى . خَرَجَ جَمِيعُ ذَلِكَ الْأَزْرَقِ فِي كِتَابِ مَكَّةَ ، وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ أَبُو الْفَرَجِ فِي مَثِيرِ الْغَرَامِ . سَمِعَ - الرُّوحَاءُ مِنْهُلٍ مَعْرُوفٍ ، عَلَى مَرَحِلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَصِفَاحِ الرُّوحَاءِ : حَوَالِيهَا ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : حَجَّرَانِ لِلصَّفَحَتَيْنِ ، أَيْ جَانِبِي الْخُرْجِ . وَالْفِجُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ وَشَتَّى : أَيْ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَيُقَالُ قَوْمٌ شَتَّى : أَيْ مُتَفَرِّقُونَ ، وَشَتَّ الْأَمْرَ شَتًّا وَشَتَاتًا ، وَأَمْرٌ شَتٌّ وَشَتِيَّتٌ : أَيْ مُتَفَرِّقٌ .

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو عن جده ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الرُّوحَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا سَجَّاسِجٌ ، وَادٌّ مِنْ أَوْدِيَةِ الْجَنَّةِ ، لَقَدْ صَلَّى فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَبْلِي سَبْعُونَ نَبِيًّا ، وَلَقَدْ مَرَّ بِهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا ، بِسَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، عَلَى نَاقَةٍ وَرَقَاءَ ، عَلَيْهِ عِبَاءٌ تَانِ قَطَوَا نَيْتَانِ .

سَمِعَ - سَجَّاسِجٌ ، بِالْجِيمِ فِيهِمَا : جَمْعُ سَجَسِجٍ ، وَهِيَ الْأَرْضُ لَيْسَتْ بِصُلْبَةٍ وَلَا سَهْلَةٍ . وَالْوَرَقَاءُ : الَّتِي فِي لَوْنِهَا سُمْرَةٌ . وَالْوُرُقَةُ : السُّمْرَةُ . يُقَالُ : بَعِيرٌ أَوْرَقٌ ، وَنَاقَةٌ وَرَقَاءَ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَيْهَلَانِ ابْنُ مَرْيَمَ بِفِجِ الرُّوحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ كَيْتُنَيْنِيَهُمَا^(١) . أَضْرِبْهُ أَبُو حَاتِمٍ .

(١) أى يحج ويعتمر .

وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يمر عيسى ابن مريم ببطن الروحاء حاجاً أو معتمراً ، يلقى : كَلْبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، فأبكم لقيه فليقل أبوهريرة يُقِرُّكَ السلام . خرجه سعيد بن منصور .

وعن عطاء بن خالد قال : يَحْجُّ عيسى بن مريم إذا نزل في سبعين ألفا ، فيهم أصحاب الكهف ، فإنهم لم يموتوا ولم يحجوا . ضرب أبو الفرج في مثير الغرام هـ

وعن وهب بن منبه، قال: خطب صالح^{عليه السلام} الذين آمنوا معه، فقال لهم: إن هذه دار قد سخط الله عليها وعلى أهلها، فاطمنوا متها، فإنها ليست لكم بدار. قالوا: رأينا لرأيك تبع، فمرنا نفعل. قال: تلتحقون بحرم الله تعالى وأمنه، لا أرى لكم دونه. فأهلوا من ساعتهم بالحج، وأحرموا في العباء، وارتحلوا قُلُوصًا حُرًا مُحَطَّمَةً بِجِبَالِ اللَّيْفِ، ثم انطلقوا آمِنِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، حتى وردوا مكة، فلم يزلوا بها حتى ماتوا، فتلك قبورهم في غربي السَّكْبَةِ، بين دار النَّدْوَةِ ودار بني هاشم. وكذلك فعله هود ومن آمن معه، وشعيب ومن آمن معه. فمرهم الأُزْرُقِي.

شرح — اظْمَنُوا: سَيَرُوا بِالظَّمْنِ. وَظَمْنٌ يَظْمُنُ ظَمْنًا وَظَمْنًا بِالتَّحْرِيكِ: أَيْ سَارَ .
وَقَوْلُص: جَمْعُ قَوْلَصٍ ، وَهِيَ اللَّفَاقَةُ الشَّابَّةُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى قِلَاصٍ وَقِلَاصٍ أَيْضًا . آمَنَ
أَيْ قَاصِدِينَ .

وفي هذا الحديث مضادة لما تضمنته حديث ابن الزبير ، في آخر فصل حج إبراهيم عليه السلام ، من أن هودا وصالحا لم يُحجَّا ، ولعل هذا أشبه ، لأنه قد جاء حجهما في أحاديث عدّة ، والله أعلم .

وعن عطاء بن السائب أن إبراهيم عليه السلام، رأى رجلا يطوف بالبیت، فأنكره،
وسأله من أنت؟ قال: من أصحاب ذی القرنین. قال: وأین هو؟ قال: بالأبطح. فلقاه
إبراهيم فاعتقه. فقيل لذي القرنين: لم لا تركب؟ فقال: ما كنت لأركب وهذا يمشی،
فخرج ماشيا. فمر به الأزرق. وذو القرنين: هو الإسكندر، سُمي بذلك لأنه ملك

الشرق والقرب . وقيل : لأنه كان في رأسه شبه قرنين . وقيل : رأى في المنام أنه أخذ بقرنى الشمس .

وعن ابن عباس قال : يلتقي الخضر وإلياس في كل علم في الموسم ، فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه ، ويفترقان عن هذه الكلمات : بسم الله ما شاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ، ما شاء الله ، لا يعرف السوء إلا الله ، ما شاء الله ، ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله . فن قالها حين يُصبح وحين يمسى ثلاث مرات ، عوفي من السرقة والحرق والفرق . قال : وأحسبه : من السلطان ، والشیطان ، والمقرب ، والحية . فمره أبوذر .

وقد أفردنا الحج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بابل ذكرنا فيه صفة حجّه ، واستوفينا الكلام فيه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى .

٢٦ - ماجاء في حج الخلفاء الراشدين

عن الواقدي ، عن أشياخه ، قالوا : استعمل أبو بكر على الحج عمر بن الخطاب سنة إحدى عشرة ، فحج بالناس ، ثم اعتمر أبو بكر في رجب سنة اثنتى عشرة ، ثم حج فيها بالناس ، واستخلف على المدينة عثمان .

وعن محمد بن سعد ، قال : استعمل عمر (أول سنة ولى) على الحج عبد الرحمن ابن عوف ، فحج بالناس ، ثم لم يزل عمر يحج بالناس خلافته كلها ، فحج بهم عشر سنين ، وحج بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حجة حجها ، واعتمر في خلافته ثلاث عمر ، وعن ابن عباس قال : حججت مع عمر إحدى عشرة حجة .

ودخل عمر في بعض حججه على نافع بن الحارث يعود ، فوجده قريب عهد بمُرس وفي بيته ستر من آدم مزين بسيور ، فأخذه عمر فشقه ، وقال : لم لا تسترون بيوتكم بهذه المسوح ، فهي أدفأ وأكن وأحمل للغباء ؟ وأذن له أبو مخذورة بصوت شديد ، فقال : يا أبا مخذورة ، أما خشيت أن ينشق ربطاؤك ؟ قال : إني أحببت أن أسمعك صوتي . ومر عمر بأبي سفيان بن حرب ، فرأى أحجارا قد بناها أبو سفيان كالدُّكان في وجه داره ، يجلس عليها بالعداء . فقال : عمر لا أرجع من وجهي هذا حتى تقلعه وترفعه .

فلما رجع عمر وجده على حاله ، فقال : ألم أقل لك ؟ قال : انتظرتُ أن يأتينا بمض أهل مَهَنَتِنَا . فقال : عزمت عليك لتقلعته بيديك ، ولتنقلنه على عاتقك . فلم يراجعه ، وفعل ذلك . فقال عمر : الحمد لله الذى أعز الإسلام ! رجل من عدى يأمر أبا سفيان سيّد بنى عبدمناف بمكة فيطيعه ! .

شرح — قوله مَرِيطَاؤُكَ : هى الجلدة التى بين الشرة والعانة ، وهى تصغير مَرِطَاء ، وهى اللسَاء التى لا شعر عليها ، وقد تقصر ، والله أعلم .

وعن سعيد بن المسيّب أن عمر لما أفاض من مَنَى أنَاخ بالأبطح ، فكَوَّم كَوْمَةً من بَطْجَاء ، فطرح عليها طَرَف ثوبه ، ثم استأقى عليها ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم كبرتُ سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رَعِيَّتِي ، فاقبضنى إليك غير مُضَيِّع ولا مُفَرِّط . فلما قدم المدينة خطب الناس . قال سعيد : فما انساخ ذو الحِجَّة حتى طعن .

وعن أبى مَقْشَرٍ قال : بُوع عثمان ، فأمر عبد الرحمن بن عوف على الحج سنة أربع وعشرين . وحج عثمان سنة خمس وعشرين ، فلم يزل يحج إلى سنة أربع وثلاثين ، ثم حَصَرَ فى داره ، وحج عبد الله بن عباس بالناس . قال ابن سيرين : كان أعلمهم بالناسك عثمان ، وبعده ابن عمر . وأما على بن أبى طالب فما ينضبط عدد حَجَّه قبل ولايته ، وكانت ولايته سنة خمس وثلاثين فى ذى الحِجَّة ، بمد اقضاء الحج . وكانت وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ، فحج بالناس عبد الله بن عباس ، ثم كانت صِفِّين سنة سبع وثلاثين ، وحج عبد الله أيضا بالناس ، ولم يزل على عليه السلام مشغولا ، فحج بالناس سنة ثمان وثلاثين فَمَ بن العباس . ثم اصطاح الناس فى سنة تسع على شِيبَةَ بن عثمان ، فأقام لهم الحج ، ثم قتل على عليه السلام سنة أربعين فى رمضان . ذكر ذلك الواقدى ، والحافظ أبو الفرج ، وغيرهما .

٢٧ — ما جاء فيمن حج من خلفاء بنى أمية

ذكر أهل التواريخ أن معاوية كان يستنيب على الحج زمن ولايته ، وحج هو بالناس سنة خمسين ، وأقام ابن الزُّبَيْر للناس الحج سنة ثلاث وستين ، قبل أن يبيع له ، فلما بُوع له حجَّ ثَمَانِي حَجَّج متواليات . وحج عبد الملك بن مروان سنة خمس وسبعين بعد قتل ابن الزُّبَيْر . وحج الوليد بن عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

٢٨ - ما جاء فيمن حج من خلفاء بني العباس

حج المنصور بالناس سنة أربعين ومئة ، ثم حج بهم في سنة أربع وأربعين ومئة ، ثم في سنة سبع وأربعين ومئة ، ثم في سنة اثنتين وخمسين ومئة ، ثم في سنة ثمان وخمسين ، وتوفي قبل يوم التروية بيومين ، وأحرم في بعض حججه من بغداد .

وحج المهدي بالناس في خلافته سنة ستين ومئة . وحج الرشيد في خلافته سنة سبعين ومئة ، ثم في سنة ثلاث وسبعين ومئة ، ثم في سنة أربع وسبعين ومئة ، ثم في سنة خمس وسبعين ومئة .

٢٩ - ما جاء فيمن كره لمن خرج إلى الحج أن يقول إني حاج حتى يُحرم

عن عبدالله قال : لا يقول أحدكم إني حاج ، فإنما الحاج هو المحرم ، ولكن يقول : إني أريد الحج .

وعن عاصم الأخوال قال : سمعت أنسا يقول : لا تقل إني حاج حتى تُهَل ، ولكن قل إني مسافر . فذكرت ذلك لأبي العالية ، فقال : صدق أنس ، أو ليس إن شاء رجع من الطريق . فمرهما سعيد بن منصور .

لاحظ عبد الله وأنس رضي الله عنهما أن الحج وإن كان عبارة عن الفصد ، فإنما يتحقق الفصد بلزومه بالشروع ، فلا يُطلق عليه ذلك قبل تحققه . ولو قيل كما يقال له قاصد البيت ، نظرا إلى نيته ، فكذلك يقال له حاج ، إذ هو عبارة عنه .

٣٠ - ما جاء فيمن كره أن يقول إني حاج مطلقا

عن سعيد بن جبير : قال له رجل : حججت العام . قال : قل : سافرت العام . فإن شريفا كان يقول : الحاج قليل ، والرؤكبان كثير .

وعن ابن عمر : سمع رجلا يقول : ما أكثر الحاج . فقال ابن عمر : ما أقلهم . فنظر فإذا رجل جالس بين جوالقه ، فقال : لعل هذا يكون منهم . فمرهما سعيد بن منصور .

ولعل شريفا وابن عمر رضي الله عنهما لاحظا تجريد الفصد ، بحيث لا يخالطه شيء من تعلق بأمر غير الحج ، وإن قل خطره فبه يتكدر الإخلاص ، وقليل ما هو ، والله أعلم .

الباب الثاني

في إيجاب الحج

١ — ما جاء دليلا على ذلك : منطوقا ومفهوما

عن ابن قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان . أضرهم الشيطان .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا . أضرهم .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ضرورة في الإسلام . ضرب أبو داود .

شرح — معناه : لا يبقى أحد يستطيع الحج فلا يحج ، حتى لا يكون ضرورة في الإسلام . والضرورة : الذي لم يحج . وقيل معناه : لا يطلق على من لم يحج ضرورة في الإسلام ، كان يطلق عليه في الجاهلية ؛ يدل عليه ما روى عن ابن مسعود ، قال : لا يقول أحدكم إنى ضرورة ، فإن المسلم ليس بضرورة . وقيل : العثرة : الذي قد انقطع عن التكاح ، على مثل رهبانية النصارى ، فنهي عن ذلك . ذكره البيهقي في السنن والآثار .

وعن ابن عباس قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : قد فرغت . قال : فأذن في الناس . قال : يارب ، وهل يبايع صوتي ؟ قال : أذن وعلى البلاغ . قال : فنادى إبراهيم بأيتها الناس ، كتب عليكم حج البيت العتيق . قال : فسمع أهل السموات وأهل الأرض ، فأجابوه : لبيك لبيك . ضرب أبو ذر .

وعن مجاهد قال : قام إبراهيم عليه السلام على هذا المقام . فقال : يا أيها الناس أجيئوا ربكم . قال : فقالوا : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . فن حج إلى اليوم فهو من استجاب لإبراهيم عليه السلام .

وعن أبي سعيد قال : سألت عبد الله بن سلام عن الأثر الذي في المقام ؛ قال : أراد الله تعالى أن يجعل المقام من آيات الله تعالى ، فلما أمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج ، قام على المقام ، فارتفع المقام حتى صار أطول الجبال ، وأشرف على ماتحته ، فقال إبراهيم : يا أيها الناس ، أجيئوا ربكم . فأجابه الناس : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . فكان أثر قدميه فيه ، لما أراد الله تعالى ، فكان ينظر عن يمينه وعن شماله ويقول : أجيئوا ربكم . فلما فرغ أمر بالمقام ، فوضعه قبلة ، فكان يُصَلَّى إليه مستقبل الباب ، فهو قبلة إلى ما شاء الله تعالى . فخرهم الأزرقي . وقد تقدمت أحاديث نداء إبراهيم عليه السلام مستوفاة في الباب قبله ، في فصل حجّه عليه السلام .

٢ - ما جاء في أن الحج لا يجب إلا مرة

عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج ، فحجوا . فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم . ثم قال : ذروني ما تركتكم ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء ، فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه . أخرجه الشيخان . وقال النسائي ، من حديث ابن عباس : لو قلت نعم لوجبت ، ثم إذا لا يسمعون ولا يطيقون ، ولكنه حجة واحدة . وزاد في رواية : فن زاد فهو تطوع . وتابعه عليها أبو داود ، وقال الترمذي من حديث علي لما نزلت : «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قالوا : يارسول الله ، أفى كل عام ؟ قال : لا ، ولو قلت نعم لوجبت . فأنزل الله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْسَؤْا عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّ تُبَدَّلَ لَكُمْ نَسُوْكُمْ » .

شع — اختلف العلماء في الأمر المطلق . فقال بعضهم : يُحمل على مرة واحدة ، وقال بعضهم : على التكرار . وقال بعضهم بالوقف فيما زاد على المرة . واختار أنه يدلُّ على أصل الطلب ، والمرة الواحدة من ضرورته . وظاهر الحديث أن السائل ماسأل إلا ليكون التكرار عنده محتملا ، وإلا لما حَسُن السؤال عنه . ويجوز أن يكون احتمالُه عنده للتكرار من وجه آخر ، وذلك أن الحج في اللغة قصد فيه تكرير ، قال الشاعر :

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولًا كَثِيرَةً يَحْجُونَ سَبَّ الزُّبْرِ قَانَ الْمَرْغَفَا^(١)

يريد أنهم يقصدونه في أمورهم ، ويختلفون إليه في حوائجهم مرة بعد أخرى ، والمراد بالسَّب هنا العامة ، ويقال ذلك للخيار أيضا ، وللسب معان كثيرة غير هذا . وقد احتج بهذا من أوجب العمرة . وقال : لما كان قوله تعالى : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ » يقتضى على حكم الاشتقاق التكرير ، وانفقوا على أنه لا يجب الحج إلا مرة واحدة ، كان العود إلى البيت واجبا في عمره ، حتى يحصل التردد إلى البيت ، كما يقتضى الاشتقاق .

وفي قوله « ولو قلت نعم لوجبت » دليل على أنه كان يشرع في الدين برأيه واجتهاده صلى الله عليه وسلم . وفي هذا الأصل خلاف بين العلماء . وقوله « فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » : من قوله تعالى : « فَأَتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » . وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : « اتَّقُوا اللَّهَ »

(١) في ق : خثولا في مكان حلولا . وفي م : حولا . وقال في شرح أدب الكاتب لأبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المتوفى سنة ٣١٣ :

ألم تعلمى يا أم عمرة أبى نخطأنى ريب الزمان لأكبرا
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا

الشاهد في قوله * يحجون سبب الزبرقان المزعفرا * وقد ذكر هذا البيت ابن دريد في جهرة اللغة في مكوسى مادة (بس) و (حج) ج ١ ص ٣١ ، ٤٩ وفي لسان العرب ج ١ ص ٤٠ مادة (سب) و (حج) وتاج العروس ج ١ ص ١٧ مادة (سب) و (حج) والجوهري في الصحاح والزخشرى في أساس البلاغة ج ١ ص ١٥٤ مادة (حج) وابن قتيبة في القرطين ج ١ ص ٧١ والمطائى في معالم السنن في كتاب الحج . وفي تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٥٦٣ معنى البيت : حلولا : جاعات . والسب : العائم . والمزعفرا : المصبوغ بالزعفران . وقد زعموا أن سادة العرب تصبغ عمامتهم بالزعفران ، فكانهم ينظرون إليه لجماله ، وزعموا أنه كان جبل الوجه ، وكان يسمى القمر ، والزبرقان اسم من أسماء القمر . ويسمى الزبرقان لجماله ، واسمه حصين . انتهى . انحصا . والأبيات المذكورة هي من قصيدة لمخيل السعدي بهجو فيها الزبرقان . وذكر البيت الألوسى في باوغ الأرب ، في أحوال العرب ج ٣ ص ٢٠٨ تحت عنوان العائم وما ورد فيها من الشعر انتهى . (عن هامش م) .

حَقَّ تَقَاتِهِ . وقيل مبينة لها، لأن حق تقاته امتثال العبد ما أمر به، وما أمر إلا بما يستطيع، قال تعالى: « وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » . وقوله « ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ » فيه دليل على الإباحة فيما لم ينزل فيه حكم .

٣ - ما جاء في استحباب تعجيل الحج والحث على المبادرة به

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أراد الحج فليتعجل .
ضربه الإمام أحمد وأبو داود : زاد أحمد والطحاوي والبيهقي : فإنه قد يعرض المريض، وتضل الضالة ، وتكون الحاجة . وضربه أبو ذر بعمض هذا اللفظ .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعجلوا الحج ، يعني الفريضة ، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له .

ضربه الإمام أحمد والبيهقي . وقال : ما يعرض له من مرض أو حاجة .
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حُجُّوا قبل ألا تحجُّوا قالوا : وما شأن الحج ، قال : يقعد أعرابها على أذنان أوديتها ، فلا يصل إلى الحج أحد .
ضربه الدارقطني وأبو ذر .

شرح - أذنان الأودية : أسافلها . ويقال لها أيضا : المذانب .

وعن الحارث بن سويد قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول : حُجُّوا قبل ألا تحجُّوا ؛ فكأنني أنظر إلى حبشي أفدع ، بيده مءول ، يهدمها حجرا حجرا . فقالت : شيء برأيك تقوله ، أو سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا والذي فاتى الحبة وبرأ النسمة ، ولكن سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم . ضربه أبو ذر .

شرح - أفدع - الفدع ، بالتحريك والعين المهملة : زبغ بين القدم وبين عظم الساق وكذلك هو في اليد ، وهو أن تزول المفاصل من أماكنها ، يقال رجل أفدع بين الفدع . وفي رواية : أفيدع ، تصغير أفدع والمءول بالكسر : هو الفأس . والميم زائدة وهي ميم الآلة . وقوله « فلق الحبة » أي شقها بالنبات . وبرأ النسمة : أي خلقها . والبارئ : الخالق .

والنسمة: النفس والروح وكل دابة فيها روح فهي نسمة. وكثير ما كان يُقسم بهذا القسم رضى الله عنه .

والأمر في هذه الأحاديث محمول على النذب . ويؤيد ذلك قوله في الحديث الأول : من أراد الحج فليتمجمل . فقوله « فليتمجمل » : محمول على النذب لاحالة ، ولا يجوز حمله على الوجوب ، لأن الخطاب لا يخلو إما أن يكون لمن وجب عليه الحج ، أو لمن يجب عليه ، فإن كان الثانى ، فظاهر ما ذكرناه ، وإن كان الأول ، وهو الأظهر ، بدليل الحديث الآخر ، يعنى الفريضة ، كان فيه دلالة على أن الخطاب الأول ماقتضى الفورية ، وإلا لزم التكرار ، لالغابذة ، مع قبجه من حيث ربطه بالإرادة ، فإن من قال لعبد : افعل كذا الساعة على وجه الإلزام ، ثم قال : إن أردت أن تفعل كذا فافعله الساعة ، عد هذا مناقضا للأول ، وكل من قال إنه على التراخي حمل هذا على الاستحباب ، ولا يلزم على ذلك تناقض ، فإن من قال لعبد : افعل كذا في جميع النهار ، ثم قال : إن أردت فعل هذا الواجب عليك على وجه الأولوية ، فافعله الساعة ، كان هذا الكلام جاريا على نهج الاستقامة ، ولا يعد مناقضا للأول ، فكان حمل كلام النصيح عليه أولى . والذهاب إلى أن الحج على التراخي : الشافى والثوري ، والأوزاعي ، ومحمد بن الحسن : واحتجوا بأن فريضة الحج أنزلت سنة ست ، على الصحيح والأشهر . وقيل سنة تسع ، وصححه عياض . وأخر صلى الله عليه وسلم الحج إلى سنة عشر ، وأخر معه جمع من مياسير الصحابة ، مثل عثمان وعبد الرحمن ونحوهما ، وما يتكلف من عذر في حقه صلى الله عليه وسلم وإن كان خلاف الأصل والظاهر ، فهو معدوم في حقهم ، ولو وجب عليهم على الفور لبيّنه لهم صلى الله عليه وسلم ، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ، والمؤذّر بصدّة المشركين قد زال بالفتح في سنة ثمان ، وما قيل من أن التأخير كان لثلا يرى منكرا من حج المشركين وطواف المرأة ، فذلك دليل على الجواز ، إذ لو لم يجز التأخير لما كان هذا عذرا في إسقاط واجب تعين ، ثم ينتقض بمن تخلف من الصحابة ، وليسوا بأفضل ممن بعثه . قال الشافى : نزلت فريضة الحج على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، وافتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في شهر

رمضان، وانصرف عنها في شوال، واستخلف عليها عتّاب بن أسيد، فأقام الحج للمسلمين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قادر على أن يحج وأزواجه وعامة أصحابه، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر، فأقام الحج للناس سنة تسع، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قادر على الحج، ولم يحج هو ولا أزواجه ولا عامة أصحابه، حتى حج سنة عشر، فاستدللنا على أن الحج مرة في العمر، أوله البلوغ، وآخره أن يأتي به قبل موته. وقال أبو يوسف ومالك وأحمد: يجب على الفور. وكان الكرخي يقول: هو مذهب أبي حنيفة. واحتجوا بحديث عليّ في تفسير الاستطاعة وسيأتي.

٤ - ما جاء في استحباب تعهّد البيت الحرام بالحج؛ بعد سقوط الفرض

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: "إن من أصحّحتة ووسعت عليه ولم يزرني في خمسة أعوام، لمحروم". وضم أبوذر الهروي. وضم أبو بكر بن أبي شيبة، من حديث أبي سعيد الخدري. ولفظه: "إن الله تعالى يقول: إن عبداً أصحّحت له جسمه، وأوسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إلى المحروم". وضم أيضاً الحافظ أبو حاتم بن حبان، في كتاب التقاسيم والأنواع. قال ابن وضاح: يريد في الحج، ذكره ابن الحاج في منسكه.

وعن ابن عباس قال: لو ترك الناس زيارة هذا البيت عاماً واحداً ما نواظروا.

وضم ابن الحاج.

الباب الثالث

في شرائط الرمب

١ — ما جاء في اعتبار الزاد والراحلة في الوجوب

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يُهادى بين ابنيه ؛ فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : نذر أن يمسي . قال : إن الله عز وجل عن تعذيب هذا نفسه لغنى ، وأمره أن يركب .
فهرم البخاري .

وعن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . فهرم الترمذي ، وقال : حديث حسن .

٢ — ما جاء في تفسير الاستطاعة في قوله تعالى من استطاع إليه سبيلاً

عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تَبْلُغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحِجَّ ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًا وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًا ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَلِلَّهِ كُلُّ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .
حديث على هذا ، في طريقه هلال بن عبد الله ، وهو مجهول . قاله الترمذي .
والحارث . وكذبه الشعبي وغيره . وذكر ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات ؛ ووضع في الموضوعات خطأ ، إذ لا يلزم من الجهل بالراوى برواية ، أن يكون حديثه موضوعاً ؛ وكذلك لا يلزم من كون راويه عرف بالكذب أن يكون موضوعاً . وكيف يصح وصفه بالوضع مع تخريج الترمذي له في كتابه ، وقد قال : كل حديث في كتابي هذا معمول به إلا حديثين ، ليس هو من أحدهما .

وعن ابن عمر قال : قام رجل فقال : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة
فهرمهما الترمذى .

وعن جابر بن عبد الله قال : لما نزل قوله تعالى : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » قال رجل : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، وابن عباس ، وأنس ، وعائشة ،
الجميع بنحوه . خرج الجميع الدارقطني .

وعن ابن عباس قال : مَنْ كان له ثلاث مئة درهم ، فقد وجب عليه الحج ، وحرّم
عليه نكاح الإمام .

وعن الضحاك ، قال : السبيل : الزاد ؛ فإن كان رجلاً شاباً فليؤاجر نفسه بأكله
وعقبه ، حتى يَقْضَى نُسْكَه . فقل له : أيكلف العباد ما لا يُطِيقون ؟ فقال الضحاك :
لو كان لأحدهم هناك مال لأتاه ولو حَبِئًا . فهرمهما سعيد بن منصور .

٣ - ما جاء في استحباب حمل الزاد في طريق الحج

عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزوّدون ، ويقولون : نحن
المتوكّلون ، فإذا قدموا سألوها الناس ؛ فأنزل الله تعالى : « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
التَّقْوَى » . فهرمه مالك فيما ذكره رزين :

وعن عكرمة وإبراهيم ، قالوا : كان ناسٌ يحجّون ولا يتزوّدون ، ويقولون :
نتوكل على الله تعالى ، فهو رازقنا . فنزلت : « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى »
قال سعيد بن جبیر : هو الكَعَكُ والزَّيْتُ . وقال الشعبي : هو الكَعَكُ والسُّوبِقُ .
وعن هشام بن عروة قال : كان الناس يحجّون وتحتهم أزودتهم ، وكان أول
من حج على رحل ليس تحته شيء عثمان بن عفان ، حمل ابن عمه مروان على راحلته .

خرج جميع ذلك سعيد بن منصور .

٤ - ما جاء في أنه لا يجب الاقتراض للحج

عن عبد الله بن أبي أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج ، أَيْسْتَفْرِضُ للحج ؟ قال : لا . **خرجه البيهقي .**

٥ - ما جاء في اعتبار صحة البدن

عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات ولم يَحْجْ حِجَّةَ الإسلام ، لم يمنعه من ذلك مرض حابس ، أو سلطان جائر ، أو حاجة قاهرة ، فليمت على أى حال ، إن شاء يهوديا ، وإن شاء نصرانيا . **خرجه سعيد بن منصور .**

٦ - ما جاء في اعتبار أمن الطريق

عن عمر بن الخطاب أنه قال : لِمُوت يهوديا أو نصرانيا ، لِمُوت يهوديا أو نصرانيا ، لِمُوت يهوديا أو نصرانيا ، رجل مات ولم يحج ، وجد لذلك سعة ، وخُلِّيت سبيله . **خرجه أبو ذر .**

٧ - ما جاء في ركوب البحر للحج والعمرة

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غازٍ في سبيل الله ، فإن تحت البحر نارا أو تحت النار بحرا . **خرجه أبو داود وسعيد بن منصور والبيهقي في شرح السنة .**

٨ - ما جاء في المنع منه عند ارتجاعه

عن أبي عمران الجوني قال : حدثني بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغزونا بحر فارس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ركب البحر عند ارتجاعه ، فقد برئت منه الذمة . **خرجه الإمام أحمد .**

اتفق أهل العلم على أن من كان صحيحا ووجد راحلة تصلح لمثله ، وزادا يُبَلِّغُه ذهابا وإيابا ، وكان الطريق آمنا ، يجب عليه الحج ؛ ومن لم يجد زادا ولا راحلة وقدر على المشى

وله صنعة يتكسب بها فلا يجب عليه عندنا؛ وقال مالك : يجب . وفيما ذكرنا من الأحاديث والآثار ما يرد ذلك . واختلف العلماء في وجوب ركوب البحر إذا لم يكن له طريق غيره ، فذهب بعضهم إلى وجوبه ، واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو المتقدم آنفا ، ولا دلالة فيه ، وليس الاستدلال به على الوجوب بأولى من الاستدلال به على الإباحة ، وتحريم ما عداه عند خوف الهلاك ، تهويلا لأمر هذه الثلاثة ، وأنه لا ينبغي أن يقتحم عليه عند خوف الهلاك إلا لأجلها ، وتكون مُستثناة من حديث المنع عند الارتجاج على ما تقدم ، جمعا بينهما ، أو يحمل ذلك على الباب نفيًا وإثباتًا ، ويكون المعنى : لا ينبغي ركوب البحر لما فيه من الخطر وإن غلبت سلامته ، إلا لهذه الثلاثة تعظيمًا لشأنها ، فإذا ارتج حُرِّم مطلقا . وهذا عندى أظهر المعنيين . والأصح عندنا أنه إن كان غلبه السلامة ، وجرت عادته بركوبه ، ولا يتضرر بذلك ، ولا يؤدي به الحال إلى تعطيل الصلوات ، وجب ، وإلا فلا . ولنا قول أنه لا يجب مطلقا ، فأما إذا كان غلبه التَّأَنُّ ، فيحرم ركوبه ، ويدل عليه حديث أحمد المتقدم ، وقوله « فليمت إن شاء يهوديا ، وإن شاء نصرانيا » : الإجماع منقاد على أن هذا ليس على ظاهره ، وأنَّ من مات من المسلمين ولم يحج ، وكان قادرا عليه ، لا يكون تركه الحج مُخرجا له عن الإسلام . وهو محمول على المستحِلِّ لذلك ، فيكفر به ، أو أنَّ فعله أشبهَ فعل اليهودي والنصراني . وقد استدل بظاهره من ذهب إلى أن الحج على الفور . وقال : لو كان على التراخي لما كان للتوعد معنى ، فلا حجة فيه ؛ أما على التأويل الأول فظاهر ، وأما على الثاني فغايته أن يَدُلَّ على تأنيبه . ونحن نقول بذلك ، وهو أصح قول الشافعي ، والتأخير إنما جاز بشرط سلامة العاقبة .

٩ - ما جاء في اعتبار المحرَّم في حق المرأة

عن ابن عباس قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعهما ذو محرم ، ولا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم . أخرجه الشيخان . وفي بعض ألفاظ البخاري : ولا يدخل عليها رجل إلا ومعهما محرم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لامرأة مُسلمة تسافر مسيرة ليلة إلا ومعه رجل ذو حرمة . وفي رواية : يوما وليلة .

زهره مسلم . وقال أبو داود : يريد .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعه ذو محرم . وفي رواية : ثلاثة . وفي رواية : فوق ثلاث . وفي رواية من حديث أبي سعيد : ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعه أبوها أو أخوها أو ذو محرم منها . أخرج جميع ذلك الشيخان .

وعن أبي سعيد قال : أُرِبع سمعتن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبني وآتفتني : ألا تسافر امرأة مسيرة يومين إلا ومعه زوجها أو ذو محرم ، ولا صوم في يومين : الفطر والأضحى ، ولا صلاة بعد صلاتين : بعد العصر حتى تغرب الشمس ، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس ، ولا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجدي ، والمسجد الأقصى . أخرجهما .

وذكره البخاري عن أبي سعيد أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة . وعن يحيى بن عباد قال : كتبت امرأة من أهل الرى إلى إبراهيم النخعي : إني لم أحجَّ حجة الإسلام ، وأنا مؤسرة ، ليس لي ذو محرم . فكتب إليها : إنك ممن لم يجعل الله له سبيلا .

وعن الحسن بن أبي الحسن وسئل عن امرأة لازوج لها ولا محرم ، فقال : لا تنج إلا مع ذى محرم . زهره سمي سمي بن منصور .

شرح — قوله في حديث أبي سعيد «آتفتني» أي أعجبتني ، وكرر لاختلاف اللفظ ، ومنه قوله تعالى : «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ» وقوله تعالى : «حَلَالًا طَيِّبًا» . وكثير جاء في القرآن والكلام كذلك . واختلاف الروايات في مدة السفر يحتمل أن يكون ، لأن القول صدر في مواطن مختلفة ، وإن حدث به راو واحد فعلى اختلاف ماسم . ويمكن

الجمع بين الروايات ، بأن يكون الليلة المفردة بالذكر مرادة مع اليوم ، وهكذا عادة العرب ، يطلقون الليالي ، ويريدون بمددها من الأيام واليومين مدة الذهاب والإياب . والثالث لقضاء الحاجة في المقصد ، فأشار إلى مسافة السفر مرة ، وإلى مدة الغيبة أخرى ، وقد يكون هذا تمثيلاً بأقل الأعداد ، إذ الواحد أقل العدد وأوله ، والاثنان أقل الكثرة ، والثلاثة أقل الجمع فكأنه أشار إلى أن مثل هذا في قلة الزمان لا يحل ، فكيف مازاد عليه ؟ ولهذا قال ثلاثة أيام فصاعداً . وعلى هذه الروايات اتبنى خلاف الفقهاء في أقل سفر تُقصر فيه الصلاة .

واختلف العلماء في اعتبار ذى المحرم . فجعله أبو حنيفة من جملة الاستطاعة ، ووافقه أصحاب الحديث ، وهو قول النخعي والحسن البصري ، وبه قال الثوري وأحمد وإسحاق ، وهو أحد قولي الشافعي ، والأصح عنده أنه لا يشترط . وعلى قول الاشتراط عنده ، فالنساء النقات هل يقمن مقامه ؟ فيه خلاف . واختلفت الرواية عن مالك في اشتراطه . قال البغوي في شرح السنة : والقول باشتراط المحرم أولى لظاهر الحديث ، ولم يختلفوا أنها ليس لها الخروج في غير الفرض إلا مع محرم ، إلا في كفرة أسلمت في دار الحرب ، أو أسيرة تخلصت ، فيلزمها الخروج بلا محرم إذا اختارت ، ولم تخف الوخدة . ويحتمل أن يقال هذا في العدد اليسير ، أما القوافل العظيمة فهي كالبلاد ، فيجوز سفرها فيها دون نساء ومحرم . ومنشأ الخلاف معارضة عموم الآية والأخبار الأول لظاهر هذه الأخبار ؛ فنخصص الآية بالخبر اشترط المحرم ، ومن لا فلا . وظاهر الأخبار عمومها في ذوى المحارم كلهم . وكره مالك سفرها مع ابن زوجها ، لفساد الناس ، ولأن المحرمية بينهم ليست كالنسب .

١٠ - ما جاء في أن العبد لا يقوم مقام المحرم

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سفر المرأة مع عبد لها ضيعة .
زهر بن سعيد بن منصور .

١١ - حُجَّةٌ مِنْ قَالَ : لَا يُعْتَبَرُ الْمَحْرَمُ

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ : بَيْنَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَلَاةَ . ثُمَّ أَتَاهُ آخَرٌ ، فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ . فَقَالَ : يَا عَدِي ، هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنبِئْتُ عَنْهَا . قَالَ : فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالسَّكْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ . قَالَ عَدِيٌّ : فَرَأَيْتَ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالسَّكْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ . ضَرَبَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَعَنْ عَائِشَةَ وَقَدْ أَخْبَرَتْ أَنَّ أَبَا سَمْعٍ يُخْبِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَجِلُّ لِلرَّأَةِ أَنْ تَسَافِرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ ، فَانْفَتَحَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ وَقَالَتْ : مَا كُلُّهُنَّ لَهَا مَحْرَمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعُزْرَةَ مِثْلَ قَوْلِهَا . وَعَنْ نَافِعٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ حَجَّ بِمَوْلَاةٍ لَهُ عَلَى عَجْزِ بَعِيرِهِ . وَعَنْهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَسَافِرُ بِمَوْلَيَاتٍ لَهُ لَيْسَ مَعَهُنَّ ذُو مَحْرَمٍ . ضَرَبَهُمَا الْبَيْهَقِيُّ .
شَرَحَ - الْحَيْرَةُ بِالْكَسْرِ : قَرْيَةٌ بِقَرَبِ الْكَوْفَةِ . وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهَا حَيْرِيٌّ ، وَحَارِيٌّ أَيْضًا عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ . قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ .

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ ، أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ عَنْ خُرُوجِ الْمَرْأَةِ وَحْدَهَا ، عِنْدَ أَمَانِهَا عَلَى نَفْسِهَا ، فَوَجِبَ وَقُوعُهُ لَا مُحَالَةً ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْجَوَازِ ، إِذْ لَوْ حُرِّمَ لَبَيَّنَتْهُ ، فَإِنَّهُ وَقْتُ حَاجَةٍ لِأَنَّهُ كَلِّلُ الْوَقْعِ ، وَتَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ غَيْرُ جَائِزٍ ، وَهَذَا الْقَائِلُ بِحُمَلٍ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَلَى حَالِ الْخَوْفِ وَالْخَطَرِ ، جَمْعًا بَيْنَهُمَا ، وَعَمَلًا بِهِمَا ، وَذَلِكَ أَوْلَى مِنْ إِهْمَالِ بَعْضِهَا .
وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : الْحَدِيثُ دَلٌّ عَلَى الْمَوْقُوعِ لَا عَلَى الْجَوَازِ ، لَا بِطَرِيقِ الْمِطَابَقَةِ وَلَا بِالِاسْتِزَامِ ، لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي مَعْرِضِ الثَّنَاءِ عَلَى حَالِ الزَّمَانِ بِالْأَمْنِ وَالْعَدْلِ ، وَذَكَرَ خُرُوجَ الْمَرْأَةِ وَحْدَهَا فِي مَعْرِضِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى ذَلِكَ ، سِوَاهُ كَانَ جَائِزًا أَوْ غَيْرَ جَائِزٍ ، فَالْجَوَازُ وَعَدَمُهُ مَسْكُوتٌ عَنْهُ ، وَلَا إِسْعَارُ لِلْفِظِ الْخَبَرِ بِهِمَا ، لَا نَفْيًا وَلَا إِثْبَاتًا ، إِذْ لَوْ قَالَ عَقِيبُ كَلَامِهِ : وَارْتَحَلَهَا ذَلِكَ جَائِزًا لَهَا ، لَمْ يَمَعِدْ ذَلِكَ تَكَرُّرًا لِمَا فَهَمُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَلَا مُؤَكَّدًا لِلْفِظَةِ ، أَوْ قَالَ : وَارْتَحَلَهَا

مُحَرَّم عليها، لم يعد ذلك نقضاً له، كيف وفي قوله : لا تخاف أحداً إلا الله إشعاراً بالحرمة، إذ لو لم يحرم عليها ذلك لما خافت الله تعالى . وأما قوله : وتأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز، فسلم، ولم يتأخر، فإن الأحاديث المتقدمة إن ثبت الخطاب بها قبل هذا الحديث، فالتحريم ثابت عندهم ، وليس في لفظ هذا الحديث ما يناقضه ، فيحمل على ما ذكرناه ، وإن كان الخطاب بها متأخراً عن هذا الحديث ، فقد بين صلى الله عليه وسلم ما سكت فيه عنه ، مما احتمل إرادته قبل موته ، فلم يتأخر البيان عن وقت الحاجة على الحاليين . وهذا هو الظاهر عندى ، وإن كان الصحيح من مذهب الشافعى خلافه .

١٢ — ما جاء فى المرأة تستأذن زوجها فى حجة الإسلام، فلا يأذن لها

عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى امرأة لها زوج، ولها مال، فلا يأذن لها فى الحج . قال : ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها .
فهرم الدارقطنى والبيهقى .

وعن مطرٍ الوراق أن امرأة استأذنت زوجها فى الحج ، فلم يأذن لها ، فاستأذنته فى أن تزور آل فلان، فأذن لها، فضمت عليها ثياباً بيضاء، وأحرمت بالحج . فأتوا الحسن، فسألوه ، فقال : ليس لها ذلك . وسئل قتادة فقال : هى مُحَرَّمَةٌ . قال مطر : فانطلقت أنا إلى مكة، فسألت الحكم بن عيينة، فقال : هى مُحَرَّمَةٌ حتى تطوف بالبيت؛ قال مطر : وأمرت رجلاً أن يسأل عطاء بن أبى رباح ، فقال عطاء : لا . ولا نعمة عين ، ليس لها ذلك .

شرح — قوله « نعمة عين » بضم النون ، بزنة نزهة وغُلْمَةٌ ، أى قُرَّة عين . وأنعم الله عينه إذا أقرها .

وعن إبراهيم فى المرأة تستأذن زوجها فى الحج فلم يأذن لها ، لم تحج مع ذى محرم .
وعن الحسن بن أبى الحسن وسئل عن المرأة لها زوج غائب ، أتج مع ذى محرم بغير إذنه ؟ قال : تكتب المرأة إلى زوجها ، فإن أذن لها حجت مع المحرم . قلت : فإن لم تسكن صرورة ، فلم يأذن لها زوجها ، أتج مع المحرم ؟ قال : لا .

شرح جميع ذلك سعيد بن منصور .

١٣ - ماجاء في أن على الرجل أن يحج بزوجته

عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله إن امرأتى خرجت حاجة ، وإني اكتنبت في غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحج مع امرأتك . أخرجه . وعن مكحول ، رُفِعَ الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : عليكم حج أزواجكم ، وفك عانيكم .
فهره سعيد بن منصور .

وجه الدلالة أمره صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول ، ومطابقه الوجوب ، ولغة «على» صريحة في الإيجاب ، ولا خلاف أن زائد نفقة الحضر لا يجب عليه ، ولا أعلم أحدا قال بوجوب السفر عليه معها ، وإن كان ظاهر الحديث يدل عليه ، فيحمل على النذب .
والعاني : الأسير .

١٤ - ماجاء في كراهية حج التطوع للمرأة

عن المنذر بن سعد أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم استأذن عمر في الحج سنين ، فلم يأذن لهن حتى أكثرن عليه ، فقال سأذن لكن العام ، وليس هذا من رأيي . فقالت زينب بنت جحش ، وأبت أن تخرج معهن : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام حجة الوداع : إنما هي هذه الحجة ، ثم ظهور الحضر ، فخرجن غيرها ، فأرسل معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وأمرها أن يسير أحدها بين أيديهن ، والآخر خلفهن ، ولا يسأيرهن أحد ، فإذا نزلن فأنزلوهن في شعب ، ثم كونا على باب الشعب ، لا يدخل عليهن أحد . ثم أمرهن إذا طفن بالبيت ألا يطوف معهن أحد إلا النساء .
فلما هلك عمر غلبن من بعده .

وعن ابن أبي واقد الليثي ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه في حجة الوداع : حجة الإسلام هذه ، ثم ظهور الحضر .
فهره سعيد بن منصور .

وخرَّجَ الثاني الإمام أحمد وأبو داود، ولفظهما: عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه في حِجَّتِه : هذه ثم ظهورَ الحُصْرِ .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه عام حِجَّة الوداع : هذه ثم ظهورَ الحُصْرِ . قال : فكان كلُّهنَّ يحججنَّ إلا زينبَ بنتَ جَحْشٍ ، وسودة بنت زَمْعَةَ ، فكانتا تقولان : والله لا نحرَّ كُنا دابةً بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمر به أحد .

شرح — قوله : « ثم ظهورَ الحُصْرِ » معناه ثم لا نخرجن من بيوتكن وتلزمين الحُصْرَ ، وهي جمعُ حَصِيرٍ : الذي يبسط في البيت ، ويضم الصاد ويسكن تخفيفاً . وابن أبي واقد هذا : اسمه واقد ، وقد جاء ذلك مبيناً .

وعن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جده : أذنَ عمرُ لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حِجَّة حِجَّتِها ، فبعث معهن عثمانُ وعبد الرحمن . فمر به البخاري .

وسياق هذا اللفظ يشعر بالمنع فيما قبل الإذن

البَابُ الرَّابِعُ

في مَحَجِّ التَّابِعِ غَيْرِ الْمَسْتَنَلِ بِنَفْسِهِ

١ - مَا جَاءَ فِي حَجِّ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ

عن جابر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهْلَيْنِ بالحج ، ومعنا النساء وأولدان . أُهْرِمَهُمَا الشَّيْخَانِ .

وعن السائب بن يزيد قال : حُجَّ بِي مع النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم وأنا ابن سبع سنين . أُهْرِمَهُمُ الْبَخَارِيُّ .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : [أَنَّهُ ^(٢)] لَقِيَ بِالرَّوْحَاءِ رَكْبًا فَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ فَقَالُوا : الْمُسْلِمُونَ . فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ . فَرَفَعْتُ إِلَيْهِ امْرَأَةً صَبِيًا ، فَقَالَتْ : أَلْهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكَ أَجْرٌ . أُهْرِمَهَا . وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ : فَفَزِعَتْ امْرَأَةٌ ، فَأَخَذَتْ بِمَضْطَبِي ، فَأَخْرَجْتَهُ مِنْ حِجَّتِهَا ، فَقَالَتْ ... الْحَدِيثُ . وَقَالَ النَّسَائِيُّ : رَفَعْتُ امْرَأَةً صَبِيًا لَهَا مِنْ هَوْدَجٍ : وَذَكَرَ ابْنُ حِبَّانَ أَنَّ هَذَا كَانَ لَمَّا صَدَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ، وَبَلَغَ الرُّوْحَاءَ ، لَفِيقَتِ الْمَرْأَةُ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثُ . وَأَشَارَ إِلَيْهِ النَّسَائِيُّ . وَذَكَرَ ابْنُ السَّرَّاجِ فِي جُزْءٍ لَهُ أَنَّ هَذَا السُّؤَالَ كَانَ فِي السَّيْرِ بِعَرَفَةَ . فَهَرِمَهُ عَنْ جَابِرٍ ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْخُلَصُّ الذَّهَبِيُّ عَنْ جَابِرٍ . وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَّانَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ أَنَّهُ كَانَ بِالْمُزْدَلِفَةِ . وَلَعَلَّهُ الْمُرَادُ فِي حَدِيثِهِمَا ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ بِعَرَفَةَ : بِمَعْنَى إِلَى عَرَفَةَ ، فَإِنَّ الْحُرُوفَ يَقُومُ بِبَعْضِهَا مَقَامَ بَعْضٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالَ كَانَ بِعَرَفَةَ نَفْسَهَا ، وَيَكُونُ حَالُ السَّيْرِ إِلَى الْوُقُوفِ . وَذَكَرَ بَعْضُ

(١) كَذَا فِي م ، هـ . وَبِهَذَا فِي الْأَخِيرَةِ « رَسُولُ اللَّهِ » مُلْحَقًا بِالْمَتْنِ . وَفِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ : « رَسُولُ اللَّهِ » وَبِهَامِشُهُ النَّبِيُّ ، وَمِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْوَقْتِ . وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ : حَجَّ بِي أَبِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ... (٢) [أَنَّهُ] زِيَادَةٌ مِنْ م ، وَلَمْ أَجِدْهَا فِي هـ وَلَا فِي سَلَمَ . وَلَمْ أَجِدْ الْحَدِيثَ فِي الْبَخَارِيِّ فِي كِتَابِ الْحَجِّ .

أهل الاطلاع والكشف والبحث، أن السؤال وقع من ثلاث نسوة، فيُحمل اختلاف الأمانة على ذلك من غير تضاد.

وعن عطاء قال: يُفعل بالصغير ما يُفعل بالكبير، ويُشهد به المناسك كلها، إلا أنه لا يُصلى عنه، وإن شاءوا قمصوه. فربم سعيد بن منصور.

شرح — الروجاء: اسم منهل بقرب المدينة، على مرحلتين منها. وقوله «ففرغت امرأة»: ليس هو من الفرع بمعنى الخوف، وإنما هو بمعنى لجأ واستعان واستغاث، ومنه حديث الكسوف: «فأزعوأ إلى الصلاة». تقول منه: فرغت فأزغني: أي استغثت به فأغاثني والحقة بالكسر: مركب من مراكب النساء كالهودج، إلا أنها لا تُقَبَّب كما تُقَبَّب الهودج. وفي هذه الأحاديث كلها حجة لنا وللمالك ولأحمد، على أن الصبي ينفق حجه، ويحتجب ما يحتجب المحرم؛ وإنما الخلاف عندنا في أن المترتب على جنابته: هل هو في ماله أو في مال الولي؟ وفيه قولان. وأبو حنيفة لا يرى ذلك، وأصحابه يقولون: الحديث محمول على تمرين الصبيان على الحج. ولا خلاف بين أهل العلم في جواز الحج بالصبي، إلا قوما من أهل العراق منعهوه، وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وإجماع الأمة يرد قولهم، وإنما الخلاف في أنه هل ينعقد حكم الحج عليهم؟ وفائدة الخلاف تظهر في وجوب الفدية؛ فأبو حنيفة لا يلزمهم شيئا، وإنما يحتجبون ذلك على وجه التمرين والتعليم، وفيما تقدم عن عطاء موافقة له، وباقي الأئمة يرون وجوب الفدية. وقد قال كثير من أهل العلم: إن الصبي يثاب على طاعته، وتسكتب له حسناته دون سيئاته، ورؤي ذلك عن عمر بن الخطاب، وقد تقدم ما يدل عليه في الباب الأول، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: جهاد الكبير والصغير الحج والعمرة. وقوله «ولك أجر»: أي فيما تتكلفين من أمره بالحج، وتعليمه إياه، والقيام بأمره، ثم إن كان الصبي يعقل عقل مثله، أحرم بنفسه، وإن لم يعقل أحرم عنه.

واختلف أصحابنا فيمن يُحرم عنه، فأكثرهم ذهب إلى أن ذلك منوط بالولاية في ماله، فن ثبت له الولاية فيه أحرم عنه. والمعنى بالإحرام عنه: أنه^(١) ينوى بقلبه أنه جعله محرما.

(١) في م: أن، في مكان أنه.

وذهب بعضهم إلى أن أمه مقدّمة في ذلك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ولكِ أجر » ، والأوتون يحملون ذلك على ما ذكرناه .

ثم يُمنع ما يُمنع منه الكبير ، فإن لم يُطَق المشى يُطاف به محمولا ، وكذلك السعوى والرمي . وإذا ارتسكب محظورا في الإحرام ، قال البغوي : إن كان أحرم بنفسه وجبت الفدية في ماله ، وإن أُخْرِمَ عنه وليّه ، فقد اختلف فيه الفقهاء ، وأكثر أصحابنا أطلق القولين ، كما تقدم حكايته ، من غير تفصيل ، وفي معناه المجنون الذي لا يُرْجَى إفاقته عند المراوزة^(١) من أصحابنا ، واختاره الخطّابي والبغوي . وقال العراقيون : لا يصح منه ، وهو الأشبه ، تقليلا لخالفه الدليل ، والرخصة الخارجة عن الأصل لا يُدْحَقُ بها ماعداها ، ولا خلاف أن الفرض لا يجب عليه حتى يبلغ ، فإذا بلغ واستطاع وجب عليه أن يحج ، ولو كان قد حج قبل البلوغ ، لما سيأتى في الفصل بعده ؛ ولو بلغ قبل عرفة أو فيها ، أجزأه عن حجة الإسلام ، وكذلك العبد إذا عتق . وقال مالك لا يُجْزئهما ، لأن الإحرام انعقد تطوعا ، فلا ينقلب فرضا ؛ وبه قال ابن المنذر .

وأما قولهم : « من أنت ؟ » ويَحْتَمِلُ أن يكون هذا اللقاء ليلا أو نهارا ، لكنهم ممن لم يهاجر مع الأعراب الذين أسلموا ، وسيأتى في حديث جابر : أنه أذن في الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم حاج ، فقدم المدينة بشرك كثير ، ليأتمّوا به ، ولعل هؤلاء ممن قدم ، فلم يلقوه إلا هنالك .

٢ — ما جاء في التلبية عن النساء والصبيان ؛ والرمي عن الصبيان

عن جابر ، قال : كنّا إذا حججنا مع رسول الله^(٢) صلى الله عليه وسلم ، فسكنّا نلبّي عن النساء ، ورمى عن الصبيان . أضرجه الترمذي ، وقال : حديث غريب .

وعن عطاء في الرجل إذا خرج بابنه وهو صغير : يلبّي عنه أبوه . أضرجه سعيد بن منصور . أجمع أهل العلم على أن المرأة لا يلبّي عنها ، بل تلبّي هي عن نفسها ، لكن يكره لها رفع الصوت ، فيكون المراد ، والله أعلم ، بالتلبية عنهن : رفع الصوت ، لأن رفع الصوت بها

(١) المراززة : جمع مروزي ، وهو المنسوب إلى مدينة مرو ، قاعدة خراسان ، والمراد بهم علماء الشافعية هناك ، كابن زيد المروزي ، شيخ المراززة ، حافظه ذهب الشافعي (انظر تاج العروس للزبيدي)
(٢) في الترمذي : النبي ، في مكان رسول الله .

في الحج مقصود . قال صلى الله عليه وسلم : أفضل الحج : العَجَّ والتَّجَّ . والعَجَّ : رفع الصوت بالتلبية ، لكن لما خشي الافتتان بصوت المرأة ، كره لها رفعه بها ، وانفرد الرجال بهذه السنة ، فكانهم تابوا عن النساء فيها لما وقع الاجتزاء بهم ، ويكون قد عبر بالتلبية عن رفع الصوت بها تجوزا ، وذلك جائز .

وأما الرمي عن الصبيان فمحمول على غير المميز . وأما من يميز ويعلم ماهية الرمي . وكيفيته ، ولو بالتعليم ، فيرمى عن نفسه ، ولا يجرى الرمي عنه .

٣ - ما جاء في الصبي يحج ثم يبلغ ؛ والعبد يحج ثم يعتق

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيا صبي حج ثم بلغ ، فعليه حجة أخرى ؛ وأيا عبد حج ثم عتق فعليه حجة أخرى . **رهمه الشافعي والطائلي** في مسنديهما . **رهمه البيهقي** عن الشافعي بسنده عن ابن عباس موقوفا عليه ؛ ولفظه : أيها الناس ، أسمعوني ما تقولون ، وافهموا ما أقول لكم . أيا مملوك حج به أهله ، فمات قبل أن يعتق فقد قضى نحبّه ؛ وإن أُعتق^(١) قبل أن يموت فليحج ، وأيا غلام حج به أهله ، فمات قبل أن يدرك فقد قضى نحبّه ، وإن بلغ فليحج . **رهمه سعيد بن منصور** موقوفا على ابن عباس أيضا . **رهمه أبو ذر** عن ابن عباس ، وقال : رفعه ، وقال : بلغ الحنث . وزاد : وأيا أعرابي حج ثم هاجر ، فعليه أن يحج أخرى . **رهمه الإمام أحمد** مرسلا . ولفظه : عن محمد بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أيا صبي حج به أهله فمات أجزأته عنه ، فإن أدرك فعليه حجة أخرى ، وأيا رجل مملوك حج به أهله فمات : أجزأت عنه ، فإن أُعتق فعليه حجة أخرى .

شرح - قوله « قضى نحبّه » النحب : الموت ، والنحب أيضا : النذر .

وعن طاووس أنه كان يقول : يقضى حجة الصغير عنه حتى يعقل ، فإذا عقل . وجب عليه حجة أخرى ، لا بد منها ، والعبد كذلك أيضا .

(١) يقال عتق العبد يعتق عتقا من باب ضرب ، لازم ، مبني للفاعل المصدر بالفتح ، والاسم المنقوع بالكسر . وأعتق العبد مبنيا للمفعول مثله . وقد جاء الاثنان في حديث هذا الفصل .

وعن عطاء مثله في العبد، وزاد: من غير أن يكون واجبة عليه، بمعنى قبل العتق .
فهرمها الشافعي : ومعنى القضاء والإجزاء في حقهما : الاعتداد بالحج عنهما ، والاجتزاء
بعملهما ولا يمنع عدم الوجوب عليهما من ذلك كما منع الجنون ، وإليه أشار عطاء كما
تقدم آنفاً ، والله أعلم .

٤ - ما جاء في حج المكاري

عن ابن عباس أن رجلاً سألَه فقال : أَوْجِرُ نَفْسِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، فَأَنْتَكَ
مَعَهُمُ الْمَنَاسِكُ ، أَلِي أَجْرٌ ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَعَمْ . أَوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ، وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَرَمَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ .

وعن أَبِي أُمَامَةَ التَّيْمِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عُمَرَ : إِنِّي رَجُلٌ أَكْرَى فِي هَذَا الْوَجْهِ ، وَإِنْ
نَاسًا يَقُولُونَ [لِي إِيَّاهُ] ^(١) لَيْسَ لَكَ حَجٌّ . فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : أَلَيْسَ تُحْرِمُ وَتُتَابَى وَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَتُفَيْضُ
مِنْ عَرَفَاتٍ وَتَرْمِي الْجِمَارَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَإِنْ لَكَ حَجٌّ . جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ [مِثْلِ] ^(٢) مَا سَأَلْتَنِي ، فَسَكَتَ عَنْهُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : «لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْآيَةَ ، وَقَالَ : لَكَ حَجٌّ .
فَرَمَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ . قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ : أَبُو أُمَامَةَ هَذَا لَا يُعْرِفُ اسْمَهُ ..

٥ - ما جاء في التجارة في الحج

عن ابن عباس في قوله تعالى : «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» .
قَالَ : كَانُوا لَا يَتَجَرَّوْنَ بِمَنَى ، فَأَمَرُوا بِالتَّجَارَةِ إِذَا أَفَاضُوا مِنْ عَرَفَاتٍ .
وَعَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَتْبَاعُونَ بِمَنَى وَعَرَفَةَ وَسُوقَ ذِي الْحِجَازِ وَمَوَاسِمَ الْحَجِّ ،
خَافُوا الْبَيْعَ وَهُمْ حُرُمٌ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ
رَبِّكُمْ» فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ .

وعن عُبيد بن عمير ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُهَا فِي الْمَصْحَفِ ^(٣) . فَرَمَهُ الْجَمِيعُ أَبُو دَاوُدَ .

(١) ما بين القوسين زيادة عن سنن أبي داود .

(٢) كذا في سنن أبي داود . وفي م وزادت ه بعد المصحف : كذلك .

البَابُ الْخَامِسُ

فِي الْحِجِّ عَنِ الْمَبْتِ

١ — مَا جَاءَ فِي جَوَازِهِ

عن ابن عباس أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، ولم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: حُجِّي عنها. أُرأيت لو كان على أمك دين أ كُفِّرَ قاضيته. اقضوا الله، فهو أحق بالوفاء. ^(١) أمرهم البخاري، وذكر نحوه أيضا في كتاب النذور والأيمان. قال: أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن أختي نذرت، فذكر مثله، وقال: فاقضوا ^(١) الله، فهو أحق بالقضاء. وضرهم النسائي، وقال: إن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيها، مات ولم يحج، قال: حُجِّي عن أبيك.

شرح — في هذه الأحاديث أدل دليل على جواز الحج عن الميت، وإن لم يؤوص، لإلحاقه وتشبيهه بالذئب. وقال مالك: إنما يحج عنه إذا أوصى، وإذا أوصى حج من الثلث. وقال النخعي وابن أبي ذئب: لا يحج أحد عن أحد. ويروى عن النخعي مثل قول مالك. وفيها أيضا وفيما سيأتي في الباب بعده دليل على جواز حج الرجل عن المرأة، وبالعكس، خلافا لمن أنكره، بناء على اختلاف موجب إحرامهما في اللباس. وقوله: «أُرأيت لو كان على أبيك دين» إلى آخره: دليل على إثبات القياس، وإلحاق النظير بالنظير، ودليل على أن ما يستأجر به لحجة الإسلام من رأس المال، لأنهم أجمعوا على أن دين آدمي من رأس المال، فكذلك ما شُبه به في القضاء. ويلتحق بالحج كل حق ثبت في ذمته من كفارة أو نذر صدقة، أو زكاة، كل ذلك يُخرج من رأس المال،

(١) في البخاري: فاقض.

مقدّمًا على الوصايا والميراث، كدين الآدمي . وبه قال عطاء وطاووس ، وخالف مالك .
وقد تقدم بيان خلافه . ولنا قول أنه مقدم على دين الآدمي ، لقوله فدين الله أحق بالقضاء ،
وهو مذهب داود . وقول ثان : أن دين الآدمي مقدم عليه . وقول ثالث : أنهما
يستويان . ولانضادّ بين هذه الروايات ، لاحتمال تعدد السائل والمستؤل عنه .

٢ - ما جاء في ثواب الحج عن الميت

عن ابن عباس قال : من حج عن مَيِّت ، كُتِبَ للميت حِجَّةٌ ، وللحاج سبعُ
حِجَّاتٍ . وفي رواية : وللحاج براءة من النار^(١) . خرجه أبوذر .

٣ - حُجَّةٌ من قال لا يُحج عن الميت

عن ابن عمر أنه قال : لا يصوم أحد عن أحد ، ولا يصلي أحد عن أحد ، ولا يُحج
أحد عن أحد . ولو كنت أنا ، كنت أن أعتق عنه أو أتصدق ، كان أحب إلي .
خرجه أبوذر .

وهذا عندنا في الحج محمول على التطوع ، أو يكون هذا مذهبه رضي الله عنه ،
وما تقدم من الحديث الصحيح حجة عليه وعلى من وافقه .

(١) في هامش من مآنه : ساقه أبو منصور الديلمي مرفوعاً ، وعزاه حسناً . كل ذلك في « براءة
من النار » من حديث ابن عباس .

البَابُ السَّادِسُ

في الحج عن المضروب^(١)

٩ — ما جاء في جوازه

عن أَبِي رَزِينِ الْمُقَنَّلِيِّ ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ ، لَا يَسْتَطِيعُ الْحُجَّ ، وَلَا الْعُمْرَةَ ، وَلَا الظَّعْنَ . فَقَالَ : حُجَّ عَنْ أَبِيكَ
وَاعْتَمِر . وَضَرَبَ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَاسْمُ أَبِي رَزِينٍ : لَقِيطُ بْنُ
عَاصِرٍ . وَضَرَبَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ .

وعن الفضل بن عباس أنه كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه
رجل فقلل : يا رسول الله ، إن آتى عجموز كبيرة ، وإن حملتها لم تستمسك ، وإن ربطتها
شبت أن أقتلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت لو كان على أمك دين
أكنت قاضيه ؟ قال : نعم . قال : حُجَّ عَنْ أُمِّكَ . أضرجه النسائي .

شرح — فيه أبينُّ البيان على جواز حج الإنسان عن الحي الذي لا يستطيع الحج
بنفسه ، وأنه ليس كالصلاة والصوم وسائر الأعمال البدنية ، وأنه صلى الله عليه وسلم أخبر
أن الله جلَّ وعزَّ إنما أراد بقوله : «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» بعض الأعمال دون
بعض . وقال مالك والثوري وأحمد وإسحاق : لا يجوز الحج عن الحي ولو عجز . وفيه
وفيما تقدم من الأحاديث في الباب قبله ، دلالة على جواز حج الرجل عن المرأة وبالعكس ..

(١) المضروب : المصروف الزمن الذي لا يترك به ..

٢ - ما جاء في وجوبه على المعضوب

عن ابن عباس قال : كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ؛ قالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً ، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وذلك في حجة الوداع . **أُمر به** **و** **أمر به** الترمذي عن علي عليه السلام . وذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الفضل بعد أن جاوز وادي مُحَرَّر ، وأنه صلى الله عليه وسلم لَوَّى عُنُقَ الفضل . فقال له العباس : لم لويت عُنُقَ ابن عمك ؟ فقال : رأيت شاباً وشابة ، فلم آمَنَ الشيطان عليهما . **و** **أمر به** النسائي عن عبد الله بن الزبير . وقال : جاء رجل من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكره وقال : فهل يُجْزَى أن أحج عنه ؟ قال : أنت أكبر ولده ؟ قال : نعم . قال : أرأيت لو كان عليه دين أ كنت تقضيه ؟ قال : نعم . قال : فحج عنه . **و** **أمر به** الإمام أحمد ، وزان بعد قوله : لا يستطيع ركوب الرَّاحِل ، والحج مكتوب عليه ، أفأحج عنه ؟ ثم ذكر الحديث . **و** **أمر به** أبو حاتم عن ابن عباس ، ولفظه : إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن أبي دخل في الإسلام وهو شيخ كبير ، فإن أنا شددته ... ثم ذكر نحو حديث النسائي في المرأة ، على ما تقدم في الفصل قبله .

شرح — في هذه الأحاديث دلالة على أن من كان له مال في حال عَضْبِهِ وزَمَانَتِهِ ، يبلغُ أَجْرَةَ من يحج عنه ، أو وُجِدَ من بطيعه ، لزمه فرض الحج ، واستقر في ذمته . روجه الدلالة قول الخثعمية : إن فريضة الله أدركت أبي شيخاً كبيراً ، فذكرت إدراك الفرض لأبيها في حال عجزه ، ولا بد من تعلق الوجوب بأحد ثلاثة أمور : إمّا بقوة البدن ، أو بوجود المال ، أو بطاعة من ذى قوة ؛ وقد علم عجزه ببدنه ^(١) ، فتعين أحداً الأمرين : إمّا المال وإمّا الطوعية ؛

(١) كذا في م . و في هـ : يبدنه عجزه .

والظاهر تعلقه بالطوعية ، إذ لم يجر المال ذكر ، وإنما جرى ذكر طواعيتها ، وبذلك نفسها ، ومعلوم في اللسان جواز أن يقال : فلان يستطيع أن يبني داره ، إذا كان يجد من يقوم عنه بينائها . ولقائل أن يقول : استفسارها عن جواز الحج عنه ، وقع بعد إخبارها بإدراك الفرض له ، فدل على تعلق الوجوب بأمر آخر غير الطوعية ، فإن من لم يعلم جواز حجّه عن أبيه لا يعلم وجوب الحج على أبيه بطواعيته ، وهذا ظاهر لمن تأمله ، وليس ذلك الأمر الآخر إلا المال ، بتعذر القسمين الآخرين ، أما الطوعية فلما ذكرناه ، وأما القوة في البدن فلاخبارها أن الفرض أدركه وهو بحالة العجز . هذا هو الظاهر ، ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره ، وتكون هي قد علمت أن الاستطاعة بالمال كالاستطاعة بالبدن . وعلى هذا يكون الحديث حجة على وجوب الحجّ على المعضوب ، بسبب الاستطاعة بالمال ، أو بطوعية الولد ، قياسا عليه ؛ وأما غير الولد فيمكن إلحاقه به ، لوجود مطلق الاستطاعة . ويمكن التفرقة بسبب منّة الأجنبي بذلك غالبا ، بخلاف الولد ، وفي ذلك وجهان : منشؤها مما ذكرناه . وعن قال بجواز الحج عن المعضوب ، ووجوبه بتلك الأسباب ، الشافعي وأحمد . وقال مالك وأبو حنيفة : لا يجب الحج إلا على مستطيع بنفسه للآية ، وظاهرها استطاعة البدن ، حتى قال مالك : إذا زِمَ بعد الوجوب سقط عنه ، وخالفه أبو حنيفة . ونحن نقول بموجب الآية . والاستطاعة أعم مما فسرناه ، وكأن الحجّ فرع بين أصليين : عمل بدن مجرد كالصلاة والصوم ، ومال مجرد كالصدقة ، والحج عمل بدن ونفقة مال . فمن غلب حكم البدن ، ألحقه بالصلاة والصوم ، ومن غلب حكم المال رده إلى الصدقة والكفارة . ويعتضد بما ذكرناه من الأحاديث . فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون معنى الحديث أن إلزام الله عبادة الحج كان وأبوها بصفة من لا يستطيع ، ثم استأذنته : هل لها أن تحج عنه؟ وهل لها فيه أجر؟ ويدل على ذلك حديث البزار عن ابن عباس ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله : أحجّ عن أبي؟ فقال : نعم ، إن لم تزده خيرا لم تزده شرا . قلنا : قولها «أدركت أبي» : يردّ هذا التأويل ، فإنه صريح في إدراك الفرض له وإظهار من إدراك الفرض للإنسان لزوم ، وصرف اللفظ عن ظاهره خلاف الأصل ، وحديث البزار محمول على أن ذلك قد أسقط فرضه ، فاستدل به على جواز

النيابة في التطوع ، فإن قيل : فلم لا يجوز أن يكون الحج مستقراً في ذمته قبل العضب ، ثم لما طرأ العضب سألت عن أداء ما كان واجبا عليه ، ويدل عليه رواية أخرى من حديث مسلم ، أنها قالت : إن أبي شيخ كبير ، عليه فريضة الله في الحج ، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فحج عنه . وكذلك رواية أحمد المتقدمة : « والحج مكتوب عليه » . قلنا : لا دلالة في هذا الحديث على وقت الإدراك ، بل هو مجمل ، والحديث الأول مبين له ، وهو قولها : « أدركت أبي شيخا كبيرا » ، أي في هذه الحالة ، ويكون هذا السؤال وقع منها مرتين ، ذكرت في إحداها وقت الإدراك ، وفي الأخرى أخبرت أن عليه الفرض ، وتريد الذي أدركه في تلك الحال ، فيجمع بين الحديثين ، إذ لا تضاد بينهما . وقال أبو عمر بن عبد البر ، فيما نقله عياض عنه : حديث الخثعمية عند مالك وأصحابه مخصوص بها ، كما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم سالما مولى أبي حذيفة برضاة الكبير عند الجميع . ونحن نقول : التخصيص خلاف الأصل حتى يرد الخصص ، وقد خرج البيهقي عن ابن سيرين أن رجلا جعل على نفسه ألا يبلغ أحداً من ولده الخلب ، فَيَخْلَبَ وَيَسْقِيَهُ ، إلّا حجَّ وحجَّ به معه ، فبلغ رجل من ولده الذي قال الشيخ وقد كبر ، فجاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، وقال : إن أبي قد كبر ، ولا يستطيع أن يحج ، أفأحج عنه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . والحديث مرسل . وإذا جاز وجوب الحج بالنذر على المعضوب ، وجواز أداء ذلك المنذور عنه في حال العضب ، جاز في فرض الإسلام وجوبا وأداء . وفي قوله صلى الله عليه وسلم في حديث النساء عن الفضل بن عباس ، وفي أحاديث الباب قبله : أرأيت لو كان على أبيك دين أ كنت تقضيه ؟ أرأيت لو كان على أمك دين أ كنت تقضيه ؟ حُجَّة لإثبات القياس ، وإلحاق ما اختلف فيه إذا أشكل ، بما اتفق عليه .

وفي صرف وجه الفضل عن المرأة دليل على وجوب غض البصر خوف الفتنة ، في حق الرجال والنساء جميعا ، وكان الفضل أبيض حسن الشعر ، خاف فتنتها به ، وفتنتها بها . وقال بعضهم : بل هذا دليل على أنه ليس بواجب ، إذ لم ينه . وقال الأول : بل فعله ذلك أبلغ من القول ، ولعله لم ينظر نظرا ينكره ، أو كان قبل نزول الآية بإدناء الجلابيب .

وقد تعلق بهذه الأحاديث غير حديث أبي رَزِين ، من لم يوجب العمرة لذكر الحج وفرضه دونها ، ولا وجه له ، إذ يحتمل أن السائل ما بلغه وجوبها ، أو بلغه واقتصر على الحج ، لأنه إذا جازت النيابة فيه جازت فيها ، أو أراد الحج المشار إليه في الآية ، وقد ذكرنا أنه متناول للعمرة ، كيف وحديث أبي رَزِين قد تضمن السؤال عنها ، وظاهر سياقه يدل على وجوبها ، وعليه بَوَّبُ النَّسَائِي .

٣ - ما جاء في ثواب من حج عن أبويه

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حج عن أبويه ، أو قضى عنهما مَغْرَمًا ، بُمِثَّ يوم القيامة مع الأبرار .

وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حج عن أبيه أو عن أمه ، فقد قضى عنه حجته ، وكان له فضلُ عشر حجَج .

وعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا حج الرجل عن وَالِدَيْهِ تَقَبَّلَ مِنْهُ وَمِنْهُمَا ، واستبشرت أرواحهما ، وكتب عند الله بَرًا .

خرجهن الدارقطني . وخرج الثالث أيضا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى ، في الجزء الرابع من أجزائه العشرة المشهورة . وقال : أجزأ عنهما وعنه ، ولا أعلم أحدا قال بظاهره في الإجزاء عنهما بالحج الواحد ، وهو محمول على من حج عن أبويه حجَّتين : عن كل واحد حجة ، أجزأ عنهما فرضا ، وعنه ثوابا . وعليه يحمل القبول في حديث الدارقطني ، أى لم يسقط ثوابه ، بل يكتب له ثواب حجة ، ويسقط عنهما فرضهما ، ومثله قولك لمن تسأله معروفا يتضمن ترك ما هو فيه من عبادة : افعل كذا وأنا كفيف بأجر ما أنت فيه .

ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة : إذا أطعمت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا . فقد تعدد الأجر والمباشر للفعل واحد .

البَابُ السَّابِعُ

في شرط صيغة (١) النبأ

١ — ما جاء في أنه لا يحج عن الغير من لم يحج عن نفسه

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: ليبيك عن شُبرمة .
فقال: مَنْ شُبرمة؟ قال: أخ لي، أو قريب . قال: أحججت عن نفسك؟ قال: لا .
قال: فحج عن نفسك، ثم حج عن شُبرمة . أنهرم أبوداود . قال البيهقي: هذا
إسناد صحيح، ليس في الباب أصح منه . وهرم الدارقطني، وابن ماجه، وقالوا:
فاجمل هذه عن نفسك، ثم حج عن شُبرمة . ورواه الخطَّابي والْبَغَوِيُّ كذلك عن
ابن عباس نفسه موقوفاً .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يُبَايِع عن رجل، فقال له:
أيها الملبى عن فلان، إن كنت حججت للإسلام فلب عن شُبرمة، وإلا فلب عن نفسك.
هرم الدارقطني .

شرح — فيه دلالة للشافعي على أنه لا يحج عن الغير من لم يحج عن نفسه، فإن فعل
انقلب إليه . ووجه الدلالة قوله: ثم حج عن شُبرمة . وثم للترتيب، فافتضى ذلك أن يكون
حج عن الغير بعد حجه عن نفسه، فدلَّت الإضافة إلى الغير، وبقي مجرد الإحرام،
فانصرف إليه لعدم القائل بالفصل، إلا على رواية عن أحمد أنه لا ينعقد عنه، ولا عن غيره .
ويؤيد ما ذكرناه ما تقدم من رواية الدارقطني وابن ماجه والْبَغَوِيُّ والخطَّابي، وهو
صرح في إثبات المقصود . وهذا وإن لم يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد صح

(١) في م: شرائط حجة .

عن ابن عباس من رواية غُذُر^(١) وغيره، قاله البيهقي، وخرجه كماخرجه البغوي والخطابي. وضرع الدارقطني من طريق آخر، عن ابن عباس، قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل يقول: لبيك عن نُبَيْشَةَ. فقال: يا هذا المُنْبِي عن نبیسة: هي عن نُبَيْشَةَ، واحجُبْ عن نفسك. قال: والأول هو الصحيح، وهذا وهم.

ومن قال: «لا يحج عن غيره من لم يحج عن نفسه» أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين، وهو قول الأوزاعي وإسحاق؛ وقال مالك وأبو حنيفة: يجوز أن يحج عن غيره وعليه فرضه، وهو قول الحسن وعطاء والثوري، وبه قال ابن المنذر من أصحابنا، عملاً بعموم قوله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالنيات». قال: ولا يثبت خبر شُرُومة.

٢ - ما جاء فيمن حج لنذر؛ وعليه حجة الإسلام

عن ابن عمر وسألته امرأة، قالت: يا أبا عبد الرحمن، إني كنت نذرت أن أحج، ولم أحج قط قبل هذه الحجة؟ قال: هذه حجة الإسلام، والتمس ما توفي به عن نذرك. وعن أنس وسأله رجل فقال: إني نذرت أن أحج ولم أحج، قال: ابدأ بالفريضة. وعن عطاء مثله، وعن ابن عباس قال في مثل ذلك: يُجْزَى لهما جميعاً. وعنه وسألته امرأة قدمت حاجّة، عليها حجة الإسلام وحجة بالنذر، عن أيهما تأمرني أن أجعل حجتي؟ عن نذري، أو عن فريضتي؟ قال: قضيتهما ورب السكبة جميعاً. وعن عكرمة مثله. ضرع جميع ذلك سعيد بن منصور.

(١) غُذُر، بفتح الدال وضمة: لقب محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد، أبي بكر البصري، الحافظ الفقيه، صاحب شعبة بن الحجاج. ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد، وقال لأنه استدعى من مروا إلى بخارى أحدث بها، مات بالمغازة سنة ٣٧٠ هـ (انظر تاج العروس).

الباب الثامن

في المواقيت الزمانية والمكانية

فصل المواقيت الزمانية

١ - ماجاء في وقت الإحرام بالحج

وعن ابن عباس قال : من السنة ألا يُحْرَم بالحج إلا في أشهره . وهي شوال ، وذو القعدة وذو الحجة فمن تمتع في هذه الأشهر ، فعليه دم أو صوم . ^(١) والرفث : الجماع والفُسُوق : المعاصي : والجِدال : المراء . ^(٢) قال ابن عمر : وعشر من ذى الحجة .

ضرمهما البخاري . وروى الدارقطني : « وعشر من ذى الحجة » عن ابن مسعود وابن عباس ، وابن عمر . وروى سعيد بن منصور وأبو ذر عن ابن عمر : « وذو الحجة » ، ورواه عن عمر ، ورواه أبو ذر عن طاووس وعطاء . وروى « وعشر من ذى الحجة » عن ابن عباس ، وابن الزبير ، وقتادة ، وسعيد بن أبي عروبة .

وعن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الرجل : أيُّهَلَّ بالحج قبل أشهر الحج ؟ قال : لا . ضرمه البيهقي وأبو ذر .

وعن عطاء قال : إنما قال الله تعالى : « الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ » لئلا يفرض الحج في غيرهن .

وعن ابن عمر في قوله تعالى : « فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ » . قال : أهل .

ضرمهما الدارقطني .

(١ - ٢) هذه العبارة كأنها مقحمة بين حديثي ابن عباس وابن عمر ، وهي كذا في الأصلين وهـ ، م . ووجودها كذلك يقتضي أن يكون قبلها قوله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ولعل الآية سقطت من الأصول .

٢- ما جاء في أنه يستحب لمن دخل عليه أشهر الحج وأراد الحج ألا يأخذ من شعره
عن ابن عمر أنه كان إذا أفطر من رمضان وهو يريد الحج ، لم يأخذ من رأسه
ولا من لحيته شيئاً حتى يحج . فحرم مالك .

٣ - ما جاء فيمن أحرم بالحج في غير أشهره

عن عطاء في رجل أهل بالحج^(١) في غير أشهره ، قال : يجعلها عمرة .
وعن عطاء وطاوس والحسن ومجاهد ، أنهم كانوا يكرهون الحج في غير أشهره .
وعن إبراهيم لا ينبغي الإحرام بالحج إلا في أشهره ، فإن أحرم بالحج في غير أشهره
لا يحل حتى يقضي حجه . خرج الجميع سمعيد بن منصور .

ويقول إبراهيم قال أصحاب الرأي ، ومعنى قول عطاء « يجعلها عمرة » : يحتمل أن
يريد أنها تنقلب عمرة ، يتأدى بها فرض الإسلام ، وكذلك حكاه الباقون عنه ، وهو مذهب
العراقيين من أصحابنا ، ويحتمل أن يريد : يتحلل بعمل غمرة ، وإليه ذهب بعض أصحابنا
وأكثر أهل العلم على القول بأن الحج لا ينمقد في غير أشهره ، وهو قول جابر وعطاء وعكرمة .

٤ - ما جاء في وقت الإحرام بالعمرة

عن عائشة أنها كانت تعتمر بعد الحج من مكة في ذي الحجة ، ثم تركت ذلك ،
فكانت تخرج قبل هلال الحرم إلى الجحفة ، فتقيم بها حتى ترى الهلال ، فإذا رأت الهلال
أهلت بعمرة .

وعن ابن عمر أنه قال : من اعتمر في أشهر الحج في شوال أو ذي القعدة أو ذي الحجة .
قبل الحج ، ثم أقام بمكة حتى يدركه الحج ، فهو مُتَمَتِّعٌ إن حج ، وعليه ما استيسر من
الهدى ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع .

وعنه أنه قال : والله لأن أعتمر وأهدي أحب إلي من أن أعتمر بعد الحج في ذي الحجة
فحرم مالك في الموطأ . وسيأتي في باب العمرة ، ذكر العمرة في رجب ورمضان وغير ذلك
من الأوقات ، وفي ذلك دليل على أن جميع السنة وقت لها ، بخلاف الحج .

(١) بالحج : ساقطة من ح .

٥ - ماجاء في استحباب الإحرام إذا استوت به راحته آخذا في السير

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم انطلق من المدينة ، فأصبح بذى الحليفة ، فركب راحلته حتى استوى على البِئْدَاء ، أهل هو وأصحابه ، وقَلَدَ بَدَنَتَهُ ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة ، فقدم مكة لأربع ليال خَلَوْنَ من ذى الحجة ضربه البخارى .

وجاء عن عائشة : « خرجنا مُوافين لِمَآلِ ذى الحجة » . فيكون على معنى المقاربة لقول ابن عباس . وجاء عنها قول ابن عباس أيضا ، وذكر ابن حزم أن الخروج كان يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة عشر ، وأن الإهلال كان قبل الظهر بيسير ، من عند مسجد ذى الحليفة ، حين انبعثت به راحلته ، وأن إهلاله كان بالقران ، وأن دخوله مكة كان يوم الأحد ، وهو موافق لحديث ابن عباس في الدخول لأربع خلون من ذى الحجة ، فإن الإهلال كان يوم الخميس ، والوقف بالجمعة ، على ماجاء في الصحيح . وذكر الواقدي أن دخوله كان يوم الثلاثاء وأن يوم التروية كان يوم الجمعة ، فتسكون الوقفة بالسبت ، والأول أصح . وعن ابن عمر أنه كان يقول : يبدأؤكم هذه التي تسكذبون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من المسجد ، يعنى مسجد ذى الحليفة . وفي رواية ، ما أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند الشجرة ، حين قام بعيره . أخرجه . وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أدخل رجله في الفرز واستوت به ناقته قائما ، أهل من عند مسجد ذى الحليفة . ضربه مسلم .

وعنه أنه كان إذا صلى الغداة بذى الحليفة أمر براحلته فَرُحِلَتْ ، ثم ركب ، فإذا استوت به استقبل القبلة قائما ، ثم يلبي . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك .

ضربه البغوي وقال : حديث صحيح .

شرح - ذُو الحَلِيفَةِ ، مِيقَاتُ أهل المدينة : ماء من مياه بنى جُشَم ، على سِتَّة أميال من المدينة . وهذا معنى قول الغزالي إنها على فرسخين . فإن الفرسخ ثلاثة أميال . وقيل إنها على سبعة أميال . وذكر ابن الصباغ أنها على ميل من المدينة ، وهو وهم ، والحِيسُ

يَرُدُّ ذَلِكَ ، وَيُزِيلُهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشْرُ مَرَاحِلَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَشْرَةَ أَيَّامَ ، وَهِيَ مُتَقَارِبَانِ .
وَالْبَيْدَاءُ الْمَفَازَةُ الَّتِي ^(١) لَا شَيْءَ بِهَا ، وَجَمْعُهَا بَيْدٌ . وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ أَمَامَ
ذِي الْحِائِفَةِ ، إِلَى جِهَةِ مَكَّةَ ، وَتَمَامُ شَرْحِ الْحَدِيثِ سِيَّاقِي فِي فَصْلِ الْمَوَاقِيتِ الْمَسْكُونَةِ ، فِي ذِكْرِ
اسْتِحْبَابِ الْإِحْرَامِ مِنْ مَسْجِدِ الْمَيْقَاتِ . وَالْفَرَزُ : رَكَابُ كُورِ الرَّاحِلَةِ ، مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ .
وَقِيلَ : هُوَ لِلْكُورِ مَطْلَقًا مِثْلُ الرِّكَابِ لِلسَّرَجِ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ ،
فَلَمَّا عَلَا عَلَى جَبَلِ الْبَيْدَاءِ أَهْلًا .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ عَلَى طَرِيقِ
النُّرْعِ أَهْلًا إِذَا اسْتَقَمَّتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، وَإِذَا أَخَذَ عَلَى طَرِيقِ أَحَدِ أَهْلِ الْإِذَا أَشْرَفَ عَلَى الْبَيْدَاءِ .
فَرَمَاهُمَا أَبُو دَاوُدَ .

سُرْعَ - الْبَيْدَاءُ : مُهْلٌ كُلُّهُمَا ، لَكِنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَحْرَمَ مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٦ - حُجَّةٌ مَنْ قَالَ : يُسْتَحَبُّ الْإِحْرَامُ عَقِيبَ الصَّلَاةِ فِي مَكَانِهِ

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، عَجِبْتُ لِاخْتِلَافِ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِهْلَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُوجِبَ .
فَقَالَ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِذَلِكَ . إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِجَّةً وَاحِدَةً ،
فَمِنْ هُنَاكَ اخْتَلَفُوا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجًّا ، فَلَمَّا صَلَّى فِي مَسْجِدِهِ بِذِي
الْحِائِفَةِ رَكَعَتَيْهِ ، أُوجِبَ فِي مُصَلَّاهُ ، فَأَهْلَ بِالْحُجِّ حِينَ فَرَغَ مِنْ رَكَعَتَيْهِ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ
أَتْوَامٌ ، فَحَفِظْتُهُ عَنْهُ ، ثُمَّ رَكِبَ ، فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِ نَاقَتُهُ أَهْلًا ، وَأَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْهُ أَقْوَامٌ ، وَذَلِكَ
أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا كَانُوا يَأْتُونَ أَرْسَالًا ، فَسَمِعُوهُ حِينَ اسْتَقَلَّتْ بِهِ نَاقَتُهُ يَهْلُ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا أَهْلُ
حِينَ اسْتَقَلَّتْ بِهِ نَاقَتُهُ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا عَلَا عَلَى شَرَفِ الْبَيْدَاءِ
أَهْلًا ، وَأَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْهُ أَقْوَامٌ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا أَهْلُ حِينَ عَلَا عَلَى شَرَفِ الْبَيْدَاءِ . وَإِمْ اللَّهُ

لقد أوجب في مُصَلَّاه، وأهلَّ حين استقلت به ناقته، وأهلَّ حين علا على شرف البيداء :
خبره الإمام أحمد وأبو داود .

وضرح الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلَّ دُبْر الصلاة ، وقال : حديث
حسن غريب .

وعن أبي داود اللانزى ، وهو من أهل بدر ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الحج ، فلما كان يذى الحليفة صلى في المسجد أربع ركعات ، ثم أتى دُبْر
الصلاة ، ثم خرج إلى باب المسجد ، فإذا راحلته قائمة ، فلما انبعثت به أهلَّ ، ثم مضى ،
فلما علا البيداء أهلَّ ، فسمعه الذى فى المسجد ، فقالوا : أهل ولبى من المسجد ، وسمعه الذين
كانوا بالبيداء ، فقالوا : أهل من البيداء . أخبره ابن حزم بسنده ، فى صفة حجة
الوداع . وقال : أبو داود هذا ، هو عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبدول بن عمرو
ابن غنم بن مازن بن النجار ، أنصاري بدرى أحدى .

شرح — تقدم ذكر الحليفة والبيداء . وشرف البيداء : أعلاها ، وكل مكان مرتفع
يقال له شرف . وقوله «أرسالا» : أى أوجاجا وفرقا متقطعة ، بعضهم يتلو بعضها ، واحدهم
رسل ، بفتح الراء والسين ، وقوله «وأيمن الله» : هو من ألناظ القسم ، كقولك لعمر الله ،
وعهد الله ، وفيها لغات كثيرة : بفتح همزتها ، وتسكسر ، وهمزتها همزة وصل ، وقد تقطع .
وأهل الكوفة من النجاة يزعمون أنها جمع يمين ، وغيرهم يقول : هى اسم موضوع للقسم .
قال الطحاوى : وهذا الحديث ، يعنى حديث ابن عباس ، جامع لجميع الأحاديث ،
فَيُقْضَى به على جميعها ، وهو أحد قولى الشافعى ، وقول مالك وأبى حنيفة ، وأحمد . قال
الشافعى فى المختصر الصغير فى الحج ، رواية أبى سعيد : وأحب أن يُهَلَّ خلف صلاة
مكتوبة أو نافلة . حكاه البيهقى فى السنن والآثار ، وهو المختار . قال البغوى : وعليه العمل
عند أكثر أهل العلم . والقول الآخر نص عليه فى الأم ، وهو الصحيح عند أصحابه ، أنه
يحرم إذا انبعثت به راحلته إن كان راكبا ، وإذا أخذ فى السير إن كان ماشيا ، ويستدلون
بما تقدم من الحديث .

قال ابن حزم : حديث ابن عباس هذا في طريقه خَصِيف^(١) وهو ضعيف . وحديث
أبي داود الأنصارى من طريقه قوم غير مشهورين ، والأحاديث المتقدمة في الذكر قبله
كلها صحيحة ، متفق على صحتها ، إلا أن في أحاديث ابن عمر زيادة على حديث جابر وأنس
وعائشة ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم أهل من عند مسجد ذى الحليفة ، حين أدخل رجله
في الفرز ، واستقلت به الراحلة ، وهذا صريح في الدلالة على أنه لم يكن عقيب الركوب ،
ولا في مُصَلَّاه . ولو صح حديث ابن عباس وأبي داود ، لوجب تقديم العمل به على حديث
ابن عمر ، لما فيه من الزيادة ؛ لكن لما كان حديث ابن عمر متفقا على صحته ، ولم يصح
حديثهما ، وجب المَصِيرُ إليه دونهما ، ولما كان في حديث ابن عمر زيادة على حديث من
سواه ، ممن اتفق على صحة روايته ، وهى كون الإهلال من عند المسجد ، فيكون ذلك
قبل الاستواء على البيداء ، وجب العمل به ، ويكون من رواه عند الاستواء على البيداء ،
إنما سمعه حالئذ بلبي ، فظن أن ذلك أول إهلاله ، ويمكن أن يُقْضَى بحديث ابن عمر على
حديث ابن عباس ، ويكون قوله « في مُصَلَّاه » زيادة من الراوى ، ليس من قول ابن
عباس ، ويصدق على من أحرم من عند المسجد عند استقلال ناقته به ، أنه لما فرغ من
ركعتيه أهل ، ولا يلزم من ذلك التعميق . وهذا الجمع أولى من إسقاط حديث من أصله ،
والله أعلم . هذا آخر كلامه ، أعنى ابن حزم . ومارواه الترمذى وقال « هو حسن » : فيه
دلالة على جواز الاحتجاج به ، والمختار المصير إليه ، والعمل به .

٧ - ما جاء في استحباب إحرام أهل مكة عند هلال ذى الحجة

عن عمر بن الخطاب قال : يا أهل مكة ، ما شأن الناس يأتون شُعْمًا غُبْرًا وأنتم
مُدَّهِنُونَ ! أهلوا إذا رأيتم الهلال . ضرب مالاك . وفي رواية : ما لى أرى الناس
يَقْدِمُونَ شُعْمًا غُبْرًا وأنتم يفوح منكم رائحة الطيب . إذا رأيتم هلال ذى الحجة فأهلوا .

(١) هو خفيف بن عبد الرحمن الجزرى المحدث ، ذكره وتاج العروس ولم يعرض له بشئ ، وفي م : حصين

وفي رواية: وأنتم مُتَرَجِّلُونَ تَنْضَحُ رءُوسُكُمْ . إذا رأيتم الهلال أهلوا . خبره سميعة ابن منصور .

وعن عبد الله بن الزبير أنه أقام بمكة تسع سنين يُهَلُّ بالحج لَهلال ذى الحجة .
وعن ابن عمر أنه كان يهل لَهلال ذى الحجة بالحج من مكة ، ويؤخر الطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، حتى يرجع من مِنى . خبره سميعة مالك .
وعن عمر قال : تجردوا للحج وإن لم تحرموا . خبره سميعة ابن منصور .
فيه دلالة على استحباب موافقة الحاج في التجرد عن الخيط وإن لم يحرم ، رجاء بركة الموافقة .

٨ - حُجَّة من قال إنما يستحب لهم الإحرام عند التوجه إلى الوقوف

عن سُبَيْد بن جُرَيْج أنه قال لعبد الله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن ، رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها . قال : ما هن يا بن جُرَيْج ؟ قال : رأيتك لاتمس من الأركان إلا اليمانيين ، ورأيتك تلبس النعل السبتي ، ورأيتك تصبغ بالصفرة ، ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية . قال عبد الله بن عمر : أما الأركان فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس إلا اليمانيين . وأما النعل السبتي فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعل التي ليس فيها شعر ، ويتوضأ فيها ، فأنا أحب أن ألبسها . وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها . وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل حتى تنبعث به راحلته . أخبره .

تمرح — قوله « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة » : قيل : أراد صبغ الشعر . وقيل : الثوب ، وهو الأشبه ، لأنه لم يُثقل عنه صلى الله عليه وسلم في المشهور أنه صبغ شعره ، ولا صح ذلك عنه . وقد جاء في حديث أبي داود عن ابن عمر احتجاجه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصبغ بها ثيابه ، حتى عمامته ، ولم يكن شيء أحب إليه

منها . فخرج في كتاب اللباس . وأما ما رواه عنه أيضا ، وتابعه عليه النَّسَائِي ، من أنه صلى الله عليه وسلم كان يصفر لحيته بالورس والزعفران ، فالتصفر غير الصبغ ، إذ يطلق على ما يُنثر فيه الزعفران والورس تطيُّبا بغير لونه ، ولا يقال فيه صبغ . وقوله « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهل حين تنبعث به راحلته » : أجاب فيه بضرب من القياس ، لما لم يتمكن من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بعينه ما يمكن ^(١) في غيره مما سماه ، ووجهه أنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أهل عند الشروع في الفعل ، آخر هو الإهلال إلى يوم التروية ، الذي يُبتدأ فيه بأعمال الحج ، من الخروج إلى منى وغيره . وهذا مغاير لما رواه مالك عنه ، على ما تقدم ، ولعله فعل الأمرين جميعا ، فروى كل ما رأى ، ووجه اختيار من اختار لأهل مكة الإهلال من أول الحجة ، ليحصل لهم من الشعث مثل ما حصل لمن أحرَم من الميقات ، كما تقدم عن عمر . والنعال السَّبْتِيَّة : معروفة ، قال الأزهرى : إنما سميت بذلك لأن شعرها قدسبت أى حُلق وأزيل . ويقال : سَبَتَ رأسه : إذا حلَّقه . وقال المروى : سميت بذلك لأنها أُسبِتَت بالدَّبَاغ ، أى لانت . والسبت : جلد البقر المدبوغ بالقرظ . وقال الشيباني : هو كل جلد مدبوغ . وقيل : هو نوع من الدَّبَاغ . وقال أبو زيد : السَّبَت : جلود البقر دبغ أو لم يدبغ . وكان عادة العرب لباس النعال بشعرها غير مدبوغ . وإنما كان يلبس المدبوغ مما كان يعمل بالطائف وغيره أهل الرقاهية ، كما قال شاعرهم :

* يُحْدَى نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِقَوِّمٍ ^(٢) *

والسَّيْنُ مكسورة ، ونسبتها إلى الجلد المدبوغ ، أو إلى دباغه . ولو كانت النسبة إلى السَّبَت الذى هو الخلق كما قال الأزهرى ، لكانت مفتوحة ، ولم يروها أحد في الحديث ولا في غيره ولا في الشعر إلا بالكسر . وفي قوله « لم أر أحدا من أصحابك يفعلها » دليل على أن كثيرا من الصحابة كان يمس الأركان كلها ، ولا يخلص اليما نيتين بالمس كما خفهما ابن عمر .

(١) كذا في الأصلين . ولعله : تمكن .

(٢) مجز بيت من معلقة عنزة . وصدده * بطل كأن ثيابه في سرحة *

هو عطاء بن أبي رباح قال : رأيت ابن عمر وهو في المسجد ، فقيل له : قد رؤي هلال ذى الحجة . فخلع قميصه ثم أحرم ، ثم رأيت من العام المقبل وهو في البيت ، فقيل له : قد رؤي هلال ذى الحجة ، فخلع قميصه ، ثم أحرم ؛ فلما كان العام الثالث قيل له قد رؤي هلال ذى الحجة ، فقال : ما أنا إلا كرجل من أصحابي ، وما أراني أفعل إلا كما فعلوا . فأمسك حتى كان يوم التروية ، فأتى البطحاء ، فلما استوت به راحلته أحرم .

وعن ابن عمر أنه قال : إني كنت امرأ من أهل المدينة ، فأحببت أن أهل بأهلالهم ، حتى ذهبت أنظر ، فإذا أنا أدخل على أهلي وأنا محرم ، وأخرج وأنا محرم ، فإذا ذلك لا يصلح ، لأن الحرم إذا أحرم حج لوجهه . قلت : فأى ذلك ترى ؟ قال : يوم التروية ، يوم التروية . وعنه وقد قال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إني تمتعت . قال : حسن يا بني جميل . فقلت : من أين أهل ؟ ومتى أهل ... قال : من حيث شئت ، ومتى شئت . فخرج الثلاثة سعيد بن منصور .

فصول المواقيت المسكنية

١ — ما جاء في تعيين الأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها إلا بإحرام

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم وقت لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، وقال : هن لم ولكل آت عليهن من غير أهلهن ، ممن أراد الحج والعمرة . ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى أهل مكة يهلون من مكة . وفي لفظ آخر : ومن كان دونهن فمن أهله ، حتى أهل مكة يهلون منها . أخرجهما .

شرح — تقدم بيان ذى الحليفة . والجحفة : قرية بين مكة والمدينة ، سميت بذلك لأن الشَّيُول أبحفتها . وهي على أربع مراحل من مكة . وقال الغزالي : خسون فرسخا وقال ابن الحاج المالكي في منسكه : ثلاثة أيام . وهي ميقات أهل الشام من بعض طرقاتها ، وأهل مصر والغرب . ويَلْمَلَم ، ويقال ألمم ، بهمزة مفتوحة : جبل من جبال تهامة ، على مرحلتين من مكة . وقال ابن الحاج في منسكه : أربعون ميلا ، وكذلك ذكره في قرن .

وَقَرَنَ المنازل ، وَقَرَنَ الثَّعَالِب : واحد ، وهو تلقاء ذات عِرْق ، على مرحلتين من مكة ، وهو بسكون الراء . وقال الجَوْهَرِيُّ بفتحها ، وَخَطَّاهُ غيره . وهو مِيقَاتُ أَهْلِ النَّجْدَيْنِ : نجد الحجاز ، ونجد تهامة واليمن . وأجمع المسلمون على أن الإِحْرَامَ يجب من هذه المواقيت ، على من مرَّ عليها . ويجب بتركه منها دم ، إِلَّا عَطَاءً وَانْتَعَى قَالَا : لا يجب شيء . بذلك . ومعنى التحديد فيها ألا يتجاوزها أحد إلا محرماً ؛ وليس هو كتعدد المِيقَاتِ الزَّمَانِيَّةِ وَأَرْقَاتِ الصَّلَاةِ ، في المنع من التقدم ، فإنهما ضربا لثلاث يُتَقَدَّمُ بالإِحْرَامِ والصَّلَاةِ عليهما ، وهذه لثلاث يُتَأَخَّرُ بالإِحْرَامِ عنها ، والتقديم جائز بالإجماع ، وإنما كرهه قوم ، وأنكره عمر ابن الخطاب على عمران بن الحصين لما أحرم من البصرة . ويشبه أن يكون ذلك شفقة عليه ، لطول المسافة . وقوله «هن لهم» : هكذا جاء في بعض طرق الصحيحين ، وأكثر الروايات فيهما : «هن لمن» والأول أصح ، لأنه ضمير أهل هذه المواضع المذكورة . وتخرج الروايات الأخرى على المواضع نفسها ، أي هذه المواقيت لهذه الأقطار ، والمراد أهلها . وأما جمعه من لا يعقل بالهاء والنون ، في قوله «فهن لهم» فستعمله عند العرب ، وأكثر ما يستعمله فيما دون العشرة ، وفيما زاد بالهاء لا غير ، ومنه قوله تعالى : «مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، فَلَا تُزْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» أي في الأربعة ، وقيل في الجميع .

وتدروى أبوذر عن عطاء ، أنه سُئِلَ عن دخل المدينة من أهل الشام ومصر ، فقال : إنما المدينة طريقهم ، وليس لهم أن يُهْلُوا من ذى الحُلَيْفَةِ . قلت : وهذا فيمن لم يمر بها ، بل خرج من المدينة على الطريق الآخر . ويدل عليه ما روى عن أبي الزُّبَيْرِ أنه سمع جابر ابن عبد الله يسأل عن المهمل فقال : سمعت (أحسبه رَفَعَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم) ، فقال : يهمل أهل المدينة من ذى ^(١) الحُلَيْفَةِ ، والطريق الآخر من الحُلَيْفَةِ ... الحديث . وسيأتي فيما بعد . أما من مرَّ بذى الحُلَيْفَةِ ، فعليه الإِحْرَامُ منها ، فإن أراد عطاء خلاف هذا فهو مخالف لظاهر الحديث . وقوله «يَمَنُ أراد الحج والعمرة» فيه دلالة على جواز دخول مكة بغير إحرام ، ولمن لم يُرد النسك . ولا يجب بتركه شيء ، فإن عَنَّ له بعد الجائزة أن يُحْرِمَ ،

(١) ذى : ساقطة من ح .

أَهْلٌ مِنْ حَيْثُ عَنْ لَه، وَعَلَيْهِ بَوَّابُ الْبُخَارِيِّ، قَالَ: بَابُ دُخُولِ الْحَرَمِ وَمَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ .
وقوله « حتى أهل مكة يهلون منها »: هذا في الحج بالإجماع . وهل الأفضل أن يُحْرَمَ من
باب داره ، أو من المسجد قريبا من البيت ، اختلف أصحابنا في ذلك . والأظهر أن الأفضل
أن يُحْرَمَ من المسجد قريبا من البيت . أما العُمرة فقد بَوَّابُ الْبُخَارِيِّ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يَهْلُونَ مِنْهَا: بَابُ مُهَلَّ أَهْلِ مَكَّةَ لِلْحَجِّ وَالْعُمَةِ ... ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ:
وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا جَعَلَ مَكَّةَ مِيقَاتًا لِلْعُمَةِ فِي حَقِّ الْمَسْكِيِّ ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْحَرَمِ إِلَى
أَدْنَى الْحِلِّ . يَدُلُّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى التَّنْعِيمِ ، وَانْتِظَارُهُ مَعَ
جُمْلَةِ الْحَاجِّجِ لَهَا ، ثُمَّ فَعَلَ مِنْ جَاوِرِ بَيْكَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، ثُمَّ تَبَاعُ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ ،
وَذَلِكَ إِجْمَاعٌ فِي كُلِّ عَصَرٍ . وَأَفْضَلُ بَقَاعِ الْحِلِّ لِلْعُمَةِ الْجِعْفَرَاةُ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْشَأَ الْإِحْرَامَ بِهَا مِنْهَا ، ثُمَّ التَّنْعِيمِ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَائِشَةَ بِالْإِحْرَامِ بِهَا مِنْهُ ،
ثُمَّ الْحُدَيْبِيَّةِ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَلَّلَ مِنْهَا فِيهَا . فَلَوْ أَحْرَمَ بِالْعُمَةِ بِالْحَرَمِ ، وَلَمْ يُخْرَجْ
إِلَى الْحِلِّ لَمْ يَكُنْ إِحْرَامُهُ . وَهَلْ يَعْتَدُ بِطَوَافِهِ وَسَمِعِهِ وَبَلَزَمِهِ دَمٌ ، كَمَا لَوْ جَاوَزَ الْمِيقَاتِ وَأَحْرَمَ
دُونَهُ ، أَوْ لَا يَعْتَدُ بِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْحَرَمِ وَالْحِلِّ فِي إِحْرَامِهِ ؟ فِيهِ قَوْلَانِ . فَظَاهِرُ هَذَا
الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ الْإِحْرَامِ بِالْحَجِّ مِنْ مَكَّةَ ، حَتَّى لَوْ خَرَجَ وَأَحْرَمَ خَارِجًا مِنْهَا وَلَوْ فِي
الْحَرَمِ كَانَ مَسِيئًا وَعَلَيْهِ دَمٌ . وَفِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٢ - حُجَّةٌ مَنْ قَالَ يَحْجُوزُ الْإِهْلَالُ بِالْحَجِّ لِأَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْحَرَمِ خَارِجًا عَنْ مَكَّةَ

عَنْ جَابِرٍ ، فِي حَدِيثٍ فَسَخَ الْحَجَّ : حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ وَجَعَلْنَا مَكَّةَ بَظَهْرٍ ،
أَهْلْنَا بِالْحَجِّ .

وَعَنْهُ قَالَ : أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَهْلْنَا أَنْ نَحْرُمَ إِذَا تَوَجَّهْنَا إِلَى
مِنَى . قَالَ فَأَهْلْنَا مِنَ الْأَبْطَحِ . أَضْرَبْهَا .

وَالْقَائِلُ بِهَذَا يَقُولُ لِإِطْلَاقِ مَكَّةَ جَائِزًا عَلَى جَمِيعِ الْحَرَمِ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : إِنْ كَانَ اللَّهُ
حَرَّمَ مَكَّةَ ، لَا يُخْتَلَى خِلَافًا . وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ عِنْدِي ، وَعَلَيْهِ بَوَّابُ الْبُخَارِيِّ ، فَقَالَ :
بَابُ الْإِهْلَالِ مِنَ الْبَطْحَاءِ وَغَيْرِهَا ، الْمَسْكِيِّ وَالْحَاجِّ ، إِذَا خَرَجَ إِلَى مِنَى ، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَيْنِ .

٣ - ماجاء فيمن قال يطوف من أراد الإحرام من مكة قبل إحرامه

عن سعيد بن جبير ومجاهد أنهما قالا: إذا أراد أن يُحْرِمَ من مكة ، ظاف بالبيت أسبوعاً^(١) ، وصلى ركعتين ، ثم أحرم ، ثم خرج إلى مَنَى . فخرج سعيد بن منصور .

٤ - ماجاء فيمن سلك طريقاً لم يُنصَّ فيها على ميقات

عن ابن عمر قال : لما فُتِحَ هذان المصران أتوا عمر فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حد لأهل نجد قرناً ، وهو جَوْزٌ عن طريقنا ، وإنا إن أردنا قرناً شق علينا . قال : فانظروا حدَّوها من طريقكم . فحدَّ لهم ذات عِرْق . فأنهروه .

شرح - المِصْر : البلد ، والمراد هنا البصرة والكوفة . قال الأزهري : قيل لهما المِصْران ، لأن عمر قال لهم : لا تجعلوا البحر فيما بيني وبينكم ، مَصِّروها ، أى صَيَّرُوهامِصراً بيني وبين البحر ، يعنى حدا . والمِصْر : الحاجز بين الشيتين ، وقوله « جَوْزٌ عن طريقنا » : أى حائل ومائل عنه ، ايس على جادته ، من جار يحور : إذا مال . وذات عِرْق : منزل معروف من منازل الحاج ، يُحْرَمُ أهل العراق منه بالحج ، سُمي به لأن فيه عِرْقاً ، وهو الجبل الصغير ، وقيل العرق من الأرض : سَبِجَةٌ تنبت الطرافاء ، وهو على مرحلتين من مكة . وقال ابن الحاج في مَنْسَكِهِ : على يومين وبمض يوم . وفيه دلالة على جواز الاجتهاد في ذلك ، وأن من مرَّ على طريق لامِقات فيه أحرم إذا حاذَى أقرب المواقيت إليه ، وأن من مرَّ على طريق لا يُحاذَى فيه ميقاتاً أحرم على مرحلتين من مكة ، نزولاً على قضاء عمر ، وقد نص الشافعى على أن ذات عِرْق مجتهد فيه ، وخالفه بعضهم . وسيأتى الكلام فيه .

٥ - حُجَّة من قال إن ذات عرق منصوص عليه

عن أبي الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يُسأل عن المَهَل ، فقال : سمعت (أحسبه رَفَعَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم) فقال : مهَلُ أهل المدينة من ذى الحليفة ، والطريق الآخر

(١) المراد بالأسبوع هنا : سبع مرار ، لاسبعة أيام . (انظر التاج) .

من الجحفة . ومَهَلَّ أهل العراق من ذات عرق ، ومَهَلَّ أهل نجد من قرْن ، ومَهَلَّ أهل اليمن من يَلَمَّ . ضربه مُسلم .

وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم وقت لأهل العراق ذات عِرْق .
أضربه أبو داود .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم وقت لأهل المشرق العقيق .
أضربه أبو داود والترمذى ، قال : حديث حسن .

شرح — العقيق : موضع قريب من ذات عرق ، قبلها بمرحلة أو بمرحلتين . وفي بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى العقيق . وكل موضع شقَّ ماء السيل فوسعه فهو عقيق والجمع : أعقَّة وعقائق .

ويرُوى عن طاوس وأبي الشعثاء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُوقَّت لأهل المشرق ميثقاتا ، وإنما وقَّت لهم عمر باجتهاده ، كما سبق تقريره ، لأن فتح العراق كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وصحَّح هذا القول الخطأبى والبغوى في شرح السنة ، وهو أحد قولى الشافعى . والأصح عندى ما تضمنه الحديث الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم وقَّت لهم ذات عِرْق ، فهو منصوص عليه ، لا يُجْتَهَدُ فيه ، وعدم الفتح لا يدل على عدم التوقيت فقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أشياء أنها ستكون وكانت ، فوقت لهم رسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم ، لعلمه بأن المشرق سيفتح ويصير دار الإسلام ، وبعد ذلك من مُعْجزاته صلى الله عليه وسلم . قال الدارقطنى : فى حديث أبى الزبير نظر ، ولم يخرج البخارى ، ولا خرج عن أبى الزبير شيئا فى كتابه . وقال الخطأبى : الحديث فى المقيق أثبت منه فى ذات عِرْق ، ويشير إلى حديث أبى داود عن عائشة وابن عباس ، وأما حديث أبى الزبير فخرجه مسلم ، وهو متفق على صحته .

واستحبَّ الشافعى الإحرام من العقيق لأهل العراق ، لما وقع من الالتباس فى ذات

(١) رسول الله . سائطة من ق .

عَرَقَ ، فإنه قد قيل إن ذات عرق خَرِبَتْ وَحُوتٌ بناؤها إلى صوب مكة ، فعلى الآتى من العراق أن يتحراها ويطلب آثارها . وذكر الشافعى أن من علامتها المقابر القديمة .

٦ — ماجاء فى استحباب الاحرام عند مسجد الميقات

قد تقدم فى فصل حُجَّة من قال : يُحْرَم عَقِيب الصلاة ، من حديث ابن عباس مايدل عليه .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : بَيَّنَّاؤُكُمْ هذه التى تكذبون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما أهل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا من عند المسجد ، يعنى مسجد^(١) ذى الخليفة . أخرجه .

وعنه قال : بات رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الخليفة ، وصلى فى مسجدِها . أخرجه مُسْلِم ، وفيما ذكره ابن عمر زيادة على من رَوَى أنه أهل من البيداء أو حين علا على شَرَف البيداء ، فوجب الأخذ بها ، فإن المسجد بذى الخليفة ، والبيداء أمامها ، متصلة بها . والروايات كلها صحيحة ، فيكون ابتداء إحرامه من المسجد ، ثم لما استوى على البيداء أهل ، وحين علا على شَرَف البيداء أهل ، فسمع ذلك منه أقوام ، فقالوا : إنما أهل ساعته ، وكان الناس يأتون أرسالا ، فروى كل ماسم ، كما ذكره ابن عباس فى الحديث المتقدم ، فى ذكر استحباب الإحرام عَقِيب الصلاة ، من غير أن يكون بين الروايات تضاد ولا تهاافت . وقوله « البيداء » : تقدم تفسيره . وقوله « تكذبون » : لم يُرِدْ وصفهم بالكذب ، أعاذه الله من ذلك ، وأعاذهم ، إذ من شرطه التعمد إليه ، وإلا فلا يُسَمَّى كذبا ، وهم مُبَرِّءون من ذلك ؛ وإنما تجوز بهذه اللفظة لما أخبروا عن النبي خلاف ما هو به ، يظنون أنه كما أخبروا به . والله أعلم .

٧ — ماجاء فى استحباب ألا يتقدم بالإحرام على الميقات

تقدم فى الفصول المتقدمة فى أول الباب ، إحرامه صلى الله عليه وسلم من ذى الخليفة ، وفيه دلالة على ذلك .

(١) مسجد . سائطة من ٥ .

وعن جابر بن عبد الله قال : لما أُرِيدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج أذن في الناس ، فلما أتى البيداء أحرم . أُحْرِمَهُ الترمذى .

وكره عثمان أن يُحْرِمَ من خُراسان وكرَّمان . أُحْرِمَهُ البخارى .

وعن عمران بن الحصين أنه أحرم من البصرة ، فبلغ ذلك عمر فغضب ، وقال : يتسامع الناس أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرم من البصرة .

وعن الحسن وعطاء أنهما كانا يكرهان أن يُحْرِمَ الرجل من مكان بعيد .

وعن عطاء قال : انظروا هذه المواقيت التي وقَّتَ لكم ، فخذوا برخصة الله فيها ، فإنه عسى أن يُصِيبَ أحدُكم ذنباً في إحرامه ، فيكون أعظمَ لوزره ، فإن الذنب في الإحرام أعظم منه في غيره . فخرج الثلاثة سعيد بن منصور وهذا أصح قولى الشافعى ، وهو المأثور من فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماهير العلماء .

٨ — حُجَّةٌ من قال : تقدِّعه قبل الميقات أفضل

عن ابن عمر أن رجلاً نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد : ماذا يتركُ المحرِّم من الثياب ... الحديث . أُحْرِمَهُ الدارقطنى من حديث الشيخين بغير هذا اللفظ وقال : وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قبلَ الإحرام بالمدينة وميَّاتى . قال الخطَّابى : وقد فعل ذلك غير واحد من الصحابة ، وإنكارُ جُمُوحٍ على عمران يشبه أن يكون شفقة عليه وعلى من يقتدى به ، لطول المسافة .

قلت : ولا دلالة في حديث ابن عمر ، إذ ليس في الحديث ما يدل على أنه كان في مسجد المدينة ، فيحتمل أن يكون غيره . ثم لو ثبت لجاز أن يكون سأل فيه ليعلم ذلك ، ثم أحرَّم الإحرام إلى ذى الحليفة . ثم نقول : سلماً لدلالته على قبول ذلك ، فيستدل به على الجواز ، فلم قلت بالأفضلية وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع : وله مخالف أن يقول : ففعله صلى الله عليه وسلم مُبَيِّنٌ للجواز ، وهو في حقه أفضل ، لمكان التشريع ، وتقديم الإحرام فيه مزيد مشقة ؟ وقد تقدم في فصل النفقة في الحج قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : أجرك على قدر نصيبك .

وعن عليّ عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: «وَأَرْتَمُوا الْحِجَّ وَالْعُمَرَةَ لِلَّهِ» . فقال : إتمامهما أن تحرم بهما من دَوْرَةِ أهلك . **ضرب سميذ بن منصور .**

وعن عمر مثله . **ضرب اليهقي عن الشافعي .**

وعن إبراهيم قال : كانوا يستحبون أولَ ما يحجُّ الرجل أو يعتمر . أن يحرم من أرضه التي يخرج منها .

وعن سميذ بن السَّيِّب قال : ما مكان أحبَّ إلىَّ أن أُحرم منه ، إلا من حيثُ أحرم النبي صلى الله عليه وسلم ، أو من بلدى .

وعن سميذ بن جُبَيْر أنه أحرم من الكوفة على بغلة . **ضرب الثلاثة سميذ بن منصور .**

٩ - ما جاء في استحباب الإحرام من المسجد الأقصى

عن أم سلمة أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ أَهَلَ بِحِجَّةٍ أو عُمْرَةٍ من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ أو وجبت له الجنة . شكَّ الراوى أَيْتَهُمَا قال . **ضرب أبو داود ، وقال : رحم الله وَكِيمًا ، أحرم من بيت المقدس ، يعنى إلى مكة .** **ضرب الدارقطنى ، وقال : « غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة » ؛ من غير شك**

وفى رواية عنده : من أحرم من بيت المقدس بحج أو عمرة ، كان من ذنوبه كهَيْئَتِهِ يوم ولدته أمه . **ضرب أبو حاتم بن حَبَّان .** ولفظه : « مَنْ أَهَلَ من المسجد الأقصى بعمرة ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » ، قال : فوَكِّبْتُ أم حكيم إلى بيت المقدس ، حتى أهلت منه بعمرة . **ضرب الإمام أحمد ، ولفظه : « من أحرم من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه » .** وفى رواية عنده : « مَنْ أَهَلَ من المسجد الأقصى بحج أو عمرة » .

وعن ابن عمر : أنه أهل من بيت المقدس . **ضرب الشافعي وسميذ بن منصور ،** **ضرب مالك ؛ ولفظه : عن ابن عمر : أنه أهل من إبلياء .**

شرح — إيلياء ، بالذوالمتخفيف : اسم مدينة بيت المقدس ، وقد تشدد الياء الثانية ، وتقصّر الكلمة ، وهو مرتّب .

وقد استدلت بهذه الأحاديث من ذهب إلى فضيلة تقديم الإحرام عن الميقات ، ويحتمل أن تكون هذه الخُصِيصَة بُنيت لبيت المقدس دون غيره ؛ ولو كان لأجل البعد عن مكة لكان غيره مما هو أبعد أولى بالذكر .

١٠ — ما جاء فيمن جاوز الميقات غير مُحَرَّم

عن ابن عباس : أنه كان يردم إلى المواقيت إذا جاوزوها غير مُحَرَّمين .
وعن عطاء قال : يرجع إلى الميقات ، فإن خاف الفَوْتَ ، فليحرم من مكانه ، وليُهدِّدْ هَدْيًا . وفي رواية : فإن خاف الفَوْتَ فليَخْرُجْ من الحرم ، ثم ليَدْخُلْ .
وعن سعيد بن جُبَيْر ، وقد سأله رجل أحرم من بطن نَخْلَةٍ ، فأمره أن يرجع إلى الميقات .
شرح الجميع سعيد بن منصور .

والحكم عندنا فيمن جاوز الميقات : على ما قال عطاء . فإن عاد وأنشأ الإحرام من الميقات ، تدارك ولا شيء عليه ؛ وإن أحرم دونه وجب عليه دم ، فإن عاد مُحَرَّمًا قبل أن يتأبَّس بنسك ، ولو بطواف التَّدْوِم ، تدارك وسقط الدم ، على المشهور من المذهب .
ومنهم من فرق بين دخول مكة ، فلا يسقط معه الدم ، وعدم الدخول ، فيسقط معه إن لم يجاوز مسافة الفَصْرِ ؛ وإن جاوزها ففيه خلاف .

الباب التاسع

في دبره أراد النسك

٦ — ما جاء في التخيير بين أنواع النسك : الافراد ، والتمتع ، والقران

عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أراد منكم أن يَهْلَ بِحَجٍّ وعمره فليعمل ؛ ومن أراد أن يَهْلَ بِحَجٍّ فليَهْلَ ، ومن أراد أن يَهْلَ بِعُمْرَةٍ فليَهْلَ . وأهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ، وأهل ناس معه بالحج والعُمْرة . وأهل ناس معه بالعُمْرة ، وكنت فيمن أهل بِعُمْرة . أَهْرَبَهُ .

٢ — ما جاء في الإفراد

تقدم في الفصل قبله حديث عائشة .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلَّ بالحج مُفْرِدًا .

وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج .

وعنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، فمنا من أهل بِعُمْرة ، ومنا من أهل بِحَجٍّ ، وأهلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج . فأما من أهل بِعُمْرة فحلَّ . وأما من أهل بِحَجٍّ أو جمع بين الحج والعُمْرة فلم يَحِلُّوا حتى كان يوم النحر . أَهْرَبَهُمُ الشَّيْخَانِ .

وعن جابر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لَانْتَوَى إِلَّا الْحَجَّ ، وَلَا نَعْرِفُ غَيْرَهُ ، وَلَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ . أَهْرَبَهُ مُسْلِمٌ .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج، وأفرد أبو بكر وعمر وعثمان .
أفرد الترمذى .

وعنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل عتّاب بن أسيد على الحج ، فأفرد الحج .
ثم استعمل أبا بكر سنة تسع ، فأفرد الحج ، ثم حجّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأفرد الحج .
ثم توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبو بكر ، فبعث عمر ، فأفرد الحج .
ثم حجّ أبو بكر ، فأفرد الحج ، وتوفّى أبو بكر ، فاستخلف عمر ، فبعث عبد الرحمن بن عوف ،
فأفرد الحج . ثم حجّ عمر ، فأفرد الحج . ثم توفّى عمر واستخلف عثمان ، فأفرد الحج .
ثم حصّر عثمان ، وأقام عبد الله بن عباس للناس الحج ، فأفرد الحج . أفرد الدارقطني .
وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قدّم لأربع مَضَيْن من ذى الحجة
وقد أهلّ بالحج . أفرد النسائي .

وعن عمر بن الخطاب ، أنه قال : افضّلوا بين حجّكم وعمرتكم ، فإنّ ذلك أتمّ لحج
أحدكم ، وأتمّ لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج . أفرد مالك .
شرح — في هذه الأحاديث دليل على الترغيب في الأفراد ، وأنه صلى الله عليه وسلم
كان مُفردا . وللأفراد ثلاث صُور .

الأولى : أن يأتى بالحج ويفرغ منه ، ثم يعتمر بعد ذلك من أدنى الحِلّ ، أو من الميقات .
الثانية : أن يُحرّم بالعمرة ، ويفرغ قبل أشهر الحج ، ثم يحجّ من عامه من مكة ، أو من الميقات .
الثالثة : أن يُحرّم بالعمرة في أشهر الحج ، ويفرغ ثم يحجّ من عامه ، من الميقات .
وقول عائشة «وأما من أهلّ بحجّ ، أو جمع بينهما ، فلم يَحِلّوا حتى كان يوم النحر» :
يعارض أحاديث الفسخ ، على ماسيأتى . وهو محمول على ذوى اليسار ، ممن كان معه الهدى ،
ولا يصح حمله على غيرهم ، لما ورد من الأحاديث المصرّحة بذلك . وسيأتى .

٣ — ما جاء في التمتع

عن ابن عمر ، قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجّة الوداع بالعمرة
إلى الحجّ ، وأهدى ، فساق معه الهدى من ذى الحليفة ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأهلّ بالعمرة ، ثم أهل بالحج ، وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة إلى الحج ، فكان من الناس من أهدى ، فساق الهدى من ذى الحليفة ، ومنهم من لم يهد ؛ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، قال للناس : من كان منكم أهدى فإنه لا يحلّ من شئ حرّم عليه ، حتى يقضى حجّه ؛ ومن لم يكن أهدى فليطّف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، وليقصّر ، وليحلق ، ولم يهد . فمن لم يجد هدّيا صام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجع إلى أهله . وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة ، وركع ركعتين حين قضى طوافه بالبيت ، ثم سلّم^(١) ، فانصرف وطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف ، ثم لم يحلّ من شئ حرّم عليه ، حتى قضى حجّه ، ونحر هديه يوم النحر ، وأفاض ، فطاف بالبيت ، ثم حلّ من كل شئ حرّم منه . وفعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى أو ساق الهدى من الناس . وفي رواية عن ابن عباس ، مكان إذا رجع إلى أهله : إذا رجعتكم إلى أمصاركم . أخرجناه .

وعن ابن عمر ، وقد سُئِلَ عن التمتع بالعمرة إلى الحج . فقال عبد الله : هي حلال . فقيل له : إن أباك قد نهى عنها . قال عبد الله بن عمر : رأيت إن كان أبي قد نهى عنها ، وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرُ أبي نتبعُ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال السائل : بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : قد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجناه ابن حزم بسنده ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه عمرة ، استمتعنا بها . فمن لم يكن له معه هدى ، فليحلق الحلق كله . أخرجناه .

احتج بظاهره من قال : إنه كان متمتعاً ، ومن خالفه حمل ذلك على تمتع أصحابه . فقد كان منهم المتمتع والقارن والنفرد ، كما يقول الرئيس : فعلنا كذا ، وصنعنا كذا ، ولم يباشر هو الفعل ، وإنما فعله أصحابه ، عن رأيه وإشارته .

(١) كذا في صحيح مسلم وسنن أبي داود : « سلم » أى خرج من الصلاة . وفيه ، م : استلم . وفي بعض ألفاظ الحديث اختلاف آخر بين رواية المؤلف هنا ، وروايته مسلم وأبي داود فليراجع .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أهل بعمرة ، وأهل أصحابه بحج . أخرجه مسلم وأبو داود والذَّائِي .

وعن أبي جرة نصر بن عمران الضَّبَعِيُّ قال : تمتعت فتهانى ناس ، فسألت ابن عباس فأمرني ، فرأيت في المنام كأن رجلا يقول لي : حجٌّ مبرور ، وعُمرة متقبَّلة . فأخبرت ابن عباس بالذي رأيت فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم . أخرجه (١) .

وعن جابر بن عبد الله ، أنه حجَّ مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ساق البُذْن معه وقد أهلوا بالحج مفرداً ، فقال لهم : أحلوا من إحرامكم بطواف البيت ، وبين الصفا والمروة ، وقصروا ، ثم أقيموا حللاً ، حتى إذا كان يومُ التَّزْوِيَةِ ، فأهلوا بالحج ، واجعلوا الذي قدمتم بها مُتَمَّة . فقالوا : كيف نجعلها متعة وقد سميناهم الحج ؟ فقال : افعلوا ما أمركم (٢) ، فلو لا أني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمرتكم . ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدى محله . ففعلوا . أخرجه مسلم .

وعن ابن عباس قال : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان . ضربهم التَّمْزِي ، وقال : حديث حسن . وضربهم التَّبَعُوي ، وزاد : « وأول من نهى عنها معاوية » .

وعنه أن معاوية قال : أما علمت أني قصَّرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقة أعرابي على المروة لحجته . أخرجه أبو داود ؛ وأخرجه النسائي ، وليس فيه « لحجته » . وعن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم لأربع خلون من عشر ذي الحجة فطاف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، فأخذت من أطراف شعره بمشقة أعرابي ؛ وقد قيَّد ذلك بعشر ذي الحجة . ولا يتحلل فيه إلا من العمرة وحدها .

واحتج به من قال : إنه كان صلى الله عليه وسلم في حِجَّة الوداع متمتعاً ، لأن المتمر

(١) لفظ هذا الحديث هنا ملحق من روايتي البخاري ومسلم ، فليراجع .

(٢) كذا في البخاري طبع بولاق سنة ١٣١٢ هـ . وقد نقل المؤلف هنا لفظه . وفي مسلم أمركم .

وبين الروايتين فروق أخرى في الألفاظ .

يقصّر عند الفراغ من السعى ، ويكون معنى قوله : لحجته : أى لوقت حجته . ومن أنكر التمتع قال : هذا لا يصح أن يكون فى حجة الوداع ، لأنه لم ينقل فى أحاديثها المشهورة أن النبي صلى الله عليه وسلم تَنَسَّكَ فيها بغير الحلق ، وأنه لم يحل من إحرامه حتى حلق يوم النحر . ويؤيد ذلك أن النسائي أخرج حديث معاوية ولم يقل فيه لحجته . وفى طريق عنده : بمشقص أعرابي فى عُمره على المروة . فيحمل قوله « لحجته » على العُمرة ، وتسمى العُمرة حَجًّا لأنها فى معناها ، إذ معناها القَصْد . وعلى هذا تكون عُمره الجُمرانة ، لأن الصحيح أن معاوية أسلم يوم الفتح مع أبيه ، ولم يكن بعد الفتح عُمره متفق عليها غيرها . وروى عن عطاء أنه قال : الناس يُنسكرون على معاوية هذا الحديث ، والحديث المنكر مطرَح بمعارضة الحديث المشهور الصحيح . أو نقول : يحتمل أن يكون معاوية قصّر بقايا شعر لم يستوفه الحلاق يَمْنَى ، على المروة يوم النحر ، ويكون معنى أطراف شعره ، أى أطراف شعر رأسه من ناحية الأذن ، ودأب الحلاقين أبدا ترك ذلك . ولانشك أن يوم النحر من عشر ذى الحجة .

وعن سعيد بن المسيّب قال : حجج على وعثمان ، فلما كنا ببعض الطريق نهى عثمان عن التمتع ، فقال على : إذا رأيتموه قد ارتحل فارتحلوا ، فدبى على وأصحابه بالعُمرة ، فلم ينههم عثمان ، فقال على : ألم أخبر أنك تنهى عن التمتع ؟ قال : بلى ، قال له على : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تمتع ؟ قال : بلى . ضربم النسائي .

شرح — فى هذه الأحاديث دلالة على التمرغيب فى التمتع ، واحتيج بها من ذهب إلى أفضليته . ووجه الدلالة من الأول ، أن الابتداء بالعُمرة فى الظاهر إرادة للتمتع ، ثم أذخل عليها الحج لمكان الهدى . ومن الثانى قول ابن عمر : صَدَّقَهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الثالث قوله صلى الله عليه وسلم : هذه عُمره استمتعنا بها . ومن الرابع قول ابن عباس : أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُمرة ، مع ثبوت تحللهم من الحج إجماعا . فإما أن يكون إحرامه به بعد الفراغ منها ، فيكون متمتعا ؛ وإما قبل الفراغ فيكون قارنا ، ويكون وجه الدلالة كما فى الأول . ومن الخامس قول ابن عباس : سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم . ومن السادس اعتذاره صلى الله عليه وسلم عن موافقتهم بسوق الهدى ، وأنه لو لاسوق الهدى

لفعل مثل فعلهم . وقد جاء في طريق آخر أنه قال صلى الله عليه وسلم : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت ، لما سقت الهدى ، ولجعلتها عُمرَةً . وسيأتى في فصل فسخ الحج . ولولا أفضليته لما تلّاه صلى الله عليه وسلم عليه . والخالف يقول : إنما كان اعتذاره وتلفه تسليّة لأصحابه لما أمرهم بذلك ، وتطيبها لقلوبهم ، حيث أمرهم بخلاف ما هو عليه ، لئلا يجدوا في أنفسهم من ذلك . ومن السابغ ظاهر ؛ فإن مطلقه يدل على أنه صلى الله عليه وسلم تمتع . والخالف يحمل ذلك على أمره صلى الله عليه وسلم غيره بالتمتع ، كما قيل رَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً ، وإنما أمر برجمه ، وهذا شائع في كلامهم ، كيف وحديث عائشة المتقدم وحديث جابر نصّ في أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متمتعاً ، وحديث معاوية تقدم الكلام فيه استدلالاً واعتراضاً .

وكيفية التمتع : أن يُحرم بالعمرة في أشهر الحج من الميقات ، أو من مسافة القصر ، ثم يفرغ منها ، ثم يحج من مكة ، أو من دون مسافة إحرامه ، ولم يبينه إلى ميقات ، ويجب عليه دم ، فإن لم يجد صام عشرة أيام : ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجع إلى أهله ، لما تضمنه الكتاب والسنة . وشرط وجوب الدم أن توجد هذه الكيفية ، وألاًّ يكون المتمتع من حاضرى المسجد الحرام . واختلف في حاضرى المسجد الحرام ، فقيل هم أهل مكة ، وهو قول مالك . وقال ابن عباس : هم أهل الحرم ، وبه قال طاوس . وقيل من كان أهله على أقل من مسافة تقصر فيها الصلاة من الحرم ، وهو قول الشافعى . وقيل من كان أهله بالميقات أو دونه ؛ وهو قول أصحاب الرأى . والعبرة بالمقام لا بالمولد والنشأ ، حتى إن المكي إذا استوطن العراق وأتى بصورة التمتع فعليه دم ، ولو استوطن عراقي في الحرم فلا دم عليه ، ولو خرج المكي إلى العراق فلما رجع أتى بصورة التمتع ، فلا دم عليه ، لأنه حاضر مالم ينو الاستيطان .

وقد تعاقب أبو حنيفة بالحديث الأول ، واستدل به على ما ذهب إليه من أن المعتمر في أشهر الحج ، المرید للحج إذا كان معه الهدى ، فلا يحل من عمرته ، ويبقى على إحرامه حتى يحج ؛ ولادلاله فيه ، إذ يكون المراد به من جمع بين الحج والعمرة ، ويدل عليه ما سيأتى في الفصل بعده .

٤ — ما جاء فيمن أحرم بالعمرة قبل أشهر الحج ، ثم دخل مكة في أشهره
عن . عطاء فيمن أحرم في شعبان أو في رمضان ، ثم قدم في شوال . قال : هو متمتع .
وعن سفيان قال : قالت لابن شبرمة : إن عطاء يقول عمرته في الشهر الذي يدخل
فيه الحرم . فقال : لا ، نحن نقول عمرته في الشهر الذي يطوف فيه . فزجرهما سعيد بن منصور .

٥ — ما جاء في العبد إذا تمتع بإذن سيده

عن عطاء قال : إن أذنت لعبدك فتمتع فمات ، فاعزم عنه . أخرجه الشافعي .

٦ — ما جاء في إباحة صوم أيام التشريق للمتمتع إذا لم يجد الهدى

عن ابن عمر وعائشة ، أنهما قالَا : الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة ،
فإن لم يجد هديا ولم يصم صام أيام منى . أخرجه البخاري ، وأراد صوم الأيام الثلاثة ؛
وأما السبعة فقد تقدم ذكرها في الحديث الأول ، من الفصل الأول . وهذا هو القول
القديم للشافعي ، وهو الأصح ؛ والقول الجديد أنه لا يجوز صومهن مطلقا . ومن أصحابنا
من ذهب إلى إباحة صومهن لغير المتمتع ، قياسا عليه ؛ ولا وجه له .

٧ — ما جاء في القرآن

عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق يقول :
أتاني الليلة آت من ربِّي ، فقال : صَلِّ في هذا الوادي المبارك ، وقل : عُمره في حِجَّة .
أخرجه البخاري وأبو داود وابن ماجه . وفي لفظ عند البخاري : وقل : عُمره وِحِجَّة .
وهذا الحديث رواه ابن عباس عن عمر .

والعقيق : هنا وادي المحَرَّم^(١) ؛ وقد تقدم ذكره في باب المواقيت .

وعن أبي وائل ، أن الصُّبِّيَّ بن مَعْبِدَ أَهْلَ بالحج والعمرة ، ثم انطلق إلى عمر
فأخبره ، فقال : هُدِيتَ لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم . أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي
وابن ماجه .

(١) المراد به هنا : الموضع القريب من المدينة ذي المياه والنخيل والقصور ، وهناك أعقة أخرى غير هذا .

وعن علي رضي الله عنه قال : أنبت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كيف صنعت ؟ فقلت : أهملت بإهلاك . قال : فإني سقت الهدى وقرنت . وقال : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما فعلتم ، ولكنني سقت الهدى وقرنت . أضرهم النساء .
وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن المقداد بن الأسود دخل على علي بن أبي طالب بالسُّقْمَا ، وهو يَنْجَعُ بُكَرَاتٍ لَهُ دَقِيقًا وَخَبَطًا ، فقال : هذا عثمان بن عفان ينهى عن أن يُقَرَّنَ بين الحج والعمرة . فخرج علي وعلى يده أثر الدقيق والخَبَطُ ، فما أنسى أثر الدقيق والخَبَطُ على ذراعيه ، حتى دخل على عثمان ، وقال أنت تنهى عن أن يُقَرَّنَ بين الحج والعمرة ؟ فقال عثمان : ذلك رأيي . فخرج علي مُغَضَّبًا وهو يقول : لَبَّيْكَ بِحِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعًا .
أضرهم مالك .

قوله : يَنْجَعُ ، بياء أول الحروف ، ثم نون ، ثم جيم ، ثم عين مهملة : أى يَمْلِفُ . يقال ، نَجَعَ الْإِبِلَ : إذا علفها النَّجْوَعُ وَالنَّجِيعُ ، وهو أن يَخِطَ الدقيق والخَبَطُ بالماء ، ثم يُسْقَاهُ الْإِبِلَ .

وعن علي رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الحج والعمرة . وفي رواية : كان قارنا . أضرهمها الدارِقُطْنِي .

وعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهَلِّلُ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ جَمِيعًا . أضرهم .

وعنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهَلِّلُ بِهِمَا جَمِيعًا : لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا ، لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا . أضرهم مسلم .

وعنه وقد سأله أبو قدامة الحنفي : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهَلِّلُ ؟ قال : سمعته سبع مرار : بِعُمْرَةٍ وَحِجَّةٍ ، بِعُمْرَةٍ وَحِجَّةٍ . أضرهم ابن حَزْمٍ فِي الْحِجَّةِ الْكَبْرَى بِسَنَدِهِ .
وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعًا ، والمصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بذى الحليفة حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيداء ، حمد الله وسَبَّحَ وَكَبَّرَ ، ثم أهلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وأهلَّ الناس بهما ، فلما قدم أمر الناس فخلوا ، حتى إذا كان يوم التَّروِيَةِ أَهْلَوْا بِالْحَجِّ ، وبحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِدَنَاتٍ بِيَدِهِ

قياماً ، وذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم كبشين أملحين . أضرم البخاري وأبو داود ، وقال : سميع بدّئات .

قوله : أمر الناس لخلوا ، محمول على من لم يكن معه هدى ، توفيقاً بينه وبين الحديث المتقدم في أول فصل التمتع ، وبين ماسياً بى بعده إن شاء الله .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ، ثم ركب راحلته ، فلما علا على شرف البيداء أهل . أضرم أبو داود والنسائي . وقال : صلى الظهر بالبيداء ، وصعد جبل البيداء ، وأهل بالعمرة والحج .

قوله : استوت به على البيداء : أى علت به ناقته فوق البيداء ؛ يقال استوى : يعنى صعد . وقيل استوت به : أى استقلت ، كما جاء : حين انبعثت به راحلته . ومبيته صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة ، عند خروجه من المدينة ، ليس من سنن الحج ، وإنما هو من جهة الرفق بأتمته صلى الله عليه وسلم ، ليَلْحَقَ به من تأخر عنه . وقد استنبط منه البخاري الرد على من يقول إذا سبّح أو كَبَّرَ أو هَلَّلَ أجزأه من إهلاله ، لأنه أثبت التسبيح والتهليل قبل الإهلال ، ثم أهل ، واحتمل أن يكون فعل ذلك أخذاً بقوله تعالى : « ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَىٰ رِجْلَيْكُمْ » . أو فعل ذلك تعامياً استحباب الذكر مع الإهلال ، والله أعلم .

ولاتضاد بين حديث أنس الأول ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة ، وبين حديثه الثاني ، أنه صلى الله عليه وسلم صلاها بالخليفة ، وكذلك حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذى الحليفة ، ثم دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن ، ثم سَلَّتْ الدم عنها ، وقَلَّدَهَا نعلين ثم ركب راحلته ، فلما استوت به على البيداء ، أهل بالحج . أضرم مسلم ؛ لأن حديث أنس الأول محمول على أنه صلى الظهر بالمدينة أربعاً يوم خروجه منها ، وحديثه الثاني محمول على أنه صلاها بالبيداء في اليوم الثاني من الخروج ، لأنه ذكر الإحرام بعدها ، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم بات بذى الحليفة ، وأصبح بها ، وكان إحرامه في ذلك اليوم . على ذلك يحمل قول ابن عباس صلى الظهر بذى الحليفة . ولاتضاد بينه وبين قول أنس بالبيداء ، فإنهما متصلتان كالشيء الواحد ، أو تكون صلاته في آخر

ذِي الْحَلِيفَةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْدَاءِ ، فَلَمَّا عَلَا عَلَى شَرَفِ الْبَيْدَاءِ أَهْلٌ : وَالْمَصِيرُ إِلَى هَذَا التَّوْفِيقِ أَوَّلَى مِنْ تَكْذِيبِ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ بَعْضًا .

وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ ، مِنْهَا عُمْرَةٌ مَعَ حِجَّتِهِ . أَضْرَبَهُ الْبُخَارِيُّ : وَسَيَأْتِي فِي بَابِ الْعُمْرَةِ . وَأَضْرَبَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَأَضْرَبَهُ التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ : إِحْدَاهُنِ فِي رَجَبٍ . وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ . وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ مُسْتَوْفٍ فِي بَابِ الْعُمْرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَضْرَبَهُ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ . وَلَفْظُهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ ثَلَاثَ عُمَرٍ سِوَى الَّتِي قَرَنَ بِحِجَّةِ الْوَدَاعِ .

وَعَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ جَمِيعًا . قَالَ بَكْرٌ : لَخِذْتُ بِذَلِكَ ابْنَ عُمَرَ ، فَقَالَ : لَبَّى بِالْحَجِّ وَخُدْهُ ، فَلَقِيتُ أَنَسًا ، لَخِذْتُهُ يَقُولُ ابْنَ عُمَرَ ، فَقَالَ أَنَسٌ : مَا تَعْدُونَنَّا إِلَّا صَبِيانًا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا . أَضْرَبَهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَهْلَ بَعْثَةٍ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِظَاهِرِ الْبَيْدَاءِ قَالَ : أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ جَمَعْتُ حِجَّةً مَعَ عُمْرَتِي ، وَأَهْدَى هَدِيًّا مُقَلَّدًا اشْتَرَاهُ مِنْ قُدَيْدٍ ، وَأَتَى حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَحِلَّ مِنْ شَيْءٍ حَرُمٌ مِنْهُ ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ ، فَخَلَقَ وَنَحَرَ ، وَرَأَى أَنَّ قَدْ قَضَى طَوَافَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِطَوَافِهِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا تَمَتَّعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَضْرَبَهُ إِبْرَاهِيمُ .

قَوْلُهُ « طَوَافُ الْحَجِّ » : يَعْنِي بِهِ طَوَافُ الْقُدُومِ ، وَهُوَ مِنْ أَطْوَفَةِ الْحَجِّ وَإِنْ كَانَ سَنَةً ، وَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى طَوَافِ الرُّكْنِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ لِجَمَاعَةٍ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ . أَضْرَبَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . وَأَضْرَبَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ فِعْلِ جَابِرٍ ، وَقَالَ : هَكَذَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَضْرَجَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ بِمَعْنَاهُ .

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أَضْرَبَهُ أَحْمَدُ .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني سقت الهدى ، وقرّنت . أضرمه النسائي .

وعن سُرّاقة بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة . قال : قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع . أضرمه أحمد .

وعن عمران بن حصّين رضى الله عنهما ، قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حجة وعمره ، ثم لم يَنْهَ عنه حتى مات . أضرمه مسلم وأحمد .

وعن الهرماس بن يزيد رضى الله عنه ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره وهو يقول : لبيك بحجة وعمره . أضرمه أحمد .

وعن أبي قتادة قال : إنما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة ، لأنه علم أنه ليس بحاجّ بعدها . أضرمه الدارقطني . وأضرمه الحافظ أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ، ورواه ابن حزم في الحجة الكبرى بسنده إليه . وأضرمه البرزّاء من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنهما وقال : لأنه علم أنه لا يحجّ بعد عامه ذلك .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهو مُهَلّ بالعمرة وحدها ، حتى بلغ سَرِف ، فأمر أصحابه أن من لم يسق الهدى ، وأحب أن يجعلها عمرة ، فليفعل ، ومن كان معه هدى فلا ، قالت : فمنهم من أفرد حينئذ ، ومنهم من بقى على عمرته . وأما من ساق الهدى منهم ، فأدخل الحج على عمرته ، ولم يحلّ ، فأهلّ النبي صلى الله عليه وسلم بهما جميعا حينئذ ، إلى أن دخل مكة ، وكذلك أصحابه الذين ساقوا الهدى . أضرمه ابن حبان في صحيحه ، عن مالك ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة . وهذا موافق لما تقدم من حديث ابن عمر في إدخال الحج على العمرة ؛ قال ابن حبان : وكل خبر يُروى في قرانه صلى الله عليه وسلم ، إنما كان حين رأوه يُهَلّ بهما جميعا ، بعد إدخاله الحج

على العمرة ، ثم لم يزل محرما بهما ، إلى أن دخل مكة ، وطاف وسعى : ثم لما توجه إلى منى أفرد التلبية بالحج ، لانقضاء أفعال العمرة .

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، ما بال الناس حَلُّوا ولم تَحِلَّ أنت من عمرتك ؟ فقال : إني أَبَدْتُ رأسي ، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي ، فما أحل حتى أنحر الهدى . وفي لفظ : فما أحل حتى أحل من الحج . أَضْرَمَاهُمَا . وفي بعض طرق البخارى : حَلُّوا من العمرة .

وفي رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أزواجه أن يَحْلِلْنَ عام حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، فقلت ^(١) : ما يمنعك أن تَحِلَّ ؟ قال : إني لَبَدْتُ رأسي ، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي . . . الحديث . أَضْرَمَهُ مُسْلِمٌ .

واخْتَفِىَ فِي قَوْلِهَا ذَلِكَ . قِيلَ : قَالَتْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهَا ظَنَّتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فَسَخَ حَجَّهَ بِعُمْرَةٍ ، كَمَا أَمَرَ ذَلِكَ مِنْ لَاهِدِي مَعَهُ . فَذَكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا الْعَلَّةَ الْمَانِعَةَ مِنَ التَّحَلُّلِ ، وَهِيَ سَوْقُ الْهَدْيِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتِ مِنْ إِحْرَامِكَ الَّذِي ابْتَدَأْتَ بِهِ مَعَهُمْ ؟ فَعَبَّرَتْ عَنِ الْإِحْرَامِ بِالْعُمْرَةِ ، لِأَنَّهَا أَحَدُ نَوْعَيْهِ تَجَوُّزًا ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ ، مَاسَقْتُ الْهَدْيَ ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمرَةً . فَعُلِمَ بِهَذَا أَنَّهُ لَمْ يُحْرَمْ بِعُمْرَةٍ . وَقِيلَ : مَعْنَى قَوْلِهَا مِنْ عَمْرَتِكَ ، أَيْ مِنْ حَجِّكَ ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ عُمرَةً ، لِأَنَّ مَعْنَاهُمَا الْقَصْدُ . وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْوَجْهِ قَبْلَهُ ، وَهُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ لَمْ تَحْلِلْ مِنْ حَجِّكَ بِعُمْرَةٍ كَمَا أَمَرْتَ أَصْحَابَكَ . وَقَدْ تَأَنَّى مِنْ بَمَعْنَى الْبَاءِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» أَيْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى : تَرِيدُ وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتِ بِعُمْرَةٍ مِنْ إِحْرَامِكَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ مِنَ الْمِيقَاتِ .

قلت : وأما على رواية ابن حِبَّانَ فلا حاجة إلى شيء من هذا التأويل ، لأنه أثبت أنه أهل أولاً بعُمْرَةٍ ، فيكون قولها من عمرتك أى التى أحرمت بها من الميقات ، ويكون قوله صلى الله عليه وسلم : إني أَبَدْتُ رأسي ، وَقَلَّدْتُ هَدْيِي ، أى حين أدخلت الحج عليها .

(١) القائل أم المؤمنين حفصة ، وهو مفهوم مما قبله .

وروى ابن حزم ، عن أم سلمة رضى الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أزواجه بالقرآن .

فهؤلاء ستة عشر صحابيا أثبتوا أنه صلى الله عليه وسلم قرآن بين الحج والعمرة في حجة الوداع ، وهم عمر ، وعلي ، وأنس ، وابن عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وابن أبي أوفى ، وأبو طلحة ، وأبو قتادة ، والبراء ، وسراقة ، وعمران بن الحصين ، وجابر ، وأبهرماس ، وعائشة ، وحفصة ، والسابع عشر أم سلمة ، أثبتت أمره أهله بالقرآن . ومن هؤلاء الذين رَوَوْا القرآن ، من رَوَى ما يدل على الأفراد ، وما يدل على التمتع ؛ وهم عائشة ، وابن عمر ، وابن عباس . ومنهم من روى ما يدل على الأفراد دون التمتع ، وهو جابر . ومنهم من روى ما يدل على التمتع دون الأفراد ؛ وهم عمر ، وعلي ، وعمران ، وسراقة . فمن جملتهم من روى وجوه التسك الثلاثة ، وهم ثمانية . ومنهم من روى وجهين دون الثالث ؛ وبقية منهم لم يَرَوْا غير القرآن . وقد صحت الرواية في كل نوع من أنواع الثلاثة ، أنه صلى الله عليه وسلم فعله ، والحجة واحدة ، ويستحيل ملابسة الثلاثة في عام واحد ، فعلم بالضرورة أنه لم يلبس إلا واحدا منها ، والآخرا يُقَدَّر في روايتهما محذوف سقط منها ، وبإثباته تتفق الروايات كلها ، ويتعين حينئذ إما المنصير إلى الترجيح ، وهو موجود في روايات القرآن ، أو التأليف بين الروايات ، والجمع بينها ، وذلك ممكن على القول بالقرآن ، فوجب المنصير إليه . أما الترجيح لروايات القرآن فمن أوجه : أحدها ، أن كل من رَوَى الأفراد والتمتع ، فقد اضطربت الرواية عنه ، أما رِوَاة الأفراد ، وهم جابر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعائشة فقد رَوَى القرآن عنهم أيضا ، كما تقدم ذكره ، وأما رِوَاة التمتع ، وهم من ذكرناه غير جابر وعلي ، وعمران بن الحصين ، فقد رَوَى عنهم القرآن أيضا ، كما قدمنا . وأما من رَوَى القرآن وحده ، وهم أنس ، والبراء ، وحفصة ، وغيرهم ممن تقدم ذكره ، لم تضطرب الرواية عنهم ، ولا اختلف عليهم في أنه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ، فوجب العمل بروايتهم ، وترك من اضطربت الرواية عنه ، واختلف عليه فيها ، أخذا بما اتفق عليه ، وترك لما اختلف فيه ، ولا شك أن الاضطراب في الرواية مما يؤهنها ويضعفها ، والاتفاق عليها مما يقويها ويرجحها .

فإن قيل : إن عثمان وسعدا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم التمتع ، ولم يرويا عنه غيره ، كذلك معاوية روى ما يدل على التمتع ، ولم يرو غيره .

قلنا : أما حديث معاوية فقد تقدم الكلام فيه وعليه . وأما حديث عثمان وسعد فنقول : قد وجدنا من روى التمتع غيرهما ، نحو عائشة وعلي وعمران بن حصين وابن عمر ؛ ثم لما فسرنا ذلك بالتمتع ، ذكرنا أنه كان جمع بين الحج والعمرة ، وهذا هو القرآن ، فوجدناهم قد سمو القرآن تمتعا ، فيحتمل أن يكون عثمان وسعد أراد بالتمتع القرآن كهؤلاء ؛ فلما احتمل ذلك ، وكانت رواية أنس وحفصة والبراء والمهرمأس في القرآن لا تحتمل تأويلا يخرج^(١) روايتهم عن حكم القرآن ، كان واجبا على من يترك التعارض أن يترك رواية عثمان وسعد ، المحتملة للتأويل ، وأن يأخذ برواية هؤلاء ، التي لا تحتمل تأويلا أصلا .

فإن قيل : فقد روى أبو موسى الأشعري : أن معاوية بن أبي سفيان قال : يا أصحاب محمد ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كذا وكذا ، وعن ركوب جلود النمر ؟ قالوا : نعم . قال : فهل تعلمون أنه نهى أن يُقرَن بين الحج والعمرة ؟ قالوا : أما هذا فلا . فقال : أما إنها معهن ، ولكنكنكم نسيتم . أضرجه أبو داود . وهذه الزيادة فيما رواه معاوية نص لا يحتمل تأويلا ، وزيادة العدل مقبولة .

قلنا : عنه جوابان الأول : أن هذا مما انفرد به معاوية ، وخالف فيه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن هو منهم أحفظ منه وأضبط ، والراوى إذا خالف في روايته من هو أضبط منه وأحفظ ، فروايته منكورة مردودة ؛ على أننا نقول : مَنْ روى القرآن مُثْبِت ، ومن روى النهى عنه ناف ، والمثبت أولى من النافي .

الجواب الثانى : أن الإجماع مُتَمَقِد على جواز القرآن ، ولا تجتمع العلماء على جواز منعه عنه . ويجوز أن يكون معاوية ذهب فى ذلك إلى تأويل قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين أمرهم بالفسخ ، فسق عليهم ، فقال : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت ،

لما سقت الهدى ، ولجعلتها عمرة ... الحديث ، وسيأتى . وكان صلى الله عليه وسلم قارئاً كما قرأناه ، فعمل معاوية هذا الكلام على النعى .

الوجه الثانى من أوجه ترجيح القرآن : أن فى روايته زيادة على رواية الأفراد والتمتع ، مع تساوى الروايات كلها فى الصّحة ، فوجب الأخذ بما تضمنت الزيادة ، لأن زيادة العدل مقبولة ، يجب العمل بها . وإنما قلنا فى رواية القرآن زيادة ، وذلك أن راوى الأفراد اقتصر على الحج وحده ، وراوى التمتع اقتصر على ذكر العمرة أولاً وحدها ، ومن روى القرآن جمع بين الأمرين معاً ، وزاد على من روى الحج وحده عمرة ، وعلى من روى العمرة وحدها حجاً ، وذلك يدل على مزيد حفظ وضبط ، فوجب المصير إلى القرآن ، لاشتماله عليهما ، ثم يتأكد ذلك بأن راوى القرآن حكى أنه سمعه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ، الذى لا يحتمل التأويل ، ولم يذكر مثل ذلك من روى ما سواه . والحجة فى قوله صلى الله عليه وسلم ، لافى قول من سواه .

الوجه الثالث : الترجيح بكثرة العدد ، ولا شك أن رُواة القرآن أكثر عدداً ، لاسيما إذا ضمنا إلى المنفردين به من روى القرآن وغيره ، وكثرة العدد توجب رجحان الرواية . الرابع : أن الله عز وجل أمرنا عند التنازع والاختلاف ، أن نرجع إليه وإلى رسوله ، فقال تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » . ولما اختلفت الرواية فى النص ، وجب القول فى القرآن ردّاً إلى ما نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم نصّاً لا يحتمل غيره ، فيما رواه البراء بن عازب ، من قوله صلى الله عليه وسلم لَكِنِّي سَقْتُ الْهَدْيَ وَقَرَأْتُ . وفيما رواه جابر : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيما رواه على أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبيهما جميعاً وفيما روته حفصة : أنها قرته صلى الله عليه وسلم على عمرة لم يحلّ منها . فلم ينكر ذلك عليها ، بل أقرها على تقريرها . وأجاب بأنه مع ذلك حاج ، فلا يحلّ منها حتى يحلّ من الحج ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يقرّ على باطل . فثبت بذلك التنصيص على قرانه صلى الله عليه وسلم ، وليس فى كل ما روى من خلافه نصّ يضاهى النص فيه ، إذ لم يرو أنه صلى الله عليه وسلم قال : لبيك بحج مفرداً ، ولبيك بعمرة

مُفْرَدَةً ، ولا أنه قال : إني أفردت الحج ، ولا إني تمتعت بعمرة تحللت منها ، ثم أحرمت بالحج .

فإن قيل : حديث معاوية الذي ذكرتموه في فصل التمتع صريح في الدلالة على أنه صلى الله عليه وسلم كان متمتعا .

قلنا : قد تقدم الكلام فيه مُسْتَوْفَى ظاهر البيان والدلالة على ما ادعيناه ، لمن أنعم النظر فيه ، كيف وقد قيل : إن الحسن البصريّ أخطأ في هذا الحديث ، فجعله عن مَعْمَر ، عن ابن طاوس ؛ وإنما المحفوظ فيه أنه عن هشام بن حجير ، عن طاوس ، وهشام ضعيف^(١) .
فإن قيل فقد روى ابن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كَبَيْتُكَ بِحَجٍّ . وذلك بَدَلُ على أنه كان مفردا .

قلنا : لا دلالة فيه ، ولا مضادة بينه وبين ما ذكرناه ، فإنه لم يقل : إني سمعته قال ذلك أوّل الإلهال ، فجائز أن يكون سَمِعَهُ بعد التوجّه من مكة إلى منى ، وقد انقضت أعمال العمرة ، وبقي عمل الحج وحده ، فَبَيَّ به . ويشهد لذلك حديث ابن حبان عن عائشة المتقدم ، فإن فيه تصريحاً بأنه صلى الله عليه وسلم أهلّ بالعمرة وخدّها ، إلى أن بلغ سَرِفَةَ ، ثم أردفها بالحج ، ولم يزل مُحْرَماً بهما إلى أن طاف وسعى ، ثم توجه إلى منى ، فيكون رُؤَاة التمتع اعتمدوا بتلييته صلى الله عليه وسلم للعمرة وحدها قبل ملابسة الحج ، ورُؤَاة القرآن اعتمدوا بتلييته بهما بعد إدخال الحج عليهما ، ورُؤَاة الأفراد اعتمدوا بتلييته بالحج وحده ، بعد توجهه إلى منى ، فإن أعمال العمرة انقضت بالطواف والسعى ، وبقي أعمال الحج وحده ، فَبَيَّ به . أو نقول : لعله صلى الله عليه وسلم كان بَلَّيَ بالحج تارة ، وبالعمرة تارة ، وبهما تارة ، وهو قَارِئ ؛ ولا حَرَجَ في ذلك ؛ فروى كلٌّ ماسمِع ، ظاناً أنه تَنَسَّكَ بذلك . والأولى أن نقول : رُؤَاة التمتع أرادوا بقولهم : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى تمتع بالعمرة إلى الحج ، على وَجْهِ القرآن ، ويسمى ذلك تمتعاً ، فإن العمرة كان ممفوعاً منها في أشهر الحج ،

(١) قال الخزرجي في الخلاصة : هشام بن حجير ، بمهمله وجيم ، مصفر ، المكى ؛ عن طاوس ؛ وعنه ابن جريج ، وشبل بن عباد وثقه الجعفي . قال أحمد : ليس بالقوى .

ثم أحلت لهم، وقد جاء في بعض الطرق: وهذه عُمرَة استمتعنا بها، وهو محمول على ذلك، كيف وقد صرح حديث ابن عمر المتقدم في أول فصل القرآن بإطلاق التمتع، وتفسيره بالقرآن، وهذا التأويل يجب المصير إليه، إذ به تتألف الروايات كلها، على وجه يطابق اللفظ معنى حقيقة لا تجوز فيه .

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون معنى قول جابر «قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم»: أمر بالقرآن، كما قالوا رَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعِزاً، وقطع سارق رداء صفوان، ومعناه أمر بذلك ومثله كثير، نقول: قتل الأمير اللص، أى أمر بقتله. وكذلك قول أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لَبَّيْكَ بحج وعُمرَة، محمول على أنه سمعه مُعَلِّماً لغيره .

قلنا: الجواب عن حديث جابر من وجوه :

الأول: أن الاعتراض بهذا الاحتمال وارد على الأنواع الثلاثة، وليس حمل قول جابر قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بأولى من حمل قول من قال: تمتع رسول الله، وأفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، فلا يبقى في شيء منها متعلق، فتعارض الأدلة المتضمنة ذلك، وتبقى أدلة القرآن التي لا يحتملها هذا التأويل سليمة عن المعارض، نحو حديث عمر الأول: وَقُلْ عُمرَة في حِجَّة، وفي رواية: عُمرَة وحِجَّة. وفعل ابن عمر: أحرم بعُمرَة ثم أدخل عليها الحج قبل التحلل. ثم قال: هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديثه الآخر، أنه قرن بين الحج والعُمرَة، وطاف لهما طوافاً واحداً، ثم قال هكذا: صَنَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحديث البراء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني سَقَتِ الهدى وقرَنت. وحمل قوله «قرَنت» على الأمر بالقرآن هنا، فيه بُعد، لا قترانه بسوق الهدى .

الوجه الثاني: أن هذا التأويل يخرج اللفظ عن حقيقته. فإن إسناد الفعل إلى شخص والمراد غيره فيه تجوز، والحجاز خلاف الأصل، ولا ضرورة إليه، بل لا حاجة، وما ذكرناه من التأويل في رد الأفراد والتمتع إلى القرآن، مطابق للوضع الحقيقي، فكان أولى .

الثالث : أن هذا التأويل يمتنع المصير إليه في جميع أنواع النَّسْكِ، لأنه مجاز، والمجاز إنما يحسن إذا دلت القرينة عليه، وفي قولهم: جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً، وقطع السارق، القرينة مقتزنة به، إذ معلوم بالضرورة في عُرف الاستعمال إطلاق ذلك على الرئيس والمراد غيره، إذ الرئيس لا يباشر القتل والقطع بنفسه، ولا كذلك التلبس بالعبادات، فإن الرئيس وغيره فيها سواء في التقرب بها إلى الله تعالى، فإذا وردت حُجِلَتْ عَلَى الحقيقة، حتى يدلَّ الدليلُ على صرفها إلى المجاز. وأما تأويل حديث أنس بما ذكره، فَيَبْعُدُ الْمَصِيرُ إليه، لأن أنسا ذكر الحديث في مَعْرِضِ الإِفَادَةِ والبيان لما تَنَسَّكَ به صلى الله عليه وسلم والاستدلال عليه بذلك، فكيف نظن به أنه عَلمَ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مُعَلِّماً لغيره، واستدلَّ بذلك على تَنَسُّكِهِ بِالْقِرَانِ؟ هذا مما لا ينبغي أن يُتَوَكَّمُ فَضْلاً أَنْ يُظَنَّ أَوْ يَمْتَقَدَّ

فإن قيل: رُوَاةُ الْإِفْرَادِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَائِشَةُ، فَتَرْجَحُ رِوَايَتُهُمْ، لِقَدَمِ صُحْبَةِ جَابِرٍ، وَحَسَنِ سِيَاقِهِ لِلْحَدِيثِ؛ وَقُرْبُ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسُهُ لُغَامُهَا؛ وَحَفَظَ عَائِشَةُ .

قلنا: هؤلاء أيضاً هم رُوَاةُ الْقِرَانِ كما قررناه، فإما أن نقول: تتعارض الروايتان عنهما وتسقطان، لاضطراب الرواية واختلافها، ويبقى رواية من رَوَى الْقِرَانِ وَحْدَهُ لِمَعَارِضَةٍ فِيهَا. أو نجتمع بين الروايتين، وقد أمكن ذلك على القول بِالْقِرَانِ، على وجه لا يخرج اللفظ عن حقيقته، كما تقدم تقريره آنفاً .

فإن قيل: فقد رُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوَافِينَ هَلَالِ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا كَانَ بَدَى الْخَلِيفَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ شَاءَ أَنْ يَهْلَ بِالْحِجِّ فَلْيَهْلْ، وَمَنْ شَاءَ بِمُحَرَّمٍ فَلْيَهْلْ. ثم انفرد حماد في حديثه فقال عنه صلى الله عليه وسلم: وَأَمَّا أَنَا فَأَهْلُ بِالْحِجِّ، فَإِنْ مَعِيَ الْهَدْيُ، وَانْفَرَدَ وَهَيْبٌ فِي حَدِيثِهِ، فَقَالَ: عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي لَوْلَا أَنِّي أَهْدَيْتُ لَأَهْلَيْتُ بِمُحَرَّمٍ. أَضْرَبُ أَبُو دَاوُدَ وَهَاتَانِ الرِّوَايَتَانِ دَالَتَانِ

على أفراد الحج دلالة ظاهرة، وكذلك الحديث المتقدم في أول الباب، من حديث الشيخين :
« وأهل صلى الله عليه وسلم بالحج » وظاهره يدل على أنه أهل به مفردا .

قلنا : لا تصرّح في الدلالة على ما ذكرتموه ، فإن قوله صلى الله عليه وسلم : لأهلت
بُعْمرة ، إنما أراد بعُمرة مفردة لا حجّ معها ، وهذا مما لا شك فيه ، لما رواه الزُّهْرِي
عن عُرْوَةَ ، عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم أمر كل من معه هدى أن يَهْلَ
بِحجٍّ وعُمرة معا ، فدل على أن الهدى لا يمنع الجمع بين الحج والعُمرة ، وإنما يمنع من أفراد
العُمرة ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : لولا أني أهديت لأهلت بعُمرة ، أي مفردة .

وأما قوله : فإنّي أهلّ بالحجّ ، فلم يَقُلْ فيه بحجٍّ مُفْرَدٍ ؛ فلا مُضَادَّةَ فيه لمن رَوَى
الجمع بينهما ، بل مع راوى الجمع زيادة عِلْمٍ ، فوجب العمل بها .

فإن قيل : فقد رُوِيَ عن عائشة وابن عمر أنهما اعترضا على أنس في روايته القرآن ،
وقالا : كان أنس حينئذ يدخل على النساء وهن مُنْكَشِفَات وهو صغير ، فوصفاه بصغر
السنّ ، وقِلَّةِ الضبط ، لما خالف الجماعة في رواية الأفراد .

قلنا : هذا النقل عن ابن عمر وعائشة مما يُقَطَّعُ بأنه كَذِبٌ ، ويُعْلَمُ بالضرورة أنه
موضوع عنهما^(١) من وجهين :

الأول : أنهما قد رَوِيا ما رواه من القرآن ، على ما تقدم تقريره عنهما ، وما رَوياه من
وجه غيره محمول عليه ، على ما سنذكره في فصل تأليف الأحاديث إن شاء الله تعالى .

الوجه الثاني : أنه كيف يُتَصَوَّرُ أن تعترض عائشة على أنس بالصغر ، وهي تعلم أنها
أصغر منه بعامين ؟ وكيف يَحْسُنُ ذلك من ابن عمر وهو يعلم أنه لا يزيد على أنس إلا بعام
واحد ، فلو اعترضا عليه في مخالفتها بالصغر ، وأن سنه لا تحتل حِفْظًا ولا ضَبْطًا ، لكانا
مُعْتَرِضَيْنِ على أنفسهما ، فاعتراضهما عليه بذلك والحال هذه ، مما لا يقبله العقل ، خصوصا
منهما ، ومحملهما من الإنصاف أجلّ من ذلك . وإنما قلنا : إن سن ابن عمر وعائشة

(١) كذا في م ، م ولعله محرف عن : عليهما . فتأمل .

ما ذكرناه لما رَوَى الأسود عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي ابنة ست، وبني بها وهي ابنة تسع، ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة .

وعن نافع، عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم عَرَّضَهُ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجْزِهِ، وعَرَّضَهُ يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه. وقال مجاهد: أدرك ابن عمر الفتح وعمره عشرون سنة، ذكره أبو عمر، وكان الفتح في رمضان سنة ثمان، فهذا سن عائشة وابن عمر قد نص عليهما، ويكون وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ابن عمر اثنتان وعشرون سنة، لأن وقعة بدر كانت في رمضان في العام الثاني من الهجرة، ووقعة أحد بعدها بسنة وأما سن أنس، فإنه قَدِمَ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وله عشر سنين، وتوفي صلى الله عليه وسلم وله عشرون سنة، وقال رضى الله عنه: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين . وإذا تقرر ذلك علم أن ما رَوَى عنهما من الاعتراض على أنس بصغر السن ليس بصحيح .

فإن قيل : قد تطابقت الناسُ على تسمية حجته صلى الله عليه وسلم بحجة الوداع، وذلك داليل على الإفراد .

قلنا : هذا الاعتراض ساقط الاعتبار، لوجهين :

الأول : أن العُمرة تابعة للحج، ولهذا أجزأ فعله عن فعلها، فأفرد المتبوع بالذكر، لأن التابع في حكم المتبوع .

الثاني: أن يقال: أراد بحجة الوداع القرآن، والعُمرة تسمى حَجًّا، ولهذا قال ابن مسعود: العُمرة حج أصغر، وإذا هت روايات الإفراد والتمتع، تعين القرآن، ووجب الأخذ به . وأما التأليف بين الروايات، على القول بالقرآن، فقد تقدم طَرَفٌ منه، وتَزِيدُ فنقول: من روى لفظ الإفراد فقال: أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، معناه: لم يحج بعد نزول فرض الحج إلا حجة فردة، لم يُدْثِنْها بأخرى؛ أو يكون لَمَّا سمع تلييته بالحج وحده، اعتقد ذلك فرواه وهو محمول على ما تقدم بيانه في الاعتراضات، وذلك لا يمنع القرآن . وأما من رَوَى أنه صلى الله عليه وسلم أهل بالحج، ولم يقل أفرد، فذلك لا يمنع إلهاله بالعُمرة أيضا. فليس

في الروايتين ما يمنع من القرآن، وإنما في إحداها بعض ما اشتملت عليه الأخرى وكذلك القول في حديث أسماء : خرجنا حُجَّاجًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي طريق : خرجنا مُهَلِّين بالحج . وفي طريق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مُهَلِّين بالحج . فلم يصرح شيء من روايتها بنفي القرآن، فمن زاد ضم العُمرة إليه، كان معه زيادة علم، فكان أولى على أنها لم تذكر إهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما ذكرت إهلال أصحابه رضى الله عنهم . أو نقول : كل من رَوَى الإفراد اعتقده أولاً، فلما ثبت عنده القرآن رجع إليه ورواه، ويؤيد ذلك ما رَوَى نافع : أن ابن عمر تمتع وقرن بين الحج والعمرة في آخر عمره، وكان قبل ذلك يُفرد الحج وقد تغيب السنة عن الصحابي نسياناً، أو لعدم علمه بها، فيرويها عن غيره، كعائشة : روت حديث الصَّوم في السفر عن حمزة بن عمرو الأسلمي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأحالت حديث المسح على الخفين على علي وجابر بن عبد الله رَوَى أن النبي صلى الله عليه وسلم أهل بالحج، وأهل بالتحديد، ولم يرو عنه أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم أفرد الحج، وذلك لا يبدل على نفي القرآن وكذلك رواه في طريق آخر وليس على المرء أن يُحدِّث في كل وقت بكل ما سمع ؛ ولو ورد عنه « أفرد » كان محمولا على ما تقدم ذكره من التأويل . وابن عباس رَوَى أن النبي صلى الله عليه وسلم أهل بعمرة، وروى أنه أهل بحج، فلو جعلته بذلك قارئاً، كنت عاملاً بالروايتين جميعاً، ولا يصح غير هذا إلا بتكذيب إحدى الروايتين، وذلك لا يجوز إذا تَحْتَوَا مَكْنَ العمل بهما، وعرو على ابن عمر وعمران بن حصين وابن عباس وعائشة رَوُوا التمتع، ثم لما فسروا قولهم ذلك أتوا بصفة القرآن، وذكروا أنه صلى الله عليه وسلم لم يحل من عمرته حتى أتى بجميع أعمال الحج، وعلى ذلك حملنا رواية عثمان وسعد التمتع، كما تقدم تقريره، وأنهما عَنَيَا بذلك القرآن . ويؤيد ذلك نقل السكافة أنه صلى الله عليه وسلم قال : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ لما سُئِلْتُ الهدى، ولجعلتها عُمرَةً، وحَلَّتْ كما حل الناس . وفي ذلك أبين البيان أنه لم يكن مُتَمَتِّعاً مفرداً للعمرة عن الحج . وقد انفقت الأحاديث كلها وتألقت، وانتفى التعارض، وصدق بعضها بعضاً، وهذا أولى من قول من ذهب إلى تكذيب بعضها

بعض . وقد رَوَى عن الشافعي في سُنَنِهِ ، من طريق الطَّحَاوِيِّ عن المَزْنِيِّ عنه ، أنه قال : الأحاديث كلها متفقة ؛ لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إنما خَرَجُوا مُهَلِّينَ يَنْوُونَ الإِحْرَامَ ، وينتظرون ما يقضى الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، من أن يجعلوا إِحْرَامَهُمْ حَجًّا ، وهو الذي يعرفون في أشهر الحج ، لا يعرفون في أشهر الحج عُمرَةً ؛ أو يجعلونه عُمرَةً ، أو يجمعون بين الحج والعمرة ، فلما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ، أَمَرَ من لم يكن معه هَدْيٌ أن يجعل إِحْرَامَهُ بِعُمَرَةٍ ، وذلك قبل طوافهم ، فأحدثوا نية بعد النية الأولى ، فَرَقُوا بها بين وجوه النسك ، فمنهم من أفرد ، ومنهم من قرَنَ ، وهم الذين معهم الهدْيُ ، ومنهم من تمتع ، وهم الذين لا هدى لهم . وأما قول عائشة : فَأَمَرْتُ أَنْ أُسَكَّتَ عَنْ عُمرَتِي ، وقولها : واعتمرت مكان عُمرَتِي ، وكان طوافي يَجْزِيَنِي عن حَجَّتِي وعُمرَتِي ، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب فسخ الحج ، وباب اختلاف أحاديثها ، وربما سمعه من لا يحفظ أول الحديث ، فيكون عنده ألا تكون مُهَلَّةً بِعُمَرَةٍ إلا وقد ابتدأت الإِحْرَامَ بِالْعُمَرَةِ ، وليس كذلك ، وإنما صار إِحْرَامُهَا عمرة بعد أن عقدته كما عقد الناس ، تنتظر القضاء كما ينتظر الناس ، فَأَمَرَتْ أَنْ تجعل إِحْرَامُهَا عُمرَةً في جملة من لم يكن معه هدى . وقد اعترض بعض المُدَّعِيَةِ على الاختلاف في حِجَّةِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : هذه حِجَّةٌ واحدة اختلفوا فيها هذا الاختلاف المتضاد ، مع كثرتهم وحرصهم على الأخذ عنه صلى الله عليه وسلم ، وهذا يؤدي إلى عدم الثقة بخبرهم .

والجواب أن التكاذُب فيما طريقه النقل ، ولم يقولوا : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إني فعلت كذا ، وإنما استدلوا على نِيَّتِهِ وقصده بما ظهر من أفعاله ، وهذا موضع تأويل يجوز فيه الغلط والخطأ ، فإذاً إنما وقع فيما طريقه الاستدلال لا النقل .

إذا تقرر ذلك ، فللقرآن ثلاث صور : الأولى : أَنْ يُهَلَّ بهما جميعاً . وعليه دَلَّ ظواهر الأحاديث . الثانية : أَنْ يُهَلَّ بِالْعُمَرَةِ ، ثم يُدْخَلَ عليها الحج قبل الطَّوَّافِ . وعليه دل ما تقدم من حديث ابن عباس وابن عمر وعائشة وحفصة . الثالثة : عكسه . وفيه قولان للشافعي ، أحدهما : لا يجوز . وبه قال مالك ، وهو الأصح . والثاني : يجوز . وبه قال أبو حنيفة

والأول أصح ؛ ويؤيده ما روى عن علي عليه السلام أنه سأل أبو نضرة فقال : قد أهملت بالحج ، فهل أستطيع أن أضيف إليها عمرة ؟ قال : لا ، ذلك لو كنت بدأت بالعمرة ؛ ولأن أفعال العمرة استحصت بالإحرام بالحج ، فلم يبق في إدخالها فائدة ، بخلاف العكس . وقد اختلف الأئمة في أي الوجوه الثلاثة أفضل ؟ ومنشأ اختلافهم ما تقدم من اختلاف الروايات في فعله صلى الله عليه وسلم ، فقال مالك والشافعي : الأفراد أفضل . وقال : أحمد وإسحاق وأهل الظاهر : التمتع أفضل .

وعن ابن عمر أنه كان يقول : عُمرَةٌ في العَشْرِ الأوَّلِ من ذِي الحِجَّةِ أَحَبُّ إِلَى من عُمرَةٍ في العَشْرِ البَاقِي . وفي رواية : عُمرَةٌ فيها هَدْيٌ وصِيَامٌ ، أَحَبُّ إِلَى من عُمرَةٍ لا هَدْيَ فيها ولا صِيَامَ . **أُمرهمها أبو ذر** . وهذا يدل على اختيار التمتع .

وذكر أبو الفرج في كتاب منير الفرام ، أنه قول علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعمران بن حصين وابن عباس ، ومن التابعين : الحسن وعطاء ومجاهد في آخرين . وقال أبو حنيفة : القرآن أفضل . وبه قال أهل التحقيق من المحدثين والأئمة الحنفا ، وهو المختار والله أعلم .

٨ - ما جاء أن القارن يُجزئه طواف واحد وسعي واحد للنسكين

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل بالحج والعمرة أجزأة لهما طواف واحد ، وسعي واحد . **فهرم الترمذی** ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . **وفهرم الدارقطني** ، وزاد : « ولا يحل من واحد منهما حتى يحل منهما جميعا » .
وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرن بين حجة وعمرة ، أجزأه خيهما طواف واحد . **فهرم أحمد** .

وعنه أنه قرن بين الحج والعمرة وطاف لهما طوفا واحدا ، وسعيا واحدا ، وقال : هكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف لقرانه طوفا واحدا . **أُمرهمها الدارقطني** .

وعن جابر قال : قَرَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج والعمرة ، وطاف لهما طوافا واحدا . أخرجه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

وعنه قال : لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا . أخرجه مسلم ، وزاد في رواية : « طوافه الأول » .

وعن ابن عباس وابن عمر بنحوه . أخرجه الدارقطنى .

وفي هذه الأحاديث حجة على أبي حنيفة في جواز الاختصار على طواف واحد ، وسعى واحد للقارن . وعنده لا بد من طوافين وسعيين . ويتأول قوله : طوافا واحدا ، أى طوافين على صفة واحدة ، وهو خلاف الظاهر . وبقوله قال الشَّعْبِيُّ والثَّوْرِيُّ ؛ واحتجوا بما سياتى في الفصل بعده . ويقولنا قال مالك وأحمد وإسحاق ؛ وهو قول عطاء والحسن وطاووس ومجاهد . وقوله صلى الله عليه وسلم لمأشاة : « طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك » أخرجه مُسْلِمٌ ، وأبو داود يَرُدُّ ما تأولوه .

٩ — حُجَّةٌ من قال : على القارن طوافان وسعيان

عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : إِذَا قَرَنْتَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَأَفِضْ عَلَيْكَ إِدَاوَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ ، وَطُفْ طَوَافَيْنِ : طَوَافًا لِلْحَجِّ ، وَطَوَافًا لِعِمْرَتِكَ ، وَلَا يَحِلُّ مِنْكَ حَرَامٌ دُونَ يَوْمِ النَّحْرِ . أخرجه أَبُو ذَرٍّ الْمَرْوِيُّ .

وعنه أنه جمع بين الحج والعمرة ، فطاف لهما طوافين ، وسعى لهما سعيين ؛ ثم قال : هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ . أخرجه الدارقطنى وأبو ذَرٍّ . وقال الدارقطنى : يرويه حفص بن أبي داود ، وهو ضعيف ؛ وابن أبي ليلى ، وهو ردىء الحفظ ، كثير الوهم .

وعنه قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَارِنًا ، فَطَافَ طَوَافَيْنِ . وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحَصَنِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، وَطَافَ طَوَافَيْنِ ، وَسَعَى سَعِيَيْنِ . أخرجه الدارقطنى . يرويه عيسى بن عبد الله ، ويقال له مبارك ، وهو متروك الحديث .

وعن ابن عمر ، أنه جمع بين حِج وعمره ، وطاف لهما طوافين ، وسعى لهما سعيين ، وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت .

ضرب الدارقطني ، وقال : يرويه الحسن بن عماره ، وهو متروك .
وعن عبد الله بن مسعود قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرته ولحجه طوافين ، وسعى سعيين .

ضرب الدارقطني . وقال : يرويه أبو بُرْدَة عمرو بن يزيد ، وهو ضعيف .
وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن الحج والعمره ، وطاف طوافين ، وسعى سعيين . ضرب الدارقطني أيضا ، وقال : الصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم قرّن الحج والعمره ، وليس فيه ذكر الصواف ولا السعى . وما تقدم من حديث ابن عمر وجابر أثبت وأصح . وحديث أبي ذر عن علي لا يعارضهما . وأحاديث الدارقطني كلها مغلولة .

١٠ - ما جاء في إطلاق الإحرام

عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نائي ، لا نذكر حجا ولا عمره . ضرب مسلم .

استدل به بعض العلماء على جواز عقد الإحرام بتجرد النية دون تلبية . وقال : معنى لا نذكر ، أى لا ننتطق . وهذا يرد قولها في الحديث : نائي ، بل هو دليل على جواز إطلاق الإحرام ، أو على كراهية ذكر ما أهل به ، وعليه بَوَّبَ البيهقي في كتاب السنن والآثار . ويؤيد الأول حديث الشافعي في سننه ، وقد تقدم ذكره في أثناء فصل القرآن .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أهلّ من ذى الحليفة إحراما موقوفا ، وخرج ينتظر القضاء ، فنزل الوحي عليه وهو على الصفا ، فأمر صلى الله عليه وسلم من لم يكن معه هذى أن يجعله عمره ، وأمر من كان معه هذى أن يحج .

ضرب الخطّابي . وضرب الشافعي عن طاووس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسلا .

١١ - ما جاء في إيهام الإحرام

عن أنس قال : قدم على رضى الله عنه من اليمن . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
بِمِ أَهَلَّتْ يَا عَلِيّ ؟ قال : ما أهلّ به النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فَأَهْدِ وَأَمْكُثْ حَرَامًا
كما أنت . وفي رواية : فقال صلى الله عليه وسلم : لولا أن معي الهدى لأَهَلَّتْ .

وعن أبي موسى ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومي^(١) باليمن ، فَبَعَثَتْ
وهو بالبَطْحَاء ، فقال : بِمِ أَهَلَّتْ ؟ قلت : أَهَلَّتْ كإِهْلَالِ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :
هَلْ مَعَكَ مِنْ هَدًى ؟ قلت : لا . فَأَمَرَنِي ، فَطُقْتُ بِالْبَيْتِ وبالصفاء والمروة ثم أَمَرَنِي فَأَهَلَّتْ ،
فَأَتَيْتُ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِي ، فَشَطَطَنِي أَوْ غَسَلَتْ رَأْسِي . أَفْرَمَهُمَا الْبُخَارَى ، وَتَابَعَهُ عَلَى الثَّانِي
مُسْلِمٌ ، بِتَغْيِيرِ بَعْضِ أَلْفَاظِهِ ، وَسِيَّاتِي فِي فُسْخِ الْحِج . وَاسْتَدَلَ الشَّافِعِيُّ بِهِذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ،
عَلَى جَوَازِ الْإِهْلَالِ بِنِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ ، ثُمَّ يَنْقَاضُهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا شَاءَ مِنْ حِجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ ، وَخَالَفَهُ
سَائِرُ الْعُلَمَاءِ ، وَقَالُوا : لَاحِجَةٌ فِيهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، بَلْ عَلَى الْإِيهَامِ ؛ وَالْمُبْهَمُ غَيْرُ الْمَطْلُوقِ ،
لَكِنَّهُ فِي مَعْنَاهُ مِنْ جِهَةِ عَدَمِ التَّعْيِينِ ، فَإِنَّ الْمُبْهَمَ وَإِنْ تَعَيَّنَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، فَغَيْرُ مَعْلُومٍ
لِلْحَرَمِ ، فَكَانَ الْمَطْلُوقُ فِي مَعْنَاهُ .

وإِنَّمَا أَمَرَ أَبُو مُوسَى بِالتَّحَلُّلِ عَلَى مَعْنَى الْفَسْخِ ، لَمَّا لَمْ يَسُقِ الْهَدْيَ ، كَمَا أَمَرَ غَيْرُهُ
وَأَمَرَ عَلِيًّا بِالْمَكُثِ ، لِأَنَّهُ سَقَى الْهَدْيَ ، وَعَلِمَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَوْ يَكُونُ أَرَادَ أَنْ
يُهْدِيَ عَنْهُ ، أَوْ لَمَّا أَمَرَهُ بِسُقُوقِ الْهَدْيِ كَانَ كَمَنْ مَعَهُ هَدًى ؛ أَوْ خَصَّهُ بِذَلِكَ .

(١) في صحيح البخارى طبع بولاق سنة ١٩١٢ : قوم ، بدون ياء .

١٢ - ما جاء فيمن أهل بحجتين

عن عطاء أنه قال : إذا أهل بحجتين فهو مُهلٌ بحجّ ، وتابعه الحسن بن أبي الحسن .
خرجه البيهقي . وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق . ولا دم عليه ولا قضاء عندهم . وقال
أصحاب الرأي : ينمقد إحرامه بهما جميعا ، ويرفض إحداهما إلى قابل ، ويمضي في الأخرى
وعليه دم .

والحجة عليهم أنهما لو انعقدتا لم يكن له رفض إحداهما ، لأن الفسخ كان خاصا
بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال سُفيان الثوري يلزمه حجة وعمره من عامه ،
ويُهرقُ دما ، ويحُجُّ من قابل . وحكى عن مالك أنه قال : يصير قارنا ، ويلزمه دم .

الباب العاشر

في صفه مع النبي صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يخرج ، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج . فقدم المدينة بشرًا كثير ، كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل عمله . فخرجنا معه ، حتى أتينا ذا الخليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع ؟ فقال : اغسلي واشتغري ^(١) ثوب ، وأحرمي . وقال النسائي من حديث أبي بكر : فأتى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره . فأمره أن يأمرها أن تغتسل ثم تهل بالحج ، وتصنع ما يصنع الحاج ، إلا أنها لا تطوف بالبيت . زاد أبو داود : « وترجل » .

فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، ثم ركب القمضاء ، حتى إذا استوت به ناقته على البئداء ، نظرت إلى مد بصرى ^(٢) بين يديه ^(٣) من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل ^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . وأهل الناس بهذا الذي يهلون به ، فلم يرؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئًا منه ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الاستنفار : أن تحتشي المرأة قطنًا ، وتشد في وسطها شيئًا وتأخذ خرفة عربية تجعلها على محل الدم ، وتشد طرفها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها .

(٢-٣) في كتاب صحيح سنن المصطفى لأبي داود ، طبعة النازية بالقاهرة (ج ١ ص ٢٩٨) : « من بين يديه »

(٣-٣) زيادة لمست في رواية مسلم طبعة المصرية بالقاهرة .

تَلْبِيَّتِهِ . قَالَ جَابِرٌ : لَسْنَا نَنُوءِي إِلَّا الْحَجَّ ، أَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ ، اسْتَمَلَ الرُّكْنَ ، فَرَمَلَ^(١) ثَلَاثًا ، وَمَشَى أَرْبَعًا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ^(٢) إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَرَأَ . وَقَالَ النَّسَائِيُّ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَرَأَ : « وَاتَّخِذُوا مِنِّي مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّيًا » ، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ : - وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : - كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ « يَقُولُ^(٣) . هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : قَرَأَ بِسُورَتِي الْإِخْلَاصِ : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » وَ« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَمَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ « إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَارِ اللَّهِ » . أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ، فَبَدَأُ بِالصَّفَا ، فَرَفَعِي عَالِيَهُ ، حَتَّى رَأَيْتُ الْبَيْتَ ، فَاسْتَقْبَلْتُ الْقِبْلَةَ ، فَوَحَّدْتُ اللَّهَ وَكَبَّرْتُهُ ، وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ . ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ . قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا أَنْصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَمِعْتُ ، حَتَّى إِذَا صَعِدْنَا مَشَى - وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ : حَتَّى إِذَا أَنْصَبَتْ قَدَمَاهُ رَمَلَ فِي بَطْنِ الْوَادِي ، حَتَّى إِذَا صَعِدَ مَشَى - حَتَّى إِذَا أَتَى الْمَرْوَةَ ، فَعَمَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ ، قَالَ : لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ ، لَمْ أُسْقِ الْهَدْيَ ، وَلَجَعَلْتُهَا عِمْرَةً . فَن كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحْلِلْ وَلْيَجْعَلْهَا عِمْرَةً . فَقَامَ سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلِمَامَنَا هَذَا ، أَمْ لِأَبَدٍ ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً بِالْآخَرِ ، وَقَالَ : دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ ، لَا ، بَلِ لِأَبَدٍ أَبَدٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ : فَقَالَ سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلِمَامَنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبَدِ ؟ قَالَ : لِلْأَبَدِ . وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ : لَا ، بَلِ لِأَبَدٍ أَبَدٍ ، لَا ، بَلِ لِأَبَدٍ أَبَدٍ .
وَقَدَّمَ عَلَى مِنَ الْيَمِينِ بَيْدُنَ النَّبِيِّ^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ : مِنْ سَمَاعِيَّتِهِ ،

(١) رَمَلَ يَرْمِلُ رَمْلًا وَرَمَلَانًا : إِذَا أَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ ، وَهَزَ مِنْكَبِيهِ .

(٢) فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ طَبْعَةُ الْمِصْرِيَّةِ سَنَةِ ١٩٢٩ بِالْقَاهِرَةِ (ج ٨ ص ١٧٥) نَفَذَ فِي مَكَانٍ : تَقَدَّمَ .

(٣) فِي مُسْلِمَ : قُلْ ، بِدُونِ بَاءٍ . (٤) كَذَا فِي مُسْلِمَ وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : رَسُولُ اللَّهِ -

فوجد فاطمة عليها السلام من حل وابست ثيابا صديغا وا كتحت ، فأنكر ذلك عليها ، فقالت : أبي أمرني بهذا قال : فكان علي يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحَرَّشًا على فاطمة لِأَنِّي صَنَعْتُ ، مستفتيًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذَكَرْتُ عنه ، فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ : صَدَقْتُ صَدَقْتُ . وقال أبو داود : فقالت : إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا ؛ فَقَالَ : صَدَقْتُ . ماذا قلتَ حينَ فَرَضْتَ الْحِجَّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهْلٌ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَإِنْ مَعِيَ الْهَدْيُ فَلَا تَحْلُ . قال : فكان جماعة الهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْبَنِينَ ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، مِثْلُهُ ، قَالَ : فَحَلَّ النَّاسُ كُلَّهُمْ وَقَصَّرُوا إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ . فلما كان يومُ النَّزْوَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى ، وَأَهْلُوا بِالْحِجِّ ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى بِمِنَى الظُّهْرِ وَالْعَصَرَ وَالْمَغْرَبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجَرَ ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَأَمَرَ بِقَبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ ، تُضْرَبُ ^(٢) لَهُ بِبَنَمِرَةٍ . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقَفَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وفي رواية : وكانت العرب يدفع بهم أبو سيارَةَ عَلَى حِمَارٍ عُرِي . فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ ، فوجد الْقَبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِبَنَمِرَةٍ ، فنزل بها ، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقُصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ ^(٣) ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي ، فَخَطَبَ النَّاسَ ، فَقَالَ : إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ . وَإِنْ أَوَّرَ دَمٌ أَضْعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي سَعْدٍ ، فَقَتَلْتَهُ هَذَا . وقال أبو داود في بعض طرقه : دَمُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ^(٤) ؛ وَأَوَّلُ رَبَا أَضْعُ رَبَانَا : رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ .

(١) في سنن أبي داود بعد مسلم : « من المدينة » وليست في الأصلين ، ولا في مسلم .
(٢) كذا في مسلم . وفي الأصلين وسنن أبي داود : فضربت . ورواية مسلم أدق ، لما يأتي قريباً .
(٢) له ، في مسلم وسنن أبي داود ، وهي ساقطة من الأصلين .
(٤) الربا : معناه الزيادة على زئاس المال . ولذلك جاء الخبر (موضوعة) بالناء على المعنى . والمراد بالوضع : الرد والإبطال . كذا في النزوي على مسلم .

فانتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله ،
واسكن عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك ، فاضربوهن ضرباً
غير مبرح . ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلوا
بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله . وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد
أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بإصبعه السبابة ، يرفعها إلى السماء ، ويتركبها^(١)
إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد . ثلاث مرات ، ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ،
ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً . ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل حبل المشاة بين
يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً ،
حتى غاب القرص . وقال أبو داود : حين غاب القرص ، وأردف أسامة خلفه . ودفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شقق للقصواء الزمام ، حتى إن رأسها ليصيب
مورك رحله ، ويقول بيده اليمنى : « أيها الناس ، السكينة السكينة » كلما أتى جبلاً
من الجبال ، أرخى لها قليلاً حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء
بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئاً . ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى طلع النجى ، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة . ثم ركب القصواء ،
حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعاه وكبره وهله ووحده ، فلم يزل واقفاً
حتى أسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلاً
حسن الشعر ، أبيض وسيلاً . فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ظهناً يجزى ،

(١) كذا في الأصلين وسنن أبي داود طبعه التازية بالقاهرة . قال ابن الأثير في النهاية : أى يعلمهم
يريد بذلك أن يشهد الله عليهم . يقال : نكب الإماء نكباً ونكبه تنكياً : إذا أماله وكبه . وفي مسلم طبعه
المصرية : « ينكها » بالناء . قال النووي : قال القاضي : كذا الرواية بالناء المثناة فوق . قال : وهو بعيد
المعنى . قال : قبل صوابه ينكها ، بياء موحدة . قال : ورويناه في سنن أبي داود بالناء المثناة من طريق
ابن الأعرابي ؛ وبالموحدة من طريق أبي بكر التمار . ومعناه يقلبها ويردها إلى الناس مشيراً إليهم . ومنه
نكب كنانة : إذا قلبها .

فَجعل^(١) الفضل ينظر إليهن ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فَصَرَفَ وجهه إلى الشق الآخر ينظر ، حتى أتى بطنَ مُحَسَّر ، فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى ، التي تخرج على الجرة الكبرى ، حتى أتى الجرة التي عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يُكَبِّرُ مع كلِّ حصاة منها ، حتى اخذف^(٢) ، رمى^(٣) من بطن الوادي ، ثم انصرف^(٤) حتى أتى^(٥) المنحدر ، فنحَرَ ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عاليا ، فنحَرَ ما غَسَرَ^(٥) ، وأشركه في هدبه ، ثم أمر من كل بدنة ببضمة ، فجعلت في قَدْر ، فطُبِخَتْ ، فأكلا من لحمها ، وشربا من مرقها ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت ، فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : انزعوا بنى عبد المطلب ، فلولاً أن يغلبكم الناس على سقايكم ، لنزعنا معكم ، فناولوه دلوًا ، فشرب منه .

خرج هذا الحديث بطوله - غير زيادات أبي داود والنسائي - مسلم ، وانفرد بإخراجه .
 وخرج ابن إسحاق خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بطولها ، مع زيادات . وذكر أن الذي كان يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية ابن خلف ؛ قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل : أيها الناس إن رسول الله

(١) كذا في الأصل . وفي مسلم وسنن أبي داود : فطلق ، وهو بمعناه .

(٢) قوله « حصى الخذف » : هو كذلك في م . قال النووي في شرح صحيح مسلم : هكذا في النسخ ، وكذا نقله القاضي عياض عن معظم النسخ ، قال وصوابه « مثل حصى الخذف » ؛ قال : وكذلك رواه غير مسلم ، وكذا رواه بعض رواة مسلم . هذا كلام القاضي . قلت : والذي في النسخ من غير نسخة « مثل » هو الصواب ، بل لا يتجه غيره ، ولا يتم الكلام إلا كذلك ؛ ويكون قوله « حصى الخذف » متاعفا بمحصات ، أي رماها بسبع حصيات . حصى الخذف ، يكبر مع كل حصاة . الخصى الخذف متصل بمحصات ، واعترض بينهما « يكبر مع كل حصاة » . وهذا هو الصواب والله أعلم . انتهى كلام النووي . وحصى الخذف ، أي الحصى الصغير التي يرى بها . وأصل الخذف رمى الحصاة بطرق الإهمام والسبابة .

(٣) كذا في صحيح مسلم . وفي م وسنن أبي داود : فرمى .

(٤ - ٥) كذا في م . وفي مسلم وسنن أبي داود : إلى المنحدر .

(٥) كذا في مسلم ، وسنن أبي داود ، م . وفي م : بقي .

صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقولون : الشهر الحرام . فيقول : قلّ لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة شهركم هذا . ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به . قال : فيقولون : البلد الحرام . قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ، قال فيقولون : يوم الحج الأكبر . قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا .

وقد بقي من أعمال الحج ، مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحجة ، ما سيأتى ذكره في باب بيان أعمال الحج ، كل عمل في فصله إن شاء الله تعالى . واقتصرنا على حديث جابر في هذا الباب ، لتضمنه أكثر الأعمال . وقد أوردنا لصفة حجه صلى الله عليه وسلم تأليفاً مختصراً بالألفاظ ، مستوعباً ذكر القضايا والأحكام الواقعة فيها ، انتزعناها من هذا الكتاب ومن غيره ، والله الموفق للعمل ، وولى بلوغ الأمل .

شرح — قوله « مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج » : يستدل به من رأى الحج على التراخي . ووجه الدلالة تقدم بيانه في الفصل الثالث ، من باب إيجاب الحج . وأول من أقام للناس الحج عتّاب بن أسيد ، في سنة ثمان . وفيها كان الفتح في العشر الأخير من رمضان ، وحج الناس على ما كانت العرب عليه ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على مكة ، ومضى إلى حنين . قال الأزرقي : ولم يبلغنا أنه استعمله في هذه السنة ؛ فلما كان وقت الحج حج المسلمون والمشركون ، وكان المسلمون بمنزل ، يدفع بهم عتّاب بن أسيد ، ويقف بهم المواقف ، لأنه أمير البلد .

وذكر الماوردي في كتابه الخاوي ، في كتاب السير : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة استعمل عتّاب بن أسيد عليها للصلاة والحج .

وذكر أيضا في كتاب الحج : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عتاب بن أسيد أن يحج بالناس عام الفتح .

قلت : وهذا إنبات لما لم يبلغ الأزرق ، فليُمتدَّ عليه .

ثم حج أبو بكر سنة تسع على ذلك ، ولم يزل عتاب أميرا حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقره أبو بكر إلى أن توفي ، وكانت وفاته على ما ذكر الواقدي يوم توفي أبو بكر . قال : ماتا في يوم واحد ، رضى الله عنهما .

قوله « ثم أذن في الناس في «الناشرة» : الأصح في الرواية فيه الفتح ، على إسناد الفعل إليه صلى الله عليه وسلم ، أى أعلم هو بذلك . والأذان الإعلام بالشئ ، يقال أذن يؤذن إيدانا ، وأذن يؤذن تأذينا . والتشديد مخصوص بالإعلام بوقت الصلاة .

قوله « ويعمل مثل عمله » : هذا يدل على أنهم كانوا حجاجا ؛ لأنه كان صلى الله عليه وسلم محرما بالحج . قال جابر : وما عمل من عمل عملنا به . ويبعد أن يخالفوه في الإحرام وهذا على وأبوموسى لما غابا لم يقدموا على تعيين شئ ، وعَلَّقَا إحرامهما على إحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه دليل على إباحة الاقتداء به في جميع أفعاله ، إلا ما خصه الدليل .

وقوله « حتى أتينا الحليفة » تقدم شرح الحليفة . وكان خروجه صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من القعدة . وقد تقدم ذكر ذلك في باب الواقيت ، عن ابن عباس . قال الملاء في سيرته : وكان يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بالمدينة ، ثم صلى العصر بذي الحليفة . ونقل عن الواقدي أنه قال : يوم السبت لخمس بقين ؛ ولا يصح ، على ما جاء في الصحيح أن الوقفة كانت بالجمعة ، على ما سنده ، فيكون هلال الحجة بالحجيس ، فلا يكون المتبقي خمسا ، ولا يصح حمله على الأيام . فيحسب يوم الخروج منه ؛ أقوله ليس . ولو أراد الأيام لقال خمسة ، إلا أن نقله هذا عن الواقدي موافق لنقل الواقدي أن يوم التروية وافق يوم الجمعة ، وذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم ووقوفه بين الركن والباب خطيبا معهما مناسك الحج ، فعلى هذا تكون الوقفة بالسبت ، ويكون قوله لخمس بقين مستقيما على

ما نقله ، إلا أنه خلاف ما جاء في الصحيح وقال ابن حزم : خرج يوم الخميس لست بقين « وهو خلاف ما جاء في الصحيح أنه خمس .

قوله « إن أسماء أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع ؟ » : دليل على استحباب رجوع الناس إلى علمائهم في كل حادثة . وقد تقدم من حديث النسائي بسنده عن أبي بكر ، أنه أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخبر أسماء ، فأمره أن يأمرها أن تَغْتَسِلَ وتُهَلِّجَ بالحج ، وتضعف كما يصنع الحاج . الحديث إلى آخره . قال ابن حزم : وهذه الزيادة مُنْكَرَةٌ ، وإنما هي محفوظة في أمره صلى الله عليه وسلم عائشة لما حاضت ، والحديث مُعْتَلٌّ بالانقطاع من وجهين : الأول : أن القاسم بن محمد يرويه عن أبيه محمد ، عن أبي بكر ، أنه خرج حاجًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، ومعه امرأته أسماء بنت نَحْيَسَ ، فولدت أسماء بالخليفة محمد بن أبي بكر ، فأتى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر الحديث . ومحمد بن أبي بكر ولد في هذا التاريخ المذكور ، قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر ، وتوفي أبو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بهامين وثلاثة أشهر وأيام ، فكان محمد بن أبي بكر عند موت أبي بكر ابن عامين وستة أشهر وأيام ، وهذه سِنٌّ لا تثبت معها رواية ولا حفظ . الوجه الثاني : أن محمد بن أبي بكر قُتِلَ سنة سبع وثلاثين من الهجرة وله سبع وعشرون سنة ، وترك القاسم صغيرا جدا ، ليس في حال من يَضْبِطُ رواية ، ولا يحفظ حديثا ؛ ومات القاسم سنة سبع ومئة ؛ فامتنع الاحتجاج بحديثه لأجل هذين الانقطاعين .

وقد رَوَى القاسم الحديث من طريقين آخرين ، وليست فيهما هذه الزيادة : أحدهما عن أسماء نفسها ، أنها ولدت محمد بن أبي بكر بالبيداء ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَرُّهَا فَلْتَمُتْ نِمِ أَتُهَلِّجُ ، ولم يذكر الزيادة . والثاني عن عائشة بنحو ذلك ، والحديثان موافقان لحديث جابر في الصحيح ، وروايته عن أسماء أصح من روايته عن أبيه ، لأن أسماء عُمِّرَتْ بعد ولدها محمد ، وكانت تحت علي ، وعاشت بعده ، فلا يُنْكَرُ سماع القاسم منها ؛ وسماؤه من عائشة مشهور صحيح ، والله أعلم .

وقد سُئِلَ صلى الله عليه وسلم في الحج أسئلة كثيرة ، واشتهر بعضها . فمنها سؤال
 أسماء ، ومنها سؤال أصحاب أبي قتادة عن حمارة الذي اصطاده ؛ ومنها سؤال جابر عن
 الضَّبُع : أصيد هو ، ومنها السؤال عما يلبس المُحَرِّم . وستأتي الثلاثة في باب محظورات
 الإحرام . ومنها سؤال رجل عما يوجب الحج ؟ وآخر : ما السبيل ؟ وقد تقدما في باب
 شرط الوجوب . ومنها سؤاله عن الحاج ، فقال : الشَّيْثُ التَّفَلُّ . ومنها سؤاله أى الحج
 أفضل ؟ وسيأتيان في فصل التلبية . ومنها سؤال مُرَاقَة ، وكان بعد سعيه صلى الله عليه
 وسلم ، على ما في حديث جابر هذا . ومنها سؤاله عند الجمره ، عن اختصاصه بذلك ،
 وسيأتي في فسخ الحج . ومنها سؤال بلال بن الحارث عن اختصاصهم بفسخ الحج .
 وسيأتي في بابه . ومنها سؤال أهل نجد بِمَرَفَة . وسيأتي في فصل الوقوف . ومنها سؤال
 امرأة أخرجت صبياً لها من هودج ، فقالت : يا رسول الله ، ألهذا حَجٌّ ؟ قال : نعم ،
 ولك أجر . وقد تقدم في باب حَجِّ التابع . ومنها سؤال عُرْوَة بن مُضَرَّس بِالْمُزْدَلِفَة .
 وسيأتي في فصل الوقوف . ومنها سؤال خال أبي حُجَيْرٍ بين عَرَفَة والمُزْدَلِفَة ، وسيأتي
 في فصل الإفاضة . ومنها الأسئلةِ مَعْنَى ، والله أعلم بعددها ، وستأتي في بابها . ومنها سؤال
 الخُثَمِيَّة ، وكان عند الإفاضة من المزدلفة . ومنها سؤال الرجل عن الحج عن أمه ،
 ومنها سؤال آخر عن الحج عن أبيه . ومنها سؤال أبي رَزِين ، وقد سبق ذلك في باب
 حج المَعْضُوب . ومنها سؤال الجُهَنِيَّة عن الحج عن أمها بعد موتها . ومنها سؤال أخرى
 عن الحج عن أبيها بعد موته . ومنها سؤال رجل عن الحج عن أخته بعد موتها . وقد
 سبق ذلك في باب الحج عن الميت . فهذا اثنان وعشرون سؤالاً ، والله أعلم بما وراء
 ذلك ، مما لا يحصىه إلا الله تعالى .

وقوله صلى الله عليه وسلم لأسماء : اغتسلي ، فيه دلالة على تأكيد هذه السنة ، وأن
 مقصودها النِّظَافَة ، لأن طهارتها غير صحيحة ، وعلى استحباب النَّشْبَةِ لأهل النقص بأهل
 الكمال ، والاعتناء بأفعالهم ، طمعاً في حصول ثوابهم ، وبلوغ درجتهم ؛ فإنه معلوم أن
 غُسل الحائض والنفساء لا يخرجهما عن حكم الخُضُوضِ والنَّعْصِ ، وإنما هو لفضيلة المسكن

والزمان ؛ وهو كأمره صلى الله عليه وسلم بإمساك بقية عاشوراء للأسلميين وكانوا مئة طرين في صدر النهار .

وقوله « اسْتَنْفَرِي » ، الاستنفار^(١) : أن تشدّ فرجها بعصابة عربية ، وتوثق طرفيها في شيء تشده على وسطها ، مأخوذ من فَرَّ الدابة ، الذي يجعل تحت ذنبها ؛ وهذا تنبيه على تحرز النساء ، وفي معناها الحائض والمستحاضة .

وقوله « وأحرى » فيه دليل على انعقاد الإحرام بغير صلاة ، وبغير طهارة ، لأن الغسل لم يطهرها ، وكذا جميع أفعال الحج إلا ما استثناه صلى الله عليه وسلم في رواية النسائي ، على ما تقدم .

وقوله « الْقَصَوَاء » هي بفتح القاف ، وسكون الصاد المهملة ، والند ، ووقع عند العذري بالقصر والضم وقال ابن بَرَى يقال الْقَصَوَاء بالفتح والند ، وبالفتح والقصر ، ولا يقال الْقَصَوَى ، بضم القاف ، في صفة الناقة ، وإنما يقال : « الْمُدَوَّة الْقَصَوَى » : بضم القاف والقصر . وهي^(٢) التي وقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وَذُكِرَتْ أيضا في عمرة الحديبية ، وركبها على عليه السلام حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ أهل مكة سورة بَرَاءة . وقال ابن قَتَيْبَةَ : كان للنبي صلى الله عليه وسلم نوق ، فمنها الْعَصْبَاء والجدعاء ، والقَصَوَاء . قال أبو عبيد : والجدعاء والقَصَوَاء : اسم . ولم تسم بذلك لشيء أصابها ، وإنما كان لَقَباً لها ، لأنها كانت لا تكاد تسبق ، كان عندها أفعى الجري . وقيل : كان بأذن شيء ، والأول هو المشهور . قال عياض : والظاهر أنها ناقة واحدة ، وسمّاها كل واحد في حديثه بما تحيّل على حَسَب لُغَتِهِ ، وإن جاء ما دل على أن الْعَصْبَاء غير الْقَصَوَاء ، والقَصَوَاء هي المشقوقة الأذن . وقيل : هي التي قُطِعَ ظَرْفُ أُذُنِهَا ، وإذا قطع من الأذن مادون الربع فهو جَدْع ، فإذا بلغ الربع فهو قَصَوٌ ، فإذا جاوزه فهو عَصْبٌ ، فإذا استؤصلت فهو صَلَمٌ . وقيل : الجَدْع أكثر من الْقَصَو . ويقال : ناقة قَصَوَاء ، ولا يقال بعير أفعى ،

(١) وانظر شرح الاستنفار أيضا في الحاشية رقم (١) صفحة ١٣٣ .

(٢) الضمير راجع إلى القَصَوَاء ؛ ناقة الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

وإنما يقال بغير مقصود ومقصي ، على غير قياس . وكان القياس أن يقول : أقصى ، مثل عشاء وأعشى .

والبيداء : تقدم تفسيرها .

وقوله « من راكب وماش » : دلائل على الرخصة في الحج ماشيا . ورؤى عن ابن عباس أنه قال : ما آسى على شئ ، إلا أنى وددت أنى حججت ماشيا . وقد تقدم ذلك ، وتقدم ذكر من حج ماشيا ، وذكر من رأى الفضل فيه ، في الباب الأول من الكتاب . قوله « فأهل بالتوحيد » ، الإهلال : رفع الصوت بالتلبية ، ومنه إهلال الصبي عند ولادته وتصويته . وقوله « بالتوحيد » : إشارة إلى قوله : لا شريك لك ، مخالفة للمشركين في تليبتهم ، من قولهم : لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . فآخبر جابر أنه صلى الله عليه وسلم أهل بالتوحيد المجرد ، ويبيّن صحة هذا التأويل قول جابر عقيب هذا اللفظ ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تليبته . وسيأتى الكلام في كيفية الإهلال ، وما يندب فيه ، وما يكره . وفيه دلالة على استحباب الإحرام من الميقات ، وأنه أفضل من التقدم قبله .

وقوله « أبيك » : سيأتى شرحه في فصل كيفية التلبية من باب الإحرام .

قوله « أهل حين استوى على البيداء » : آخبر بما علم ، وقد تقدم في حديث ابن عباس في باب المواقيت الجمع بين مختلف الروايات في ذلك . وقوله « فلم يرّد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا منه ولزم تليبته » : دليل على استحباب تليبته ، وإباحة ماسواها .

وقد رؤى عن ابن عمر وابن مسعود وأنس ، أنهم كانوا يزيدون في التلبية ، وأوّمأ سعد إلى كراهة ذلك ، لما سمع رجلا يقول : كَيْتُكَ يَا ذَا الْمَعَارِجِ . فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نكر عليه .

قوله « لسنا ننوى إلا الحج » : فيه دليل على الانعقاد بمجرد النية ، من غير لفظ ، وفيه نظر . وفي قوله « لانعرف العمرة » ردّ لرواية غيره إياها ، وكان في ذلك على أصل

علمه في العُمرة، أنها لا تُفَعَّل في أشهر الحج، فأخبر بما عَلِمَ، وأدّى غيرُه ما علم من الزيادة على ذلك .

وقوله « حتى أتينا البيت » . وكيفية دخوله صلى الله عليه وسلم مكة سيأتي ذكره في فصل دخول مكة . قال ابن حزم وأبو سعد عبد الملك بن عثمان في كتاب شَرَفِ النُّبُوَّةِ : وكان دخوله يوم الأحد، لأربع ليال خلون من ذى الحجة . وقد تقدم من رواية ابن عباس، أن الدخول لأربع خلون ، فيكون يوم الأحد كما ذكرناه ، لأن الهلال كان بالخميس ، والوقف بالجمعة على ما جاء في الصحيح . وقال الواقدي : دخل يوم الثلاثاء ، نقله المُلَّا عنه ، والأول أصح .

وقوله : « استلم الركن فَرَمَل » : دليل على استحباب ذلك أول الطواف ، وأن الرَّمَلَ يختص بطواف القدوم ، أو بكل طواف يَمُتُّهُ سَمَى ، فإنه صلى الله عليه وسلم سعى بعده، ولم يَرْمَل في الطواف الذي أفاض فيه، فدل على أنه إنما تركه لأنه لم يَمُتُّهُ سَمَى . وفي طوافه سبعا دليل على أنه لا يجوز أقل من ذلك ، لأنه بَيَّنَّ بحمل قوله تعالى : « وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ » . كما في الصلاة وأعدادها، وفي صلاته خَلَفَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ بسورتي الإخلاص، وجميع ما فعله في طوافه وسعيه، من الخروج من باب الصفا وغيره، دليل على استحباب ذلك . واستدل من قال بوجوب الموالاة بين الطواف والسَّعى ، بفعله صلى الله عليه وسلم .

وقوله « أبدأ بما بدأ الله به » : فيه دليل على أن المبدوء به في النطق، يجب أن يبدأ به في الفعل، ويستدل به من قال بوجوب الترتيب في الوضوء، فلو بدأ بالمروة لم يعتد بذلك حتى يأتي الصفا، فيبدأ به ، ويلغو ذلك بالطواف . وقوله « فَرَقَى عَلَيْهِ » بكسر القاف : هذه اللغة العالية .

وقوله « حتى انصبت قدماه في بطن الوادي، حتى إذا صعدتا مشى » : هكذا جاء في جميع النسخ الواصلة إلينا . قال عياض : وهو وَامٌ ، وسقط منه « رَمَل » ، كما خرجه أبو داود . واختلف في علة الرَّمَل في السعى فقيل : لِبَرَى المشرّكين جَلَدَهُمْ كافي الطواف، على ماسياني، وقيل اقتدى بهاجر في سعيها ، لطلب الماء لولدها . وفيه دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم

سعى ماشيا . وقوله « حتى إذا كان آخر طواف على المروة » : دليل على أنه يقال في المرة الواحدة في الطواف والسعى طواف ، والمرتين طوافان ، وثلاثة أطواف ، وسبعة أطواف ؛ وكره الشافعي ومجاهد أن يقال شوط ، وكره عطاء أن يقال دَوْر .

قوله « لو استقبلت من أمري ما استدبرت » إلى آخره : استدل به من قال بأفضلية التمتع ، وقد سبق الكلام فيه وعليه في فصل التمتع . وفيه دليل على جواز فسخ الحج . وسيأتي الكلام فيه .

قوله « فقال سُرَاقَة » إلى آخره : قول سُرَاقَة يدل على وجوب العُمرة ، ولولا وجوب أصلها لما توهموا أنها تنكرر ، ولم يحتاجوا إلى المسألة .
قوله « الأبد » هو الدهر ، أى هي لآخر الدهر .

وقوله « دَخَلَتِ العُمرة في الحج إلى يوم القيامة » قيل معناه : جاز فعلها في أشهره . ونَبَّه بقوله إلى يوم القيامة ، على أنه لا يُنْسَخ ، رَدًّا لما كانوا يمتقدونه في الجاهلية ، أن العُمرة في ذى الحجة من أجْرِ الفجور ، ويقولون : إذا انسلخ صَفَر ، وبرَأ الدَّبر ، وعَفَا الأثر ، حَلَّتِ العُمرة لمن اعتمر ^(١) . وقيل معناه أن عملها دَخَلَ في عمل الحج ، فليس على القارن أكثر من عمل الحج . وهذا تأويل من قال بوجوبها ، ومن لم يَرَوْجوبها يقول : إن معناه أن وجوبها ساقط بالحج ، وهو معنى دخولها فيه . وقيل معناه : دخلت في حُكْمه ، ليكون وجوبها مرَّة في العمر ، وهذا يناسب أول الحديث ، فإنه سُئِلَ عن ذلك ، فأجاب بأنها لِلأَبَد . ثم قال : دخلت العُمرة في الحج إلى يوم القيامة .

وقوله « وَقَدِمَ عَلَى مَنِ الْيَمَنِ » : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نَجِيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليا إلى نجران ، فلقية بمكة وقد أحرم ، ثم ذكر إنكاره على فاطمة ، ورد فاطمة عليه . قال : ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ

(١) كذا رويت هذه العبارة في م ، م ورواها صاحب الايمان هكذا : « إذا دخل صفر وعفا الور ، وبرأ الدبر ، حلت العُمرة لمن اعتمر » . وهى بعض من حديث لابن عباس رواه أبو داود بنحو من هذا اللفظ إلا أنه أخر قوله « ودخل صفر » ، بعد قوله : « برأ الدبر » . وفى رواية : وعفا الأثر ، أى درس وإحى . ولم ألق على رواية : « إذا انسلخ صفر » .

من الخبر عن سفره ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك . فقال : يا رسول الله ، إني أهلت كما أهلت . قال : ارجع وحل كما حل أصحابك . قال يا رسول الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم . قال فهل مَعَكَ من هدى؟ قال : لا ، فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج . ونحَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما . وفي هذا زيادة بيان على ما رواه مسلم عن جابر . وليس بين هذا وبين قوله : « ماذا قلت » ؟ وقوله : « فإن معي الهدى فلا تحل » تضاد ، لجواز أن يكون هذا بعد مراجعة على ما أمره بالتحلل ، والله أعلم . وفي إنكاره على فاطمة رضي الله عنهما الكحل دليل على كراهيته للمحرم ، لما فيه من الزينة . وسيأتي الكلام فيه . وَبِمَنْ فَعَلَ فَعَلَ فاطمة أمهات المؤمنين ، لأنهن لم يَسْقُنَ الهدى ، فأحلن ، وكن قارنات حجا وعمرة ، خلا عائشة ، من أجل حيضتها لم تحل . وبِمَنْ حَلَّ أيضا أسماء بنت عميس ، ذكر ذلك ابن حزم . وقوله « محرّشا » ، التحريش : الإغراء بين القوم والبهائم ، وتهيج بعضهم على بعض . وهو هنا ذكر ما يوجب عتابه لها .

وقوله « صدقت . صدقت » : تأكيد للجواب ، وزيادة في البيان . وإيهال على رضي الله عنه بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ذلك ، دليل على جواز إيهام الإحرام . وقد سبق الكلام فيه .

وقوله « وقصروا » : فيه دليل على استعجاب التقصير المتمتع ، وتوفير الشعر للحلق في الحج ويشبه أن يكون ذلك عن أمره صلى الله عليه وسلم ، إذ عنه يأخذون مناسكهم ، وبه يقتدون ، وبذلك أمرهم ، فقال : خذوا عني مناسككم .

وقوله « فلما كان يوم التروية » إلى آخره يوم التروية ، بفتح التاء ، وسكون الراء المهملة ، وكسر الواو ، وتخفيف الياء ، هو اليوم الثامن من ذى الحجة ، سُمِّيَ بذلك ، لأنهم كانوا يَرْتَوُونَ فيه من الماء لما بعده ، أي يسقون ويستقون . وقيل : لأن قريشا كانت

تحمل الماء من مكة إلى مَنَى للحاج ، تسقيهم وتطعمهم ، فَيُرَوِّونَ منه . وقيل : لأن الإمام يُرَوِّى فيه الناس من أمر المناسك ، وقيل لأن إبراهيم عليه السلام تَرَوَّى فيه في ذبح ولده ، وفيه بيان وقت إهلال أهل مكة والمتمتعين ، وفيه إشارة إلى أن الحرم من مكة لا يقدم طَوَافه وسعيه ، لأنه إذا اشتغل بذلك لا يسمى متوجها . ومبيته صلى الله عليه وسلم بمنى ، وصلاته تلك الصلوات بها ، دليل على استحباب ذلك . وهذا المَبِيتُ أجمع أهل العلم على الفرق بينه وبين مَبِيتِ ليالى مَنَى ، فأوجبوا على تارك ذلك ما أوجبوا ، ولم يُوجبوا على تارك المَبِيتِ بمنى ليلة عرفة شيئا . قاله ابن المنذر .

و « وقوفه صلى الله عليه وسلم بَنَمِرَةَ إلى الزوال » ثم وقوفه عند الصَّخَرَاتِ ، وجميع ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُسْتَدَلُّ به على استحبابه أو وجوبه ، حيث علم الوجوب لقربة أو أمر آخر . وفي أمره صلى الله عليه وسلم بضرب القبة بَنَمِرَةَ ، دليل على الرخصة في حجز المَوَاضِع من الصحارى وأشباهاها ، حيث لا ضَرَر على أحد في ذلك في الغزو والحج وسائر الأسفار . وَبَنَمِرَةَ ، بفتح النون ، وكسر الميم ، وفتح الراء المهملة : مَوْضِع بعرفة ، وهو الجبل الذى [عليه] ^(١) أنصاب الحرم ، على يمين الخارج من المَازِمِينَ إلى الموقف ؛ وقد كانت عائشة رضى الله عنها تنزل بها ، ثم تحولت إلى الأراك . قاله ابن المنذر . وَبَنَمِرَةَ أيضا : موضع بقديد .

وقوله « وَلَا تَشْكُ قَرِيشَ أَنَّهُ واقف بالمشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية » : قالت عائشة : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وتقف سائر العرب بعرفة ، فأنزل الله تعالى : « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » أى تقدموا إلى عرفة ، فأفيضوا منها جميعا . وقوله « وَلَا تَشْكُ قَرِيشَ إِلَى آخِرِهِ » ظاهره الدلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف معهم ، لأنه من قريش ، فلذلك انتفى شكهم في وقوفه ، لأنه كان عادة له .

(١) ما بين القوفين من م . وأنصاب الحرم : العلامات التى تبين حدوده .

وذكر الماوردي في كتابه الحاوي ، عن سفيان بن عيينة ، أن قريشا كانوا لا يخرجون من الحرم يوم عرفة ، ويقفون ببنمرة ، دوين عرفة في الحرم ، ويقولون : لسنا كسائر الناس ، نحن أهل الله ، فلا نخرج من حرم الله . وكان صلى الله عليه وسلم لا يقف مع قريش في الحرم ، ويخرج مع الناس إلى عرفة . قال : ورؤي عمرو بن دينار ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : ذهبت في طلب بعير لي يوم عرفة ضلّ مني ، حتى أتيت عرفة ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة مع الناس ، قلت هذا من الحنس ، فما باله خرج من الحرم ، فلما حجّ النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، ضربوا قبته ببنمرة ، على رسم قريش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فزل هناك . قلت : وفيه مضادة لما دل عليه حديث مسلم . ويحتمل أن يقال : إن انتفاء شكهم في وقوفه بالمشعر الحرام ، إنما كان لأنهم علموا أن وقوفه بعرفة مباينة لهم ، لما كانوا عليه من الشرك ، فلما حجّ وحجوا معه مسلمين ، لم يشكوا أنه يقف في موقف قريش ، لانتفاء المعنى الذي كان ببيانهم لأجله ، وهو الشرك . وهذا احتمال غير بعيد ، إلا أن هذه الرواية بضعفها ما تضمنته حديث مسلم ، أن وقوفهم كان عند المشعر ، والله أعلم . ثم قوله « إن نمرة من الحرم » : فيه نظر ، وكلام الجمهور يدل أنها ليست منه . وقوله « حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له ببنمرة » الظاهر أن المراد بإتيانها القرب منها ، فإن نمرة دونها ، وسميت عرفة بذلك ، لتعريف جبريل إبراهيم المناسك ، وقيل : لمعرفة آدم حواء هناك ، أو لتعارف الناس ، أو لاعترافيهم بذنوبهم ، أو لصبر الناس ، والعرفة : الصبر ، ومنه قول عنترة :

* فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةٌ ^(١) *

أى حبست نفسا صابرة ، أو من العرف ، وهو الطيب ، أى أنها طيبة . وقيل للحصول الناس فيها في موضع عال . والعرب تسمى ماعلا عرفة وعرفات . وقيل إن

(١) تمام البيت ، كما في كتابنا مختار الشعر الجاهلي ، طبعة الخليلي بإقاهرة سنة ١٩٣٠ ع ٣٠٢ :

* تَرَسُّوْا إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطْلَعُ *

إبراهيم رأى ليلة التَّروية ذَنج ولده ، فترَوَى يومه ، وعرف في الثاني ، ونحر في الثالث ، فسميت الأيام بذلك . وقيل : إن جبريل عَرَفَ إبراهيم بها ، ثم قال له عَرَفْتَ ؟ وكان قد أراها له مرة قبل ذلك . وقوله « فأجاز » : قيل هي لغة ، وجاز وأجاز بمعنى . وقيل : جاز الموضع : سلكه وسار فيه ، وأجازه : خَلَفَهُ وقَطَعَهُ . قال الأصمعي : جاز : مشى فيه ، وأجازه قَطَعَهُ .

وقوله « أمر بالقَصْوَاءِ فَرَحِمَتْ » : تقدم شرح القصواء في أول الشرح . وقوله « ثم أتى بطن الوادي فخطب فيه » : فيه دليل على أن الخطبة كانت على الرَّاحلة ، وفي معناها الموضع المرتفعة .

قوله « دم ابن ربيعة » : قيل اسمه إياس بن ربيعة ، وقيل تَمَّام ، وقيل حَارِثَة ، وقيل آدم . قال الدارقطني : وهو تصحيف ، وما أراه مُحَصَّفٌ إلا من دم . قال : وكان صبيا يحبو أمام البيوت ، فأصابه حَجَرٌ في حرب كانت بين بني سعد وبني لَيْث بن بكر . ورواه بعض رُواة مسلم : « دم ربيعة » وكذا رواه أبو داود . وقيل هو وَهَم ، وإنما هو دم ابن ربيعة ، وربيعه عاش إلى زمن عُمر ، سنة ثلاث وعشرين ، وهو ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وقال أبو عُبَيْد : معنى « دم ربيعة » لأنه وَلَى الدم ، فنُسِبَ إليه .

وقوله « وربما الجاهلية وربما العباس » : يشير ، والله أعلم ، إلى الفضل على رأس المال . وقوله « بكلمة الله » : قيل هي « فإمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان » . وقيل : بإباحة الله المنزلة في كتابه التزويج ، وإذنه فيه . وقيل بكلمة التوحيد ، وهي لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؛ إذ لا يَحِلُّ لمن كان مُشْرِكاً أن يَتَزَوَّجَ مُسْلِماً . وعن مجاهد في قول الله تعالى : « وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا » : قيل هي كلمة النكاح ، التي يستحل بها الفروج .

قوله « فَأَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ » : أي غير مؤثر ولا شاق ، قال بعضهم : ولعله من بَرَح الخلفا إذا ظهر ، يَعْنِي ضَرْبًا لَا يَظْهَرُ أثره ، تأديبا لهن .

قوله « وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَسْكُرُ هُونَهُ » : معناه أَلَّا يَأْذُنَ لِأَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَدْخُلَ ، فَيَتَحَدَّثَ إِلَيْهِنَّ . وكان الحديث من الرجال إلى النساء عادة العرب ، لا يرون ذلك عيباً ، ولا يَبْعُدُونَهُ رِيبَةً . فلما نزلت آية الحِجَاب ، صار النساء مقصورات ، ونُهِيَ عن محادثتهن ، والعودة إليهن . وليس المراد بوطء الفُرُش هنا نفس الزنا ، لأن ذلك مُحَرَّمٌ عَلَى الْوُجُوهِ كُلِّهَا ، فلا معنى للتقييد بالكراهة . ولو كان المراد به نفس الزنا لكان الضرب الواجب فيه ، هو للمَبْرَحِ الشديد ، وهو الرجم دون الضرب .

وقوله « إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ » أى استمسكتم : وفيه حث على اتباع كتاب الله عز وجل . قوله « وَيَنْكِحُهَا » ^(١) قال عياض هكذا الرواية بالتاء ، باثنتين من فوق ، وصوابه بالباء ، بواحدة من تحت ، أى يَمْلِكُهَا إِلَيْهِمْ ، يُشْهِدُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . يقال : نكب الرجل كنفاته ، إذا أمالها فسكرها . قال عياض : وكذلك رويناه عن شيخنا أبي الوليد ، هشام بن أحمد ابن الأعرابي ، بسنده عن أبي داود ، ورويناه بالتاء عن أبي بكر التمار ، بسنده عنه ، ومعناه يرددها ويقلبها إلى الناس يشير إليهم ، ومنه قولهم : نكت كنفاته ، إذا قلبها .

وقوله « ثُمَّ أَدْنِ ، ثُمَّ أَقَامَ » قال ابن المنذر : عَرَفَ جَابِرٌ أَنَّ وَقْتَ الْأَذَانِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ ، فَنَدَفَرَغَ الْإِمَامُ مِنْ خُطْبَتِهِ . وقال الشافعي : يَخْطُبُ الْخُطْبَةَ الثَّانِيَةَ مَعَ اسْتِفْتَاكِ الْمُؤَذِّنِ بِالْأَذَانِ ، وَيَفْرَغُ مَعَ فَرَاغِهِ . وبذلك قال أهل الظاهر . ويستدل بحديث رواه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم راحَ إِلَى الْمَوْقِفِ بِعَرَفَةَ ، وَخَطَبَ النَّاسَ الْخُطْبَةَ الْأُولَى ، ثُمَّ أَدْنَى بِلَالٌ ، ثُمَّ أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ وَفَرَّغَ مِنَ الْخُطْبَةِ وَبِلَالٌ مِنَ الْأَذَانِ ثُمَّ أَقَامَ بِلَالٌ ، فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ أَقَامَ ، فَصَلَّى الْمَصْرَ . وهذا يفاير حديث مُسْلِمٍ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا فِي وَقْتِ الْأَذَانِ ، وَالثَّانِي فِي مَكَانِ الْخُطْبَةِ ، فَإِنْ مُسْلِمًا ذَكَرَ أَنَّ الْخُطْبَةَ كَانَتْ بِيْطْنِ الْوَادِي قَبْلَ إِنْثِيَانِ الْمَوْقِفِ ، وَالشَّافِعِيُّ ذَكَرَ أَنَّهَا بَعْدُ إِنْثِيَانِ عَرَفَةَ . وحديث مسلم أصح ، ويترجح بوجه معقول ، وهو أن المؤذنين قد أَمَرُوا بِالْإِنْصَاتِ ، كَمَا أَمَرَ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ ، وَكَيْفَ يُؤَذِّنُ

عن قد أمر بالإنصات؟ ثم لا يبقى للخطبة معنى، إذ يفوت المقصود منها أكثر الناس، لاستغفال سمعهم بالأذان عن استماعها. قال التبرقي: وهذا التفصيل في ابتداء بلال بالأذان، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة الثانية، ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان، مما تفرّد به ابن أبي يحيى. وذكر الملاء في سيرته، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من خطبته، أذن بلال، وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ بلال من الأذان. تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات، ثم أناخ راحلته، وأقام بلال الصلاة. وهذا وإن كان قريباً مما ذهب إليه الشافعي، إلا أنه ليس فيه أن الخطبة تكون مع الأذان، ثم إن تلك الكلمات لم يقل إنها كانت خطبة. وقال أبو حنيفة: يؤذن والإمام جالس على المنبر، قبل أن يأخذ في الخطبة فإذا أتم الخطبة أقام الصلاة. وقال أبو يوسف: يؤذن والإمام لم يخرج إلى الخطبة بعد، ثم يخرج فيخطب، فإذا أتم الخطبة أقام. ثم رجع عن ذلك، فقال: يؤذن إذا مضى صدر من الخطبة، وقال مالك: كل ذلك واسع، إن شاء يؤذن، والإمام يخطب، وإن شاء يؤذن بعد الفراغ من الخطبة. وقال مرة أخرى إذا فرغ الإمام من الخطبة ابتداء بالأذان، ثم بالإقامة، ثم بالصلاة. قال ابن حزم: وهذا القول الثاني عن مالك هو الصحيح الذي لا يجوز تعديده، لصحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه نأخذ، غير أننا نحب ألا يكون أكثر من مؤذن واحد، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا خير في مخالفته. وفي جمعه صلى الله عليه وسلم بالناس هناك، دليل على جواز الجمع في السفر القصير، إذ لم ينتقل عن أحد من أهل مكة التخلف عن الصلاة معه صلى الله عليه وسلم، فإن الجمع بعملة النُسك. وفي للسئلة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بعملة أصل السفر. الثاني: بعملة السفر الطويل. الثالث: بعملة النُسك. وفيه ردّ لقول من قال: إن الإمام يصلي الجمعة حيث كان، في سفر أو حضر، فإن في حجة الوداع كانت الوقفة بالجمعة، على ما جاء في الصحيح، عن عمر رضي الله عنه، لما جاء رجل من اليهود فقال: لو علينا مفسر اليهود أنزلت هذه الآية: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» لاتخذنا ذلك اليوم عيداً؛ قال عمر: إني لأعلم أي يوم نزلت

هذه الآية، يوم عَرَفَة، ويوم جمعة . أَضْرَبَ البخارى . وفى رواية: قال عمر : إني لأعلم اليوم الذى نزل فيه، والمكان الذى نزل فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمَرَفَات، فى يوم جمعة، ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلاها . وفيه أُبَيِّنَ دليل على أن الصلاة كانت بعد الخطبة . وقد روى أبو داود، وخَرَّجَهُ ابن حَزْم عنه بسنده، عن ابن عمر، أن النبى صلى الله عليه وسلم غدا من مِثَى حين صلى الصبح، فنزل بَنَمِرَة، وهو منزل الإمام الذى ينزل به بمِرْفَة، حتى إذا كان عند صلاة الظهر جمع بين الظهر والعصر، ثم خطب الناس، ثم راح فوقف على الموقف من عرفة . قال ابن حَزْم : والكافَّة كلها روت مثل رواية جابر : أن الخطبة كانت فى ذلك اليوم قبل الصلاة، وصرحوا بذلك تصريحاً يقطع العُدْر، ويرفع الشك، ثم عَمَلَ الأئمة المقيمون للحج من ذلك العهد إلى اليوم على حديث جابر، وحديث ابن عمر لا يخلو من أحد وجهين، أحدهما : أن يكون وهم فى بعض الرواة، ما بين أحمد وشيخ أبي داود ونافع راوية ابن عمر . الثانى : أن يكون صلى الله عليه وسلم، خطب ثم صلى ثم كلم الناس ببعض ما يأمرهم به ويمنعهم فيه، فسمى ذلك الكلام خُطْبَة، فاتفق الحديثان بذلك، وهذا أحسن لمن فعله . قلت : وفيه دليل لمن قال بُرَّة من عرفة، وسيأتى الكلام فيه فى فصل عرفة إن شاء الله تعالى . وقوله : فجعل بطن ناقته إلى الصَّخَرَات : ظاهره يدل على أنه كان واقفاً على الصَّخَرَات، حتى يكون بطن ناقته إلى الصَّخَرَات : ظاهره يدل على فى سيرته، أنه صلى الله عليه وسلم قال : هذا الموقف للجبل الذى كان واقفاً عليه . وقوله « وجعل حَبْل المشاة بين يديه » : بالخاء المهملة مفتوحة، والباء، موحدة ساكنة، ثم لام، أى صفهم ومجتمعتهم فى مشيهم، فكانه عَبَّرَ بحبل المشاة عن المشاة أنفسهم . وقد ضبطه بعضهم بالجر، وصححه شيخنا أبو عمرو بن الصلاح فى مَنْسُكِهِ، قال : وبه شَهِدَتِ المشاهدة . وذكره بعض من صَنَّفَ فى الأمكنة المتعلقة بالحجيج، وهو الظاهر . وسيأتى الكلام فيه مُستوفى فى فصل الوقوف إن شاء الله تعالى . قال ابن حَزْم : وهناك سقط الرجل المخرم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُسَكَّفَ فى ثوبيه، ولا يَمَسَّ بطيب، وكان واقفاً مع الحجيج، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى وقوفه صلى الله عليه وسلم على راحلته،

وإطالته الوقوف عليها ، دليل على إباحة ذلك مطلقا ، خلافا لمن كرهه ؛ ويحتمل أن يكون ذلك مقصورا على ماهو قُرْبَة ، دون غيره من المُباح ، وعلى ماخف أمره ، كالراكب والرديف خلفه ، والهواذج ، ونحو ذلك ، دون الأحمال الثقال ، والحامل الثقيلة بالركبان المتعددة ، لما فيه من إتعاب الحيوان من غير ضرورة . وفي وقوفه صلى الله عليه وسلم من بعد الزوال ، دليل على أنه أول وقت الوقوف ، وأن قوله في حديث عروة بن مضرّس على ماسياني ، وقد أتى عرفة قبل ذلك : ليلا أو نهارا ، أراد به بعض النهار دون بعض ، وذلك من زوال الشمس إلى غروبها . وقوله « وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص » . قال عياض : هكذا في النسخ كلها ، وصوابه حين غاب ، كما روى أبو داود ، وفيه تنبيه على الاحتياط والمكث بعد الغروب ، حتى تذهب الصفرة ، لأجل الحائل من الجبال ، وكذلك يفعل الصائم في فطره ، والمصلّي حتى يتيقن الغروب . وفي إردافه صلى الله عليه وسلم أسامة رخصة في ركوب اثنين على بعير واحد ، وأن ذلك لا ينقص من منصب الليل شيئا وبيان فضل أسامة ، بتخصيصه بذلك دون من حضره في ذلك الوقت ، وكذلك فضل الفضل في إردافه في ثاني الحال ، وفضل على باستنابته في النحر ، وبإشراكه في هذبه . وقوله « شئق للقضاء الزمام » : أي كنفها وضم رأسها إليه ، وبالغ في الضم ، يقال : شئق لها وأشئق .

وقوله « مورك رخله » : هو بكسر الراء في الأصول الصحيحة ، وفي صحاح الجوهري وقال عياض : هو بفتح الراء : قطعة آدم تجعل في مقدم الرّحّل ، شبه المخذة الصغيرة ، يتورك عليها الراكب ، ويضع رجله عليها ، ليستريح من وضع رجله في الركاب . أراد أنه قد بالغ في جذب رأسها إليه ، ليكفها عن السير .

وقوله « كلما أتى حبيلا من الجبال » : هو بالحاء المهملة ، ما استطال من الرمل ، وقيل ماضخ وطال ، وهو دون الجبل في الارتفاع .

قوله حتى يصعد بالفتح ، من صعد ، وروى بالضم من أضمّد ، يقال : صعد

في الجبل ، وأصعد الأرض لاغير ، أى ذهب وسار . وقيل صَعِدَ في السَّلم ، وصَعَدَ في الجبل ، وأصَعَدَ في الأرض ، وصَعَدَ وأصَعَدَ في الوادى : احدى رفيه .

والمُزْدَلِفَةُ : قال عطاء : إِذَا أَفْضَتْ مِنْ مَازِيحِي عَرَفَةَ فَهِيَ الْمُزْدَلِفَةُ ، إِلَى مُحَسَّرٍ . وقال غيره : سُمِّيَتْ بِذلِكَ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهَا ، وَقِيلَ لِاجْتِمَاعِ آدَمَ وَحَوَاءَ بِهَا ، لِأَنَّهُمَا لَمَّا أَهْبَطَا إِلَى الْأَرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعٍ اجْتَمَعَا بِهَا . وَالْإِزْدَلَاغُ : الْاجْتِمَاعُ وَقِيلَ : لِأَنَّهُا يُتَقَرَّبُ فِيهَا ، وَالْمُزْدَلِفَةُ^(١) وَالزُّلْفَى : الْقُرْبَةُ . وَقِيلَ لِاقْتِرَابِهِمَا فِيهَا مِنْ مَنَى يَقَالُ : لَهُ زُلْفَى عِنْدَ فُلَانٍ ، أَيْ قُرْبَى مِنْهُ ، وَالْإِزْدَلَاغُ : الْإِقْتِرَابُ . وَفِي الْحَدِيثِ فَأَنَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدَنَاتٍ ، سَجَّعَلْنَ يَزْدَلِفْنَ إِلَيْهِ بِأَيْتِهِنَّ بَيْدًا ؟ أَيْ يَتَقَرَّبْنَ . وَفِي جَمْعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْعِشَاءِ بِالْمُزْدَلِفَةِ ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ رَدُّ لِقَوْلٍ مِنْ يَقُولُ بِأَذَانَيْنِ وَإِقَامَتَيْنِ ؛ وَلِقَوْلٍ مِنْ يَقُولُ لَا يُؤْذَنُ فِي السَّفَرِ ، بَلْ يُقْتَصَّرُ عَلَى الْإِقَامَةِ . وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْجَمْعِ ، وَالْجَمْعُ بِعَرَفَةَ مَعَ إِمَامِ الْحَاجِّ لَمِنْ جَاءَ مِنْ مَسَافَةِ الْقَصْرِ ؛ وَفِيهَا دُونُهَا الْخِلَافُ الْمُتَقَدِّمُ فِي فَصْلِهِ بِعَرَفَةَ . وَلَوْ تَرَكَ رَجُلٌ الْجَمْعَ وَصَلَّى كُلَّ صَلَاةٍ فِي وَقْتِهَا ، جَازَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ ، وَسَيَأْتِي السِّكَّالِمُ فِيهِ مُسْتَوْفَى فِيمَا بَعْدَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَوْلُهُ «نَمَّ رَكِبَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ» : فِيهِ حُجَّةٌ لِمَنْ قَالَ : لِلْمَشْعَرِ الْحَرَامِ : هُوَ الْجَبَلُ الصَّغِيرُ الْمَعْرُوفُ بِهَا ، يَقَالُ لَهُ قُرْجَحُ ، بَضْمُ الْقَافِ وَفَتْحُ الزَّايِ الْمَعْجَمَةِ ، بَعْدَهَا حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ، وَسَيَأْتِي السِّكَّالِمُ فِيهِ مُسْتَوْفَى فِي فَصْلِهِ مِنْ بَابِ أَعْمَالِ الْحِجِّ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَالْأَفْصَحُ فِي الْمَشْعَرِ فَتْحُ اللَّيْمِ ، وَأَكْثَرُ كَلَامِ الْعَرَبِ بِكَسْرِهَا ، وَلَا نَعْرِفُ الْكُسْرَ فِي الْقِرَاءَةِ إِلَّا شَاذًا رَوَى عَنْ ابْنِ السَّكَّانِ أَنَّهُ قَرَأَ بِالْكَسْرِ . وَذَكَرَ الْبُكْرَابَادِزِيُّ أَنَّ بَعْضَ الْقُرَّاءِ قَرَأَ بِالْكَسْرِ . وَالْمَشْعَرُ الْمَعْلَمُ ، وَسُمِّيَ الْمَشْعَرُ الْحَرَامَ ، لِأَنَّهُ مَعْلَمٌ لِلْعِبَادَةِ .

وقوله «وَسَيِّمًا» ، الْوَسَامَةُ : الْحَسَنُ ، وَقَدْ وَسِمَ يَوْسُفُ وَسَامَةً ، فَهُوَ وَسِيمٌ .
قوله «ظُغْنٌ» بَضْمُ الظَّاءِ وَالْعَيْنِ ، جَمْعُ ظُغَيْنَةٍ ، وَهِيَ الْمِرْأَةُ تَسْكُونُ فِي الْهُودَجِ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلَيْسَتْ بِظُغَيْنَةٍ . وَالظُّغَيْنَةُ أَيْضًا : الْهُودَجُ ، كَانَتْ فِيهِ امْرَأَةٌ أَوْ لَمْ تَكُنْ . وَقِيلَ : أَوَّلُ الظُّغَيْنَةِ الرَّاحِلَةُ الَّتِي تُرْحَلُ وَيُظْعَنُ عَلَيْهَا ، أَيْ يُسَارَ ، نَمَّ قِيلَ لِلْمِرْأَةِ ظُغَيْنَةٍ ، وَإِنْ

لم تكن في هودج، لأنها تظعن مع الزوج حينما ظعن، أولأنها تحمل على الراحلة إذا ظممت، وقيل أيضا للهودج بلا امرأة ظعينة، وفي نظر الفضل إليهن، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على وجهه، دليل على أن نظر الرجل إلى المرأة، ونظر المرأة إلى الرجل ليس بحرام، بل ينبغي أن يتقوا ذلك على وجه الأدب والاحتياط، إذ لو كان حراما لكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس مسارعة إلى التصريح بنهي الفضل والمرأة عن ذلك. فلما وضع يده على وجهه، علم أنه كان منفع اختيار، لamenع فرض، لخوف الفتنة، واغتنام السلامة. ويحتمل أن يقال: ففعله ذلك يستدل به على الحرمة، إذ خوف الفتنة موجب لها. وقد نبه صلى الله عليه وسلم، على مظاهرها، وهو الشباب، فكيف ومعه الوسامة. وبستره صلى الله عليه وسلم وجه الفضل، امتنع نظرها جميعا؛ وهذا وإن عارضه ما تقدم من الاحتمال، فهو أرجح بما يقتضيه نص الكتاب العزيز، المصرح بوجوب غص البصر. وحديث ابن أم مكتوم لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة وميمونة أن تحتجبا عنه فقالتا يا رسول الله، إنه أعمى. فقال صلى الله عليه وسلم: أعمى وإن أتما؟ أضرهم أبو داود. وفي المسألة خلاف بين العلماء.

قوله «محسر» بضم الميم، وفتح الحاء المهملة، وتشديد السين المهملة وكسرها، قال بعضهم: هو واد بين مزدلفة ومنى. وقال بعضهم: ماصب منه في المزدلفة فهو منها، وما صب منه في منى فهو منها. وصوبه بعضهم. وقد جاء: «ومزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر»، فيكون على هذا قد أطلق بطن محسر، والمراد منه ما خرج من مزدلفة، وإطلاق اسم الكل على البعض جائز مجازا شائعا، وسئى بذلك لأنه خسر فيه فيل أصحاب الفيل، أى أعيا، وقيل لأنه يحسر سالكيه ويتعبهم، يقال: حسرت الناقة: أتعبتها، قال الشافعى في الأم: وتحريكه صلى الله عليه وسلم الراحلة فيه، يجوز أن يكون فعل ذلك لئمة الوضع. قلت: وهكذا كل من خرج من مضيق في فضاء جرت المادة بتحريكه فيه. وقيل: يجوز أن يكون فعله لأنه مأوى الشياطين. وقيل:

لأنه كان موقفاً للنصارى . فاستحب صلى الله عليه وسلم الإسراع فيه . ولعله المشار إليه بإنشاد ابن عمر لما أفاض من عرفة إلى مزدلفة :

إِلَيْكَ تَعَدُّو قَلْبًا وَضِيئَهَا مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينَهَا^(١)

وسياتى فى فصله إن شاء الله تعالى . وأهل مكة يسمّون هذا الوادى وادى النار ؛ يقال إن رجلا اصطاد فيه ، فنزّلت نار فأحرقتة . قوله « منها حصى الخذف^(٢) » هكذا فى أكثر الأصول ، والصواب مثل حصى الخذف ، كما رواه غير مسلم . والخذف بفتح الخاء المعجمة وسكون الدال المعجمة . قال عطاء بن أبى رباح : حصى الخذف : مثل طَرَفِ الإصْبَعِ . وقال الشافعى : هو أصغر من الأُتْمَلَةِ طولا وعرضا . ومنهم من قال : كَقَدْرِ النَّوَاةِ . ومنهم من قال : بقدر الباقلاء . وفيه تنبيه على استحباب الرمي بذلك ، وعلى استحباب جميع ما فعله صلى الله عليه وسلم من سلوك الطريق الوسطى ، ووقت الإفاضة ، وغير ذلك .

وقوله « ثلاثا وستين بيده » : فيه دليل على استحباب ذبح المراء نسيكته بيده . وعند ابن ماهان : بدنة مكان بيده ، وكل صواب . وبيده أصوب ، لقوله « ثم أعطى عليا فنحر ماغبر ، وأشركه فى هديه » . ويجوز أن يقال : بدنة أصوب ، لأن قوله بيده لا يفيد أن المنصور بُدِنَ أو غيرها ، بخلاف قوله بدنة ، وإسناد الفعل إليه يفيد أنه فعل بنفسه من حيث الظاهر ، فلا حاجة إلى قوله بيده .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، ذكرها صاحب اللسان فى (وضح) شاهدا على أن

الوضين بمعنى الموضون ، وهذه الأبيات هى :

إِلَيْكَ تَعَدُّو قَلْبًا وَضِيئَهَا * مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَبِيئَهَا * مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينَهَا

والوضين : بطن مريض ، منسوج من سيور أو شعر . وهو للهودج بمنزلة البطان للقتب ، والتصدير للرحل والحزام للسرّج . وهو بمعنى موضون . يريد أنها قد هزلت ودقت للسير عليها . والمراد بدنيها دين راكبها . لأن الناقة لادين لها . أنشد هذه الأبيات أبو عبيدة وقال : وهذه الأبيات يروى أن ابن عمر لما اندفع من جمع [المزدلفة] وردت فى حديثه . وقال ابن الأثير فى النهاية : أخرجه المروى والزمخشري عن ابن عمر ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم ، عن سالم ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفات وهو يقول * إليك تعدو فلانا وضيناها *

(٢) وانظر هامش رقم (١) صفحة ١١٠ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ عَنْ عَرَفَةَ الْكَنْدِيِّ ، قَالَ : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِجَّةَ الْوَدَاعِ ، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : اذْعُوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ ؛ فَقَالَ : خَذْ بِأَسْفَلِ الْخُرْبَةِ ، فَأَخَذَ ، وَأَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَاهَا ، ثُمَّ طَعَنَاهَا بِالْبُذْنِ ، فَلَمَّا فَرَغَ رَكِبَ بَعْلَتَهُ ، وَأَرْدَفَ عَلِيًّا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ : مَنْ شَاءَ اقْتَطَعْ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي غَيْرِ الْمِثَّةِ الْمَذْكُورَةِ ، أَوْ يَكُونَ فِي الثَّلَاثَةِ وَالسَّتِينَ مِنْهَا ، وَأَضِيفَ الْفِعْلُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ مِنْ مَسَكٍ بِأَعْلَى الْخُرْبَةِ كَانَ هُوَ الْمُتِمِّكُنَ مِنَ النَّخْرِ ، دُونَ الْآخَرِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ رَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَرَ فِي حِجَّتِهِ سَبْعَ بَدَنَاتٍ قِيَامًا . أَضْرَبَ الْبُخَارِيُّ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ ، وَقَالَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ : يُخْرَجُ هَذَا عَلَى وَجْهِ :

أَحَدُهَا : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْحَرْ بِيَدِهِ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ السَّبْعِ ، وَأَمْرٌ مِنْ نَحَرَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ بِمَضْرُوتِهِ ، ثُمَّ غَابَ وَأَمَرَ عَلِيًّا بِنَحْرِ مَا بَقِيَ ، إِمَّا بِنَفْسِهِ أَوْ بِالْإِشْرَافِ عَلَى ذَلِكَ .

الثَّانِي : أَنَّهُ يَكُونُ أَنَسٌ لَمْ يَشَهِدْ إِلَّا نَحْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعًا فَقَطْ بِيَدِهِ ، وَشَهِدَ جَابِرٌ تَمَامَ نَحْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَاقِي ، فَأَخْبَرَ كُلُّ مَنِ مِمَّنْ رَأَى .

الثَّلَاثُ : أَنَّهُ نَحَرَ بِيَدِهِ مُنْفَرِدًا سَبْعَ بُذْنٍ ، ثُمَّ أَخَذَهُ وَوَعَلَى الْخُرْبَةَ ، وَنَحَرَ بَاقِي الْمِثَّةِ . هَذَا آخِرُ كَلَامِهِ . وَلَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ جَمْعُ بَيْنِ الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ ، فَإِنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ يَخْرُجُ مِنْهُمَا حَدِيثُ عَرَفَةَ ، وَالثَّلَاثُ يَخْرُجُ مِنْهُ حَدِيثُ جَابِرٍ . وَالْأَوَّلُ أَنْ يُقَالَ : نَحَرَ سَبْعًا مُنْفَرِدًا ، ثُمَّ تَمَامَ الثَّلَاثَ وَالسَّتِينَ هُوَ وَعَلِيٌّ ، وَنُسِبَ الْفِعْلُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ ، ثُمَّ أَمَرَ عَلِيًّا بِنَحْرِ مَا بَقِيَ مِنَ الْمِثَّةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى جَوَازِ الْإِشْرَافِ فِي الْمَدَائِي ، وَلَا دِلَالَةَ فِيهِ ، إِذْ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ أُعْطِيَ عَلِيًّا عِدَدًا مَعْلُومًا ؛ عَلَى أَنْ قَوْلَهُ « وَأَشْرَكَهُ فِي هَذِهِ » : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ فِي نَحْرِ هَذِهِ ، وَيَجُوزُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَرَ الْبُذْنَ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنَ الْخُلَيْفَةِ ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ

مُسْلِم ، أو من المدينة ، على ما ذكره الترمذى . والبقية التي جاء بها على هي التي أعطاها له ، فلم يكن فيه حجة على الاستنابة ، ولا التشريك ؛ وهذا معارض ، لجواز أن يكون نحر كل منهما من الجملة ، فنحَرَ صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين ، مما جاء به على ، ومما ساقه هو صلى الله عليه وسلم ، ونحر على ما غَبرَ منهما . وقد روى أبو داود عن علي عليه السلام ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : انحر من البدن سبعًا وستين أو ستًا وستين ، وانسك لنفسك ثلاثا وثلاثين أو أربعًا وثلاثين ، وأمسك لي من كل بدنة منها بضعة . لكن يبقى الإشكال في هبتها بعد تقليدها وإشعارها ، وقد وجبت بذلك لتقليدها ومهديها ، فإن عليًا أتى بها له صلى الله عليه وسلم ، فإما أن تكون قلدها بأمره ، فإن إتيانه بها يدل على أنه أمره بذلك ، فلهذا أمره أن يُقلدها ، أو يكون صلى الله عليه وسلم قلدها بعد أن جاءت . وفي الجمع بين ما رواه أبو داود وبين ما روى في الصحيح عُمر . ويَحْتَمِلُ أن يكون قاله له صلى الله عليه وسلم ذلك ، ثم عنَّ له أن ينحر بنفسه ، فنحر ثلاثا وستين . وذكر بعض أهل المعاني ^(١) أن نحر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بيده ، إشارة إلى منتهى عمره ، ويكون قد أهدى عن كل عام بدنة .

ومما يجب اعتقاده أن هذه الستين لم تكن من السَّعَابَةِ ، ولأمن الصدقة ، إذ الصلقة لا تحل للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يهذى منها ، والأشبه أن عليًا اشتراها من اليمن ، واشترى النبي صلى الله عليه وسلم بقيتها من المدينة ، أو من قُذَيْدٍ ، على ما جاء في غير حديث مسلم . وقد ذكر أصحاب المغازي والأخبار ، أن عليًا ساقها ، على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء منها ، فهذا يدل على أنه لم يسقها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن كان قد قلدها وأشعرها لنفسه ، فقد أبقاها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدى عن نفسه ما أتى هو به . وهذا يرد ما تضمنه حديث جابر ، أنه أتى بها للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولعله أراد بقوله « على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء فيها » : أى ما شاء أن ينحره نحره ، وما شاء أن يرُدَّه رده ، مع أن الكل مأتى به له صلى الله عليه وسلم

(١) كذا في الأصلين . وبها مشم المغازي : عن نسخة أخرى .

حتى لا يكون بين الخبرين تضاداً ، ويندفع الإشكال على قوله « وأشركه في هديه .
أو في نحر هديه » ، على حذف المضاف ، ولا يقع على هذا إشراك في نفس الهدى بعد
تقليده . أو يستدل بذلك من لا يرى وجوب التطوع بتقليده ، بل هو على ملكه ،
يجوز أن يتصرف فيه .

وذكر ابن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى في ذلك اليوم بكبشين أملحين .
وفي هذا دلالة على أن الهدى لا يغني عن الاضحية .

قوله « من كل بدنة بضعة » البدنة : الناقة شهدي إلى مكة . قيل سميت بذلك
لعظم بدنها ، ولا تسمى بذلك إلا إذا ابتداء هديها قبل الإحرام . أما إذا ابتداء بعد ذلك
لتنحر ، فتسمى جزورا . ولا تسمى بذلك إلا الإبل ؛ وأما الغنم فنقول فيها جزرة .
والبضعة ، بفتح الباء الموحدة : قطعة لحم . قال الجوهري : هذه بالفتح ، وأخواتها
بالكسر ، مثل القطعة والفلة والفدرة والكسفة والخركة . وفي العدد تكسر
وتفتح ، مذكرا كان أو مؤنثا .

قال المازري ، لما كان الأكل من جميعها فيه كلفة ، جمعه في قدر واحدة ، ليكون
تناوله من المرقى كأكله من الجميع . ويحتاج بهذا من قال : إن من حلف لا يأكل لحما
فشرب مرقته ، أنه يحنث ، لحصول مقصود اللحم فيه ، إلا أن يكون له نية . وقد
استدل به على جواز الأكل من هدى المنة والقران ، على القول بأنه كان متمتعا
أو قارنا ، ولا حجة فيه ، إذ الواجب عليه سمن بدنة ، ويكون الأكل من حصّة التطوع .
وقوله « فأفاض صلى الله عليه وسلم إلى البيت » : الإفاضة : الدفع في السير . وقيل
لا يكون إلا عن تفرق وجمع . وقال ابن عرفة : أفاض من المكان : إذا أمرع منه
لمكان آخر . وقال غيره : أصل الإفاضة الصب ، فاستعير للدفع في السير ؛ وأصله أفاض
نفسه أو راحلته ، فرفضوا ذكر المفعول ، حتى أشبه غير المتعدى . وخواص الإفاضة :
هو الذي يكون إثر الإفاضة من مئى إلى مكة ، ويقال له أيضا طواف الزيارة ، وطواف
القرض ، وسماه بعضهم طواف الصدر . والمشهور أن طواف الصدر طواف الوداع .

وقوله « فصلى بمكة الظهر » ، وقد جاء من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ، ثم رجع فصلى الظهر بمكة . أخرجه . ومن حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أفاض من آخر يومه حين صلى الظهر . أخرجه أبو داود . وستأتي الروايات هذه كلها في باب طواف الإفاضة ، في فصل وقت الإفاضة ، وفيه الجمع بين الروايات بحسب التمكن ، إن شاء الله تعالى .

قوله « ففأولوه دَلْوًا فشرَب منها » : يعني مِنْ زَمْزَم ، فيه دليل على استحباب الشرب للناسك من ماء زمزم . وسيأتي الكلام مُستوفى في بابه إن شاء الله تعالى .

٢ — ما جاء في عدد حَجَّه صلى الله عليه وسلم

عن أبي إسحاق السبيعي ، عن زيد بن أرقم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة ، وأنه حجَّ بعد ما هاجر حِجَّة واحدة لم يهيج غيرها ، حِجَّة الوداع . قال أبو إسحاق : وبمكة أخرى . أخرجه البخاري .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حجَّ ثلاث حِجَج : حِجَّتَيْن قبل أن يهاجر ، وحِجَّة بعد ما هاجر معها عُمره . أخرجه الترمذي . ولعل جابرا أشار إلى حجتين بعد النبوة . قال أبو الفرج في مثير الغرام : وقد حج صلى الله عليه وسلم حِجَجًا قبل النبوة وبعدها ، ولا يعرف عددها^(١) .

(١) عبارة ابن الجوزي في مثير الغرام الورقة ١٦٤ : فأما قبل الهجرة فإنه قد حج بعد النبوة وقبلها حججا لا يعرف عددها .

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

فِي سِتِّينَ الْأَمْرَامِ

تقدم في باب المواقيت ما جاء في الوقت المستحبّ للإحرام ، وأحاديثه فيه .

١ — ما جاء في الغسل للإحرام

عن جابر: أن أسماء بنت عميس وَلَدَتْ بِنَى الْحَلِيفَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَقَالَ: اغْتَسِلِي، وَاسْتَنْفِرِي بِنُوبٍ، وَأَحْرِمِي. أَضْرِبْهُ مُسْلِمٌ، وَأَضْرِبْهُ النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَا فِي الْبَابِ قَبْلَهُ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ النَّسَائِيِّ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى حَدِيثِ جَابِرٍ.

قال كثير من أهل العلم: فيه دلالة على استحباب الغسل لمن لا يصح منه العبادة، تشبهاً بالمتعبدين، كما تقدم تقريره في الباب قبله. وهذا عندي ليس بشيء، بل هي من أهل هذه العبادة التي شرع الغسل لها، وهي الإحرام بالحج، فصح منها لذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يُحْرِمَ رَأْسَهُ يَخْطُمِي وَأُشْنَانِ. أَضْرِبْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْدارَقُطْنِي؛ وَزَادَ: وَذَهَنَهُ بَزَيْتٍ غَيْرِ كَثِيرٍ.

شرح — الْخَطْمِيُّ بِالْكَسْرِ^(١): نَبَتٌ مَعْرُوفٌ يُغْسَلُ بِهِ الرَّأْسُ.

(١) قال الأزهري: هو بفتح الحاء، ومن قال خطمي، بكسر الحاء، فقد لحن كذا في لسان العرب في (خطم).

وعن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم اغتسل لإحرامه . أخرجه الترمذى .
وعن ابن عمر أنه كان يغتسل لإحرامه قبل أن يُحرم ، ولدخوله مكة ، ولوفوقه
عَشِيَّةَ عَرَفَةَ . أخرجه مالك .

وعنه أنه كان يخرج وعليه ثيابه جامعا عليه ، وعليه بُرْنُسُهُ ، حتى إذا أتى
ذا الحليفة تجرد واغتسل . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن طاووس أنه كان لا يدع الغسل عند الإحرام ، ويغسل غسلا بالغا ، فيغسل
رأسه ، ويأمر رُفْقته بذلك . أخرجه أبو ذرّ والبيهقى .

٢ - ما جاء في التوسعة في تركه

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه ربما اغتسل للإحرام ، وربما ترك . أخرجه أبو ذرّ
الهرَوِى .

وعنه أنه توضأ في عُمره ائتمرها ولم يغتسل . أخرجه سعيد بن منصور .

٣ - ما جاء في التجرد عن المَخِيط عند إرادة الإحرام

عن خارجة بن زيد ، عن أبيه ، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تجرد لإهلاله
واغتسل . أخرجه الترمذى ، وقال : حسن غريب .

٤ - ما جاء في استحباب البياض في ثوب الإحرام

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من خير
ثيابكم البياض ، فلبسوها أحياءكم ، وكفننوها فيها موتاكم . أخرجه البيهقى .

٥ - ما جاء في استحباب الأخذ من الشعر والظفر عند الإحرام

عن إبراهيم قال : كانوا يَسْتَحِبُّونَ إذا أرادوا أن يُحْرِمُوا أن يأخذوا من أظفارهم
وشواربهم ، وأن يَسْتَحِدُّوا^(١) ، ثم يلبسوا أحسن ثيابهم . أخرجه سعيد بن منصور .

(١) لاستحباب : حلق شعر العانة بالخد يد أى الموسى .

وعن محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، أنه أراد الحج - وكان من أكثر الناس شعرا - فقال له عمر : خذ من رأسك قبل أن تُحْرَمَ :

وعن القاسم وسالم وطاووس وعطاء ، وسئلوا عن الرجل يريد أن يَهْلَ بالحج ، يأخذ من شعره قبل أن يُحْرَمَ ، قالوا : نعم . أُنْهِمَهُمَا سعيد بن منصور .

٦ - ما جاء فيمن كره ذلك

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما يَصُرُّ أَحَدُكُمْ إِذَا كَانَ شَعْرُهُ عَافِيَا^(١) وَأَرَادَ الْحَجَّ أَنْ يَدْعَهُ حَتَّى يَحْلِقَهُ .

وعن إبراهيم أنه كان يكره للرجل إذا هم بالحج أن يأخذ من شعره . أُنْهِمَهُمَا سعيد بن منصور .

٧ - ما جاء في التطيب للإحرام

عن عائشة رضي الله عنها قالت : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي بَذْرِيرَةَ فِي حِجَةِ الْوَدَاعِ ، لِلْحَلِّ وَالْإِحْرَامِ .

وعنها قالت : طَيَّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحْرَمِهِ حِينَ أُحْرِمَ ، وَلَحَلِّهِ قَبْلَ أَنْ يُفَيْضَ ، بِأَطْيَبِ مَا وَجَدْتُ .

وعنها قالت : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حرمه بأطيب الطيب . أُنْهِمَهُمُ الشَّيْخَانِ .

وعنها : كُنْتُ أَطْيِبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَطْيَبِ مَا كُنْتُ أَجِدُ حَتَّى أَرَى وَبَيْصَ الطَّيِّبِ فِي رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْرَمَ . أُنْهِمَهُ النَّسَائِيُّ :

وعنها : كُنْتُ أَطْيِبُ أَبِي بَالِسَ لِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرَمُ ، وَلَحَلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَزُورَ أَوْ يَطُوفَ . أُنْهِمَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعنها : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ . وَفِي رَوَايَةٍ : وَبَيْصِ الْمَسْكِ وَهُوَ بَلْبِي . وَفِي رَوَايَةٍ : إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ فِي أَصُولِ شَعْرِ

(١) عافيا : كثيرا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل وهو محرم . وفي رواية : رأيت الطيب في مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثالثة وهو مُحْرَم . أخرجه جميع ذلك ابن حزم مُسْنَدًا في صفة الحج الكبرى . وأخرج الحديث الآخر النَّسَائِي ، وقال : بعد ثالث .

وعنها : كُنْتُ أَطِيبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ ، ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرَمًا يَنْفَحُ طِيبًا . أخرجه . وعن الشَّعْبِيِّ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَسْتَحِقُّ الْمِسْكَ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ فِي يَافُوخِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ .

وعن عائشة بنت سعد ، أنها كانت تُطِيبُ أَبَاهَا قَبْلَ إِحْرَامِهِ بِالذَّرِيرَةِ الْمُسْتَكَّةِ ، أَوْ قَالَ : بِالْمِسْكِ وَالذَّرِيرَةِ . ذكره ابن حزم في صفة الحج الكبرى .

شرح — مُحْرَمُهُ : يُقَالُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ ، وَالضَّمُّ أَشْبَهُ ، وَهُوَ الْإِحْرَامُ . وَأَتَكَرَّثَ ابْتُعِظَ الْمُحَدَّثِينَ لَهُ ، وَقَالَ : الصَّوَابُ الْكَسْرُ ، كَمَا قَالَتْ لِحَلِّهِ ، وَكَأَقْرَبُ : « وَحَرَّمَ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَ كُنَاهَا » ، ذَكَرَهُ فِي دَلَالَتِهِ ، حَكَاهُ عَنْهُ عِيَاضُ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ وَالتَّهَرِيُّ هُوَ بِالضَّمِّ : الْإِحْرَامُ ، وَبِالْكَسْرِ : الْحَرَامُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَحَرَّمَ عَلَى قَرَبَةٍ » ، وَقَرَبِيٌّ^(١) : وَحَرَّمَ . وَعَلَى هَذَا يَحُوزُ إِطْلَاقُهُ عَلَى الْمُحْرِمِ ، كَمَا يُقَالُ رَجُلٌ حِلٌّ وَحَلَالٌ بِمَعْنَى مُحِلٍّ . وَالْوَبِيصُ ، بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ : الْبَرِيقُ . يُقَالُ : وَبَصَ الشَّيْءُ يَبِصُ وَيَبِصُ ، وَبَصَ يَبِصُ بِصِيصًا ، أَيْ بَرَقَ . وَلَا تَضَادٌّ فِيهِ بَيْنَ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، فَإِنَّهُ جَاءَ : بِذَّرِيرَةٍ ، وَبِأَطِيبِ الطَّيِّبِ ، وَبِأَطِيبٍ مَا وَجَدَتْ وَجَاءَ . بِالْمِسْكِ . وَسَيَأْتِي فِي بَابِ مَا رُخِّصَ فِي الْإِحْرَامِ ، فَإِنَّ الْمِسْكَ هُوَ أَطِيبُ الطَّيِّبِ ، وَأَطِيبٌ مَا تَجَدَّدَ ؛ وَقَدْ تَكُونُ الذَّرِيرَةُ مُطَيَّبَةً بِهِ ، وَذَلِكَ أَطِيبُ الطَّيِّبِ . وَالْمِسْكَ : طِيبٌ مَعْرُوفٌ ، يُضَافُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَسْتَعْمَلُ ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ التَّطْيِيبِ بِمَا يَبْقَى لَهُ جِرْمٌ وَرِيحٌ بَعْدَ الْإِحْرَامِ . وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِيهِ مُسْتَوْفًى فِي بَابِ مَا رُخِّصَ فِي الْإِحْرَامِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

٨ — مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ كَرِهِ الطَّيِّبِ عِنْدَ الْإِحْرَامِ

عن ابن عمر وسئل عن الطيب عند الإحرام ؛ فذكره ، وقال : مَا أُحِبَّ

(١) كَذَا بِالْوَاوِ فِي م ، م . وَالْوَاوُ مَقْعَمَةٌ مِنَ الْكَاتِبِ .

أَنْ أَضْبَحَ مُحَرَّمًا أَنْضَحُ طَبِيبًا ، لِأَنَّ أَطْلِي بِقَطْرَانٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ .
أُفْرِمَ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ .

شرح — قوله « أَنْضَحُ » : هو بالخاء المهملة ، أى أَفُوح . والنَّضُوح ، بالفتح : ضرب من الطيب يفوح رائحته ؛ وأصل النَّضْح : الرَّشْح ، فشبه ما يفوح من الطيب بالرَّشْح . وَرُويَ بالخاء المعجمة ، وهو أكثر فوحاً منه ، بالمهملة . وقيل هو بالمعجمة فيما له أثر وجرم ، وبالمهملة ، فيما رقيق الكلام . وقيل : هما سواء .

وعن عمر رضى الله عنه ؛ أنه وجد ريح الطيب قبل أن يبلغ الشجرة ، فقال : مِمَّنْ رِيحُ هَذَا الطَّيِّبِ ؟ فقال معاوية : مِنِّي ، طَيِّبَتْنِي أُمُّ حَبِيبَةَ ، وزعمت أنها طَيَّبَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند إحرامه . فقال : اذْهَبْ فَأَقْسِمُ عَلَيْهَا لَمَّا^(١) غَسَلْتَهُ . فرجع إليها ، فغسلته . أُفْرِمَ أَحْمَدُ وَسَعِيدٌ . وَأُفْرِمَ مَالِكٌ ، ولم يقل : وزعمت أنها طيبت الخ . وقال : عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَتَرْجِعَنَّ وَلَتَغْسِلَنَّهُ .

وعنه أنه وجد ريح طيب وهو بالشجرة ، فقال : مِمَّنْ هَذَا الطَّيِّبِ ؟ فقال كثير ابن الصَّلْتِ : مِنِّي لَبَدْتُ رَأْسِي ، وَأَرَدْتُ الْخُلُقَ . فقال عمر : فَادْهَبْ إِلَى شَرَبَةِ وَادُّكَ رَأْسَكَ حَتَّى تُنْقِيَهُ . فَفَعَلَ كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ . أُفْرِمَ مَالِكٌ .

شرح — الشَّرَبَةُ ، بفتح الشين والراء : حَوْضٌ فِي أَصْلِ النَّخْلَةِ حَوْلَهَا ، يُنَالُ مَاءً لَتَشْرَبَ مِنْهُ . وسيأتى الكلام فى هذا الفصل مستوفى إن شاء الله تعالى ، فى الباب بعه .

٩ — ما جاء فى التَّرجُلِ لِلْإِحْرَامِ

وعن عائشة رضى الله عنها : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ تَطَيَّبَ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ^(٢) ، ثُمَّ أَرَى وَبَيْضَ الدُّهْنِ فِي رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ . أُفْرِمَاهُ ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ : أَدَّهَنَ بِأَطْيَبِ دَهْنٍ يَجِدُهُ ، حَتَّى أَرَى وَبَيْضَهُ فِي رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ :
تقدم شرح الوَبَيْصِ .

(١) لما ، مشددة اليم ، بمعنى إلا ، مثلها فى قوله تعالى : « إِنْ كُلُّ نَاسٍ لَّمَّا عَلَيْهِمْ حَافِظٌ » .

(٢) فى ١٥ : نجد . ولعله تحريف .

وعن الحسين بن علي عليهما على السلام : كان إذا أراد أن يُحَرِّمَ اِدَّهَنَ بِالزَّيْتِ ، وكان أصحابه يَدَّهِنُونَ بِالطَّيِّبِ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ما تَرَجَّلَ وَاِدَّهَنَ ، وَاَبْسَ إِزَارَهُ وَرَدَّاهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَلَمْ يَنْهَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَزْدِيَّةِ وَالْأَزْرُ لَيْسَ^(١) إِلَّا الْمَزْعَفَرَةُ ، الَّتِي تَرَدَّعُ عَلَى الْجِلْدِ ، فَأَصْبَحَ بَذَى الْخُلَيْفَةِ ، فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ ، حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الْبَيْدَاءِ ، أَهْلٌ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَذَلِكَ لِحَسْبِ بَقِيْنٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَقَدِمَ مَكَّةَ لِحَسْبِ لَيْالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَةِ . أَضْرَبَ الْبُخَارِيَّ .

سَمِعَ - التَّرَجُّلَ وَالتَّزْجِيلَ : تَسْرِيحَ الشَّعْرِ ، وَتَنْظِيفَهُ وَتَحْسِينَهُ . وَالْمِرْجَلَ وَالْمِسْرَحَ : الْمُسْطَ . وَقَوْلُهُ تَرَدَّعُ عَلَى الْجِلْدِ : أَيْ تَنْفَضُّ صَبْغُهَا عَلَيْهِ . وَنُوبَ رَدِّعٍ : أَيْ مَصْبُوغٍ بِالزَّعْفَرَانِ . وَالْخُلَيْفَةُ وَالْبَيْدَاءُ : تَقَدَّمَ شَرْحُهُمَا فِي بَابِ الْمَوَاقِيتِ . وَقَوْلُهُ « وَذَلِكَ لِحَسْبِ بَقِيْنٍ مِنَ الْقَعْدَةِ : الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ « وَذَلِكَ » : يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِلَى انْطِلَاقِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَتَرْجُلِهِ وَلِبَاسِهِ » ؛ وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَسْبِ بَقِيْنٍ مِنَ الْقَعْدَةِ ، لَا نَرَى إِلَّا أَنَّهُ الْحِجَّ ... الْحَدِيثُ . أَضْرَبَ مُسْلِمٌ . وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ إِلَى رُكُوبِهِ رَاحِلَتَهُ وَاسْتَوَانَهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، وَتَوَجُّهُهُ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ بَاتَ بَذَى الْخُلَيْفَةِ ؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « فَأَصْبَحَ بَذَى الْخُلَيْفَةِ » وَالْإِصْبَاحُ إِذَا كَانَ يَكُونُ بَعْدَ مَمِيتٍ ؛ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ ، بَلِ الْمُتَعَيَّنُ ، وَيَكُونُ خُرُوجُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ لَسَتْ بِبَقِيْنٍ ، وَتَوَجُّهُهُ مِنَ الْخُلَيْفَةِ لِحَسْبِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خُرُوجُهُ لَيْلًا ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مَعَهُ ، الظُّهْرَ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا ، وَالْعَصْرَ بَذَى الْخُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي فَصْلِ الْقِرَانِ ؛ وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنْ الْخُرُوجَ كَانَ نَهَارًا ، وَالتَّزْوِلَ بَذَى الْخُلَيْفَةِ نَهَارًا ، وَأَنَّهُ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ ، فَيَكُونُ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى هَذَا اسْتَبَقِيْنٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَلَوْ كَانَ لِحَسْبِ بَقِيْنٍ لَكَانَ الْخُرُوجُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ ، فَإِنَّهُ صَرَّحَ فِيهِ بِأَنَّهُ صَلَّى الظُّهْرَ

بالمدينة أربعاً ، ولو كان يوم الجمعة لصلى الجمعة ركعتين . وإنما قلنا ذلك لأن الوقفة كانت بالجمعة ، على ما جاء في الصحيح ، وسيأتي ذكره في فصل الوقوف ، فيكون هلال الحجة بالخميس لا محالة ، ويكون آخر القعدة الأربعاء ، ويكون الرابع والعشرون منه يوم الخميس ، والخامس والعشرون يوم الجمعة . وقد دللنا على أنه لا يجوز أن يكون الخروج يوم الجمعة ، فتعين أن يكون يوم الخميس ، وذلك لست بقين ، ولا يجوز أن يكون يوم السبت ، لأنه يكون لأربع بقين ، ولم يروه أحد ، ولا ذهب إليه .

وإذا تقرر ذلك ، فيحمل حديث عائشة على أحد معنيين : أحدهما أنها أرادت بقولها « خرجنا » التوجه من ذي الحليفة ، فإنها لم تقل خرجنا من المدينة ، ولو قالت ذلك أمكن حمله على الخروج من الحليفة ، لقربها منها ، على سبيل التجوز عملاً بالحديثين . وأما ما روى عنها رضى الله عنها : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤافين لهلال ذي الحجة » . أضرهم مسلم وأبو داود ، وذكره ابن حزم ، فهذا يدل على اضطراب حديثها ، فكان العمل بحديث من ليس في حديثه اضطراب أولى . أو نقول : يُحمل الموافاة على المقاربة وإن بعد ذلك ، لكن المصير إليه أولى ، للجمع بين الأحاديث كلها . وإلى هذا ذهب المحققون من أهل العلم بالحديث ، ويزيد ذلك تأييداً وتوكيداً ، مارواه كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقماً كان يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس . وفي رواية عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يخرج يوم الخميس . أضرهمهما البخاري ، والله أعلم .

١٠ - حجة من كره الطيب بما يبق له جرم بعد الإحرام*

عن عائشة قالت : كنت أطيّب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يطوف على نسائه ، ثم يصبّحُ مُحَرِّماً بنضح طيباً . أضرهم . وقد تقدم قبل ذلك ، وتقدم شرح ينضح . ووجه الدلالة فيه ، أنه بعد الغسل لا يبقى له أثر ، وإنما يبقى تخرج الفواح . ونحن نقول : هذا الطيب الذي ينضح ، غير الطيب الذي طيّبته به قبل الطواف على نسائه ،

* هذا الفصل في نسخة م وحدها . وليس في م . ولعل المؤلف حذفه من بعض النسخ اكتفاء .

بما جاء من معناه في فصول الطيب بعد .

كيف وقد صرحت رضى الله عنها بأنها طَيَّبَتْهُ عند إحرامه ، حين أراد أن يُحْرِمَ وهذا يَمْنَعُ من حمله على الطَّيِّبِ قبل الطَّوَّافِ .

وعن يعلى بن أمية : أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل وهو بالجحرانة ، وعليه أثر خُلُقٍ أو صُفْرَةٍ في جُبَّةٍ ، فأمره بفسلها . وسيأتى بعد ذلك إن شاء الله تعالى ^(١) .
وجوابه من وجهين : الأول : أن الأمر بالفسل إنما كان لأجل الخُلُقِ ، وهو طيب فيه زعفران ، فقد نَهَى عن الزعفران ، لا لأنه طيب فقط . والمصير إلى هذا التأويل أولى ، جمعا بين الأحاديث الصحيحة كلها ، وذلك أولى من إسقاط بعضها .

الوجه الثانى : أن هذا بالجحرانة كان قبل حِجَّةِ الوداع بعامين وشهر ، فإن عُمرَةَ الجحرانة كانت بعد فتح مكة بشهرين ، وإنما يؤخذ من أمره صلى الله عليه وسلم بالآخر فالآخر .
وعن عائشة قالت : طَيَّبْتُ النبي صلى الله عليه وسلم لإحلاله ، وطيبته لإحرامه ، طيبا لا يشبه طيبكم هذا . يعنى أنه ليس له بقاء . أضرجه التَّسَانِى .

ونحن نقول بمضمون هذا الحديث ، ونقول : طيبته مع ذلك بما يَرَى وَبَيضُهُ بعد ثلاث ، وبما يبقى أثره ، لما تقدم من الأحاديث الدالة على ذلك ، فوجب المَصِيرُ إلى هذا التأويل ، جمعا بين الأحاديث بقدر الإمكان ، من غير أن يكون بينها تضاد ولا تهافت ^(٢) . والله تعالى أعلم .

١١ — ما جاء فيمن كره الدهن للإحرام

عن عثمان رضى الله عنه ورأى رجلا يريد أن يُحْرِمَ ولم يُحْرِمَ وهو مدهون الرأس : فأمره أن يَفْصِلَ رأسه بالطَّيْنِ . أضرجه سعيد بن منصور .

١٢ — ما جاء في تَلْبِيْدِ الشَّعْرِ للإحرام

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَهْلُ مُلَبِّدًا . أضرجه .

(١) سيأتى حديث يعلى بن أمية بطريقه ، في الفصل الأول من فصول الطيب .

(٢) التهافت : التناقض . والراد التعارض المؤدى إلى السقوط .

وعن حَفْصَةَ أنها قالت : يا رسول الله ، ما بالُ الناس حَلُّوا ولم تَحِلْ أنت من عَمْرَتِكَ؟ فقال : إني لَبَدْتُ رَأْسِي ، وَقَلَدْتُ هَذِي ... الحديث ، وقد تقدم في فصل القرآن .. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لَبَدَ رَأْسَهُ بِالْفِئْسَلِ .
أُضْرِبَ أَبُو دَاوُدَ .

شرح — التلبيد : ضَفَرُ الرَّأْسِ بما يَضُمُّ الشَّعْرَ ، وَيَلْزَقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ التَّمَطُّعِ وَالتَّقَمُّلِ : من غَسَلَ ، أو صَنَعَ ، أو خَطَمِي ، وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ لِمَنْ يَرِيدُ الْحَجَّ ، لأن مدة أعماله تطول ، بخلاف العُمرة ، فإنها تنقضي بالطَّوَّافِ وَالسَّعْيِ ، إِلَّا أَنْ تَطُولَ مَسَافَةُ الْإِحْرَامِ ، فَيُلْتَحَقَ بِمُرِيدِ الْحَجِّ .

١٣ — ما جاء في الصلاة عند إرادة الإحرام

تقدم في باب المواقيت حديث ابن عباس وغيره في ذلك .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يَرْكَعُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ إِذَا اسْتَوَتْ نَاقَتُهُ قَائِمَةً عِنْدَ الْمَسْجِدِ أَهَلَ . أُضْرِبَ .
وقد تقدم من حديث البخاري عنه في فصل القرآن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بَوَادِي الْعَقِيقِ : أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي ، فَقَالَ : صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ رَكَعَتَيْنِ ، وَقُلْ : عُمْرَةٌ فِي حِجَّةٍ .

١٤ — ما جاء في الوقت والحال المستحب للإحرام

تَقَدَّمَ أَحَادِيثُ هَذَا الْفَصْلِ ، وَبَيَانَ الْاِخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ فِي بَابِ الْمَوَاقِيتِ .

١٥ — ما جاء في استقبال القبلة للإهلال

عن نافع قال : كان ابن عمر إذا صَلَّى الْغَدَاةَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَرُحِلَتْ ، ثُمَّ رَكِبَ ، فَلَمَّا اسْتَوَتْ بِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ قَائِمًا ، ثُمَّ يُلَبِّي . أُضْرِبَ الْبُخَارِيُّ .

١٦ — ما جاء في التسبيح والتحميد والتكبير قبل الإهلال

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رَكِبَ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى الْبَيْتِ دَاخَلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ ، ثُمَّ أَهْلَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ، وَأَهْلَ النَّاسَ بِهِمَا . أُضْرِبَ الْبُخَارِيُّ .

١٧ - ما جاء في استحباب الاشتراط في الإحرام

عن عائشة : كانت تقول : اللهم للحج خرجنا ، وله عمدنا ، فإن رضيت فهو الحج ، وإن حال دونه شيء فهو عُمرَةٌ .

وعن عُرْوَةُ قال : قالت عائشة : يا ابن أختي ، هل تشترط ؟ قلت : وما ذاك ؟ قالت : قل اللهم إني أريد الحج إن تيسّر ، وإلا فهو عُمرَةٌ إن تيسّرت . أخبرهما سعيد ابن منصور . وسيأتي في باب الفوات والإحصار حديث ضُبَاعَةَ بنت الزُّبَيْرِ ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لها : اشترطي ، وقولي : محَلِّي حيثُ حَبَسْتَنِي . أخبرهما . وعن إبراهيم قال : كانوا يشترون في الحج ، ويقولون : اللهم تُريد الحج إن تيسّر ، وإلا فَعُمُرَةٌ إن تيسّرت ، وإلا فلا جناح عليّ . أخبرهم سعيد بن منصور .

وعن إبراهيم أيضا أنهم كانوا يكرهون الاشتراط في الحج .
وعن سعيد بن جُبَيْر أنه قال : الشرط وغيره سواء ، إذا أخصر جعلها عُمرَةٌ ؛ وعندنا الحكم كذلك في الخضر بعد . وأما المريض فلا يتحلل إلا بالشرط ، فكان الشرط أولى .

١٨ - ما جاء في استحباب التلبية والإكثار منها

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن مُحَرَّم يُضْحِي يومَهُ يَلْبِي حتى تغيب الشمس ، إلا غابت بذنوبه ، فعاد كما ولدته أمه . أخبرهم ابن ماجه .

شرح - الإضحاء : الظهور للشمس ، واعتزال الظل ، وقد تقدم الحديث وشرحه في الباب الأول . وائس الإضحاء بشرط في حصول هذه المثوبة ، والله أعلم ، وإنما القصد الإكثار من التلبية . وقوله « يُضْحِي يومَهُ » : مثل قوله : ظَلَّ يومه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أهل مهَل قط إلا بُشّر ، ولا كبرم ككبر قط إلا بُشّر . قيل : يابني الله ، بالجنة ؟ قال : نعم . حديث غريب من حديث سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبي هريرة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى التَّلبِية : هى زينة الحج . وعن إبراهيم
كان يقول : أَكثِرُوا مِنَ التَّلبِية ، فإنها زينة الحج . أخرجهما سعيد بن منصور .
وعن محمد بن المنكدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من التَّلبِية .
أخرجه الشافعى والبيهقى .

١٩ - ما جاء فى استحباب رفع الصوت بها

عن خلاد بن السائب الأنصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
أتانى جبريل فأمرنى أن آمرَ أصحابى أن يرفعوا أصواتهم بالإِهلال ، أو قال : بالتَّلبِية .
أخرجه الترمذى ، وقال : حسن صحيح . وأبو داود ، وزاد : يريد أحدهما . وأخرجه مالك
بزيادته . وأخرجه أحمد ، وقال : بالتَّلبِية ، وزاد : فإنها من شعائر الحج .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أمرنى جبريل
برفع الصوت بالإِهلال ، وقال : إنه من شعائر الحج . أخرجه أحمد وأبو ذر .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن جبريل
أتانى ، فأمرنى أن أعلن بالتَّلبِية . أخرجه أحمد .

وعن زيد بن خالد الجهنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءنى
جبريل فقال : يا محمد ، مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتَّلبِية ، فإنها^(١) من شعائر الحج .
أخرجه ابن ماجه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعهم يصرخون بهما جميعا ؛ يعنى الحج والعُمْرة .
أخرجه البخارى .

وعن خلاد بن السائب أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم قال : كن بحاجا
بحاجا . والعَج : التَّلبِية . والنَّج : نَحْرُ البُدن . أخرجه أحمد .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل :
أى الحج أفضل ؟ فقال : العَجُ والنَّجُ . أخرجه الترمذى وابن ماجه وأبو ذر .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
مَنْ الْحَاجُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فقال : الشَّعْثُ^(١) : الثَّغْل . فقام آخر فقال : يا رسول الله ،
أَيُّ الْحِجَةِ أَفْضَلُ ؟ فقال : الْعَجُّ وَالنَّجُّ . أَفْرَمُهُ أَبُو ذَرٍّ .

شرح — الثَّغْل : الذى يترك التنظف والتطيب ، مِنْ الثَّغْل ، الريح الكريه .
والعَجُّ : رفع الصوت بالتلبية . والنَّجُّ : إِسَالَةُ الدِّمَاءِ .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن
مسلم يُبَلِّى إِلَّا لَبَّى إِلَّا لَبَّى مِنْ عَن يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ : مَنْ حَجَرَ أَوْ شَجَرَ أَوْ مَدَرَ ، حَتَّى يَنْقَطِعَ
الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا . أَفْرَمُهُ ابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو ذَرٍّ .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة أصوات يُبَاهَى
اللهُ عز وجل بهن الملائكة : الأَذَانُ ، والتكبير فى سبيل الله عز وجل ، ورفع الصوت
بالتلبية . حديث غريب من حديث أبى الزُّبَيْرِ الْمَكْنَى ، عن جابر .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يرفع صوته بالتلبية ، حَتَّى يُسْمَعَ دَوَى
صَوْتِهِ مِنَ الْجِبَالِ .

وعن أبى حازم ، قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُخْرِمُوا
لَمْ يَبْلُغُوا الرُّوحَاءَ حَتَّى تَبِجَ^(٢) أَصْوَاتُهُمْ . أَفْرَمُهُمَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فَمَا بَلَّغْنَا الرُّوحَاءَ حَتَّى سَمِعْنَا غَمَّةَ النَّاسِ وَقَدْ بَحَّتْ أَصْوَاتُهُمْ .

وعن أَنَسٍ مِثْلُهُ . أَفْرَمُهُمَا الْبَيْهَقِيُّ . وَخَرَجَ أَيْضًا حَدِيثُ أَبِي حَازِمٍ .

رفع الصوت عندنا بالتلبية مشروع فى المساجد وغيرها . وقال مالك : لا يرفع الصوت
بها فى مساجد الجماعات ، بَلْ يُسْمِعُ نَفْسَهُ وَمَنْ يَلِيهِ ، إِلَّا فى مسجد مِئَةِ وَالْمَسْجِدِ^(٣)
الْحَرَامِ ، فَإِنَّهُ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِيهَا ، وَهُوَ قَوْلٌ قَدِيمٌ لِلشَّافِعِيِّ ، وَزَادَ مَسْجِدَ عَرَفَةَ .

(١) الشعث : الذى تغبر شعره وتلبد ، لفلة تمهده بالدهن .

(٢) البجة : غلظة فى الصوت وخشونة . يقال : بَجَّ بَيْحٌ ، بفتح الباء فهما ، فهو أْبَجَّ .

(٣) كذا فى الأصل . ولعله : والمسجد الحرام ، أى ومسجد المشعر الحرام .

لأن هذه المساجد تختص بالنسك ، ورفع الصوت بها مُسْتَحَبٌّ عند الجمهور ، وأوجبهُ أهل الظاهر ، لظاهر الأحاديث المتضمنة له .

٢٠ - ما جاء في كراهة ذلك للمرأة

عن عطاء قال : يرفع الرجال أصواتهم بالتلبية ، وأما المرأة فإنها تسمع نفسها ، ولا ترفع صوتها .

وعن سليمان بن يسار في المرأة مثله . أخرجهما سعيد .

٢١ - ما جاء فيمن كره ذلك بين البيوت

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يُلبّي بين أبيات المدينة ، فقال : إن هذا لأحق ؛ إنما التلبية بعد ما يبرُز . أخرجه أبو ذر .

٢٢ - ما جاء في كيفية التلبية

تقدّم في صفة حجّ النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر الطويل طرف من ذلك . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يهَلِّ مُبَدِّداً ، يقول : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ لا شريك لكَ لَبَّيْكَ . إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . لا يزيد على هؤلاء الكلمات . أخرجهما .

وعنه ، أنه كان يزيد عن^(١) هذا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، والخير بيدك ليبيك ، والرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ والعمل . ورواه ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أהלّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر التلبية مثل حديث ابن عمر ؛ قال : والناس يزيّدون : ذا المارج ، ونحوه من الكلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ، فلا يقول لهم شيئاً . أخرجه أبو داود وابن ماجه .

(١) كذا في ق ، م . والمعروف أن زاد يتعدى بـ يلى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : من تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ . أُنْهَرِمَ أَحَدُ النَّسَائِيَّ وَالِدَارَقُطَانِي . وقال : أَلَيْسَ إِلَهَ الْحَقِّ لَبَّيْكَ .
وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يزيد على تليته ، وسمع من أصحابه
من عن يمينه وشماله ، فلا ينكر عليهم . أُنْهَرِمَ أَبُو ذَرٍّ .

وعن أنس رضى الله عنه أنه أَمَلَّ من العميق ، فكان يقول فى تليته : لبيك
بمَجِّ تعْبُدًا وِرْقًا . وفى رواية : لَبَّيْكَ حَجًّا ، تعْبُدًا وِرْقًا . أُنْهَرِمَهُمَا أَبُو ذَرٍّ الْمَرْوِيُّ .
وعن عُثْمَانُ بْنُ سَاجٍ ، قال : أَخْبَرَنِي صَادِقٌ ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : لَقَدْ مَرَّبَجْتُ الرِّجْلَيْنِ سَبْعِينَ نَبِيًّا ، تَلِيَتُهُمْ شَيْئًا ، مِنْهُمْ يُؤَسُّ بْنُ مَتَّى ، فَكَانَ يُنْسِ
يقول : لَبَّيْكَ فَرَّاجَ الْكَرْبِ لَبَّيْكَ . وَكَانَ مُوسَى يَقُولُ : لَبَّيْكَ ، أَنَا عَبْدُكَ لَدَيْكَ ،
لَبَّيْكَ . قال : وتلبية عيسى : أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ أُمِّتِكَ بِنْتُ عَبْدِكَ ، لَبَّيْكَ . أُنْهَرِمَ الْأَزْرَقِيُّ .
وعن ابن مسعود أَنَّهُ لَبَّى غَدَاةَ جَمْعٍ ، فَقَالَ النَّاسُ : مَنْ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ ؟ فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ : لَبَّيْكَ عَدَدَ الْحَصَى وَالتَّرَابِ . ثُمَّ قَالَ : مَا بَالُ النَّاسِ ... الْحَدِيثُ . وَسَيَأْتِي
فِي فَصْلِ الْإِفَاضَةِ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ .

وعن الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَبَّيْكَ غَفَّارَ الذُّنُوبِ لَبَّيْكَ . أُنْهَرِمَ
سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ سَعْدَ رَجُلًا يَقُولُ : لَبَّيْكَ ذَا الْمَعَارِجِ .
فَقَالَ : إِنَّهُ لَذُو الْمَعَارِجِ ، وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقُولُ ذَلِكَ .
أُنْهَرِمَ الشَّافِعِيُّ . وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَأَحِبُّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى تَلْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ زَادَ شَيْئًا فِيهِ تَعْظِيمَ اللَّهِ ، فَلَا بَأْسَ ، كَمَا زَادَ ابْنُ عَمْرٍ .

سُرْعَ — قوله « لَبَّيْكَ » : هو مصدر مثنى للتكثير والمبالغة ؛ ومعناه : إجابة بعد
إجابة ، ولزوما للطاعة . وتنبهت للتوكيد ، لانتزاع حقيقة . قال ابن الأنباري : تَنَوَّاهُ لَبَّيْكَ
كَأَنَّهُ حَتَانِيكَ ، أَيْ تَحْنُنُنَا بَعْدَ تَحْنُنٍ . وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ :
لَبَّيْكَ اسْمٌ مُفْرَدٌ ، وَقَلْبَتُ أَلْفِهِ لَا تَصَالُهَا بِالضَّمِيرِ عَلَى حَدِّ لَدَى . وَطَلَّ مَذْهَبُ سَيَبَوِيهِ أَنَّهُ

مُعْنَى، بدليل قلبها مع المظهر، وأكثر الناس عليه؛ قال الزَّخَّشَرِيُّ في الفائق: معنى كَبَيْتُكَ: أَى دَوَّامًا عَلَى طَاعَتِكَ، وإقامة عليها مرة بعد أخرى، من أَبَّ بِالْمَكَانِ وَأَلَبَّ: إِذَا أَقَامَ بِهِ، ولم تستعمل إلا على لفظ التنية في معنى التكرير، أَى إجابة بعد إجابة. وهو منصوب على المصدر للتكرير، ولا يكون عامله إلا مُضْمَرًا، كأنه قال: أَلَبَّ إِلْبَابًا بَعْدَ إِلْبَابٍ. والتَّلْبِيَةُ: مِنْ كَبَيْتُكَ، بمنزلة التهليل من لا إله إلا الله. قال الخليل: هى من قولهم دار فلان تَلْبُ دارى، أَى تواجهها، فيكون معناه: اتجأى وقصدى إليك يارب، مرة بعد أخرى، وقيل هى من قولهم حَسَّبَ لُبَابٌ: إِذَا كَانَ خَالصًا مُخْضًا، ومنه لُبُّ الطَّعَامِ وَلُبَابُهُ، فعلى هذا معناه: إخلاصى لك يارب مرة بعد أخرى؛ وقيل: هو من الإلباب: القُرْبُ، أَى قَرَبى منك. وقيل هو من قولهم أَنَا مُلَبٌّ بَيْنَ يَدَيْكَ: أَى خَاضِعٌ. وقيل: من قولهم امْرَأَةٌ أَبَّيَّةٌ، أَى مُحِبَّةٌ لَوْلَاهَا، أَى مُحِبَّةٌ لَكَ. قوله «إِن الْحَمْدُ»: رَوَى بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، قال نعلب: والاختيار الكسر، لما فى الفتح من إيهام التعليل والتخصيص، وفى الكسر من التعميم. وقوله «والنعمة» يجوز فيه النصب على العطف، والرفع على الابتداء، والخبر محذوف، تقديره: لك. قوله «وسعديك»: حكمها حكم لببك. قال الجَرْمِيّ: لَمْ يُسْمَعْ سَعْدِيكَ مُفْرَدًا، وهو من المصادر المنصوبة بفعل مُضْمَرٌ، ومعناه: ساعدتُ طَاعَتَكَ مُسَاعِدَةً بَعْدَ مُسَاعِدَةٍ، وإسعادا بعد إسعاد. قوله «والرغباء»: بفتح الراء والمد، وضما والقصر؛ ونظيره النعماء والنعمى، مِنَ النِّعْمَةِ، والعَلْيَاءُ والعَلَمِيَا. وحكى أبو على الفتح والقصر، نحو سَكَرَى، ومعناه: الطاب والمسألة، أَى الرِّغْبَةُ إِلَى مِنْ بِيَدِهِ الْخَيْرِ، وهو المقصود بالعمل. قوله «ذا المعارج»: قيل: معارج الملائكة إلى السماء، وقيل ذوا المعارج: ذوا العظمة والعلاء، وقيل منازل الملائكة. وقد اختلف أهل العلم فيما ينعقد به الإحرام، فعندنا بمجرد النية، وبه قال مالك وأحمد. وقال الزُّبَيْرِيُّ من أصحابنا: لا ينعقد إلا بالنية والتلبية. وقال ابن المنذر: لا بُدَّ مِنَ النِّيَّةِ والقول، إما التلبية، أو بقول: اللهم إنى أهل بكذا؛ لا يكون مُحَرِّمًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ والقول كالصلاة. وقال أبو حنيفة: لا ينعقد إلا بالنِّيَّةِ والتَّلْبِيَةِ، أو بسوق الهدى، وعنده التلبية واجبة، يجب بتركها دم، وَيَسْتَدِلُّ بِحَدِيثِ خَلَادٍ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى

أمرني أن آمر أصحابي .. الحديث . وقد تقدم في فصل رفع الصوت بالتلبية . ويلزم عليه أن يكون الرفع واجبا . وعن عطاء أنه قال : فرض الحج التلبية . أخرجه سعيد بن منصور .

٢٣ — ما جاء في بدء التلبية

عن مجاهد قال : لما قيل لإبراهيم : « أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا » قال : يارب ، كَيْفَ أَقُولُ ؟ قال : قل : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا رَبَّكُمْ ، فَصَعِدَ الْجَبَلُ ، فَنَادَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَجِيبُوا رَبَّكُمْ . فَأَجَابُوهُ : كَلْبَيْكَ اللَّهُمَّ كَلْبَيْكَ : فكان هو أهل التلبية .

وعن وهب بن كيسان قال : سمعتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ : لما أمر الله عز وجل إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج ، استقبل المشرق ، فدعا إلى الله ، فأجيب : لبيك لبيك ، ثم استقبل المغرب فدعا فأجيب : لبيك لبيك ، ثم استقبل الشام فدعا ، فأجيب : لبيك لبيك ، ثم استقبل اليمن فدعا فأجيب : لبيك لبيك . أخرجهما أبو الفرج في مثير الغرام . في هذا الحديث مضادة لما تضمنه الحديث في فصل حج إبراهيم ، من أنه لما دعا بدأ بشق اليمن ، ويجوز أن يكون تكرر منه النداء ، فبدأ مرة بشق اليمن ، ومرة بالمشرق . وكذلك يُحْمَلُ ما تضمنه الحديث الأول أنه صعد على الجبل ، وما تضمنته الأحاديث المتقدمة أنه علا على المقام ؛ على تكرر النداء ، أو يكون أطلق على المقام جبلا حين عظم ، على ما تضمنته الأحاديث المتقدمة . وقد تقدمت أحاديث هذه القصة في باب حج إبراهيم عليه السلام ، وفي باب وجوب الحج .

وعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ : بلغني عن بدء التلبية أن الله عز وجل أوحى إلى إبراهيم في شأن البيت ، وكان غرق زمن الطوفان وبقي أساسه ، فأمر أن يتبع سحابة ، وكأذا كلما نودي منها يا إبراهيم يتي بيتي ، قال : لبيك لبيك . أخرجه علي بن حرب الطائى .

٢٤ — ما جاء في انعقاد الإحرام بمجرد النية ؛ وكراهية تسمية النسك في التلبية

عن جابر رضى الله عنه قال : ما سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلبيته قط حجا ولا عمرة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاندكر حجا ولا عمرة . **أُضْرِبْ سَهْمَا الْبَيْهَقِ .**
وعن نافع قال : ما رأيت ابن عمر يسمي في إحرامه حجا قط ولا عمرة .
وعن ابن عمر : قال لا يضر المحرم ألاَّ يُسمي حجا ولا عمرة ، يكفيه من ذلك نيته ، إن نوى حجا فهو حج ، وإن نوى عمرة فهو عمرة . **أُضْرِبْ سَعِيدَ بْنِ مَنْصُورٍ .**
وعنه أنه كان إذا سمع بعض أهله يسمي حجا : يقول ، لبيك بحج ، صك في صدره وقال : **أَتَعْلَمُ اللَّهُ بِمَا فِي صَدْرِكَ^(١) .** **أُضْرِبْ الْبَيْهَقِ وَسَعِيدَ** وقال : **أَتَعْلَمُ اللَّهُ بِمَا فِي نَفْسِكَ .**
وعنه وسئل : أنتكلم بالحج والعمرة ؟ فقال : أنبئوني الله بما في قلوبكم ؟ زاد في رواية : إنما هي نية أحدكم .
وعن طاووس وإبراهيم مثل قول ابن عمر . وعن مجاهد كذلك . **أُضْرِبْ سَعِيدَ** ابن منصور .

٢٥ - ذكر حُجَّةٍ من استحبَّ ذكر النسك في التلبية

تقدّم عن أنس في فصل كيفية التلبية ما يدل عليه .
وعنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا . **أُضْرِبْ** .
وعنه قال : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول . **أَبَيْتُكَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ .** **أُضْرِبْ** الترمذي ، وقال حسن صحيح .
وعنه وقيل له : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلب ؟ فقال : سمعته سبع مرار : بعُمْرَةٍ وَحِجَّةٍ ، بعُمْرَةٍ وَحِجَّةٍ . **أُضْرِبْ أَحْمَدَ .** قال البيهقي : وروينا عن أبي نضرة عن جابر وأبي ساعد : قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرُخ بالحج صُرَاخًا . وفي رواية مجاهد عن جابر : ونحن نقول **لَبَيْتُكَ بِالْحَجِّ** ؛ فَأَمَرَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلناها عُمْرَةً . قال : وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَأُونَ بِأَنَّهُمْ يَحْجُّونَ

(٢) كذا في م . وفي هـ : نفسك .

لأعند التلبية ، ثم إنهم بعد ذلك يُلبُّون وينوُّون الحج ، فكانت تليبتهم بالحج على هذا المعنى . ويَحْتَمَلُ أن يكون كان بعضهم يسميه ، وبعضهم لا يسميه .

قلت : وكلاهما خلاف الظاهر ، بل الظاهر من هذا اللفظ ذكر النُّسك في التلبية . وقد اختلف أصحابنا في استحباب ذكر النُّسك في التلبية ، فمنهم من استحبه لظاهر هذه الأحاديث ، ومنهم من قال : لا يُسْتَحَبُّ ، لما تقدم في الفصل قبله . وهذا الاختلاف والله أعلم في غير التلبية الأولى ، التي تكون عند عقْد الإحرام ، أما تلك فالظاهر استحباب ذكر النسك فيها ، قولاً واحداً ؛ وعلى ذلك يُحْمَلُ ما ورد من الأحاديث ؛ على أن أحاديث ابن عمر تعم الأولى وغيرها .

٢٦ — ما جاء في استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ،

والدعاء عَقِيبَ التلبية

عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، أنه قال : يُسْتَحَبُّ للرجل إذا فرغ من تليبته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم . أضر به الدارقطني وأبو ذر . وعن خزيمة بن ثابت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان إذا قرَّع من تابيته يسأل الله رضوانه والجنة ، واستغنى برحمته من النار . وفي رواية : واستعاذ برحمته من النار . أضر به الشافعي في سننه ، والدارقطني . وأضر به البيهقي ، وقال : سأل الله مغفرته ورضوانه ، واستغنى برحمة من النار .

٢٧ — ما جاء من أحوال جرت لبعض الخائفين عند التلبية

عن علي بن الحسين أنه حج ، فلما أحرم واستوت به راحلته ، اصفرَّ لونه وارتمع ، ولم يستطع أن يلبِّي ، فقيل : مالك لا تأتي ؟ فقال : أخشى أن يقول لي : لا تلبِّيك ولا سَعْدِيكَ . فلما لبَّى غَشِيَ عليه .

وعن جعفر الصادق أنه حج ، فلما أراد أن يلبِّي تغيَّر وجهه ، فقيل : مالك يا ابن رسول الله ؟ فقال : أريد أن ألبي ، فأخاف أن أسمع غير الجواب .

وعن أحمد بن أبي الخوارى قال : كنت مع أبي سليمان الدّراني حين أراد أن يُحْرِم ، فلم يلبّ حتى سرنا ميلا ، ثم غشي عليه ، فأفاق وقال : يا أحمد ، أوحى الله عز وجلّ إلى موسى عليه السلام : مرّ ظلمة بنى إسرائيل لا يذكروني ، فإني أذكركم من ذكرني منهم باللعنة : ويحك يا أحمد ! بلغني أن من حجّ من غير حلّه ، ثم لَبّى ، قال الله عز وجلّ : لا تَبَيْتَكَ ولا سَعَدَيْكَ ، حتى تردّ ما في يديك .

وعن ابن الجلاء ، قال : كنتُ بذى الحليفة وشاب يريد أن يُحْرِم ، فكان يقول : ياربّ ، أريد أن أقول لَبَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَبَيْتَكَ ، فأخشي أن تجيئني بلا لَبَيْتِكَ ولا سَعَدَيْكَ . يُردّد ذلك مرارا . ثم قال لَبَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَبَيْتَكَ ^(١) . مدّ ^(٢) بها صوته ، وخرجت روحه . أخرج جميع ذلك الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام .

٢٨ — ما جاء في المواطن التي تُستحبُّ فيها التلبية

عن سليمان بن خيثمة قال : كان أصحاب عبد الله يُكَبُّون إذا هبطوا واديا ، أو أشرفوا على أكمة ، أو لقوا رَكبا ، وبالأشجار ، ودُبُر الصَّلوات .

وعن إبراهيم قال : تستحب التلبية في مواطن : إذا استويت على بعيرك ، وإذا صعدت شرفا ، أو هبطت واديا ، أو لقيت رَكبا ، وفي دُبُر كل صلاة ، وبالأشجار .
تقدم شرح الشرف في باب المواقيت .

وعن عطاء سئل : أيتدى الرجل التلبية إذا ركب ، أو يقول : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ » . فقال : يبدأ بِسُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وما كنا له مُقْرِنِينَ . أخرج الجميع سعيد بن منصور .

ومعنى مُقْرِنِينَ : أى مُطيقين . تقول : أقرن الرجلُ للشيء إذا أطاقه . وقيل مماثلين ، من القِرْن في القتال ، وهو المثل . أو من المقارنة في السير .

(١) ليك الثانية : أيست في رواية مثير الغرام . (٢) كذا في مثير الغرام . وفي الأصلين : يمد .

وعن عبد الرحمن بن سابط ، قال : كان سَلَفُنَا لَا يَدْعُونَ التَّلْبِيَةَ عِنْدَ أَرْبَعٍ :
عِنْدَ اصْطِدَامِ الرَّفَاقِ ، وَعِنْدَ إِشْرَافِهِمْ عَلَى الشَّيْءِ ؛ وَهُبُوطِهِمْ مِنْ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ ، وَعِنْدَ
الصَّلَاةِ إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا . أَضْرَبَهُ الشَّافِعِيُّ ، وَقَالَ : كَانَ السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ التَّلْبِيَةَ فِي هَذِهِ
الْمَوَاطِنِ ، وَفِي الْأَسْحَارِ ، وَفِي اسْتِقْبَالِ اللَّيْلِ ، وَنَحْنُ نَسْتَحِبُّهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ :

٢٩ - مَا جَاءَ فِيهَا إِذَا رَأَى شَيْئًا مَعْجِبًا قَالَ : لَبَّيْكَ إِنْ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَمَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ ، فَلَمَّا انْبَعَثَ بِهِ
رَاحِلَتُهُ لَبَّى وَتَحْتَهُ قُطَيْفَةٌ مَاتَسَاوَى دَرَاهِمِينَ ، فَلَمَّا رَأَى كَثْرَةَ النَّاسِ ، رَأَيْتُهُ تَوَاضِعَ فِي رَحْلِهِ ،
وَقَالَ : لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ . أَضْرَبَهُ أَبُو ذَرٍّ .

الحديث وشرحه تقدما في آخر الباب الأول من الكتاب .

وعَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ : نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَهُ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ ،
فَقَالَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، إِنْ الْخَيْرُ خَيْرُ الْآخِرَةِ . أَضْرَبَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

٣٠ - مَا جَاءَ فِيهِمْ رَأَى التَّلْبِيَةَ لِمَنْ لَمْ يُحْرَمِ مَوَافِقَةَ الْمُحْرَمِينَ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ ضَيْعَتِهِ الَّتِي دُونَ الْقَادِسِيَّةِ ، فَلَقِيَ قَوْمًا يُلَبُّونَ
عِنْدَ النَّجَفِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَبَّيْكَ عِدَدَ التَّرَابِ لَبَّيْكَ . أَضْرَبَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ :

٣١ - مَا جَاءَ أَنَّهُ يَسْتَدِيمُ التَّلْبِيَةَ فِي الْحُجِّ إِلَى أَنْ يَرْمِيَ جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَسَامَةَ كَانَ رِذْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ ، ثُمَّ أُرْدِفَ الْفَضْلُ مِنَ الْمَزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى . قَالَ : فَكَلَاهُمَا قَالَ :
لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ . أَضْرَبَهُ النَّسَائِيُّ
مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَعَنْهُ أَنَّهُ حَبَّجَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِحْدَى عَشْرَةَ حِجَّةً ، فَكَانَ عُمَرُ يَلْبِي حَتَّى يَرْمِيَ
جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ .

وعنه قال : سَمِعْتُ عَمْرَ بْنَ يَهُيْلَ بِالْمَزْدَلِيَّةِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فِيمَ الْإِهْلَالُ : فَقَالَ : وَهَلْ قَضَيْنَا نُسُكَنَا بَعْدَ ؟ وَفِي رِوَايَةٍ : يَهُيْلٌ عِنْدَ الْجَمْرَةِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا تَقْدُمُ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَلْبِي أَوْ يَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ .

وَعَنْ كُرَيْبِ بْنِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أُرْسِلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ مَعَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَانْبَعَثَ يَقُودُ بِهَا ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهَا تَلْبِي حَتَّى رَمَتِ الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الْعَقَبَةِ . وَعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَخَارِجَةَ وَعَطَاءَ وَطَاوُوسَ ، أَنَّهُمْ كَانُوا يُتْلَبُونَ حَتَّى يَرْمُوا جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ . أَضْرَجَ الْجَمْعُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَ بَعْدَهُمْ ، أَنَّ الْحَاجَّ لَا يَزَالُ يُتْلَبُ حَتَّى يَرْمِيَ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا ، غَيْرَ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ يَقْطَعُهَا مَعَ أَوَّلِ حَصَاةٍ ، وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ . وَقَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ يَلْبِي حَتَّى يَرْمِيَ الْجَمْرَةَ جَمِيعَهَا ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا . وَقَالَ مَالِكٌ : يَلْبِي حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا . وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَعَائِشَةَ ، وَسَيِّئَاتِي ذَكَرَهُ عَنْهُمَا . وَقَالَ الْحَسَنُ : إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ قَطَعَهَا ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَذْهَبِ ابْنِ عُمَرَ ، وَسَيِّئَاتِي ذَكَرَهُ ، وَلَهُ وَجْهٌ مُنَاسِبٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّلْبِيَةَ إِجَابَةٌ إِلَى مَا يُدْعَى إِلَيْهِ ، فَإِذَا بَلَغَ عَرَفَةَ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي مَطْلَبِ الْحَاجَّ ، فَإِنَّ إِدْرَاكَ الْوُقُوفِ بِدُرِّكَ الْحِجِّ ، فَيَقْطَعُ التَّلْبِيَةَ .

٣٢ - ذَكَرَ حُجَّةً مِنْ قَالَ : يُمْسِكُ عَنِ التَّلْبِيَةِ إِذَا دَخَلَ الْحَرَمَ

وَيَقْطَعُهَا إِذَا تَوَجَّهَ إِلَى عَرَفَةَ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ التَّلْبِيَةَ فِي الْحِجِّ إِذَا انْتَهَى إِلَى الْحَرَمِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ثُمَّ يَلْبِي حَتَّى يَبْذُوهُ مِنْ مَنَى إِلَى عَرَفَةَ ، فَإِذَا غَدَا تَرَكَ التَّلْبِيَةَ . أَضْرَجَ مَالِكٌ ، وَأَضْرَجَ أَبُو ذَرٍّ . قَالَ : وَإِذَا رَكِبَ مِنْ مَنَى غَادِيًا إِلَى عَرَفَةَ تَرَكَ الْإِهْلَالَ حَتَّى يَقْضَى حَجَّهُ .

وعنه أنه كان إذا دخل أذن الحرام أمسك عن التلبية ، ثم بيت بذي طوى .
أُخرجه البخاري .

٣٣ — مجاء في التلبية في الطواف

عن إبراهيم وقد قيل في مجلسه : إذا قدم الحاج أمسك عن التلبية مادام يطوف ،
فقال إبراهيم : لا ، بل يابى قبل الطواف ، وفي الطواف ، وبعد الطواف ، ولا يقطعها
حتى يرمى جرة النعبة . أخرجه سعيد بن منصور .

٣٤ — حجة من قال إنما يقطعها إذا راح إلى الوقوف بعد الزوال ، وهو قول للمالك
عن عليّ عليه السلام قال : كان يُلبّي في الحج ، حتى إذا زاغت الشمس من
يوم عرفة قطع التلبية .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها كانت تترك التلبية إذا راحت إلى الموقف .
أُخرجهما مالك . وروى ذلك عن ابن عمر أيضا . أخرجه سعيد بن منصور .

٣٥ — مجاء متى يقطع التلبية في العمرة

عن ابن عباس يرفع الحديث ، أنه كان يُمسك عن التلبية في العمرة إذا استلم
الحجر . أخرجه الترمذي ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه الدارقطني عنه ، ولفظه :
لا يُمسك المُعتمر عن التلبية حتى يفتتح الطواف .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يُلبّي المُقيم أو المُعتمر ، حتى يستلم الحجر .
أُخرجه أبو داود^(١)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُمسك عن التلبية في العمرة إذا استلم الحجر .
أُخرجه أبو ذر .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه لبّى في العمرة حتى استلم الحجر . أخرجه
الشافعي والبيهقي وتمام الرازی .

(١) هذا الحديث ساقط من م . وليس في لفظ أبي داود : (المقيم) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمرَ ، كلَّها في ذى القعدة ، يابى حتى يستلم الحجر . أخرجه أحمد . وهذا قول أكثر أهل العلم ، أنَّ المعتمر يابى حتى يفتتح الطَّواف . قال ابن عباس : يابى المعتمر إلى أن يفتتح الطواف مُسْتَلِمًا وغير مُسْتَلِم ، وبه قال الثَّوْرِيّ والشافعي وأحمد وإسحاق .

٣٦ — ما جاء فيمن لبى بعد ذلك

عن عبد الله بن مسعود أنَّه كَبى في عمرة على الصَّفا بعد ما طاف بالبيت . أخرجه الشافعي ، قال : وليسوا يقولون بهذا ، ولا أحد من الناس علمناه ، وإنما اختلف الناس ، فمنهم من يقول : يَقْطَعُ التَّلبِيَةَ في العُمرة إذا دخل الحرم ، وهو قول ابن عمر . ومنهم من يقول : إذا استلم الركن ، وهو قول ابن عباس ، وبه نقول ويقولون هم أيضا ، فأما بعد الطواف بالبيت فلا يابى أحد . أوردَهُ إِيْزَامًا للعَرَّاقِيَيْنِ فيما خالفوا فيه عبد الله بن مسعود .

٣٧ — حُجَّة من قال يقطعها إذا دخل الحرم

تقدم حديث البخاريّ عن ابن عمر ، وهو عامٌّ في الحجِّ والعُمرة . وعنه أنه كان يترك التَّلبِيَةَ في العُمرة إذا دخل الحرم . أخرجه مالك وسعيد ، وزاد : وكان ابن عباس لا يقطعها حتى يستلم الحجر .

وعن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ مثل قول ابن عمر . أخرجه البَغَوِيّ في شرح السُّنَّة . وروى عن عطاء أنه قال يابى المعتمر حتى يرى عُرُوشَ مكة ، وهذا قول ثالث غير قوليهما . وهذا الاختلاف في الروايات ، منه نَشَأَ اختلاف العلماء ، وعندنا لا يقطعها إلا باستلام الحجر ، مبتدئًا بطواف العُمرة ، وبالرمي في الحج ، كما تقدم تقريره . وقال مالك فيمن أحرَمَ بالعُمرة من بعض المواقيت : إنه يقطعها إذا انتهى إلى الحرم ، ومن أحرَمَ من التَّنْعِيمِ يقطعها حين يَرى البيت .

شرح — عُرُوشُ مكة : بيوتها ، جمع عَرِيش ، ويجمع على عُرُش ، ومنه الحديث :

تَمَتَّنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاوِيَةَ كَافِرًا بِالْعُرْشِ . يَعْنِي أَنَّهُمْ تَمَتَّعُوا قَبْلَ
إِسْلَامِ مُعَاوِيَةَ . وَقِيلَ أَرَادَ مَخْتَفِيًا فِي الْبُيُوتِ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ .

٣٨ — مَا جَاءَ فِي كِرَاهِيَةِ ضَرْبِ الْخَادِمِ فِي الْإِحْرَامِ

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّاجًا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْعَرَجِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَزَلْنَا ،
فَجَلَسَتْ عَائِشَةُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَلَسْتُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ ،
وَكَانَتْ زَمَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَمَالَةَ أَبِي بَكْرٍ وَاحِدَةً ، مَعَ غُلَامٍ لِأَبِي بَكْرٍ ،
فَجَلَسَ أَبُو بَكْرٍ يَنْتَظِرُ أَنْ يَطْلُعَ الْغُلَامُ ، فَطَلَعَ وَلَيْسَ مَعَهُ بَعِيرُهُ ، فَقَالَ أَيْنَ بَعِيرُكَ ؟
قَالَ : أَضَلَّتْهُ الْبَارِحَةُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَعِيرٌ وَاحِدٌ تَضِلُّهُ ؟ قَالَ : فَطَفِقَ يَضْرِبُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّبِعُهُ وَيَقُولُ : انظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُحْرَمِ مَا يَصْنَعُ ؟ فَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَقُولَ : انظُرُوا إِلَى هَذَا الْحَرَمِ مَا يَصْنَعُ وَيَتَّبِعُهُ . أَمْرُهُ الْإِمَامُ
أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه .

وَلَوْ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى إِبَاحَةِ ضَرْبِ الْخَادِمِ لِلتَّأْدِيبِ لَسَاغَ ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ بَوَّبَ أَبُو دَاوُدَ ،
وَأَمْرُهُ الْمَلَأُ مُسْتَوْفَى . وَلَفْظُهُ : عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ إِنْ عِنْدِي بَعِيرًا نَحْمَلُ عَلَيْهِ زَادًا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَذَلِكَ
إِذَنْ . قَالَ : وَكَانَتْ زَمَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَمَالَةَ أَبِي بَكْرٍ وَاحِدَةً ، وَأَمْرُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرَادٍ دَقِيقٍ وَسَوِيقٍ ، فُحِمِلَ عَلَى بَعِيرِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ لِأَبِي
بَكْرٍ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ عُقْبَةُ ، فَقَالَ لَهُ : ارْكَبْهُ ، قَالَتْ : فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْأَثَايَةِ ، عَرَّسَ الْغُلَامُ ، وَأَنَاخَ الْبَعِيرَ ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ ، فَقَامَ الْبَعِيرُ يَجُرُّ خِطَامَهُ ، آخِذًا
فِي الشَّعْبِ ، فَانْقَبَ الْغُلَامُ ، فَقَامَ يَطْلُبُهُ ، آخِذًا عَلَى طَرِيقِ يَظُنُّ أَنَّهُ سَلَسَكُمَا ، وَهُوَ يَنْشُدُهُ ،
فَلَا يَسْمَعُ لَهُ بَذَكَرَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَرَجِ ، فَنَجَّاهُ الْغُلَامُ مُظْهِرًا : فَقَالَ
أَبُو بَكْرٍ لِلْغُلَامِ : أَيْنَ بَعِيرُكَ ؟ فَقَالَ : ضَلَّ مِنِّي ، قَالَ : وَيَحْتَمِلُ ! لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَا لَهَانَ

على الأمر ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قام أبو بكر بالسَّوْطِ إلى الغلام ، بضربه ويقول : بعير واحد يَصِلُ منك ! والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسّم ولا ينهأ ويقول ، ألا ترون إلى هذا المُحْرَم وما يصنع ؟ قالت أسماء : فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعَرْج ، جلس بفناء منزله ، وجاء أبو بكر وجلس إلى جانبه وجاءت عائشة فجلست إلى جانبه الآخر . قالت أسماء : وجئت أنا فجلست إلى جانب أبي بكر .

وَرَوَى المَلَاءُ عن عبد الله بن سَعْدِ الأَسْلَمِي ، أن آلَ فَضَالَةَ الأَسْلَمِيِّين ، لما أُخْبِرُوا أن زَامِلَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَلَّت ، حملوا إليه حَفَنَةً من حَيْس ، وأقبلوا بها ، حتى وضعوها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : هَلُمُّ يَا أَبَا بَكْر ، فقد جاء الله بِغَدَاء طَيِّب . وجعل أبو بكر يفتاظ على الغلام . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْر ، فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا مَعَكَ ، قد كان الغُلام حريصاً على ألا يضل بعيرُهُ ، وهذا خَلَفُ ما كان مَعَهُ . ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وأبو بكر ومن كان يَأْكُلُ مَعَهُمْ حتى شَبِعُوا ، فَأَقْبَلَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ ، وكان على ساقَةِ الناس ، والبعيرُ مَعَهُ ، وعليه الزَمَالَةُ ، فجاء حتى أُنَاخَ على باب منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنظر ، هلْ تَفْقِدُ شَيْئاً مِنْ مَتَاعِكَ ؟ فقام فنظر ، فقال : ما فُتِدْتُ إِلَّا قَعْباً كُنَّا نَشْرَبُ فِيهِ . فقال الغلام : هذا الْقَعْبُ مَعِي . فقال أبو بكر لصفوان : أَدَّى اللَّهُ عَنْكَ الأَمَانَةَ . وجاء سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ وابنه قَيْسٌ ، ومعهما زَامِلَةٌ تَحْمِلُ زَاداً ، يؤمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بباب منزله ، قد رد الله عليه زَامِلَتَهُ ، فقال سعد : يا رسول الله ، بَلَّغْنَا أَنَّ زَامِلَتَكَ ضَلَّتْ الْغَدَاةَ ، وهذا زَامِلَةٌ مَكَانَهَا . قال صلى الله عليه وسلم : قد جاء الله بِزَامِلَتِنَا ، فارجعوا بِزَامِلَتِكُمَا ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمَا ثُمَّ قَالَ : أَمَا يَكْفِيكَ يَا أَبَا ثَابِتٍ مَا تَصْنَعُ بِنَا فِي ضِيَاغَتِكَ مِنْذُ نَزَلْنَا الْمَدِينَةَ ؟ فقال سعد : الْمِنَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ . والله يا رسول الله ، الذي تَأْخُذُ مِنْ أَمْوَالِنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الذِّى تَدْعُ . فقال : صدقتم يا أَبَا ثَابِتٍ ، أُبَشِّرُ فَقَدْ أَفْلَحَتْ . إِنَّ الْأَخْلَاقَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فمن أَرَادَ

أَنْ يَمُنَّجَهُ اللَّهُ خُلُقًا صَالِحًا مَنَجَّهُ ، وقد منحتك الله خلقا صالحا . فقال سعد : الحمد لله ، هو فعل ذلك .

وروى البخاري وأبو حاتم عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حجَّ على رَحْلٍ ، وكانت زَامِلَتَهُ ، فيحتمل أنه كان بعضُ الزَّمَالَةِ عليها ، وبعضها مع زِمَالَةِ أَبِي بَكْرٍ .

شرح — الزمالة : هي أداة المسافر ، وما يكون معه في السفر . والزمالة : البعير الذي يُحْمَلُ عليه ذلك ، كأنها فاعلة . والعَرَج ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين ، ثم جيم بعدها : قرية جامعة من عمل الفرع ، على أيام المدينة . والآنابة . موضع معروف في طريق مكة ، وهي فعالة بالضم ، وبعضهم يكسر همزتها . وقوله مُظْهِرًا : أى داخلا في الظهيرة . والتَّعْرِيس : نزول المسافر آخرَ اللَّيْلِ للنوم والاستراحة . تقول فيه : عَرَّسَ يُعَرِّسُ تَعْرِيسًا . وقيل : يقال فيه أعرس . والمُعَرَّس : موضع التَّعْرِيس ، ومنه سمي مُعَرَّسُ ذِي الْحُلَيْفَةِ ، عَرَّسَ به النبي صلى الله عليه وسلم ، وصلى فيه الصبح ، ثم رَحَلَ . قوله « حَيْسٌ » : هو الطعام المتخذ من التمر والسَّمْنِ والأَقِطِ ؛ وقد يُجْعَلُ عِوضَ الأَقِطِ الدَّقِيقُ والسَّوْبِقُ والْفَتَيْتِ . قوله « ساقَة الناس » ، والساقَة : جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جَيْشَ الْغَزَاةِ ، ويكونون من ورائه ، ويحفظونه . ومنه ساقَة الحاج .

٣٩ — ما جاء في اجتناب المحرم الجدال في الحج

عن مجاهد في قوله « وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » قال ليس في الحج جدال ولا شك ولا سبَاب في الحج . الحج في ذي الحجة . وظاهر هذا اللفظ يشعر بأن النهي عن المجادلة في الحج نفسه . أما في غيره فلا .

وعن عطاء قال : في قوله تعالى « فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » ، الرُّفَثُ : الجماع . والفُسُوقُ : المعاصي . والجِدَالُ : المِرَاة حتى يفضبوا .

وعن عطاء عن ابن عباس أنه قال ذلك أيضا .

وعن الحسن وإبراهيمَ قالا : الرّفث : الجماع . والفسوق : السّباب . والجدال : المراءى في الحجّ .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : الرّفث والفسوق : معاصى الله تعالى . والجدال : الخصومة والمراءى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى الرّفث : هو التعريض بذكر الجماع .
وعنه هو ما رُوِجِعَ به النّساء . أخرج الجميع سميد بن منصور . وقد تقدّم
حرّف من هذا فى حديث : « مَنْ حَبَّجَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ » من الباب الأوّل ، وظاهر
سياق هذه الألفاظ فى الجدال أنه المراءى مطلقا فى كل شيء ، وهو المختار .

٤٠ - ما جاء فى استحباب ترك فضول الكلام للمحرّم

عن ثابت البنّانى قال : كان أنس بن مالك لا يُحرّم حتى ينتهى إلى ذات عرق ، فإذا
انتهى إلى ذات عرق أحرم منه ، وكان لا يتكلم حتى يطوف بالبيت . أخرجه أبو ذرّ .

البَابُ الثَّانِي عَشْرَ

فِي مَحْظُورَاتِ الْإِهْرَامِ

(فصول اللباس)

١ - ما جاء فيما يحرم من اللباس على المحرم

عن ابن عمر رضي الله عنهما . سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ ؟
قال : لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ، ولا ثوبا مَسَّهُ
وَرَسٌ ولا زَعْفَرَانٌ ، ولا الخُفَّينِ إِلَّا أَلَّا يَجِدَ نَعْلَيْنِ ، فليقطعهما حتى يكونا أسفل من
الكعبين . أضرماه ، وقال البخاري : ولا تَتَنَقَّبَ الْمَرْأَةُ الْحَرَمَةَ ، ولا تلبس القفازين .
وعنه أنه وجد القرّ فقال : ألقى على ثوبا يا نافع ، فألقيت عليه بُرْنُسا ، فقال :
تَلْقِي عَلَى هَذَا ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسه الْمُحْرِمُ .
أضرمه البخاري وأبوداود والنسائي .

كره ابن عمر أن يطرح على نفسه خيطا وهو مُحْرِمٌ وإن لم يلبسه .
وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى النساء في الإحرام عن القفازين والنقاب ،
وما مسه الورس والزعفران من الثياب . أضرمه أحمد وأبوداود . وزاد : وليلبس بعد
ذلك ما اجتنب من ألوان الثياب : من مُعَصِّفٍ ، أو خَزٍّ ، أو خِلٍّ ، أو سراويل ، أو قيص .
وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس على المرأة إحرام إلا في وجهها .
وعنه قال : إحرام المرأة في وجهها ، وإحرام الرجل في رأسه . أضرمه الدارقطني .
وعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ : ما تلبس المرأة ؟ قالت : تلبس من
خَزٍّ أو قَزٍّ أو أصباغها وحلبها . أضرمه البيهقي في شرح السنة .

وعنها : أنها كَرِهَتْ للمرأة لُبْسَ المشَّعِّ بالعُصْفُرِ . أخرجه سعيد بن منصور .
 شرح — قوله « لَا يَلْبَسُ » سُئِلَ صلى الله عليه وسلم عما يلبس المحرم ، فأجاب
 بذكر ما لا يلبس ، وذلك لأنه يَمَحْصَرُ ، ولا حصر لما يُلْبَسُ ، فذكر المنحصر ليدل
 على إباحة ما سواه . وقد أخرج الدارقطني الحديث ، وقال : ما يترك المحرم من اللباس ،
 فقال . . . الحديث .

قد تقدم في باب المواقيت في فصل حُجَّةٍ من قال : الإحرام من فوق الميقات أفضل .
 والبُرْنُسُ : قلنسوة طويلة ، كان النساء يلبسونها في صدر الإسلام ، وهى من البرنس ،
 بكسر الباء ، وهو القُطْنُ ، والثُّونُ فيه زائدة . وقيل إنه غير عربى ، والتَّغْيُ عنه بعد النهى
 عن العِمامة ، فيه دلالة على أنه لا يجوز للمُحْرِمِ تغطية الرأس ، لا بالعتاد فى ستره ، ولا بالنادر ؛
 فإن غَطَّى شيئا منه لَزِمَتْهُ الفِدْيَةُ . وقال أصحاب الرأى : لا فدية فى ستر أقل من الرُّبْعِ ،
 ولو وضع يده على رأسه ، والمرأة يدها على وجهها ، فلا شيء عليهما ، إذ لا بد لهما من ذلك
 فى غسل الوجه ، ومسح الرأس ، فأبيح مُطلقا . ولو وضع على رأسه مِكَتَلًا أو طبقا ، اختلف
 العلماء فيه ، والمشهور عندنا فيمن قصد الحُلَّ لا السَّترَ ، أنه لا شيء عليه . قوله « وَلَا تَتَنَقَّبَ
 المرأة » : أى تَستَرِ وجهها بالنَّقَابِ ، وهو عند العرب الذى يبدو منه تَحْجِيرُ الْعَيْنِ . وقال
 ابن سيرين : النقاب مُحَدَّثٌ . قال أبو عُبَيْد : معناه أن إبداء الحاجِرِ مُحَدَّثٌ . وإنما كان
 النقاب قبل ذلك لاحقا بالعين ، وكانت تبدو إحدى العينين ، والأخرى مستورة . وكان
 اسمه عندهم : الوَصْوَصَةُ والبرقع ، وكان من لباس النساء ، ثم أُحْدِثَ النقاب . ويَحْرُمُ على
 المرأة التَّلَثُّمُ والتَّبَرُّعُ ، لأنه فى معنى النقاب . وكذلك رَوَى عن عائشة . والورس : نبت
 أصفر يُصْبَغُ به ، لون صِبْغٍ بين الحمرة والصفرة ، ورائحته طَيِّبَةٌ . وقيل صِبْغٌ أصفر يخرج
 على الرَّمْثِ ، بين الشتاء والصيف . والرَّمْثُ بكسر الراء المهملة ، وسكون الميم ، ثم ثناء مثلثة :
 مَرَعَى من مراعى الإبل ، وهو من الخَضِ ، والخَضُ : مَأْمُوحٌ وَمَرٌّ من النبات ، وأورس للمكان ،
 وهو وارس . والقياس مَورِسٌ . والمُورِسَةُ المصبوغة به . وفى أمره صلى الله عليه وسلم بقطع
 الخُفَيْنِ رَدًّا على من قال : لَا يُتَطَّمان ؛ لأن ذلك من إضاعة المال وإفساده ، وهو قول عطاء .

ويشبه أن يكون لم يباقة الحديث . ولو كان إفسادا كازعموا لما أمر به صلى الله عليه وسلم ، وقد صح الأمر به ، وإنما الإفساد مانهت الشريعة عنه ، وحصلت به المخالفة ، ثم لافدية على من لبسهما بعد القطع ، عند عدم النفلين عندنا ، وبه قال مالك والثوري وإسحاق . وقال أبو حنيفة وأصحابه : يجب عليه الفدية ، كمن حلق رأسه للأذى ، والحجة عليه أمره صلى الله عليه وسلم بلبسه بعد القطع ، ولو كان عليه شيء ، لبينه ، كما بين في الخلق ، إذ هو موضع بيان وتعليم ، وتأخير عن وقت الحاجة غير جائز . ولو استوى القطع وعدمه في وجوب الفدية ، لما كان في الأمر به فائدة . وقال أحمد : إذا لم يجد نفلين يجوز له لبس الخلفين من غير قطع . واحتج بظاهر حديث ابن عباس ، وسيأتي ؛ وبقوله قال عطاء . أما إذا كان قادرا على نفلين فلا يجوز له لبسهما ، ولو قطعهما بأن خالف^(١) وجبت الفدية ، وبه قال مالك وأبو حنيفة . وقال بعض أصحابنا وبعض أصحاب أبي حنيفة : لافدية عليه .

والقفازان ، بالضم والتشديد : شيء يلبسه نساء العرب في أيديهن ، يغطى الأصابع والكف والساعد من البرد ، يُحشَى بقطن ، ويكون له أزرار ، يُزَرَّر على الساعدين . وقيل : هو ضرب من الخلق متخذ المرأة أيديها ، واختلف العلماء فيه . فذهب بعضهم إلى أن لبسه للمرأة غير جائز . فإن لبسهما لزمتهما الفدية . وذهب أكثرهم إلى الجواز . قال البغوي : وهو أظهر قولى الشافعى ، ونقل غيره أن الأصح المنع ، وهو الجواز ، للحديث الصحيح . ومن أجاز جعل النهى عن القفازين من قول ابن عمر . روى مالك عن نافع عن ابن عمر : لا تنقب الحرمة ولا تلبس القفازين .

وجوز للمرأة لبس الخمار والسرّاويل والخفّ والقميص ، ولا شيء عليها . قال بعضهم : وأجمعوا على أن المراد بالخطاب المذكور في اللباس ، الرجال دون النساء ، لأنه لا بأس بلباس المخيط والخفاف للنساء ، للحديث .

٢ - ما جاء في إباحة تغطية المحرم وجهه

تقدّم في الفصل قبله قوله صلى الله عليه وسلم : **وَلَا تَتَنَقَّبَ الْمَرْأَةُ** . ومنطوقه يدل على تحريم تغطية وجه المرأة ، ومفهومه يدل على إباحته للرجل ؛ وإلا لما كان في التقييد بالمرأة فائدة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : **إِحْرَامُ الْمَرْأَةِ فِي وَجْهَيْهَا ، وَإِحْرَامُ الرَّجُلِ فِي رَأْسِهِ** . أضرجه الدارقطني وأبو ذر . وقد تقدم في الفصل قبله .

وعن الفَرَّافِصَةِ بن عُمَيْرِ الحَنْفِيِّ ، أنه رأى عُثْمَانَ بِالْعَرَجِ يُغَطِّي وَجْهَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ . أضرجه مالك والشافعي .

تقدم ذكر العرج في آخر الباب قبله .

وعن القاسم قال : **كَانَ عُثْمَانُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يُحْمَرُونَ** وجوههم وهم محرمون . أضرجه الشافعي وسعيد بن منصور .

وعن عطاء قال : **يُغَطِّي الْمُحْرِمُ وَجْهَهُ مَا دُونَ الْحَاجِبِينَ** . وفي رواية : **مَا دُونَ عَيْنَيْهِ** .

وعن مجاهد قال : **كَانُوا إِذَا هَاجَتِ الرِّيحُ غَطُّوا وَجُوهَهُمْ وَهُمْ مُحْرِمُونَ** .

وعن طاووس قال : **يُغَطِّي الْمُحْرِمُ وَجْهَهُ مِنْ غُبَارٍ أَوْ رَمَادٍ** . أضرجه الثلاثة

سعيد بن منصور .

٣ - ما جاء فيمن منع ذلك

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المحرم الذي أو قصته ناقتة فمات : **وَلَا تُخْمَرُوا وَجْهَهُ وَلَا رَأْسَهُ** . أضرجه مسلم والنسائي . وعند النسائي : **اغسلوه بماء وسدر ، ويكفن في ثوبين ، خارجا وجهه ورأسه** .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : **مَا فَوْقَ الذَّقَنِ مِنَ الرَّأْسِ ، فَلَا يُخْمَرُهُ الْمُحْرِمُ** . أضرجه مالك والبيهقي وأبو ذر . واللفظ لمالك . وعلى هذا يكون أراد بالرأس في قوله

في الفصل قبله « وإحرام الرجل في رأسه » جميع الرأس ، المشتمل على الوجه وغيره ، فلا يكون بينه وبين هذا تضاد ، وهذا هو المأثور عنه ، أعني تحريم تغطية الوجه على الرجل .

٤ - ما جاء في إباحة السراويل لمن لم يجد الإزار ، وأُخلف لمن لم يجد النعلين تقدم طَرَف من ذكر أُخلف في الفصل الأول .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : السراويل لمن لم يجد الإزار ، وأُخلف لمن لم يجد النعلين ، يعني الحرِّم . وفي رواية : يخطب بعرفات . أضرجه وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وعنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يقول : من لم يجد إزارا ووجد سراويل فليلبسها ، ومن لم يجد نعلين ووجد خُفَّين فليلبسهما . أضرجه أحمد بهذا اللفظ . واحتج بظاهره مَنْ لم يشترط القَطْع ، وهو أحمد ، وقد تقدم ذكره . وعندنا مُطْلَقُ هذا يحمل على المَقِيد ، فيما تقدم في الفصل قبله ، من حديث ابن عمر ، وَيَقْطَعُهُمَا أسفل من كعبين ، حتى يصيرا كَالْمِكْمَب ، فلو لبسهما كذلك مع وجود النَّعْلين ، فقد مضى ذكر حكمه في الفصل الأول . وأخذ الشافعي بظاهر هذا الحديث ، فاختر ابس السراويل على هيئته عند عدم الإزار ، من غير فِدْيَةٍ ، وهو قول أكثر أهل العلم ، وبه قال عطاء والثَّوْرِيُّ وأحمد وإسحاق ، عملا بظاهر هذا الحديث ، ولم يأخذ به مالك لسقوطه من حديث ابن عمر ، فأوجب الفِدْيَةَ ، وتابعه أبو حنيفة ، وخالفه الرازي من أصحابه .

٥ - ما جاء في إباحة لبس الخُفَّين للنساء مطلقا

عن سالم أن عبد الله ، يعني ابن عمر ، كان يقطع الخُفَّين للمرأة المحرمة ، ثم حَدَّثَنِي حديث صفية بنت أبي عُبَيْد : أن عائشة حَدَّثَتْهَا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كَانَ رَخَّصَ للنساء في الخُفَّين ، فترك ذلك . أضرجه الشافعي وأبو داود .

٦ - ما جاء فيمن رخص في الخلف في الدلجة

عن عطاء أنه كان يرخص للمحرم في الخلف في الدلجة . أخرجه سعيد بن منصور .
شرح - الدلجة: سير الليل ، يقال: أدلج ، بالتخفيف: إذا سار من أوله ، وأدلج ،
بالتشديد: إذا سار من آخره . والاسم منها الدلجة ، بالضم والفتح .

٧ - ما جاء في إباحة الثبان

عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا ترى بالثبان بأسا للمحرم . أخرجه البخاري
بوسعيد بن منصور .

٨ - ما جاء في القباء

عن الحسن أنهم لم يروا بأسا للمحرم في لبس القباء ، ما لم يدخل فيه .
وعن مجاهد وإبراهيم أنهما كانا يكرهان أن يدخل المحرم منسكبيه في القباء ،
ولا يريان بأسا في الرداء به . أخرجهما سعيد بن منصور .
وهكذا العمل عليه عندنا في وجوب الفدية بوضعه على منسكبيه ، سواء أدخل يديه
فيه أو لم يدخلهما ، وبه قال مالك وأحمد ، لأن لبسه كذلك معتاد ، بخلاف التردى به .
وقال أبو حنيفة: إن لم يدخل يديه فلا فدية عليه ، إذ لا إحاطة ، وهو فاسد ، لأنه يمتد
لبسه على هذا الوجه .

٩ - ما جاء فيمن كره عقد الرداء للمحرم

عن ابن عمر ، أنه لم يكن يعقد الثوب عليه ، إنما يغرر طرفه على إزاره .
وعنه وقد سأله رجل : أخالف بين طرفي ثوبي من ورأى ثم أعقده وأنا محرم ؟
قال : لا تعقد شيئا .

وعن عطاء أنه كان لا يرى بأسا أن يلبس المحرم ساجا ما لم يزره عليه ، فإن
زره عليه افتدى كما يفتدى إذا تقمص تحدا . أخرجه الثلاثة الشافعي والبيهقي .
شرح - الساج : الطيلسان ؛ وألفه منقلبة عن واو ، ولم يذكر الجوهري غيره ؛
وقيل عن ياء ، حكاه ابن الأثير ، وجمعه سيجان .

وعن عطاء وإبراهيم أنهما كانا لا يريان بأسا أن يتوشح الحرم بالثوب ما لم يعقده ، ولا يريان بأسا أن يُدْخَلَ بَعْضَهُ فِي بَعْضٍ .

شرح — يَتَوَشَّحُ بالثوب : يَغْشَى بِهِ . قال أبو موسى المَدِينِيُّ فِي التَّحْفَةِ . وَالظَّاهِرُ فِي مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَجْعَلُهُ كَالْوِشَاحِ ، وَيَبِينُهُ مَاسِيَاتِي فِي الْفَصْلِ بَعْدَ .

وَالْوِشَاحُ : شَيْءٌ يَنْسَجُ عَرِيضًا مِنْ أَدَمَ ، وَرَبْمَا رُصِّعَ بِالْجَوْهَرِ وَالْخَرَزِ ، تَشْدُهُ الْمِرَاةُ بَيْنَ عَاتِقَيْهَا وَكَشْحِيهَا ؛ يُقَالُ : وَشَّاحَ إِشَاحًا ، وَوَشَّاحَ وَأَشَاحَ ، وَالْجَمْعُ وَشُحٌّ . ذَكَرَ ذَلِكَ الْجَوْهَرِيُّ . وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ فِي الرَّدَاءِ : يَعْصِيهِ عَلَيْهِ ، وَلَا يَعْقِدُهُ عَلَيْهِ .

وعن عطاء بن السَّائِبِ قَالَ : أَقْبَتُ الْأَشْوَدُ بْنُ يَزِيدَ وَنَحْنُ نُحْرِمُونَ فِي بَرْدٍ شَدِيدٍ ، وَرَأَيْتُهُ قَدْ عَقَدَ عَلَيْهِ قَطِيفَةً ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : لَا تَسْتَنْبِي فِي هَذَا يَا بَنَ أَخِي ، فَإِنِّي إِنَّمَا أَفْعَلُ هَذَا مِنَ الْبَرْدِ وَالضَّعْفِ ، وَإِنَّهُ لَا يَصْلَحُ .

وعن عُقْبَةَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بِأَسَا بَلَفَ الْحَرَمِ ثَوْبَهُ عَلَى بَطْنِهِ وَعَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ يَغْرِزُهُ . أَضْرَجَ الثَّلَاثَةُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا فِي الْمَشْهُورِ عَنِ الشَّافِعِيِّ ، وَخَالَفَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، وَأَجَازَ عَقْدَ الرَّدَاءِ ، وَالْحَقُّهُ بِالْإِزَارِ .

١٠ — مَا جَاءَ فِيمَنْ وَسِعَ فِيهِ

عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بِأَسَا أَنَّ يَتَوَشَّحَ الْحَرَمَ بِثَوْبِهِ وَيَعْقِدُهُ عَلَى قَفَاهُ . أَضْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

١١ — مَا جَاءَ فِيمَنْ أَحْرَمَ فِي الْمَخِيطِ أَنَّهُ يَنْزِعُهُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ؛ وَلَا يَشْقُهُ ؛

وَأَنَّ الْجَهْلَ عَذْرُ تَسْقُطِ بِهِ الْفِدْيَةِ

عَنْ يَحْيَى بْنِ أُمَيَّةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ رَجُلٌ وَهُوَ بِالْجُمُرَانَةِ وَعَلَيْهِ أَثَرُ خَلْقٍ ، أَوْ قَالَ صُفْرَةٍ ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عِمْرَتِي ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعِمْرَةِ ؟ فَقَالَ : اغْسِلْ عَنْكَ أَثَرَ الْخَلْقِ ، أَوْ قَالَ : أَثَرَ الصُّفْرَةِ ، وَاخْلُصْ

الْحَبَّةَ عَنْكَ ، وَاصْنَعْ فِي مُحَرَّتِكَ مَا صَنَعْتَ فِي حَبِّكَ . وَفِي رَوَايَةٍ : فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اخْلَعْ جُبَّتَكَ ، نَخْلَعُهَا مِنْ رَأْسِهِ . أَمْرُهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَأَمْرُهُ ، وَلَيْسَ فِيهِ : مِنْ رَأْسِهِ .

وفيه ردّ على من قال : يَشُقُّ الْمَخِيطُ ، وَلَا يَخْلَعُهُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ ، وَالْقَائِلُ بِهِ الشَّعْبِيُّ وَالنَّخَعِيُّ . وَوَجْهُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ بِالزَّرْعِ وَالخَلْعِ ، وَالْمُتَعَارَفِ فِيهِمَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبْلِ الرَّأْسِ ، وَلَوْ أَرَادَ الشَّقُّ لَأَمَرَهُ بِهِ ، ثُمَّ لَمَّا نَزَعَهُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ أَقْرَهُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ مَمْتَنَعًا لَمَّا أَقْرَهُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ وَجِبَ بِذَلِكَ فِدْيَةٌ لَذَكَرَهُ وَبَيَّنَّهُ كَمَا بَيَّنَّ غَيْرُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ ضَرُورَةٍ ، فَإِنَّهُ سَأَلَ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْمُعْمَرَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سَمِعَ — وَأُمِّيَّةٌ بضم الهمزة ، وَفَتْحَ اللَّيْمِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ . وَيُقَالُ فِيهِ ابْنُ مَنِيَّةٍ ، بضم اليم ، وَسَكُونِ النَّونِ ، وَتَخْفِيفِ الْيَاءِ . وَأُمِّيَّةٌ أَبَوُهُ ، وَمَنِيَّةٌ أُمُّهُ . وَالْجُفْرَانَةُ تَخْفُفُ وَتَشْدُدُ ، وَالتَّخْفِيفُ أَكْثَرُ ، وَهُوَ الَّذِي قَيَّدَهُ الْمُتَقَنُّونَ ، وَهِيَ فِي الْحِلِّ ، وَهِيَ مَا بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ ، وَهِيَ إِلَى مَكَّةَ أَقْرَبُ . وَالْخُلُوقُ ، بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ . طَيْبٌ مَعْرُوفٌ ، يُتَّخَذُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّيْبِ ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الصُّفْرَةُ وَالْحُمْرَةُ . وَلَا دَلَالَةَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى مَنْعِ الْحَرَمِ مِنَ التَّطْيِيبِ بِمَا يَبْقَى لَهُ جِرْمٌ بَعْدَ الْإِحْرَامِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ مُسْتَدَلًّا بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا أَمَرَهُ بِفَسْلِ الزَّعْفَرَانِ ، لِأَنَّهُ نَهَى عَنْ تَرْغِفِ الرَّجُلِ ، لَا لِكَوْنِهِ طَيْبًا .

١٢ — مَا جَاءَ فِي الْحَرَمِ يَغْطِي رَأْسَهُ نَاسِيَا

عَنْ عَطَاءٍ قَالَ فِي الْحَرَمِ يَغْطِي رَأْسَهُ نَاسِيَا ، أَوْ يَلْبَسُ قَمِيصَهُ نَاسِيَا ، قَالَ : لَا شَيْءَ عَلَيْهِ ، وَبَسَّطَ اللَّهُ تَعَالَى . أَمْرُهُ سَمْعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وَعَلَى هَذَا الْعَمَلِ عِنْدَنَا . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ : عَلَيْهِ الْفِدْيَةُ .

١٣ — مَا جَاءَ فِي الْمِنْطَقَةِ وَالْهِمْيَانِ وَالْخَاتَمِ وَالتَّقْلِدِ بِالسَّيْفِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْخُصُ لِلْمُحْرِمِ فِي الْهِمْيَانِ بِشُدُّهُ عَلَى مَنَقَرِهِ وَهُوَ مُحْرَمٌ . وَالْحَقُّ : مَعْقِدُ الْإِزَارِ ، وَالْجَمْعُ أَخْقٍ وَأَحْقَاءُ .

وعنها وقد سُئِلَتْ عن المُحْرَمِ يَشُدُّ على بطنه المِنْطَقَةَ وفيها نفقته . فقالت :
أحفظُ نفقتك .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما وسئل عن المحرم يشد الهميان عليه ، قال :
لا بأس ، إذا كانت نفقته فيه ، يستوثق من نفقته .

وعن عطاء وطاؤوس مثله . أخرج الأربعة سعيد بن منصور .

وعن ابن عمر أنه طاف وهو محرم وقد حزم على بطنه ثوب . أخرج البخاري .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يَتَخَتَّمُ المحرم ، وَيَلْبَسُ الهِمِيان .
أخرج الدارقطني .

وعن عطاء مثله . أخرج البخاري . وعن مجاهد مثله . أخرج سعيد بن منصور
وعن ابن عمر أنه كان يكره لبس المِنْطَقَةَ . أخرج مالك .

وهذا محمول على ما إذا لم يكن فيها نفقته ، جمعا بين هذا وبين قوله الأول .

وعن ابن المسيب أنه قال : لا بأس بلبس المِنْطَقَةَ للمحرم تحت ثيابه ، إذا جعل
في طرفيها سَيْرَيْنِ يعقد بعضهما إلى بعض . أخرج مالك . وقال : هذا أحب ما سمعته
في المِنْطَقَةَ إلى .

شرح — المِنْطَقَةُ : معروفة . يقال تَنْطُقُ الرجل : إذا شد عليه المِنْطَقَةُ ؛ والمِنْطَقُ
للرَّاءِ ، وهو النِّطاق ، وجمعه مَنَاطِقُ ، وهو معروف عند العرب .

وعن عطاء قال : لا بأس أن يتقلد المحرم بالسيف إذا خاف . أخرج سعيد بن منصور .

وعن عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنهما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدموا في عُمرَةِ القضية متقلدين السيوف وهم محرمون .

١٤ — ما جاء في لبس الثياب المصبغة بغير الطيب

تقدم في فصل الترجل من باب سُنَنِ الإحرام ، أنه صلى الله عليه وسلم لم يَنْهَ عن شيء
من الأردية والأزر لُبِسَ إلا الزعفرانة التي تَرَدَعُ على الجِلْد . قال البخاري : ولُبِسَتْ
عائشة الثياب المَصْفَرَّةُ وهي مُحْرَمَةٌ .

وعن كثير بن جهمان^(١) أنه قال لابن عمر وقد رأى عليه ثوبين مصبوغين، فقال : يا أبا عبد الرحمن ؛ تنهى الناس عن الثياب المصبغة وتلبسها ؟ فقال : ويحك ؛ إنما هي مدر^(٢) .

وعن محمد بن عليّ عليهما السلام ، قال : أبصر عمر على عبد الله بن جعفر ثوبين مؤردين وهو محرم . وفي رواية : أحرم عقيل في ثوبين مؤردين ، فقال عمر : ما هذا ؟ خالفت الناس . فقال له عليّ عليه السلام : دعنا عنك ، فإنه ليس أحد يعلمنا بالسنة . قال له : صدقت . أفرجه سعيد بن منصور . أفرجه الشافعي ، وقال : فسكت عمر ، مكان : صدقت ؛ ولم يقل فيه : وخالفت الناس .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها لم ترَ بأسا بالحليّ والثوب الأسود والمؤرد والخلف للمرأة . أفرجه البخاريّ .

وعن عطاء أنه كان لا يرى بالمشق بأسا ، وقال : إنما هو مدر . أفرجه الشافعي والبيهقي .

شرح — المشق ، بالكسر : المغرة ؛ وثوب مُمَشَّق أي مصبوغ بالمشق .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، أنها كانت تلبس المعصفر المشيع وهي محرمة ، ليس فيه زعفران . أفرجه مالك . وعن عائشة أنها كانت تلبس الثياب المؤردة بالمعصفر وهي محرمة .

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال : يلبس الحرم الثياب المعصفرة ، ولا أرى المعصفر طيبا . أفرجه الشافعي والبيهقي . وأفرجه البخاري قول جابر : لا أرى المعصفر طيبا .

١٥ — ما جاء فيمن كره ذلك

تقدم في الفصل الأول عن عائشة أنها كرهت للمرأة لبس المشيع بالمعصفر . أفرجه سعيد . والمؤرد بالمعصفر غير المشيع به ، ولا تضاد بين هذا وبين ما تقدم روايته عنها آنفا .

(١) قال الخزرجي في الخلاصة : كثير بن جهمان السلمي أو الأسلمي ، أبو جعفر الكوفي . عن أبي هريرة ؛ وعنه عطاء بن السائب ، وليث بن أبي سالم ، وثقه ابن حبان [وقال أبو حاتم : شيخ يكتب حديثه] له عندهم حديث .

(٢) أي مصبوعة بالمغرة ، وهو هذا المدر الأحمر ، الذي تصبغ به الثياب . قاله ابن الأثير في النهاية .

وعن عمر أنه رأى على طلحة ثوبا مصبوغا وهو محرم ، فقال : ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة ؟ فقال طلحة : يا أمير المؤمنين ، إنما هو مَدَر . فقال : إنكم أيها الرَهْطُ أئمة يقتدى بكم الناس ، فلو أن رجلا جاهلا رأى هذا الثوب ، فقال : إن طلحة بن عبيد الله قد كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام . فلا تلبسوها أيها الرَهْطُ شيئا من هذه الثياب المصبغة . أضرهم مالك . وظاهر نهي عمر للمنع من ذلك ، وهو محمول عندنا على أنه إنما نهاه لئلا يتخيل الجاهل أن جنس المصبوغ بأي صبغ كان جائز في الإحرام ، فإنه قد كان قدوة . وقد نبه عمر على ذلك ، ويدل عليه حديث ابن عمر المتقدم .

١٦ — ما جاء في المصبوغ بطيب انقطع ريحه وردعه

عن عطاء أنه كان لا يرى بأسا في ثوب صبغ بزعفران ليس فيه نفث ولا ردع . قال يزيد : وحدثنا الحجاج بإسناده ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . أضرهم أحمد .

والردع : أثر الزعفران . وقد تقدم شرحه في فصل الترجل من باب سنن الإحرام .

١٧ — ما جاء في سدل المرأة شيئا على وجهها دون مباشرة

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان الرُّكبان يملون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات ، فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها ، فإذا جاوزوا بنا ، كشفناه . أضرهم أبو داود وابن ماجه .

شرح — الجلباب : هو كالمقنعة ، تغطى به المرأة رأسها وظهرها وصدرها ، وجمعه جلابيب ، وقد يطلق على الإزار والرداء والملحفة . ومن قال يجوز سدل الثوب عطاء ومالك والثوري والشافعي وأحمد وإسحاق .

١٨ — ما جاء في استغلال المحرم راكبا ومستقرا

عن أم الحصين قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فرأيت به حين رمى جرة العقبة ، فأنصرف وهو على راحلته مع بلال وأسامة ، أحدهما يقود به راحلته ، والآخر رافع ثوبه على رأس النبي صلى الله عليه وسلم من الشمس ، قالت :

فقال رسول الله قولا كثيرا ، وفي رواية : من الحر . أمرجه . وقال النسائي : خطب الناس ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وذكر قولا كثيرا .

وأم الحَصَيْن ، بضم الحاء ، وفتح الصاد المهملتين ، ثم ياء ساكنة ، ثم نون : هي بنت إسحاق الأحمسيّة ، لها حبة ، ولا يعرف لها اسم ، وهي من الصحابيّات اللاتي انفرد مسلم بالإخراج عنهن . وأسامة : هو ابن زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبلال : هو ابن رباح ، مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

وأُخرج المَلَأ في سيرته ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توجّه من مكة إلى مَنى ، كان إلى جَنِيهِ بلال ، بيده عود ، عليه ثوب يُظِلُّه من الشمس .

وعن عطاء أنه كان يقول : يَسْتَقِلُّ المَحْرَم من الشمس ، وَيَسْتَكِن من الريح والمطر . وعن إبراهيم أن الأسود بن يزيد طرح على رأسه كساء يَسْتَكِن به من المطر وهو محرم . وفي رواية : كان الأسود إذا اشتد المطر استظل بكساء وهو محرم .

وعن عُبَيْد الله بن عامر بن ربيعة قال : حَجَجْتُ مع عمر بن الخطاب ، فأرأيتُه مضطربا فُسْطَاطاً^(١) حتى رجع . قيل له : فما كان يصنع ؟ قال : يطرح النُّطْع على الشجر ، فيجلس تحته . وفي رواية . قال : كان يستكن بالكساء والنطع . أخرج الثلاثة سعيد ابن منصور .

وفي حديث أم الحَصَيْن حُجَّة لنا على جواز استغلال الحرم راكبا . وكره مالك وأحد ، وأجازا له الاستغلال نازلا ، وأن له أن يَسْتَرُ رأسه بيده ، وحل بعض أصحاب مالك الحديث على أنه تساهل لما قارب الإحلال ، كما تساهل في الطَّيْب قبل الإفاضة ؛ وما نقله المَلَأ يَرُدُّ هذا التأويل . وبقولنا قال أكثر الفقهاء .

١٩ - ما جاء فيمن كره الاستغلال للمحرم

عن ابن عمر رضى الله عنهما ورأى رجلا استظل بعود على راحلته ، فنهاه عنه . وفي رواية : أنه قال : اتق الله . أمرجهما سعيد بن منصور . وفي رواية : أنه قال

(١) (قوله مضطربا فُسْطَاطاً) : أى تَصَيِّفُ فُسْطَاطاً . وقد جاءت كلمة فُسْطَاطاً في معكزة : فَنَدَاغاً بدون خط .

له : أَضَحَّ لِمَنْ أَحْرَمَتْ لَهُ . وقال الرِّياشي : رأيت أحمد بن المعدَّل في يوم شديد الحر ، قلت له : يا أبا الفضل ، هلا استظللت ، فإن في ذلك توسعة ، للاختلاف فيه ، فأنشد :
 ضَحِيتُ لَهُ كَيْفَ أُسْتَظَلَّ بِظِلِّهِ إِذَا الظِّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصًا
 فَوَا أَسْفَا إِنْ كَانَ سَمْعُكَ بَاطِلًا وَيَا حَسْرَتًا إِنْ كَانَ أَجْرُكَ نَاقِصًا
 شرح — يقال : ضَحِيتُ وَضَحَوْتُ ضَحْوًا وَضَحِيًا إِذَا بَرَزْتَ لِلشَّمْسِ . وَضَحِيتُ ضَحَاءً مَمْدُودًا : إِذَا أَصَابَتْنِي الشَّمْسُ . وَذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ ضَحِيتُ وَضَحَوْتُ . قَالَ : وَالْمُسْتَقْبَلُ أَضْحَى فِي اللَّفْتَيْنِ جَمِيعًا ، وَرَوَى حَدِيثَ ابْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : الْحَدَّثُونَ بَرَوْوْهُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَكَسْرِ الْحَاءِ مِنْ أَضْحَيْتُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَإِنَّمَا هُوَ إِضْحَ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْحَاءِ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : وَقَوْلُ ابْنِ عَمْرٍو : إِضْحَ لِمَنْ أَحْرَمَتْ لَهُ : لَعَلَّهُ أَرَادَ طَلَبَ الْأَجْرِ ، وَلَمْ يَرِدِ التَّضْيِيقُ عَلَيْهِ ، وَلَا وَجُوبُ الْفِدْيَةِ بِهِ .

فصول الطيب

١ — ما جاء في تحريم الطيب على المحرم والعذر بالجهل

تقدّم في الفصل الأوّل من فُصول اللباس قوله صلى الله عليه وسلم : «ولا ثوبا مَسَّهُ وَرَسٌ وَلَا زَعْفَرَانٌ» . وذلك دليل على أن المحرم ممنوع من الطيب في ثيابه وبدنه ، رجلا كان أو امرأة .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يلبس المحرم ثوبا مصبوغا بزعفران أو ورَس . أَضْرَبَ مَالِكٌ .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المحرم الذي أَوْقَصَتْهُ نَاقَتُهُ فَمَاتَ : لَا تَمْسُوهُ بِطِيبٍ . أَضْرَبَاهُ . وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أُمَيَّةَ : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْجُفْرَانَةِ ، قَدْ أَهَلَ بِالْعُمْرَةِ ، وَهُوَ مُصَفَّرٌ لِحْيَتَهُ وَرَأْسَهُ ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَحْرَمْتُ بِعُمْرَةٍ ، وَأَنَا كَمَا تَرَى . فَقَالَ : انْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ ، وَاغْسِلْ عَنْكَ الصُّفْرَةَ ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا فِي حَبْنِكَ ، فَاصْنَعْهُ فِي عِمْرَتِكَ . وَفِي رِوَايَةٍ : وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ بِالْخُلُوقِ . وَفِي رِوَايَةٍ : عَلَيْهِ جُبَّةٌ بِهَا أَثَرُ الْخُلُوقِ . وَفِي أُخْرَى : عَلَيْهِ جُبَّةٌ

مُتَضَمِّنٌ بِطِيب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما الطَّيِّبُ الَّذِي عَلَيْكَ فَانْغَسِلْهُ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَانْزِعْهَا . وفي رواية أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : مَا كُنْتَ
صَانِعًا فِي حَجَّكَ ؟ قَالَ : أَنْزِعَ عَنِّي هَذِهِ الثِّيَابَ ، وَأَغْسِلُ عَنِّي هَذَا الْخَلْقَ . فقال له صلى الله
عليه وسلم : مَا كُنْتَ صَانِعًا فِي حَجَّكَ فَاصْنَعُهُ فِي عَمْرَتِكَ أَفْرِمَاهُ . بهذه الطُّرُقِ كُلِّهَا ^(١) .
وعَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَا يَسْتَمُّ الْحَرَمُ الرَّيْحَانُ وَلَا الطَّيِّبُ . أَفْرِمُهُ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو ذَرٍّ .
وعنه إِذَا شَمَّ الْحَرَمُ رِيحَانًا ، أَوْ مِسَ طِيبًا ، هَرَّاقَ لَذَّةً دَمًا .
وعَنْ ابْنِ عَمْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ لِلْمَحْرَمِ أَنْ يَسْتَمَّ الرَّيْحَانُ وَالشَّيْخَ وَالْقَيْصُومَ .
أَفْرِمَهُمَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : مَا أَرَى الْوَرْدَ وَالْيَاسْمِينَ إِلَّا طِيبًا . أَفْرِمُهُ الشَّافِعِيُّ .
شرح - أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ الْمَصْبُوغِ بِالْوَرَسِ وَالزَّعْفَرَانِ عَلَى الْحَرَمِ . وَاخْتَلَفُوا
فِي الْمَصْفَرِّ ؛ فَأَجَازَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : إِنْ وَضَعَهُ عَلَى بَدَنِهِ وَجَبَتِ الْفِدْيَةُ ؛
وَإِنْ لَمْ يَضَعْهُ عَلَى بَدَنِهِ ، فَإِنْ كَانَ بِحَيْثُ إِذَا عَرِقَ فِيهِ نَقَضَ ، وَجَبَتِ الْفِدْيَةُ . وَالْجَعْفَرَانَةُ
الْعَرِاقِيُونَ يَكْسِرُونَ الْعَيْنَ ، وَيَشْدُدُونَ الرَّاءَ ؛ وَالْحِجَازِيُّونَ يَخْفِقُونَ . وَالْخَلْقُ ، بَفَتْحِ
الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ : طِيبٌ مَعْرُوفٌ . وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي فَصْلِ مَنْ أَحْرَمَ فِي اللَّخِيطِ .
وَاحْتَجَّ مَالِكٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى مَنْعِ الطِّيبِ قَبْلَ الْإِحْرَامِ بِمَا يَبْقَى رِيحُهُ فِي بَدَنِهِ ، وَلَا
دَلَالَةَ فِيهِ ، فَإِنَّ الْخَلْقَ اسْمُ الطِّيبِ الْمَصْبُوغِ بِالزَّعْفَرَانِ ، وَالتَّضَمُّنُ بِالزَّعْفَرَانِ حَرَامٌ عَلَى
الرَّجُلِ مطلقًا ، فِي حَالِ حِلِّهِ وَحَرَمِهِ ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرَّجُلُ .
وَسَيَأْتِي فِي الْبَابِ بَعْدَهُ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ مُسْتَوْفًى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ لُبْسَ الْجَاهِلِ وَالنَّاسِي لَا يَجِبُ بِهِ فِدْيَةٌ ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ
إِمَّا جَاهِلٌ أَوْ نَاسٍ ، وَأَيًّا مَا كَانَ فَلَا خَرَفَ فِي مَعْنَاهُ . وَعِنْدَ مَالِكٍ يَجِبُ الْفِدْيَةُ إِذَا طَالَ زَمَنُ
مَكْنَاهُ عَلَيْهِ . وَالْجُهْلُ وَالنَّسْيَانُ عِنْدَنَا عَذْرٌ يَمْنَعُ وَجُوبَ الْفِدْيَةِ فِي كُلِّ مُحْظُورٍ ، مَا لَمْ يَكُنْ
إِتْلَافًا كَالصَّيْدِ ، وَكَذَا الْخَلْقُ وَالْقَلَمُ عَلَى الْأَصَحِّ . وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى اسْتِواءِ حُكْمِ الْحُجِّ

(١) لَمْ يَرَوْهُ الْبُخَارِيُّ إِلَّا مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ . وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ عِدَّةِ طَرُقٍ . وَانْظُرْ كَلَامَ الْمُؤَلِّفِ
عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فِي فَصْلِ « حُجَّةٍ مِنْ كَرَاهِيَةِ الطِّيبِ بِمَا يَبْقَى لَهُ جَرَمٌ بَعْدَ الْإِحْرَامِ » صَفْحَةُ ١٦٨ .

والعُمرة فيما يَمْنَعُ منه الإحرام . ويبيحه قوله : أما الطيبُ فَاغسله ثلاث مرات ، فالمراد
المبالغة حتى يذهب مالا يمكن إزالته إلا بها ، لا أن الثلاثة حد ، ولو زال بدونها أجزأه .
والشَّيْخُ : نبت معروف طيب الريح . والقيصوم أيضا كذلك قال الشاعر :
* بلادها القيصومُ والشيخُ والغَضَى *

٢ - ما جاء في التوسعة في شم الرياحان والشيخ والقيصوم
عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الحرم بِشَمِّ الرَّيْحَانِ ، ويدخل الحمام .
أنهرج الدارقطني والبيهقي . وأنهرج البخاري منه شَمِّ الرياحان .
وعن عطاء أنه كان لا يرى بأسا شَمِّ الرَّيْحَانِ . ورؤي عنه كراهيته له ، والتوسعة
في الشَّيْخِ والقيصوم ، ونحو ذلك .

٣ - ما جاء في التوسعة فيمن أصابه خلوق الكعبة
عن صالح بن كيسان قال : رأيت أنس بن مالك وأصاب ثوبه وهو مُحْرَمٌ من
خلوق الكعبة ، فلم يَغْسِلْهُ .
وعن عطاء بن السائب عن سعيد أنه سُئِلَ عن الحَرَمِ يصيب ثوبه من طيب
البيت . قال : يغسله ولا بأس ، فهو طيب وطهور .
وعن محمد بن سوقة عن سعيد قال : غسأت ثوبي من خلوق البيت . فقال لي .
ولم غسأته ، إنه طهور .

وعن عطاء قال : لا يغسله ، ولا شيء عليه . أنهرج الجميع سعيد بن منصور .
وليس العمل على هذا عندنا ، بل من تعمد إصابتها شيء من ذلك أو أصابه ، وأمكنه
غسله ، ولم يبادر إليه ، فقد أساء ، وعليه الفدية . ولعل هذا الخلق لم يكن فيه طيب ،
أو كان ، فيكون مذهبا لمن تقدم ذكره .

٤ - ما جاء في دَرَسِ الطيب إذا انقطع ريحه
عن عطاء ، أنه كان لا يرى يَدْرُسُ العُصْفُرُ والزعفران للمحرم بأسا ، ما لم يجد ريحا .

أضرم الشافعي ، وقال : أما العَصْفَرُ فلا بأس به ، وأما الزَّعْفَرَانُ ، فإن كان إذا مسه الماء ظهر ريحه ، فلا يلبسه المحرم ، فإن لبسه افتدى .

قلت : إنما قال في العَصْفَرِ ما قال ، لأنه عنده ليس بطيب . وقول عطاء في ذَرَسِ العَصْفَرِ والزَّعْفَرَانِ هذا إذا باشره المحرم ، أما إذا لم يباشره بل درسه بآلة في يده ، فلا بأس بذلك ، ولو ظهرت رائحته ، مالم يصبه منه شيء .

٥ - ما جاء فيمن أباح للمحرم أكل الطعام المطيب

عن ابن عمر أنه كان يأكل الخشكَنَانَ الأصفر والخبيص وهو محرم . وعن سعيد بن جبير ومجاهد : أنهما كانا يأكلان الخشكَنَانَ الأصفر . وعن سعيد بن جبير : كل طعام فيه زعفران أصابه النار فلا بأس به . أصرح الجميع سعيد بن منصور ، وليس العمل على هذا عندنا ، بل كل طعام فيه زعفران أو طيب ظاهر الريح أو الطعم على الأصح ، يحرم على المحرم أكله ، ويجب فيه الفدية ، فإن لم يظهر إلا اللون وحده ، فلا تحريم ولا فدية على الأصح . ولعل ما تضمنته هذه الآثار فيما ظهر لونه ولم يظهر ريحه ولا طعمه ، وكان النار استهلكتهما ، ولم يبق غير مجرد اللون ؛ أو لعل القول مطلقه مذهب لمن تقدم ذكره ، وهو الأظهر .

٦ - ما جاء في التطيب ناسيا أو جاهلا

عن عطاء قال : إذا تطيبَ المحرم ناسيا أو جاهلا ، فلا كفارة عليه . أضرم رزين فيما لم يُعلم عليه ، وذكر في خطبته أن ذلك متفق عليه . وعلى هذا العمل عندنا . وقال الثوري وأصحاب الرأي : عليه الفدية .

٧ - ما جاء في التوسعة في استصحاب طيب الإحرام

عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ فِي مَفَرِّقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ ، أَضْرَبَاهُ . وقال النسائي : بعد ثلاث وهو محرم . وفي رواية لمسلم : وَبَيْصِ الْمَسْكِ .

وعنها : كأنى أنظر إلى وبيص الطيب في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم . وفي رواية في أصول شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم . وفي رواية : في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم . أخرج الثلاثة النسائي . وعنها : كنت أطيّب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يطوف على نسائه ، ثم يُصبح محرماً ينضح طيباً . أخرجهما .

وعنها قالت : كنّا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فنضمّد جباهنا بالسك^(١) المطيب عند الإحرام . فإذا عرّقت إحدانا سال على وجهها ، فيراها النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينهاها . أخرجه أبو داود .

شرح — تقدم شرح الوبيص وشرح السك في فصل التطيب للإحرام من باب سنن الإحرام . وقوله « ينضح » هو بالخاء المهملة ، هكذا قيّده في الغريب أى يفوح والنضوح بالفتح : ضرب من الطيب يفوح رائحته ، وأصل النضح : الرشح ، فشبه كثرة ما يفوح من طيبه بالرشح . ورؤي بالخاء المعجمة ، قالوا : وهو أكثر من النضح بالمهملة ، وقيل : هو بالمعجمة فيما له أثر كالطيب المتجسّد ، وبالمهملة فيما رَقّ كالماء ، وقيل هما سواء . وقولها « نضمّد جباهنا بالسك » : أى نجعله عليها كالضماد ؛ وأصل الضمّد بالتحريك^(٢) : الشد ، يقال : ضمّد رأسه وجرحه إذا شدّه بالضماد ، وهى خِرقة يُشدّ بها العضو ، ثم قيل لوضع الشيء نفسه وإن لم يُشدّ ؛ وفي هذه الأحاديث دلالة على جواز التطيب بما يبقى له جرّم وريح بعد الإحرام ، خلافاً لمن أنكره ، وهو مذهب أكثر الصحابة .

رؤي عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يفعل ذلك . ورؤي عن ابن عباس أنه أحرم وعلى رأسه مثل الرّب^(٣) من الغالية . وقال مسلم بن صبيح : رأيت ابن الزُّبَيْر وهو محرم ، وعلى رأسه ولحيته من الطيب ما لو كان لرجل لا تأخذ منه رأس مال ، وهو مذهب أبي حنيفة

(١) السك : طيب معروف عندهم ، يضاف إلى غيره من الطيب ويستعمل (انظر النهاية لابن الأثير)

(٢) قوله « بالتحريك » : لعله سهو منه ، والصواب بإسكان الميم ، كما في لسان العرب وغيره .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية : وفي صفة ابن عباس : « كأن على صلته الرب من مسك وعنبر » . الرب : ما يطبخ من التمر وهو الدبس أيضاً .

وأحمد والشافعي . وقال مالك: لا يجوز؛ فإن تطيَّب به وجب غسله، إلحاقه باللباس، والحديث حجة عليه؛ والفرق بينه وبين اللباس أن الطيب في حكم المُسْتَهْلَكِ وإن بقي أثره، بخلاف اللباس؛ ويشهد له أنه لو حَلَفَ لا يتطيَّب وهو مُتَطَيَّبٌ، فاستدام، لم يَحْنَثْ، بخلاف اللبس. واستدل مالك بحديث يَعْلَى بن أُمَيَّة المتقدم، وحمل هذه الأحاديث على أنه تَطَيَّبَ، ثم اغتسل للإحرام، فذهب الرُّبَيْع والجِرْم، ولم يبق إلا أثر دُهن الطَّيِّب في الشعر، على ما تقدم في رواية «أَرَى وَيِصَّ الدُّهْنُ»؛ وليس في بقاء الدهن شيء، ما لم يكن مُطَيَّبًا بالإجماع. وشَدَّ^(١) ذلك قولها في الحديث الآخر: «ثم طاف على نسائه، ثم أصبح محرما»، لاسيما وقد رُوِيَ عنه أنه كان يغتسل من كل واحدة قبل مُوَاقَعَةِ الأخرى، فأتى طيب بعد أغسال كثيرة وهذا يرده قولها ينضخ طيبا، أي يفور قال الله تعالى: «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاجَتَانِ» أي قَوَارَتَانِ. وما يُتَكَلَّفُ من تأويل ذلك، فهو خلاف الظاهر، ولا ويص للمسك ما لم يبق شيء من جرمه. وأما وَيِصَّ الدُّهْنُ فذاك دُهن غير دُهن المسك، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يَدَّهِنُ الإحرام على ما سبق تقريره، ومتى أمكن حَمْلُ اللفظين المتغايرين على معنيين، كان أولى من حملهما على معنى واحد. ومما يؤكد ما ذكرناه قول النسائي بعد ثلاث، ومعلوم أن ما يبقى من أثر دِهانه المسك بعد الغسل شيء بسير، لا يحتمل أن يَبْقَى يوما فضلا عن ثلاثة، وحديث أبي داود عن عائشة «كنّا نضمد جباهنا بالسَّكِّ المطَّيَّب ...» الحديث، مُصَرَّحٌ ببقاء جِرم الطيب نفسه، وكذلك ما رُوِيَ عن ابن عباس وابن الزُّبَيْر ولم يفعلوا ذلك إلا عَنِ اقْتِدَاءِ. وذهب بعض أصحابنا إلى أنه إذا انتقل بالمرق من موضع إلى موضع آخر، وأمكنه إزالته ولم يزله وجبت به الفدية. وحديث عائشة حجة عليه؛ فإن الظاهر إمكان الإزالة وعدم مانع منها.

٨ - ما جاء في العَصْفُرِ والحَنَاءِ

تقدّم في فصل المَصْبُوغِ بغير الطَّيِّب قولُ جابر: «لا أرى العَصْفُرَ طيبا». أضرّم البخاري. وتقدّم فيه عن عائشة وأسماء لُبْسُ العَصْفُرِ في الإحرام. أضرّم الشافعي.

(١) شد ذلك: عضده وقواه، قال تعالى: «فشدنا ملكه». وفيه: سند. وفي: م: سر. تحريف.

وعن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ ، عن أُمِّهَا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تَنْتَطِئِي وَأَنْتِ مُحَرَّمَةٌ ، وَلَا تَمْسِي الْحِنَاءَ ، فَإِنَّهُ طَيِّبٌ . أَضْرَبَهُ الْبَيْهَقِيُّ ، وقال : إسناده ضعيف . فيه ابنُ هُرَيْمَةَ ، وهو غيرُ مُحْتَجِّجٍ بِهِ . قال : وروينا عن عِكْرَمَةَ أن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم كنَّ يَخْتَضِنْنَ بِالْحِنَاءِ وهن محرمات . ذكره ابن المنذر . قال : وروينا عن عائشة أنها سُئِلَتْ عن خِضَابِ الْحِنَاءِ قالت : كان خليلي صلى الله عليه وسلم لا يُحِبُّ رِيحَهُ : وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الطَّيِّبَ فيُشَبِّهُ أن يكون الحِنَاءُ ليس بطيب .

وأكثر أهل العلم على أن المصفر ليس بطيب . قاله البغوي في شرح السنة . وقال أصحاب الرأي : هو طيب .

٩ - ما جاء في استرسال حكم الإحرام على من مات محرماً

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً كان مع النبي صلى الله عليه وسلم مُحْرِماً ، فوقصته ناقتة ، فمات ، فقال صلى الله عليه وسلم : اغسلوه بماء وسِدْرٍ ، وكفَّنُوهُ في ثوبيه ، وَلَا تَمْسُوهُ بِطَيِّبٍ ، وَلَا تُحَمِّرُوا رَأْسَهُ ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّدًا . وفي لفظ آخر : بينما رجل واقف مع النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة ، فوقع من راحلته ، فأوقصته ، أو قال فأقمصته ... الحديث وفيه : فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا . أَضْرَبَاهُ . وزاد مسلم في رواية أخرى : وَلَا تُحَمِّرُوا وَجْهَهُ وَلَا رَأْسَهُ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا مات المحرم لم يُنَظَّ رَأْسُهُ ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلَبِّي . أَضْرَبَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن الزُّهْرِيِّ قال : خرج عبد الله بن الوليد مع عثمان معتمراً ، فمات بالشَّعْبِ (١) وهو محرم ، فلم يُغَيَّبْ عُثْمَانُ رَأْسَهُ ، وَلَمْ يُمَسِّسْهُ طَيِّبًا ، فَأَخَذَ النَّاسُ بِذَلِكَ . وعنه قال : ثَوَّقِي عُبَيْدَ بْنَ زَيْدٍ بِالْمُزْدَلِفَةِ وهو محرم ، فلم يغيب المغيرةُ بن حكيم رأسه . أَضْرَبَهَا ابن حزم .

(١) الشعبة : منزل بين مكة والمدينة ؛ قبل : مي على يومين من المدينة . انظر النهاية لابن الأثير ، ومعجم ما استعجم للبكري ، ومعجم البلدان لياقوت .

شرح — أو قصته ، و وقصته : أى كسرت مُنْقَه . وأقصته : أى قتله ، مأخوذ من قُصَصَ الغنم ، وهو موتها . والبعير : اسم يطلق على الذكر والأنثى . وفيه دلالة على أن المحرم إذا مات انسحب عليه حكم الإحرام فى اللباس ، والطَّيب وبه قال أحد ؛ وقال مالك وأهل الكوفة يفعل بالمحرم إذا مات ما يُفعل بالحلال . واحتجوا بأن الحكم إنما يلزم الإنسان مادام حيا ، هذا هو الأصل . وتأويل الحديث عندهم أنها قضية فى عين ، فلا تتمدى إلا بدليل : وظاهر الحديث حُجَّة عليهم ؛ والتخصيص على خلاف الأصل . ومما يؤكِّد ذلك قوله : « فإنه يُبْعَثُ يوم القيامة مُلَبَّيًّا أو مُلَبَّدًا » ، على ما تقدم ، ومعناه : على الهيئة التى مات عليها ، كالشهيد .

٩ — حُجَّة من قال ينقطع حكم الإحرام بالموت

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه مات ابنه وافدًا بالْجُحْفَةِ محرما ، فخمر وجهه ورأسه ، وقال : لولا أنا حُرُمٌ لطييناه . أخرجه مالك . وفى رواية : أنه خمر رأسه وقمصه وعممه ولفه فى ثلاثة أثواب . أخرجه ابن حزم من رواية عبد الرزاق . وعنه أنه سُئِلَ عن المحرم يموت . فقال : مضى الإحرام لسبيله ، استقبلوا به الفسل . وعن عائشة رضى الله عنها أنها سُئِلَتْ عن المحرم يموت . فقالت : افعلوا به كما تفعلون بموتاكم . وعن عطاء قال : إذا مات المحرم خمروا وجهه ، ولا تشبهوا بأهل الكتاب . أخرجه الثلاثة سعيد بن منصور .

فصول الخلق والقلم^(١)

١ — ما جاء فى قطع الشعر وإباحته للمحرم

عن عبد الله بن معقل^(٢) ، قال : قعدتُ إلى كعب بن عُجْرَةَ وهو فى المسجد ، فسألته عن هذه الآية : « فَذِيبْهُ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ » . فقال كعب : نزلتْ فى ، كان بى أذى من رأسى ، فُحِلَّتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقملُ يتنثر على

(١) القلم ، يسكون اللام : هو أخذ الظفر بالقلبين . (٢) فى ٥ : مفعل بفين وفاء موحدين .

وجهي ، قال : ما كنت أرى : أن الجهد بلغ منك ما أرى . أتجد شاة ؟ قلت : لا
فنزلت هذه الآية : « فَعِدَّةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ » . قال : صوم ثلاثة أيام ،
أو إطعام سِتَّةِ مساكين ، نصف صاع نصف صاع لكل مسكين . قال : فنزلت في خاصة ،
وهي لكم عامة . وفي رواية : قال : ما عندك نُسْكَ ؟ قلت : لا أقدر عليه . فأمره أن يصوم
ثلاثة أيام ، أو يُطْعِمَ ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع . فأنزل الله جل وعزَّ
في خاصة : « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ » ، وهي للمسلمين عامة .
وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف عليه ورأسه يتهافَتَ قَمَلًا ، فقال : أبؤذيك
هوأمك ؟ قلت : نعم . قال : فاحلق رأسك . قال : فني . نزلت هذه الآية : « فَمَنْ كَانَ
مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَعِدَّةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ » . فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم : صُمْ ثلاثة أيام ، أو تصدَّقْ بفرق على سِتَّةِ مساكين ،
أو انسُك ما تيسَّر . أضرهم بجميع طرقه الشيخان .

وعن كعب بن عُجْرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو يُوقِدُ
تحت قِدْرِ له ، وهو بالحَدِيدِيَّةِ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبؤذيك هوأم
رأسك ؟ الحديث . أضرهم الدارقطني . وعُجْرة بضم العين المهملة ، وسكون الجيم ، وبعدها
راء مهملة ، ثم تاء تأنيث . وهوأم رأسك : يعنى القمل . وأصله كل ما يَدِبُ .

شرح — الجهد ، بالفتح المَشَقَّة . وقيل المبالغة والغاية . وبالضم : الوُسْع والطاقة .
وقيل : هما لفتان في الوُسْع والطاقة ، وأما في المَشَقَّة والغاية ، فبالفتح لاغير . وقوله
« يتهافَت » : أى يتساقط . والهدى بسكون الدال ، والهدى أيضا بكسرها وتشديد الياء :
هو ما يَهْدَى إلى البيت من بدنة وبقرة وشاة . قال الفرَّاء : أهل الحجاز وبنو أسد
يُخَفِّفُونَ الهدى ، وبنو تميم وسُفْلَى قيس يُشَدِّدُونَ الياء . وقال غيره : وقد روى بهما .
والفرق ، بسكون الراء وفتحها ، والفتح أشهر : ستة عشر رطلًا .

وقوله « فَحُمِلْتُ » إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : مرَّ به : . يحتمل أن
يكون وقف عليه صلى الله عليه وسلم ، وأمره بذلك ، ثم نُحِلَ إليه لما كثر عليه ، فأمره

ثانياً ، فلا يكون بينهما تضاد . قال أحمد بن صالح : حديث كعب بن عجرة معمول به عند جميع العلماء . وفيه أن الصَّيام المَجْمول في الآية ثلاثة أيام ، والإطعام ثلاثة أَصْع . لسته مساكين . والنَّسْكَ : شاةٌ تفرق على ستة مساكين فصاعداً ، قياساً على الطعام . كذلك ذكره بعض أصحابنا ، ولم أره لغيره .

وقوله « هل عندك نَسْكَ ؟ » قال : ما أقدر عليه ، فأمره أن يصوم . وفي رواية : وهل تجد شاة ؟ : فيه إشعار بالترتيب . ولم يقع خلاف في أنه دم تخيير وتقدير . ولم يختلفوا في شيء من ذلك إلا في الإطعام ؛ فإنه رُوِيَ عن أبي حنيفة والثَّوْرِيِّ أن نصف الصاع إنما هو في البُرِّ ، وأما التمر والشعير فصاعٌ لكل مسكين ؛ وهذا خلاف ظاهر الحديث . وقد جاء في بعض طُرُق مسلم : « ثلاثة أَصْع من تمر ، على ستة مساكين » . وذكر أبو داود مثله في الترتيب ، وذلك نص في استواء الحكم . وقد رُوِيَ عن أحمد بن حنبل أنه قال : مُدٌّ من البُرِّ ونصف صاعٍ من غيره . والحديث حُجَّة عليه . وأما ما وقع في بعض الروايات عن عبد الله بن مَعْقِل^(١) : « أو تطعم ستة مساكين ، لكل مسكين صاع » فهو وهم . والصَّواب ما رواه الجهم الغفيري عنه . والفرق : ثلاثة أَصْع ، يدل عليه الروايات الأخرى . وقيل هو ستة عَشَرَ رطلاً ، والثلاثة أَصْع كذلك ، على مذهب أهل الحجاز . وقد جاء في رواية أن نزول الآية قبل الحكم ، وفي أخرى بعده . ويَحْتَمِلُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيها بوحي ، ثم نزل قرآن يتلى .

٢ — ما جاء فيما يكْمَلُ به الدم من قطع الشعر

عن عطاء قال : إذا نَتَفَ الحَرَم ثلاث شَعَرَات فصاعداً ، فعليه دم .
وعنه : ليس في الشَّعْرَة والشَّعْرَتَيْن شيء .
وعنه : إذا تَنَوَّر^(٢) الحَرَم فعليه الفِدْيَة . أضربهن سعيد بن منصور .

(١) في م : مفعل ، بفين وفاء ، موحدتين .

(٢) تنور : أزال شعر عاتقه بالنورة .

والعمل عندنا في استكمال الدّم ثلاث شَعَرَات على ما ذكر ، وأما في الشَّعْرَة
والشَّعْرَتَيْن ، فيجب عندنا بقسطه من الدّم .
وعنه قال : في الشَّعْرَة مُدَّة ، وفي الشَّعْرَتَيْن مُدَّان ، وفي الثلاث فصاعداً دَم . أخرجه
الشافعي والبيهقي .

وعن الحسن مثله . أخرجه ابن المنذر .
ويَحْتَمِلُ أن يكون قول عطاء الأول في الشَّعْرَة والشَّعْرَتَيْن ليس فيها شيء ، أى من
الدّم ، توفيقاً بين قوليه . وعندنا في الشَّعْرَة مُدَّة ، وفي الشَّعْرَتَيْن مُدَّان ، عند اختيار الدّم .
أما إذا اختار الإطعام ففيها صاع ، وفيها صاعان أو الصيام ، فيوم ، ويومان .

٣ - ما جاء في استواء العمد والخطأ في الإِتْلَاف

عن عطاء والحسن أنهما قالَا : في ثلاث شَعَرَات دم . النامى والعامدُ فيه سواء .
أخرجه البيهقي . وقال إسحاق : لاشيء على من حَلَقَ رأسه ناسياً . ويقول عطاء والحسن
قال الشافعيُّ وأكثُرُ أهل العلم . وقال الثَّوْرِيُّ وأصحاب الرأى : لا فرق بين العامد
والنامى في شيء من محظورات الإِحرام ، أنه يوجب الفِدْيَةَ .

٤ - ما جاء في المحرم يأخذ من شَعَرِ الحَلَال

عن عطاء ومجاهد وسألهما رجل أخذ من شارب حَلَال . فقالا^(١) : ليس عليك
شيء ، ألا ترى أنك تذبح وتذبح وأنت مُحَرَّم ، وإنما أخذت من شارب مَنْ ليس بمَحَرَّم .
وعن عِكْرَمَةَ قال : المرأة المحرمة تَمَشُطُ المرأة الحلال ، لا بأس بذلك ، إنما تقتل قَتْلَ
غيرها . أخرجهما سعيد بن منصور . وعلى هذا العمل عندنا . وقال أصحاب الرأى : يجب
عليه الفِدْيَةُ . أما الحلال إذا حلق شعر المحرم ، فإن كان بأمره فالفِدْيَةُ على المحرم ،
وإن كان دون أمره فعلى الحالق ؛ وقيل على المحرم ، ثم يرجع بها على الحالق .

(١) في هه نقال . والقاتل عطاء ومجاهد .

٥ - ما جاء في المحرم ينكسر ظفّره ، أو يشتكى ضرسه

عن ابن عباس قال في المحرم إذا انكسر ظفّره : أَمَاطَ عَنْهُ الْأَذَى أَهْرَبَ الدَّارِقُطَانِي .
وعن إبراهيم إذا اشتكى المحرم ضرسه فلينزعه ، وإذا انكسر ظفّره فَلْيَقْلَعْهُ .
وعن عطاء . ومجاهد مثل ذلك .

وعن عكرمة وسُئِلَ عَنْ الْمَحْرَمِ إِذَا انْكَسَرَ ظَفْرُهُ ، قَالَ : يَقْلَعُهُ ، فَإِنْ ابْنُ عَبَّاسٍ
كَانَ يَقُولُ : إِنْ اللَّهَ لَا يَقْبَأُ بَأْذَا كَمْ شَيْئًا .

وعن سعيد بن جبير مثله . أخرج الجميع سعيد بن منصور .
شرح - لا يقبأ : لا يضرع ، ومنه : « قُلْ مَا يَقْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ » .
أى ما يضرع بكم لولا ما تدعونه من شريك له . وقيل في الآية غير ذلك .
وعلى هذا العمل عندنا ، فيما ألجأه إلى قطعه من ظفر انكسر ، أو شعر تدلى على
عينه ، فأزال ما حصل التأذى به ، فلا شيء عليه ، والله أعلم .

فصول الجماع ومتعلقاته سابقا ولاحقا

١ - ما جاء في نكاح المحرم

عن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَنْكِحُ
الْمَحْرَمُ وَلَا يُنْكَحُ ، وَلَا يَخْطُبُ . أهرماه . وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : تزوّج النّبي صلى الله عليه وسلم ميمونة
وهو محرم . أهرماه . وزاد البخاري : « وبني بها وهو حلال وماتت بترّف » .

وعن ميمونة رضى الله عنها ، أن النّبي صلى الله عليه وسلم تزوّجها وهو حلال .
أهرمه مسلم والترمذى وأبو داود وابن ماجه .

وعن سليمان بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبارافع مولاة
ورجلا من الأنصار يُزَوِّجَانِه ميمونة بنت الحارث ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
قبل أن يخرج . أهرمه مالك .

وعن أبي رافع قال: تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة حلالاً، وكنت أنا الرسول بينهما . أخرجه الترمذى وأبو حاتم ، والبتّوى فى شرح السّنة ، وقال : حديث حسن . وعن عمر أنه ردّ نكاح رجل نسكح وهو محرم .

وعن ابن عمر قال : لا يَنْكِحُ المحرم ولا يخطبُ على نفسه ، ولا على غيره .

وعن سعيد بن المسيّب وسالم بن عبد الله ، وسليمان بن يسار ، قالوا : لا يَنْكِحُ المحرم ولا يَنْكِحُ . أخرجه مالك . وقال سعيد بن المسيّب : وهى ابنُ عباس فى تزويج ميمونة وهو محرم . والأكثر على خلافه . وقال أبو عمر النّمريّ : الرواية فى أن النّبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال متواترة عن ميمونة ، وعن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن سليمان بن يسار مولاها ، وعن يزيد بن الأصم ، وهو ابن أختها ، ولا أعلم أحداً من الصحابة روى أن النّبي صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محرم إلا ابن عباس ، والقلب إلى رواية الجماعة أميل ، لأن الواحد أقرب إلى الغلط ، وأقرب الأحوال أن نجعل حديثه معارضاً بحديث من ذكرناه ، فيسقط الاحتجاج بجميعها ، ويسلم حديث عثمان المتقدم عن المعارض ، وهو صريح فى المنع .

قال الترمذى : وقد اختلفوا فى تزويج ميمونة لأن النّبي صلى الله عليه وسلم تزوجها فى طريق مكة ، فقال الأكثرون يزوجها وهو حلال ، فظهر أمر تزويجها وهو محرم ، ثم بنى بها وهو حلال بسرف ، فى طريق مكة ، وماتت بسرف حيث بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودُفنت بسرف . قال أبو حاتم : محرم : أى نازل فى الحرم ، وفيه بُعد ، فإن المنقول أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها لما توجه إلى مكة فى عمرة القضية ، وكان محرمًا من ذى الحليفة . وذكر أبو سعد فى شرف النبوة ، والملا فى سيرته ، وغيرهما ، أن النّبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهى أخت أم الفضل زوجة العباس ، وهو محرم فى عمرة القضاء ، وبقيت فى نكاحه حتى أحلّ ، وبنى بها بسرف ، بعد انفصاله من مكة عامئذ ، متوجهاً إلى المدينة . والأول أصح . ويدل عليه حديث أبي رافع ، وهو صريح

في رد ما ذكره أبو حاتم وأبو سعد ، ويتأيد بحديث ميمونة ، وهو متفق عليه ، وهي أعرف بحال نفسها .

ومن ذهب إلى منع نكاح المحرم وإيما كان أوزوجا ، أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب وجهور علماء المدينة ، وقال : لم ينكح رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة إلا وهو حلال قبل أن يحرم ، وبه قال مالك والشافعي وأحمد ، غير أن مالك يقول : نكاح المحرم يفسخ بطلقة . وقال الثوري وأصحاب الرأي يصح نكاحه ، واحتجوا بحديث ابن عباس ، أما الرجمة فتجوز له قطعا .

٢ - ما جاء في جماع المحرم بالحج

عن عمر وعلى وأبي هريرة أنهم سئلوا عن رجل أصاب أهله وهو محرم بالحج ، فقالوا : ينفذان لوجههما حتى يقضيا حجهما ، ثم عليهما حج قابل والهدى . أضرجه مالك وقال علي بن أبي طالب : إذا أهلا بالحج من قابل ، تفرقا حتى يقضيا حجهما . وقال عمر : وعليهما الحج من قابل من حيث كانا أحرما ، ويفترقان حتى يمتا حجهما . أضرجه البيهقي .

وعن ابن عباس مثله . أضرجه سعيد بن منصور .

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، أنه كان في حلقة مع ابن عباس ، فجاء رجل فذكر أنه وقع على امرأته وهو محرم ، فقال له : لقد أتيت أمرا عظيما ، قال : والرجل يبكي ، فقال : إن كانت توبتي أن أمرأ بنار فأوججها ، ثم ألقى نفسي فيها فعلت . فقال : إن توبتك أيسر من ذلك . اقضيا نسككما ، ثم ارجعا إلى بلدكما ، فإذا كان عام قابل فاخرجا حاجين ، فإذا أحرمتا فتفرقا ، فلا تلتقيا حتى تقضيا نسككما ، وأهديا هديا . أضرجه التتوي .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما وقد سأله رجل فقال : رأيت امرأتى فأعجبته ، فوعدت عليها ونحن محرمان ، فقال له : أفسدت حجك . انطلق أنت وأهلك مع الناس ، فاتصوا ما تقضون ، فإذا كان العام المقبل فحج أنت وامرأتك ، وأهديا هديا ، فإن لم تجدافصوما ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجعت

وعن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاصي مثله .
وعن عطاء قال : يَمْضِيَان لوجهما ، وعليهما بَدَنَةٌ واحدة ، والحج من قابل .
وعن سعيد بن جبير : على كل واحد منهما هَدْيٌ ، ويُحْرِمَانِ من حيث كانا
أحرما . أخرج الأربعة سعيد بن منصور . وأخرج الأول والثاني الشافعي والبيهقي .
إذا جامع الحرم قبل التحلل الأول فسد حجّه ، سواء كان قبل الوقوف أو بعده ،
ويجب عليه أن يَمْضِيَ في فاسده ، ويجب عليه بَدَنَةٌ ، والقضاء من قابل . فإن كانت المرأة
مُحْرَمَةً مطاوعة ، فعليها المضي في الحج ، والقضاء من قابل ؛ وكذا الهَدْيُ عند أكثر أهل
العلم . وذهب بعضهم إلى أن الواجب عليهما هَدْيٌ واحد ، وهو قول عطاء كما تقدم ؛
قال البغوي في شرح السنة : وهو أشهر قَوْلِي الشافعي ، ويكون على الرجل كما قال في
كفارة الجماع في نهار رمضان . وإذا خرجا في القضاء تفرقا حيث وقع الجماع ، حذرا من
مثل وقوع الأول ؛ وإذا عجز عن البَدَنَةِ وجب عليه بَقَرَةٌ ، فإن عجز فسَبْعٌ مِنَ النَمَمِ ،
فإن عجز قَوْمَ البَدَنَةِ بالدَّراهم ، والدراهم طاماما وتصدق به ، لكل مسكين مُدٌّ ، فإن
لم يستطع صام عن كل مُدٍّ يوما . وقال أصحاب الرأي : إن جامع قبل الوقوف فسد حجه ،
وعليه شاة ؛ وإن جامع بعده لم يفسد حجه ، وعليه بَدَنَةٌ . والقارن إذا أفسد حجّه يجب
عليه ما يجب على المُفْرِدِ ، ويقضى قارنًا ، ولا يسقط عنه هَدْيُ القِران .

٣ - ما جاء فيمن جامع بين التحللين

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه سئل عن رجل وقع بأهله يَمْنَى ، قبل أن
يُفِيضَ ، فأمره أن يَنْحَرَّ بَدَنَةً . قال الشافعي : وبه نأخذ .
وعنه أنه قال : الذي يصيب أهله قبل أن يفيض ، يعتمرُ ويُهْدَى . أخرجهما مالك
والشافعي .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال : عليهما ، حجٌّ قابل . أخرجهم أبو ذرّ ،
وأخرجهم سعيد بن منصور ، ولفظه : « هو مفسد ، وعليه الحج من قابل » . وعنه في رجل

أصاب أهله قبل أن يطُوف بالبيت يوم النحر، فقال : يتحران جزُورائيهما ، وليس عليهما الحج من قابل . أُنهرمه الدارُ قُطْنِي . وامل ذلك صدر منه في وقتين تغير اجتهداه فيهما .

وعن عطاء : عليه بَدَنَةٌ ، وقد تم حجّه . أُنهرمه سميد بن منصور .

نسرع — الجماع الواقع بعد التحال الأول لا يفسد الحج ، ولا قضاء عليه عند أكثر أهل العلم . وذهب بعضهم إلى وجوب القضاء ، وهو قول ابن عمر ، كما سبق حكايته عنه . وقول الحسن وإبراهيم : ويجب به الفِدْيَةُ ، وتلك الفدية بدنة أو شاة ، اختلف فيه ، فذهب ابن عباس وعطاء إلى وجوب البدنة ، كما تقدم عنهما ، وهو قول عكرمة ، وأحد قولي الشافعي ؛ والقول الآخر : يجب عليه شاة .

٤ — ما جاء في جماع المُحَرَّم بعمره

عن عطاء في معتمر واقع أهله : يَمْضِيَان في عمرتهما ، وعليهما الهدى ، فإذا فرغا من عمرتهما فعليهما قضاؤها من حيث كانا أحرمًا .

وعن إبراهيم ومجاهد فيمن واقع امرأته وهي محرمة بالعمرة ، قال : يَهْرَبِق كل واحد منهما دما ، ويمضيان في عمرتهما ، فإذا قضيا اعتمرا عمرة أخرى . أُنهرمهما شعيب بن منصور .

٥ — ما جاء فيمن جامع بعد الطواف بالبيت قبل السعى أو بعده ،

وقبل أن يُقَصِّر في العمرة

عن ابن عمر رضي الله عنهما وسئل عن رجل طاف بالبيت ولم يسع أباتى امرأته ؟ فقال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وطاف بين الصفا والمروة سبعا ، وقد كان لسمك في رسول الله أسوة .

وسئل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، فقال : لا يقرَّبُها حتى يطوف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ويحلق أو يقصّر . أُنهرمهما رزين فيما لم يُعَلِّمْ عليه . ومقتضى شرطه أنه مُتَّفَق عليه . وفيه دلالة على وجوب الركعتين ، لأنه سَوَّى بينهما وبين الطواف والسعى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وجاءته امرأة فقالت : إني خرجت مع زوجي ، فأحرمت بالعمرة ، فطفئنا بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، فوقع بي قبل أن يقصر . فقال ابن عباس : شَبَقَ شديد ، شَبَقَ شديد ؛ واستحيت المرأة ، وانصرفت ؛ وكره ابن عباس ما قَرَطَ منه ، وندم على ما قال . ثم قال : على المرأة ، فَأَتَى بها . فقال : عليك فِدْيَةٌ من صيام أو صدقة أو نُسْكَ . فقالت : أي ذلك أفضل ؟ قال : النُّسْكَ . قالت : فأَيُّ النُّسْكَ أفضل ؟ قال : إن شئت ففناقه ، وإن شئت فبقرة . قالت : فأَيُّ ذلك أفضل ؟ قال : انْخَرِي ناقة . أخرجه سعيد بن منصور .

شرح - الشَّبَقُ ، بالتحريك : شدة الغلظة ، وطلب النكاح .

٦ - ما جاء فيمن تكرر منه الجماع

عن عطاء في مُحْرِمٍ واقع امرأته ثم عاد ، قال : عليه كفارة واحدة . أخرجه سعيد بن منصور . وهذا أحد القولين لاشافى .
والقول الثاني : يجب بالثاني كفارة ثانية . وفيها قولان : أحدهما بدنة ، والثاني : شاة .

٧ - ما جاء في المحرم يقبّل ويلمس بشهوة

عن عطاء ، أنه كان يقول في المحرم ، إذا لمس بيده بشهوة ، أو قبّل بشهوة ، فعليه دم .

وقال سعيد بن جبّير : إن قبّل فأمذى ، أو لم يُمذ فعليه دم .
وعنه فيمن لمس امرأته بغير شهوة ، ليس عليه شيء . أخرجه سعيد بن منصور :
وعلى هذا العمل عندنا فيمن لمس بشهوة أو قبّل : يلزمه دم شاة ، سواء أنزل أو لم ينزل . وقال مالك : إن أنزل فسد حجّه : وعليه القضاء والهدى ؛ ولو لم يغير شهوة فذهب أهل العراق من أصحابنا : لا شيء عليه ، وهو المذهب . وذهب الراوية إلى أنه يجب به الدم

٨ - ما جاء في النظر بشهوة حتى يُمنى

عن عطاء ، أنه كان يقول في الرجل يُطِيلُ النَّظَرَ إلى زوجته ، فَيَمْنِي ، أنه يَنْسُدُ حَجَّتَهُ ، وإن كان يَكْرَهُ أن ينظر الرجل إلى ساق زوجته . أفرجه أبو ذر . وأفرجه سعيد بن منصور عن الحسن ، ولفظه : إذا تابع الحريم النظر حتى يُمْدَى فعليه دم ، وإذا تابع النظر حتى يَذْفُق فعليه الحج من قابل .

وعن مجاهد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إني أحرمت ، فأنثني فلانة في زينتها ، فكأمتني ، فما ملكت نفسي أن سبقتني شهوتي . فضحك ابن عباس حتى استلقى ، وقال : إنك لشبق . لا بأس عليك ، أفرق دما ، وقد تم حجك . أفرجه سعيد ابن منصور .

وليس العمل على شيء من ذلك عندنا . فمن تفكراً أو نظراً ، فأنزل أو احتم فلا شيء عليه .

فصول الصيد

١ - ما جاء في تحريم قتل الصيد ، والإعانة عليه بقول أو فعل

عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالقاحة ، فمنا الحرم ، ومنا غير الحرم ، إذ بهُرْتُ بأصحابي يترءون شيئاً ، فنظرت ، فإذا حمار وحش ، فأمرجت فرسي ، وأخذت رُنْجِي ، ثم ركبت ، فَسَقَطَ مِنِّي سَوْطِي ، فَقُلْتُ : لأصحابي : ناولوني السَّوْطَ . فقالوا : والله لا نُعِينُكَ عليه بشيء ، فنزلت فتناولت ، ثم ركبت فأدركت الحمار من خلفه ، وهو من وراء أكمة ، وطمعته برنجي فمقرته ، فأثيت به أصحابي . قال بعضهم : كلوه . وقال بعضهم : لا تأكلوه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمامنا ، فخركت فرسي ، فأدركته ، فقال : هو حلال ، فكلوه . أفرجه .

شرح - القاحة : اسم موضع بين مكة ، والمدينة ، واد فسيح ، على ثلاث مراحل من المدينة ، وهي من قاحة الدار ، أي وسطها ، مثل ساحتها وباحتها .

عن عبد الله بن أبي قتادة : انطلق أبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، فأحرم أصحابه ولم يحرم هو ، قال : فبينما أنا مع أصحابه يضحك بعضهم إلى بعض ، إذ نظرت إلى حمار وخش ، فحملت عليه ، ثم ذكر معناه .

وعن أبي قتادة ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجاً ، وخرجنا معه ، فصرّف من أصحابه قوما فيهم أبو قتادة ، فقال : خذوا ساحل البحر حتى تنقوني . قال : فأخذوا ساحل البحر ، فلما انصرفوا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرّموا كلهم إلا أبا قتادة ، فبينما هم يسرون إذ رأوا حمار وخش . ثم ذكر معناه ، وذكر أن أصحابه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال هل منكم أحد أمره أو أشار إليه بشيء ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا ما بقي من لحمه . وفي رواية أنه قال : هل بقي معكم من لحم شيء ؟ قالوا : معنا رجل . قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلها . أخرجه الشيخان . وأخرج الأخير سعيد بن منصور ، وقال : هل بقي معكم منه شيء ؟ قالوا نعم ، قدرفعنا لك الذراع . فدعا بها ، وأكل منها ، صلى الله عليه وسلم . وأخرج أحمد وابن ماجه حديث أبي قتادة ، وذكر فيه أن أبا قتادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لم أكن أحرمت ، وإني إنما اضطدته لك ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأكلوه ، فأكلوه ، ولم يأكل منه حين أخبره أنه قال : إنه اصطاده له . وفيما رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل منه ما يرُدُّ هذه الرواية . وقولهم « ما نعيمك » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « هل أعانه أحد منكم » ؟ فيه حجة على أبي حنيفة ، فإنه رأى أن المونة لا تؤثّر ، إلا أن يكون الصيد لا يحصل بدونها . وأما مجاوزة أبي قتادة الميقات غير محرم ، فيحتمل أن يكون قبل تأقيت الميقات ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه لكشفه عدوّاً في جهة الساحل ، على ما رواه مسلم ، ولم يكن له قصد الحج حينئذ ، أو لم يكن مرّاً بذي الحليفة ، بل سلك طريقاً آخر غير الطريق المعهود ، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم وجّهه في ذلك التفر من نفس المدينة .

وقوله « فجعل يضحك بعضهم إلى بعض » : ليس هذا دليلاً على إشارتهم إليه . وجمهور أهل العلم على أنه لا يجوز للمحرم أن يشير للحلال بالصيد ، ولا يذّله ، وأجازه

بعضهم ، وما جاء في بعض الروايات « فجعل بعضهم بضحك إلى » خطأ أو تصحيف ، ويسقط بعده بعض ، كما في أكثر الروايات ، ولو ضحكوا إليه لكان أكبر إشارة ، وقد سألهم صلى الله عليه وسلم : هل منكم أحد أشار إليه ؟ قالوا : لا .

٢ - ما جاء فيمن سوى بين الخطأ والعمد

عن ابن جريج قال : قلت لعطاء قول الله عز وجل : « لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ » . قلت له : في قتله خطأ الغرم ؟ قال : نعم . يُعْظَمُ بِذَلِكَ حُرْمَاتِ اللَّهِ قال الشافعي : وبه نأخذ .

وعن عمرو بن دينار قال : رأيت الناس يقرمون في الخطأ . وعن عمر فيمن ذبح ظبيا وهو ناس لإحرامه أنه حكم عليه ، وكذلك عبد الرحمن وسعيد رضي الله عنهم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن محرما ألقى جوالق ، فأصاب يربوعا فقتله ، فحقت في ابن مسعود بجفرا أو جفرة .

وبقولنا قال أكثر العلماء . ويجب مع الجزاء قيمته للآدمي ، إن كان مملوكا . وقال المزني : لا يجب الجزاء بقتل المملوك ، وهو قول مالك وأحمد رضي الله عنهم .

٣ - ما جاء فيمن قال ليس في الخطأ شيء

عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : « وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا » ، قال : لا أرى في الخطأ شيئا . أخرجه سعيد بن منصور . وبه قال داود .

٤ - ما جاء في تحريم لحم الصيد على المحرم ولو كان الصائد حلالا

تقدم في بعض طرق أبي قتادة آتفا ما يدل عليه .

وعن الصَّعْبِ بْنِ جَنَامَةَ اللَّيْثِيِّ ، أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حماراً وحشياً وهو بالأبواء أو بؤدان ، فرَدَّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال :

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى وجهه قال : إنا لم نَرُدَّهُ عليك إلا أنا حُرْم .
أُفْرِمَاه . وذكر المَلَأ أن ذلك كان فى حِجَّة الوداع ، وقطع بأنه كان بالأبواء .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أهدى الصمب بن جثامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل حمارٍ وخش . وفى رواية : عَجَزُ حمارٍ وخش يَقَطُرُ دَمًا ، فردّه ... الحديث . أُفْرِمَاه . وفى رواية : «قدم زيد بن أرقم ، فقال له عبد الله بن عباس يستذكره : كيف أخبرتنى عن لحم صيد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حَرَام ؟ قال : أهدى له عُضْوٌ من لحم صيد ، فردّه ، وقال : إنا لا نأكله ، إنا حُرْم . أُفْرِمَاه مُسَلَّم .

سرح — الأبواء ، بفتح الهمزة ، وسكون الباء الموحدة ممدود : جبل بين مكة والمدينة ، وتندة قرية تنسب إليه . وقيل : الأبواء . القرية ، وهى من عمل الفُرع ، بينها وبين الجحفة ميل ، سُمِّىَ الموضعُ بذلك لوبائه ، وهو على القلب ، فكان ينبغى أن يقال : أبواء . وقيل : لأن الشَّيُول تنبؤوه ، أى تنزله وتَحُلُّه . وهناك تَوَفَّيَتْ أَمَنَةُ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وودَّ أن بفتح الواو كذلك : بقرب الجحفة . وفى الحديث دلالة على أن الهبة لا تدخل فى ملك الموهوب له إلا بالقبول ، وأن قُدْرته على مِلْكها لا تُصَيِّرُهُ مالكا لها . وفى اعتذاره صلى الله عليه وسلم من الصمب ، دلالة على كراهة رد الهدية على الصديق ، لما يقع فى نفسه . وقوله «لم ترده عليك» : كذا رواية المُحدِّثين ، بفتح الدال ، ورواه مُحَقِّقُوا أَشْيَاخَنَا من أهل العربية بضمها ، وهو الصواب ، على مذهب سيبويه ، فى مثل هذا من المضاعف ، إذا دخلت الماء مراعاة الواو ، التى يوجبها صحة الماء ، فكان ما قبلها ولى الواو ، ولا يكون ما قبل الواو إلامضموما ، وهذا فى المذكر ؛ أما فى المؤنث فيفتح فيه ، مُراعاة للألف .

وبوب البخارى على حديث الصمب بن جثامة : إذا أهدى للحرم حمارا وخشيا حَيًّا لم يقبل . فجعل علة الردِّ كونه حَيًّا . وهذا يرُدُّه ما رُوِيَ أنه أهدى عَجَزَ حمار ، ورجل حمار . والصحيح فى تأويله : ما ذهب إليه الشافعى ، وهو أن الردَّ إنما كان لأجل أنه صلى الله عليه وسلم ظن أنه صيد له .

وعن الأسود قال : سألت عائشة عن قديد الوحش ، هل يأكله المحرم ؟ قالت :
أتركه أطول من ذلك وأنا حلال ، فما أصنع به في إحرامى ؟
وعنها أنها قالت لعروة بن الزبير : إنما هي عشر ليال ، فإن اختلج في نفسك منه
شيء فدعه . يغنى في لحم الصيد للمحرم . أمرهم سعيده منصور .
وعن الحسن ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بوشيقة يابسة ، من لحم صيد ،
وهو بالبحفة ، فقال : إنا حُرُم . أمرهم سعيده منصور . وأمرهم أحمد عن عائشة .
وقالت : « وَشِيقَةٌ ظَنِي وَهُوَ مُحَرَّم ، فَرَدَّهَا » : قال سفيان : الوشيقة ما طبخ وقد .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما صيد قبل أن تحرم فكل ، وما صيد
بعد ما تحرم فلا تأكل .

وعنه : لا يحل لحم الصيد وأنت محرم ، ثم تلا هذه الآية : « وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ
لُبٍّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا » . أمرهم سعيده منصور . وعن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ،
عن أبيه ، وكان الحارث خليفة عثمان رضى الله عنه على الطائف ، فصنع لثمان طعاما فيه
من الحجل واليعاقب ولحم الوحش ، فبعث إلى علي عليه السلام ، فجاءه الرسول وهو
يخبط لأباعر له فجاء وهو ينفض الخبط عن يديه ، فقال له : كل . قال : أطمعوه قوما
حلالا ، إنا حُرُم . ثم قال : أنشد الله من كان ههنا من أشجع ، أتعلمون أن رسول الله
حملى الله عليه وسلم أهدى إليه رجل حمار وحش وهو محرم ، فأبى أن يأكله ؟ فقالوا :
نعم . أمرهم أبو داود .

والحجل ، بالتجريك : الطائر المعروف ، واحده حَجَلَة . واليعاقب : جمع يعقوب ،
وهو ذكر الحجل ، وهو مُنْصَرِف ، لأنه عربى لم يُغَيَّر ، وإن كان مزيدا في أوله ؛
والخبط بسكون الباء الواحدة : ضَرْبُ الشَّجَرِ بالعصا ، لينفأ الورق ، يقال خَبَطَ يَخْبِطُ ،
والخبط بالتجريك : اسم الورق الساطع ، وهو فَعْلٌ بمعنى مَفْعُول ، وهو عَلف الإبل .
وأشجع ، بسكون الشين المعجمة ، بعدها جيم مفتوحة ، ثم عين مهيالة . [و] هو أشجع بن
زيث بن غطفان ابن سعد بن قيس بن عيلان من مضر : هى بطن ، وقيل قبيلة ، والأول أظهر .

وبشبه أن يكون على قد علم أن الحارث إنما اتخذ هذا الطعام من أجل عثمان ومن يحضر معه من أصحابه ، فلم يرَ أن يأكله ، ولا أحدٌ ممن يحضرته ، فإذا لم يُصد من أجل الحرم ، فقد رخص كثيرٌ من العلماء في تناوله ؛ وسيأتى ما يدل عليه .

وعن عثمان أنه أتى بلحم صيد وهو مُحَرَّم صاده حلال ، فأكل منه وعلى جالس لا يأكل ، فقال له عثمان : والله ما صيدنا ولا أضمرنا ولا أمرنا . فقال له على : « وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا » . أخرجه سعيد بن منصور . وأخرجه أحمد ، وقال أتى بحجل قد طبخ بماء وملح ، اصطاده أهل الماء ، وزاد : فغضب على وقال : أنشد الله رجلاً شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى بقائمة حمار وحش ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قوم حُرُم ، فأطعموه أهل الحِلِّ . قال : فشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . قال : أنشد الله رجلاً شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى ببيض نعام ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنا حُرُم ، فأطعموه أهل الحِلِّ . فشهد ذووهم من العدة من الاثني عشر . قال فتنى عثمان وركه عن الطعام ، ودخل رَحْله ، وأكل الطعام أهل الماء .

هذه الأحاديث كلها احتج بظاهرها من مَنَعَ الحرم من أكل لحم الصيد مطلقاً ، معترضاً بظاهر الآية ، وهو ظاهر قول على وابن عباس وابن عمر ، وهو مذهب طاووس وسننيان الثوري . وليس العمل على هذا عندنا : لا يحرم عندنا على الحرم من الصيد إلا ما اصطاده ، أو كان له أثر في صيده ، أو صيد من أجله . وسيأتى في الفصل بعده الحجة على ذلك . وبهذا قال عمر وعثمان وأبو هريرة ، وبه قال عطاء بن أبي رباح ومجاهد وسعيد ابن جبير ومالك والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي . وماروي في هذا الفصل ، فهو محمول عندنا على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ردَّ على الصئب بن جثامة وغيره ، وامتنع من الأكل ، لأنه ظنَّ أنه صيد لأجله ، بدليل حديث أبي قتادة المتقدم ، وسيأتى ما يبيِّن ذلك ، وما ذكره ابن عباس من التفصيل بين الصيد قبل الإحرام وبمده ، فلعله مذهب له .

وقيل يأكل الحرم من الصيد ما لم يصد ، سواء صيد له أو لم يصد له .

٥ - حُجَّةٌ مَنْ قَالَ لَا يَحْرُمُ عَلَى الْمَحْرَمِ مِنَ الْحِمِّ الصَّيْدَ إِلَّا مَا صِيدَ لَهُ

تقدم من حديث أبي قتادة ما يدل على ذلك ، في فصل تحريم قتل الصيد والإعانة عليه .
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صيد البرِّ
لكم حلال وأتم حرم ، ما لم تصيدوه أو يُصَادَ لكم . أخرجه أبو داود والنسائي والترمذى ،
وقال الشافعى : هذا أحسن شيء روى في هذا الباب . وحديث الصَّعْبِ محمول عليه ،
وقوله « يصاد » هكذا لرواية ، وصوابه يُصَدُّ .

وعن عبد الرحمن بن عثمان التَّيْمِيّ قال : خرجنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرُمٌ ،
فأهدى له طير وطلحة راقد ، فنامن أكل ، ونامن تورّع ، فلما استيقظ طلحة وَفَّقَ^(١)
من أكل ، وقال : أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه . وعن عيسى
ابن طلحة عن عُثَيْرِ بْنِ سَلَمَةَ الضَّمَرِيِّ ، أنه أخبره عن البَهْزِيِّ ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج يريد مكة وهو مُحْرِمٌ ، حتى إذا كان بالروحاء إذا حمارٌ وحشٍ عَقِيرٌ ، فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعُوهُ ، فإنه يُوشِكُ أن يأتي صاحبه ، فجاء
البَهْزِيُّ ، وهو صاحبه ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، شأنكمُ
بهذا الحمار ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، فقسمه بين الرفاق ، ثم مضى
حتى إذا كان بالأنابية ، بين الرُّوَيْثَةِ والمَرَجِ ، إذا ظبي حاقِفٌ في ظلٍّ فيه سهم ، فزعم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلاً أن يقف عنده ، لا يريبه أحدٌ من الناس حتى
يجاوز^(٢) أخرجه الإمام أحمد والنسائي . وقال في بعض طرقه : عن عمير ، قال : بينما نحن
نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض أنايا الروحاء وهم حُرُمٌ ، إذا حمارٌ وحشٍ
مَعْقُورٌ ، فقال ... ثم ذكر معنى ما بقى . وأخرجه مالك بتغيير اللفظ . وأخرجه أبو حَفْصٍ الْمَلَاءُ
من حديث عائشة ، وذكر أنه كان في حجة الوداع . وقوله « أنايا الروحاء » : الظاهر أنه

(١) أى دعا له بالتوفيق ، واستصوب فعلاه . وسيأتى شرحه في كلام المؤلف .

(٢) فى المؤطا : حتى يجاوزه .

جمع كجبايا وزوايا ونحو ذلك ، واحده أُنْثَايَة ، ويكون غير الموضع المسمّى بالأُنْثَايَة ، بين الروبثة والعرج ؛ فإنَّ ذلك موضع بطريق الجُحفَة إلى مكة .

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، قال : رأيتُ عثمان بن عفَّان بالعرج وقد أتى بلحم صَيْد ، فقال لأصحابه : كلوه ، فقالوا : ألا تأكل أنت ؟ فقال : إني لست كهَيْثُكُمْ ، إِنَّمَا صَيْدٌ مِنْ أَحَلِّ . أَضْرِبْهُ مَالِكُ وَالشَّافِعِيُّ .

وعن أبي هريرة أنه مرَّ به قَوْمٌ ، فاستفتوه في لحم صَيْد وجدوا ناسا يأكلونه ، فأفتاهم بأكله . قال : ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ عَلَى عَمْرِ ، فسألته عن ذلك ، فقال : سِمْ أَفْتَيْتَهُمْ ؟ فقلتُ : أَفْتَيْتَهُمْ بِأَكْلِهِ . فقال عمر : لَوْ أَفْتَيْتَهُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَأَوْجَعْتُكَ . أَضْرِبْهُ مَالِكُ .

وعن عطاء بن يسار : أن كعب الأخبار أقبل من الشام في ركبٍ محرمين ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق وجدوا لحم صيد ، فأفتاهم كعبٌ بأكله . قال : فلما قَدِمُوا عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ ، فقال عمر : مَنْ أَفْتَاكُمْ بِهَذَا ؟ قالوا : كعب ، قال ، فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرْجِعُوا . أَضْرِبْهُ مَالِكُ .

وعن عُرْوَة بن الزُّبَيْرِ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ : كَانَ يَتَزَوَّدُ صَفِيفَ الظُّبَا فِي الْإِحْرَامِ . أَضْرِبْهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السَّنَةِ ، وَقَالَ : هُوَ قَدِيدُهَا ، يَقُولُ مِنْهُ : صَفَفَتِ اللَّحْمُ أَصْفَهُ صَفَا : إِذَا تَرَكَتْهُ فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَجِفَ . وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْهَرَوِيُّ فِي غَرَابِهِ .

شرح — قوله في حديث طلحة : «وَفَقَّ مَنْ أَكَلَهُ» ، أَيْ صَوَّبَهُ . وَالرَّوْحَاءُ : مَنَهْلٌ مَعْرُوفٌ ، قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَالْأُنْثَايَةُ وَالْعَرْجُ : تَقْدِمُ تَفْسِيرَهُمَا فِي فَصْلِ كَرَاهِيَةِ ضَرْبِ الْخِلَافِ مِنْ بَابِ سُنَنِ الْإِحْرَامِ . وَالرُّوبِثَةُ : اسْمُ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْهَا ، وَقَوْلُهُ «عَقِيرٌ» : أَيْ مَعْقُورٌ . وَحَاقِفٌ : أَيْ مَنْحَنٍ كَأَنَّهُ نَائِمٌ قَدْ انْحَنَى فِي نَوْمِهِ «وَيَرْبِيهِ» أَيْ يُرْعِجُهُ .

قال الأصيلي : وَإِنَّمَا قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارَ الْبَهْرِيِّ ، وَرَدَّ حِمَارَ الصَّعْبِ ، لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الصَّعْبَ صَادَهُ مِنْ أَجْلِهِ ، فَتَرَكَهُ عَلَى التَّنْزُّهِ ، وَالْبَهْرِيُّ كَانَ مَتَكْسِبًا ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَادَتِهِ ، فَقَبِلَهُ ، وَأَمَرَ بِقِسْمِهِ بَيْنَ الرِّفَاقِ ، وَكَذَلِكَ إِبَاحَتُهُ حِمَارَ أَبِي قَتَادَةَ ، لِصَيْدِهِ إِتْيَاهَ لِنَفْسِهِ وَلِأَصْحَابِهِ الْمُجْلِسِينَ .

٦ - ما جاء في جزاء الصيد

جزاء النعام

عن عطاء الخراساني ، أن عمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وابن عباس ومعاوية قالوا : في النعامة يقتلها المحرم بدنة من الإبل . أخرجه الشافعي ، وقال : الحديث منقطع . قال البيهقي : لأن عطاء ولد سنة خمسين . قاله يحيى بن معين وغيره ، فلم يدرك عمر ولا عثمان ولا علياً ولا زيداً ؛ وكان في زمن معاوية صبيّاً ، ولم يثبت له سماع عن ابن عباس . قال الشافعي : وهو قول أكثر من لقيت من أهل العلم ، أن في النعامة بدنة . وبالقياس^(١) قلت : في النعامة بدنة ، لانهذا الحديث . وقد روي من وجه آخر عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، وإسناده حسن . وأخرجه الدارقطني عن ابن عباس أيضاً ، وعن عطاء نحوه . أخرجه سعيد بن منصور . وقال مالك : لم أزل أسمع في النعامة إذا قتلها المحرم بدنة . وفي هذا وما بعده دليل على أن المثل المجعول في الصيد ، إنما هو من طريق الخلقة ، لا من طريق القيمة . فتجب هذه الأمثال المنصوص عليها ، سواء وقت بقيمتها أو لم تف .

جزاء بقرة الرمثى

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : في بقرة الوخش بقرة . أخرجه الشافعي . وعن إبراهيم : في الحمار بدنة . أخرجه سعيد بن منصور .

جزاء الأبل

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : في الأبل بقرة . وعن عطاء قال في الأروى بقرة . أخرجهما الشافعي والبيهقي . شرح - الأبل بضم الهمزة ، ويقال بكسرهما أيضاً ، ذكرهما الجوهري : ذكر الوعول ، والأروى : الأثى منها .

(١) وبالقياس : سائغة من ق .

مزار الضبع

عن جابر قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضبع . فقال : هو صيد ، ويجعل فيه كبش إذا صاده المحرم . أخرجه أبو داود .
وعنه أن عمر قضى في الضبع بكبش . أخرجه مالك وسعيد بن منصور .
وعنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : في الضبع إذا صاده المحرم كبش .
أخرجه الدارقطني ، وقال : في طريق الحديث الأجاج بن عبد الله ، وثقه يحيى بن معين ،
وقال ابن عدي : هو صدوق . وقال أبو حاتم : لا يحتج بحديثه .
وعن مجاهد أن علي بن أبي طالب قال في الضبع : صيد ، وفيها كبش إذا أصابها الحرم . أخرجه الشافعي .

وعن ابن أبي عمارة قال : قلت لجابر : الضبع أصيد هي ؟ قال : نعم . قال : قلت :
أكلها ؟ قال : نعم . قال : قلت : أقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . أخرجه
الترمذي ، وقال : حسن صحيح . قال البغوي : اختلف أهل العلم في إباحة لحم الضبع ،
فرؤي عن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يأكل الضبع . ورؤي عن ابن عباس إباحة
لحمه ، وهو قول عطاء ، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور ، وكرهه جماعة ؛ رؤي
ذلك عن سعيد بن المسيب . وبه قال ابن المبارك ومالك والثوري وأصحاب الرأي ، واحتجوا
بأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع . قال أبو عيسى
ورؤي عن النبي صلى الله عليه وسلم في كراهية لحم الضبع ، وليس إسناده بالقوي .

مزار الغزال

عن جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في الظبي بشاة . أخرجه الدارقطني
وعنه ، أن عمر قضى في الغزال بعنز . أخرجه مالك والشافعي والبيهقي وسعيد بن منصور
وعن عروة ، قال : في الشاة من الظباء شاة . أخرجه سعيد بن منصور .
وعن عكرمة ، أن رجلا بالطائف أصاب ظبيا وهو محرم ، فأتى عاتيا ، فقال : أفد
كبشا أو قال : ثنيا من الغنم .
وعن عطاء ، قال : في الغزال شاة . أخرجهما الشافعي .

جزاء الأرنب

عن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في الأرنب بعناق . أخرجه الدارقطني ، وقال : في طريقه الأجلح بن عبد الله ، وثقه ابن معين . وقد تقدم ذكره في فصل الضبع . وعنه ^(١) ، أن عمر قضى في الأرنب بعناق . أخرجه مالك والشافعي وسعيد بن منصور . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : في الأرنب شاة . وعن عطاء ومجاهد مثله . أخرجهما الشافعي . قال البيهقي : والصواب عن ابن عباس : في الأرنب عناق . والعناق : الأنثى من ولد المعز . قال الشافعي : الصغيرة والكبيرة من الغنم يقع عليها شاة . فإن كان عطاء ومجاهد أرادا صغيرة ، فكذلك نقول ؛ وإن أرادا مُسِنَّة خالفناهما ، وقلنا بقول عمر بن الخطّاب ، وكان ذلك أشبه بمعنى كتاب الله عز وجل . قال الشافعي : وقد روى عن عطاء أنه قال : في الأرنب عناق أو تحل .

جزاء اليربوع

عن جابر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : في اليربوع جفرة . أخرجه الدارقطني . وقال : الجفرة التي قد ارتفعت ، وقال غيره : هي الأنثى من ولد المعز إذا بلغت أربعة أشهر . وفي طريق الحديث الأجاج بن عبد الله ، وقد تقدم الكلام فيه في فصل الضبع . وعنه ، أن عمر قضى في اليربوع بجفرة . أخرجه مالك والشافعي وسعيد . وعن ابن مسعود ، أنه قضى في اليربوع بجفراً أو جفرة . أخرجه الشافعي . وعن عطاء : في اليربوع جفرة . قال الشافعي : وبهذا كله نأخذ .

جزاء الثعلب

عن عطاء قال : في الثعلب شاة .

(١) وعنه : سائطة من م .

وعن شُرَيْحٍ ، أنه قال : لو كان معي حُمْحُكُمْ لَحَسَكْتُ : في الثعلب جدى^(١) .
أُضْمِرْهُمَا الشافعى والبيهقى .

جزء الضب

عن طارق بن شهاب ، قال : خرجنا خُجَّاجًا ، فأوطأ رجل منا ، يقال له أربد [راحلته]^(٢) ضبا ، فَفَزَرَ ظَهْرَهُ . فَقَدِمْنَا عَلَى عَمْرٍ ، فسأله أربد ، فقال : يا أربد أحكم فيه ، فقال : أنت خير منى يا أمير المؤمنين وأعلم ، فقال عمر : أنا أمرتك أن تحكم فيه ، ولم أمرك أن تَزَكَّيْنِي ، فقال أربد : فيه جَدَى قد جمع الماء والشجر^(٣) ، فقال عمر : فذاك فيه .
وعن عطاء أنه قال : في الضب شاة .

قال الشافعى : إن كان عطاء أراد شاة صغيرة فبذلك نقول ، وإن كان أراد شاة مُسِنَّة خالفناه ، وقلنا بقول عمر ، وكان أشبهه بالقرآن .

جزء الوبر

عن عطاء ، قال : في الوبر شاة . أُضْمِرْهُ سَعِيد .
وعنه ، قال : في الوبر إن كان يُؤْكَلُ شاة .
وعن مجاهد قال : في الوبر شاة . أُضْمِرْهُمَا الشافعى ، وقال : إن كانت العرب تأكل الوبر ففيه جَفْرَةٌ ، فليس بأكبر من جَفْرَةٍ بدنا .

جزء التنفذ

عن عطاء قال : في التنفذ شاة . أُضْمِرْهُ سَعِيد .

جزء أم ميبين

عن عثمان بن عفان ، أنه قضى في أم حُبَيْنٍ بُحْلَانٍ مِنَ الْغَنَمِ . أُضْمِرْهُ الشافعى وقال الحُلَّانُ الحَلَل . وقال : إن كانت العرب تأكلها فهو كما رَوَى عَنْ عُثْمَانَ يُقْضَى فِيهَا بِشَاءٍ حَلَلٍ أَوْ مِثْلِهَا مِنَ الْمَغْزِ . وَأُضْمِرْهُ الْبَغَوَى وقال : بُحْلَامٌ مِنَ الْغَنَمِ .

(١) في م: بجدي . (٢) راحلته: زيادة عن النهاية لابن الأثير في (فزر)، وهي ساقطة من م، و.

(٣) يريد أنه استغنى عن أمه ، فأكل النبات وشرب الماء .

قال : وأم حُنين : دُويِّبة على خلقه الحرياء ، عريضة البطن . والحَبَن : عِظَم البطن .
والْحَلَّانَ وَالْحَلَّامَ : ولد المِغْزَى . ويقال : الحَلَّام : الحَلَل .

جزء صفار الصيد والغنم

عن عطاء أنه قال : في صفار الصيد صفار الغنم . وفي المَعِيب منها المَعِيبُ من
الغنم . قال الشافعي : لو فداها بصحيح من الغنم كان أحب إلي .
وعنه قال : من أصاب ولد ظبي صغير ، فدَى بولد شاة مثله ؛ فإن أصاب صيدا أعمور ،
فداه بأعمور مثله ، أو صريضا فداه بمرِيض مثله ؛ وأَحَبُّ إلى لو فداه بواف .
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : مَنْ أصاب ولد أرنب وهو محرم قال : فيه
ولد شاة . أخرج جميع ذلك الشافعي ، وقال به . وقال مالك : كل شيء فدَى في
أولاده مثل ما يكون في كبارهِ ، كما أن دية الظبي الصغير والكبير سواء .

جزء الطير من الحمام وغيره

عن ابن عباس في حَمَام الحَرَم : وفي الحمامة شاة ، أضرِب الدارقطني .
وعن عمر وعثمان مثله . أضرِب البَغَوِي .
وعنه : في طير من حمام مكة شاة .
وعنه : في القِمْرِي والحمام والحَجَل والدَّبْنِي والقَطَا شاة . أضرِبهما ابن منصور .
وعنه ، قال : فيما سوى حمام الحَرَم ففيه ثَمَنُهُ إذا أصابه الحرم .
وعنه : كل طير دون الحمام ففيه قِيَمَتُهُ . أضرِبهما الشافعي .
وعن مجاهد وعطاء وطاؤوس ، قالوا : إذا أصاب الرجل من حمام الحرم فعليه
شاة ، محرما كان أو غير محرم . أضرِبهم سعيد .
وعن قتادة أنه قال : إن أصاب الحرم حمامةً خارجا من الحرم ، فعليه دِرْهَم ؛
وإن أصاب من حمام الحرم أو في الحرم ، فعليه شاة . أضرِبهم الشافعي ، وقال : قد ذهب
ذاهب إلى أن في حمام مكة شاة ، وفي حمام غيرها وغير الحمام من الطائر قيمته . قال البيهقي :

وأظنه أراد مالكا، قال : قال الشافعي : وليس له وجه يصح ، ولا أعلم واحدا يقول به .
وقد حكى ابن المنذر عن ابن عباس وابن المسيّب وعطاء : في حمام الحِلِّ إذا أصابه الحرم شاة .
وعن عطاء : كل شيء من صيد الطير : حمامة فما فوقها ، كالكرُكي والبَطّ والحَبَارَى ،
ففيه شاة . وفي العصفور نصف درهم ؛ وفي المَهْدُودِ درهم ؛ وفي الوَطْوَاطِ ثلثا درهم . قال
الشافعي : وما عَبَّ في الماء عَبَّا من الطائر فهو حمام ، وما شربه قَطْرَة قطرة كالدجاج فليس
بحمام ؛ وهكذا قال عطاء ، وقال عطاء في القُمُرِيّ والدَّبْسِيّ شاة شاة . أخرج جميع ذلك
البيهقي ، وقال : قياس قول الشافعي في المَهْدُودِ والوَطْوَاطِ ألاّ يجب شيء ، لأنهما لا يؤكلان .
والذهب فيما هو أكبر من الحمام : أنه يجب فيه القيمة . وما قاله عطاء وجه .

٧ - ما جاء في نتف ريش الطائر

عن عطاء ومجاهد ، قالا : من نتف من ريش حمامة أو طير من طير الحرم ،
فعلیه فداؤه بقدر ما نتف . أخرجه الشافعي والبيهقي .

٨ - ما جاء في الجراد

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجّ أو عمرة ، فاستقبلنا رجل من جرّاد ، فجعلنا نضربه بأسياطنا وعصيتنا ، فقال صلى الله
عليه وسلم : كلوه ، فإنه من صَيْد البحر . أخرجه الترمذي . وقال : غريب لانعرفه إلا من
حديث أبي المهزّم ، يزيد بن سفيان ، وقد تكلم فيه شعبة . وأخرجه أبو داود من طريقين :
عن جابر وكعب . قال : والحديثان جميعا وهم . قال الحافظ المنذري وأبو المهزّم بضم الميم ،
وفتح الهاء ، وكسر الزاي وتشديد هاء ، بعدها ميم : اسمه يزيد بن سفيان ، بضري متروك .

شرح - الرّجل بالكسر الجراد الكثير .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الجراد من صَيْد البحر . أخرجه أبو داود ،
يرويه ميمون بن جابان ، ولا يُحتجُّ بحديثه . وجابان : بجم مفتوحة ، وباء موحدة مفتوحة .

وعنه : أصبنا صِرْماً من جرّاد ، وكان رجل يضرب بسوطه وهو محرم ، فقيل له :
إن هذا لا يصلح ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما هو من صيد البحر .
أُضْرِبْهُ أَبُو دَاوُد .

شرح — الصَّرم : الجماعة . والصَّرمَة : القطيع من الإبل أو الغنم ، ما بين العشرين
إلى الثلاثين والأربعين .

وعن كعب أنه أقبل من الشام في ناس وهم محرمون ، فوجدوا جرّادا ، فأقام
كعب بأخذه ، فأخبر عمر بذلك . فقال له : ما حلك أن تُفْتِيَهُمْ بهذا ؟ فقال : يا أمير
المؤمنين ، والذي نفسى بيده ، ما هي إلا نَثْرَةٌ حُوتٍ يَنْثُرُهَا كُلَّ عام مرتين ، فكره
عمرُ قوله . أُضْرِبْهُ مَالِكٌ وَسَعِيدٌ .

شرح — نَثْرَةٌ : أى عَطْسَةٌ ، كأنه نَثَرَهَا ؛ وقيل : هو من تحريك النَثْرَةِ ، وهي
طَرَفُ الأنف .

٩ — ما جاء فيمن أوجب فيه الجزاء

عن كعب ، أنه لما دخل على عمر ، وقصّ عليه قصّة الجرّاد ، قال له عمر : لعلك بذلك
قَدَّرْتَ^(١) يا كعب ؟ قال : نعم . قال : فما جعلت على نفسك ؟ قال : درهمين . قال : بَخِجْ .
درهمان خير من مئة جرّادة . اجعل ما جعلت في نفسك . أُضْرِبْهُ الشافعي والبيهقي .
والظاهر أن هذا من كعب امتثال لإشارة عمر . يدل عليه ما تقدم آنفاً في الفصل قبله .

وعن عمر وقد سأله رجل : إني أصبت جرّادات يسوّطى . فقال عمر : أطمع
قبضةً من طعام . وعنه أنه قال : لَتَمَرَّةٌ خَيْرٌ من جرّادة . أُضْرِبْهُمَا مَالِكٌ .
وعنه : في الجرّادة تمرّة .

وعنه : لتمرّتان أحبّ إلى من جرّادتين .

وعن ابن عمر ، أنه حكم في الجرّادة بتمرّة . وعن ابن عباس ، أنه أفتى مُحَرَّمًا قَتَلَ

(١) قدرت : ساقطة من هـ .

جرادة أن يتصدق بقبضة من طعام . وعن عطاء مثله . أخرجهما الشافعي . وفي رواية عن ابن عباس ، أنه قال : في الجرادة قبضة من طعام أو تمر .

وعن يوسف بن ماهك ، قال : جاءت رجل من جرادة حتى دخلت الحرم ، فجعل غلمان أهل مكة يأخذون منه ، فنهاهم ابن عباس ، فقال : لو يعلمون ما فيه ما أخذوا منه شيئاً .

وعن الحسن أنه قال : الجرادة من صيد البر والبحر . أخرجه الستة سميدين منصور . وعن ابن جريج أنه سأل عطاء عن الدب أقتله ؟ قال : لا ، ها الله إذا قتلتها فاعزّم . قلت : ما أعزّم ؟ قال : مثل ما تعزّم في الجرادة ، ثم اقدر قدره منها من غرامة الجرادة .

شرح — لاها الله : معناه : لا والله . وهي متداولة في القسم .
وعنه : قلت لعطاء : قتلت وأنا حرام جرادات ، وأنا لا أعلم ، أو قتل ذلك بعيرى وأنا عليه . قال : أعزّم كل ذلك ، تعظيماً لحرّمات الله تعالى . أخرجهما الشافعي .

١٠ — ما جاء فيمن افترش الجرادة في طريقه

عن عطاء قال : فإن كان جرادة أو دباً وقد أخذ بطريقك كلها ، فلم تجد تحييصاً عنه ولا مسلماً فقتلته ، فليس عليك عزّم . أخرجهما الشافعي . وقال : يعني إن وطئه فقتله ، أما لو قتله بنفسه من غير وطء ، فيعزّمه لا بد .

١١ — ما جاء في بيض الصيد

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : في بيض النعام يصيبه الحرم ثمنه . أخرجه الدارقطني ، وأخرجه الشافعي عن أبي الزناد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل . وقال فيه قيمته ، مكان ثمنه .

وعنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في بيضة نعام صيام ، أو طعام مسكين . أخرجه الدارقطني ، والبيهقي .

وعن أبي موسى الأشعري وابن مسعود مثله ، موقوفا عليهما . أخرج ابن المنذر والشافعي والبيهقي .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم في بيض النعام كسره رجل محرم ، صيام يوم لكل بيضة . أخرج الدارقطني والبيهقي وأبو داود في المراسيل ، وقال : هذا هو الصحيح . قال البيهقي : وهو أصح ما روى فيه .

وعن رجل من الأنصار ، أن رجلاً أوطأ بغيره بيض نعام فكسره ، فانطلق إلى علي عليه السلام ، فقال : عليك في كل بيضة جنين ناقة ، فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قال علي ما سمعت ، ولكن هلم إلى الرخصة : عليك بكل بيضة صوم يوم ، أو إطعام مسكين . أخرج أحمد والدارقطني والبيهقي . شرح — هلم : معناه تعال . وفيه لغتان ، فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث ، بلفظ واحد ؛ وبنو تميم تُدْئِي ، وتَجْمَع ، وتُدْكَر ، وتؤنث . تقول هلم ، وهلمى ، وهلمأ ، وهلمأوا .

قال بعض أهل العلم : ما أحسن قياس علي ! لما كان في النعمة بدنة ، أوجب في بيضها جنينها ، لأن ما في البيضة كالجنين ، ثم إن من لم يزل بالمؤمنين رءوفا رحيمًا ، شفيقًا رفيقًا ، وسع بالرخصة ، وحكم بالرقيق ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

وعن ابن عباس قال : في بيض النعام قيمته أو ثمنه .

وعن عمر : فيه ثمنه .

وعن ابن مسعود مثله .

وعن عطاء : في البيضة درهم . أخرج الأربعة سعيد .

وعن علي عليه السلام في بيض الحمام : في كل بيضتين درهم ؛ وبه قال عطاء .

وفي البيضة نصف درهم . أخرج ابن المنذر والشافعي ، وقال : أراد عطاء بقوله هذا القيمة يوم قاله ، فإن كان أراد هذا فيه نقول ، وإن أراد أن هذا حكمه عنده ، فلا نقول به .

وعن ابن عباس نحو قول علي . أخرج الدارقطني .

وعن عطاء وسئل عن البيضة تكون على فراش الرجل . قال : لِيُطَهَّرَ عَنْ فِرَاشِهِ .
وقياس المذهب أنه يُهْدَى ، كفعل عمر في الحمامة . وإليه أو ما الشافعي في تأويل قول عطاء

١٢ - ما جاء في اعتبار عدلين في الحكم بالمثل

عن محمد بن سيرين أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب ، فقال : إني أُجريتُ أنا
وصاحب لي فرسين إلى ثُغْرَةِ ثَنِيَّةٍ ، فأصبنا ظليبا ونحن محرمان ، فما ترى ؟ قال عمر لرجل
إلى جنبه : تعالَ حتى أحكم أنا وأنت . قال . فحكما عليه بعثز . فولى الرجل وهو يقول :
هذا أمير المؤمنين ، لا يستطيع أن يحكم في ظلي ، حتى دعا رجلا يحكم معه . فسمع عمر قول
الرجل ، فدعا به ، فسأله : هل تقرأ سورة المائدة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف هذا الرجل
الذي حكم معي ؟ قال : لا . قال عمر : لو أخبرتنى أنك تقرأ سورة المائدة لأَوْجَعْتُكَ
ضَرْبًا . ثم قال : إن الله تعالى يقول في كتابه : « يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » . وهذا
عبد الرحمن بن عوف . أضرجه مالك .

شرح - ثُغْرَةِ ثَنِيَّةٍ . الثُّغْرَةُ : الثَّلْمَةُ .

وعن النعمان بن مُخَيَّد بن قُدَّامَةَ ، أن رجلا سأل عمر فقال : إني قتلت أَرْبَعًا وأنا
محرم ، فما ترى ؟ قال : اذبح حُلَاثًا من الغنم ، وهي العناق الصغيرة . ثم قال لرجل : يا فلان ،
أُكْذِلُكَ تَرَى ؟ قال : نعم . قال عمر : « يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » . أضرجه سعيد بن منصور .

١٣ - ما جاء في العمل إذا عدم الجزاء

عن ابن عباس في قوله تعالى : « فَجَزَا لِمِثْلٍ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ » : قال : إذا
أصاب الْمُحْرِمُ الصَّيْدَ حُسْبِكُمْ عَلَيْهِ بِجَزَائِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ جَزَاءٌ ذَبَحَهُ وَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهِ ،
وإن لم يكن عنده جزاؤه قُوِّمَ جَزَاؤُهُ دِرَاهِمًا ، ثُمَّ قُوِّمَتِ الدَّرَاهِمُ طَعَامًا ، فصام عن كل
نصف صاع يوما . وإنما جُعِلَ الطَّعَامُ لِلصَّيَامِ ، لأنه إذا وجد الطعام وَجَدَ جَزَاؤَهُ .

وعن عطاء وإبراهيم مثله . أضرجهما سعيد بن منصور .

وعن عطاء قال : إِنْ أَصَابَ إِنْسَانٌ نَعَامَةً ، إِنْ كَانَ ذَا بَسَارٍ كَانَ لَهُ أَنْ يَفْدِيَ

جَزُورًا أَوْ عَدَلَهَا طَعَامًا، أَوْ عَدَلَهُ صِيَامًا ، من أجل قوله تعالى كَذَا أَوْ كَذَا، فليتخير ما شاء
قال ابن جرير: قُلْتُ لِعَطَاء: أَرَأَيْتَ إِذَا قَدَّرَ عَلَى الطَّعَامِ ، أَلَا يَقْدِرُ عَلَى جِزَاءِ الصَّيْدِ الَّذِي
أَصَابَ ؟ قال : ترخيص الله : عسى أن يكون عنده طعام ، وليس عنده ثمن الجزور .
قال الشافعي : وبقول عطاء نقول .

وعن ابن جرير ، أنه قال لعطاء : ما قوله تعالى : « أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا » ؟
قال : إن أصاب ما عَدَلَهُ شاة فصاعدا ، قُوِّمَتِ الشاة طعاما ، ثم جَعَلَ مكان كل مُدٍّ
يوما يصومه . قال الشافعي : وهذا إن شاء الله تعالى كما قال عطاء ، وبه أقول : قال :
فإن أصاب من الصيد ما قيمته أكثر من مُدٍّ وأقل من مُدَيْنٍ ، صام يومين ، وهكذا
حالم يبلغ مُدًا ، صام مكانه يوما .

وعن مجاهد أنه قال : مكان كل مُدَيْنٍ يوما . والشافعي قال : نقول بقول
عطاء ، واستدل بكفارة المُجَامِيعِ في رمضان . أخرج جميع ذلك البيهقي في السنن والآثار .
وقال أبو حنيفة : يُقَوِّمُ الصَّيْدَ أَوَّلًا ، فإن شاء صرف قيمته إلى شيء من النعم ، وإن شاء
إلى الطعام ، فتصدق به على كل مسكين نصف صاع من بُرٍّ ، أو صاعاً^(١) من غيره ،
وإن شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما ، وهذا يقرب من مذهب
ابن عباس ، على ما تقدم .

١٤ - ما جاء في جماعة يشتركون في قتل صيد

عن زياد مولى بنى مخزوم ، وكان ثقةً ، أن قوما حُرُّمًا أصابوا صيداً ، فقال لهم
ابن عمر : عليكم جزاء ، فقالوا : على كل واحد منا جزاء ، أو علينا كلنا جزاء واحد ؟
فقال ابن عمر : بل عليكم كلكنم جزاء واحد .

وعن عمار مولى بنى هاشم ، قال : سئِلَ ابن عباس عن نَفَرٍ أصابوا صيداً ، فقال :
عليهم جزاء واحد . قيل : على كل واحد منهم جزاء ؟ قال : بل عليكم كلكنم جزاء واحد .

(١) كذا في م وفي م : صاع .

وعن عطاء ، قال : عليهم كلهم جزاء واحد . أخرج الثلاثة الشافعي ، وقال :
هذا موافق للكتاب العزيز لأن الله تعالى يقول : « فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ » .
وهذا مثل ما قتل . ومن قال عليه مثلان ، فقد خالف موافقته ، يعني القرآن .

١٥ — ما جاء فيمن قال : على كل واحد منهم جزاء

عن الحسن البصري والشَّعْبِي ، في الجماعة يشتركون في قتل صيد ، قالا : على كل
واحد منهم جزاء .

وعن عطاء قال : عليهم جزاء واحد . فإن أكلوا فعلى كل واحد منهم جزاء .
أخرج سعيد بن منصور .

١٦ — ما جاء في الصيد يتوالد في أيدي الناس ويأهل بالقرى

عن ابن جُرَيْج قال : قلت لعطاء : أرأيت كل صيد قد أهل بالقرى^(١) ، يتولد
فيها من صيد الطير وغيره ، أهو بمنزلة الصيد ؟ قال : نعم . لا تذبحه وأنت حرام ولا ما ولد
في القرية ، أولادها بمنزلة أمهاتها .

وعن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، ولم يسمعه منه ، أنه كان يرى
داجنة الطير والظبي بمنزلة الصيد . أخرجهما الشافعي ، وقال : وبهذا كله نأخذ .

١٧ — ما جاء في صيد البرك والأنهار

عن عطاء أنه سُئِلَ عن صيد الأنهار : أليس بصيد البحر ؟ قال : بلى . وتلا قوله
تعالى : « هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ » إلى قوله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ ثَأْكُلٍ لَحْمًا طَرِبًا » .
وعنه أنه سُئِلَ عن حيتان بركة القسري ، وهي بئر عظيمة في الحرم ، أتصاد ؟
قال : نعم ، ولو ددت أن عندنا منه . أخرجهما الشافعي .

١٨ — ما جاء في المضطر يجد صيدا وميته وهو محرم

عن الحسن البصري وسُئِلَ عن ذلك . فقال : يأكل الميتة ، ويدع الصيد .

(١) أهل بالقرى : أقام بها ودجن .

وعنه إذا قتل الحرم الصيد، لم يحل لحرام ولا لحلال أكله . أخرجهما سعيد بن منصور .
والشافعي في المسألتين قولان : أحدهما هذا ، والثاني يأكل الصيد ، وتحل ذبيحة
الصيد للحلال .

وعن الشَّعْبِيِّ في الْمُحْرَمِ يضطر إلى الصيد وإلى اللَّيْتَةِ . قال : يذبح الصيد
ويأكله ، ويعطى جزاءه . أخرجه سعيد .

١٩ - ما جاء في المحرم يأخذ الصيد ثم يطلقه

عن إبراهيم في المحرم يأخذ الصيد ثم يرسله ولم يقتله^(١) . قال : لا شيء عليه .
وعن عطاء : يجب مثل ذلك ، يتصدق به على ثلاثة مساكين ، لِمَا نَفَرَهُ
أخرجهما سعيد بن منصور .

وعنه قال في محرم أخذ صيدا ثم أرسله ، فمات بعد ما أرسله : يفرمه .
قلت : وهذا متجه إذا مات بسبب كان تحت يده أو بسبب جريه عند إرساله ،
فإنه منسوب إليه ، أما إذا لم يكن كذلك ، فلا يتجبه ضمانه إلا على سبيل الاحتياط .

٢٠ - ما جاء في المحرم يضرب الصيد ، ثم لا يدري ما يفعل

عن عطاء أنه إن رمى مُحْرِم صيدا فأصابه ، ثم لا يدري ما فعل الصيد ، قال :
فليفرمه . قال : فإن أخذته ابنته تابع به ، فلم يدرك ما فعل ، قال : فليصدق . أخرجه
الشافعي . وقال هذا احتياط ، وهو أحبُّ إليّ ، ولا شيء عليه في القياس حتى يعلم .

٢١ - ما جاء أين يفرق جزاء الصيد ؟

عن عطاء قال : يتصدق الذي يصيب الصيد بمكة ؟ قال الله تعالى : « هَدْيًا بِالْبَيْتِ
الْكَعْبَةِ » قال الشافعي : يريد عطاء أن الطعام والنعم كله هدي .

وعن ابن عباس قال : يتصدق به على مساكين مكة .
وعنه الدَّم والطَّعام بمكة ، والصوم حيث شاء . أخرجه الجميع البيهقي .

(١) كذا في م . وفي هـ (منه) مكنا بلا نقط . ولعله يعبه .

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرُ

فِيمَا رَضِيَ فِيهِ لِلْمَحْرَمِ

تقدم في فصول اللباس ذكر الرخصة في السراويل وأُخِفَ للنساء مطلقا ، والرجال بشرط . وفي الثُّبَّانِ والقبَاءِ إذا لم يدخل فيه ، وفي تغطية المحرم وجهه ، وفي عَقْدِ الرداء ، وفي نزع المَخِيطِ من قِبَلِ رأسه إذا أُحْرِمَ فيه ناسيا أو جاهلا ، والمُعْذَرُ بالنسيان والجهل ، وفي المِنْطَقَةِ والهَمِيانِ والخَاتَمِ والتَّقْلَدِ بالسيف ؛ وفي الثوبِ المَصْبُوغِ بغير الطَّيِّبِ ، أو بطيبٍ انقطعت رائحته ، وفي الحِنَاءِ والمَعْصَرِ ، وفي سَدْلِ المرأة شَيْثًا على وجهها دون مباشرة ، وفي الاستِظْلَالِ راكبا ونازلا . وتقدم في فصول الطَّيِّبِ الرُّخْصَةُ فِي شَمِّ الرِّيحَانِ وَالشَّيْحِ وَالْقَيْصُومِ ، وفي خُلُوقِ الكُفَيْبَةِ بِصِيبِ الْمُحْرَمِ ، وفي دَرَسِ الطَّيِّبِ إِذَا انْقَطَعَ رِيحُهُ ، وفي أَكْلِ الطَّعَامِ الْمُطَيَّبِ ، وفي استِصْحَابِ طِيبِ الْإِحْرَامِ . وتقدم في فصول الحلق والقلم الرخصة في قطع الشعر للضرورة ، وفي قَلَمِ الظفر المنكسر ، وقَلْعِ الضَّرْسِ . وتقرر في فصول قتل الصيد ، الرخصة في أَكْلِ لحم الصيد إذا لم يقصد بصيده ، وفي صيد الجراد .

١ - مَا جَاءَ فِي تَبْدِيلِ ثَوْبِ الْإِحْرَامِ

عن عِكْرَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ ثَوْبَيْهِ بِالتَّغْيِيمِ وَهُوَ مُحْرَمٌ .
وعن عَطَاءٍ وَالْحَسَنِ وَإِبْرَاهِيمَ ، أَنَّهُمْ قَالُوا : يُغَيَّرُ الْحَرَمُ ثِيَابَهُ مَتَى شَاءَ : مَا كَانَ عَلَيْهِ حِينَ أُحْرِمَ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ .

وعن إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانَ أَصْحَابُنَا إِذَا اتُّوا بِثَرَمِيمُونَ ، اغْتَسَلُوا وَلَبَسُوا أَحْسَنَ ثِيَابِهِمْ ، فَدَخَلُوا فِيهَا مَكَّةَ .

وعنه قال : إن أبا الشَّعْثَاءَ وعمر بن مَيْمُون والأسود وعلقمة ، كانوا يُحْرِمُونَ من
النكوة ، ويخرجون ليلاً منها ، مخافة الشُّمُرة ، فإذا بلغوا بئر ميمون نزلوا : فآلَقُوا ثيابهم
التي كانت عليهم ، واغتسلوا ، ولبسُوا أحسن ثيابهم . أخرج الجميع سعيد بن منصور .
وعنه قال : لا بأس للحرَمِ يُبَدِّل ثيابه . أخرج البخاري .

٣ - ما جاء في الغسل للمحرم

عن ابن عباس أنه دخل حَمَامُ الجَحْفَةِ وهو محرم . قيل له : أتدخل الحمام وأنت
محرم ؟ فقال : إن الله ما يعبا بأوساخنا شيئاً . أخرج الشافعي . وأخرج سعيد بن منصور .
وقال : إن الله عز وجل لغني عن دَرَنِي ، أو قال : وَسَخِي .
شرح - قوله « ما يعبا » : يقال : مَاعَبَاتُ بفلان عَباً ، أى ما باليت به . حكاه
الجاهلي . ويقال أيضاً : ما يَعْبَأُ بهذا : أى ما يصنع به ؟ ومنه قوله تعالى : « قُلْ مَا يَعْبَأُ
بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ » . والدَّرَنُ والوسخ بمعنى .

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال : يغتسل المحرم ، ويفسل ثوبه .
وعن ابن عمر وابن عباس في غسل الثوب نحوه . أخرجهما البيهقي . وعن عبد الله
ابن حنن ، أن عبد الله بن عباس والمِسُور بن حَرَمَةَ اختلفا بالأبواء ، فقال عبد الله بن عباس :
يفسل المحرم رأسه . وقال المسور : لا يفسل المحرم رأسه . فأرسلني ابن عباس إلى أبي أيوب
الأنصاري ، أسأله عن ذلك ، فوجدته يغتسل بين القرنين ، وهو يستتر بثوب قال : فسألت
عليه ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : أنا عبد الله بن حنن ، أرسلني إليك عبد الله بن عباس ،
يسألك : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل رأسه وهو محرم ؟ فوضع أبو أيوب
يده على الثوب ، فطأطأه حتى بدا لي رأسه ، ثم قال لإنسان يَصُبُّ عليه اصْبُبْ ، فَصَبَّ
عليه ، ثم حَرَّكَ رأسه بيديه ، فأقبل بهما وأدبر ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يَصْنَعُ ، وفي رواية : وأمر أبو أيوب بيديه جميعاً على جميع رأسه . وفيها :
فقال المسور لابن عباس : لا أماريك أبداً . أخرجاه ، وأبو داود وابن ماجه .

شرح - تقدم ذكر الأبواء في الباب قبله . والقَرْنان ، بفتح القاف ، وسكون الراء المهملة : هما الخشبَتان القائمتان على رأس البئر ، يُدْعُ عليهما خشبة تعلّق فيها البكرة ، لِيُسْتَقَى فيها . يقال لها : قَرْنَا البئر . وقال القُتَيْبِي : هما مَنَارَتَانِ تَبْنِيَانِ بالحجارة والمَدَر من جانبي البئر ؛ فإن كانتا من خَشَب فهُمَا زُرْنُوقَان . وَحُنَيْن : بضم الحاء المهملة ، وبعدها نون مفتوحة ، ثم ياء آخر الحروف ساكنة ، ثم نون .

وفي الحديث دلالة على جواز غَسْل الحرم رأسه . وفيه أن مَنْ عَلم الطهارة بنية التطهر أجزأه . وفيه جواز السلام على المتطهر والمتوضئ ، بخلاف من هو على الْحَدَث .

وعن عليّ عليه السلام ، أنه كان يقول للمحرم : اغسل رأسك ، فهو أشعث لك . وعن يعلى بن أمية ، قال : قال لي عمر : اصْدُبِ الماء على رأسي وأنا محرم . قال : قلت : وأنت أعلم يا أمير المؤمنين . قال : صَبَّ باسم الله ، فإنه لا يزيد إلا شَقْمًا . أضرمهمما سعيد بن منصور . وأضرج الثاني مالك والشافعي ، وقال فيه . فقال له يعلى : أتريد أن تجعلها بي ؟ إن أمرتني صَبَبْتُ . فقال له عمر : اصْدُبْ ... الحديث .

وعن ابن عمر أنه كان يغتسل إذا قدم مكة ، وإذا رمى الجمار ، وإذا راح إلى عَرَفة ، وإلى الميدين ، الفطر والأضحى .

وعنه أن عاصم بن عُمر وعبد الرحمن بن زيد ، تماقلا في البحر وهما محرمان ، يُغَيَّب كل واحد منهما رأس صاحبه ، وعمر جالس على شاطئ البحر لا يُنْكَر ذلك . أضرمهمما أبو ذَرٍّ بهذا اللفظ . وأضرج الشافعي معناه .

شرح - تماقلا : أى تَغَاطَسَا ، أى جعل كل واحد منهما يَغِيْسُ رأس صاحبه في البحر .

وعنه ، أنه قال : تبرأت منذ أحرمتُ أربعَ عشرةَ مرةً .

وعنه ، أنه كان لا يغسل رأسه وهو محرم ، فلما كبر كان يتبرّد بالماء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : رُبَّمَا قال عمر بن الخطاب ونحن محرمون بالجحفة : تعالَ أَمَا فِئْكَ ، أَيْنَا أطولُ نَفْسًا في الماء .

وعن سعيد بن جبير ، قال : في الحرم : يَصُبُّ على رأسه الماء ويَحْكُهُ ما لم يَذْمِهِ ، ويَذْلِكُهُ ما لم يُرَجَّلْهُ ، وكره غير ذلك .

أضرب الجميع سعيد بن منصور .

وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، أنه أمر بوسخ في ظهره أن يحك وهو محرم .
أضربه الشافعي .

٣ - ما جاء فيمن كره الغسل للمحرم

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه كان لا يغسل رأسه وهو محرم إلا من الاحتلام .
أضربه مالك ، وقال به .

وفي معنى الاحتلام كل موجب ، ولو على وجه الذئب ، جها بينه وبين الحديث المتقدم عنه .

٤ - ما جاء في حك المحرم رأسه وجسده

عن عائشة رضى الله عنها ، أنها سُئِلَتْ عن المحرم يحك جسده ؟ قالت : نعم ، فليحك ككفه وليشدّد . أضربه ومالك . وزاد : وقالت عائشة : ولو رُبِطَتْ يداى ولم أجد إلا رجلي لحككت .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أنه قال في حك الحرم رأسه ، قال : ببطون أنامله . أضربه البيهقي : وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يحك رأسه بأطراف أنامله . أضربه البيهقي وسعيد بن منصور .

وعنه أنه أمر بالحك ناسا . أضربه البغوي .

وعن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، قال : رأيت ابن عمر يحك رأسه بيديه ، فأقبل بهما وأدبر .

وعن إبراهيم قال : يحك الحرم رأسه حكاً رقيقاً .

وعن سعيد بن جبير قال : يحك ككفه حكاً شديداً ما لم يذمه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وسُئِلَ عن المحرم يَحْكُ رأسه ؟ فرفع يده إلى رأسه وقال : ماذا تخاف من هذا ؟ الحَبَّةُ خير من القملة .

وعن عطاء قال : يحك المحرم رأسه ببطون أصابعه . أضرجه سعيد بن منصور .

٥ - ما جاء في الدُّهْن غير المُطَيَّب

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذَّهَن بزيت غير مُقَتَّت وهو محرم . أضرجه أحمد والنسائي والترمذى ، وقال : حديث غريب .

شرح - مُقَتَّت : أى مُطَيَّب ، وهو الذى يطبخ فيه الرياحين حتى تطيب ريحُه .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : المحرم يَشُمُّ الرِّيحان ، وينظر فى المِرْآة ، ويتداوى بأكل الزيت والسمن . أضرجه البخارى .

وعن عطاء مثله . وزاد : والخل والإهالة إذا لم يكن فيه طيب .

وعنه قال : يَشْتَعِطُ^(١) المحرم بالسَّمن ونحوه ، ما خلا الطيب .

وعن عطاء بن السائب قال : لقينا الأسود بن يزيد ونحن محرمون فى برد شديد ، وقد تَفَلَّقَتْ أيدينا وأرجلنا من البرد ، فقال : عليكم بالشحم فاكوه به . أضرجه الثلاثة سعيد بن منصور .

وعن عطاء بن أبى رباح مثله . أضرجه الشافعى .

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المحرم إذا اذَّهَن بدهن غير مُطَيَّب فى غير رأسه ولحيته من جميع جسده لاشئ عليه . وذهب أصحاب الرأى إلى أنه إذا اذَّهَن جسده فعليه الفِدْيَةُ ؛ وهذه الأحاديث حجة عليهم .

٦ - ما جاء فى الكحل غير المطيب

عن نُبَيْه بن وهب قال : خرجنا مع أبان بن عثمان ، حتى إذا كنا بَمَلَلِ اشْتَكى عمر بن عُبَيْدِ اللَّهِ [عَيْنَه]^(٢) ، فلما كان بالروحاء اشتدَّ وجَعُه ، فأرسل إلى أبان بن عثمان وهو أمير

(١) يجمَل الدَّواء فى أنفه ، وهو السعوط ، يفتح السين .

(٢) الزيادة عن إحدى روايتى مسلم . وفى الأخرى وسنن أبى داود والترمذى : عينه .

يسأله ، فأرسل إليه : أن ضمّدها بالصبر ، فإن عثمان حدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل إذا اشتكى عينه وهو محرم ضمّدها بالصبر . أخرجهما وأبو داود والنسائي والترمذي .
شرح — نَبَيْه هذا : بضم النون وفتح الباء الموحدة وسكون الياء بعدها هاء . ومَلَّ : اسم منزل قريب من المدينة ، والتضديد : تقدم بيانه في فصل استصحاب طيب الإحرام ، من باب محظوراته .

وعن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان إذا رَمِدَ وهو مُحْرَمٌ أَقْطَرَ الصَّبْرَ في عينيه إقطاراً .

وعن عمر رضي الله عنه ، قال : يَكْتَحِلُ المحْرَمُ بِأَيِّ كُحْلٍ ، ما لم يَكْتَحِلْ بِطِيبٍ ، إذا رَمِدَ ، ومن غير رَمَدٍ . أخرجهما الشافعي .

وعن سُمَيَّةَ الْأَزْدِيَّةِ ، قالت : اشتكيتُ عيني وأنا محرمة ، فأزيت عائشة فسألتها عن الكحل ، فقالت : اكحليها بأي كحل شئت غير الأسود ، أو غير السّواد ، أما إنه ليس بمحرّم ، ولكن زينة ، ونحن نكرهه ، وقالت لي : اذني أ كحلّك بصبر . قالت : نخشيت على عيني فلم أعطها ، فإذا هي تندم ألا تكون أعطتها تكحلّها ، ترجو من برّكة يدها . أخرجه سعيد وأبو ذر .

وعن مجاهد وسُئِلَ : أيكتحل المحرم بالإئتمد ؟ قال : لا . قيل : ليس فيه طيب . قال : هو زينة .

وعن عطاء والحسن مثله . أخرجهما سعيد بن منصور .
الكحل بما ليس فيه طيب ، من رَمَدٍ أو غيره ، جائز عندنا ، سواء أ كان إئتمداً أو غيره ، لظاهر حديث ابن عمر . قال البغوي : وهو قول أكثر أهل العلم ، وكره الإئتمد للمحرّم سُفْيَانُ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ .

٧ - ما جاء في النظر في المرأة

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : المحرم يَشْمُ الرِّيحَانَ ، وينظرُ في المرأة . أخرجه البخاري . وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان ينظر في المرأة وهو محرم . أخرجه الشافعي وسعيد

وعن عمر بن عبد العزيز ، أنه كان ينظر فيها وهو مُحَرَّم ، ويتَسَوَّك وهو مُحَرَّم .
وعن عطاء ، أنه لا يرى بأساً للمحرَّم أن ينظر في المِرْآة . أخرجهما سعيد بن منصور .

٨ - ما جاء في حمل السلاح للمحرَّم

عن البراء بن عازب ، قال : صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحُدَيْبِيَّةِ .
على ألاَّ يدخلها إلاَّ بِجُلْبَانِ السَّلاح . وسُئِلَ البراء : ما جُلْبَانِ السَّلاح ؟ قال : القِرَابُ
بما فيه . أخرجه مسلم . وأخرج البخاري معناه ، ولم يذكر جُلْبَانِ :

شرح - الجُلْبَانُ ، بضم الجيم ، وسكون اللام ، مثل الجُلْبَانِ مِنَ القَطَانِي ، وصَوَّبَهُ
غير واحد : شبه الجِرَاب ، يوضع فيه السيف مغموداً ، ويَطْرَحُ فيه الراكب سَوْطَهُ وأدَانَهُ ،
وَيُعَلِّقُهُ فِي آخِرَةِ الرَّحْلِ . ورواه الأتَّيْبِيُّ بضم الجيم واللام ، وتشديد الباء ، وقال : هو
أوعية السلاح بما فيها ، واشتقاقه مِنَ الجُلْبَةِ ، وهى الجِلْدَةُ التى تجعل على القَتَب ، كأنها
كالغشاء . وقيل سُمِّيَ به لِحَفَائِهِ ، من قولهم امرأة جُلْبَانَةٌ ، إذا كانت خَشْنَةً ^(١) جافية الخلق .
قال الزمخشري : ومَدَارُ هذا التركيب على معنى الجمع . وقد فَتَرَ البراءُ الجُلْبَانُ بالسيف
وقِرَابَهُ . وفى بعض الروايات : ولا يَدْخُلُهَا إلاَّ بِجُلْبَانِ السَّلاح : السيف والقوس ونحوه ؛
يريد ما يحتاج فى إظهاره والقتال به إلى مُعَانَةٍ ، لا كالرَّماح ، فإنها ظاهرة ، يمكن تعجيل
الأذى بها ، وإنما اشترطوا ذلك ليكون عِلْماً وأَمَارَةً للسلم ، إذ كان دخولها صُلْحاً .

وعن إبراهيم ، قيل له فى رجل أراد أن يَحْتَجَّ وَيَحْمَلَ السَّلاح . قال : كانوا
يَحْمِلُونَ السَّلاح فى القِرَابِ . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن عِكْرَمَةَ قال فى المحرم : إذا خَشِيَ العدو لبس السلاح وافتدى ، ولم يُتَابَعْ عليه .
أخرجه رزين ولم يُعَلِّمْ عليه ، وشرطه أنه مُتَّفَقٌ عليه . أخرجه البغوى فى شرحه .

(١) الحَشَّة : الجافية الخلق . وفى م ، هـ : حَشِيَّة ، ولعلها تحريف . وعبارة المؤلف فى الشرح
هنا منقولة عن التهايا لابن الأنير ، وهذه الكلمة سائغة منها .

٩ - ما جاء في الحِجامة للمحرم

عن ابن بُحَيْنَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ وَسَطَ رَأْسِهِ . أَضْرَبَهُ : وَقَالَ الْبُخَارِيُّ احْتَجَمَ بِلَحْيَى جَمَلٍ .

شرح - لحي جمل ، بفتح اللام : اسم موضع بطريق مكة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ . أَضْرَبَهُ . زَادَ الْبُخَارِيُّ : وَاحْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ . وَأَضْرَبَهُ أَبُو دَاوُدَ دُونَ الزِّيَادَةِ . وَزَادَ : مِنْ دَاءٍ كَانَ بِهِ .

وعن أنس رضى الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ ، مِنْ وَجَعٍ كَانَ بِهِ . أَضْرَبَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ ، وَقَالَ : مِنْ وَثْءٍ كَانَ بِهِ .

شرح - الوَثْءُ مهموز وقد تترك المهمزة ، وهو أن يصيب العظم وَصْمٌ لا يبلغ الكسر .

١٠ - حُجَّةٌ مِنْ مَنَعَ الْحِجَامَةَ

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَا يَحْتَجِمُ الْمُحْرِمُ إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ إِلَيْهِ . أَضْرَبَهُ مَالِكٌ . وَذَهَبَ إِلَى الْقَوْلِ بِهِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : عَلَى الْمُحْتَجِمِ دَمٌ . وَعَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى الرُّخْصَةِ ، مَا لَمْ يَقْطَعْ شَعْرًا .

١١ - ما جاء في فِقَاءِ الدَّمْلِ وَالْقُرْحَةِ وَنَزْعِ الضَّرْسِ وَقَطْعِ الْعِرْقِ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الْحَرَمُ يَنْزِعُ ضِرْسَهُ ، وَيَقْفَأُ الْقُرْحَةَ . أَضْرَبَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ .

وعنه ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَنْزِعَ الْحَرَمُ ضِرْسَهُ إِذَا انْكَسَرَ . أَضْرَبَهُ سَعِيدُ ابْنِ مَنْصُورٍ .

وعن إبراهيم : إِذَا اشْتَكَى الْحَرَمُ ضِرْسَهُ فَلْيَنْزِعْهُ . أَضْرَبَهُ سَعِيدٌ أَيْضًا . قَالَ مَالِكٌ : لَا بَأْسَ لِلْمَحْرَمِ أَنْ يَبْطِئَ الْجُرْحَ ، وَيَقْفَأَ الدَّمْلَ ، وَيَقْطَعَ الْعِرْقَ إِذَا احتَاجَ .

١٢ - ما جاء في قتال المحرم من حل به

عن عطاء : قال له رجل تلقاني اللص وأنا محرم . قال : قاتله .
وعن إبراهيم مثله . وعن الشعبي مثله . وقال : ما كان من إثم فعلى الشَّعْبِيّ .
أُضْرِبُ الثلاثةَ سعيد بن منصور .

١٣ - ما جاء فيما أُبيح قتله من الحيوان في الحرم والإحرام

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خمسٌ لا يُجْزَأُ على من قتلهنَّ في الحرم والإحرام : الفأرة ، والعقرب ، والغراب ، والحِدَاةُ ، والكلبُ العقور .
وعنه قال حَدَّثَنِي إِحْدَى نِسْوَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يأمرُ بقتل الكلبِ العقور والفأرة والعقرب والحِدَاةِ والغراب والحِيتِ ، قال : وفي الصلاة أيضا . أُضْرِبُهما .
ولم يذكر البخاري زيادة الحية ، ولا الصلاة . وفي رواية عند مسلم من حديث عائشة : الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحِدَاةُ ، وعن أبي سعيد الخدري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ : ما يقتلُ المحْرَمُ ، فقال : الحية والعقرب والفؤَيْسِقَةُ ، وبري الغراب ولا يقتله ، والكلبُ العقور والحِدَاةُ والشَّيْخُ العادي . أُضْرِبُهم أبو داود وابن ماجة ،
والترمذي ولم يذكر الحية ، وقال : الفأرة ، وذكر قتل الغراب ، وقال حديث حسن .
وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : الكلبُ العقور : الأسد .

وعن زيد بن أسلم وقد سُئِلَ عن الكلب العقور . قال : وأى شيء أعقر من الحية .
وعن إبراهيم قال : يَقْتُلُ المحْرَمُ ما عدا عليه من السباع . أُضْرِبُ الثلاثةَ سعيد بن منصور .
وعن ابن المسيّب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقتل المحرم الحية والذئب .
أُضْرِبُ البيهقي .

وعن عطاء قال : ما يَفْدَى المحرم من الصيد إلا ما أكل لحمه . أُضْرِبُ الشافعي ،
وقال : وهذا مما يوافق معنى القرآن والسنة . وعنه وقيل له في الجُنْدَب : كيف ترى فيه ؟
تراه كالجراد ؟ قال : الجراد يؤكل وهو لا يؤكل . فقيل : يقتل ؟ قال : لا أحب أن يقتل ؛
فإن قُتِلَ فليس فيه شيء . أُضْرِبُ الشافعي .

منع - حصل من جميع الروايات المذكورة النص على سبعة : الحية ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور ، والغراب ، والحلديا ، والسبع العادي . واتفق أهل العلم على جواز قتلهم للمحرم والحلال ، إلا ما روى عن النخعي ، أنه قال : لا يقتل المحرم الفأرة ، ولم يذكر عنه فيها الفدية ، وهو خلاف النص المتفق عليه من قول أهل العلم : ومالك والشافعي يريان التعليل^(١) متعلقا بمعنى هذه المنصوص عليها ، دون أشخاصها ، وإنما ذكرت ليُنْبَه بها على ما شاركها في العلة ، لكنهما اختلفا في العلة ؛ فقال الشافعي : العلة أن لحومها لا تؤكل ، وينسحب الحكم على كل ما لا يؤكل إلا ما نهى عن قتله . ورأى مالك العلة كونها مُضِرَّة ، فنيبه بالكلب العقور على ما يضر بالأبدان على طريق المواجهة ، وبالعقرب على ما يضر على وجه الاختلاس ، وبالحدأة والغراب على ما يضر بالأموال مجاهرة ، وبالفأرة على ما يضر بها خفية . وقال : ما كان من السباع لا يبعدو مثل الضبع والثعلب والهر وما أشبهها من السباع ، فلا يقتله المحرم . وقال : مضر من الطير فلا يقتله المحرم إلا ما سمى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن قتل ما سواه من الذئب والعقبان والرخم ، فعليه جزاء . وقال : لا يقتل المحرم الغراب الصغير . وقد اختلف في الكلب العقور ، فقيل : هو المألوف . وقيل : هو كل ما يفترس . وهو قول سفيان بن عيينة ، لأنه يسمى في اللغة كلبا . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لهب ، بأن يُسلط الله عليه كلبا من كلابه ، فقتله الأسد . والأوّل أظهر ، ويؤيده أنه ذكر الكلب العقور والسبع العادي في حديث أبي سعيد ، فدل على تفايرهما . ويتأيد الثاني بقول أبي هريرة ، وزيد بن أسلم . ومعنى تسميتها فواسق : لخروجها عن الحرمة الثابتة لغيرها ، حيث كان قتلهن مباحا في الحرم والإحرام ، ولا فدية على قاتلهن . وقيل : لخروجهن عن السلامة إلى الإضرار والأذى . وقيل : لخروجهن عن حل الأكل . وقيل : لخروجهن عن الانتفاع بهن . وأصل الفسق في اللسان : الخروج . وسمى الفاسق فاسقا : لخروجه عن طاعة الله تعالى ، وفسقت الرطبة : خرجت من قشرها . وهذا أولى ما قيل فيها . وقال الفراء : سميت

(١) في الأصل : التعليل . والتصويب من مامش المجازية ، ويؤيده سياق ما بعده .

الفأرة بذلك لخروجها عن جحرها ، واغتيالها الناس في أموالهم . وعن ابن قتيبة : سمي الغراب بذلك لتخلفه عن نوح عليه السلام ، وخروجه عن طاعته . ولا يسمى كل خارج ولا متخلف فاسقا في عرف الاستعمال ، وإن كان في اللغة كذلك . وقوله في حديث أبي سعيد : ويرمى الغراب ولا يقتله ، قال بعضهم : ويشبه أن يكون المراد به الغراب الصغير ، الذي لا يأكل الحب ، وهو الذي استثناه مالك من جملة الغربان . والحداة ، بكسر الحاء مهموز ، والجمع حِدَاة ، مقصور ^(١) مهموز وكذا جاء في أكثر الروايات . وأما الحديا ، وهكذا جاء هنا مقصورا ، قال ثابت : وصوابه بالهمز ، على معنى التذكير ، وإلا فقياسه الحديثة ، وكذا قيده الأصيلي في صحيح البخاري في موضع ، والحديّة على التسهيل والإدغام . والقَمُور : الجراح . والقَير : الجروح .

وقد جاء قتل هذه الجوارح في الحَرَم ؛ ويقاس عليه قتل كل من يجب قتله فيه ، وإقامة الحدود على من اجترحها فيه وخارجا منه . وسيأتي تنمة الكلام في هذا ، في فصل تحريم الحرم ، إن شاء الله تعالى .

١٤ - ما جاء في قتل القمل

عن سعيد بن جبير قال : ليس للقمل جزاء . قال الله تعالى : « فَجَزَا مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ » .

وعن سالم بن عبد الله قال في الحرم يقتل القملة : وفيها تمرّة ، وإن تمرة خير منها . وعن عطاء سأل رجل : أطرح عنى القملة ؟ قال : نعم قال : والقملتين ؟ قال : بكرة أن تَقْلَى ثوبك وأنت محرم . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وسأله رجل فقال : أخذت قملة فالتقيتها ، ثم طلبتها فلم أجدها . فقال ابن عباس : تلك ضالة لا تبغى . أخرجه الشافعي . وقال : إذا كان القمل في رأسه فلا أحب أن يقتلى عنه ، لأنه إمّاطة أذى ، وأكره له قتله . وأمره أن يتصدق

(١) المراد بالمقصور هنا : ما ليس قبل همزه ألف . ولما قال بعده : مهموز .

بشيء وكل شيء يتصدق به فهو خير منه ، من غير أن يكون واجبا . حكاه البيهقي وقال مالك : لا يقتل المحرم قملة ، ولا يطرحها من رأسه إلى الأرض ، ولا من جلده ، ولا من ثوبه . فإن طرحها فليطعم حَفْنَةً من طعام . وعن الحارث بن الصباح قال : سمعت ابن عمر يقول في القملة يقتلها المحرم : يتصدق بكسرة أو قبضة من الطعام .

١٥ - ما جاء في الذباب والنمل والقُرَاد

عن سميد بن جبَيْر وسُئِلَ عن مُحْرِمٍ قَتَلَ ذُبَابًا . قال : ليس عليه شيء .
وعن عطاء وسأله رجل عن القُرَادَةِ والنملة تَدِبُ عَلَى وَأَنَا مُحْرِمٌ . قال أَلْقِ عَنْكَ مَا لَيْسَ مِنْكَ .

وعن ابن عمر وسأله رجل عن قُرَادٍ لَصِقَ بِهِ قال : لَوْ كُنْتُ أَنَا لَنَزَعْتُهُ عَنِّي .
وعن الحسن وسأله رجل قتل قرادة ، قال : تطعم رغيفا . أخرجه ابن سميد بن منصور .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لا بأس أن يقتل المحرم القُرَادَةَ والحَلَمَةَ .
قال الشافعي : وأكره قتل النملة للمحرم وغير المحرم ، لأنه يُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن قتل النملة ، فإن قتلها محرم فلا شيء عليه ، لأنه إنما أمر بجزاء الصيد الذي يؤكل لحمه . ذكره البيهقي .

١٦ - ما جاء في المحرم يُقَرَّدُ بغيره

عن ربيعة بن الهدير ، أنه رأى عمر وهو يُقَرَّدُ بغيره بالشُّقْمَا وهو محرم أضرجه مالك .

شرح - التقرید : نزع القِرْدَان من البعير ، الذي يَلْصِقُ بجلده . والشُّقْمَا : منزل بين مكة والمدينة ، قيل هي على يومين من المدينة .

وعن عكرمة قال : أمره ابن عباس أن يُقرَّد بعيرا وهو محرم ، فكره ذلك عكرمة . قال : قم فانحمره ، ففحمره : قال لا أم لك ، كم قتلت فيها من قرادةٍ وحلمةٍ وخنانةٍ !
أُخبرني سعيد بن منصور .

شرح — لا أمَّ لك : سبٌّ و ذم ، أى أنت لَقِيطٌ لا تُعرف أمه ؛ هذا أصله . ثم قد
يكثر على لسان الرجل ولا يقصد به الذم ، مثل قولهم : تَرَبَّتْ يداك . والحلمة : أكبر
القراد . والخنانة : دونها . وأوَّلُه قفقامة ، ثم خنانة ، ثم قرادة ، ثم حلمة ، ثم عل .

١٧ — ما جاء في فيمن كره ذلك

عن ابن عمر ، أنه كان يكره أن ينزع المحرم حلمةً أو قرادةً من بعيره . أخبرني
مالك . وفي الحديث في الفصل قبله ، ما يدل على أن عكرمة كان يكره ذلك .

الباب الرابع عشر

في دخول مكة وما سببه

١ — ما جاء في استحباب النزول بذي طوى قبل دخول مكة

والاعتسال للدخول ، والدخول نهارا

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذي طوى ، ويبيت بها حتى يصلى الصبح ، حين يقدم مكة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أكمة غليظة ، ليس في المسجد الذى بنى ، ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة . أخرجه .

وعنه ، أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويفتسل ، ثم يدخل مكة نهارا . ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فطه . أخرجه وأبو داود والنسائي . وأخرج أبو ذر معناه ، وزاد : وكان يكره دخول مكة ليلا .

وعن عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات بذي طوى حتى صلى الصبح ، ثم اغتسل ، ثم دخل مكة . أخرجه مالك .

وعن علي عليه السلام : كان يفتسل بمنزله بمكة حين يقدم ، قبل أن يدخل المسجد . وعن عائشة ، أنها كانت تفتسل بذي طوى حين تقدم مكة . أخرجه الشافعي . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه كان إذا خرج حاجا أو معتمرا لم يدخل مكة حتى يفتسل ، ويأمر من معه فيفتسلوا . أخرجه مالك .

وعنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم اغتسل بفتح قبل دخول مكة . أخرجه الدارقطني . وعن إبراهيم ، قال : كانوا يستحبون أن يخرجوا من الكوفة ليلا ، ويدخلوا مكة نهارا .

وعنه : كانوا يَسْتَجِثُّونَ أن يدخلوا مكة نهارا ، ويخرجوا منها ليلا . أخرجهما سعيد .
شرح — الاغتسال عند دخول مكة مستحب عند جميع العلماء . وذو طُوًى ، بضم
الطاء المهملة ، وفتح الواو المخففة ، والقصر : موضع عند باب مكة ، سُمِّيَ بذلك بهتر مطوَّبة
فيه . هكذا ضبطه بعضهم وضبطه الأصيلي بكسر الطاء . وقال الأصمعي : هي بفتح الطاء .
قال المُنْذِرِيُّ : وهو الصواب . فأما الموضع الذى بالشام فيكسر طاؤه ويضم ، ويُصْرَفُ
ولا يصرف . وقد قُرِئَ بهما . وأما التى بطريق الطائف فممدود . وفتح : موضع معروف ،
وهو بالفاء والخاء المعجمة : موضع قريب من مكة ، ما بينها وبين منى . ويكون هذا الفصل
في غير حِجَّة الوداع ، لأن غَسَّله في حِجَّة الوداع كان بذى طوى .

٢ — ما جاء فيمن وسع في دخولها ليلا

عن عطاء قال : إن شئتم فادخلوا مكة ليلا ، وإن شئتم فادخلوها نهارا ، إنكم
لستم في ذلك كالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إماما ،
فأحب أن يدخلها نهارا ليراه الناس .

وعن إبراهيم : إنما كره أن يدخل مكة ليلا مخافة السرقة . أخرجهما سعيد
ابن منصور .

وهذا الذى عليه العمل عندنا ، فقد دخل صلى الله عليه وسلم نهارا في حِجَّته ، وليلا
في عمرته . وقد اختلف أصحابنا ، فقال القاضى أبو الطيب الطَّيْبَرِيُّ : ليس أحدهما أفضل
من الآخر . وقال أبو إسحاق : نهارا أفضل . واختاره البَغَوِيُّ في تهذيبه وغيره .
والله أعلم .

٣ — ما جاء في مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوم دخول مكة تقدم في الفصل قبله طَرَف منه .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل فرضتي الجبل الذى بينه
وبين الجبل الطويل نحو الكعبة ، يحمل المسجد الذى بَنَى ثُمَّ عَنْ يَسَارِ المسجد الذى بطرف

الأكمة، ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل منه، على الأكمة السوداء، يدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم يصلى مستقبل القُرُضَتَيْن من الجبل الطويل، الذى بينك وبين الكعبة. أضرهه.

سرع — فرضتِ الجبل: ثنية فُرْضة. وفُرْضة الجبل: ما انحدر من وسطه وجانبه وفُرْضة النهر: مشرعتُه. والأكمة: الراية من الأرض، وجمعها: إكام، وجمع الإكام: أكم، وجمع الأكم: آكام.

٤ — ما جاء فى بيان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عن جابر بن عبد الله قال: أهل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالحج خالصة وحده، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم صُبح رابعة مضت من ذى الحجة، فأمرنا أن نَحِلَّ... الحديث. أضرهه. وسيأتى الحديث بتمامه فى باب فسُخ الحج، فى فصل بقاء حكم الفسخ إلى اليوم. وتقدم نحوه من حديث ابن عباس. وقد صح أن وَفَّه النبي صلى الله عليه وسلم كانت يوم الجمعة، فيكون هلال ذى الحجة يوم الخميس، ويكون اليوم الرابع يوم الأحد.

وأما ما رَوَى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة لأربع مضين من الحجة أو خمس، فدخل على... الحديث. وسيأتى فى فصل الاختلاف فى نُسُكها، فلا يَصْلُح لمعارضة حديث جابر وابن عباس، لأن الشك لا يعارض اليقين؛ ورواية القطع مُقَدِّمة على الشك. وأما يوم خروجه من المدينة، فكان يوم الخميس، لست بقين من القعدة، وقد بينا ذلك مستوفى فيما تقدم، فى فصل ما جاء فى التَّرجُل فى الإحرام.

٥ — ما جاء من أين يدخل مكة

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المُرَّس، وإذا دخل مكة دخل من النِذْيَةِ العُلَيَّا، ويخرج من النِذْيَةِ السُّفْلَى. وفى رواية: من كدَاء، من الثنية العليا، التى بالبطحاء، وخارج من الثنية السفلى. أضرهه.

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كُدَى وخرج من كَدَاء ، من أعلى مكة ، وفي رواية : دخل عام الفتح من كَدَاء من أعلى مكة زاد أبو داود : ودخل في العمرة من كُدَى . قال هشام : وكان عروة يدخل على كليهما من كَدَاء وكُدَى ، وأكثر ما يدخل من كُدَى . وكانت أقربهما من منزله . أخرجه البخارى . وقال مسلم : أكثر ما يدخل من كَدَاء .

شرح — الشجرة : على ستة أميال من المدينة ، كان ينزلها صلى الله عليه وسلم إذا خرج من المدينة ، ويحرم منها ، فلذلك صلى الله عليه وسلم تَوَسَّمة على الناس في ذلك ، وإعلاماً أن ما فعل منه نجس ، وكان عروة يفعل ذلك . وقيل إنما فعل ذلك يتأول فيه ما تناول في العيد ، في مخالفة الطريق . والمرس أيضاً : على ستة أميال من المدينة ؛ وهو بضم الميم ، وفتح العين المهملة ، وتشديد الراء المهملة ، وفتحها ، وبعدها سين مهملة . والثنية في الجبل ، كالعقبة فيه . وقيل : هو الطريق العالى فيه ، والعليا ، بضم العين والقصر ، فإن فتحت مددت ، ومثلها التَّوَمَّى والنَّمَاء . وكَدَاء بالفتح والمد ، غير مصروف : هى الثَّنية العُلْيَا ، مما يلي مقابر مكة ، عند الحجون ؛ وبمكة ثلاث كدَايا ، هذه وهى التى يُسْتَحَب الدخول منها . وكُدَى ، بالضم والقصر والتنوين : الثنية السفلى ، مما يلي باب العمرة . والثالثة كُدَى ، بالضم وتشديد الياء مصغر : موضع بأسفل مكة . والأوليان هما المشهورتان . وهذه يخرج منها من يخرج إلى جهة اليمن . هكذا ضُبط عن المحققين ، منهم أبو العباس أحمد بن عمر العُدْرى ، فإنه كان يرويه عن أهل المعرفة بمواضع مكة من أهلها . حكاه عنه الحُمَيْدِى .

٦ — ما جاء فى استحباب التواضع لداخل مكة

عن أنس رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة ، استقبله أَعْمَلِيَّة بنى عبد المطلب ، فجعل واحدا بين يديه ، وواحدا خلفه . أخرجه البخارى . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . من دخل مكة فتواضع لله عز وجل ، وآثر رضا الله على جميع أموره ، لم يخرج من الدنيا حتى يُفَقَّرَ له . رواه عبد الله ابن أبي نجيح المكي ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر ، وهو حديث حسن .

٧ - ما جاء في الدعاء عند رؤية البيت

عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن أَبِي يَزِيدَ ، أن عبد الرحمن بن طارق أخبره عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جازَ من دارِ يَعْلَى (نسبه عُبَيْدُ اللَّهِ) استقبل البيت فدعا . أخرجه أبو داود .

وعن ابن جُرَيْجٍ : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلى البيت رفع يديه ، وقال : اللَّهُمَّ زِدْ هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ ، مَنْ حَجَّهْ أَوْ اعْتَمَرَهُ ، تشريفا وتكريما ، وتعظيما وبرًّا . أخرجه الشافعي . وأخرجه سعيد بن منصور ، عن عباد بن ثمامة ، موقوفا عليه . وأخرجه الملاء عن أبي أسيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل : ورفع يديه .

وعن سعيد بن المسيَّب عن ابن عمر ، أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحِينَا رَبَّنَا بِالسَّلام . حديث صحيحه الحفاظ . وعن سعيد بن المسيَّب ، أنه كان يقول ذلك أيضا إذا نظر إلى البيت . أخرجه سعيد بن منصور . وأخرج الثنائي الشافعي .

[^(١) واعلم أنه ينبغي له أن يستحضر عند رؤية الكعبة ما أمكنه من الخشوع والتذلل والخصوع . فهذه عبادة الصالحين ؛ وعباد الله العارفين ، لأن رؤية البيت تذكُّرٌ وتشوُّقٌ إلى ربِّ البيت . وقد حُكي أن امرأة دخلت مكة ، فجملت تقول : أين بيت ربِّي ؟ فقيل لها : الآن ^(٢) ترينه . فلما لاح لها البيت ، قالوا : هذا بيت ربك ، فاستدارت نحوها ، وألقت جبينها بحائط البيت ، فما رُفِعَتْ إلا مَيِّتة .

وعن أبي بكر الشَّيْبَلِي ، أنه غَشِيَ عليه عند رؤية البيت ، ثم أفاق فأنشد :
هذه دارهم وأنت مُحِبٌّ ماوقوف الدُّمُوع في الآماتِ ؟]

(١) ما بين المعقوفين زيادة عن م .

(٢) كذا في مثير الغرام لابن الجوزي ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤٣٢ تاريخ .

وفي م : ألا .

٨ - ما جاء في استجباب رفع اليد في الدعاء عند رؤية البيت

تقدم في الفصل قبله ما يدل عليه .

وعن ابن جُرَيْج ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتمظيلاً ومهابة وبرّاً . ورواه الثوري ، عن أبي سعيد الشامي ، عن مكحول ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس أنه كان يرفع اليد في الصلاة ، وإذا رأى البيت ، وعلى الصفا والمروة ، وعشية عرفة ، ويجمع ، وعند الجمرتين ، وعلى الميت . أخرجهما الشافعي في مسنده .
وعن طَلْحَةَ بن مُصَرِّف قال : تُرْفَعُ الأيدي في ثمانية مواطن . ثم ذكر ما تقدم ، ولم يذكر ، وعلى الميت . أخرجه سعيد بن منصور ، ورواه الشافعي بسنده .

عن مِقْسَمٍ مولى عبد الله بن الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم هكذا . أخرجه البيهقي مُرسلاً . قال : وقال يعني الشافعي في الإملاء : وليس في رفع اليدين شيء أكرهه ولا أستحبه عند رؤية البيت ، وهو عندي حسن . قال البيهقي : وكأنه لم يعتمد على الحديث لانقطاعه . وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَيْلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ؛ وعن نافع ، عن ابن عمر ، مرة موقوفاً ومرة مرفوعاً دون ذكر الميت . هذا آخر كلامه . وأخرجه الأزرقي ، ورفعته إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرجه أبو ذَرٍّ أيضاً مرفوعاً ، ولفظه عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : تُرْفَعُ الأيدي في سبعة مواطن : عند افتتاح الصلاة ، وعند استلام الحجر ، وعلى الصفا والمروة ، وعرفة ، ويجمع ؛ هكذا ذكره ، ولم يذكر السابع ؛ والظاهر أن الناسخ أسقط : وعند رؤية البيت . والظاهر أن الرفع المشار إليه عند استلام الحجر ، يكون كالرفع عند افتتاح الصلاة ، لأن الظاهر أنه أراد استلامه عند افتتاح الطواف ، والم شروع فيه تكبير لادعاء ، ورفع اليد بالتكبير في الصلاة قد علم ، فليحقيق به الرفع عند كل تكبير ، والرفع في الدعاء معلوم نصاً .

وعن طاووس ، قال : لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم البيت رفع يديه ، فوقع بزمام ناقته ، فأخذه بشماله ، ورفع يده اليمنى . وهذه الآثار ، وإن كان بعضها مُرسلاً ، وبعضها موقوفاً ، فإذا انضمت إلى المتصل أُكِّد بعضها بعضاً . قال البغوي : وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبَّاسٍ ، وَبِهِ قَالَ سَفِيَّانُ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ .

٩ - حجة من كره ذلك

عن جابر رضى الله عنه أنه سُئِلَ عن الرجل يَرَى البيت يَرْفَعُ يديه ، فقال : ما كنت أرى أن أحداً يفعل هذا إلا اليهود . حَجَّجْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نكن نفعله . أَضْرَبَهُ أَبُو دَاوُدَ .
وعن عثمان بن الأسود قال : كُنْتُ مَعَ مجاهد ، فخرجنا من باب المسجد ، فاستقبلتُ الكعبة ، فرفعت يدي ، فقال لى : لا تفعل ، إن هذا من فعل اليهود . أَضْرَبَهُ الْأَزْرَقِيُّ .
وفى رواه الشافعى مُرسلاً وموقوفاً ومتصلاً رَدُّ لقول جابر ومجاهد ، وبَعْضُهُ ما جاء فى الصحيح ، على ماسياتى فى فصل السَّعْيِ والوقوف إن شاء الله تعالى . قال البيهقى وإيس فى حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم نفى ما أثبتوه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا نفى ما أثبت فى رواية مَقْسَمٍ ، من قوله صلى الله عليه وسلم ، إنما فى حديث جابر نفى فعله وفعل رُفْقَائِهِ ؛ ولو صَرَّحَ جَابِرُ بأن رسول الله لم يفعله ، وأُثْبِتَهُ غَيْرُهُ ، كان القول قول المُنْتَبِثِ .
وأول مَوْضِعٍ يقع فيه بصره على البيت رأس الرِّدَمِ ، لمن يأتى من أعلى مكة ، وقد كان ذلك ، فأما اليومَ فقد سُدَّ بِالْأَبْنِيَةِ .

١٠ - ما جاء فى المنزل بمكة

عن ابن عباس رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة ، وطاف جالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، نزل بأعلى مكة بالحجَّون وهو مُهَلِّ بالحج ، ولم يَقْرَبِ الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة . أَضْرَبَهُ الْبُخَارِيُّ .

وعن أم هانئ بنت أبي طالب ، قالت : قلت : يا رسول الله ، ألا تنزل بيوت

مكة ؟ فأبى ذلك وضربت قبته بالأبطح ، ولم يدخل بيتا ولم يُظَلِّه . أضرجه الملأ في سيرته ، ولا تضادَّ بينهما ، فإن الحجَّون والأبطح متقاربان .

وعن أسامة بن زيد أنه قال : يا رسول الله ، أنزل في دارك بمكة ؟ قال : وهل ترك لنا عقيل من رباغ ؟ وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب ، ولم يرنه جعفر ولا علي ، لأنهما كانا مسلمين ، وكان عقيل وطالب كافرين . وفي رواية : قلت : يا رسول الله ، أين تنزل غدا ؟ وذلك في حجته ، حين دنونا من مكة . فقال : وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟ وفي رواية : أين تنزل غدا إن شاء الله تعالى ، وذلك زمن الفتح . قال : وهل ترك لنا عقيل من منزل . أضرجهن مسلم . ويحتمل أن يكون تكرر السؤال في زمن الفتح ، وفي الحجة ، من غير أن يكون بين الخبرين تضاد .

شرح — الحجَّون ، بفتح الحاء ، وضم الجيم مخففة : الجبل المشرف عند المَحَصَّب ، وهو مقبرة أهل مكة ، قال الشاعر :

كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّونِ إِلَى الصَّفا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
وذكر ابن موسى المدبني في تتمته ، أنه الجبل المشرف مما يلي شعب الجزارين بمكة . فنت : وبشبه أن يكون ما ذكرناه هو الجبل الذي على يمين المنهبط من الثنية العليا ، على المقبرة ، فإنَّ إلى جانبه شعبا يقال إنه شعب الجزارين . ويحتمل أن يكون الجبل المستقبل المشرف على المقابر ، على يسار المنهبط من الثنية ، وتكون المقبرة بينه وبين الصفا ، على ما قاله الشاعر ، والأبطح : كلُّ مسيل يجتمع فيه دق الحصى ، والبطحاء : بمعناه ؛ وجمعه أباطح .

١١ — ماجاء في استحقاق الحاج سكنى بيوت مكة من غير أجر

عن ابن عمر ، ورفع الحديث ، قال : مَنْ أَكَلَ كِرَاءَ بُيُوتِ مَكَّةَ أَكَلَ نَارًا ، أضرجه الدار فطنى .

وعن عمر بن الخطاب ، أنه نهى أن يُغْلَقَ بمكة باب دون الحاج ، فإنهم ينزلون كل ما رأوه فارغا .

وعن مجاهد أنه قال: «المسجد الحرام^(١) الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد» قال: الناس بمكة سواء، ليس أحد أحقّ بالمنازل من أحد. وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أمير مكة ألا يدع أهل مكة يأخذون أجرا، فإنه لا يحل لهم. **أُضْرِبَهُمْ أَبُو ذَرٍّ.** وهذا الحكم ينبغي على أن مكة فتحت عنوة أو صلحا. وعندنا أنها فتحت صلحا، فيجوز بيع دورها وأحجارها. وقد ابتاع عمر رضي الله عنه دارا بها، فجعلها سجننا، ولم ينقل أن أحدا من الصحابة أنكر عليه.

١٢ - ما جاء فيمن قال: لا يدخل أحد الحرم إلا وهو محرم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يدخل مكة تاجر ولا طالب حاجة إلا وهو محرم.

وعن مجاهد وطاؤوس قالا: ما دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه إلا وهم مُحْرِمُونَ. **أُضْرِبَهُمَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ.**

وعن ابن عباس أنه قال: والله ما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قط إلا حاجبا أو معتمرا. **أُضْرِبِهِ الدارقطني.**

وفي هذه الآثار دلالة على وجوب الإحرام على داخل مكة. ورؤي عن عطاء الرخصة للخطابين، وفي معنهم كل من له حاجة تتكرر، وهو أشهر قول الشافعي:

١٣ - حُجَّةٌ مَنْ قَالَ: يَجُوزُ الدُّخُولُ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ

تقدم في باب المواقيت الاستدلال على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: وهذه المواقيت لأهلها ولن مرّ بها من غير أهلها، ممن أراد الحج أو العمرة. وعليه بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام. **أُضْرِبِهِ مُسْلِمٌ.**

(١) كذا ورد حديث مجاهد في الأصلين وه، م. وسقطت منها لفظة الحرم.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح مكة وعلى رأسه مِغْفَرٌ ، فلما نَزَعَهُ جاءه رجل فقال : يا رسول الله ، ابن خَطَلٍ مُتَمَلِّقٌ بِأُستار الكعبة . قال : اقتلوه . أَهْرَبَاهُ :

استدلَّ بهذه الهَيْئَةُ من قال إنه دخل بغير إِحرام لعذر القتال ، وبَوَّبَ البخاري على هذا الحديث « باب دخول الحرم ومكة بغير إِحرام » ، ولم يقيدهُ بِالْعُدْرِ ، ثم قال : ودخل ابن عمر ؛ وهكذا ذكره ، والظاهر أنه أراد أنه دخل مكة غير محرم ، لأنه ذكره في معرض الاستدلال به على ذلك . وقد بينه مالك والشافعي وسعيد بن منصور ، فرووا عن نافع ، قال : خرج ابن عمر من مكة يريد المدينة ، فلما بلغ قُدَيْدًا بلغه عن جيش قدم المدينة ، فرجع ، فدخل مكة بغير إِحرام . ولا تضاد بين الحديثين المتقدمين ، بل يجوز أن يدخل وعلى رأسه المِغْفَرُ ، ثم نزعه ، وكان على رأسه العمامة ، فظهرت . وقد رَوَى مُسْلِمٌ ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سوداء ، والخطبة إنما تكون بعد الدُّخُول والاستقرار . فيجوز أن تكون العمامة كانت تحت المِغْفَر كما ذكرناه ، صيانة لرأسه الكريم من بَرْدِهِ وخُسُونَتِهِ ، فلما نَزَعَهُ ظهرت الِمامة . ويجوز أن تكون العمامة من فوقه ، ثم نَزَعَهَا ، فروى كلُّ ما رَأَى ، من غير أن يكون بينهما تضاد ؛ ولا دلالة في الحديث ولا في الأثر على جواز الدُّخُول بغير إِحرام . أما الحديث فلعله صلى الله عليه وسلم أَحْرَمَ وَلَبَسَ لِلْعُدْرِ ؛ وعليه دل عموم قول ابن عباس ، وخَلِيفُهُ عليه ؛ ثم لو ثبت أنه كان غير مُحْرَمٍ ، مُجِلٌّ على أنه ترك الإحرام لحاجة القتال ، فلا يَدُلُّ على الترك مطلقاً . وأما ابن عمر ، فلعله رأى رجوعه من قُدَيْدٍ غير موجب للإِحرام ، إذ لم يتمحض إنشاء القصد إليه ، فصار في معنى الخطأ ، وفي معنى من تكرر منه الدُّخُول إلى المسجد ، ويكون هذا رأيه ، والحجَّة في فعله صلى الله عليه وسلم وقوله .

الباب النخاع عشر

في الطواف بالبيت

١ - ما جاء في أصل الطواف

عن علي بن الحسين وقد سُئِلَ عن ابتداء الطواف ، فقال : لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا » ، وَ« قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » ظَنَّتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ مَا قَالُوا رَدَّ عَلَى رَبِّهِمْ ، فَلَاذُوا بِالْعَرْشِ ، وَطَافُوا بِهِ ، إِشْفَاقًا مِنَ الْغَضَبِ عَلَيْهِمْ ، فَوَضَعَ لَهُمُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ، فَطَافُوا بِهِ ، ثُمَّ بَعَثَ مَلَائِكَةً ، فَقَالَ : ابْنُوا لِي بَيْتًا فِي الْأَرْضِ بِمِثَالِهِ ، وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَطُوفُوا بِهِ كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَأُضْرِبَ الْحَافِظُ أَبُو الْفَرَجِ فِي مِثْرِ الْغَرَامِ ^(١) .

٢ - ما جاء في طواف القدوم واستحباب ألا يُعْرَجَ على شيء بعد دخول مكة قبله
تقدم في حديث جابر في باب صفة حجته صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك .
وعن عائشة ، أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ ، أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ . أَضْرِبَاهُ .

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّ ، فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ [مَكَّةَ] ^(٢) ، أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ . ثُمَّ حَجَّ أَبُو بَكْرٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ . ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُ ذَلِكَ . ثُمَّ حَجَّ عُمَانُ فَرَأَيْتُهُ أَوَّلَ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ . ثُمَّ مُعَاوِيَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ . ثُمَّ حَبِيبَةُ مَعَ أَبِي الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ

(١) انظره في مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤٣٢ تاريخ ، ورقة ١١٤ .

(٢) الزيادة من مسلم .

فكان أول شيء بدأ به الطَّوَّافُ بالبيت . ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلون ذلك . ثم آخر من رأيتُ فعل ذلك ابن عمر ، وهذا ابن عمر عندهم ، فلا يسألونه^(١) ؛ ولا أحدٌ من مضى ، ما كانوا يبدءون بشيء حين يضعون أقدامهم أوَّلَ من الطَّوَّاف بالبيت . وقد رأيت أُمِّي وخالتي حين تقدَّمان لا يبتدئان بشيء أول من البيت تطوفان به . أضرَّباه .

قال عطاء : لم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتنا ولا لوى بشيء ، ولا على شيء في حجَّته ولا عمره كلُّها حتى دخل المسجد ، ولم يصنع شيئاً ، ولا ركع ، حتى بدأ بالطَّوَّاف ، فطاف . قال : فكذلك القادم ، لا يُعْرَجُ على شيء ولا يؤخَّرُ الطَّوَّاف ، إلا لحاجة ، أو مرض ، أو حصار ، أو امرأة ذات صُورَة ، فتؤخَّر طوافها إلى الليل . أضرَّبه أبو الوليد الأزرقى . وأضرَّج الشافعى طَرَقاً منه .

وقد روى البخارى عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته ، حتى أتاه في المسجد ، فدخل البيت ، فكث فيه نهارة طويلاً ، ثم خرَّج . وفيه دلالة على أنه لم يَطُفْ للقدوم ، فيكون طوافُ القدوم من سُنَنِ المناسك ، لا واجباتها . أو نقول لم يكن صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مُتَلَبِّساً بِنُسْكَ . فلذلك لم يَطُفْ للقدوم عند لقاء البيت . وكان قصده دخول البيت ، فبدأ بتحيته ، وهو الصلاة فيه ، على تحية لقائه ، وهو الطَّوَّاف ؛ ويكون طوافه بعد ذلك ولا حَرَجَ في ذلك ، كما يؤخَّر تحية المسجد عند قصد البيت ، حتى يأتى بتحية لقائه ، وهو الطَّوَّاف . فإذا صلى ركعتيه أجزأنا عن تحية المسجد .

شرح — قوله « لوى بشيء » ، ولا على شيء : أى لم يُعْرَجْ على شيء ، ولا عَظَفَ عليه ، يقال لَوَى بِرَأْسِهِ وألواه ، أى أماله من جانب إلى جانب .

٣ - ما جاء في التوسعة لمن جاء مراهقاً في ترك طواف القدوم

تقدَّم في فصل « حُجَّة من قال يحوز دخول مكة بغير إحرام » ، ما يدل على جواز تركه .

(١) كذا في الأصلين والبخارى ، وفي مسلم : « أفلا » بصيغة الاستفهام ، والمؤلف هنا نقل الحديث بلفظ مسلم ، مع قليل من الاختصار .

وعن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان إذا دخل مكة مُرَاهِقاً^(١) خرج إلى عرفة قبل أن يطوف وَيَسْمَى بالصفا والمروة ، ثم يطوف بالبيت بعد أن يرجع .

ع - ما جاء في الطواف قبل الوقوف لمن أحرم بمكة

عن القاسم وقد قال له رجل : إني رجل مكي ، فأؤخر الطواف حتى أرجع من عرفة أو أطوف قبل أن أخرج ؟ فقال له القاسم : إن قدّمت نسكك أو أخرت نسكك فلا بأس . أضرهم سعيد بن منصور . وعليه العمل عندنا ، لكن لا يُجْزَى عن طواف الرُّكْن .

وعن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل : أطوف بالبيت وقد أحرمت بالحج ؟ فقال : وما منعك ؟ قال : إني رأيت ابن فلان يكرهه وأنت أحب إلينا منه ، رأيت أنه قد أفتنته الدنيا . قال وأينا ، أو قال : أيكم لم تفتنه الدنيا ؟ ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرم بالحج ، فطاف بالبيت ، وسمى بين الصفا والمروة ، فسنة الله ورسوله أحق أن تُتَّبَعَ من سنة فلان ، إن كنت صادقاً . وفي رواية أَنَّ السَّائِلَ قال له : أَيضاً لِي أَن أُطَوفَ بالبيت قبل أن آتي المَوْقِفَ ؟ قال : نعم . فقال : ابن عباس يقول : لا تَطْفُف بالبيت حتى تأتي المَوْقِفَ . فقال : قد حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر مثله . أضرهمهما الشيخان .

شرح - يقال فتنته الدنيا وأفتنته . وهما لُفْتَان فصيحتان . وأنكر الأصمعي أفتنته . والإشارة بابن فلان إلى ابن عباس ، يدل عليه الحديث الآخر ، وكان قد ولي البصرة ولم يتقلد ابن عمر شيئاً من أمر الدنيا . وقوله « وأيُّنا لم تفتنه الدنيا ؟ » : قول مثله متواضعاً . والظاهر أَنَّ هذا السائل أراد إني أحرمت من مكة . ولا يُظَنُّ بابن عباس مَنع طواف القدوم وهو سنة ظاهرة مشتهرة ، ومع ذلك وهو يشكّل^(٢) ، لأن ابن عمر يرى أَنَّ الحرم من مكة لا يَطُوف حتى يرجع من عرفة ، على ما سيأتي ، ولعله تغير اجتهاده في حالين ووقتتين ، وذلك أولى من الظن بابن عباس المنع من طواف القدوم ، مع شهرته .

(١) أي إذا ضاق عليه الوقت بالتأخير ، حتى يخاف فوات الوقوف ؛ كأنه كان يقدم يوم التروية ، أو يوم عرفة - (النهاية لابن الأثير) .
(٢) قوله « وهو يشكّل » : كذا في « وف » . وهو « شكّل » . ولاداعي لنا وعلى كلتا الروايتين .

٥ - ما جاء فيمن قال لا يطوف حتى يرجع من عرفة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : طواف من قدم مكة قبل أن يخرج إلى عرفة ؛ وطواف من أهل من مكة بعد ما يرجع من عرفة . أخرجه سعيد بن منصور . وهذا يدل على صحة تأويل قوله في الحديث المتقدم في النصل قبله ، وحمله على من أحرم من مكة ، لا مطلقا .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه كان إذا أحرم من مكة لم يطف بالبیت ، ولا بين الصفا والمروة ، حتى يرجع من منى . أخرجه مالك . والجمع بينه وبين ما تقدم على ما ذكرناه .

وعن مجاهد وسعيد بن جبیر ، أنهما كانا إذا أهلا بالحج يوم التروية ، لم يطوفا بالبیت ، حتى يكون يوم النحر . أخرجه سعيد بن منصور .

٦ - ما جاء في اشتراط الطهارة في الطواف

تقدم في الفصل الأول حديث عائشة ، وفيه ما يدل عليه .
وعنها قالت : قدمت مكة وأنا حائض ، فلم أطف بالبیت ، ولا بين الصفا والمروة ، فشكوت ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : افعلی ما یفعل الحاج غیر أن لا تطوفی بالبیت ، ولا بين الصفا والمروة ، حتى تطهری . أخرجه مالك . وأخرج الشيخان قوله : افعلی ما یفعل الحاج إلى آخره ، في حديث طويل .
وعن ابن عمر أنه قال : الحائض تنسك للناسك ككهما ، ما خلا الطواف بالبیت ، وبين الصفا والمروة ، إلا أن تكون حاضا بعد ما طافت بالبیت ، فإنها تطوف بين الصفا والمروة . أخرجه أبو ذر .

فيه دلالة على عدم اشتراط الطهارة في السعى ، وإطلاق المنع في الحديث الأول إنما كان لاشتراط تقدم الطواف عليه ، وهي ممنوعة منه ، لا لاشتراط الطهارة فيه نفسه .
وعن ابن عباس ، رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أن النفساء

والخائض تغتسل وتُحَرِّم وتَقْضِي المَناسِكَ كُلَّهَا ، غيرَ أنْ لا تَطُوفَ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرَ .
أُفْرِمَ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَسَنَ غَرِيبٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اعْتِبَارِ الطَّهَارَةِ فِي جَمِيعِ الطَّوَافِ ، وَأَنْ شَيْئًا لَا يَصِحُّ مِنْهُ
بِغَيْرِ طَهَارَةٍ . وَمَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ امْرَأَةً حَاضَتْ وَهِيَ تَطُوفُ مَعَهَا ، فَطَافَتْ بِهَا
عَائِشَةُ بَقِيَّةَ طَوَافِهَا . أُفْرِمَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْهَا ، كَانَ مَذْهَبًا لَهَا .
وَالْأَوَّلُ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ .

٧ - مَا جَاءَ فِي اشْتِرَاطِ سِتْرِ الْعَوْرَةِ فِي الطَّوَافِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، فِي الْحِجَّةِ الَّتِي أَمَرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، فِي رَهْطٍ يُؤَدُّونَ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ ، أَلَّا يَحْجَّ
بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا . أُفْرِمَاهُ . وَزَادَ الْبُخَارِيُّ : ثُمَّ أُرْدِفَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْلَى ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بِبِرَاءَةٍ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلَى
فِي أَهْلِ مَنَى يَوْمَ النَّحْرِ بِبِرَاءَةٍ ، وَأَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا .
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَتْ قِبَائِلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَغَيْرِهِمْ ،
يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاءَ ، الرِّجَالُ بِالنَّهَارِ ، وَالنِّسَاءُ بِاللَّيْلِ . فَإِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ بَابَ الْمَسْجِدِ قَالَ
لِلْحُمْسِ : مَنْ يُعِيرُ مِعْوَزًا ^(١) ؟ فَإِنْ أَعَارَهُ أَحَدُهُمْ ثَوْبَهُ ، طَافَ فِيهِ ، وَإِلَّا أَلْقَى ثِيَابَهُ
بِبَابِ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ طَافَ سُبُعًا عُرْيَانًا ، وَكَانُوا يَقُولُونَ . لَا تَطُوفُ فِي الثِّيَابِ الَّتِي قَارَفْنَا
فِيهَا الذَّنُوبَ ، وَكَانَ بَعْضُ نَسَائِهِمْ تَتَخَذُ سُيُورًا تَعَلِّقُهَا فِي حَقْوِيهَا وَتَسْتَرِّي بِهَا ، وَفِيهِ
تَقُولُ الْعَامِرِيَّةُ :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا نُحِلُّهُ ^(٢)

ثُمَّ مِنْ طَافَ مِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِ لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَلْبِسَهَا أَبَدًا ، وَلَا يَنْتَفِعَ بِهَا . ذَكَرَ ذَلِكَ الْأَزْرَقِيُّ ،

(١) المِعْوَزُ ، بِكسْرِ الميمِ : الثَّوبُ الْخَلْقُ . جَمْعُهُ مِعَاوِزُ . انْظُرِ النِّهَايَةَ لِابْنِ الْأَثِيرِ .

(٢) فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ ، طَبْعُ الْمَاجِدِيَّةِ بِمَكَّةَ (ج ١ ص ١١٥) وَ ١٢٢ طَبْعَةُ لِيَزْجَ ،

وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (ج ٧ ص ١٨٩) : أَحَلَّهُ .

وذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: « خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ »: أَيْ ثِيَابَكُمْ كَلَامًا صَدِيقًا أَوْ طُقْمًا . وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَطُوفُونَ عُرَاءَ الرِّجَالِ نَهَارًا ، وَالنِّسَاءَ لَيْلًا ، إِلَّا الْخَمْسَ ^(١) ، وَهِيَ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهُمْ ، فَكَانُوا يَطُوفُونَ بِثِيَابِهِمْ ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَتَّخِذُ سَبَائِجَ ^(٢) مِنْ سُيُورٍ ، فَتَمَلِّقُهَا عَلَى حَقْوِيهَا وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ الْعَامِرِيَّةُ ^(٣) :

اليوم يسدو البيت

٨ - ما جاء في اشتراط جعل البيت عن يساره ، ويطوف على يمينه ،

والابتداء من الحجر الأسود

عن جابر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قَدِمَ مَكَّةَ أتَى الْحِجْرَ فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ مَشَى عَلَى يَمِينِهِ ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا ، وَمَشَى أَرْبَعًا . أَضْرَبَهُ مُسْلِمٌ .
وعن ابن مسعود ، أنه بدأ فاستلم الحجر ، ثم أخذ على يمينه ، فَرَمَلَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ ، وَمَشَى أَرْبَعَةً . أَضْرَبَهُ الشَّافِعِيُّ .

٩ - ما جاء في اشتراط الطواف من وراء الحجر

عن ابن عباس رضي الله عنهما: مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَلْيَطُفْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرِ . أَضْرَبَهُ
وعن ابن شهاب ما حَجَّرَ الْحِجْرَ ، فَطَافَ النَّاسُ مِنْ وَرَائِهِ إِلَّا إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَوْعِبَ

(١) الخمس : جمع أحمس ، وهم سكان الحرم من قريش ومن دان بدِينها وكانوا متشددين في دينهم .
(٢) في م سابع ، بدون نقط ولا همز . وفي م : مسانح وكلاما تحريف . والأول محرف عن سبائج جمع سبيجة . وهي القميص أو كساء مخطط . . الخ . وليس شيء من معناها مناسباً لما أرادته المؤلف هنا ، وإنما المراد شيء يتخذ من الجلد ، يقدر سيورا ، ويجعل على الحقوين في موضع الإزار إلى الركبة ، فيؤاري ويخف الشيء فيه ، وقد يسمى الرهط ، والرهضة ، والرهاط ، والسبعة بفتح السين ، وهذا الأخير أقرب شبهاً إلى اللفظ المحرف آخفاً . وجمع السبعة سباح . قال في لسان العرب : السبعة ثوب من جلود ، وجمعها سباح . قلت : وقوله « من جلود » يساوي قول المؤلف : « من سيور » ، الذي حرفه الناسخ إلى سنور . وقال في المحقق (ج ٤ ص ٣٦) في الرهاط هو أديم يقطع كقدر ما بين الحيزة إلى الركبة كأثال الشرك [جمع شرك النعل] تلبسه الجارية بنت السبعة . والجمع أرهطة . وقال في الرهضة : وهي من آدم ، كانت تصنع في الجاهلية يأترز بها الصبيان والنساء الحيز .
(٣) هي ضباعة بنت عامر بن قرط (عن تفسير القرطبي ج ٧ ص ١٨٩ - طبعة دار الكتب المصرية) .

الناس الطواف بالبيت . ويجوز أن يكون المراد بالحجر في قول ابن عباس ، والله أعلم ، مافيه من البيت ، وهو قدر ستة أذرع أو سبعة ، على اختلاف الروايات ، وسيأتى الكلام فيه مُستوفى إن شاء الله تعالى ، في الباب الثامن والعشرين في استحباب دخول البيت ، إلا أن ظاهر إطلاقه يقتضى لإرادة سحب حكم البيت على جميع الحجر ، وقد قال الله تعالى : « وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ » . وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر ، فدلّ على أن حكمه حكمه ؛ وإلى ذلك ذهب مالك والشافعى وأحمد ، وعلى ذلك دلّ إطلاق كثير من أصحابنا ، منهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ؛ وقال صاحب النهاية ووالده أبو محمد وصاحب التهذيب : إذا طاف في الحجر خارجاً من سبعة منه ، كره ذلك وأجزأه ، ودليلهم ما جاء في الصحيح دليلاً على ذلك ، وسيأتى في الباب المذكور إن شاء الله تعالى . وقال أبو حنيفة إذا ترك الطواف بالحجر أجزأه .

١٠ - ما جاء في اشتراط استكمال سبعة أطواف

عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم سعى ثلاثة أطواف ، ومشى أربعة ، ثم يصلى سجدة . أخرجه . وسيأتى في فصول هذا الباب ما يتضمن الدلالة عليه ، ولا خلاف عندنا في اعتبار هذه الشروط الستة لصحة الطواف ، فلو طاف مُحْدِثاً أو نجساً أو مكشوف العورة أو فى شيء من البيت ، لم يصح طوافه . وقال أبو حنيفة وإن طاف بغير طهارة وانصرف من مكة ، لم يلزمه الإعادة ، ونَجَسَ بالدم ، ولو ابتداء من غير الحجر لم يُعْتَدَ به حتى يأتى الحجر ، ولو نقص العدد ، أو عكس طوافه لم يَجْزِهِ ، وبه قال مالك وأحمد ، وقال أبو حنيفة إن طاف أربعاً أو عكس أعاد مادام بمكة ، فإن خرج لزمه دم . وقال داود : لو عكس أجزأه ولا دم عليه .

وَبُشِّرَطَ أيضاً أن يُحَازَى الحجر في ابتداء الطواف بجميع بدنه ، فلو حاذاه ببعض البدن ففيه خلاف عندنا .

واختلف أصحابنا في النية في طواف الحجّ والعُمرة على وجهين: وجه عدم اشتراطها، أن نية الإحرام قد اشتملت على جميع الأفعال، وهذا يَبْطُلُ بركمى الطواف، فإنه لا خلاف في اعتبار النية فيهما، ولا سبيل إلى طرد الخلاف في طواف الوداع، فإنه يُوَوِّى به بعد التحللين. وفي اشتراط الموالاة قولان: المشهور منهما أنها لا تُشْتَرَط، حتى لو أحدث نوضاً وبني، وسيأتى ما يدل عليه.

١١ - ما جاء في إباحة قطع الطواف لعارض

عن عطاء فيمن يطوف فتقام الصلاة أو يذْفَع عن مكانه إذا استلم، فيرجع إلى حيث قطع عليه فَيَبْنِي. ويَذْكُر نحوه عن ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر. أخرجه البخاري. وعن ابن عمر أنه كان يطوف بالبيت، فأقيمت الصلاة، فصلى مع القوم، ثم قام فبني على ما مضى من طوافه.

وعن عطاء أنه كان يقول في الرجل يطوف بعض طوافه، ثم تحضر الجنازة، قال: يخرج يصلى عليها، ثم يَرْجِع، فيَقْضَى ما بقى من طوافه.

وعن عطاء وإبراهيم قالوا فيمن رَعَف وهو يطوف بالبيت: يخرج فيتوضأ. قال إبراهيم: يبني على طوافه من المكان الذي قطع منه. وقال عطاء: إن فعل ذلك أجزأه، وأَحِبُّ أن يستقبل ذلك من الحجر.

وعن مجاهد في الرجل يطوف، ثم تقام الصلاة ولم يفرغ من أسبوعه، قال: يصلى، ثم يقْضَى ما بقى عليه: أخرجه جميع ذلك سعيد بن منصور.

١٢ - ما جاء فيمن قال: يستأنف إذا قطع لرعاف ونحوه

عن الحسن أنه كان يقول فيمن قطع الطواف لأجل الرعاف: يستقبل طوافه، ولا يَمْتَدُّ بما فعل. أخرجه سعيد بن منصور.

١٣ - ما جاء في إباحة القعود في الطواف للاستراحة

عن مُحمَّد بن زيد ، قال : رأيت ابن عمر يطوف بالبيت ، فقام قبل أن يفرِّغ من طوافه ، من حرٍّ . أنهزمه الأزرق . وأنهزمه سعيد بن منصور بزيادة . ولفظه : رأيت ابن عمر طاف بالبيت ثلاثة أطواف أو أربعة ، ثم جلس يستريح و غلام له يُروِّح عليه ، فقام فبنى على ما مضى من طوافه .

وعنه قال : رأيت ابن عمر بعد ما كبر ، طاف فأعيا ، فاستراح ، ثم بنى على ما مضى من طوافه . أنهزمه سعيد أيضا .

١٤ - ما جاء في إباحة الخروج من طواف التطوع

عن عطاء عن ابن عباس رضی الله عنهما قال : إذا طاف بالبيت تطوُّعا ، ثم شاء أن يقطعه قطعه ، غير أن لا ينصرف إلا عن وتر : خمس ، أو ثلاث ، أو شوط . أنهزمه سعيد بن منصور .

فيه إشعار بأن طواف الفرض لا يجوز قطعه ، ولو اتسع وقته ؛ وفيه نظر من حيث إن الصلاة المكتوبة إذا اتسع وقتها جاز قطعها على وجه : ويمكن الفرق بأن الحجَّ لازم تطوعه بالشروع ، فكذلك جزؤه .

وعن عطاء بن أبي رباح ، أن ابن عباس كان لا يرى بأسا أن يُفطر الإنسان في صيامه التطوع ، ويضرب لذلك أمثالا : رجل طاف سبعا ولم يوفه فله أجر ما احتسب ؛ أو صلى ركعة ولم يصل أخرى ، فله أجر ما احتسب . وفيه دلالة على أن ما دون الأسبوع يُمتدَّ به عبادة عنده ، ويثاب عليه ، وكذلك ما دون اليوم يكون له أجره وإن لم يكن صوما شرعيا .

١٥ - ما جاء في إباحة الكلام في الطواف

عن ابن عباس رضی الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطواف بالبيت مثل الصلاة ، إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير . أنهزمه الترمذی .

وعن طاووس ، عن رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : الطواف بالبيت صلاة ، فأقلوا من الكلام . أخرجه أحمد والنسائي . وأخرجه الشافعي عن طاووس ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله أحل فيه المنطق ، فمن نطق فيه فلا ينطق إلا بخير . أخرجه سعيد بن منصور أيضا كذلك . وأخرجه عن ابن عباس موقوفا ، قال : الطواف بالبيت ... الحديث بنحو الحديث الأول .

وعنه أنه قال : إذا طفت بالبيت فأقل الكلام فإنك في صلاة .

وعن أبي سعيد الخدري أنه كان يقول لبنيه : إذا طمتم بالبيت فلا تلتفوا ولا تهجروا ولا تقاضوا^(١) أحدا إن استطعتم ، وأقلوا الكلام . أخرجهما سعيد بن منصور . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أقلوا الكلام في الطواف ، فإنما أتم في الصلاة . أخرجه النسائي . وأخرجه الشافعي عن عمر ، وقال : في صلاة .

وعن عطاء قال : طُفَّت خلف ابن عمر وابن عباس ، فما سمعت واحدا منهما متكلا حتى فرغ من طوافه .

وكان عطاء يكره الكلام في الطواف ، إلا الشيء اليسير منه ، إلا ذكر الله تعالى ، وقراءة القرآن . أخرجه الشافعي .

وعن عروة بن الزبير قال : حَجَّجْتُ مع ابن عمر ، فالتقينا في الطواف ، فسلمت عليه ، ثم خطبت إليه ابنته ، فارد على جوابها ، فعمى ذلك ، وقالت في نفسي : لم يرضى لابنته . فلما قدمنا المدينة جثته مسلما ، فقال لي : ما فعلت فيما كنت ألقيته إلى ؟ فقلت : لم ترد على جوابها ، فطننت أنك لم ترضني لابنتك . قال : تخطب إلى في مثل ذلك الموضع ، ونحن نترأى^(٢) الله عز وجل . ثم قال : بل قد رضيك ، فزوجني . أخرجه الآجري في مسألة الطائفين بسنده .

شرح - في قوله صلى الله عليه وسلم : « الطواف بالبيت صلاة » دليل على أن الطواف

(١) كذا في م ، م . ولم تبين المراد منه . ولعله « تقاضوا » أي تعادلتوا .

(٢) في م ، م : ترأبا . ولعله من باب تسهيل الهمزة .

يُشترط فيه الطهارة والستارة ، وأن حكمه حكم الصلاة ، إلا فيما وردت فيه الرخصة من الكلام ، بشرط أن يكون بخير . ووجهه أنه جعله صلاة أو مثل الصلاة ، ومقتضى ذلك إبطاله بالكلام مطلقا ، فلما رُخص في كلام خاص وجب أن يقتصر عليه ، فلا يلحق به ما عداه ، تقليلا لخالفه الدليل ؛ وما ورد في إباحة الكلام مطلقا ، فيحمل على هذا المقيد ؛ ومن الخير المشار إليه في الحديث ، أن يسلم الرجل على أخيه ، ويسأله عن حاله وأهله ، وبأمر الرجل الرجل بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ، وأشبه ذلك من تعلم جاهل ، أو إجابة مسألة ، وهو مع ذلك كله مقبل على الله تعالى في طوافه ، خاشع بقلبه ، ذا كر بلسانه ، متواضع في مسألته ، يطلب فضل مولاه ، ويعتذر إليه ؛ فمن كان بهذا الوصف رجوت أن يكون ممن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى يُباهى بالطائفين .

١٦ - ما جاء في أولوية تركه ، بل كراهيته ، ولزوم الأدب حول البيت

عن وهيب بن الورد ، قال : كنت في الحَجَرِ تحت الميزاب بعد العشاء الآخرة ، فسمعت من تحت الأستار : إلى الله أشكو وإليك يا جبريل ، ما أتى من الناس ، من التفكُّه حولي بالكلام^(١) . أنهرهم الأزرقى ، وأنهرهم الإمام أبو بكر في مسألة الطائفين بزيادة ، ولفظه : يا جبريل ، أشكو إلى الله ثم إليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي ، من تفكُّهم في الحديث ، وأفطهم وسنهم . قال وهيب : فأولت أن البيت شكا إلى جبريل . وعن عبد المجيد بن أبي رَوَاد قال : كانوا يطوفون بالبيت خاشعين ذاكرين ، كأنَّ على رؤوسهم الطيرَ وقع ، يستبين لمن رآهم أنهم في نسكٍ وعبادة . قال أبي : وكان طاووس ممن يرى في ذلك النعت .

وعن علي بن الموفق ، يخبر عن نفسه أو عن غيره ، أنه رقد في الحَجَرِ ، فسمع البيت يقول : لئن لم يفته الطائفون حولي عن معاصي الله لأضربنَّ صرخة أرجع إلى المسكان الذي جثت منه . أنهرهمهما أبو بكر الآجُرِّي في مسألته ، وأبو الفرج في مثير الغرام .

(١) كذا في أخبار مكة للأزرقى طبع الماجدية ص ٩ ، وفي ٥ ، م : من الكلام .

واعلم أن التحدث في الطواف ، على غير النحو المتقدم في الفصل قبله ، خطأ كبير ، وغفلة عظيمة ، ومن لابس ذلك فقد لابس ما يُمَقَّت عليه ، خصوصا إن صدرَ ممن يُنسب إلى العلم والدين ، فإنه إذا أنكر على من دونه احتجاج به ، فصار فتنة لكل مفتون . ومن آثر محادثة المخلوق في أمر الدنيا ، والإقبال عليه ، والإصغاء لحديثه ، على ذكر خالقه ، والإقبال عليه ، وعلى ما هو متلبس به من عبادته ، فهو غيبي^(١) أراى ، لأن طوافه بجسده ، وقلبه لاهٍ ساه ، قد غلب عليه الخوض فيما لا يمينه ، حتى استرسل في عبادته كذلك ، فهو إلى الخسران أقرب منه إلى الربح ، ومثل هذا خليق بأن يشكوه البيت إلى الله عز وجل وإلى جبريل ، ولعل الملائكة تتأذى به ، وكثير من الطائفة يتبرءون منه ؛ فعلى الطائف أن يبذل جهده في مجانبة ذلك .

١٧ — ما جاء في عقوبة قوم أساءوا الأدب عند البيت

عن مسعود عن عاقمة بن مرثد ، قال : بينما رجل يطوف بالبيت إذ برق له ساعد امرأة ، فوضع ساعده على ساعدها يتلذذه ، فلصقت ساعدهما ، فأتى بعض الشيوخ ، فقال : ارجع إلى المكان الذي قمت فيه ، فعاهد رب البيت ألا تعود ، ففعل ، فُخِّل عنه . وعن ابن أبي نجيح أن إسافا ونائلة رجل وامرأة حجا من الشام ، قبلهما وهما يطوفان ، فسُخا حجرتين ، لم يزالا في المسجد الحرام ، حتى جاء الله بالإسلام ، فأخرجا . وعن أبي بكر بن حزم عن عمه ، أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة ، إساف من جرهم ، ونائلة من قنطوراء^(٢) ، كانا في البيت ، فقبل أحدهما الآخر ، فسُخا حجرتين . وعن حوَيْطِب بن عبد العزى ، قال : كنا جلوسا بفناء الكعبة ، إذ جاءت امرأة إلى البيت تعوذ به من زوجها ، فجاء زوجها ، فدَّ يده إليها ، فقبست يده ، فأنا رأيت بعد في الإسلام وإنه لاشل^(٣) . أخرج جميع ذلك أبو الفرج في منير الغرام .

(١) أى ضعيف الرأى ، انظر لسان العرب . وفى م ، غيبي ، تحريف .

(٢) فى م ، م : قنطور . (٣) فى م ، م : لاشك . تحريف .

١٨ - ما جاء فيمن كان يتكلم في الطواف ويفتى

عن يزيد بن أبي زياد قال : رأيت أبا جعفر والحسن وعلى بن عبد الله وسعيد بن جبير ومجاهدا يتكلمون في الطواف ، وبين الصفا والمروة .

وعن عبد الملك بن أبي سليمان ، قال : كنا نستفتي سعيد بن جبير ، ونكلمه ونحن نطوف . أضرهما سعيد بن منصور . وهذا الكلام منه محمول على ما تقدم من أنواع الخير .

١٩ - ما جاء في إباحة الضحك في الطواف

عن إسماعيل بن عبد الملك قال : رأيت سعيد بن جبير يتكلم في الطواف ويضحك . أضرهم أبو الوليد الأزرق .

وهذا محمول على ضحك راجع إلى ما ذكرناه من أنواع الخير ، كسرور في طاعة وقربة ، أو حسن إقبال على أخ في الله تعالى ، لانفسكها وتمجبا ، وغفلة عن الله تعالى . والله أعلم .

٢٠ - ما جاء في إباحة الشرب في الطواف

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب في الطَّوَّاف . أضرهم أبو حاتم والشافعي .

وعن أبي مسعود الأنصاري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش وهو يطوف بالبيت فقال على بذنوب من ماء زمزم ، فصب عليه ، ثم شرب وهو يطوف بالبيت . أضرهم الدارقطني .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه شرب وهو يطوف ، فجلس على جدار الحِجْر . أضرهم الشافعي والبيهقي .

٢١ - ما جاء في إباحة الطواف على الراحلة

عن جابر قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت في حجة الوداع على راحلته ، يستلم الركن يمخجنه ، لأن يراه الناس ، وليُشرف عليهم ، وليسألوه ، فإن الناس غشوه . وزاد في طريق آخر : وبالصفا والمروة . أضرهم .

وعن عائشة رضى الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف راكبا ، كراهية أن يُصْرَفَ الناس عنه أَهْرَاجَهُ . وفي رواية : طاف في حِجَّةِ الوداع حول الكعبة على بعيره كراهية أن يُصْرَفَ الناس عنه . أَهْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته ، يستلم الحجر بِمِجْنَتِهِ ، ثم أتى السَّقَايَةَ بعد ما فرغ وبنو عمه ينزعون منها ، فقال : ناوولوني ، فَرُفِعَ له الدلو فثرب ، ثم قال : لولا أن الناس يتخذونه نُسْكَا ، وَيَقْبَلُونَكُمْ عليه لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ ، ثم خرج فطاف بين الصفا والمروة . أَهْرَجَهُ الإمام أحمد .

وفيه إشكال ، لأن ركوبه وإتيانه السَّقَايَةَ كان في يوم النحر ، ولم يطف فيه بين الصفا والمروة ، على ما رَوَى في الصحيح ، أنه طاف لحجه وعمرته بين الصفا والمروة طَوَافًا واحدًا ، وكان الطَّوَّافُ الأول ، لأنه قد صحَّ أنه سعى بعد طواف القدوم . وإن جعلنا إتيانه السَّقَايَةَ بعد طواف القدوم ، ويكون قد تكرر منه ، فالصحيح المشهور أن طوافه للقدوم كان راجلا ولم يركب فيه ، إلا أن يقال إنه أعاد الطواف بين الصفا والمروة يوم النحر ، ويرجح به قول من قال : القارن يطوف طوافين ، ويسعى سعيين ؛ لكن الأصح الوارد في الصحيح خلافه . وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكى ، وطاف على راحلته ، كلما أتى على الركن استلم الركن بِمِجْنَتِهِ ، فلما فرغ من طوافه أناخ راحلته ، فصلى ركعتين . أَهْرَجَهُ أحمد وأبو داود .

في إسناده يزيد بن أبي زياد ، ولا يُحْتَجُّ به . قال البيهقي : وفي حديث يزيد بن أبي زياد لفظه لم يُوافَقَ عليها ، وهي قوله : وهو يشتكى .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجذعاء ، يستلم الركن بِمِجْنَتِهِ ، ثم يَعْطِفُ المِجْنَتَ وَيُقَبِّلُهُ ، حتى فرغ من سَبْعَةِ ، ثم أناخها عند المقام ، فصلى ركعتين ، ثم خرج من باب الصفا . قال : وأخذ عبد الله ابن أم مكتوم بِخِطَامِ ناقته ، فجعل يَرْتَمِزُ ويقول :

يَا حَبْدَا مَكَّةُ مِنْ وَادِي أَرْضٍ بِهَا أَهْلِي وَعُوَادِي

[أَرْضٌ] بِهَا أُمِّشِيَ بِلا هَادِي [أَرْضٌ] بِهَا تَرَسَّخُ أَوْ تَادِي^(١)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك من قول ابن أم مكتوم ، حتى فرغ من سعيه .
أخبره الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام .

وعن أبي الطُّفَيْل قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت على راحلته ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ عِجْجَنَهُ ، ثُمَّ يُقَبِّلُهُ . وزاد في رواية : ثم خرج إلى الصفا والمروة ، فطاف سبعا على راحلته . أخبره أبو داود

في هذه الأحاديث كلها دلالة على أن ركوبه صلى الله عليه وسلم كان في الطواف الذي سعى بعده ؛ وقد صرح أن سعيه كان بعد الطواف الأول ، فيكون ركوبه فيه وفي السعي بعده ؛ وإلى ذلك ذهب ابن حزم ، ذكره في كتاب صفة حج الكبرى . وذكر في موضع آخر منه ، أنه سعى راكبا . وأما الطواف فلا يقطع بأنه في الأول راكبا ، بل يجوز أن يكون فيه أو في غيره . والصحيح المروي في الصحيح ، أن طوافه الأول كان راجلا ، والسعي بعده كان بعضه راجلا وبعضه راكبا ، على ما سنده في فصل السعي ، إن شاء الله تعالى .
وعن أم سلمة أنها شكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تشتكي ، فقال : طوفي من وراء الناس وأنت راكبة . قالت : فطفنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يُصَلِّي إلى جنب البيت ، وهو يقرأ : « وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ » . أخبره

وعند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت بالبيت ، وأرادت الخروج ، فقال لها صلى الله عليه وسلم : إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون . ففعلت ، فلم تصل حتى خرجت .

وعنها أنها قدمت مكة وهي مريضة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : طوفي وراء المصلين وأنت راكبة . قالت : فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند الكعبة يقرأ : « وَالطُّورِ » . أخبره النسائي .

(١) كذا ورد اليتان في م . وسقط حرف النداء من أولهما في أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ١٢٤ وسقطت (أرض) في البينين من المواضع الثلاثة في مثير الغرام لابن الجوزي الورقة ١٦٥ . ومن موضع البيت الثاني في م . وفي أخبار مكة (أرضي) في مكان (أهلي)

وفيه وفيما قبله دلالة على أن صلاته صلى الله عليه وسلم كانت بفناء الكعبة ، وأن طوافها وراء المصلين - والظاهر أنه كان يؤمُّ بهم ، وأن الصلاة كانت صلاة الصبح . وفيه أن من طاف راكباً يَتَوَخَّى خَلْوَةَ المَطَاف ، لئلا يُهَوِّشَ^(١) على الطائفين . وفيه أن الركوب إنما يكون لعذر ، فإن لم يكن عذر فلا فضل أن يطوف راجلاً .

وعنها أنها قالت : يارسول الله ، ما طننت طواف الخروج . فقال صلى الله عليه وسلم : إذا أقيمت الصلاة فطوفي على بعيرك من وراء الناس . أفرمهم النسائي .

هذه الأحاديث كلها تدل على جواز الركوب في الطواف ، وخصَّه مالك بالضرورة ، استدلالاً بحديث أحمد وأبي داود ، وبقوله : « ليراه الناس ، وليشرف عليهم » واختاره الشافعي مطلقاً ، مع كراهية . وعند مالك وأبي حنيفة : إن قُرْبُ أعاد ، وإن بُعد فعليه دم . وقوله « قدم صلى الله عليه وسلم وهو يشتكى » : لعل ذلك كان في غير حِجَّة الوداع ، إذ لم يُنْقَلْ شكايته فيها ؛ ويجوز أن يكون فيها ولم تظهر ، وكان الطواف الذي ركب فيه طواف الإفاضة ، وكان قدومه شاكباً بعد الوقوف . وأما طوافه الأول فلا خلاف فيه أنه كان راجلاً فيه ، كما تضمنه حديث جابر وغيره ؛ وفيه دلالة على جواز ركوب من يَقْدِر على المشي ، وفيه أيضاً دلالة على طهارة رَجِيع ما يؤكل لحمه . ووجه أنه لو كان نجساً لما أدخل بعيره المسجد ، لأنه غير مأمون التلويت ، مع نهيه صلى الله عليه وسلم من إدخال الجانين والصَّبيان المسجد ؛ وحكمة النهي خوف التلويت منهما . والمِحْجَن ، بكسر الليم : عصا مُعَقَّفة يتناول بها الراكب ما يسقط منه ، ويحرك بها بعيره للمشي . وفيه دلالة على جواز الاختصار على الإشارة ، عند عدم القدرة على التقبيل والاستلام .

٢٢ - ما جاء في كراهية الطواف على الخيل

عن عمرو بن دينار قال : طاف رجل على فرس ، فنهوه . قال : أتممتوني أن أطوف على كوكب ؟ قال : فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه ، فكتب عمر أن امتهوه . أفرمهم سعيد بن منصور . واملّ المنع لما في الخيل من الخيلاء والتعظيم .

(١) التهويش : التخليط . وفي معجم النشويش . قال اللغويون : هو الحن .

٢٣ - ما جاء في إباحة الطواف في النملين

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه ، قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ، فانقطعت شِسعته ، فقلت : يا رسول الله : ناواني أصاحبه . فقال : لهذه أثره ، ولا أحب الأثره . أخرجه أبو داود الطيالسي .

شرح - الشَّع : أحد سيور النمل ، وهو الذي يُدْخَل بين إصبعي الرجل ، ويدخل طرفه في الثَّغْب الذي في صدر النمل المشدود في الزَّمام ؛ والزَّمام : هو السير الذي يعقد فيه الشَّع . والأثره ، بفتح الهمزة ، والناء المثلثة : الاسم من أثر يؤثر إشارا : إذا فُضِّل في العطاء ؛ وأراد والله أعلم ، أن فعلی هذا أثره لك على مَنْ حَضَرْنَا من أصحابي ، ولا أحب ذلك ؛ أو أراد أن ذلك أثره لنفسی عليك بالراحة ، [و] لا أحب ذلك ؛ ويشهد للأول قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصَارِي : إنكم ستلقون بعدي أثره ، فاصبروا حتى تَلْقَوْنِي ، أي : يُفَضَّلْ غيركم عليكم في العطاء من النَّفْي ، والاستنثار : الانفراد بالشيء . ويشهد للثاني ما رَوَى أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يَمُتُّ نفسه في شيء فقالوا : يا رسول الله ، نحن نَكْفِيكَ . فقال : قد علمت أنكم تكفوني ، ولكني أكره أن أُمَيِّزَ عليكم ، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه .

وعن عبد الله بن شريك ، قال : رأيت ابن عمر يطوف بالبيت وعليه نعلاه ، ورأيت ابن الزُّبَيْر يطوف وقد عَلَّقَهُمَا في يده . أخرجه سعيد بن منصور وأبو ذَرٍّ .
وعن محمد بن فضل ، قال : رأيت ابن طارق في الطَّوَّاف وعليه نعلان مُطَرَّقَانِ (١) أخرجه أبو الفرج في مثير الغرام .

وعن عبد الله بن الحارث بن يزيد ، قال : خرجت أنا ولبيد بن كلاب اللَّيْثِي ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت ، مُعَانًا نعليه بيده بيده . أخرجه أحمد .

(١) يقال طارق الرجل نعليه وأطرقهما : إذا أطبق نعل على نعل فخرزنا ، وكل ما وضع بعضه على بعض فقد طروق وأطرق . انظر لسان العرب ، والنهاية لابن الأثير في (طرق) . وفي م ، ه ، ه ، مطرقان ، بالفاء ، تحريف .

وهذا محمول على حال طهارتهما ، ولا يقاس على الراحلة لو كانت عليها نجاسة ، فإنه حامل للتلمين ، ولا كذلك في الراحلة .

وعن عطاء بن السائب ، قال : رأيت سعيد بن جبير يطوف ، فإذا طاف دخل الحجر ، ووضع نعليه على جدار الحجر . أضرجه أبو الوليد الأزرقى .

٢٤ - ما جاء في كراهية القيام في الطواف

عن عبد المجيد بن أبي رواد ، قال : سألت أبي عن القيام في الطواف ، فقال : كان عبد الكريم بن أبي المخارق أول من نهاى عن ذلك . قال : أخذت بيده فاحتبسته ، لأسأله عن شيء ، فأنكر على ذلك نكرة شديدة ، ووعظنى فيه بأشياء ؛ فأخبرت أن^(١) المطلب بن أبي وداعة رأى ناسا قياما في الطواف يتحدثون ، فأنكر ذلك ، وقال : اتخذتم الطواف أندية ! قال أبى : ثم سألت نافعا مولى ابن عمر : هل كان ابن عمر يقوم في الطواف ؟ فقال : لا ، مارأيتة قائما فيه حتى يفرغ منه إلا عند الحجر والرُّكن اليماني ، فإنه كان لا يدعهما أن يستلِيهما في كل طواف . أضرجه الأزرقى .

٢٥ - ما جاء في كراهية التلثم في الطواف

عن عطاء ، سئل عن الرجل يطوف بالبيت وهو متلثم ، فكرهه . أضرجه سعيد ابن منصور . وهذا في حق الرجل ؛ أما المرأة فلا بأس أن تطوف متنقبة . وقد روى ذلك عن عائشة . أضرجه سعيد .

٢٦ - ما جاء في الحث على تقبيل الحجر واستلامه

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سئل عن استلام الحجر . فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويُقبّله . أضرجه .
وعنه أن رجلا سأله عن استلام الحجر . فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كذا في أخبار مكة للأزرقى . وفيه : « وأخبرت عنه أن . »

يَسْتَلِمُهُ وَيَقْبَلُهُ . قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ زُحْتُ ، أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ . قَالَ : اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِالْمِنْ ؛
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَلِمُهُ وَيَقْبَلُهُ . أَهْرَبَهُ الْبَخَارِيُّ .

وعنه قال : قَبَّلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَفِي رِوَايَةٍ : اسْتَقْبَلَ الْحَجَرَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ حَجَرٌ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ .
ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَبَّلَهُ . أَهْرَبَاهُ . وَقَالَ النَّسَائِيُّ : قَبَّلَهُ ثَلَاثًا . وَقَالَ الْبَخَارِيُّ : حَجَرَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ،
وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ ، فَاسْتَلَمَهُ . زَادَ الْأُزْرُقِيُّ
فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ . قَالَ : وَبِمَ قُلْتَ ذَلِكَ ؟
قَالَ : بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا . قَالَ : فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ جِلَّ وَعِزَّ آدَمَ ، مَسَحَ ظَهْرَهُ ،
فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ فَقَرَّرَهُمْ أَنَّهُ الرَّبُّ ، وَأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ ، ثُمَّ كَتَبَ مِيثَاقَهُمْ فِي رَقٍّ ،
وَكَانَ هَذَا الْحَجَرُ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ ، فَقَالَ لَهُ : افْتَحْ فَانْصَحْ ، قَالَ : فَأَلْقَاهُ ذَلِكَ الرَّقَّ ، وَجَعَلَهُ
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . وَقَالَ : تَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاكَ بِالْمُؤَاظَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ
أَنْ أَعِيشَ فِي قَوْمٍ لَسْتُ فِيهِمْ يَا أَبَا الْحَسَنِ .

رَأَاهُ رَجُلٌ مِنَ الدَّوْلَابِيِّ فِي الدَّرَةِ الطَّاهِرَةِ ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَمَّا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْكِتَابِ ، جَعَلَهُ فِي الْحَجَرِ ، فَمَنْ الْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ اسْتَلَامَ الْحَجَرَ .
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ
مِيثَاقَهُمْ ، جَعَلَهُ فِي الْحَجَرِ . أَهْرَبَهُ أَبُو الْفَرَجِ .

وَعَنْ ابْنِ عُقْلَةَ أَنَّ عُمَرَ قَبَّلَ الْحَجَرَ وَالتَزَمَهُ ، وَقَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَ حَقِيًّا . أَهْرَبَاهُ .

سُرِعَ — حَقِيًّا : أَيْ مَعْتَنِيًّا . وَجَمْعُهُ أَحْقِيَاءُ .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاوُضَ الْحَجَرَ

الأسود فإنما يُقاوِضَ يدَ الرحمن . أُنْهِرَ ابنَ مَاجَةَ . وقوله فَاوَّضَ : أَى لَابَسَ وَخَالَطَهُ ، من مُفَاوَضَةِ الشَّرِيكَيْنِ ، وَتَفْوِيضِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ .

وعن ابن عباس ، قال : الرَّكْنُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، يَصَافِحُ بِهَا عِبَادَهُ ، كَمَا يَصَافِحُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ . وزاد في رواية : والذي نفس ابن عباس بيده ، مامن امرئ مسلم يسأل الله عنده شيئاً إلا أعطاه إياه . أُنْهِرَ الْأَزْرَقِي .

وعنه قال : الحجر الأسود يد الله في الأرض ، من مسه فإنما يُبَايِعُ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ . أُنْهِرَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ . وَأُنْهِرَ أَبُو عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، وَرَوَاهُ أَبُو الطَّاهِرِ الْمُخَلَّصُ فِي فَوَائِدِهِ ، فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ التَّاسِعِ ، وَزَادَ : فَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ بَيْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحَ الْحَجَرَ ، فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَأُنْهِرَ أَبُو الْفَرَجِ فِي مُثِيرِ الْغَرَامِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا .

ومعنى الحديث والله أعلم : أَنَّ كُلَّ مَلِكٍ إِذَا قُدِمَ عَلَيْهِ قُبِلَتْ يَمِينُهُ ، وَلَمَّا كَانَ الْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ أَوَّلَ مَا يَقْدَمَانِ يُسَنُّ لهما تَقْبِيلُهُ ، نَزَلَ مَنْزِلَةُ يَمِينِ الْمَلِكِ وَيَدِهِ ، وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى . وَكَذَلِكَ مِنْ صَاحِبِهِ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ ، كَمَا أَنَّ الْمُلُوكَ تَعطى الْعَهْدَ بِالْمُصَافَحَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَكْثَرُوا اسْتِلَامَ هَذَا الْحَجَرِ ، فَإِنَّكُمْ تَوْشِكُونَ أَنْ تَفْقِدُوهُ . بَيْنَمَا النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ أَصْبَحُوا وَقَدْ فَقَدُوهُ . إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُنْزِلُ شَيْئًا مِنَ الْجَنَّةِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَعَادَهُ فِيهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . أُنْهِرَ الْأَزْرَقِي .

شرح — تقبيل الحجر واستلامه واستلام الركن اليماني ، مِنْ سُنَنِ الْحَجِّ لِمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ اسْتَلَمَهُ عَلَى مَا سَيَأْتِي فِي كَيْفِيَةِ الاسْتِلَامِ ، وَإِنَّمَا جُمِعَ فِيهِ بَيْنَ التَّقْبِيلِ وَالِاسْتِلَامِ . دُونَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، لِاجْتِمَاعِ فَضِيلَتَيْنِ : كَوْنِهِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَوْنِ الْحَجَرِ فِيهِ ، بِخِلَافِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ . وَقَوْلُ عُمَرَ « حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ » : طَلِبًا ^(١) مِنْهُ لِلْآثَارِ ، وَبَحْثًا ^(٢) عَنْهَا وَعَنْ مَعَانِيهَا . وَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْحَجَرَ يُسْتَلَمُ وَلَا يَعْلَمُ لَهُ سَبَبٌ يَظْهَرُ لِلْحُسْنِ وَلَا

(١) طلباً وبَحْثًا : كَذَا فِي مَعْنَى ، مِمَّا بِالنَّصْبِ .

من جهة العقل، ترك فيه الرأى والقياس ، وصار إلى تحض الاتباع ، كما صنع في الرَّمَل ، على ماسياتى .

قال أبو سليمان الخطَّابى: فى حديث عمر من الفقه، أن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة وإن لم يُوقَفْ فيها على عِلَل مَعْلُومَة، وأسباب معقولة . وأن أعيانها حُجَّة على من بَلَغَتْهُ وإن لم يفقه معانيها، إلا أن معلوما أن تقبيل الحجر لكرام وإعظام لحقه، وتبرك به، وقد فضل الله تعالى بعض الأحجار على بعض ، كما فضل بعض البقاع على بعض ، وبعض الأيام والليالى على بعض . وأما الرُّكن اليماني فالشهور فيه الاستلام دون التقبيل . وقد ورد فيه التقبيلُ وسيأتى . قال الطَّبْرِي^(١) : إنما قال ذلك عمر ، والله أعلم ، لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشى عمر أن يَظُنَّ الجُهالُ أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله ، فأراد عمر أن يُعْلِمَ أن استلامه لا يُقصدُ به إلا تعظيم الله عز وجل ، والوقوف عند أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، وأنَّ ذلك من شعائر الحج التي أمر الله بتعظيمها، وأن استلامه يخالف لفعل الجاهلية فى عبادتهم الأصنام ، لأنهم كانوا يَعتَقِدُونَ أنها تُقَرَّبُهُمْ إلى الله عز وجل زُلْفَى ، فنَبَّه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد ، وأنه لا ينبغي أن يُعْبَدَ إلا من يملك الضرر والنفع ، وهو الله جلَّ وعلا .

٢٧ - ما جاء فى كيفية تقبيل الحجر

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : استقبل النبي صلى الله عليه وسلم ، بمعنى الحجر فاستلمه ، ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبيكى ، فالتفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكى ، فقال : يا عمر ، هاهنا تُسَكَّبُ العَبَرَات . أضرِمِ الشافعى فى مُسْنَدِهِ وأبو ذر .

والعمل على هذا عند أهل العلم فى كيفية التقبيل ، من غير تصويت ، كما يفعله كثير من الناس .

(١) يحتمل أن القائل المحب الطبرى مؤلف الكتاب، أو القاضى أبو الطيب الطبرى، من علماء الشافعية.

٢٨ - ماجاء في كيفية الاستلام

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه استلم الحجر بيده ، ثم قبل يده . وقال :
ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله . أخرجه .

وعن عطاء قال : رأيت أبا سعيد وأبا هريرة وابن عمر وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم
إذا استلموا الحجر قبلوا أيديهم . أخرجه الدارقطني وسعيد بن منصور ، وزاد : قال
ابن جريج : قلت لعطاء : وابن عباس ؟ قال : وابن عباس أحسب كثيرا .
وعن القاسم بن محمد أنه كان إذا استلم الحجر وضع يده على أنفه وفمه . أخرجه

سعيد بن منصور .

وعن عبد الله بن يحيى السهمي قال : رأيت عطاء بن أبي رباح وعكرمة بن خالد
وابن أبي مليكة يطوفون بعد العصر ويصُلُّون ، ورأيتهم يستلمون الركن الأسود
والبياني ، ويُقبِلون أيديهم ، ويمسحون بها وجوههم ، وربما استلموا ولا يمسحون بها
أنفاهم ولا وجوههم .

وعن عبيد بن أبي زياد ، قال : رأيت عطاء ومجاهدا وسعيد بن جبير إذا استلموا
الركن قبلوا أيديهم .

وعن ابن جريج ، قال عمرو بن دينار : جفأ من استلم الركن ولم يُقبَل يده .
وعن حميد بن حبان ، قال : رأيت سالم بن عبد الله إذا استلم يضع يده على خده
أو على جبهته . قال سفيان : ورأيت أيوب بن موسى إذا استلم يضع يده على جبهته ،
أو على خده . أخرجه جميع ذلك أبو الوليد الأزرقي .

والعمل عندنا في كيفية الاستلام على الأول ؛ وهو أن يضع يده على الحجر ، ثم يضعها
على فيه ، وكذلك هو عند جمهور أهل العلم ، إلا مالكا في أحد قوليهِ . قال : لا يُقبَل
يده ، وكذلك القاسم بن محمد . والاستلام : معناه التمسُّح بالسَّلام ، وهي الحجارة ، واحدها
سَلَمَة ، بكسر اللام . وقال الأزهري : هو افتعال من السَّلام . فإذا مسَّ الحجارة قيل استلمَ ،
بمعنى التحية ، فكأنه إذا استلمه افتقرأ منه السلام ، وحيثا نفسه عن الحجر ، يقال اختدم :

عِذَا خَدِمَ نَفْسَهُ ، وَأَهْلَ الْيَمِينِ يُسَمُّونَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ الْمُحَيًّا ، لِأَنَّ النَّاسَ يُحْيَوْنَهُ بِالسَّلَامِ .
وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : هُوَ مَهْمُوزُ الْأَصْلِ ، تَرِكَ هَمْزُهُ ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَلَأَمَةِ ، وَهِيَ الْمَوَاقِفَةُ ؛
وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ لَمَسَهُ : إِمَّا بِالْقُبْلَةِ أَوْ بِالْيَدِ . لَا يَهْمَزُ ، لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ السَّلَامِ
وَهُوَ الْحَجَرُ . وَبَعْضُهُمْ يَهْمِزُهُ .

٢٩ - مَا جَاءَ فِي وَضْعِ الْيَدَيْنِ عَلَى الْحَجَرِ وَمَسْحِ الْوَجْهِ بِهِمَا

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : دَخَلْتُ بِهِمَا مَكَّةَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الضُّحَى ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَابَ الْمَسْجِدِ ، فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَبَدَأَ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، فَاسْتَلَمَهُ ،
وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالْبُكَاءِ ، ثُمَّ رَمَلَ ثَلَاثًا ، وَمَشَى أَرْبَعًا ؛ فَلَمَّا فَرَّغَ قَبْلَ الْحَجَرِ ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ
عَلَيْهِ ، وَمَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، عَنْ جَابِرٍ .

٣٠ - مَا جَاءَ مِنْ أَيْنَ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : إِذَا ابْتَدَأْتَ بِالطَّوَافِ ، فَلَا تَأْتِ الْحَجَرَ مِنْ قَبْلِ الْبَابِ ، وَلَكِنْ
اسْتَقْبَلْهُ اسْتِقْبَالًا ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَا يُسْتَلَمُ نَقْصًا مِنَ الطَّوَافِ ، أَمَا عِنْدَ
فِرَاغِكَ ، فَلَا يَضُرُّكَ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَهُ . أَضَرَّهُمْ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ فِي آخِرِ كُلِّ
طَوْفَةٍ ، لَا يَضُرُّهُ مِنْ حَيْثُ أَتَى الْحَجَرَ .

وَعَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : أَخْبَرْتُ أَنَّ طَاوُوسًا اسْتَقْبَلَهُ حِينَ ابْتَدَأَ بِالطَّوَافِ .
وَعَنْ الثَّعْلَبِيِّ بْنِ الصَّبَّاحِ : أَنَّ عَطَاءَ كَانَ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ مِنْ أَيْنَ شَاءَ . أَضَرَّهُمُ الْأَزْرَقِيُّ
وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ : لَا بَأْسَ بِأَنْ يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ مِنْ قَبْلِ الْبَابِ . أَضَرَّهُمْ سَعِيدُ
وَالْأَزْرَقِيُّ ؛ وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِ ابْتِدَاءِ الطَّوَافِ ، تَوْفِيقًا بَيْنَ قَوْلِهِ هَذَا ، وَبَيْنَ مَا نَقَدَّمْ عَنْهُ
فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٣١ - ما جاء في السجود على الحجر

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سجدَ على الحجر .
أُخبره الدارقطني .

وعنه أنه قَبَّلَ الركن وسجد عليه ثلاث مرات . أُخبره الشافعي في مُسنده .
وعنه قال : رأيتُ عُمرَ بن الخطاب قَبَّله وسجد عليه ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا . أُخبره البيهقي .

وعن طاووس أنه قَبَّلَ الحَجَرَ ثلاثاً ؛ وسجد عليه على أثر كل تقبيلة . أُخبره الشافعي والأزرقي والبيهقي . وكره مالك السجود على الحَجَرَ ، وقال : هو بدعة .
وجهور أهل العلم على جوازه ، والحديث حُجَّة على المخالف . والعمل عندنا على الجمع بين التقبيل والاستلام والسجود متكرراً ، على ما ذكر لمن قدر عليه ، فإن لم يستطع الثلاثة أتى بالتقبيل والاستلام ، وإن لم يستطع اقتصر على الاستلام ، فإن لم يقدر عليه في كل طوفة أتى به في الأوتار ، وأشار فيما سواها ، فإن لم يستطع أشار في الجميع ، ويستقبله عند الإشارة ، ويُكَبِّرُ ، على ما سيأتي .

٣٢ - ما جاء في استحباب استلام الحجر والركن اليماني في كل طوفة

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أن يستلم الركن اليماني .
والحجر الأسود في كل طوفة ، وكان هو يفعله . أُخبره أحمد وأبوداود والنسائي .
فيه دلالة على استحباب التقبيل والاستلام في كل طوفة ، واستحبه بعضهم في كل وتر ، ورُوي ذلك عن الشافعي وطاووس .

٣٣ - ما جاء في المزاحمة على الحجر

تقدم في فصل تقبيل الحجر قول ابن عمر : « اجعل رأيت باليمن » . وفي ذلك حث على المزاحمة عليه .

وعن القاسم بن محمد قال : رأيتُ ابنَ عمرَ يزاحِمُ على الحجر ، حتَّى يَدْمِيَ أَنفُهُ
أو فُوقَهُ . أَضْرِبُهُ الشَّافِعِيُّ فِي مُسْنَدِهِ ، وَأَبُو ذَرٍّ .

وعن ابنِ عمرَ أَنَّهُ كَانَ يُزَاحِمُ عَلَى الرَّكْنَيْنِ ، قَلِيلٌ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنْ أَفْعَلْتُ
فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنْ مَسَحَهُمَا كَفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا .
أَضْرِبُهُ التِّرْمِذِيُّ .

وعن نافع : أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ لَا يَدْعُهُمَا حَتَّى يَسْتَلِمَهُمَا ، وَلَقَدْ زَاحَمَ عَلَى الرُّكْنِ
مَرَّةً فِي شِدَّةِ الزَّحَامِ ، حَتَّى رُعِفَ ، فَخَرَجَ ففَسَلَ عَنْهُ ، فَعَادَ فزاحم ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ حَتَّى
رُعِفَ الثَّانِيَةَ ، فَخَرَجَ بِفَسِيلٍ عَنْهُ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَاتْرَكَهُ حَتَّى اسْتَلَمَ .

وعنه قال : لَقَدْ رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يُزَاحِمُ مَرَّةً حَتَّى انْبَهَرَ ، فَتَنَحَّيَ فجلس في ناحية الطواف
حَتَّى اسْتَرَحَ ، وَعَادَ فَلَمْ يَدْعُهُ حَتَّى اسْتَلَمَهُ . أَضْرِبُهُمَا أَبُو الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِيُّ .

شرح — انبهر : هو من البُهِز ، بضم الباء ، وهو ما يعتري الإنسان عند السَّعْيِ
لِلشَّدِيدِ وَالْمَزَاحِمَةِ ، مِنَ التَّهْيِيجِ وَتَتَابَعِ الذَّنْسِ .

وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ حَمْرَاءٌ قَدْ عَلَاهَا الْغُبَارُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا الْغُبَارُ
الَّذِي عَلَى عِصَابَتِكَ أَيُّهَا الرُّوحُ ؟ قَالَ : إِنِّي زَرْتُ الْبَيْتَ ، فَازْدَحَمَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى الرَّكْنِ ،
فَهَذَا الْغُبَارُ الَّذِي تَرَى مَا تَنْتِيرُ بِأَجْنَحَتِهَا . أَضْرِبُهُ الْأَزْرَقِيُّ .

٣٤ — حُجَّةٌ مَنْ لَمْ يَرِ الْمَزَاحِمَةَ

عن طاووس أَنَّهُ كَانَ يَمُرُ بِالرُّكْنِ ، فَإِنْ وَجَدَ زَحَامًا مَرَّةً وَلَمْ يُزَاحِمِ ، وَإِنْ رَأَاهُ خَالِيًا
قَبْلَهُ ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : رَأَيْتُ عُمَرَ فَعَلَ مِثْلَ
ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ . أَضْرِبُهُ النَّسَائِيُّ .

وعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ أَبِي يَعْفُورٍ : قَالَ : سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ حِينَ قَتَلَ
أَبْنَ الرُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى مَكَّةَ ، يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ :

يَا أَبَا حَفْص ، إِنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ ، فَلَا تُزَاحِمِ عَلَى الرُّكْنِ ، فَإِنَّكَ تُؤْذِي الضَّعِيفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَجَدْتَ خَلْوَةً فَاسْتَلِمَ ، وَإِلَّا فَكَبِّرْ وَامْضِ . أُنْزِمَهُ الشَّافِعِيُّ فِي سُنَنِهِ ، وَسَمِعَ بَنُ مَنْصُورٌ ، وَقَالَ : وَإِلَّا فَكَبِّرْ وَهَلِّلْ وَامْضِ . وَأُنْزِمَهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو نَفْسِهِ ، وَقَالَ : وَإِلَّا فَاسْتَقْبَلْهُ ، فَهَلِّلْ وَكَبِّرْ .

وَعَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةٍ ، فَأْذَنَ لَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، كَيْفَ صَنَعْتَ فِي اسْتِلاَمِكَ الْحَجَرِ ؟ قَالَ : اسْتَلَمْتُ وَتَرَكْتُ قَالَ : أَصَبْتَ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ كَانَ إِذَا أَتَى الرُّكْنَ فَوَجَدَهُمْ يَزْدَحُمُونَ عَلَيْهِ ، اسْتَقْبَلَهُ وَكَبَّرَ وَدَعَا وَطَافَ ، وَإِذَا رَأَى خَلْوَةً اسْتَلَمَهُ . أُنْزِمَهُ سَمِيعُ بْنُ مَنْصُورٍ .

٣٥ - مَا جَاءَ فِي الاسْتِلاَمِ بِالْعَصَا وَالْمِحْجَنِ وَكَيْفِيَّتَهُمَا

تَقْدِمُ فِي فَصْلِ الطَّوَافِ عَلَى الرَّاحِلَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ .
وَعَنْ أَبِي الطَّفِيلِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقَبِّلُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ ، وَيُقَبِّلُ الْمِحْجَنَ . أُنْزِمَهُ مُسْلِمٌ .
وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ ، ثُمَّ يَقَطِفُ الْمِحْجَنَ وَيُقَبِّلُهُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مُسْتَوْفًى فِي فَصْلِ الطَّوَافِ عَلَى الرَّاحِلَةِ .
وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ اسْتِلاَمِ الْحَجَرِ ؟ فَقَالَ : كَانَ أَحَدُنَا إِذَا لَمْ يَخْلُصْ إِلَيْهِ قَرَعَهُ بَعْضًا . أُنْزِمَهُ أَبُو دَاوُدَ .

٣٦ - مَا جَاءَ فِي الْإِشَارَةِ بِالْاسْتِلاَمِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : طَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيْتِ عَلَى بَيْرٍ ، كَلَّمَ أَتَى الرُّكْنَ أَشَارَ بِشَيْءٍ فِي يَدِهِ وَكَبَّرَ . أُنْزِمَهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

٣٧ - ما جاء في تقبيل الركن اليماني ، ووضع الخد عليه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الركن اليماني ، ويضع خده عليه . أخرجه الدارقطني وأخرجه البخاري في تاريخه . ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليماني قبله .
وعن مجاهد قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الركن اليماني ، ويضع خده عليه . أخرجه الأزرقي .

٣٨ - ما جاء في أن مسح الركنين اليمانيين يحط الخطايا

تقدم في فصل المزاحمة على الحجر حديث الترمذي عن ابن عمر متضمنا ذلك .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مسح الحجر والركن اليماني يحط الخطايا خطأ . أخرجه أحمد وابن حبان .

٣٩ - ما جاء في استلام جميع الأركان

تقدم في فصل الوقت المستحب للإحرام من باب المواقيت ، إنكار ابن جريج على ابن عمر تخصيصه الركنين بالاستلام ، وقوله : « لم أر أحداً من أصحابك يصنعهما » .
فيه دليل على أن كثيراً من الصحابة على خلافه ، وإلا لما اتجه الإنكار .
وعن محمد بن كعب القرظي أن ابن عباس كان يمسح الركن اليماني والحجر ؛ وكان ابن الزبير يمسح الأركان كلها ويقول : ليس شيء من البيت مهجوراً . وكان ابن عباس يقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » . أخرجه الشافعي .
وعن ابن عباس أنه قال لمعاوية لما استلم الأركان : إنه لا يستلم هذان الركنان . فقال له معاوية : ليس شيء من البيت مهجوراً . أخرجه .

وعن أبي الطّفيل ، قال : حج معاوية وابن عباس ، فاستلم ابن عباس الأركان كلها ؛ فقال معاوية : إنما استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذين الركنين . فقال ابن

عباس : ليس شيء من البيت مهجوراً . أخرجه أحمد وأبو داود ، والأول أصح ^(١) . ويجوز أن يكون ذلك وقع في وقتين ، ورأى كل واحد منهما ما كان رآه الآخر . قال الشافعي : وفعل من اقتصر على الركنين أحبُّ إلىَّ لأنه المرؤى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس ترك استلام الركنين الآخرين يدل على أنهما مهجوران ، وكيف يهجر ما طاف به ، ولو كان ترك استلامهما هجراً لهما ، لكان ترك استلام ما بين الأركان هجراً لهما . وعن جابر ، أنه (أو أنهم) كان (أو كانوا) يستلم (أو يستلمون) الأركان حين يفتتح وحين يختتم .

وعن عروة ، أنه كان إذا طاف بالبيت يستلم الأركان كلها ، وألصق ظهره وبطنه وجنبه بالبيت . أخرجهما الشافعي في مسنده ، وأبو ذر .

وعن هشام بن عروة أن أباه كان إذا طاف بالبيت استلم الأركان كلها ، وكان لا يدع الركن اليماني إلا أن يُغَلَّب عليه . أخرجه مالك .

وعن عاصم الأحول ، قال : رأيت أنساً يستلم الأركان كلها ، ثم يرفع يديه ويدعو . وعنه أنه كان يطوف بالبيت وكلما مر بركن استلمه ورفع يديه ، وقال : كنت أطوف مع أنس بن مالك ، ورأيت به يفعل ذلك ، فأنا أفعله . أخرجهما سعيد بن منصور . وذكر أبو الوليد الأزرقي ، أن ابن الزبير لما فرغ من بناء البيت ، وأدخل من الحجر ما كان فيه منه ، وردَّ الركنين على قواعد إبراهيم ، وجعل له بايين : شرقياً وغربياً ، لاصقين بالأرض ، خرَّج إلى التَّعْمِيمِ واعتمر ، وطاف بالبيت ، واستلم الأركان الأربعة . وقال : إنما ترك استلام الركنين الشامي والغربي ، لأن البيت لم يكن تاماً ، فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير ، إذا طاف الطائف استلم الأركان جميعها . ويدخل البيت من

(١) قول « والأول أصح » يؤيده قول عبد الله بن أحمد في اللؤلؤ : سألت أبي عنه فقال : قال به شعبة ، وقد كان شعبة يقول : الناس يخالفونه في هذا ، ولكن سمعته من قتادة . هكذا قال الحافظ ابن حجر في الفتح . وهذان يبين ضعف من حمله على التمدد وأن اجتهد كل منهما تغير إلى ما أنكره على الآخر قال : وإنما قلت ذلك لأن مخرج الحديثين واحد ، وهو قتادة عن أبي الصَّغِيل الخ . والله أعلم . (عن هامش م بخط الناصح ، نقله عن نسخة الشيخ أبي الفيض) .

هذا الباب ، ويخرج من الباب الغربي ، وأبوابه لاصقة بالأرض ، حتى قُتل ابن الزبير .
قال ابن إسحاق : وبلغني أن آدم عليه السلام لما حج استلم الأركان كلها . ولما فرغ
إبراهيم من بناء البيت جاءه جبريل عليه السلام ، فقال : طُفَّ به سبعا ، فلما طاف به
سبعا هو وإسماعيل يستلمان الأركان كلها في كل طواف ^(١) أنهزم الأزرقي .

ويمكن أن يُسْتَنْبَطَ من هذا جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم لله تعالى ^(٢) ، فإنه إن لم يرد
فيه خبرٌ بالنَّدب ، فلم يرد بالكراهة . وقد رأيت في بعض تماثيل جدى محمد بن أبي بكر ،
عن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الصيف ، أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبلها ،
وإذا رأى أجزاء الحديث قبلها ، وإذا رأى قبور الصالحين قبلها . وقد قيل في معنى هذا :
لَوْ جَدْنَا لِسَامِي أَنْزَا لَسَجَدْنَا أَلْفَ أَلْفٍ لِلْأَنْزِ
وقال المجنون :

أمرُّ على الدَّيَّارِ دِيَّارَ آيَلِي أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
قال : ولا يبعد هذا (والله أعلم) في كل ما فيه تعظيم لله تعالى .

٤٠ - حجة من لم ير ذلك

تقدم في الفصل قبله إنكارُ ابن عباس على معاوية ، وإنكار معاوية على ابن عباس ، على
اختلاف الروايتين . وفيه ما يدلُّ على ذلك ، وتقدم في فصل الوقت المستحب للإحرام
من قول ابن عمر ما يدل عليه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم
من أركان البيت إلا للرَّكْنَ الْأَسْوَدَ ، والذي يليه من نحو دور الجَحْيَيْنِ . أنهزم النَّسَائِي .

(١) تنه الحديث كما في الأزرقي (ج ١ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠) : صليا خلف المقام ركعتين .
(٢) أقول هذه غفلة من هذا القائل عما ذكره جميع العلماء ، من عدم جواز تقبيلها . وهذا قياس
بأنظار ، واستنباط عاقل ، فلا تغفل . كذا قاله نعمان . قلت : ما قاله هذا القائل . هو الفعلة العظيمة .
كلَّف يدعى أن جميع العلماء ذكروا عدم جواز تقبيلها ، وقد نقل الحافظ في الفتح ، عن الإمام أحمد ، أنه
سهل عن تقبيل منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقبيل قبره ، فلم ير به بأسا . وقد نقل في الفتح كلام
هذا المؤلف . وأقول : ما قاله نعمان مجازفة . تأمله يا ناصف . والله أعلم . اه (عن نسخة الشيخ أبي الفيض)
(١٩ - القرى)

وعنه قال : ما تركت استلام هذين الركنين منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسْتَلِمُهُمَا : اليماني والحَجَر ، في شدة ولا رخاء . **أُضْرِبْهُمَا النَّسَائِي .**

وعن نافع ، عن ابن عمر ، أنه طاف معه مرة ، فلما حاذَى الركن الغربي ذهب لِيَسْتَلِمَ وهو ناس ، فلما مد يده قَبَضَهَا ولم يستلم ، ثم أقبل على وقال : إني نَسِيت . **أُضْرِبْهُ الْأَزْرَقِي .**

وعن يَعْلَى بن أُمَيَّة ، قال : طُفْتُ مع عمر بن الخطاب ، فلما حاذَيْنَا الرُّكْنَ الشَّامِي ، مدت يدي لأَسْتَلِمَ . فقال : ماشَأانك ؟ قلت : ألا تستلم ؟ قال : ألم تطف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : بلى . قال : فهل رأيته يَسْتَلِمُ الركنين الغربيين ؟ قلت : لا . قال : أفليس لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْوَةٌ حسنة ؟ قلت : بلى . قال : فلا تَعُدْ . **أُضْرِبْهُ أَحْمَد .**

ورَوَى عن يَعْلَى ، أنه طاف مع عثمان أيضاً ، وذكر مثله .
وعن مجاهد قال : الركنان اللذان يليان الحجر لا يُسْتَلَمَان . **أُضْرِبْهُ الْأَزْرَقِي**

٤١ — ما جاء في العلة التي لأجلها ترك استلام ما سوى الركنين اليمانيين
عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحَجَر ، إلا أن البيت لم يُتَمِّمْ على قواعد إبراهيم . **أُضْرِبْهُ**

٤٢ — ما جاء في استلام غير الأركان من البيت-

تقدم في استلام جميع الأركان قول ابن عباس وابن الزبير ومعاوية : « ليس شيء من البيت مهجوراً » . وفيه دليل على ذلك .

وعن مجاهد قال : إن كنت مستلماً شيئاً من البيت ، فما بين الركنين والباب **أُضْرِبْهُ سَعِيد بن منصور**، وقوله « شيئاً من البيت » : أي غير الأركان .

٤٣ - ما جاء في التشديد في ترك الاستلام

عن ابن جُرَيْجٍ ، أن ابن عمر رأى رجلاً يطوف بالبيت لا يستلم . فقال : يا هذا ، ماتصنع ؟ قال : أطوف . قال : ما طفت . أضره الأزرق .

٤٤ - ما جاء في التوسعة في تركه

عن عُرْوَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف : كيف صنعتَ يا أبا محمد في استلام الحجر ، وكان قد استأذنه في العُمرة . فقال : كُلاًّ قد فعلت ، استلمت وتركت . فقال صلى الله عليه وسلم : أصَبْتَ . أضره سعيد بن منصور .

وهذا التَّركُ يحتمل أن يكون اختياراً لا للزَّحَّة ، وعليه يدل ظاهر اللفظ ، ويحتمل أن يكون للزَّحَّة ، فلذلك ذكرناه في فصل من لم يرَ المازحة ، على ما تقدم .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : طُفْتُ مع جابر بن عبد الله ، ومع عبد الله بن عمرو ابن العاص ، ومع ابن عباس ، ومع أبي سعيد ، فما رأيت منهم إنساناً استلمه حتى فرَّغ . أضره الأزرق .

وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه ، أن عبد الرحمن بن عوف كان يطوف فلا يستلم الركن حتَّى ينصرف . أضره سعيد بن منصور .

٤٥ - ما جاء في كراهية الاستلام للنساء

عن عطاء قال : قالت امرأة وهي تطوف مع عائشة : انطلقى نَسْتَلَمْ يا أم المؤمنين قالت : انطلقى عَنْكَ ؛ وأَبَتْ أن تَسْتَلَمْ أضره البخاري .

وعنه وقد رأى امرأة تريد أن تَسْتَلَمْ ، فصاح بها وزجرها : غَطِّ يدك ، لاحقاً للنساء في استلام الركن . أضره الأزرق .

وعن عائشة وقد دخلت عليها مَوْلَاة لها فقالت : يا أم المؤمنين ، بالبيت طُفْتُ سبعاً ، واستلمت الركن مرتين أو ثلاثاً . فقالت لها عائشة : لا آجركِ الله ! تُدافعِينَ الرجال ! ألا كَبُرَتْ ومَرَزَتْ ! أضره الشافعي .

٤٦ - ما جاء في التوسعة لمن حال الخلوة

عن عطاء عن عائشة رضى الله عنهما ، أنها قالت لامرأة : لا تزأحي على الحجر ،
إن رأيت خلوة فاستلمى ، وإن رأيت زحاما فكبّرى وهللى إذا حاذبت به ، ولا تؤذى
أحدا . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن عائشة بنت سعد أنها قالت : كان أبى يقول : إذا وجدتن فُرجةً من الناس
فاستلمن ، وإلا فكبّرن وامضين . أخرجه الشافعى .

٤٧ - ما جاء في فضل الحجر

تقدم فى أحاديث بعض فصول هذا الباب ما يدل عليه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل
الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بنى آدم . أخرجه الترمذى ،
وقال : حسن صحيح . وأخرج الأزرقي معناه موقوفا . ولفظه : عن ابن عباس قال : ليس
فى الأرض من الجنة إلا الحجر الأسود والمقام ، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ، ولولا
مامتھما من أهل الشرك ، مامتھما ذو عاهة إلا شفاه الله .

وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحجر الأسود من الجنة . أخرجه النسائى .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر : «والله ليُبْعَثَنَّهُ الله يوم القيامة
له عيمان يُبْصِرُ بهما ، ولسانٌ يُنْطِقُ به ، يشهد على من استلمه بحق» . أخرجه الترمذى
وأبو حاتم ، وقال : «لسان وشفقتان» . وأخرجه الإمام أحمد وقال : يشهد لمن استلمه بحق .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتى
الركن يومئذ يعنى يوم القيامة ، أعظم من أبى قُبَيْس ، له لسان وشفقتان . أخرجه أحمد .

وعنه قال : الحجر الأسود من حجارة الجنة ، لولا ما تعلق به من الأيدي الفاجرة
مامتھ أكمھ ولا أبرص ولا ذوداء إلا برأ . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن مجاهد قال: يأتي الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبي قُبَيْسٍ ، يشهدان لمن عاها بالموافاة . أخرجه الأزرقي .

شرح - يقال : وافى فلان : أى أتى ، وتوافق القوم أى تتأموا ؛ والمعنى أتماه بالإيمان .
وعن عبد الله بن عمرو ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مُسْنِدٌ ظهره إلى الكعبة : الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، لولا أن الله طمسَ نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب . أخرجه أحمد وابن حبان وأخرجه الترمذى ، وقال : حديث غريب .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الحجر الأسود أُخرج من الجنة أبيض له ضياء ونور ، وكان طوله قدر عظم الذراع ، وكان كذلك حتى مسته أيدي الشرك فاسود ، ولولا ذلك مامسه ذو عاهة إلا برأ . أخرجه أبو ذر .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أنزل الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نزل فلما أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما ، فضمهما إليه وأنس بهما .

وعنه قال : نزل آدم عليه السلام من الجنة معه الحجر متأبطه ، وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ، ولولا أن الله طمس ضوءهما استطاع أحدان ينظر إليه ؛ ونزل بالباسنة ونخل^(١) العجوة . قال أبو محمد الحزاعى : الباسنة : آلات الصنّاع . قال المروى : وليس بعربى محض^(٢) ولا تضاد بين هذا وبين ما قبله ، فإنه يحتمل أن يكون آدم أخذه من الجنة ليلة نزوله ، أو أعطيه فتأبطه وهو لا يعلم أنه هو ، وأنزل معه المقام ، فلما أصبح ورآه ضمه إليه ضم أنس ومحبة . والله أعلم .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة وهى تطوف بالكعبة ، حين استلم الركن : لولا ما طبع الله على هذا الحجر ياعائشة من أرجاس الجاهلية وأنجاسها ، إذن لاستشفي به من كل عاهة ، وإذن لألقى اليوم كهيئته يوم أنزله الله عز وجل ،

(١) فى أخبار مكة للأزرقي طبعة الماجدية بمكة : ونخلة

(٢) قال ابن الأثير فى النهاية : الباسنة : قبل إنها آلات الصنّاع ؛ وقبل هى سكة الحرث وليس
يعربى محض

وليعيدنه الله إلى ما خلقه أول مرة وإنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة ، ولكن الله سبحانه غيره بمفصية العاصين ، وستر زينته عن الظلمة^(١) ، لأنهم لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء كان بدوه من الجنة . أضرجه الأزرقى .

وعنه قال : كان إبراهيم عليه السلام يَبْدِي وإسماعيل ينقل الحجارة ، فلما انتمى إلى موضع الحجر ، قال لإسماعيل : جئني بحجر حسن ، يكون علما للناس ، فذهب إسماعيل ، فأثاه بحجر ، فقال : جئني بأحسن من هذا ، ففضي إسماعيل يطلب ، فصاح أبو قبيس : يا إبراهيم ، يا خليل الرحمن ، إن لك عندى وديعة نخذها ، فإذا هو بحجر أبيض ، من ياقوت الجنة ، كان قد نزل به آدم من الجنة . أضرجه ابن الحاج المالكي وغيره . وأضرع أبو الفرج أوله في مثير الغرام . وقال : فذهب إسماعيل ورجع ، ولم يأت به شيء ، ووجد الركن عنده ، فقال : من أين لك هذا ؟ فقال : جاء به من لم يكلني إلى حجر ك ، جاء به جبريل عليه السلام . فوضعه إبراهيم في موضعه هذا ، فأثار شرقا وغربا ، ويمنا وشاما .

قلت : ولا تضاد بين هذا وبين نداء أبي قبيس له ، إذ يكون أبو قبيس ناداه ، وجاء به جبريل من حيث استودع فيه .

وعن أبان بن أبي عيَّاش : أن عمر سأل كعبا عن الحجر الأسود . فقال مرؤة من مرؤ الجنة .

ولا تضاد بين هذا وبين ما تقدم ، إذ قد يكون مرؤ الجنة ياقوتا ، ويكون له اسمان مرادفان .

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : إن جبريل نزل بالحجر من الجنة ، وإنه وضعه حيث رأيتم ، وإنكم لن تزالوا بخير مادام بين ظهرائكم ، فتمسكوا به ما استطعتم ، فإنه يوشك أن يجيء فيرجع به من حيث جاء به . أضرجه الأزرقى .

وقوله «يُوشِكُ» : أى يَقْرُب وَيُسْرِع ، يقال : أوشك يوشك إشسا كما فهو وشيك .

(١) فى أخبار مكة للأزرقى طبعة الماجدية : والأئمة .

وقد اعترض بعض الملحدين فقال : كيف يُسَوَّدُ الْحَجَرُ خطايا أهل الشرك ولا يُبَيِّضُهُ توحيد أهل الإيمان ؟

والجواب عنه من ثلاثة أوجه : الأول ماتضمنه حديث ابن عباس المتقدم آخفاً ، أن الله عز وجل إنما طمس نوره ليستر زينته عن الظلمة ، وكأنه لما تغيرت صفته التي كانت كالزينة له بالسواد ، كان ذلك السواد له كالحجاب المانع من الرؤية ، وإن رُؤِيَ جِرمُهُ . إذ يجوز أن يطلق عليه أنه غير مَرْتَبِيٍّ ، كما يُطْلَقُ على المرأة المستترة بثوب ، أنها غير مرتبة .
الثاني : أجاب به ابن حبيب فقال : لو شاء الله لكان ذلك ، وما علمت أيها المعارض أن الله تعالى أجرى العادة بأن السواد يَصْبِغُ ولا يَنْصَبِغُ ، والبياض يَنْصَبِغُ ولا يَصْبِغُ .
والثالث ، وهو منقاس : أن يقال : يَلْوُهُ أسود - والله أعلم - إنما كان للاعتبار ، ليعلم أن الخطايا إذا أُثِّرَتْ في الحجر ، فتأثيرها في القلوب أعظم . وقد رُوِيَ أن الدعاء يستجاب عند الحجر الأسود . ذكره ابن الصلاح في منسكه .

٤٨ - ما جاء في استلام الحجر قبل الصلاة المكتوبة وبعدها ،

وأول من فعل ذلك من الأئمة

عن ابن أبي مُليكة قال : أول من استلم الركن الأسود من الأئمة ، قبل الصلاة وبعدها ، ابن الزبير ، فاستحسن ذلك الولاية بعده ، فاتبعوه . أغرهم الأزرق .
وعن عطاء أن ابن الزبير صلى المغرب ، فسلم في ركعتين ؛ ثم نهض ليستلم الحجر ، فسبح القوم ، فقال : ما شأنكم ؟ قال : فصلّى ما بقي من صلاته ، وسجد سجدةً . أغرهم أحمد .

٤٩ - ما جاء في فضل الركن اليماني

تقدّم في فصل تقبيله ووضع الخد عليه ما يدل على فضله .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : على الركن اليماني مَلَكَانِ^(١) يؤمّنان على

(١) في أخبار مكة للأزرق ج ١ صفحة ٢٣٢ : ملكان موكلان .

دعاء من مر بهما ، وإن صلى [الحجر ^(١)] الأسود ما لا يحصى . أخرجه الأزرقي .
وعن عمر بن الخطاب : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يمر بالركن اليماني إلا وعنده ملك يقول : يا محمد استلم .
وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما مررت بالركن اليماني إلا وجدت جبريل عليه السلام قائماً .
وعن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : يا بُنَيَّ ، أذِنِي من الركن اليماني ، فإنه كان يقال إنه باب من أبواب الجنة .
وعن عثمان بن ساج قال : أخبرني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وقد مررنا قريباً من الركن اليماني ، ونحن نطوف دونه ، فقلت : ما أبرد هذا المكان ؟ فقال : قد بلغني أنه باب من أبواب الجنة .
وعن عطاء : قيل لرسول الله ، تكثر من استلام الركن اليماني . قال : ما أتيت عليه قط إلا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن يستلمه .
وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين ، عن مجاهد ، قال : من وضع يده على الركن اليماني ثم دعا ، استجيب له . قال : قلت : قم بنا يا أبا الحجاج ، فلنعمل ذلك ، ففعلنا ذلك .

وعنه عنه قال : بلغني أن بين الركن اليماني والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يفارقونه ، هم هنالك منذ خلق الله جل وعلا البيت . أخرج جميع ذلك الأزرقي ، وسيأتي في فصل ما يقال عند الركن اليماني طَرَف من ذلك ، إن شاء الله تعالى .

٥٠ - ما جاء في الرَّمَل في طواف الحج والعمرة

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خب ثلاثاً ومشى أربعاً . وكان يسمى ببطن الميل إذا طاف بين الصفا والمروة .

(١) الحجر : في م وحدها . وبدونها في م وجميع نسخ الأزرقي ماعدا نسخة (ج) .

وفي رواية كان إذا طاف في الحج والعمرة أول ما يَقدِّم فإنه يسمى ثلاثة أطواف بالبيت، ثم يمشي أربعة . أضرجهما . وفي هذا دليل على أن الرَّمْل إنما هو في طواف القدوم ، وفي طواف العمرة ، لأنه كطواف القدوم ؛ وفي ذلك خلاف مشهور .

وعن هشام بن عروة ، أن أباه كان إذا طاف بالبيت يسمى الأشواط ، ويقول :
اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَا وَأَنْتَ تُخَيِّرُنِي بَعْدَ مَا أَمَتَا

يُخَفِّضُ بِهَا صَوْتَهُ .

وعن عبد الله بن الزبير أنه أحرم بعمرة من التنعيم ، وسعى حول البيت الأشواط الثلاثة . أضرجهما مالك . والتنعيم : واد بأدنى الحِلِّ ، على ثلاثة أميال من مكة . وسيأتي ذكره في باب العمرة إن شاء الله تعالى .

وعنه قال : رَمَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عُمرِهِ كُلِّهَا ، وفي حَجِّهِ ، وأبو بكر وعمر وعثمان وأخلفاء . أضرجه أحمد وأبو ذر .

وعن أبي الطفيل ، قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَمَلَ بالبيت ، وأن ذلك سنة . فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : وما صدقوا وكذبوا ؟ قال : صدقوا ، قد رَمَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذبوا ، ليس بسنة . إن قُرَيْشًا قالت زَمَنَ الحديبية دَعَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَمُوتُوا مَوْتَ النَّفْثِ . فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل ، فَيُقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فَقَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قَبْلِ قُعَيْقَعَانَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ارْمُلُوا ثَلَاثًا ، وليس بسنة . أضرجه مسلم وأبو داود .

وقوله ليس بسنة : معناه أنه أمر لم يُسنَّ فعله لكل المسلمين ، على معنى القُرْبَةِ ، كَالشَّيْنِ الَّتِي هِيَ عِبَادَاتٌ ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ فَعَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَبَبٍ خَاصٍ . وَالنَّفْثُ بَفَتْحِ النُّونِ ، وَالغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَبَعْدَهَا فَاءٌ : جَمْعُ نَفَثَةٍ ، وَهِيَ دُودٌ فِي أَنْوْفِ الْأَنْعَامِ . وَرَوَى عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ يَكُونُ فِي أَنْوْفِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَهُوَ أَيْضًا الدُّودُ الْأَبْيَضُ الَّذِي يَكُونُ فِي النَّوَى ؛ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الدُّودِ لَا يُسَمَّى نَفَا . وَقَالَ غَيْرُهُ :

يقال للرجل المستضعف ماهو إلا تَفَقَّة . وَقَعِيقَانُ : جبل مشهور بمكة وكذلك أبو قُبَيْسٍ
وُسَيُّ قَعِيقَعَانِ لِأَن جُرْهُمَ لما تحاربوا ، كثرَت قَعَقَعَةُ السلاح هنالك . وهو بضم القاف ،
وفتح العين المهملة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال
أصحاب مكة : إن بأصحاب محمد جُوعاً وهُزْلاً ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يَهْرُؤُوا ،
الْيَهْرِيَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ ، فسكانوا يَهْرُؤُونَ ثلاثة أشواط ، ويمشون أربعة .

وعن القاسم أنه كان إذا طاف بالبيت أَوْكَى في الثلاث أضرجهما سعيد بن منصور .
شرح - الرَّمْل ، بفتح الراء والميم ، في الاسم والفعل الماضي ، والخَبَب هو وَثْبٌ
في المشى ، مع هَزَّ الْمُنْكَبِينَ . هكذا ذكره الْمُنْذَرِي . وأكثَرُ الْمُفْسِرِينَ يفسرونه بالإسراع
في المشى مع هَزَّ الْمُنْكَبِينَ ، دون وثب . والمَرْوَلَة : ما بين المشى والعدو . والسَّعْيُ يقع على
الجميع ، فلهذا يقال : سَعَى خَفِيفٌ ، وسَعَى شَدِيدٌ ، فيحمل السَّعْيُ المذكور في الحديث هنا
على الرَّمْل والخَبَب جمعاً بينهما . وأما الإيكاء فقال الأزهري : يكون في كلام العرب بمعنى
السَّعْيِ الشديد ، واستدل بما رَوَى عن ابن الزبير ، أنه كان يوكي بين الصفا والمروة سَعْيَا .
قال : وإنما قيل لمن اشتد سعيه يُوَكِّي لأنه كَأَنَّهُ قَدْ ^(١) مَلَأَ خَوَاءَ ما بين رجليه عَدَوْا
وَأَوْكَى عَلَيْهِ ^(٢) .

قلت : إلا أنه يُحْمَلُ هنا على الرَّمْل ، فكما يُطْلَقُ على الشديد من السعى ، قد يطلق
على الخفيف كالسعى ، جمعاً بين الأحاديث ، إذ لم يؤثر شدة السعى هنا . والرَّمْل مخصوص
بالرجال ، فلا تَرْمُلُ الْمَرْأَةُ ولا تَضْطَجِع ، ولا تَسْعَى بين الميَلَيْنِ .

واختلف أصحابنا في الرَّاكِب هل يَرْمُلُ ؟ والأُولَى : أَلَّا يَرْمُلَ ، لثلاث يُوَدِّيَ
النَّاسَ بِذَلِكَ . قوله « الطواف الأول » : هو الذي يَأْتِي به أول ما يَقْدَمُ . وفيه دلالة
على تخصيص الرَّمْل بطواف القدوم ، وهو أظهر قولى الشافعى . والقول الآخر : أنه يَرْمُلُ

(١ - ١) جاءت هذه العبارة في م ، م هكذا : تلاخوا ما بين رجليه ، وأوكا عليه . والنصوب
من لسان العرب في (وكي) .

في كل طواف يَمُقِّبُهُ سعى بين الصفا والمروة ، ومن ترك الرَّمْلَ فقد أساء ولا شيء عليه .
قاله الشافعي ، وهو قول عامة أهل العلم إلا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، فإنه قال : من ترك الرَّمْلَ
في الطواف ، فعليه دم . واختلف أصحاب مالك في وجوب الدم بتركه ، وذهب قوم إلى أن
الرَّمْلَ ليس بسنة ، فمن شاء فعله ، ومن شاء تركه ، رُوِيَ ذلك عن ابن عباس وعطاء وغيرهما
حكاه المُنْذِرِيُّ .

٥١ - ما جاء أنه ليس على النساء رَمْلٌ

عن ابن عمر قال : ليس على النساء رَمْلٌ ولا سعى في الوادي بين الصفا والمروة .
أُخْبِرَ الشافعي وسعيد . وعن عطاء مثله .

وعن سليمان بن يسار ، أن السنة عندهم أنه ليس على المرأة هَرْوَلَةٌ بالبيت ، ولا سعى
بين الصفا والمروة .

وعن مكحول : ليس على النساء رَمْلٌ بالبيت ، ولا سعى بين الصفا والمروة .
أُخْرِجَ جميع ذلك سعيد بن منصور .

٥٢ - ما جاء في استحباب الرمل من الحَجَرِ إلى الحَجَرِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحَجَرِ
إلى الحَجَرِ ثلاثاً ، ومشى أربعا .

وعن جابر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رَمَلَ من الحَجَرِ حتى انتهى
إليه ثلاثة أطواف . أُخْبِرَ بهما الشيخان .

٥٣ - حجة من قال : يمشي بين الركنتين اليمانيّين ، وييان سبب الرمل

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل بِمَرِّ الظَّهْرَانِ
في عمرته ، بَلَغَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشاً تقول : ما يتباعثون من
العَجَفِ ، فقال أصحابه : لو نحرنا من ظهورنا ، فأكلنا من لحمه ، وحَسَوْنَا من مَرَقِهِ ،

أصبحنا غدا حين نَقْدَم على القوم وبنا حمامة. قال: لانفعلوا ، ولكن اجمعوا من أزوادكم ، فجمعوا وبسطوا الأنطاع ، فأكلون حتى تَوَلَّوْا ، وحشا كل واحد منهم في جرابه . ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الحَجَرَ ، وقعدت قريش نحو الحَجَرِ فاضطجع بردائه ، ثم قال : لا يرى القوم فيكم غميلة ، فاستلم الركن ، ثم رمل ، حتى إذا تغيب بالركن اليماني ، مشى إلى الركن الأسود ، قالت قريش ما يَرَضُونَ : أما أنهم يَنْقُزُونَ نَقْزَ الظُّبَاءِ ، ففعل ذلك ثلاثة أطواف ، وكان سنة ، وفعل ذلك في حِجَّةِ الوداع . أضربهم أحمد . ومناه في الصحيحين بغير هذا اللفظ ، وبغير هذه القصة .

شرح - مرَّ الظهران : واد معروف من أعمال مكة . والحجامة : الاستراحة ، يقال جَمَّ الفرس جحاما بالفتح : إذا استراح من الإعياء .

وغميلة ، بالزاي المعجمة : أى موضع غمز ، يتجاوز بذلك عن العيب عليهم . والله أعلم . وعنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد وَهَنْتُهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم غدا قوم قد وَهَنْتُهُمُ الحُمَّى ، ولَقَوْا منها شدة ، فجلسوا مما بلى الحَجَرَ ، وفي لفظ البخارى : والمشركون من قبل قُتَيْبَةَ عَمَانَ ، فأمرهم أن يَرْمُلُوا ثلاثة أشواط ، ويمشوا ما بين الركنين اليمانيين ، لِيُرَى المشركين جَلَدَهُمْ . فقال المشركون : أهؤلاء الذى زعتم أن الحمى قد وَهَنْتُهُمْ ؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا . قال ابن عباس : ولم يمنعه أن يأمرهم أن يَرْمُلُوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . أضرباه ، وأبو داود ، والنسائي .

شرح - قوله « يثرب » : هى المدينة نفسها ، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طَيْبَةَ وَطَابَةَ ، لما فى يَثْرِبَ من التثريب ، وهو التعمير والاستقصاء فى اللوم . وكان صلى الله عليه وسلم يحب تغيير الأسماء القبيحة إلى الحسنة ، وأما تسميتها فى القرآن يَثْرِبَ ، فذلك حكاية عن قائلها من المنافقين . وقيل : يَثْرِبَ اسم أرضها . وقيل سميت باسم رجل من العالقة ، كان أول من نزلها . قال عيسى بن دينار : من سمى المدينة يَثْرِبَ كتبت عليه خطيئة . هذا آخر كلامه . وقد رُوِيَ من حديث البراء بن عازب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ قال للمدينة يَثْرِبَ ، فلن يستغفر الله جل وعز ، هى طَابَةَ . قال المنذرى

ولا يثبت . وقال الدارقطني : تفرد به عمر بن صالح الواسطي ، عن يزيد بن أبي زياد ، وهو لا يحتاج بحديثه . وقوله « وَهَنْتَهُمْ حُمَى يَثْرِبَ » : أى أضعفتهم ، وقد وَهَنَ يَهِنُ ، وَهْنَهُ غَيْرُهُ وَهْنًا ، وأوهنه ووهنه . والأشواط : جمع شَوَاطٍ ، بفتح الشين المعجمة ، وسكون الواو وبمدها طاء مهملة : المرة الواحدة من الطَوَافِ ، من الحَجَرِ الأسود إليه مَرَّةً ، وهو فى الأصل مسافة من الأرض تعدوها الفَرَسُ ، كالمِيزَانِ والَطَّلَقِ والغُلَّةِ . قال الشافعى فى الأَمِّ : ولا يُقال شوط ولا دَوْرٌ ، وكَرِهَ مجاهد ذلك . قال : وأنا أكره ما كَرِهَ مجاهد ، فيقال : طَوَافٌ وطَوَافان ، كما سماه الله تعالى ، قال الله تعالى : « وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ » وقوله « مما بلى الحَجَرِ » : يجوز أن يريد به ما ذكر فى الحديث : « مما بلى قُيعِمَانِ » لأنه مما بلى الحَجَرِ ، فلا تضاد بينهما ، ويؤيده ما روى أن المشركين أُخْلُوا مكة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثلاثة أيام ، فى عُمرَةِ الْقَضِيَّةِ ، وصعدوا رؤس الجبال . ذكره أبو سعد فى شرف النبوة وغيره . وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم اضطجع واستلم وكَبَّرَ ، ثم رَمَلَ ثلاثة أطواف ، وكانوا إذا بلغوا الركن اليماني وَتَعَيَّيُوا من قُرَيْشٍ ، شَوْوا ، ثم يطاعون عابهم يرملون ، فتقول قريش : كأنهم الغزلان . قال ابن عباس : فكانت سُنَّةً . أخرجه أبو داود . وعن ابن عمر أن عمر قال : مالنا وللرمل ؟ إنما كنا نراه يبابه المشركين ، وقد أهلكهم الله تعالى ، ثم قال : شئ صنعته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا نحب أن نتركه . أخرجه . وعنه أن عمر قال : فِيمَ الرَّمْلَانُ والكشف عن المناكب وقد أطاق^(١) الله الإسلام ، ونفى الكفر وأهله ، ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه أبو داود وابن ماجه .

شرح — قوله « الرَّمْلَانِ » بكسر النون : تشبيه الرَّمْلِ . والمراد الرمل فى الطواف ، والسعى بين الصفا والمروة ، فغلب الأخف منهما ، فقل : الرَّمْلَانِ ، كما قيل العَمْرَانِ والقَمْرَانِ . قال ابن الأثير . وهو قول غريب حكاه الحربى . وقال ابن الأثير أيضاً :

(١) أى ثبته وأرساه ؛ والمهزدة فيه بدل من وار وطأ - (النهاية لابن الأثير) .

الرَّمْلَانُ مَصْدَرٌ، والمصدر يكثر مجيئه على هذا الوجه ، في أنواع الحركة كالنَزْوَانِ والنَّسْلَانِ
والرَّسْتَانِ وأشباه ذلك . قال ويؤيد ذلك أن عمر أراد الرَّمْلَ الذي أمر به النبي صلى الله
عليه وسلم في عمرة القضاء ، يُرَى المشركون جَلَدَهُمْ لَمَّا قَالُوا وَهَنَتْهُمْ حُجَّتِي بِتَرْبٍ . أما السعى
بين الصفا والمروة ، فهو شعار قديم ، من عهد هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، فإذن المراد
بقول عمر رَمْلَانُ الطواف وحده ، الذي سُنَّ لأجل الكفار ، وهو مصدر . وكذلك
شرحه أهل العلم ، لا خلاف بينهم فيه ، فليس للتثنية فيه وجه ، والله أعلم . ولا تضاد بين
هذه الأحاديث ، وبين أحاديث الفصل قبله ، لأن المشى بين الركنتين اليمانيين كان في عمرة
القضية ، وكان المشركون على قَمَيْقَعَانٍ ؛ أو مما يلي الحَجَرِ ، على ما تقدم ، ينظرون إليهم ،
فأمرهم صلى الله عليه وسلم بالمشى بينهما ، حيث لا يقع عليهم أبصار المشركون ، إبقاء عليهم ،
ورفقا بهم ؛ فلما كان في حِجَّةِ الْوَدَاعِ أمرهم بإكمال الرَّمْلِ إلى الحَجَرِ ، وهو كان آخر
فعله صلى الله عليه وسلم ، فكان العمل عليه .

وقد جاء عن نافع ، وقيل له : أ كان ابن عمر يمشى بين الركنتين؟ قال : إنما كان يمشى
ليكون أيسر لاستلامه . وقول ابن عباس الأشواط ، وكذلك قول عُرْوَةَ في الفصل الأول
دليل على إباحة إطلاق ذلك ، وقد كرهه بعض العلماء . وعن مجاهد أنه كره أن يقال :
شوطاً أو شوطين ، ولكن يقال دَوْرًا أو دَوْرَيْنِ . أخرجه سعيد بن منصور . وقد سبق
الكلام فيه في باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم . وقول ابن عباس « كانت سُنَّةٌ »
يشير إلى أنها يُفْعَلُ بها ، وإن فُعِدَ المعنى الذي شُرِعَتْ من أجله . وعليه بدل كلام عمر ،
فإنه لما رأى الرَّمْلَ قد ارتفع سَبَبُهُ الذي فُعِلَ من أجله ، ثم بتركه ، ثم لاذ بالاتباع تَبَرُّكاً
به ، وتمرضاً للفضل . وقد يحدث شيء من أمر الدين لسبب ، ثم يزول السبب ولا يزول
حكمه ، كالمرايا^(١) والاعغسال للجمعة ونحو ذلك .

(١) لم أفهم مراد المؤلف بكلمة المرايا .

٥٤ ما جاء فيمن رَمَلَ السبع كله

عن ابن الزبير ، أنه مر بعبد الله بن عمر محرما ، فقال له ابن عمر : ارْمُلِ الْأَشْوَاطَ الثلاثة ، فَرَمَلَ السَّبْعَ كُلَّهُ .

وعنه أنه كان يسرع للنشئ في الطَّوَّاف ، وربما كان يَرْمُلُ السَّبْعَ كُلَّهُ . أخرجه مسند البيهقي .

٥٥ — ما جاء فيمن لم ير الرَّمْلَ لمن أحرم بالحج من مكة

عن ابن عمر ، أنه كان إذا أحرم من مكة لم يطف بالبيت ، ولا بين الصفا والمروة ، حتى يرجع من مِنًى ، وكان لا يَرْمُلُ إذا طاف حول البيت ، إذا أحرم من مكة . أخرجه مالك .

فيه دلالة على اختصاص الرَّمْلِ بطواف القدوم ، ويتأيد بما تقدم في الفصل قبله . وهذا أظهر قول الشافعي . والقول الآخر أنه يَرْمُلُ في كل طواف يعقبه سَنًى ، فيَرْمُلُ الْمَسْكِ أيضا .

٥٦ — ما جاء في الاضطباع في طواف الحج والعمرة

تقدم في الفصل المتقدم في حديثي ابن عباس ، ما يدل عليه .

وعن يَعْلَى بن أُمَيَّة : أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مُضْطَبِعًا وعليه بُرْدٌ . أخرجه الترمذي ، وقال : حسن صحيح . وأبو داود ، وقال : طاف مُضْطَبِعًا بِبُرْدٍ أَخْضَرٍ . وأخرجه أحمد ، وقال : يَبْرُدُ حَضْرَمِي . وأخرجه البيهقي ، وقال : رِداء حَضْرَمِي . وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مُضْطَبِعًا بالبيت ، وبين الصفا والمروة . أخرجه الشافعي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمرُوا من الجِعْرَانَةِ ، فَرَمَلُوا بالبيت ، وجعلوا أُرْدِيَتَهُمْ تحت آبائِهِمْ ، ثم قَذَفُوها على عَوَاتِقِهِم اليسرى . أخرجه أبو داود .

شرح — الاضطباع : هو الهيئة المذكورة في الحديث آنفا . سمي بذلك لما فيه من

إِبْدَاءِ الضَّئِيع ، وهو القَصْدُ . ويسمى الإِبْطُ أيضا لجاورته له . ويقال : الضَّئِيع : ما بين الإِبْطِ إلى نصف القَصْدِ . وقيل : هو وَسَطُ القَصْدِ . وهو سنة في الطواف ، وكذلك في السعي على المشهور ، ويختص بالرجال ، وبطواف النَّسْكَ .

٥٧ - ما جاء في هيئة المشي في الطواف

عن ابن جُرَيْج ، قال : سألت عطاء عن مشي الإنسان في الطَّوَّافِ قال : أَحِبُّ أَنْ يَمْشِيَ فِيهِ مَشْيُهُ فِي غَيْرِهِ . وفي طريق آخر أنه قال : لا بأس أن يمشي مَشْيَتَهُ الَّتِي هِيَ مَشْيَتُهُ فِي الطَّوَّافِ ، ما لم يُوْذَ أَحَدًا . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن عمرو بن دينار قال : رأيت ابن الزُّبَيْرِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَيُسْرِعُ الْمَشْيَ ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ مَشْيًا مِنْهُ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أسعد الناس بهذا البيت قُرَشِيُّ وَأَهْلُ مَكَّةَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَلَيْنَ النَّاسَ مَنَاكِبَ ، وَأَنَّهُمْ يَمْشُونَ فِيهِ التَّوَدَّةَ . أخرجه ذلك جميعه أبو الوليد الأزرق . وأخرج حديث ابن الزُّبَيْرِ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَالْبَيْهَقِيُّ ؛ وَلَفْظُهُ : إِنْ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يُسْرِعُ فِي الْمَشْيِ فِي الطَّوَّافِ . قال الشافعي : أحب ألا يزايل الرجل سجية مشيته في الطَّوَّافِ .

[^(١) عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر حديث الدَّجَّالِ ، ثُمَّ قَالَ : وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ آدَمِ الرَّجَالِ ، تَضْرِبُ لِمَتَّهُ بَيْنَ مَنَكِبَيْهِ ، رَجُلُ الشَّعَرِ ، يَقَطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، وَاضْعَا يَدَهُ عَلَى مَنَكِبَيْ رَجُلَيْنِ ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ . فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ .

وعنه رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبَطُ الشَّعَرِ ، يَتَهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ ، يَنْظِفُ رَأْسَهُ مَاءً ، أَوْ يُهَرِّاقُ رَأْسَهُ مَاءً ؛ فقلت : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : ابْنُ مَرْيَمَ . أخرجهما البخاري] .

(١) ما بين الموقوفين عن نسخة م وحدها .

٥٨ - ما جاء في أذكار الطواف ، وفضل الذكر فيه

عن ابن عمر قال : من طاف سبع تطويقات لا يتكلم إلا بذكر الله عز وجل ، ثم ركع ركعتين أو أربعاً ، ^(١) فعُدل رقبته : أغرمه سعيد بن منصور . وأغرمه الأزرقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقال : كمن أعتق أربع رقاب .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من طاف بالبيت سبعاً لا يتكلم إلا سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، مُحِيت عنه عَشْرُ سيئات ، وَكُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حسنات ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَات . أغرمه ابن ماجه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حَجَّ آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعاً ، فلقيته الملائكة في الطواف ، فقالوا : بَرَّ حَجُّكَ يَا آدَم ، أَمَا أَنَا حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بَالْفِي عام . قال : فما كنتم تقولون في الطواف ؟ قالوا : كننا نقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . قال آدم : فزِيدُوا فِيهَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فزادت الملائكة فيها ذلك . فلما حج إبراهيم عليه السلام بعد بنائه البيت ، لقيته الملائكة في الطواف ، فسألوا عليه . فقال لهم إبراهيم عليه السلام : ماذا تقولون في طوافكم ؟ قالوا : كننا نقول قبل أبيك آدم عليه السلام : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فأعلمناه ذلك ، فقال : زِيدُوا فِيهَا : وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فقال إبراهيم عليه السلام : زِيدُوا فِيهَا الْعَلِيِّ الْعَظِيم . ففعلت الملائكة . أغرمه الأزرقي .

وعن أبي شُعْبَةَ قَالَ : كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ ، فَإِذَا حَازَى بِالرَّكْنِ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . حَتَّى إِذَا حَازَى بِالْحَجَرِ قَالَ : (اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) . فَقُلْتُ : مَا سَمِعْتُكَ تَزِيدُ عَلَى هَذَا . فَقَالَ أَلَسْتُ قَدْ شَهِدْتُ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَأَتْنَيْتُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَأَلْتُهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ ، وَاسْتَعِذْتُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ ؟ أَغْرَمَهُ أَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ .

(١) في الأزرقي (٢ صفحة) : كان له عدل عن رقبته .

والظاهر من سياق اللفظ أنه يريد كَلَّ رُكْنَ ، فكأنه يستوعب طوافه بذلك الذكر والدعاء .

وعن ابن أبي نجيح قال : كان أكثر كلام عمرَ وعبد الرحمن بن عوف في الطواف « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » . أخرجه الأزرقى .

وعن حبيب بن صهيب ، قال : رأيت عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت ، وماله هَجِيرَى إلا أن يقول : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .
شرح — الهَجِيرَى وَالْهَجِيرَى : الدَّابُّ والعادة والدَّيْدَنُ :

وعن عُرْوَة أنه كان إذا طاف بالبيت الأشواط الثلاثة يقول :

اللهم لا إله إلا أنت . وأنت تحيي بعد ما أمت^(١) . يخفض بها صوته . أخرجه مالك .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق ، ومن سوء الأخلاق ، ومن كل أمر لا يطاق . قال زيد بن أسلم . أما الشقاق ففارقة الإسلام وأهله ؛ وأما النفاق فإظهار الإيمان وإسرار الكفر ، وأما سوء الأخلاق فالزنا والسَّرقَةُ وشرب الخمر والخيانة ، وكل ما حَرَّمَ الله فهو مِنْ سُوءِ الْأَخْلَاقِ . أخرجه ابن حبيب الأندلسي المالكي في كتاب جامع الأدعية .
ورفع البيهقي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو : اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق .

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه : أعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق .

وهذه الأحاديث الثلاثة وردت في الاستعاذة بها من غير تقييد بالطواف ، ولا بركن مخصوص . وقد ذكرها أصحاب المناسك ، أنها تنال عند الركن الشامي ، سوى ما وقع في رواية ابن حبيب ، من قوله : « ومن كل أمر لا يطاق » ؛ وسوى ما وقع في رواية البيهقي من قوله : « والفسوق » ، فلم يذكرها أهل المناسك .

(١) كذا ورد دعاء عروة في الموطأ ، بدون ألف بعد التاء . وفي م : آتانا . . . وأمتا ، بالفتحة بعدها . ويلوح لي أنه نظم لآثر . وانظره في صفحة ٢٩٧ .

٥٩ - ما يُقال عند استلام الحجر

عن ابن جريج قال : أَخْبِرْتُ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ نَقُولُ إِذَا اسْتَلَمْنَاهُ ؟ قَالَ : قُولُوا بِاسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، إِيْمَانًا بِاللَّهِ ، وَتَصَدِيقًا لِجَابَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَضْرِبْهُ الشَّافِعِيُّ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا استلم الركن قال : بِسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . أَضْرِبْهُ أَبُو ذَرٍّ وَالْأَزْرَقِيُّ . وعنه أنه كان إذا استلم الحجر قال : اللَّهُمَّ إِيْمَانًا بِكَ ، وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ ، وَتَصَدِيقًا بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ، وَبِصَلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَسْتَلِمُهُ . وعن علي عليه السلام أنه كان إذا استلم الحجر قال : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ إِيْمَانًا بِكَ ، وَتَصَدِيقًا بِكِتَابِكَ وَاتِّبَاعًا لِسُنَّتِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ . أَضْرِبْهُمَا أَبُو ذَرٍّ .

وعن عبد الكريم بن أبي أمية قال : يُقال عند استلام الركن اليماني : اللَّهُمَّ إِيْجَابَةً دَعْوَةِ نَبِيِّكَ ، وَاتِّبَاعًا وَضُحْوَانِكَ ، وَعَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعن سعيد بن المسيَّب ، أن عمر بن الخطاب كان يقول إذا كبر لاستلام الحجر : بِاسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، عَلَى مَا هَدَانَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ ، وَكُفِّرْتُ بِالطَّاغُوتِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، وَمَا يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ، إِنْ وَايَيْتُ اللَّهَ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ . أَضْرِبْهُمَا الْأَزْرَقِيُّ .

شرح - اللَّاتِ وَالْعُزَّى : صِنَانٌ مِنْ حِجَارَةٍ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَالطَّاغُوتُ : كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَكُونُ وَاحِدًا وَيَكُونُ جَمْعًا ، وَهُوَ فَعُلُوتٌ ^(١) مِنَ الطُّغْيَانِ ، كَأَنَّ رَحْمَتَ الْمَلَائِكَةِ ، إِلَّا أَنْ فِيهَا قَلْبًا ، بِتَقْدِيمِ اللَّامِ عَلَى الْعَيْنِ .

وقد ذكر الغزالي في الإحياء ، أنه يقول عند ابتداء الطواف : بِاسْمِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ إِيْمَانًا ... إِلَى آخِرِهِ . ثم ذكر عند كل ركن ، وعند الباب ، وتحت الميزاب ،

(١) ف م : مقلوب ، وهو تحريف . وفي هـ : فعلوت ؛ وهذا أصل الوزن قبل النقل ، ووزن الكلمة بعده : فعلوت . انظر لسان العرب في (طغى) .

أذكاراً مُعَيَّنَةً ، لم أعرف لأكثرها أصلاً . وذكر أنه يقول عند تقبيل الحجر واستلامه :
اللهم هذه ^(١) أمانتي أدبتها ، وميثاقي تعاهدته ، اشهد لي بالمؤافاة .

٦٠ - ما جاء في التكبير كلما حاذى الحجر

عن ابن عباس رضى الله عنهما : طاف النبي صلى الله عليه وسلم على بعير ، كلما أتى على الركن أشار إليه بشيء كان عنده ، وكبّر . أخرجه البخارى ، وبوتب عليه :
التكبير عند الركن . قال الشافعى : وأحبُّ كلما حاذى الحجر الأسود أن يكبر ، وأن يقول في رمّله : اللهم اجعله حجامبرورا ، وذنباً مغفوراً ، وسعيماً مشكوراً . ويقول في الطواف الأربعة : رَبِّ اغفر وارحم ، واغف عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم . اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . حكاه البيهقى عنه .

٦١ - ما جاء في رفع اليدين بالتكبير عند محاذاة الحجر إذا حيل بينه وبينه

عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أنه كان إذا طاف بالبيت ، وحيل بينه وبين الحجر ، كبر ورفع يديه .

وعن عطاء أنه كان إذا لم يقدر على الحجر الأسود أن يستلمه ، كبّر ولم يرفع يديه ، وكان سعيد بن جبير يكبر ويرفع يديه . أخرجهما سعيد بن منصور .

وعن ابن عيينة قال : رأيت عبد الله بن طاووس ، وطففت معه ، فلما حاذى الركن رفع يديه وكبّر . أخرجه الأزرقي : وقد تقدم ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، في فصل رفع اليدين عند رؤية البيت ، من حديث ابن عباس . ودل الحديث الأول على أن ذلك عند الخيلولة بينه وبين الحجر . ولا ينبغي طرده عند الاستلام والتقبيل ، وعليه يدل عموم الحديث المتقدم في فصل رفع اليدين عند رؤية البيت . والظاهر في كيفية الرفع مع التكبير ، أنه كهيئته في الصلاة ، إذ لم ينقل في التكبير بخلافها ، وفي الدعاء على الصفة

(١) « هذه » : ليست في كتاب الإحياء ؛ انظر طبعه مصطفى البان الحلبي وأولاده بمصر سنة

المتعارفة فيه ، يبطون الأَكُفَّ ، أو بظهورها ، على اختلاف الروايات في ذلك . وقد تقدم التنبيه على ذلك في فصل رفع اليدين عند رؤية البيت .

٦٢ - ما يقال عند استلام الركن اليماني

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **وُكِّلَ به سبعون ملكاً ، يعنى الرُّكن اليماني .** فن قال : اللهم إني أسألك العفو والعافية ، في الدين والدنيا والآخرة ؛ اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ؛ قالوا : آمين . أخرجه ابن ماجه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما مررت بالركن اليماني إلا وعنده ملكٌ ينادى ، يقول : آمين آمين . فإذا مررتم به ، فقولوا : اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار . أخرجه أبو ذر .

ولا تضاد بين الحديثين ، فإن السَّبعين موكلون به ، لم يُكَلَّفُوا قول آمين دائماً ، وإنما عند سماع الدعاء ، والملك كُفِّ أن يقول : آمين دائماً ، سواء سمع دعاء أولم يسمعه .

وعلى هذا يُحْمَل ما روى في طريق آخر عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : على الركن اليماني ملكٌ مُوَكَّل به منذ خلق الله السموات والأرض ، فإذا مررتم به فقولوا : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، فإنه يقول : آمين آمين . أخرجه الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام ، وإن كان ظاهر لفظه يدل على أن تأمينة عند الدعاء لكنه محتمل لما ذكرناه ، ويكون التقدير : فإنه يقول : آمين آمين دائماً ، فيحمل عليه ، جمعا بين الحديثين ، وحملها على معنيين . وقد جاء عن الحسن في تفسير الحسنه في قوله تعالى : « رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » قال : الحسنه في الدنيا الطاعة والعبادة ؛ والحسنه في الآخرة الجنة . وقال غيره : الحسنه في الدنيا التوفيق للخير والصحة والسكفاف ؛ والحسنه في الآخرة الجنة . وقيل : الحسنه في الدنيا : المرأة الصالحة ، وفي الآخرة : الحور العين . وأصل قنا : إوقنا . فسقطت الواو ، كما سقطت

من تيقى، وأصله : يَوْقِي : وسقطت ألف الوصل للاستغناء عنها ، لأنها اجْتَلِبَتْ لسكون
ألواو . والمعنى : اجعلنا مَوْقَيْنَ من عذاب النار .

وعن علي بن أبي طالب أنه كان إذا مرَّ بالركن اليماني قال : باسم الله، والله أكبر .
السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته . اللهم إني أعوذ بك من
الكفر ، والفقر ، والذل ، ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة . ربنا آتانا في الدنيا حسنة ،
وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

وعن سعيد بن المسيب : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مرَّ بالركن قال ذلك .
أُخْرِجَ الأُزْرَقُ .

٦٣ - ما يقال بين الركنين اليمانيين

عن عبد الله بن السائب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما بين
الركنين اليمانيين : « ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .
أُخْرِجَ داود والشافعي .

وعن ابن عباس أنه كان يقول بين الركنين : اللهم قَنِّعْنِي بما رزقتني ، وبارك لي
فيه ، واخْلُفْ عَلَيَّ كل غائبة لي بخير . أُخْرِجَ سعيد بن منصور . وأُخْرِجَ الأُزْرَقُ وقال :
واحفظني في كل غائبة لي بخير ، إنك على كل شيء قدير .
وقد رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يُقَيِّدْهُ بما بين الركنين .

٦٤ - ما يقال عند محاذاة الميزاب

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حاذى ميزاب
الكنبة وهو في الطواف يقول : اللهم إني أسألك الراحة عند الموت ، والعفو عند الحساب .
أُخْرِجَ الأُزْرَقُ .

رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من أحد يدعو تحت الميزاب
إلا استجيب له . ذكره بعض أشياخنا في منسك له .

٣٥ - ما جاء في تلاوة القرآن في الطواف

عن ابن عمر أنه سمع رجلا يقرأ في الطواف ، فَبَكََّ في صدره . أُنْهِمَ .
سعيد بن منصور .

وعن عطاء وقد سُئِلَ عن القراءة في الطَّوَّاف فقال : مُحَدَّثٌ ، وهو خير من كثير
من الكلام . أُنْهِمَ سعيد وأبو ذر .

وعنه : من طاب بالبيت فليَدَعِ الحديث كله ، إلا ذكرَ الله تعالى وقراءة القرآن .
وعن علقمة أنه قَدِمَ مكة ، فطاف سبعا ، فقرأ فيه بالسَّبْعِ الطَّوَّال ؛ ثم طاف سبعا ،
فقرأ فيه بالثَّانِ (١) ، ثم طاف آخر ، فقرأ فيه بالثَّانِي . وفي رواية : ثم طاف آخر فقرأ
بالحواميم ، ثم طاف سبعا ، فقرأ إلى آخر القرآن . أُنْهِمَهُمُ الأزرقي . قال الشافعي :
الطواف موضع ذكر ، وقراءة القرآن أعظم الذكر .

قال الشيخ أبو محمد : وَيُسْتَحَبُّ أن يَخْتِمَ القرآن في الطواف ، في أيام الحج .
ومن العلماء من لم يَسْتَحِبَّ قراءة القرآن في الطواف ، كمن تقدم ذكره . واختاره
أبو عبد الله الحلي من أصحابنا .

(١) كذا في ٢٥ . وفي م : بالثاني ، وفي أخبار مكة للأزرقي طبعة الماجدية بمكة : بالثانين ؛ وكلاهما تحريف . والسبع الطوال (على ما جاء في كتاب الإتيان ، في علوم القرآن للسيوطي ، طبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣١٧ هجرية ، صفحة ٦٥ ، ٦٦) أولها البقرة ، وآخرها براءة . كذا قال جماعة . واتفقوا على الست الأول منها وهي البقرة ، وآل عمران والنساء ، والمائدة والأنعام ، والأعراف . واختلفوا في السابعة ، ف قيل : يونس ، وقيل : الكهف والثون : براءة ، والنجل ، وهود ، ويوسف ، والكهف ، وبني إسرائيل ، والأنبياء ، وطه ، والمؤمنون ، والشعراء ، والصفات . قيل : سميت بذلك كل سورة منها تزيد على مئة آية أو تقاربها . والثاني : ماولي المثين ، لأنها تنتهـأ أي كانت بعدها ، فهي لها ثوان ، والمثون لها أوائل وقيل : هي السور التي آيها أقل من مئة آية ، لأنها ثنئى أكثر مما يثنى الطوال والمثون . وخصصهم بعضهم فقال : هي : الأحزاب ، والحج ، والقصص ، وطس النمل ، والنور ، والأنفال ، ومريم ، والفنكبوت ، والروم ، ويس ، والفرقان ، والحجر ، والرعد ، وسبأ ، والملائكة ، وإبراهيم ، وص ، والذين كفروا ، ونفثان ، والزمر . والحواميم : حم المؤمن ، والزخرف والبيضة ، وحسق ، والأحقاف ، والجاثية ، والدخان .

٦٦ - ما جاء في سجود التلاوة في الطواف

عن عطاء والحكم ، أنهما سُئِلَا عن الرجل يقرأ السجدة وهو يطوف بالبيت . فقال : أحدهما : يسجد على البيت . وقال الآخر : يُومئ^١ . قال هشيم : وبه نأخذ . أخرجه سعيد بن منصور .

قلت : وظاهر هذا أنهما رأيا التوسعة في ترك السجود على الأرض ، خشية أن يَطَاه الطائفون ، أو يشوّش^(١) عليهم ، لأنهما لم يريا السجود على الأرض . ولا أرى بالسجود عليها بأسا عندهما ، وهو قياس مذهبنا . وإذا سجد للتلاوة في الصلاة ، ففي الطواف أولى .

٦٧ - ما جاء في أن شرعية الطواف لإقامة ذكر الله تعالى

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما جُعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ، ورمى الجمار ، لإقامة ذكر الله تعالى ، وإن لم يقترب بها ذكر بالقول . وينبغي للذاكر في الطَّواف والتألي ، ألا يزيد في رفع صوته على إسماع نفسه ثلاثا يشوّش على غيره ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يرفع الرجل صوته بالقرآن قبل العشاء وبعدها ، يَغْلَط أصحابه في الصلاة والقوم يصلون . أخرجه الإمام أحمد . وفي لفظ : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع الرجل صوته في صلاته بالقرآن قبل العتمة أو بعدها والقوم يَصَلُّون ، يَغْلَط أصحابه . وفي لفظ : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان والناس يصلون ، فقال : لا يجهر بعضهم على بعض ، فإن ذلك يؤذي المصلّي . وفي معنى الطائف من كان في المسجد قريبا من الطواف ، ينبغي له ألا يرفع صوته بتلاوة ولا ذكر ، ثلاثا يشوّش على الطائفتين .

وقد ألف الإمام أبو بكر الأجرّي تأليفا يتضمن الإنكار على الجاهر في الطواف بذكر أو تلاوة ، وغلّظ في ذلك وشدد ، والله أعلم .

(١) قيل صوابه : يهوش . والتهويش : التخليب . ومن صحح اللفظ العلامة حسين الزوزني في مصادره وغيره . (انظر تاج العروس في شوش) . وقد سبق التنبيه عليه في صفحة ٢٧٦

٦٨ - ماجاء في الملتزم وثنائه^(١)، وتسميته بالحطيم، وإجابة الدعاء عنده

وكيفية الوقوف للدعاء

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، قال: طُفْتُ مع عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما جئنا دُبُر الكعبة قلت: أَلَا تَتَعَوَّذُ؟ قال: نعوذ^(٢) بالله من النار؛ ثم مضى حتى استلم الحجر، فأقام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه^(٣) هكذا، وبسطهما بسطا، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل^(٤). أضرجه أبو داود، وابن ماجه. وأضرجه الأزرق بزيادة. ولفظه: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، قال: طاف محمد بن عبد الله ابن عمرو، مع أبيه عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما كان في السابغ أخذ بيده^(٥) - فَبَيَّذَهُ؛ وقال أحدهما: أعوذ بالله من النار. وقال الآخر: أعوذ بالله من الشيطان، ثم مضى حتى أتى الركن فاستلمه. ثم ذكر الحديث^(٥).

وعن عبد الرحمن بن صفوان قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، قلت: لَا أَلْبَسَنَّ ثِيَابِي^(٦)، فَلَا نَظْرُنَّ كيف يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٧) قد خرج من الكعبة هو وأصحابه، وقد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم، وقد وضعوا خُدُودهم على البيت، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسَطَهم. أضرجه أبو داود.

(١) ثناء الدار: فناءها والثناء بدل من الفاء (لسان العرب).

(٢) في أخبار مكة للأزرق طبعة الماجدية، وفي سنن ابن ماجه طبعة التازية: أعوذ. وفي سنن أبي داود: تعوذ، ولعله تحريف عن نعوذ.

(٣) (٣ - ٣) في أخبار مكة للأزرق طبع الماجدية (ج ١ ص ٢٣٦): وكفيه بسطا، وقال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل. والمؤلف قد جمع بين أكثر الروايات لفظا.

(٤) في الأزرق طبعة الماجدية (ج ١ ص ٢٣٨): إلى دبر الكعبة.

(٥) هذه رواية أخرى للحديث من طريق آخر غير الأول؛ رواها الأزرق.

(٦) بيده في صحيح سنن المصطفى لأبي داود، طبعة التازية، (ج ١ ص ٢٩٧): وكانت

داري على الطريق.

(٧) في سنن أبي داود: النبي.

وسياق هذا اللفظ يُشعر بأن الحطيم هو الحجر الأسود، والمشهور في الحطيم أنه ما بين الركن والباب . فلعلمه يريد ما بين الباب وانتهاء الحطيم ، على حذف المضاف . وقد قيل : الحطيم هو الشاذوران ، سُمي به لأن البيت رُفِع ، وترك هو محطوما ؛ فيكون فعिला بمعنى مفعول . وقيل : لأن العرب كانت تطرح فيه ما ظافت فيه من الثياب ، فتبقى حتى تنحطيم بطول الزمان ، فيكون فعिला بمعنى فاعل .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الحطيم الجذر ، يعنى جدار حجر الكعبة ، أضره أبو داود . وذكر المنذري في تسميته حطيا ما تقدم من المعنيين في الشاذوران ؛ قال وقيل : لانحطام الناس عنده ، ومزاحمتهم عليه للدعاء . وقيل : بل كان يحطم الكاذب في حلفه وقال ابن عباس : من طاف فليطأ من وراء الحجر ، ولا تقولوا الحطيم . وكرهه هذا الاسم . وعن ابن جريج قال : الحطيم : ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر . وسُمي هذا الموضع حطيا لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالآيمان ، ويستجاب فيه الدعاء للمظلوم على الظالم ، فقل من دعا هنالك على ظالم إلا أهلك ، وقل من حلف هنالك آثما إلا عجلت له العقوبة ؛ وكان ذلك يحجر^(١) بين الناس عن المظالم^(٢) ، ويتهيب الناس الآيمان هنالك ، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله بالإسلام ، فأخر الله ذلك لما أراد إلى يوم القيامة . أضره الأزرق .

وعن عبد الرحمن بن صفوان قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحجر والباب ، واضعا وجهه على البيت . أضره أحمد . وقوله : « واضعا وجهه » ، وقوله في الحديث الأول : « فوضع صدره ووجهه » يحتمل أن يريد وضع الخد كما سبق ، ويطلق عليه وضع الوجه ، ويحتمل أن يريد وضعه كهيئة الساجد ، فيكون فيه رد لقول من أنكره . وعن ابن عمر : أنه كان يلزق صدره ووجهه بالملتزم . أضره الدارقطني .

(١) في أخبار مكة للأزرقى (ج ٢ ص ١٨) : - يحجز ، بالزاي في مكان الراء ، وهو بمعناه .
(٢) في أخبار مكة للأزرقى : الظلم .

وعن أبي إسحاق قال : رأيت ابن عمر رجلا جسيما آدم ، وقد أثر خُلُق الكعبة بصدرة .

وعن أبي الزبير ، عن ابن عباس . قال : الملتزم ما بين الحجر والباب ، لا يلتزم ما بينهما أحد يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه . قال أبو الزبير : فقد دعوت هنالك فاستجيب لي . أنهرهما أبو ذرٍّ ، أنهرج الثاني الأزرق ، وقال : الملتزم والمدعى والمتعوذ : ما بين الحجر والباب ، وذَرَّعه أربعة أذرع . قال الشافعي : أحب له إذا ودَّع أن يقف في الملتزم ، وهو بين الركن والباب ، فيقول . . . وذكر الدعاء المشهور .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الملتزم : موضع يستجاب فيه الدعاء ، ومادعا عبدُ الله تعالى فيه دعوة إلا استجابها ، أو نحو ذلك : (أنا)^(١) بهذا الحديث الإمام أبو بكر محمد بن يوسف الهمداني^(٢) الحافظ إذنا .

قال ابن عباس : فوالله ما دعوت الله عز وجل قطُّ إلا أجابني . قال عمرو : وأنا والله ما أهمني أمر ، فدعوت الله عز وجل فيه إلا استجاب لي منذ سمعت هذا الحديث من ابن عباس . قال سفيان : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل قطُّ بشيء إلا استجاب لي منذ سمعت هذا الحديث من عمرو بن دينار . قال الحميدي : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل قطُّ بشيء إلا استجاب لي منذ سمعت هذا الحديث من سفيان . قال محمد بن إدريس : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل بشيء قطُّ إلا استجاب لي منذ سمعت هذا الحديث من الحميدي . قال محمد بن الحسن : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل فيه بشيء إلا استجاب لي منذ سمعت هذا الحديث من محمد بن إدريس . قال عبيد الله بن محمد : دعوت الله عز وجل مرارا فاستجاب لي . قال حمزة : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال أبو الحسن السكيتاني : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي قال أبو الفتح الغريزي^(٣) : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال أبو طاهر الأصبهاني : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال

(١) ق م : أنا . (٢) ق م : المهلب . (٣) ق م : الغزنوي .

أبو عبد الله الباسي : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال الحافظ محمد بن مسدد :
وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي .

قلت : وأنا دعوت الله عز وجل فيه مرارا فاستجاب لي . هذا حديث حسن غريب
من حديث عمرو بن دينار المسكي ، عن ابن عباس .

وعنه قال : مَنْ التزم السكعة ودعا استجيب له . أضرهم الأزرقي . ويجوز أن يكون
هذا على عمومه ، ويجوز أن يكون محمولا على الملتزم^(١) .

وعن مجاهد قال : ما بين الباب والركن يدعى الملتزم ، ولا يقوم عبد ثم فيدعو الله
عز وجل ، إلا استجاب له .

وعنه قال : رأيت ابن عباس وهو يستعيز . ما بين الركن والباب .

وعن محمد بن السائب ، عن أمه ، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت
إلى أصحاب المصاييح ، فأطفقوها ، ثم طافت في ستر وحجاب ، قالت : وطفنت معها ،
فطافت ثلاثة أسابيع ، كلما طافت سبعا وقفت بين الحجر والباب تدعوان .

وعن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم ، قال : طاف آدم عليه السلام حين
نزل بالبيت سبعا ، ثم صلى تجاه السكعة ركعتين ، ثم أتى الملتزم ، فقال : اللهم إني أعلم
سريرتي وعلايتي ، فأقبل معذرتي ؛ وتعلم ما في نفسي ، فأغفر لي ذنوبي ؛ وتعلم حاجتي .
فأعطني سُؤلي ، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا ، حتى أعلم أنه لن يصيبني
إلا ما كتبت لي ، والرضا بما قضيت علي . فأوحى الله تعالى : يا آدم ، قد دعوتني بدعوات

(١) جاء في نسخة م زيادة على المتن مانصه :

« قال كاتبه أبو الفيض وأبو الإسعاد : وهذا الحديث هو السلسل بإجابة الدعاء في الملتزم ، وقد
وصل إلى بذلك . وأقول : دعوت الله فيه بأمور كثيرة دنيوية وأخرية ، فظهرت لإجابتها في الأولى ،
وأرجو لإجابتها في الأخرى . أخرجه عياض في الشفاء مسلسلا ؛ قال ابن مسدد : وهذا حديث غريب
حسن ، من حديث عمرو بن دينار المسكي عن ابن عباس ، تفرد به مسلسلا محمد بن إدريس المسكي كاتب
الحميدي عنه . وقد روى من حديث أبي الزبير المسكي عن ابن عباس موقوفا ، ومثله لا يكون روايا .
ورواية أبي الزبير أخرجا سعيد بن منصور والبيهقي في سننهما ، وهو شاهد قوي ، أخرجه الديلمي
في مسند الزدروس ، من وجه آخر ، عن محمد بن الحسن بن راشد الأنصاري ، تلميذ محمد بن إدريس مسلسلا . »

واستجبت لك، ولن يدعوني بها أحد من وَلَدِكَ إِلَّا كَشَفْتُ هُمُومَهُ، وَكَفَفْتُ عَلَيْهِ ضِيعَتَهُ، وَنَزَعْتُ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ، وَجَعَلْتُ الْغَنَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَاتَّجَرْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءَ تِجَارَةِ كُلِّ تَاجِرٍ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَإِنْ كَانَ لَا يَرِيدُهَا. قَالَ: فَفَنَدَّ طَافَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ سَنَةُ الطَّوَافِ. أَضْرَبُ الْأُزْرُقَى. وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ بِسُنَّةِ الطَّوَافِ فِي الْعَدَدِ، وَإِلَّا فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ طَافَتْ بِهِ مِنْ قَبْلِ آدَمَ، فَلَعَلَّهُ بَغَيْرِ عَدَدٍ أَوْ بَغَيْرِ ذَلِكَ الْعَدَدِ، أَوْ أَرَادَ بِهِ سَنَةً لَبَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: طَافَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبَيْتِ سَبْعًا حِينَ نَزَلَ، ثُمَّ نَسَقَى مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ. أَضْرَبُ الْأُزْرُقَى.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو بَيْنَ الْبَابِ وَالْحَجَرِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ، وَنُزْلَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيَقِينَ الصَّادِقِينَ، وَصِلَةَ^(١) الْمُتَّقِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ الدُّعَاءَ يَسْتَجَابُ هُنَاكَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا: فِي الطَّوَافِ، وَعِنْدَ الْمَلْتَزِمِ، وَتَحْتَ الْمِيزَابِ، وَفِي الْبَيْتِ، وَعِنْدَ زَمْزَمَ، وَعَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَفِي الْمَسْعَى، وَخَلْفَ الْمَقَامِ، وَفِي عُرْفَاتٍ، وَفِي مُزْدَلِفَةٍ، وَفِي مَنَى، وَعِنْدَ الْجُرَاتِ الثَّلَاثِ^(٢) وَرَوَى غَيْرَ الْحَسَنِ أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يُسْتَجَابُ عِنْدَهُ الدُّعَاءُ، فَتَصِيرُ الْمَوَاضِعُ سِتَّةَ عَشَرَ، وَسَيَأْتِي فِي فِصْلِ التَّعَوُّذِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ مَوْضِعٌ سَابِعٌ عَشَرَ؛ وَالظَّاهِرُ مِنْ عُمُومِ اللَّفْظِ تَعْمِيمُ الْإِجَابَةِ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ سِوَاكَانِ مُتَلَبِّسًا بِنُسْكَ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَتَخْصِصُ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضٍ خِلَافَ الظَّاهِرِ. وَإِذَا ثَبَتَتْ الْخُصُوصِيَّةُ لَذَاتِ الْمَكَانِ عَمَتْ جَمِيعُ الْأَحْوَالِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي مَوْ: خَلَّةٌ، بِالْحَاءِ.

(٢) كَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَيْضِ هُنَا فِي الْمَتْنِ مَا مَعْنَاهُ: لَعَلَّ بَقِيَّةَ الْمَوَاضِعِ سَقَطَتْ مِنَ النَّاسِخِ، ثُمَّ حَرَّرْتُكَ الْمَوَاضِعَ السَّاقِطَةَ بِقَوْلِهِ: وَعِنْدَ الْمَرْوَةِ، وَعِنْدَ الْجُرَّتَيْنِ. وَالْمَقْصِدُ أَنَّ السَّاقِطَ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: عِنْدَ الْمَرْوَةِ. أَمَّا عِنْدَ الْجُرَّتَيْنِ فَذَكَرَ وَضَعَهُنَّ فِي الْجُرَاتِ الثَّلَاثِ.

٦٩ - ما جاء فيمن كره وضع الوجه على البيت كهيئة الساجد

عن مجاهد أنه قال : ضَعَّ خَدَّكَ عَلَى الْبَيْتِ ، وَلَا تَسْجُدْ عَلَيْهِ سَجُودًا تَضَعُ عَلَيْهِ جَبْهَتَكَ . أَخْرَجَهُ الْأَزْرَقِيُّ بِمَعْنَاهُ ، وَلَفْظُهُ : أَلْصَقَ خَدَيْكَ بِالْكَعْبَةِ ، وَلَا تَضَعُ جَبْهَتَكَ . وَفِيهَا تَقْدِمُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ مَا يَرُدُّهُ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ .

٧٠ - ما جاء في كراهية أَنْ يُلْصَقَ ظَهْرُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ

عَنْ عَطَاءٍ ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَكَرَّهُهُ .
وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْنِدَ ظَهْرَهُ . أَخْرَجَهُمَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .
وَهَذَا مَغَايِرٌ لِمَا رَوَى عَنْ عُروَةَ ، أَنَّهُ كَانَ يُلْصِقُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ وَجَنْبَهُ بِالْبَيْتِ . أَخْرَجَهُ الشَّافِعِيُّ .
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي فَصْلِ اسْتِلَامِ جَمِيعِ الْأَرْكَانِ .

٧١ - ما جاء في التعوذ عند ظهر الكعبة ، ويقال له المستجار

عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : طَافَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَالْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أَسْبُوعًا ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي دُبُرِ الْكَعْبَةِ تَعُوذَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : تَدْرِي مِنْ أَحَدَثَ هَذَا ؟ أَحَدَثْتُهُ مَجَازَرُ قَوْمِكَ .

وَعَنْهُ قَالَ : مَرَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بَيْنَ الْبَابِ وَالرَّكْنِ الْأَسْوَدِ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَهُنَا الْمُلْتَزِمُ . وَالْمُلْتَزِمُ دُبُرُ الْبَابِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُنَاكَ مُلْتَزِمٌ عَجَازُ قُرَيْشٍ .
وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ : مَنْ قَامَ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ فِدْعًا ، اسْتَجِيبَ لَهُ ، وَخَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .

فَنَتِ : وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ مُعَاوِيَةَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ تَلَقُّيٍّ مِنْ لِسَانِ النَّبِوةِ .
وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ : رَأَيْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقِفَانِ فِي ظَهْرِ الْكَعْبَةِ بِحِجَالِ الْبَابِ ، فَيَتَعَوَّذَانِ وَيَدْعَوَانِ . أَخْرَجَهُ جَمِيعُ ذَلِكَ الْأَزْرَقِيُّ .

٧٢ - ما جاء في الدعاء تحت الميزاب

عن عطاء بن أبي رباح قال : من قام تحت مَشْعَب الكعبة ، وفي رواية : تحت ميزاب الكعبة ، فدعا ، استجيب له ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . أخرجه الأزرقي .
شمع - مَشْعَب الكعبة : تَجَرَّى مائها ، وهو للميزاب ، كما في الرواية الأخرى .
وعن مالك بن دينار قال : سَمِعْتُ مُلَيْكَةَ بِنْتَ الْمَكْدِرِ ، وهي تقول في الْحَجَرِ :
أَتَيْتُكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ ، مُؤَمِّلَةٌ مَعْرُوفَكَ ، فَأَنْلَيْتُنِي مَعْرُوفًا مِنْ مَعْرُوفِكَ ، تَغْنِينِي بِهِ عَنْ مَعْرُوفٍ مِنْ سِوَاكَ ، يَا مَعْرُوفًا بِالْمَعْرُوفِ .

وسأني في فصل ركعتي الطواف فضل الصلاة تحت الميزاب .

٧٣ - ما جاء في كراهية أن يقود أحد أحداً بخيط أو نحوه

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ وهو يطوف بإنسان ربط يده إلى إنسان بسير أو بخيط أو بشيء غير ذلك ، فقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم قال : قَدْ بَيَّدَهُ ، وفي رواية تقود إنساناً بخِزَانَةٍ فِي أَنْفِهِ ، فقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . أخرجه . وقال النَّسَائِيُّ : يقود إنساناً بشيء ، ذكره في نذره .

٧٤ - ما جاء في طواف النساء ناحية من الرجال

عن عطاء : أن عائشة رضي الله عنها كانت تطوف حَجْرَةَ مِنَ الرِّجَالِ ، لَا تَخَالِطُهُمْ . أَيْ نَاحِيَةَ مِنْهُمْ . أخرجه البخاري .

وعن عبد الرحمن بن حسن بن القاسم عن أبيه ، قال : كان الرجال والنساء يطوفون مختلطين ، حتى ولي مكة خالد بن عبد الله القسري لعبد الملك ، ففرَّق بين الرجال والنساء في الطواف ، وأجلاس عند كل ركن حرساً معهم السياط ، يفرقون بين الرجال والنساء ، فاستمر ذلك إلى اليوم . أخرجه الأزرقي .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال : أعزم بالله على امرأة صلت في الحجر .
أخرجه الأزرقي .

وعن إبراهيم: أن عمر بن الخطاب نهى أن يطوف الرجال مع النساء، فدخل المسجد ذات يوم، فإذا هو برجل يطوف مع النساء، فأقبل عليه ضرباً بالدرة، وقال: ألم أنه عن هذا؟ قال: ما علمت. قال: ما بلغك عزمي؟ قال: ما بلغني لك عزمة. فقال: دُونَكَ فَأَمْسِكْ. قال: يعني فاقْتَصِرْ. فقال: ما أنا بفاعل. فقال: فاعف. فقال: ولا أعفو. فانصرف عمر وهو محزون، فلما أصبح رُؤِيَ ذلك في وجهه، فقيل للرجل: ويحك! ما ترى بوجه أمير المؤمنين؟ فأتاه، فقال: قد عفوت. فسرَّيَ عن أمير المؤمنين. أضرهم سعيد بن منصور.

٧٥ - ما جاء في إباحة إخلاء المسجد لطواف النساء ذوات الأقدار

عن كُرَيْمَةَ بنت همام، قالت: دخلت المسجد الحرام، فأخلَّوه لعائشة، وسألها امرأة: ما تقولين يا أم المؤمنين في الحناء؟ قالت: كان حبيبي صلى الله عليه وسلم يعجبه لونه، ويكره ريحه. أضرهم أحمد

٧٦ - ما جاء في كراهية طواف المجدوم مع الناس

عن ابن أبي مُلَيْكَةَ، أن عمر بن الخطاب رأى امرأة مجذومة تطوف بالبيت، فقال لها: يا أمة الله، لا تؤذي الناس؛ لو جلست في بيتك. ففَعَمَكَتْ، فربها رجل بعد ذلك، فقال لها: إن الذي نهاك قد مات، فاخرجي، فقالت: ما كنت لأطيعه حياً، وأعصيه مَيِّتاً. أضرهم مالك وسعيد بن منصور، بتغيير بعض اللفظ.

٧٧ - ما جاء أن الطواف لا يُكره في وقت

عن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ يَبْلُغُ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يا بني عبد مناف، لا تمنعوا أحداً يطوف بهذا البيت ويصلي أية ساعة شاء من ليل أو نهار. أضرهم أبو داود والنسائي والترمذي، وقال: حسن صحيح وابن ماجه. وفي الباب عن ابن عباس وأبي ذر. وفيه دلالة على جواز الصلاة في الوقت المكروه بمكة دون غيرها من البلاد، ومنع بعضهم

ذلك لعموم النهي ، وتأول بعضهم الصلاة في هذا الحديث على الدعاء ، وفيه بُعد ، وبعضهم خصها بركعتي الطواف .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : يا بني عبد المطلب ، إن كان إليكم من الأمر شيء ، فلا أعرفن أحدا منهم أن يمنع من يصلي عند البيت أي ساعة شاء ، من ليل أو نهار . أخرجه أبو حاتم ، ولم يذكر الطواف ، وكذلك أخرجه الدارقطني . ولفظه : يا بني عبد مناف ، لا تمنعوا أحدا يصلي عند هذا البيت أي ساعة من ليل أو نهار . وفيه دلالة ظاهرة على جواز الصلاة وإن لم يطف ، ردًا لقوله من حمل ذلك على ما لها سبب .

وعن ابن أبي مليكة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بعد العصر ، فصلى ركعتين . أخرجه أبو الحسن علي بن الجعد ، عن سفيان بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة .

وعن أبي ذر رضي الله عنه ، أنه قام ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، ثم قال : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا جندب ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد الفجر حتى تطلع ، إلا بمكة . أخرجه الشافعي والبيهقي .

وعن عبد الرحمن بن ربيع قال : رأيت ابن الزبير يطوف بعد الفجر ، ويصلي ركعتين ، ورأيت يصلي بعد العصر ركعتين ، ويخبر عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيتها إلا صلاها . أخرجه البخاري في باب الطواف ، بعد الصبح والعصر . وخرج الأزرق صلاته بعد العصر ، وقال : صلاهما في الكعبة . وسيأتي في فصل ركعتي الطواف إن شاء الله تعالى .

وعن ابن عباس ، أنه كان يطوف بعد العصر ، ثم يدخل حجرته ، فما يُدري ما يصنع . أخرجه مالك .

وعن ابن عمر أنه طاف بعد الفجر سبعة ، وصلى ركعتين وراء المقام ، قبل أن تطلع الشمس .

وعن الحسن والحسين أنهما طافا بعد العصر ، ثم ركعا ركعتين بعد العصر .
وعن عطاء والحسن ومجاهد وطاؤوس ، أنهم كانوا يطوفون بعد العصر
ويصلون ذُبُر طوافهم . أخرجه الثلاثة سعيد بن منصور .
وعن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مُلَيْكَةَ وعِكرمة ، أنهم طافوا بعد العصر
وصلوا . أخرجه الأزرقى ، وقد تقدم ذلك في فصل كيفية الاستلام .

٧٨ - حجة من منع الطواف في الوقت المكروه

عن ابن عمر أنه كان يكره الطواف بعد الصبح حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر
حتى تغرب الشمس . وكان الحسن يكرهه ، وسعيد بن جُبَيْر ومجاهد . أخرجه سعيد
ابن منصور وأبو ذَرٍّ .
وعن أبي الزبير أنه قال : لقد رأيت الطواف ^(١) خِلَواً بعد الصبح وبعد العصر
ما يطوف به أحد . أخرجه مالك .

٧٩ - حجة من أباح طوافاً واحداً أو منع الصلاة

عن عمر بن الخطاب أنه طاف بعد صلاة الصبح ، فلما قضى طوافه نظر فلم ير
الشمس ، فركب ثم أناخ بذى طَوًى ، فصلى ركعتين . أخرجه مالك .
وعن أبي سعيد الخدري أنه طاف بعد الصبح ، فلما فرغ جلس حتى طلعت
الشمس . أخرجه سعيد بن منصور . قال مالك : لا بأس أن يطوف الرجل طوافاً واحداً
بعد الصبح ، وبعد العصر ، ثم لا يَصَلِّيَ حتى تطلع الشمس وتغرب .

٨٠ - ما جاء في فضل الطواف والحث عليه ، والإكثار منه

تقدم في الباب الأول فيما جاء فيما يتفضل الله به على الحاج في حديث الأنصاري ،
ما يدل على ذلك ، وتقدم في غضون فصول هذا الباب أطواف يتضمن ذلك .

(١) في الموطأ : البيت .

وعن ابن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه ، كان كعتق رقبة . وسمعتة بقول لا يرفع قدماً ولا يضعُ أخرى إلا حَطَّ الله بها عنه خطيئة ، وكتبت له بها حسنة . أخرجه الترمذى بهذا اللفظ ، وقال : حديث حسن . وأخرجه بتغيير بعض اللفظ ، وتقديم وتأخير . وخرج أبو حاتم من قوله : لا يرفع قدماً إلى آخره ، وزاد : ورفع له بها درجة .

وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من طاف بالبيت وصلى ركعتين ، كان كعتق رَقَبَةٍ . أخرجه ابن ماجه . وأخرجه أبو سعيد الجندى ، وقال : كعتق رَقَبَةٍ نَفِيسَةٍ من الرقاب ، وأخرجه النسائى وقال : مَنْ طاف سَبْعًا فهو كعتق رقبة . وأخرجه الحافظ أبو الفرج فى مُثير الفِرام ، وقال : وصلى خلف المقام ركعتين ، فهو عِدْلٌ مُحرَّرٌ . وعنه : كان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ مكة الطواف بالبيت : أخرجه أبو ذر . ولعله أراد بهذا ألا يُمرَّج على شيء قبله .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وشرب من ماء زمزم ، غُفِرَ له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت . أخرجه أبو سعيد الجندى . وأخرجه الإمام الواحدي مُستندا فى تفسيره الوسيط . وهو حديث غريب من حديث أبى معشر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، وعن مولى لأبى سعيد ، قال : رأيت أبا سعيد يطوف بالبيت وهو متكئ على غلام له يقال له طُهْمَان ، وهو يقول : لَأَن أَطُوفَ بهذا البيت أسبوعاً لا أقول فيه هُجْراً ، وأصلى ركعتين ، أَحَبُّ إِلَيَّ من أن أُعْتَقَ طُهْمَان . أخرجه سعيد بن منصور .

شرح — هُجْراً أى فحشا ، يقال : أَهْجَرَ يَهْجُرُ إِهْجاراً : إذا أخش وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغى . والاسم الهُجْر بالضم . وهَجَرَ يَهْجُرُ هَجْراً بالفتح : إذا خلط فى كلامه . وهذا ذكره ابن الأثير .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خرج المرءُ يَريدُ الطَّوافَ بالبيت ، أقبل بخوض الرِّحْمَةِ ، فإذا دخله غمرته ،

ثم لا يرفع قدما ولا يضعها إلا كَتَبَ اللَّهُ له بكل قدم خمس مئة حسنة ، وخط عنه خمس مئة سيئة ، أو قال : خطيئة ، ورفعت له خمس مئة درجة ، فإذا فرغ من طوافه فصلى ركعتين دُبِرَ المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وكتب له أجر عشر رقاب من ولد إسماعيل ، واستقبله ملك على الركن ، وقال له : استأنفِ العمل فيما تستقبل فقد كُفِّيتَ ماضى ، وشُفِّعَ في سبعين من أهل بيته .

وعنه ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، أنه قال : من توضأ فأصبح الوضوء ، ثم أتى الركن ليستلمه ، خاض في الرحمة ، فإذا استلمه ، قال : بسم الله والله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، غرته الرحمة ؛ فإذا طاف بالبيت ، كَتَبَ الله له بكل قدم سبعين ألف حسنة ، وخط عنه سبعين ألف سيئة ، ورفع له سبعين ألف درجة ، وشُفِّعَ في سبعين ألفا من أهل بيته . فإذا أتى مقام إبراهيم عليه السلام ، فصلى ركعتين إيمانا واحتسابا ، كتب الله له عتق أربعة عشر محررا من ولد إسماعيل ، وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . وفي رواية : وأناه ملك فقال له : اعْمَلْ لما يبقَى ، فقد كُفِّيتَ ماضى .

هكذا وقفه عمرؤ على جده ، ولم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . أخرج الأربعة الأزرقى . وتابعه أبو الفرج على الثالث والرابع ، وسعيد بن منصور على الرابع .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يُباهى بالطائفين ملائكته . أخرجهم أبو ذر ، وأبو الفرج في مؤثر الغرام .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طاف بالبيت خمسين مرة ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . أخرجهم الترمذى ، وقال : حديث غريب . وقال البخارى : إنما يُروى هذا عن ابن عباس . والمراد والله أعلم خمسون أسبوعا ، يدل عليه ما روى عن سعيد بن جبير قال : من حج البيت ، فطاف خمسين سبوعا قبل أن يرجع ، كان كما ولدته أمه . أخرجهم سعيد بن منصور . وكذلك روى عن ابن عباس ، ومثل هذا لا يكون إلا توقيفا ، والله أعلم .

قلت : وقد جاء الحديث من طريق آخر : خمسين سُبُوعاً ، مكان مرّة . أخبرنا به الشيخ المُعَمَّر أبو الحسن عليّ بن أبي عبد الله بن المقر ، إذنا إن لم يكن سماعاً ، قال : أنبأنا الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمداني المطار ، عن محمود بن إسماعيل ، عن ابن فاذشاه ، عن الطبراني ، (ثنا) محمد بن يحيى ، (ثنا) سفيان بن وكيع (ثنا) يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن سعيد بن جُبَيْر ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طاف بالبيت خمسين سُبُوعاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وقد أفرجه الإمام عبد الرزاق بن همام عن شريك بهذا الإسناد ، وقال : خمسين سُبُوعاً ، وهذا مفسّر للحديث الأول ، وبيان لإرادة الأسبوع بالمرّة ، فيكون ردّاً لقول من قال المراد بالمرّة الشّوط ، والله أعلم .

قال أهل العلم : وليس المراد أن يأتي بها متوالية في آنٍ واحد ، وإنما المراد أن يوجد في صحيفة حسناته ، ولو في عمره كله .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل على هذا البيت كل يوم وإيلة عشرون ومئة رحمة ، ستون منها للطائفين بالبيت ، وأربعون للماكفين حول البيت ، وعشرون للناظرين إلى البيت . وفي رواية : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُنزل الله على أهل المسجد ، مسجد مكة ، كل يوم عشرين ومئة رحمة . . . الحديث . وقال فيه : وأربعون للمضامين ، ولم يقل للماكفين . أفرجهما أبو ذر والأزرق ؛ ولا تضادّ بين الروايتين ، بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت ، ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى : « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » . ويجوز أن يريد مسجداً للجماعة ، وهو الأظهر ؛ ويكون المراد بالتنزيل على البيت ، التنزيل على أهل المسجد ؛ ولهذا قُسِّمَتْ على أنواع العبادات الكائنة في المسجد . وقوله : « ستون للطائفين إلى آخره » . يُجْتَمَلُ في تأويل القسم بين كل فريق وجهان . الأول : قِسْمَةُ الرَّحْمَاتِ بينهم على المُسَمَّى بالسَّوِيَّةِ ، لا على العمل ، بالنظر إلى قلته وكثرته وصفته ، وما زاد على المسمى فله ثواب من غير هذا الوجه . ونظير هذا في الكلام : أعطِ الداخلين بيتي مئة دينار ، فدخل واحد مرة ، وآخر

مرارا ، فلا خلاف في تساويهما في القسم . الوجه الثاني ، وهو الأظهر : قسمتها بينهم على قدر العمل ، لأن الحديث ورد في سياق الحث والتحضيض ، وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتي بالأقل والأكثر ، ونظيره أن يقتطع إنسان قطعة من ماله على وجه التبرُّر ، وبمعينها لطلبة العلم ، ثم يفاضل بينهم في العطاء ، بحسب طلبهم ، فإن ذلك مستحسن ، ولا يُمدُّ فعله مخالفا لمقتضى لفظه ، ولو كان مقتضى لفظه الاستحقاق على التساوى لما استحسن ، بل ليم عليه ، بل نقول لوسوى بينهم مع تفاوت الطلب توجه لومه ، وليس ذلك كدخول الدار ، إذ لاماسبة فيه تقتضى التفاوت بين المُقِلِّ والمُكثِر ، بل هو مُجَرَّد وصف عُلق عليه حكم ، فاستوى الموصوفون به فيما رُتِبَ عليه ، بخلاف مانحن فيه ، فإن فيه مناسبة تقتضى التفضيل بين المُقِلِّ والمُكثِر ، فإنه ورد في معرض الحث على هذه العبادة العظيم شأنها ، وعلى التكثر منها ، فكان إلحاقها بما ذكرنا آتفا من التنظير ، أولى من التنظير بدخول الدار ، لأن إلحاق العبادات بعضها ببعض أولى من إلحاق عبادة بما ليس بعبادة بالإحالة .

إذا تقرر ذلك فنقول : الرحمت متنوعة ، بعضها أعلى من بعض ، فرحة يُعَبَّرُ بها عن المغفرة ، وأخرى عن العصمة ، وأخرى عن الرِّضاء ، وأخرى عن القُرب إلى الله تعالى ، وأخرى عن تَبَوُّؤِ مَقْعَدٍ صدق ، وأخرى عن النجاة من النار . هكذا إلى ما لانهاية له ، إذ لا معنى للرحمة إلا المطف ، فتارة تكون يا كساب نعمة ، وتارة تكون بدفع نقمة ، وكلاهما يَتَنَوَّعان إلى ما لانهاية له . ومع هذا التنوع كيف يُفَرِّضُ التساوى بين المُقِلِّ والمُكثِر ، والمخلص وغير المخلص ، والحاضر قلبه والسامى ، والخاشع وغير الخاشع ؟ بل ينال كل من رحمت الله تعالى بقدر عمله وما يناسبه من الأنواع . هذا هو الظاهر . ثم نقول : يحتمل أن يحصل لكل طائف ستون رحمة ، ويكون ذلك المدد بحسب عمله في ترتب أعلى الرحمت وأوسطها وأدناها . ويحتمل أن جميع الستين بين الطائفتين كلهم ، والأربعين بين المصلين ، والعشرين بين الناظرين ، ويكون القسم بينهم على حسب أعمالهم في العسدد والوصف ، حتى يشترك الجُزْءُ الثَمَنِي في رحمة واحدة من تلك الرحمت ، وينفرد الواحد برحمت كثيرة .

إذا تقرر ذلك فالتفضيل في الرحمت بين أنواع المتعبدین بأنواع العبادات الثلاث ،

أدل دليل على أفضلية الطواف على الصلاة ، والصلاة على النظر ، إذا تساوا في الوصف . هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك ، فيُخص به وبما ورد من الأحاديث المتقدمة في ذكر فضل الطواف من عموم قوله صلى الله عليه وسلم : واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة الصلاة خير موضوع . أو نقول : الطواف نوع من الصلاة ، بشهادة ما تقدم من الأحاديث ، في إذكر الشروط ، فيكون داخلا في عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن ، ولا يُنكر أن بعض الصلوات أفضل من بعض . لا يقال قد ورد : « الطواف بالبيت مثل الصلاة » ، والمُشَبَّه بالشيء دونه في الرتبة ، لأننا نقول : ماهيات الصلوات متغايرة ، والاسم حقيقة في الكل ، وأعمها ذات الركوع والسجود ، وصلاة الجنازة صلاة ، وليس فيها ركوع ولا سجد ، والطواف صلاة على الهيئة المعروفة ، ويسمى طوافا لوجود حقيقة الطواف لغة وعرفا ، وهو الدَّورَان حول المَطَاف به . ثم غلب هذا الاسم نظرا إلى الحقيقة اللغوية والعرفية ، واسم الصلاة ثابت حقيقة شرعية ، وإنما لَمَّا اختلف حكمه وحكم ذات الركوع والسجود فيما اشترط فيها ، نَبَّه على ذلك ، فقيل : الطواف بالبيت وإن كان صلاة فهو مثل الصلاة ذات الركوع والسجود ، في الشروط والأحكام ، إلا ما استثنى في الحديث بالقول أو الفعل ، لشربه صلى الله عليه وسلم فيه ، على ما تقدم في أذكر الشروط ؛ وصلاة الجنازة لما لم يختلف الشرط فيها لم يَحْتَجْ إلى استثناء ، ومع ذلك فاسم الصلاة يشمل الكل حقيقة شرعية . ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة ، وهو الطواف ، على غيره من الأنواع ، ثبوت الأخصية له بمتعلق الثلاثة ، وهو البيت الحرام ، ولا خفاء بذلك . وكذلك بُدِيَءَ به في الذكر هنا ، وفي قوله تعالى : « وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ » في الآيتين . وَلَمَّا كانت الصلاة على تنوعها لم تُشْرَعْ إلا عبادة ، والنظر قد يكون عبادة إذا قُصِدَ التَّعَبُّدُ به ، وقد لا يكون ، وذلك إذا لم يقترن به قُصْدُ التَّعَبُّدِ ، تأخر في الرتبة ؛ وقولنا : « إذا تساوا في الوصف » . يحتزِمُ إذا اختلف وصف المتعبدين ، فكان الطائف ساهيا غافلا ، والمصلِّي أو الناظر حاضرا خاشعا يَعْبُدُ الله كأنه يراه ، كان المتصف بذلك أفضل من غير المتصف به ؛ إذ ذلك الوصف لا يعدله عَمَلٌ جارحة خاليا عنه ، وهو المشار إليه - والله أعلم -

في قوله تعالى : «إنا لانضيق أجر من أحسن عملاً» . وسئل صلى الله عليه وسلم عن الإحسان ، فقال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وكثير من العلماء يذهب في توجيه اختلاف القسم بين الطائفين والمصلين والناظرين ، فإن الرّحمت المئة والعشرين قَسِمَتْ ستة أجزاء ، فجعل جزءاً للناظرين ، وجزءاً للمصلين ، لأن المصلي ناظر في الغالب ؛ فجزء للنظر ، وجزء للصلاة ، والطائف لما اشتمل على المعاني الثلاثة كان له ثلاثة أجزاء : جزء للنظر ، وجزء للصلاة ، وجزء للطواف . وهذا القائل لا يُثْبِت للطواف أفضلية على الصلاة ، وإنما يقول كثرة الرحمت له سبب اشتماله على الصلاة ، وما ذكرناه أولى . وفيما ذكره نظر ، فإن الطائف الأعمى وكذلك المصلي ، ينالها ما ثبت للطائف والمصلي ، وإن لم ينظرا ؛ وكذلك المتعمّد لذلك النظر فيهما ، لا يُنْتَقَصُ قَسْمُهُ بسبب ذلك ، فدل ذلك على أن المراد صلاة غير ركعتي الطواف ، فإن ركعتي الطواف منسوبة إليه ، إما وجوباً أو ندباً ، فهي منه ؛ وأما النظر فإن لم يقترن بقصد التعبد فلا أثر له ، وإن قصد به التعبد فالظاهر أنه ينال به أجر الناظر زائداً على أجر الطّواف ، والله أعلم .

وعنه قال : كان آدم يطوف سبعة أسابيع بالليل ، وخمسة بالنهار ، ويقول : يا رب اجعل لهذا البيت عمّاراً معمرّوه من ذُرِّيَّتِي . فأوحى الله عزّ وجل : إني معمرّه نبياً من ذُرِّيَّتِكَ اسمه إبراهيم ، أقضى على يديه عمارته ، وأنبط له سقايته ، وأربه حِلّه وحرّمه ومواقفه ، وأعلمه مشاعره ومناسكه .

وعن محمد بن فضّيل قال : رأيت ابن طارق في الطّواف وقد انفرج له أهل الطواف ، وعليه نعلان مطرقتان ، فخرروا أطوافه في ذلك الزمان ، فإذا هو بطوف في اليوم واليلة عشرة فراسخ . أخرجهما أبو الفرج في مشير الغرام .

وعن عمرو بن دينار المكي ، قال : إن الله تعالى إذا أراد أن يبعث ملكاً في بعض أموره إلى الأرض ، استأذنه ذلك الملك في الطواف ببيته الحرام ، فينهيض مهلاً . أخرجه الأزرقي . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استمتعوا من هذا البيت ، فإنه هُدْمٌ مرّتين ، ويرُفَعُ في الثالثة . أخرجه ابن حبان .

وعن ابن مسعود قال : أكثروا من زيارة هذا البيت قبل أن يُرفع وَيُنسَى الناس مكانه ، وأكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يُرفع . قالوا : هذه المصاحف تُرفع فكيف بما في صدور الرجال ؟ قال : يُسرَى عليها ليلاً ، فتصبح صِفراً أَوْ قَفْراً ، حتى ينسُوا لا إلهَ إلا الله ، فيقولون : قد كنّا نقول قولاً ونتكلم به ، ويرجعون إلى شعار الجاهلية وكلامهم . أضرهم الأزرق .

شرح - صِفراً أى خِلوا . وكذلك القَفْر . وشعار الجاهلية : ما يتعارفونه بينهم . وعن علي عليه السلام قال : استكثرُوا بالطواف بالبيت قبل أن يحال بينكم وبينه ، فكأنى أنظر إلى رجل من الحبشة أصمّع أصمّع ، كخِش الساقين ، جالسا عليه وهو يهدم . أضرهم سعيد بن منصور . شرح - الأصمّع : الصغير الأذن من الناس . والأضلع : الذى انحسر الشعر عن رأسه ، وخِش الساقين : أى دقيقتها .

٨١ - ما جاء فى طواف سفينة نوح عليه السلام زمن العرق

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ وجَّه السفينة إلى مكة ، فدارت بالبيت أربعين يوماً ، ثم وجَّهها إلى الجودي فاستقرت . أضرهم أبو الفرج فى مثير الغرام .

٨٢ - ما جاء فى طواف حية بالبيت

عن أبى الزبير قال : بينا عبد الله بن صفوان قريباً من البيت ، إذ أقبلت حية من باب العراق ، حتى طافت بالبيت أسبوعاً ، ثم أتت الحجر فاستلمته ، فنظر إليها عبد الله بن صفوان ، فقال : أيها الجنان إنك قد قضيت عمرتك ، وإنا نخاف عليك بعض صبياننا ، فانصرفت راجعة من حيث جاءت . أضرهم أبو الفرج . وقد قيل إن الكعبة شرفها الله تعالى منذ خلقها الله عزَّ وجلَّ ما خلَّت عن طائف يطوف بها من جن أو إنس أو ملك . وقال بعض السلف : خرجت يوماً فى هاجرة ذات سموم فقلت : إن خلَّت الكعبة عن طائف فى حين ، فهذا ذلك الحين ، ورأيت المطاف خالياً فدنوت ، فرأيت حية عظيمة رافعة رأسها تطوف حول الكعبة . ذكره ابن الصلاح فى منسكه .

٨٣ - ما جاء في فضل الطواف عند طلوع الشمس وعند غروبها

عن أنس بن مالك رضى الله عنه وسعيد بن المسيب قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، يفقر له ذنوبه كلها، بالغة ما بلغت، طواف بعد صلاة الفجر، فرائعه مع طلوع الشمس؛ وطواف بعد صلاة العصر، فرائعه مع غروب الشمس. أخرجه الأزرقي وأبو سعيد المفضل بن محمد الجندبي. ويحتمل أن يريد بالبعديّة ما قبل الطلوع والغروب ولو بلحظة تسع أسبوعا. ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة، ولعله الأظهر، وإلا لقال طواف قبل الطلوع وقبل الغروب؛ وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه في الوقتين.

٨٤ - ما جاء في فضل الطواف في المطر

عن داود بن مجلان قال: طُفْتُ مع أبي عقال في مطر، فلما فرغنا من طوافنا قال: ائتنفوا العمل، فإني طفت مع أنس بن مالك في مطر، فلما فرغنا من طوافنا قال: ائتنفوا العمل، فإني طفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مطر، فلما فرغنا من طوافنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتنفوا العمل فقد غُفِرَ لكم أُنْزِمَ أبو ذر. وأُخْرِجَ ابن ماجه معناه، ولفظه: عن أبي عقال قال: طُفْتُ مع أنس بن مالك في مطر، فلما قضينا الطواف أتينا المَقام، فصلينا ركعتين، فقال لنا أنس: ائتنفوا العمل، فقد غُفِرَ لكم. هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد طفنا معه في مطر. وأُخْرِجَ أبو سعيد الجندبي، وأبو الوليد الأزرقي بزيادة، ولفظه: طفنا مع أبي عقال في مطر ونحن رجال، فلما فرغنا من سَبْعِينَ أَيْتَانَا نحو المَقام، فوقف أبو عقال دون المَقام، فقال: أَلَا أَحَدُكُمْ بِحَدِيثِ تَسْرُثُونَ بِهِ، أَوْ تَعْجَبُونَ بِهِ؟ قلنا: بلى. قال: طفت مع أنس بن مالك والحسن وغيرهما في مطر، فلما صلينا خلف المَقام ركعتين، أقبل علينا أنس بوجهه، فقال لنا: استأنفوا العمل، فقد غُفِرَ لكم ماضى. هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطفنا معه في مطر.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال: وقال ابن حبان: أبو عقال روى عن أنس أشياء موضوعة، ما حدث بها أنس قط؛ ولا يجوز الاحتجاج به بحال.

٨٥ - ما جاء في فضل الطواف في شدة الحر

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ طاف حول البيت سَبْعًا في يوم صائف شديد حره، حاسرا عن رأسه، وقارب بين خطاه، وقل خطؤه وغضَّ بصره، وقلَّ كلامه إلا بذكر الله عزَّ وجل، واستلم الحجر في كل طواف، من غير أن يؤذَى أحدا، كتب الله تعالى له بكل قدم يرفعها ويضعها، سبعين ألف حسنة، ومحاً عنه سبعين ألف سيئة، ويرفع له سبعين ألف درجة، ويعتق عنه سبعين ألف رقبة، ثم إن كل رقبة عشرة آلاف درهم، ويعطيه الله تعالى سبعين ألف شفاعة في أهل بيته من المسلمين، إن شاء في القيامة، وإن شاء عجلت له في الدنيا، وإن شاء أخرت له في الآخرة. أفرهم أبو سعيد الجندی، وذكره ابن الحاج في منسكه أخصر من هذا. ولفظه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من طاف حول البيت أسبوعا في يوم صائف شديد الحر، واستلم الحجر في كل طواف، من غير أن يؤذَى أحدا، وقل كلامه إلا بذكر الله تعالى، كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون ألف حسنة، ومُحِيَ عنه بكل خطوة يرفعها ويضعها سبعون ألف سيئة، ورفَّع له سبعون ألف درجة. وأفرهم الحسن البصري في رسالته كذلك، وزاد بعد قوله في يوم صائف شديد الحر «حاسرا عن رأسه، واستلم الحجر»، ثم ذكر باقيه.

٨٦ - ما جاء في تفضيل الطواف على الصلاة

عن موسى الجهني قال: قلتُ لمجاهد: أ كثرة الطواف للشاب مثلي أحبُّ إليك أم كثرة الصلاة؟ قال: الطواف للشاب مثلك.

وقال سعيد بن جبير: الطواف هناك أحبُّ إلى من الصلاة، يعني بالبيت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: أما أهل مكة فالصلاة لهم أفضل،

وأما أهل الأقطار فالطواف . وتابعه على ذلك سعيد بن جبّير وعطاء ربحاهد . أضرهم
البنوي في شرح السنة ، وحكاها عنهم أيضا الماورديّ في تفسيره ، وقال : وبه قال مالك .
ثم قال : ولهذا القول وجه ، وإن كان فضل الصلاة أعم .
وعنه أنه قال : الطواف لكم يا أهل العراق أفضل ، والصلاة لأهل مكة أفضل .
أضرهم ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني . وقطع القاضي أبو الحسن الماورديّ صاحب
الحاوي بأن الطواف أفضل ، وأطلق .

٨٧ - ما جاء في تفضيل الطواف على العمرة

عن قدامة بن موسى بن قدامة بن مظهر ، أن أنس بن مالك قدم المدينة ، فركب
إليه عمر بن عبد العزيز ، فسأله عن الطواف للفرباء أفضل أم العمرة ؟ فقال : بل الطواف -
أضرهم الأزرقي .

ومُرَاد أنس - والله أعلم - أن تكرار الطواف أفضل من العمرة ، ولا يريد طواف
أسبوع واحد ، فإنه موجود في العمرة ، وتزيد العمرة بما فيها من غيره .

وقد ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة عليه ، ويرون الاشتغال بها أفضل
من تكراره والاشتغال به ، ويستفرغون وُسْعهم فيها ، بحيث لا يبقى في أحدهم منّة^(١)
يستعين بها على الطّواف . وذلك خطأ ظاهر ، وأدل دليل على خطئه مخالفة السلف الصالح
في ذلك قولاً وفعلاً ، إذ لم يُنقل تكرارها والإكثار منها عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
ولا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين . وقد اعتمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أربع عمرٍ في أربع سفّرات ، في أربعة أعوام ، ولم يُنقل أنه صلى الله عليه وسلم زاد
في كل سفرة على عمرة ، ولا أحد ممن كان معه من الصحابة غير عائشة في حجة الوداع ،
لمعنى اقتضى ذلك ، سيأتى بيانه في باب العمرة إن شاء الله تعالى ، وكذلك كل من سكن
الحرم من الصحابة والتابعين ، لم يُنقل عنهم إلا كثار منها ، فضلاً عن مُداركتها في أيام

(١) منّة : قوة .

أو في يوم، وأكثر ما روي عن عطاء أنه قال: في كل شهر عُمره، وفي كل شهر عمرتان، وفي كل شهر ثلاث عُمر .

وعن عليّ عليه السلام : في شهر عمرة .

وعن أنس : أنه كان إذا حَمَّ رأسه خرج فاعتمر .

وعن ابن عمر : أنه كان يعتمر في رجب في كل عام .

وعن عمر وعثمان مثله .

وعن القاسم : أن عائشة اعتمرت في عام واحد ثلاث عُمر، ففعل أنس محمول على السبب، وقول عليّ وعطاء، وفعل غيرهما محمول على تعاهد العبادة، حتى لا نصير مَهْجُورَة، حولا يلزم من القدرة على الأفضل ألا يتعاطى المفضول، وإلا لأدى ذلك إلى اندراس كل مفضول من العبادات، وتطابق الناس على عبادة واحدة أو عبادات متساوية، بل قد يكون تعاطى المفضول بقصد التعهّد له عند هجر الناس أو أكثرهم له، أفضل من تعاطى الأفضل، وينتظم به في سلك ذا كرى الله تعالى في العاقلين ولأجل هذا المعنى فضّلت الصلاة في مسجد الجوار على الأكثر جماعة؛ فهذا تأويل مذهب من ذكرناه من الصجابة في تكراره لها. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: يأهل مكة، ما عايكم ألا تعتمروا، إنما عمرتكم طوافكم بالبيت . يشير بذلك إلى أن اشتغالهم به أفضل من اشتغالهم بها، كما صرح به أنس . وتخصيص الغرباء في سؤال عمر بن عبد العزيز بالذكر، خرج مخرج الغالب، فإن الغالب أن تكرارها إنما يكون حرصا منهم عليها، لأنها تقرّب بمفارقتهم الحرم، وهذا المعنى موجود في الطواف . فكان اشتغالهم به أولى من العمرة، إذ هو المقصود منها، فإن معنى العمرة زيارة البيت، والطواف تحيته، ويتأيد ذلك بأنه ليس منها ما هو عبادة مستقلة غيره، وما سواه منها إنما كان عبادة بربط القصد إليه، فهو تابع له، إما وسيلة سابقة، أو تنمة لاحقة؛ ولهذا لو انفك عن رَبط القصدية عدّ متلعبا، ولا مساواة بين المقصود والتابع، وهذا طاووس من أكبر الأئمة يقول: الذين يعتمرون من التمتع، ما أدرى يؤجرون عليها أم يُعَذَّبون . قيل له: فلم يعذبون؟ قال: لأن أحدهم يدع الطواف بالبيت،

ويخرج إلى أربعة أميال ويحيى . ومراده بالتعذيب ، والله أعلم : إتباعه نفسه ، لا أن الله يعذبه على ذلك .

وذهب الإمام مالك إلى كراهة تكرارها في العام الواحد، وذهب الإمام أحمد إلى أنها لا تستحب في أقل من عشرة أيام ، ولم يذهب أحد إلى كراهة تكرار الطواف ، بل أجمعوا على استحبابه . وقد رُوِيَ تَكَرَّارُهُ والإِكْثَارُ مِنْهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ يُفِيضُ إِلَى الْبَيْتِ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيْلَى مَنَى ، وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ مَعَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهَا أَيَّامٌ أَكُلُ وَشَرِبُ وَبَعَالُ^(١) . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ ثَلَاثَةَ أَسَابِيعَ ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ سِتَّ رَكَعَاتٍ ؛ وَهَذَا مَشْهُورٌ عَنْ عَائِشَةَ ، وَكَانَتْ صَلَاتُهَا بِصُفَّةِ زَمْزَمَ ، وَسَيَّأَنِي ذَكَرَ ذَلِكَ فِي فَضْلِ رَكْعَتِي الطَّوْفِ .

وعَنْ نَافِعٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ بِاللَّيْلِ ، وَخَمْسَةَ بِالنَّهَارِ ، وَكَانَ طَوَافُ آدَمَ كَذَلِكَ . أَخْبَرَهُمُ الْأَزْرَقِيُّ ؛ وَقَدْ أَفْرَدْنَا لِلْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ تَأْلِيفًا ، وَبَسْطَنَا الْقَوْلَ فِيهِ . عَلَى أَنَّا لَا نَدَّعِي كِرَاهَةَ تَكَرَّرِهَا ، بَلْ نَقُولُ إِنَّهَا عِبَادَةٌ كَثِيرَةُ الْفَضْلِ ، عَظِيمَةُ الْخَطَرِ ، لَكِنِ الْإِسْتِغْفَالَ بِتَكَرَّرِ الطَّوْفِ فِي مِثْلِ مُدَّتِهَا ، أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْتِغْفَالِ بِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٨٨ - ما جاء في فضل البيت

تقدم في أثناء الفصول المتقدمة من هذا الباب ما يدل على ذلك .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ هَذَا الْبَيْتُ دِعَامَةُ الْإِسْلَامِ . أَخْبَرَهُمُ الْأَزْرَقِيُّ .

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : سُئِلَ أَبِي وَأَنَا حَاضِرٌ عَنْ بَدْءِ حَلْقِ الْبَيْتِ ؟ قَالَ : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَالَ : «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ ، فَعَاذُوا .

(١) البعالة : النكاح وملاعبة الرجل أهله . (النهاية لابن الأثير) .

بعرشه ، فطافوا حوله سبعة أشواط يَسْتَرْضُونَ ربهم ، حتى رَضِيَ عنهم ، وقالوا ابنوا لى بيتا فى الأرض يَتَعَوَّذُ به من سَخِطَ عليه من بنى آدم ، ويطوف حوله كما طقم حول عرشى ، فأَرْضَى عنهم كارضيت عنكم . فَبَنَوْا هذا البيت . أضرجه أبو الفرج فى مثير الغرام .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما أهبط الله آدم من الجنة ، قال : يا آدم ، إني مُهبطك ومُنزِلُ معك بيتا يطاف حوله ، كما يطاف حول عرشى ، ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى . فلما كان زمن الطوفان فكانت الأنبياء يُحْجُونَهُ ، ولا يعلمون مكانه ، حتى بَوَّاهُ اللهُ إبراهيم ، وأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجيل : من حراء ، وثبير ، ولُبْنان ، وجبل الطور ، والجبل الأحمر . قال : فتمتعوا بالطواف به ما استطعتم . أضرجه أبو ذر .

وعن محمد بن سُوَوقَة ، قال : كنا جلوسا مع سعيد بن جُبَيْرٍ فى ظل الكعبة ، فقال : أتم فى أكرم ظل على وجه الأرض . أضرجه سعيد بن منصور .

وعن أبي سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لَيُحْجَجَنَّ البيت وليُؤْتَمَرَ ن بعد خروج يأجوج ومأجوج .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يفزو جيشُ الكعبة ، فيُخَسَفُ بهم . أضرجهما رزين فيما جعله فى المتفق عليه .

وعن ابن ساج قال : جلس كعبُ الأخبار أو سلمان الفارسى بفناء البيت ، فقال : شَكَتِ الكعبة إلى الله عز وجل ما نُصِبَ حولها من الأصنام ، وما اسْتَقْسِمَ به من الأُزْلام ؛ فأوحى الله تعالى إليها : إني مُنْزِلُ نُورٍ ، وخالقُ بَشَرٍ ، يَحْنُونُ إليك حنين الحمام إلى بيضه ، وَيَدْفُونُ إليك دَفِيفَ النُورِ . فقال له قائل : وهل لها لسان ؟ قال : نعم ، وأذنان وشفتان . أضرجه الأزرقى .

شرح — الدفيف : سير ليس بالشديد ، يقال هم يَدْفُونُ دَفِيفًا . والأزلام : جمع زَلَمَ وزُلْمَ بالتحريك ، وهى القِداح التى كانت فى الجاهلية : عليها مكتوب الأمر والنهى ، افعل . لاتفعل . وكان الرجل منهم يضعها فى وعاء له ، فإذا أراد سفرا أو زواجا أو أمرا مُهِمًا أدخل يده ، فأخرج منها ، فإن خرج الأمر مضى ، وإن خرج النهى كف عنه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيت ، أو إلى الكعبة قال : ما أعظم حرمتك عند الله ! والمؤمن أعظم منك . إن الله حرّم منك واحدة ، وحرّم من المؤمن ثلاثاً : دمه ، وماله ، وأن يُظنّ به ظنّ السوء .
أُفهِمَ الْمَلَأَ فِي سِيرَتِهِ .

وعن ابن جريج قال : أخبرني أبو بَكَيْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ شَرَّفَكَ وَكَرَّمَكَ وَحَرَّمَكَ ؛ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حَرَمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ . أُفهِمَ الْأَزْرَقِيُّ .

وعن حُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، يَعْنِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى الْبَيْتِ تَعُوذُ بِهِ مِنْ زَوْجِهَا ؛ فَجَاءَ زَوْجُهَا ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا ، فَيَبِستَ يَدُهُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ وَإِنِّهِ لَأَشْلَى .

وعن مجاهد قال : كَانَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ قَدْ دَرَسَ وَخَفِيَ زَمَنُ الْفَرَقِ ، فَبَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . قَالَ : وَكَانَ مَوْضِعُهُ أَكْثَرَ حَرَاءٍ ، مَدْرَةٌ لَانْعُلُوها السَّيُولُ ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَوْضِعَ الْبَيْتِ فِيمَا كَانَ هُنَاكَ ، وَلَا يَذْبُتُ مَوْضِعُهُ ، فَكَانَ يَأْتِيهِ الْمَظْلُومُ وَالْمَتَعَوِّذُ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَيَدْعُو عِنْدَهُ الْمَسْكُورُ ، فَقُلَّ مِنْ دَعَا هُنَاكَ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ ، وَكَانَ النَّاسُ يَحْجُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، حَتَّى بَوَّأَ اللَّهُ مَكَانَهُ لِإِبْرَاهِيمَ . لَمَّا أَرَادَ مِنْ عِمَارَةِ بَيْتِهِ ، وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَشَعَائِرِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ مُنْذُ أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ مُعْظَمًا مُحَرَّمًا بَيْتَهُ ، تَدْنَسُخُهُ (١) الْأُمَمُ وَالْمِلَلُ ، أُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ ، وَمِلَّةٌ بَعْدَ مِلَّةٍ . قَالَ : وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْجُّهُ قَبْلَ آدَمَ .
وعن عبد الله بن عمرو قال : كَانَ الْبَيْتُ عَلَى زَبْدَةٍ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الْأَرْضُ بِأَلْفِي سَنَةٍ ، ثُمَّ بُسِطَتِ الْأَرْضُ تَحْتَهُ . أُفهِمَ ابْنَ الْحَاجِّ الْمَالِكِيُّ .

وعن علي بن الحسين عليهما السلام : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ تَحْتَ الْعَرْشِ بَيْتًا عَلَى أَرْبَعِ أَسَاطِينٍ مِنْ زَبَرَجَدٍ ، وَغَشَّاهُنَّ بِيَاقُوتَةٍ حَرَاءٍ ، وَسَمَّى الْبَيْتَ الضُّرَّاحَ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) لعل معنى تتناسخه هنا أنه كلما تهدم ودرس جدده على الصورة الأولى كما ينسخ الكتاب الجديد من الكتاب القديم .

للملائكة : طوفوا بهذا البيت، ودَعُوا العَرْشَ . قال : فطافت الملائكة بالبيت، وتركوا العَرْشَ ، وصار أهون عليهم ، وهو البيت المعمور ، الذي ذكره الله عز وجل ، يدخله كل يوم وليلة سبعون ألف مَلَك ، ثم لا يمودون فيه أبداً ، ثم إن الله عز وجل بعث ملائكة فقال : ابنوا الى بيتنا في الأرض بمثاله وقدره ، وأمر الله سبحانه وتعالى مَنْ بالأرض أن يطوفوا بهذا البيت ، كما يطوف أهلُ السَّما بِالْبَيْتِ المعمور . وقد جاء في الحديث أن الله تعالى ينظر إلى الكعبة ليلة النصف من شعبان ، فتَحِنُّ القلوب إليها . ورَوَى أنه صلى الله عليه وسلم قال : ليلة النصف من شعبان تُنسخ فيها الآجال ، ويُكتب فيها الحاج . ذكرهما صاحب مثير الغرام .

وقد قيل : لما خاطب الله تعالى السموات والأرض بقوله : « ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة ، ومن السماء ما يحاذيها . وقال ابن عباس : أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سُرة الأرض بمكة . فقال بعض العلماء : فيه إيذان بأنها التي أجاب من الأرض . ومن موضع الكعبة دُحِيتُ الأرض ، فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين ، والكاننات تبع له . وقيل لذلك سُمِّيَ أُمِّيًّا ، لأن مكة أُمُّ القُرَى ، وطنيته أُمُّ الخليفة . وقد قيل : إن مدفن الإنسان تربته ، فيقال : إن الماء لما تَمَوَّج رَمَى بتلك الطينة إلى ذلك الموضع من المدينة . ذكر صاحب عوارف المعارف الشَّهْرَوَرْدِي .

٨٩ - ذكر ما جاء في قوله تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ »

سبب نزول هذه الآية ، أن المسلمين واليهود افتخروا ، فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل من الكعبة . وقال المسلمون : بل الكعبة أفضل . فنزلت هذه الآية . قاله مجاهد . واختلف العلماء في معنى أنه أول بيت على قولين : أحدهما أنه أول بيت كان في الأرض . ثم اختلف هؤلاء كيف كان أول بيت ، على ثلاثة أقوال : أحدها أنه كان على وجه الماء قبل خلق الأرض ، خلقه الله قبلها بألفي عام ، ودحاها من تحت . قال أبو هريرة : خُلِقَتْ الكعبة قبل الأرض بألفي عام . قالوا : وكيف خُلِقَتْ قبل الأرض وهي من الأرض ؟

قال : كَانَتِ السَّكْمَةُ خَشْفَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، عَلَيْهَا مَلَكَانِ يُسَبِّحَانِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ الْأَرْضِ بِأَلْفِي سَنَةٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ ، دَحَاها مِنْهَا ، فَجَعَلَهَا فِي وَسْطِ الْأَرْضِ . أَضْرَبَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَصَاحِبُ مَثِيرِ الْغَرَامِ مَخْتَصِرًا .

وَالْخَشْفَةُ ، بِالْخَاءِ وَالشَّيْنِ الْمُعْجَمَتَيْنِ وَالْفَاءِ : وَاحِدَةُ الْخَشْفِ ، وَهِيَ حِجَارَةٌ تَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ نَبَاتًا ، وَتُرْوَى بِالْمِيزِ الْمَهْمَلَةِ مَكَانَ الْفَاءِ : خَشْمَةٌ ، يَرِيدُ صُبْرَةً ^(١) ، وَهِيَ أَكْمَةُ لَا طِئْثَ بِالْأَرْضِ ، وَالْجَمْعُ خَشَعٌ . وَقِيلَ مَا غَلَبَ عَلَيْهِ السُّهُولَةُ ، أَيْ لَيْسَ بِمَجَرٍّ وَلَا طِينٍ . وَالْخَشْفَةُ ، بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ : بِمَعْنَى الْخَشْفَةِ بِالْمَعْجَمَةِ فِي قَوْلِ الْخَطَّابِيِّ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : يَقَالُ لِلْجَزِيرَةِ فِي الْبَحْرِ : لَا يَمْلُؤُهَا الْمَاءُ : خَشْفَةٌ ، وَجَمْعُهَا خِشَافٌ . وَأَمَّا الْجَنْشَرَةُ فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا بِالْجِيمِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، مِنْ جَشَرَ السَّاحِلِ يَجْشُرُ جَشْرًا إِذَا جَشَرَ طِينُهُ وَيَبْسُ كَالْجَبْرِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَمَّا كَانَ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ ، بَعَثَ رِيحًا ، فَصَفَقَتِ الْمَاءَ ، فَأَبْرَزَتِ الْخَشْفَةُ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، كَأَنَّهُ فِيهِ ، فَدَحَا الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا ، فَادَّتْ ، فَأَوْتَدَهَا بِالْجِبَالِ .

وَعَنْهُ قَالَ : وَضَعَ الْبَيْتَ عَلَى الْمَاءِ ، عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِأَلْفِي سَنَةٍ ، ثُمَّ دَحَيْتِ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا ، وَلَا تَضَادُّ بَيْنَ قَوْلِهِ هَذَا وَمَا تَقَدَّمَ ، لِجَوَازِ أَنْ تَكُونَ الْخَشْفَةُ الْمَعِينَةُ عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ الْأَوَّلُ ، لَهَا أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : خَلَقَ اللَّهُ مَوْضِعَ هَذَا الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ بِأَلْفِي سَنَةٍ ، وَإِنْ قَوَاعِدُهُ لَفِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى . وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ أَوَّلَ لُئْمَةٍ وُضِعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مَوْضِعُ الْبَيْتِ . ثُمَّ حَدَّثَ مِنْهَا الْأَرْضُ . وَإِنْ أَوَّلَ جَبَلٍ وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَى الْأَرْضِ أَبُو قُبَيْسٍ ، ثُمَّ حَدَّثَ مِنْهُ الْجِبَالُ . ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ .

الْقَوْلُ الثَّانِي مِنَ الثَّلَاثَةِ : إِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَهْرِطَ اسْتَوْحَشَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ إِنْ ابْنِ بَيْتَا فِي الْأَرْضِ فَاصْنَعْ حَوْلَهُ نَحْوَ مَا رَأَيْتَ الْمَلَائِكَةَ تَصْنَعُ حَوْلَ عَرْشِي . فَبْنَاهُ . رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

(١) الصبرة ، بالضم : حجارة غليظة مجتمعة . لسان العرب .

القول الثالث : أنه أهبط مع آدم عليه السلام ، فلما كان الطوفان رُفِعَ ، فصار معموراً في السماء ، وبني إبراهيم عليه السلام على أثره . قاله قتادة .

القول الثاني من القولين الأولين ، أنه أول بيت وضع للعبادة . وقد كان قبله بيوت . قاله على عليه السلام . وقوله تعالى : « لَلَّذِي بَيْكَةً » قال مالك : بكة : موضع البيت ، ومكة سائر البلد . وقال غيره غير ذلك ، وسيأتي الكلام في ذلك مُستَوْفًى في فصله من فضول باب فضل الحرمين ، إن شاء الله تعالى . وقوله تعالى « مباركا » : أى كثير الخير لما يحصل لمن حَجَّه أو اعتمره ، وعكف عنده ، وطاف حوله ، من الثواب . وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف من فعل الاستقرار . وقوله تعالى : « وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ » أى متبديهم وقيلتهم . وقوله تعالى : « فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ » ثم بيَّنها بقوله تعالى : « مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ » ؛ فقام إبراهيم عطف بيان على آيات ، وبيَّن الجمع بالواحد ، لاشتراكه على آيات أثر قدميه في الصخر ، وبقائه وحفظه ، مع كثرة أعدائه من المشركين ؛ ويجوز أن يُزاد : فيه آيات بَيِّنَاتٌ مقام إبراهيم ، وأمنٌ من دخله ، لأن الاثنين نوع من الجمع ، لما فيهما من معنى الاجتماع . واختلف في أمن الداخل ، فقليل كان في الجاهلية من دخله أمن من الغارة والقتل ولم يزد الإسلام إلا أمنا . وقيل أول من عاذ بالحرم الحيطان الصغار من الكبار ، زمن الطوفان . وقيل : من دخله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا في عُمره القضاء ؛ يدل عليه قوله تعالى : « لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » . وقيل : معناه آمَنُوا مَنْ دخله . وعند أبي حنيفة الألاجي إلى الحرم لا يقد منه . وقيل : من دخله لقضاء النُسك معظما لحُرْمَتِهِ ، عارفا بحَقِّهِ ، متقربا إلى الله تعالى ، كان آمنا يوم القيامة ، كما جاء : مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ ، يعنى نهار يوم القيامة . وقيل : من دخله حاجا كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك . ويجوز أن يُراد آيات تزيد على ذلك ، فذكر هاتين الآيتين ، وطوى ذكر غيرها ، دلالة على تكرار الآيات . ونحوه في طي الذكر قوله صلى الله عليه وسلم : حُبَّبَ إِلَى مَنْ دُنِيََا كَمْ ثَلَاث : الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ . قال جرير :

كانت حنيفة أثلاثا ، فثلثهم من المبيد ، وثلاث من موالينا

ومما ذكر فيه من الآيات وقع هيبته في القلوب ، وامتناع الطير من الملوء والجلوس عليه إلا أن يكون مريضا ، فيجلس عليه مستشفيا ، ولولا ذلك لكانت سِتارته مملوءة من قَذَرٍ هن ، كنحوها مما يعتدن الجلوس عليه ، والحجر الأسود وحِفْظُه ، وامتناع حصَى الجمار ، على كثرة الرمي وطول الزمان ، وإلا كانت كأمثال الجبال ، واثتلاف الظباء والسباع فيه ، وأنه إذا كان الفئث فيه من ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن ، وإذا كان من ناحية الشام كان بالشام ، وإذا عم البيت كان في جميع البلاد ، وتعجيل العقوبة لمن عَتَا فيه ، كأصحاب الفيل .

٩٠ - ذكر ما جاء في قوله تعالى : « جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ »

سُمِّيَت الكعبة لتربيعها . قال عكرمة ومجاهد . يقال بُرِدَ مُكْعَبٌ : إذا طَوِيَ مُرَبَّعًا . وقيل لعلوها وتوئها . وسُمِّيَ الكعب كعبا لتوئته وخروجه من جانب القَدَم . ومنه أيضا تكعبت الجارية إذا خرج نَدْبَاها . وسُمِّيَ البيت حَرَامًا ، لأن حُرْمَتَهُ انتشرت ، فلا يُصَادُ ماحوله ، ولا يُحْتَلَى شَجَرُ حَرَمِهِ ولا حَشِيدُهُ . والمراد بتحريم البيت سائرُ الحرم . ونحوه « هَذَا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ » ، والمراد الحرم . وقوله : « قِيَامًا لِلنَّاسِ » أي قواما لهم في أمر دينهم ودنيائهم ، فلا يزال في الأرض ماحُجَّت ، وعندها المعاش والمكاسب .

٩١ - ذكر سبب تسميته بالبيت العتيق في قوله تعالى :

« ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ »

وفيه أربعة أقوال :

أحدها : لأن الله تعالى أعتقه من الجبارة . وعن ابن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا سَمَّيَ الله عز وجل البيت العتيق ، لأن الله تعالى أعتقه من الجبارة ، فلم يظهر عليه جَبَّار . أخرجه سعيد بن منصور وأبو ذَرٍّ وصاحب مُثير الغرام .

الثاني : أن العتيق بمعنى القديم ، وقد تقدم الكلام في قَدَمِهِ .

الثالث : أنه لم يُمْلَك قط . قاله مجاهد .

الرابع : أنه أُعْتِقَ من الفَرَقِ زمن الطوفان . قاله ابن السائب .

٩٢ - ما جاء في فضل النظر إلى الكعبة

تقدم حديث الرّحّات ، وفيه عشرون للنّاظرين .
وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ، عن النّبي صلى الله عليه وسلم : النظر إلى البيت الحرام عبادة . أخرجه صاحب مثير الغرام .
وعن ابن عباس رضی الله عنهما أنه قال : النظر إلى الكعبة محض الإيمان .
وعن مجاهد أنه قال : النظر إلى الكعبة عبادة .
وعن سعيد بن المسيّب قال : من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من الخطايا كيوم ولدته أمّه .
وعن عطاء قال : النظر إلى البيت يعدل عبادة سنة ، قيامها وركوعها وسجودها .
وعن ابن السائب المدّنيّ قال : من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً تحاتّت عنه الذنوب كما يتحاتّ الورق من الشجر . أخرجه صاحب مثير الغرام .
وعنه قال : النظر إلى البيت عبادة . والنّاظر إليه بمنزلة الصائم القائم الدائم المخّبت المجاهد في سبيل الله . أخرجه الأربعة الأزرق .
شرح - المخّبت : أي الخاضع الخاشع المتواضع . وقد أخبت يُخبت .
٩٣ - ما جاء في ركعتي الطواف وما يُقرأ فيهما

واستجابهما خلف مقام إبراهيم عليه السلام؛ وما يقال عند المقام
عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى مقام إبراهيم قرأ
« وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُحَلِّيً » . فصلی ركعتين ، قرأ فاتحة الكتاب ، وقل
يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، ثم عاد إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا . أخرجه
وأخرجه الترمذی ، وقال قرأ بسورتي الإخلاص : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد .
وأخرجه النسائي ، وقال : طاف سبعا ، ثم قام عند المقام فصلی ركعتين ، ثم قرأ : « وَاتَّخِذُوا
مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُحَلِّيً » ، ورفع صوته لیسْمع الناس .

وعن عبد الله بن أبي أوفى، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر وطاف بالبيت،
وصلى خلف المقام ركعتين، فقيل لعبد الله أَدَخَلَ السكبة؟ قال: لا. أضرباه.
وعن أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة
طاف بالبيت، وصلى خلف المقام، يعنى يوم الفتح. أضرب أبو داود.
تنبيه: وجدت بخط شيخنا الإمام العالم أبى داود سليمان بن خايل، إمام المقام،
وخطيب المسجد الحرام، فى كتاب كبير ألفه فى مناسك الحج، ما هذا صورته:
« ولقد سمعتُ من الشيوخ الذين أدركتهم بالحرم الشريف، يقولون إن الحَجَرَيْنِ
الكَبِيرَيْنِ المَفْرُوشَيْنِ خَلْفَ المَقَامِ الذى يَقِفُ المَصَلِّىُّ عليهما، قد صلى عليهما بعض الصحابة
رضى الله عنهم » هذا آخر ما وجدت بخطه.
وسمعت من الثقة عنه، أنه ذكر أن المصلى عليهما ابن عمر رضى الله عنهما.

٩٤ - ما جاء فى بدء الصلاة خلف المقام

عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: سألت عبد الله بن سلام عن الأثر الذى
فى المقام. قال: أراد الله تعالى أن يجعل المقام من آيات الله تعالى، لما أمر إبراهيم أن يؤذّن
فى الناس بالحج، قام على المقام، وكان أثر قدميه فيه لما أراد الله تعالى؛ فلما فرغ أمر بالمقام،
فوضع قبلة، فكان يصلى إليه مستقبل الباب، فهو قبلة إلى ما شاء الله تعالى. أضرب
الأزرقى. وقد تقدم فى باب إيجاب الحج.

وذكر محمد بن إسحاق: أن إبراهيم لما فرغ من بناء البيت جاءه جبريل، فقال: طُفْ
به سبعا، فطاف به سبعا هو وإسماعيل، يستلمان الأركان كلها فى كل طواف؛ فلما أكلا
سبعا صلّيا خلف المقام ركعتين. وقد تقدم الحديث فى حج إبراهيم عليه السلام مُسْتَوْفًى.
ولا تضاد بين الحديثين، إذ صلاته لما فرغ من البناء خلفه اختيارا من تلقاء نفسه، فلما
فرغ من ندائه أمر بوضعه قبلة. ولو ثبت الأمر فيهما كان الأول خاصا به، والثانى عاما له
ولغيره، والله أعلم.

٩٥ - ما جاء في بدء وقوف إبراهيم على المقام حتى يُسمى به مقاماً

عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالا : جاء إبراهيم يطلب ابنه إسماعيل ، فلم يجده ، فقالت له زوجته : انزل . فأبى . فقالت : فدعني أغسل رأسك . فأتته بمجر ، فوضع رجله عليه وهو راكب ، ففسلت شِقِّه ، ثم رفعتَه وقد غابت رجله فيه ، فوضعتَه تحت الشِّقِّ الآخر ففسلته ، فغابت رجله فيه ، فجعله الله تعالى من الشعائر .

وعن سميد أنه قال : قام على ذلك الحجر لبناء البيت ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة .

قلت : الأول أظهر ، وسبيل الجمع بينهما أن يكون قيامه للبناء كان بعد قيامه الأول ، فإنه مرَّتب عليه .

وذَرَعَ المقام ذِرَاع ، والقدمان داخلان فيه سبع أصابع .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [جاء إبراهيم ^(١)] بعد ما نُؤفِّيتُ أم إسماعيل وتزوج إسماعيل ، يُطالِعُ تَرَكَتَه ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سأله عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن في ضيق وشدة فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام ، وقولي له يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنَسَ شيئاً ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نَعَمْ ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك ، فأخبرته ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا في جَهْدٍ وشِدَّةٍ . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول : غَيْرِ عَتَبَةَ بَابِكَ . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، اِلْحَقِي بِأَهْلِكَ . فطلقها وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ماشاء الله ، ثم أتاهم بعد ، فلم يجده ، فدَخَلَ على امرأته ، فسألهَا عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا . قال : كيف أنتم ، وسألهَا على عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة ، وأُنثت على الله . قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ

(١) مابين المقتولين : عن م .

في اللحم والماء . قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حَب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه . قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ، قال فلماذا جاء زواجك فافترى عليه السلام ، ومُرِّيه يُنَبِّتُ عَتَمَةَ يَابِه . فلما جاء إسماعيل قال : هَلْ أَنَا كَم من أحد ؟ قالت نعم : أنا شيخ حسن الهيئة ، وأنت عليه ، فسألني عنك ، فأخبرته . فسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرُك أن تُنَبِّتَ عَتَمَةَ بَابِكَ : قال : ذلك أبي ، وأنت العَتَمَةُ ، أمرني أن أُمْسِكَ . ثم لبث عنهم ماشاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ^(١) : فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ؛ قال : فاصنع ما أمرُك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها . قال : فمئذ ذلك رَفَعَ ^(٢) القواعد من البيت ، وجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر ، فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يُتَاوَلُ الحِجَارَةَ ، وهما يقولان : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » . قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت ، وهما يقولان : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ... الآية . أنهره البخاري .

٩٦ - ما جاء في موضع المقام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقبلة وبعده
عن المطلب بن أبي وداعة التميمي قال : كانت الشيول تدخل المسجد الحرام من باب بنى شيبة الكبير ، فربما دفعت المقام عن موضعه ، حتى جاء سيل في خلافة عمر ، يقال له سيل أم نهشل ، وسمى بذلك لأنه ذهب بأم نهشل ابنة عُبَيْدَةَ بن أبي أحيحة ، فمات فيه ، فاحتل المقام ، فذهب به ، حتى وُجِدَ بأسفل مكة ، فأُتِيَ به ، فربط إلى أستار السكمة في وجهها ، وكتب بذلك إلى عمر ، فأقبل فزعا ، فدخل بعُمرة في رمضان ،

(١) في صحيح البخاري طبع بولاق ج ٤ ص ١٤٤ البارة الآتية : (وإسماعيل يرى نبلا له تحت دوحه - قريبا من زمزم) . (٢) في رواية في البخاري : رضا .

وقد غي^(١) موضعه ، وعفاه السيل ، فدعا عمر بالناس ، وقال : أنشد الله عبداً عنده علم في هذا المقام أين موضعه ؟ قال المطلب بن أبي وداعة : عندي ذلك ، كنت أخشى عليه هذا . فأخذت قدره من موضعه إلى الركن ، ومن موضعه إلى باب الحِجْر ، ومن موضعه إلى زمزم بمِقاط^(٢) ، وهو عندي في البيت . فقال له عمر : فاجلس عندي وأرسل إليها ، فجلس عنده ، وأرسل إليها ، فأتي بها ، فذها ، فوجدتها مستوية إلى موضعه هذا . فسأل الناس : وشاورهم ، فقالوا : نعم . هذا موضعه . فلما استثبت ذلك عمر وحقّ عنده ، أمر به ، فأحكم بناء^(٣) رُبُضِهِ^(٤) تحت المقام وحوله ، وهو في مكانه هذا إلى اليوم . قال : ورَدَمَ عمر الرُّدْمَ الأعلى .

قال أبو الوليد الأزرقي ، قال جدي : فلم يظهر عليه سَيْلٌ منذ عمله عمر إلى اليوم . قال : وحدّثني جدي ، قال : حدثنا عبد الجبار بن الورد ، قال : سمعت ابن أبي مُلَيْكَةَ يقول : موضع المقام هذا الذي هو به اليوم ، وهو موضعه في الجاهلية ، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر ، فجُمِلَ في وجه الكعبة ، حتى قَدِمَ عمر وردّه بمحضر من الناس . وعن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر قال : كان المقام عند سَقْعِ الْبَيْتِ^(٥) ، فأما موضعه الذي هو موضعه ، فموضعه الآن ؛ وأما ما يقول الناس إنه كان هنالك موضعه فلا . هذا ما نقله أبو الوليد الأزرقي في كتابه المشهور .

وقال مالك في المدوّنة : كان المقام في عهد إبراهيم عليه السلام في مكانه اليوم ، وكان أهل الجاهلية الصقوه إلى البيت خيفة السَّيْلِ ، فكان ذلك في عهد النبي صلى الله

(١) غي : خفي .

(٢) المقاط ، بالكسر : الحبل الصغير ، الشديد القتل . يكاد يقوم من شدة قتله وجمه : مقطوع .

ككتاب وكتب . (النهاية لابن الأثير) .

(٣) في الأزرقي : فأعلم ببناء . والربض ، بضم اراء . أساس البناء . (النهاية) .

(٤) عند سقعر البيت : في ناحية منه .

عليه وسلم وعهد أبي بكر، فلما وَلِيَ عمر رَدَّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة، قيس بها حين أخروه، وعمر هو الذي نصب معالم الحرم، بعد أن بحث على ذلك.

قال مالك: وبلغني أَنَّ الله تبارك وتعالى أَوْحَى إلى الجبال: تَنَحَّيْ، فتنحَّت حتى أرى الله إبراهيم مَوْضِعَ الْمَنَاسِكِ، وهو قوله: وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا. هذا آخر كلامه في المدونة فيما نقله صاحب التهذيب، مُخْتَصِرِ المدونة.

وقال الفقيه سَنَدُ بن عِنَان المالكِي في كتابه المترجم بالطَّرَاز: وَرَوَى أَشْهَبُ عَنْ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقَامَ هَذَا الْمَقَامَ، وَقَدْ كَانَ مُلَصَّقًا بِالْبَيْتِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ؛ وَإِنَّمَا أُلْصِقَ إِلَيْهِ لِمَكَانِ السَّيْلِ، مَخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ أَخْرَجَ خِيوطًا كَانَتْ فِي خَزَانَةِ السَّكْبَةِ، وَقَدْ كَانُوا قَاسُوا بِهَا مَا بَيْنَ مَوْضِعِهِ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذْ قَدَّمُوهُ مَخَافَةَ السَّيْلِ، فَقَاسَهُ عُمَرُ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْيَوْمَ، وَكَانَ السَّيْلُ يَأْتِي مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْوَادِي، وَالْبَيْتُ فِي وَسْطِ الْوَادِي، فَيَدْخُلُ السَّيْلُ، فَتَفْتَحُ الْعَرَبُ بَابَهُ، وَقَدَّمُوا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِ، فَالْصَّقَوْهُ بِالْبَابِ.

قال مالك: والذي حمل عمر على ذلك، والله أعلم، ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكّره من كراهية تغيير مراسم إبراهيم عليه السلام، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة: لَوْلَا حِذْنَانُ قَوْمِكَ بِكَفَرٍ، لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ... الحديث. فرأى عمر أن ذلك ليس فيه تغيير لمكان ما رآه من مراسم إبراهيم عليه السلام.

وفي هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الأزرقي عن ابن أبي مُلَيْكَةَ، وسياق لفظ حديث الصحيح الطويل، ومارُوي نحوه، يشهد بترجيح قول ابن أبي مُلَيْكَةَ. وذلك قوله: ثُمَّ تَقْدَمُ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَقُرْأَ: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فجعل المقام بينه وبين السكبة. والمتبادر إلى الفهم عند سماع هذا اللفظ، أنه لم يكن حينئذ مُلَصَّقًا بِالْبَيْتِ، لأنه لا يقال في العُرف: تَقْدَمُ إِلَى كَذَا، فجعله بينه وبين كَذَا، إلا فيما يمكن أن يُقَدَّمَ أمامه، وأن يخلقه خَلْفَهُ؛ وإذا كان مُلَصَّقًا تَعَيَّنَ التَّقديم لا غير.

وأما ما ذكره ، أعنى الأزرق عن المطلب بن أبي وداعة ، فيحتمل أمرين :
أحدهما : أن يكون قولُ عمر : أنشد الله عبداً علم في هذا المقام أين موضعه ؟ أى
الذى كان فيه في عهد النبوة ، وهو المتبادر إلى الفهم ، وعليه دلت القرينة المتقدم ذكرها ،
لأنه كان بحثاً عن الشئ ، وقافاً عندها ، وكذلك فهمه ابن أبي مليكة ، فلذلك أثبت
أن موضعه اليوم هو الموضع الذى كان فيه في عهد النبوة ، وأن الإصاقه بالكعبة
إما كان لعارض السيل .

الاحتمال الثانى : أن يكون عمر رضى الله عنه سأل عن موضعه في زمن إبراهيم
عليه السلام ، ليرده إليه ، لعله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤثر بقاء مراسم إبراهيم ،
ويكره تغييرها ، ويكون سبيله صلى الله عليه وسلم في تقرير المقام ملصقا بالبيت إلى أن توفي
صلى الله عليه وسلم ، سبيل تقرير ما كان من السكبة في الحجر ، تأليفاً لقريش في عدم
تغيير مراسمهم . فلذلك سأل عمر عن مكان المقام في زمن إبراهيم عليه السلام ، ليرده
إليه ، اعتماداً على ما علمه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون موافقاً لسنة صلى الله
عليه وسلم . ولما كان عند المطلب علم بذلك ، أخبره به ، فرجع إليه ، وعمل بما علمه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فعل ابن الزبير بإدخال ما كان من البيت في الحجر
فيه لما بناه ، اعتماداً على ما بلغه عنه ، وذلك مشهور . وعلى هذا فلا مناقضة بين ما نقله
المطلب وما نقله مالك ، فيكون الجمع بينهما أولى من دحض أحدهما ، ويكون ابن أبي
مليكة قال ما قاله فهما من سياق ما رواه المطلب ، رضى الله عنه ، والإمام مالك أثبت
ما أثبتته جازماً به ، ولا يكون ذلك إلا عن توقيف ، فكان الجمع أولى ، والله أعلم ،
وما نقله أيضاً سند من أن العرب رفعوا بابها لمكان السيل ، مناقض لما في الصحيح ،
أنهم رفعوه لينعوا من شاءوا . والله أعلم .

٩٧ - مواضع ذكر حول البيت ، رُوى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها

أحدهما : خلف المقام ، كما تقدم ذكره .

الثاني : تلقاء الحجر الأسود ، حاشية المطاف .

عن المطلب بن أبي وداعة قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرَغَ من سبعة ، جاء حاشية المطاف ، فصلَّى ركعتين ، وليس بينه وبين الطَّوافين أحد .
أُضربهم النَّسائي وأُضربهم ابن حِبَّان البُسْتِيُّ بزيادة . ولفظه : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حَذْو الركن الأسود ، والرجال والنساء يَمْشُونَ بين يديه ، ما بينهم وبينه سُترة .

الثالث : قريبا من الركن الشاميِّ مما يلي الحجر .

عن عبد الله بن السائب أنه كان يقود ابن عباس ، فيقيمه عند الشَّقة الثالثة ، مما يلي الرُّكن الذي يلي الحجر ، مما يلي الباب ، فيقول له ابن عباس : أنبئتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي هاهنا . فيقول : نعم . فيقوم فيصلِّي . أُضربهم أحمد وأبو داود .
الرابع : عند باب الكعبة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أُمِّي جبريل عند باب الكعبة مرتين . أُضربهم الحافظ تَمَام الرازي في فوائده ، والأزرقي .
الخامس : تلقاء الركن الذي يلي الحجر من جهة المغرب ، جانبا إلى جهة المغرب قليلا ؛ بحيث يكون باب المسجد الذي يقال له اليوم باب العمرة خلف ظهره ، وهو باب بني سَهْم .
عن المطلب بن أبي وداعة أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مما يلي باب بني سَهْم ، والناس يَمْشُونَ بين يديه ، وليس بينهما سُترة . وفي رواية : ليس بينه وبين الكعبة سُترة . أُضربهم الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وذكر أبو الوليد الأزرقي أن باب بني سَهْم هو الذي يقال له اليوم باب العمرة . في إسناده مجهول . والمطلب بن أبي وداعة قرئني سَهْمِي له صحبة ، ولأبيه أبي وداعة الحارث ابن صُبَيْرَة أيضا صحبة ، وهو من مُسَلِّمة الفتح . ويقال له صُبَيْرَة ، بالضاد المعجمة ، والأوَّل أشهر .

السادس : في وجه الكعبة .

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ، ولم يصل حتى خرج ، فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين ، وقال : هذه القبلة . أضرجه . وقال النسائي : سبّح في نواحيه وكبّر ولم يصل ، ثم خرج وصلى خاف المقام ركعتين ، ثم قال : هذه القبلة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أتى منزله ، فقيل له : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل الكعبة ، قال : فأقبلت ، قال : فأجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج ، وأجد بلالا على الباب قائماً فقلت : يا بلال ، أصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ؟ قال : نعم . قلت : أين ؟ قال : بابين هاتين الأسطوانتين ، ثم خرج فصلى في وجه الكعبة . أضرجه النسائي .

وعن ابن السائب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح في وجه الكعبة ، ثم رفع يديه فقال : هذه القبلة . أضرجه الأزرقى وقال : قال لى جدى : كان داود بن عبد الرحمن يشير لنا إلى الموضع الذى صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم من وجه الكعبة قبل أن يُطلى على الشاذروان الحصّ والمرمر عند الحجر السابع أو التاسع من باب الحجر الشرقى ، فإن رأيت الحصّ والمرمر قد انفرق عن الشاذروان ، فعُدّ سبعة أحجار من باب الحجر الشرقى ، فإن كان السابع حجراً طويلاً من أطول السبعة فيه حُفر شبه النقر ، فهو الموضع ، وإلا فهو التاسع . قال داود بن عبد الرحمن وكان ابن جريج يشير لنا إلى هذا الموضع ، ويقول : هذا الموضع الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الموضع الذى جُعِلَ فيه للمقام حين ذهب به سَيْلٌ أم نهشل ، إلى أن قَدِمَ عمر بن الخطاب فردّه إلى موضعه الذى كان فيه في الجاهلية ، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد أبي بكر ، وبعض خلافة عمر ، إلى أن ذهب به السيل .

شرح — وجه القبلة قد يُطلق على بابها ، ولهذا قيل للمحاذى له من خلفها دُبُرُ الكعبة ، كما تقدّم بيانه في فصل التعمود عند ظهر الكعبة ، ويطلق على جميع الجانب الذى

فيه الباب ، وهو المتعارف فيه ، وتقييده بالحجر السابع أو التاسع ، ثم ذكره للشاذروان ، يشعر بأن المراد بالأحجار أحجار الشاذروان ، وأن الموضع المشار إليه في فئانه قريب من الجدار ، بحيث يكون الجدار سُترة له ، وإن كان الوجه يُطلق على ما أمام ذلك حتى المقام ، يقال فيه وجه الكعبة ، ولعل الصلاة كانت فيه ، ويُدل على ذلك رواية النسائي كما تقدم ، والشقة واحدة ، فكأنه بين ما أجمل في رواية مُسلم إلا أن الظاهر أن وجه الكعبة كان عندهم معروفا بغير المقام ، ويدل على ذلك ما رَوَى سفيان عن عمرو ، قال : رأيت ابن الزُّبير إذا صلى العصر تقدم إلى وجه الكعبة ، فصلى ركعتين . أضرهم الأزرق . وهذا يدل على إرادة ما أمام المقام إلى الباب ، فإن الظاهر أن صلاته كانت في المقام ، لأنه الإمام ، والأئمة كانت صلاحهم فيه .

فيلبغى لمن قصد آثار النبوة أن يُتم بصلاته الأماكن التي هي مَظَنَّة صلاته ، صلى الله عليه وسلم فيها ، رجاء أن يظفر بمصلى النبي صلى الله عليه وسلم من كل مكان :

خَلِيلِي هَذَا رَبْعُ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا قُلُوبَ صَنِيكَا ثُمَّ انْزِلَا حَيْثُ حَلَّتِ
وَمُسَا تَرَابًا طَيِّبًا مَسَّ ذَيْلَهَا وَبَيْنَا وَظِلًّا حَيْثُ بَاتَتْ وَظَلَّتِ
وَلَا تَتَيَّأَسَا أَنْ يَفْقُوَ اللَّهُ عَنْكَا إِذَا أَنْتَا صَلَّيْتَا حَيْثُ صَلَّتِ

والظاهر أن ابن جريج لم يشير إلى ذلك الموضع إلا عن علم ، غير أن الأحجار قد تبدلت وقد تكون غير متساوية ، وهو الأغلب ، فليجتهد الطالب ، والظاهر أن هذا الموضع تِلْقَاءُ المقام ، في فناء الكعبة ، بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلي فيه . ويحتمل على بُعد أن يكون هذا الموضع هو الموضع الرابع المتقدم ذكره ، ويكون المراد بالشقة الثالثة إحدى شِقَاقِ كُسوة الكعبة ، وتكون الشقاق عريضة ، والأحجار صفارا ، فيكون انتهاء الشقة الثالثة إلى الحجر السابع أو التاسع . والظاهر أنه غيره ، لأنه قال في ذلك : مما يلي الركن الذي يلي الحجر ، والظاهر أن ما وَلِيَ الشيء يكون قريبا منه ، والحجر السابع بعيد منه ، يكون في النصف الرابع ، وفيما بين الركنين ، أوله أقرب إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ، فعلى هذا يكون في جانب الكعبة الشرق أربعة مواضع غير المقام ،

وخمسة به عند الباب ، وفي المقام وأمامه قليلا ، وتلقاه في فناء الكعبة ، والموضع الذي
بلى الركن المتصل بالحجر ، والله أعلم . وإن أريد بالشَّقة الثالثة الحجر الثالث ، فلا إشكال ؛
وقد تطلق الشَّقة على الحجر الطويل ، والله أعلم .

وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيرها من الجهات .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : البيت كله قبلة . وهذا قبلته ، بمعنى الباب .
وعنه : البيت كله قبلة ، وهذه قبلته ، وهو قاعد قبالة البيت والمقام . أمرهم بها
سميد بن منصور .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، البيت كله قبلة ، وقبلته وجهه ، فإن فاتك ذلك
فعليك بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم ، بمعنى نحو الميزاب . أمرهم سميد أيضا .

الموضع السابع : بين الركنين اليمانيَّين

ذكره ابن إسحاق في سيرته ، في قصة طويلة ، أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى بينهما .
الثامن : الحجر .

عن عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه
المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم . قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلى في حجر
الكعبة ، إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعَيْط ، فوضع ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل
أبوبكر ، حتى أخذ بمنكبيه ، ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أتقتلون
رجلا أن يقول رَبَّنَا اللَّهُ ... الآية . أمرهم

وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عائشة ، وأدخلها الحجر ، وأمرها أن تصلى
فيه . أمرهم . وسيأتى في باب دخول الكعبة . ولا ينبغي أن تكون صلاته صلى الله
عليه وسلم تحت الميزاب ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : صلوا في مَصَلَّى
الأخيار ، واشربوا من شراب الأبرار . قيل لابن عباس : ما مَصَلَّى الأخيار ؟ قال : تحت
الميزاب . قيل : وما شراب الأبرار ؟ قال ماء زمزم . أمرهم الأزرق . وهو صلى الله عليه
وسلم سيد الأخيار ، وليس يبعد أن تكون الإشارة إليه صلى الله عليه وسلم ، وقد صح

أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى في البيت، جعل عمودين عن يساره، وعمودا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة، ثم صلى. أخرجه من حديث ابن عمر. وسيأتى في باب دخول البيت إن شاء الله تعالى.

وعن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طاف بالبيت، فصلى ركعتين في البيت أخرجه أبو الحسن عليّ بن الجعد، عن سفيان عن عبد الله، عن نافع، عن ابن عمر. وعن موسى بن عُميرة، قال: طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسابيع، كلما طُفنا سبعا دخلنا السكبية فصلينا فيها ركعتين. أخرجه الأزرقي.

وقد ورد أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليماني ركعتين، ثم قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا يَبَاشِرُ قَلْبِي، وَبَقِيْنًا صَادِقًا، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يَصِيْبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَرِضًا بِمَا قَسَمْتَ لِي. فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ، إِنَّهُ حَقٌّ عَلَيَّ أَلَّا يُلْزَمَ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ هَذَا الدَّعَاءَ، إِلَّا أَعْطِيْتَهُ مَا يُحِبُّ، وَنَحِيْتَهُ مَا يَكْرَهُ، وَنَزَعْتَ أَمَلَ الدُّنْيَا وَالْفَقْرِ مِنْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَمَلَأْتَ جَوْفَهُ حِكْمَةً. أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب اليقين، بسنده عن عون ابن خالد. قال: وجدتُ في بعض الكتب أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليماني، فذكره. وأخرجه الأزرقي.

فصارت المواضع التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم يقينا وتخمينًا تسع مواضع. والعاشر: مصلّى آدم عليه السلام.

٩٨ - ما جاء في جواز أداء ركعتي الطواف خارجا من المسجد

عن أمّ سلمة رضي الله عنها حديث قدومها وهي شاكية، فطافت راكبة، فلم تصلّ حتى خرجت. أخرجه البخاري. وقد تقدم في فصل الطواف على الراحلة. وذكر رزين فيما ذكر أنه متفق عليه، أن أمّ سلمة صلت ركعتي الطواف في الحِلّ. وعن عمر رضي الله عنه حديث صلاته الركعتين بذى طُوًى. أخرجه مالك. وقد تقدّم في فصل «حُجّة من أباح طوافا واحدا في الوقت المكروه». وذكر رزين خيا ذكر أنه متفق عليه أن عمر صلاهما في الحِلّ.

٩٩ - ماجاء فيمن ختم القرآن في ركعات الطواف

عن علقمة أنه طاف ذات ليلة طوافاً ، ثم صلى ركعتين ، وقرأ بالمثنائي ، ثم طاف طوافاً آخر ، فصلى ركعتين ، وقرأ ما بقى . أخرجه سديد بن منصور .

١٠٠ - ماجاء في الدعاء عقب ركعتي الطواف

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم حاجاً بالبيت سُبوعاً ، ثم صلى ركعتين يطيل فيهما الجلوس ، فيكون جلوسه أطول من قيامه ، لدخه ربه ، وطلبه حاجته ، يقول مراراً - اللهم اعصمني بدنياك وطاعتك ، وطواعية رسولك . اللهم جنّني خُدُوك . اللهم اجعلني ممن يُحبُّك ويحب ملائكتك ، ويحبُّ رُسُلك ، ويحب عبادك الصالحين . اللهمَّ حَبِّبْنِي إِلَيْكَ ، وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ ، وَإِلَى رُسُلك ، وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ يسرني لليسرى ، وجنّني للعسرى ، واغفر لي الآخرة والأولى . اللَّهُمَّ اجعلني أوفٍ بعهدي الذي عاهدتُ عليه ، واجعلني من أئمة المتقين ، ومن ورثة جنة النعيم ، واغفر لي خطيئتي يوم الدين . وكان يقول ذلك على الصفا والمروة ، وبمرفات ، وبجمع ، وعلى الجرتين وفي الطواف . أخرجه أبو ذرّ .

وعن سليمان بن بُرَيْدة ، عن أبيه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لما أهبَط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض ، طاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي ، فَأَقْبِلْ مَعْذِرَتِي ؛ وَتَعْلَمُ حَاجَتِي ، فَأَعْطِنِي سُؤْلِي : وَتَعْلَمُ مَا عِنْدِي ، وَافْغِرْ لِي ذُنُوبِي . أَسْأَلُكَ إِيمَانًا يَبَاشِرُ قَافِي ، وَيَقِينًا صَادِقًا ، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يَصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي ، وَرِضًا بِقَضَائِكَ . فَأَوْحِ إِلَهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ قَدْ دَعَوْتَنِي دَعَاءَ اسْتَجَابَ لَكَ فِيهِ ، وَلَنْ يَدْعُوَنِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ إِلَّا اسْتَجَبْتُ لَهُ ، وَغَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَفَرَّجْتُ هَوْمَهُ ، وَانْتَجَرْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ ، فَاتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاضِعَةٌ وَإِنْ كَانَ لَا يَرِيدُهَا . أخرجه أبو الفرج في مثير الغرام .

١٠١ - ما جاء في أنه لا يزيد على الركعتين

عن عطاء قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزد على الركعتين في حِجَّتِهِ وَغَمَرِهِ •
كلها ، فلا أَحِبُّ أن يزيد في ذلك السَّبع على الركعتين ، فإن زاد فلا بأس . أخرجه الأزرقي .

١٠٢ - ما جاء فيمن قال يزيد عليهما

عن سفيان الثوري وسُئِلَ عن الرجل يطوف سُبُوعا : أَيُصَلِّي أربع ركعات ؟
قال : نعم . وإن شئت فمَشَرَا . أخرجه البَغَوِيُّ .

١٠٣ - ما جاء في الجمع بين أسابيع ثم يصلي لكل أسبوع ركعتين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : طاف النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أسابيع
جميعا ، ثم أتى المقام فصلى خلفه ست ركعات ، يسلم من كل ركعتين يمينا وشمالا .
قال أبو هريرة : إنما أَرَادَ أن يُعَلِّمَنَا . أخرجه أبو عمر ، وابن السكِّات في الجزء السابع
من أجزائه المشهورة . وهذا الحديث ، وإن كان غير مشهور ، فلا بأس بالاستئناس به
في هذا الموضع ، وهو مشهور .

عن عائشة ، عن محمد بن السائب بن بَرَكَةَ ، عن أمه ، أنها كانت تطوف مع
عائشة ، ومعها عائلة بنت خالد بن سعيد بن العاص ، وأم عبد الوهاب بنت عبد الله بن
أبي ربيعة ، فلما أكملت سبعمها تعوذت بين الركعتين ، ثم استلمت الحجر ، ثم أنشأت
في سبع آخر ، فلما فرغت منه تعوذت بين الركن والباب ، ثم أنشأت في سبع آخر ، فلما
فرغت منه تعوذت بين الركن والباب ، ثم أنشأت في سبع آخر ، فلما فرغت منه انطلقت
إلى صُفَّةِ زمزم ، فصلت ركعتين ، ثم تسكَّلت فصلت ركعتين . أخرجه أبو ذَرٍّ في منسكه .
وهكذا نقله من نُسخة بخطه ، والمشهور عنها ثلاثة أسابيع ، وكذلك ذكر الصلاة ركعتين
ثم ركعتين لا غير ، وصوابه لكل أسبوع ركعتين .

وعنه عن أمه ، أنها طافت مع عائشة ثلاثة أسابيع ، لم يفصل بينها بصلاة ، فلما
فرغت ركعت ركعت . أخرجه سعيد بن منصور والأزرقي .

واحتج بهذه الأحاديث من قال يجوز الإقرا ن بين أسابيع ، واستدل بها على عدم الكراهة . وقد رُوِيَ ذلك عن المسور ، وسعيد بن جبير ، وطاووس ، وعطاء . ذكره الجندى ، وبه قال الشافعى وأحمد . وقال مالك وأبو حنيفة يُكْرَهُ ، لأنه لم يصب من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن تأخير الركعتين يُحِلُّ بالموالاة بينهما وبين الطواف . ولا حُجَّة في ذلك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُرَوْ عنه أنه طاف أسبوعين ولا ثلاثة في المشهور عنه ؛ وذلك غير مكروه بالاتفاق ، لأن عدم قوله صلى الله عليه وسلم لا يدل على الكراهة ؛ وأما الموالاة بين الطواف وركعتيه فغير معتبر ، بدليل أن عمر رضى الله عنه صلاها بذى طوى ، على ما تقدم .

١٠٤ - حُجَّةٌ من منع ذلك

عن عطاء أنه كان يكره أن يجمع الرجل بين سُبُوعَيْن . وقال : أول من قرَن عائشة والمسور بن مخرمة .

وعن سُفْيَانَ الثَوْرِيّ ، أنه سئل عن الإقرا ن في الطواف ، فنهى عنه وشدّد ، وقال : لكل أسبوع ركعتان . فقيل : عن ؟ فقال : عن غير واحد . أخرجه التَّبَوَيّْ وأبو ذر . وعن يحيى بن سليم ، عن إسماعيل بن أمية ، قال : سمعت غير واحد من الفقهاء يقولون : بُنِيَ هذا البيت على أسبوع وركعتين . وقال أيضا : لئن طالت بك حياتك لَتَرَيْنَّ النّاسَ بطوفون حول الكعبة ولا يَصَلُّون . أخرجهما الأزرقي .

وعن إبراهيم : لكل سبع ركعتان .

وعن عُرْوَةَ أنه كان لا يجمع بين السَّبْعَيْن ، ولكنه كان يصلى لكل أسبوع ركعتين ، وربما صلى عند المقام وغيره . أخرجهما سعيد بن منصور .

١٠٥ - ما جاء في أن المكتوبة لا تُجْزَى ، عن ركعتي الطواف

عن الزُّهْرِيّ وقد قيل له : إن عطاء يقول : تُجْزَى المكتوبة عن ركعتي الطواف فقال : الشُّنَّةُ أفضل . لم يَطْفُ النبي صلى الله عليه وسلم سُبُوعًا إلا وصلى ركعتين أخرجه البخارى .

والوجه عندنا أن ذلك يُبْنَى على وجوبهما، فن قال بوجوبهما لم يتجعه لإجزاء المكتوبة عنده عنهما، ومن لم يَقُل بوجوبهما، فالوجه عنده الإجزاء، كتحية المسجد. ولا خلاف عندنا أنهما ليستا من أركان الطواف، ولا من أركان الحج، وأن الطواف يَصِحّ دونهما، وإتما في وجوبهما قولان. واختاف الأصحاب في محاهما، فقيل: في الطواف الواجب، فعلى هذا لا تجبان في طواف القدوم، وقيل: القولان في الجميع، وهو الصحيح. وقد يشترط في المسنون واجب كواجبات حج التطوع، فإن تركهما لم يجب عليه شيء، مادام حيا، لأنهما لا يفوتان، ويجوز أداؤهما بعد الرجوع إلى بلده، نعم، لو مات فينقذح أن يجب الدم كسائر الواجبات، لتحقق الفوات حينئذ. وقال أبو حنيفة: هما واجبتان. وعند مالك ثلاثة أقوال: أحدها أنها تابعة للطواف في صفته. الثاني: أنها واجبة الثالث: أنها سنة بكل حال.

١٠٦ - ما جاء فيمن قال تجزئ المكتوبة عنهما

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: إذا فرغ الرجل من طوافه، وأقيمت الصلاة، فإن المكتوبة تجزئ من ركعتي الطواف، إذا نوى ذلك. وعن الحسن إذا تم سبوعك، ثم أدركت المكتوبة، فإن المكتوبة تجزئك من ركعتي الطواف.

وعن مجاهد أنه طاف سبوعا وفرغ، وأقيمت الصلاة عند فراغه، فصلى المكتوبة فلما قضى الصلاة قيل له: ألا تقوم فتصلي ركعتي الطواف؟ قال: وأى صلاة أفضل من المكتوبة. وعن سالم بن عبد الله سئل عن الرجل يطوف ثم يصلي المكتوبة، قال تجزئ عنه. وعن عطاء ومجاهد قالا: إن شئت اجتزيت في ركعتي الطواف بالمكتوبة، وإن شئت ركعت قبلها، وإن شئت بعدها.

وعن سعيد بن جبير في الرجل يطوف بعد العصر، قال: إن شئت تصلي إذا غابت الشمس، وإن شئت أجزأت عنك المكتوبة، وإن شئت صليت إذا صليت المكتوبة. أنفج جميع ذلك سعيد بن منصور.

وحكى ابن المنذر أجزاء المكتوبة عنهما عن عطاء وجابر بن زيد ، والحسن البصري ،
وسعيد بن جبير . وحكا الشافعي في القديم عن سالم بن عبد الله .

١٠٧ - ما جاء فيمن نسي ركعتي الطواف حتى نَفَرَ

عن عطاء أنه كان يقول فيمن نسي ركعتي الطواف حتى نَفَرَ: يصلهما متى ذكرهما ،
ولا شيء عليه . أخرجه سعيد بن منصور .

١٠٨ - ما جاء في الاستلام بعد الفراغ من الركعتين ، والشرب من ماء زمزم تقدم في حديث جابر الطويل ما يدل عليه .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا ،
أظنه قال : إن الصفا والروة من شعائر الله . أخرجه الترمذي .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رَمَلَ ثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر ، وصلى
ركعتين ، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه ، ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها ، ثم صَبَّ على رأسه ،
ثم رجع فاستلم الركن ، ثم خرج إلى الصفا ، فقال أبدأ بما بدأ الله به . أخرجه الإمام أحمد .
قال عطاء : يخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا . ذكره الأزرقي .

وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، أنهما كانا إذا قضا أسبوعهما أتيا
المُذَنِّزَ ، فاستعازا به ، ثم استلما الحجر ، ثم خرجا . أخرجه أبو ذر .

وعن ابن عمر أنه كان إذا طاف الطواف الواجب ، ثم صلى الركعتين ، ثم أراد
الخروج إلى الصفا ، لم يخرج حتى يَسْتَلِمَ الحجر الأسود أو يستقبله . أخرجه سعيد بن منصور .
والمراد باستقباله ، والله أعلم ، الإشارة إليه عند الرَّحْمَةِ ، والتكبير عندها .

١٠٩ - ما جاء في كراهية التمسح بالمقام

عن قتادة^(١) : « وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » قال : إنما أمرُوا
أَنْ يَصَلُّوا عنده ، ولم يُؤْمَرُوا بِمَسْحِهِ . ولقد تَكَلَّفَتْ هذه الأمة شيئا ما تَكَلَّفَتْهُ

(١) كذا في ق وأخبار مكة للأزرقي . وفي م بعد قتادة : في قوله سبحانه وتعالى .

الأمم قَبْلَهَا ، ولقد ذَكَرَ لنا بعض من رأى أثر أصابعه^(١) ، فما زالت هذه الأمة تمسحه
تمسحه^(٢) حتى اخْلَوَاتِ^(٣) . أُنْهَرِجَ الْأَزْرَقُ .

١١٠ - ما جاء في القيام عند باب المسجد ،

عند الخروج منه للدعاء

عن عثمان بن الأسود، قال : كنت مع مجاهد، نخرجنا من باب المسجد، فاستقبلنا
الكعبة، فرفعت يدي ، فقال : لاتفعل ، إن هذا من فعل اليهود . أُنْهَرِجَ الْأَزْرَقُ .
وفيه دلالة على أن ذلك الوقوف كان عادة لهم ودينا .

وقوله « لاتفعل » : عائد إلى رفع اليد ، لا إلى الدعاء ، وقد تقدم ذكر رفع اليد
في فصل الدعاء عند رؤية البيت .

(١) في أخبار مكة للأزرق : أثره وأصابعه .

(٢) تمسحه : مكررة في م ، وبدون تكرار في م وأخبار مكة للأزرق .

(٣) اخْلَوَاتِ : املاس .

الباب السادس عشر

في السعي

١ - ماجاء في سبب شرعية السعي

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : جاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وبابنها إسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت ، عند دَوْحَةٍ فوق زَمْرَمٍ ، (١) فوضعهما تحتها وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، (٢) ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاءً (٣) فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقاً ، فتمتعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً ، فجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيئعنا .

وفي رواية : فقالت له إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله . فقالت : قد رضيت ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم ، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، رفع يديه ، وقال : « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَمِ » إلى قوله « بِشْكُرُونِ » . وقعدت أم إسماعيل تحت الدوحة ، ووضعت ابنها إلى جنبها ، وعلقت شها تشرب منه ، وترضع ابنها ، حتى قفى ما فى شها ، فاتقطع درها ، واشتد جوع ابنها ، حتى نظرت إليه يتشحط ،

(١ - ١) في البخارى ج ٤ ص ١٤٤ « في أعلى المسجد » في مكان : « فوضعها تحتها » .

(٢) في البخارى : فوضعهما هناك ووضع . الخ .

(٣) كذا في البخارى وفى م ، م . وفى هامش م : شتا ، بالشين والتون ، وكتب : . : لعله الصواب . وبؤيده مايجىء قريباً من قوله : وعلقت شها . الخ . على أن المؤلف قد غير مط البخارى في مواضع كثيرة من هذا الحديث ، لاداعى إلى النص على جميعها ، اكفاء بهذا التنبيه ، ولعله من اختلاف النسخ .

فانطلقت كراهيةً أن تنظر إليه ، فقامت على الصفا ، وهو أقرب جبل يليها ، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى إنسان مجهود ، حتى جاوزت الوادى ؛ ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ؛ ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلذلك سعى الناس بينهما . أضرهم البخارى . وأضرهم الأزرقى ، وقال : جاء إبراهيم بهاجرًا أم إسماعيل ، حين كان بينهما وبين سارة ما كان ، وبابنها إسماعيل . ثم ذكر ما بعده إلى قوله : فانطلقت . قال : فتميّبت عنه ، كراهية أن تنظر إليه وقالت : لعله يموت ولا تدرى بموته . فعمدت إلى الصفا حين رآته مُشْرِفاً تستوضح ، لعلها أن ترى أحدا . ثم نظرت إلى المروة ، فقالت : لو مشيتُ بين هذين الجبلين تعلّلتُ حتى يموت الصبى ، فمشت بينهما ثلاث مرات أو أربع مرات ، لا تُجيز بطن الوادى إلا رملاً ، ثم رجعت إلى ابنها ، فوجدته ينشغ ، فعادت إلى الصفا ، ثم مشت إلى المروة ، حتى كان مشيها سبع مرات .

قال ابن عباس : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : فلذلك طاف الناس بين الصفا والمروة .

قال : ورَجَعَتْ أم إسماعيل تطالع ابنها ، فوجدته كما تركته ينشغ . ثم ذكر قصة زمزم . وسيأتى عند ذكره ^(١) إن شاء الله تعالى .

سرع — قَفَى : أى وَلَى قفاه وذهب ، تقول : قَفَى بُقْفَى فهو مُقَفٍ . يتشخّط : أى يَتَخَبَّط وَيَضْطَرِب وَيَتَمَرَّغ . وَيَنشَغ : النَّشْغُ فى الأصل : الشَّهيق ، حتى يكاد يبلغ به الغشى ؛ وعن الأصمى ، النَّشَغَات عند الموت : فَوَاقَاتُ خَفَيَّاتٍ جَدًّا ، واحداً نَشْغَةً .

(١) كذا فى م ، ن . ولعل الصواب : ذكرها أى زمزم ، وسيأتى فى الباب السابع والعشرين .

٢ - ما جاء في وجوب السعى

عن عُرْوَةَ، عن عائشة رضى الله عنها، قال : قلت لها : إني لأظن رجلا لو لم يطفُ بين الصفا والمروة ما ضرَّه . قالت : لم ؟ قلت : لأن الله عزَّ وجل يقول : « إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » إلى آخر الآية . فقالت : ما أتمَّ الله حجَّ امرئ ولا عُمرته ، لم يطفُ بين الصفا والمروة . ولو كان كاتقول لكان : « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمُ إِلَّا أَنْ يَطُوفَا بِهِمَا » . هل تدري : لم كان ذلك ؟ إن الأنصار كانوا يُهْسِلُونَ في الجاهلية لِصَنَمَيْنِ على شطِّ البحر ، يقال لهما : إِسَافٌ ونائلة ، ثم يحيطون فيطوفون بين الصفا والمروة ، ثم يحلقون ؛ فلما جاء الإسلام كرهوا أن يَطُوفُوا بينهما ، للذي كانوا يصنعون في الجاهلية قالت : فأنزل الله تعالى : « إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » إلى آخرها . قالت : فطافوا .

وفي رواية : أنها قالت : يا بن أختي ، طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطاف المسلمون ، فكانت سُنَّة ؛ وإنما كان مَنْ أَهْلُ لِمَنَاءِ الطاغية التي بِالْمُشَلَّلِ ، لا يطوفون بين الصفا والمروة . فلما كان الإسلام سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله عزَّ وجل « إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » . الآية .
وفي رواية : أن ناسا من الأنصار كانوا إذا أَهْلُوا أَهْلُوا لِمَنَاءِ في الجاهلية ، فلا يحِلُّ لهم أن يَطُوفُوا بين الصفا والمروة ؛ فلما قَدِمُوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فأنزل الله عزَّ وجل الآية . أَضْرِبَاهُ بِطُرْقِهِ .

وعن عاصم ، قال : قلت لأنس بن مالك : أ كنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة ؟ فقال : نعم ، لأنها كانت من شعائر الجاهلية ، حتى أنزل الله عزَّ وجل : « إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا » . أَضْرِبْهُمُ الْبُخَارَى .

وعن بنت أبي تيجرة ، إحدى نساء بني عبد الدار ، واسمها حَبِيبَةُ ، قالت : دخلتُ مع نسوة من قريش دار أبي حُسَيْن ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة ، فرأيتُه يسعى وإنَّ مِثْرَه ليدور من شدة السعى ، حتى لأقول : إني

لَأَرَى رُكْبَتَهُ ، وسمعتَه يقول : اسْعَوْا ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ . أَنُهِرَ الشَّافِعِيَّ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالِدَارِقُطْنِي . وَأُهِرَ أَحْمَدُ مُخْتَصِرًا بِزِيَادَةِ ، وَلَفْظِهِ : عَنْ حَبِيبَةِ بِنْتِ أَبِي تَجْرَةَ ، قَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ وَرَاءَهُمْ ، وَهُوَ يَسْعَى ، حَتَّى أَرَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ شِدَّةِ السَّعْيِ يَدُورُ بِهِ إِزَارُهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : اسْعَوْا ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ .

وَعَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ شَيْبَةَ ، أَنَّ امْرَأَةً أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ يَقُولُ : كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ ، فَاسْعَوْا . أَنُهِرَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ . وَعَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، قَالَ : سَأَلْنَا ابْنَ عَمْرٍو عَنْ رَجُلٍ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا فِي عِمْرَةٍ وَلَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، أَيَأْتِي أَمْرَتَهُ ؟ قَالَ : قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ ، وَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » . وَسَأَلْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا يَقْرَبُهَا حَتَّى يَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ . أَنُهِرَ الْبُخَارِيُّ .

فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى وَجُوبِ السَّعْيِ ، وَهُوَ قَوْلُ السَّكَافَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَحَلَّلُ مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ عَائِشَةَ وَابْنِ عَمْرٍو وَجَابِرٍ ، وَقَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ ، وَأَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ ، وَذَهَبُ جَمَاعَةٍ إِلَى نَفْيِ الْوَجُوبِ ، مُسْتَدْلِينَ بِالْآيَةِ ، وَقَالُوا : رَفَعُ الْحَرَجِ يَدُلُّ عَلَى الْإِبَاحَةِ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ سِيرِينَ وَعَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ ؛ وَمَنْ طَافَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ فَقَدْ حَلَّ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَسَفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ : هُوَ وَاجِبٌ وَلَيْسَ بِرُكْنٍ ، وَعَلَى مَنْ تَرَكَهُ دَمٌ وَعَنْ أَحْمَدَ رَوَايَتَانِ : إِحْدَاهُمَا مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَنْهُ ؛ وَالْأُخْرَى أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ ، وَلَا دَلَالَةٌ لَهُمْ فِي الْآيَةِ .

وَكَلَامُ عَائِشَةَ فِيهَا مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى بَدْعٍ فَقَّهَهَا وَمَعْرِفَتَهَا بِأَحْكَامِ الْأَلْفَاظِ ، لِأَنَّ الْآيَةَ إِنَّمَا يَقْتَضِي ظَاهِرَهَا رَفْعَ الْحَرَجِ عَنْ طَافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ؛ أَمَّا سَقُوطُ الْوَجُوبِ فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ ، وَلَوْ أُرِيدَ لَقِيلَ : « أَلَا يَطُوفُ بِهِمَا » ، لِأَنَّ هَذَا اللفظَ يَقْتَضِي سَقُوطَ الْوَجُوبِ وَالْإِثْمَ عَنْ تَارِكِهِ ثُمَّ أَخْبِرَ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتَ لَهُ قِصَّةَ الْأَنْصَارِ ، وَمَا تَخَرَّجُوا مِنْهُ ، فَأَخْبَرُوا

أَنْ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ ، وقد يكون الفعل واجبا وبمعناه أنه يَمْنَعُ من إبقائه مانع ؛ وهذا كمن عليه صلاة الظهر ، فظنَّ ألاَّ يسوغ له فعلها بعد الغروب ، فسأل ، فقيل : لا حرج عليك إن صَلَّيتَ ، فيكون الجواب صحيحا ، ولا يقتضى نفى وجوب الظهر .

وقولها : إساءة ونائلة : كذا في رواية الكفاة . وهو خطأ ، قاله عياض . والصواب . ما في الرواية الأخرى : « يهلون لمناة الطاغية التي بالْمُشَلَّل » . وهذا هو المعروف . ومناة : صَنَمٌ كان نَصَبَهُ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ في جهة البحر بالْمُشَلَّل ، مما بلى قديدا ، وكذا جاء مُفسِّرا في الموطأ ، وله كانت الأزد وغسان يهلون بحجتها . وقال السكبي : مناة : صخرة لهذيل بقديد . وإساءة إساءة ونائلة فلم يكونا قَطُّ في جهة البحر ، وإنما كانا فيما يقال رجلا اسمه إساءة ، وامرأة اسمها نائلة ، زنيا في الكعبة ، فسخهما الله حَجَرَيْنِ ، فَنَصَبَا عند الكعبة ، وقيل على الصفا والمروة ، ليعتبر بهما ، ثم حوَّلهما فُصِّي ، فجعل أحدهما لصق الكعبة ، والآخر بزمزم . وقيل : جعلهما جميعا بزمزم ، ونحر عندهما ، وأمر بعبادتهما .

٣ - حُجَّةٌ من نفى وجوب السعي

تقدم في الفصل قبله آثافا متعاقبهم من الآية ، والكلام عليه .

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قال : أخبرني أمي أنها أقبلت هي وأختها والزُّبَيْرُ وفُلَانٌ وفُلَانٌ بعُمرة ، فلما مَسَحُوا الركن حَلَّوا . أضرهما .

وعن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر ، عن أسماء ، أنها كانت كلما مرَّت بالحجَّون تقول : صلى الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، لقد رأيتُنا معه هاهنا ، ونحن يومئذ خفاف الحنائب ، قليل ظهورنا ، قليلة أروادنا ، فاعتمررت أنا وأختي عائشة والزُّبَيْرُ وفُلَانٌ وفُلَانٌ ، فلما مَسَحْنَا البيتَ أَحَلَّلْنَا ، ثم أَهَلَّلْنَا مِنَ الْعَشِيِّ بالحج . أضرهما .

وعن رجل من بني الهَجَّيمِ ، أنه قال لابن عباس : يا ابن عباس ، ماهذه الفتيا التي تَفَشَّقَتْ بالناس ، وفي رواية تَشَفَّيَتْ : أن من طاف بالبيت فقد حَلَّ ؟ فقال : سُنَّةُ نبيكم صلى الله عليه وسلم وإن رَغِمَتْ . أضره مُسَلِّمٌ .

وعن عطاء قال : كان ابن عباس يقول : لا يطوف بالبيت حاج ولا غير حاج إلا حل . قال عطاء : قلت : من أين تقول ذلك ^(١) ؟ قال : من قول الله عز وجل : « ثُمَّ يَحِلُّهَا إِلَى النَّيْتِ الْعَتِيقِ » . قيل لعطاء : فإن ذلك بعد المعرفة ^(٢) . قال : كان ابن عباس يقول : هو قبل وبعد . كان يأخذ ذلك من أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، حين أمرهم أن يحلوا في حجة الوداع . أضرهم مسلم .

وجه الدلالة قولها : فلما مسحنا البيت أحللنا . وقوله : من طاف بالبيت حل . ولادلالة فيه . فإنها كننت بالمسح عن الطواف عندنا وعندهم ، ويحتمل أن يريد السعى معه . أو يريد بقولها أحللنا وحل ، الأخذ في التحلل ، ويؤيد ذلك أن أسماء أخبرت عما فعلوا في حجة الوداع ، وقد جاء مفسرا أنهم طافوا وسعوا فحمل ما أنجل فيه على ما بين . وأما من قال إن أسماء أرادت بذلك في غير حجهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو خطأ ، لأن في الحديث أنهم تحللوا من العمرة ، وأهلوا بالحج ، وما كان ذلك إلا في حجة الوداع . وقولها « خفاف الحقايب » جمع حقيبة ، وهي ما تحمل في مؤخر الرحل .

والحجون : تقدم تفسيره في باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله « تَفَشَّغَتْ » : أي شاعت ، وهي بالفاء والغين المعجمة ، ويروى تَشَغَّبَتْ في الناس ، والشَّغْب ، بسكون الغين المعجمة تهيج الشر والفتنة . والعامَّة تقول الشَّغْب ، بفتح الغين . قال عياض : وقد رأيت بعض أهل العلم أشار إلى أن الْمُقْتَمَر إذا دخل الحرم حل ، وإن لم يطف ولم يسع ، ويكون طوافه وسعيه كأنه عمل خارج عن الإحرام ، كالرمي والمبيت . وروى ذلك عن ابن عباس ، وبه قال إسحاق . وروى عن الحسن وعطاء أنهما قالوا فيمن نسي الطواف بين الصفا والمروة حتى نفر : يريق دما . أضرهم سميد بن منصور .

(١) لفظ مسلم : قلت لعطاء : من أين تقول ذلك ؟ والقاتل ابن جريج .
(٢) المعرفة والتعريف : الوقوف بمرفة . والمعرفة في الأصل . موضع التعريف . (عن النهاية)

٤ - ما جاء في البداية بالصفاء ثم بالمروة ، والرقىّ عليهما حتى يرى البيت
واستقبال القبلة والدعاء عليهما ورفع اليدين فيه

تقدم في حديث جابر الطويل ، فلما دنا صلى الله عليه وسلم من الصفا قرأ : « إِنَّ الصَّفَا
وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفاء ، فَرَقَّ عليه حتى رأى البيت ،
فاستقبل القبلة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه أتى
الصفاء ، فعلا عليه ، حتى نظر إلى البيت ، ورفع يديه ، فجعل يحمد الله ، ويدعو ماشاء الله
أن يدعو . أخرجه مسلم .

وعنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصفا ، فقال : إن الصفا والمروة
من شعائر الله . ثم قال أبدأ بما بدأ الله به . أخرجه النسائي .

في حديث الأول ردُّ لما أنكره جابر من رفع اليدين في الدعاء ، وفيه دلالة على
استحباب الرُّقَى ، وقيل بوجوبه ، والمشهور هو الأول .

وعن نافع قال : كان عبد الله بن عمر يخرج إلى الصفا ، فيبدأ به ، فَيَرَقِي حتى
يَبْدُو له البيت ، فيستقبله ، ولا ينثنى في كلِّ ماحجٍّ أو اعتمر حتى يرى البيت من الصفا
والمروة ، ثم يستقبله منهما .

وعن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس عن الصفا والمروة أيهما قبل الآخر ؟
وعن الركنين قبل الطواف أو بعده ؟ وعن الحلق قبل الذبح أو بعده ؟ قال : خذوا ذلك
من كتاب الله عزَّ وجل : إن الله تبارك وتعالى يقول : « إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » ؛
فبدأ بالصفاء قبل المروة . ويقول : « وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » ؛
فبدأ بالطواف قبل الركوع . ويقول : « وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ » ؛
فالذبح قبل الحلق . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن ابن جرير أن إنسانا سأل عطاء : أيجزئ الذي يسمى بين الصفا والمروة

أَلَا يَرْزَقُ وَاحِدًا مِنْهُمَا ، وَأَنْ يَقُومَ بِالْأَرْضِ قَائِمًا ؟ قَالَ : إِيْهِ وَلِعَمْرِي وَمَالَهُ ؟ . أَضْرِبْهُ
لَأُزْرِقِي . وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : نَعَمْ ، مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْعَدُ عَلَى الصَّفَا
إِلَّا قَلِيلًا . أَضْرِبْهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

٥ — مَا جَاءَ فِيهَا يُقَالُ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ

تَقْدِمُ فِي حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ طَرَفٌ مِنْهُ .

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الصَّفَا كَبَّرَ ثَلَاثًا
ثُمَّ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
يَصْنَعُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبَدَعُوهُ ، وَيَصْنَعُ عَلَى الْمَرْوَةِ مِثْلَ ذَلِكَ . زَادَ فِي رِوَايَةٍ : « يُحْجِي
وَيُمَيِّتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ ... إِلَى آخِرِهِ ، فَكَبَّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ دَعَا مَا قُدِّرَ لَهُ ، ثُمَّ مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ ،
فَصَعِدَ فِيهَا ، ثُمَّ بَدَأَ الْبَيْتَ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... إِلَى آخِرِهِ ،
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَسَبَّحَهُ وَحَمَّده ، ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ فَعَلَ هَذَا حَتَّى فَرَغَ مِنَ الطَّوَافِ .
أَضْرِبْهُ النَّسَائِيُّ بِطَرَفِهِ .

وَعَنْ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَهُوَ عَلَى الصَّفَا يَدْعُو ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ :
« ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » ، وَإِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ كَمَا هَدَيْتَنِي لِلْإِسْلَامِ .
أَلَا تَنْزِعُهُ مِنِّي ، حَتَّى تَتَوَفَّانِي وَأَنَا مُسْلِمٌ . أَضْرِبْهُ فِي الْمُتَّفِقِ عَلَيْهِ . وَأَضْرِبْهُ مَالِكٌ .

وَعَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ دَعَائِهِ عَلَى الصَّفَا : اللَّهُمَّ اغْصِنِي بِدِينِكَ وَطَاعَتِكَ ، وَطَوَاعِيَةِ
رَسُولِكَ .. الدُّعَاءَ إِلَى آخِرِهِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي فَصْلِ الدُّعَاءِ عَقِيبَ رَكْعَتِي الطَّوَافِ . وَفِي رِوَايَةٍ
بِمِثْلِ قَوْلِهِ : « وَاغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَإِنَّكَ
لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ . اللَّهُمَّ إِذْ هَدَيْتَنِي لِلْإِسْلَامِ ، فَلَا تَنْزِعْ عَنِّي مِنْهُ ، وَلَا تَنْزِعْهُ مِنِّي ، حَتَّى تَتَوَفَّانِي
عَافِيَةً وَقَدْ رَضِيتَ عَنِّي . اللَّهُمَّ لَا تَقْدُمْنِي لِعَذَابٍ ، وَلَا تُؤَخِّرْنِي لِسَيِّئِ الْعِيشِ . أَضْرِبْهُ
سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ . وَأَضْرِبْهُ مَالِكٌ طَرَفًا مِنْهُ . وَأَضْرِبْهُ بِكَمَالِهِ ابْنُ الْمُنْذَرِ وَقَالَ : قَدْ رَوَى عَنْ
سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَالنَّخَعِيِّ أَنَّهُمَا قَالَا : الْفَيَّامُ عَلَى الصَّفَا قَدْرُ قِرَاءَةِ النُّجُومِ .

وعنه أنه كان يكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... إلى آخره ؛ يصنع ذلك سبع مرات ، ويصنع على المروة كذلك في كل شوط . أخرجه رزين فيما ذكر أنه متفق عليه . وأخرجه أبو ذر ، وزاد بعد قوله يصنع ذلك سبع مرات ، فذلك إحدى وعشرون تكبيرة ، وسبع من التهليل ، ويدعو فيما بين ذلك ويسأل ، ويصنع على المروة مثل ذلك . وفي رواية : ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن عمر أنه كان يعلم الناس بحكمة ويقول : إذا قدم أحدكم حاجا أو معتمرا فليطأ بالبيت سبعا ، وليصل ركعتين عند المقام ، ثم يبدأ بالصفاء ، فيقوم عليه ، ويستقبل البيت ، ويكبر سبع تكبيرات ، بين كل تكبيرتين حمد الله تعالى ، وثناء على الله ، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة لنفسه . وعلى المروة مثل ذلك . أخرجه أبو ذر ، وأخرج معناهما سعيد بن منصور .

قال الشافعي : أحب أن يخرج إلى الصفا من باب الصفا ، ويظهر عليه ، بحيث يرى البيت ، ويستقبل البيت ، فيكبر ويقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ؛ الله أكبر والله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، والحمد لله على ما هدانا وأولانا ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . ثم يدعو ويلجئ ، ثم يعود ويقول مثل هذا القول ، حتى يقوله ثلاثا ، ويدعو فيما بين كل تكبيرتين بما بدا له من دين ودنيا . أخرجه البيهقي في السنن والآثار .

٦ - ما جاء في رفع اليد بالذكر والدعاء على الصفا

تقدم في فصل رفع اليد بالدعاء عند رؤية البيت ، وفي الفصل قبله ما يدل عليه . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل مكة ، فأقبل إلى الحَجَر ، فاستلمه ، ثم طاف بالبيت ، ثم أتى الصفا ، فعلا حتى نظر

إلى البيت ، فرفع يديه ، فجعل يذكر الله ما شاء أن يذكره ، ويدعوه والأنصار تحته .
أُخبرم بغويّ في شرح السنة .

٧ — ما جاء فيما يُقال بين الصفا والمروة

عن أمّ سلمة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سعيه : رب اغفر وارحم ، واهدني السبيل الآقوم .

وعن امرأة من بنى نوفل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين الصفا والمروة : رب اغفر وارحم ، إنك أنت الأعزّ الأكرم . أُخبرمهما الملاً في سيرته .

وعن مسروق بن الأجدع ، عن ابن مسعود ، أنه اعتمر ، فلما خرج إلى الصفا بعد طوافه ، قام على شِقِّ في وسطها ، ثم استقبل بوجهه الكعبة ، ثم آتَى ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ؛ إن ناساً من أصحابك يَنْهَوْنَ عن التلبية هَاهُنَا قال : ولكنّي أمرُك به . هل تدري ما الإهلال ؟ إنما هو استجابة لربه عز وجل ، فقام عليه هُنَيْهَةً ، ثم نزل فمشى ومشيت ، حتى أتى إلى المسعى ، فسعى وسعيت معه ، حتى جاوز الوادي ، وهو يقول : رب اغفر وارحم ، إنك أنت الأعزّ الأكرم . ثم مشى حتّى انتهى إلى المروة ، فصعد عليها ؛ فاستقبل الكعبة ، وصنع مثل ما فعل على الصفا ، ثم طاف بينهما حتى أتم سبعة أطواف .
وعن شقيق قال : كان عبد الله إذا سعى في بطن الوادي قال : رب اغفر وارحم ، إنك أنت الأعزّ الأكرم . أُخبرمهما سعيد بن منصور .

٨ — ما جاء في شدة السعى في بطن الوادي

تقدم في حديث جابر الطويل أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل من الصفا إلى المروة ، حتّى إذا انصبّت قدماء رَمَل في بطن الوادي ، حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة .

وتقدم في فصل وجوب السعى حديث بنت أبي تجرة ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى حتى إن مِثْرَزه ليدور من شدة السعى .

وعن أم ولد شيبه بن عثمان ، أنها أبصرت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة ، ويقول : لا يقطع الأبطح إلا شداً . أخرجه النسائي .

وعن ابن الزبير : أنه كان يؤمى بين الصفا والمروة . وأخرجه المروى صاحب الغريب ، وفسره هو والأزهري بالسعى الشديد ، وقد مضى ذكره في فصل الرمل ، وفسره غيره بأنه لا يتكلم ، كأنه يؤمى على فيه ، فلا ينطق .

وعن ابن عمر أنه كان إذا أتى بطن الوادي سعى . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بالناسك عرض له الشيطان عند السعى ، فسابقه فسبقه . أخرجه أحمد في المسند .

وعن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس : أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكباً ، فإن قومك يزعمون أنه سنة ، قال : صدقوا وكذبوا ؟ قلت : وما قولك صدقوا وكذبوا ؟ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون : هذا محمد ، هذا محمد ، حتى خرج العواتق من البيوت . قال : وكان صلى الله عليه وسلم لا يضرف^(١) الناس بين يديه ، فلما كثر عليه ركب ، والسعى والمشى أفضل . أخرجه .

وجه الدلالة فيه قوله : والسعى والمشى أفضل . فالسعى في بطن الوادي ، والمشى فيما سواه . وأما ما يروى من قول ابن عباس : ليس السعى ببطن الوادي بين الصفا والمروة سنة ، إنما كان أهل الجاهلية يسمون ويقولون : لا نجيز البطحاء إلا شداً . أخرجه . فلا يريد أنه لا يسن السعى في بطن الوادي ، وإنما أراد - والله أعلم - أنه ليس بسنة أنشأها النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كانت من عمل الجاهلية ، فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم على ما كانت عليه ، فصارت سنة بالقرير ، وغيرها من السنن أنشأ فعلها . أو يريد بالسنة الواجب المجبور بالدم ، بدل عليه ما روى عنه أنه قال : ليس على من ترك الرمل شيء . أخرجه سعيد بن منصور .

(١) في رواية مسلم : لا يضرب .

٩ - ما جاء في أن السعى في بطن الوادى لا يستحب للنساء

تقدم في فصل الرمل ما يدل عليه .

وعن ابن عمر قال : ليس على النساء دخول البيت ، ولا سعى بين الصفا والمروة -
أُخرجه أبو ذر .

وعن عطاء وسئل : أيسعى النساء ؟ فأنكره نكرة شديدة .

وعن عائشة وقد رأت نساء يسعين : أما لكنّ فينا أسوة ، ليس عليكن سعى .
أُخرجهما الشافعي . والمراد أنّهن يمشين ولا يسعين ، إذ لا خلاف في وجوب السعى عليهن .

١٠ - ما جاء في ترك الرجل السعى في بطن الوادى للعذر

عن سعيد بن جبير ، قال : رأيت ابن عمر يمشي بين الصفا والمروة ، ثم قال : إن
مشيت ، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ؛ وإن سعت ، فقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى ؛ فأنا شيخ كبير . أُخرجه أبو داود والنسائي . وفي
رواية أنه قال : رأيت عمر أمير المؤمنين يمشي . وفي رواية أنه كان يقول لأصحابه : أرملوا ،
ولو استطعت الرمل لَرَمَلْتُ . أُخرجهما سعيد بن منصور .

١١ - ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم سعى ماشيا

تقدم في حديث جابر الطويل ما يدل عليه . وتقدم أيضا في وجوب السعى حديث
بنت أبي تجرة دليلا عليه . وتقدم في الفصل قبله حديث ابن عمر ، وبه استدلل النسائي
على مشيه صلى الله عليه وسلم ، وعليه بوثب .

١٢ - ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم سعى راكبا

تقدم في حديث أبي الطفيل في فصل شدة السعى في بطن الوادى ؛ وفيه دلالة عليه ،
وفي بعض طرقه : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعيره ، ليسمعوا
كلامه ، ويروا مكانه ، ولا تفاله أيديهم . أُخرجه البيهقي .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف في حِجَّة الوداع على راحلته بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ليراه الناس ، وليُشرف عليهم ، وليستلوه ، فإن الناس غشوه . أنهرهم مسلم . وفي رواية ولم يَطْفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طَوَافًا واحدًا . أنهرهم مسلم وابن حزم في صفة الحج الكبرى ، واستدل به النسائي على ركوبه صلى الله عليه وسلم في السعى ، وعابه بَوَّاب .

وعن قدامة بن عبد الله بن عَمَّار قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى بين الصفا والمروة على بعير ، لا ضرب ، ولا طرد ، ولا إليك إليك . أنهرهم البغوى في شرح السنة . وقوله إليك إليك : نحو قول القائل : الطريق الطريق .

في هذه الأحاديث دلالة ظاهرة على ركوبه صلى الله عليه وسلم في السعى ، والأحاديث المتقدمة في الفصل قبله وحديث جابر الطويل يدل على مشيه ، فيحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم مشى في طوافه على مادل عليه بعض الأحاديث ، ثم خرج إلى السعى ماشيا ، فسعى بعضه ماشيا ، ورأته بنت أبي تجرة إذ ذاك ، ثم لما كثر عليه ركب ناقته . ويؤيد ذلك قول ابن عباس : وكان صلى الله عليه وسلم لا يُشرف الناس بين يديه ، فلما كثر عليه ركب ، والسعى والمشى أفضل ، فإن سياقه دال على أن الركوب كان في أثناء السعى حين كثر الناس عليه فيه . وذهب ابن حزم في كتابه المشتمل على صفة الحج الكبرى ، إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان راكبا في جميع طوافه بين الصفا والمروة ، عملا بحديث جابر هذا . قال : وما رواه في حديثه الطويل من أنه صلى الله عليه وسلم لما انصبت قدماه في بطن الوادى رَمَل ، ليس بمعارض لما ذكرناه ، لأن الراكب إذا انصب به بعيره ، فقد انصب جميع بدنه ، وانصبت قدماه أيضا مع سائر جسده ، وكذلك الرمل ، يُعْتَقَى به رَمَل الدابة براكبا ، ولم يَطْفُ صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة في تلك الحجة إلا مرة واحدة ، وذكر في الحديث أنه كان فيه راكبا ؛ قال : ولا يُقَطَّعُ بأن طوافه صلى الله عليه وسلم بالبيت الأول كان راكبا ، لأنه صلى الله عليه وسلم طاف في تلك الحجة مرارا ، منها طوافه الأول ، وطواف الإفاضة ، وطواف الوداع ، فالله أعلم أى تلك

الأطواف كان راكبا، وظاهر حديث ابن عباس يرد هذا التأويل، وحديث بنت أبي تجرة يُصَرِّح برده، والختار فيه ما تقدم ذكره، جمعا بين الأحاديث كلها. وأما ركوبه في الطواف بالبيت، فكان في طواف الإفاضة. ويدل على ذلك ما أخرجه الشافعي في مُسنَّده عن طاووس، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يُهَجِّروا بالإفاضة، وأفاض هو في نساته ليلا على راحلته، يستلم الركن بِمَحْجَتِهِ، أَحْسِبُهُ قَالَ: وَيُقَبِّلُ طَرَفَ الْمِحْجَنِ، ويكون قولُ جابر المتقدم في هذا الفصل: «طاف على راحلته بالبيت، وبين الصفا والمروة»، محمولا على طواف الإفاضة، والسعى بعد طواف القدوم، وجمع بينهما لوقوع الركوب فيهما. وأما قول ابن عباس في حديث أبي الطفَّيل: «والسعى والمشى أفضل» فيدل على جواز الركوب مطلقا دون عذر، لأنه لا يقال في حق غير القادر على المشى: المشى أفضل وإنما يقع التفضيل عند القدرة على الركوب. نعم يُكْرَهُ الركوب عند القدرة على المشى، ولا شيء عليه. وقد رُوِيَ عن أنس، أنه كان يسعى بين الصفا والمروة راكبا على حماره.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: أول من ركب بين الصفا والمروة معاوية، أمرهم سعيهم سعيد بن منصور، ونقل أصحاب مالك أن من سعى راكبا من غير عذر، أعاد إن لم يفت الوقت، وإن فات فعليه دم. وكذلك قال أبو حنيفة: إن سعى راكبا من غير عذر، وأمكنه أن يعيده أعاد، وإن رجع إلى بلده أجزأه، وعليه دم. ويقولون: إنما سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم راكبا، لما تَضَمَّنَهُ الحديث من العذر، وهو كثرة الناس وغشيانهم له، والحجة عليهم ما ذكرناه.

وعن عروة أنه كان إذا رأى من يطوف على دابة قال: خاب هؤلاء وخسروا. أمرهم رزين فيما ذكر أنه مُتَّفَقٌ عليه.

وعن علي عليه السلام، أنه كان يقول: من كان لا يستطيع المشى بين الصفا والمروة فليركب دابة، وعليه دم. أمرهم سعيد بن منصور. وهذا مذهب ثالث.

١٣ - ماجاء في الاضطباع في السعى

عن بعض بنى يعلى بن أمية ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مُضطبعا بين الصفا والمروة ببُزْدٍ نجراني . أخرجه أحمد في المسند .

تفسير الاضطباع تقدم في فصله من باب الطواف ، وهو سنة عندنا في الطواف ، وكذا في السعى على المشهور . وحكى المروزة من أصحابنا في استحبابه في السعى وجهين . ومذهب أحمد أنه لا يضطبع فيه . إذا تقرر ما ذكرناه ، فيُشترط في صحة السعى الترتيب ، فيبدأ بالصفا ، ثم بالمروة ، فلو عكس لم تُحسب تلك الطوفة حتى يأتي الصفا والعرد ، فلا بد من استكمال سبعة أطواف ؛ يبدأ بالصفا ، فإذا انتهى إلى المروة كانت واحدة ، ثم من المروة إلى الصفا ثانية هكذا ، إلى أن يختم بالمروة . وروى عنه بعد طواف ما ، فلو قدمه على الطواف لم تجزه . وما عدا ذلك مما ذكرناه فهو سنة إلا الارتقاء على الصفا على وجهه ، فيكون على هذا الوجه شرطا للصحة ، ولا يُجبر بالدم ، لأنه على هذا لا يكمل الركن إلا به ، فكان حكمه حكمه .

١٤ - ماجاء في أنه لا يشترط الطهارة في السعى

عن عائشة وأم سلمة ، أنهما كانتا تقولان : إذا طافت المرأة بالبيت ، وصلت ركعتين ثم حاضت ، فلتطُف بالصفا والمروة . أخرجه سعيد بن منصور .

هذا الحديث مُصرِّح بعدم اشتراط الطهارة في السعى . وأما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة المتقدم ، في فصل اشتراط الطهارة في الطواف : افعلى مايفعل الحاج غير ألا تطوف بالبيت ، ولا بين الصفا والمروة حتى تطهرى ، فالمنع هنا إنما كان لاشتراط تقدم طواف عليه ، فهي ممنوعة منه لأجل اشتراط الطهارة فيه نفسه ، يدل على ذلك سقوط ذكر الصفا والمروة من حديث ابن عباس المتقدم في الفصل المذكور .

١٥ — ما جاء فيمن وصَّع في ترك الموالاة

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سعى بين الصفا والمروة ، فتوضأ ، وجاء فبنى على مامضى .

وعن نجاح ، أنه كان لا يرى بأساً أن يستريح الرجل إذا كان يسعى بين الصفا والمروة .
وقال : حدثني رجل أن سودة بنت عبد الله بن عمر ، امرأة عروة بن الزبير ، سعت بين الصفا والمروة ، فقضت طوافها في ثلاثة أيام ، وكانت ضخمة أهدمها سعيد بن منصور .
ولمن مَنع ذلك أن يقول : هذا التفريق للعذر ، ولا دليل على إطلاق الجواز .

الباب السابع عشر

في التوجه من مكة إلى منى ، ثم إلى المزدلف ، ومنه ذلك

١ - ماجاء في خطبة الإمام يوم السابع

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين رجع من عُمرَةِ الجُمُرَانَةِ ، بعث أبا بكر على الحجِّ ، فأقبلنا معه ، حتى إذا كان بالعُرجِ ثَوَّبَ بالصُّبْحِ ، فلما استوى لِيُكَبِّرَ ، سمع الرِّغْوَةَ خلف ظهره ، فوقف على التكبير ، فقال : هذه رَغْوَةُ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الجُدْعَاءِ ، لقد بَدَأَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في الحجِّ ، ولعلَّه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنصلى معه ، فإذا علىَّ عليها ، فقال له أبو بكر : أميرٌ أم رسول ؟ قال : لا ، بل رسول ، أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم براءة ، أقرؤها على الناس في مواقف الحج . فقدِمْنَا مَكَةَ ، فلما كان قبل يوم التَّروِيَةِ بيوم ، قام أبو بكر فخطب الناس ، فحدَّثهم عن مناسكهم ، حتى إذا فرغ قام علىَّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ، ثم خرجنا معه حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فحدَّثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام علىَّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فأفضنا فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدَّثهم عن مناسكهم فلما فرغ قام علىَّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يومُ النَّفَرِ الأوَّلِ ، قام أبو بكر فخطب الناس ، فحدَّثهم كيف يَنْفِرُونَ ، وكيف يَرْمُونَ ، ففعلَهمُ مناسكهم ، فلما فرغ قام علىَّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . أنهرجه النسائي . وفيه دلالة على الخطب الأربع المسنونة في الحج .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان قبل التَّروِيَةِ بيوم ، خطب الناس وأمرهم بمناسكهم . أنهرجه ابن المنذر في كتاب الاقتصاد ، والملا في سيرته . وزاد : وأمرهم بالخروج إلى مِنَى من الغد . وقال في خطبته : من استطاع منكم أن يصلى الظهر بِمِنَى من يوم التَّروِيَةِ فليُفعل .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب وظهره إلى المنتزم . أنهرمه أحمد ، ورواه الشافعى عن الحسن بن مسلم . قال : وافق يوم التروية يوم جمعة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة ، وأمر الناس أن يروحووا إلى منى ، وراح فصلى بمنى الظهر . قال البيهقى : هذا حديث منقطع . وحديث عمر بن الخطاب : أن يوم عرفة وافق يوم الجمعة ، حديث موصول ثابت ، فهو أولى من هذا .

واعلم أن فى الحج أربع خطب . أولاهن : يوم السابع من ذى الحجة بعد الظهر ، خطبة واحدة . قاله البغوى وغيره ، يأمر الناس فيها بالغدو إلى منى ، أو بالرواح على ما سيأتى بيانه . والثانية : بعرفات بعد الزوال ، قبل الصلاة ، خطبتين . والثالثة : يوم النحر ، خطبة واحدة بعد صلاة الظهر بمنى ، يبين فيها حكم الرمنى والنحر . والرابعة : يوم النفر الأول ، بعد صلاة الظهر ، خطبة واحدة ، يؤدع فيها الحاج ، ويعلمهم جواز النفر وشرطه . وسيأتى بيان كل واحدة منها فى موضعها إن شاء الله تعالى . وجملة الخطب للمشروعة عشر : خطبة الجمعة ، والعيدين ، والكسوفين ، والاستسقاء ؛ وأربع خطب فى الحج ، وكلها سنة إلا خطبة الجمعة ، وكلها بعد الصلاة إلا خطبة الجمعة وخطبة عرفة ، وكلها أشفاع إلا ثلاثا : خطبة يوم السابع ، ويوم النحر ، ويوم النفر .

٢ - ما جاء فى وقت التوجه إلى منى من يوم التروية

تقدم آنفا فى الفصل قبله من رواية ابن عمر ، أمره صلى الله عليه وسلم بالغدو فيه إلى منى والرواح فى رواية ابن عباس والحسن بن مسلم ، وتقدم فى حديث جابر الطويل ، أنه صلى الله عليه وسلم توجه قبل صلاة الظهر ، وصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وعن رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه راح إلى منى يوم التروية ، وإلى جانبه بلال بيده عود ، عليه ثوب يظل به رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنهرمه أحمد . وقال الشافعى ، فى رواية أبى سعيد : راح النبي صلى الله عليه وسلم يوم التروية بعد الزوال ، فاتى منى ،

فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح . وذكر ابن المنذر في كلام له على حديث جابر الطويل عن ابن عباس ، أنه قال : فإذا زاغت الشمس فليُرح إلى مَنى . وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم التَّروية بمنى ، وصلى العصر يوم النَّفر بالأنطاح . أخرجه . وقال البخاري : صلى الظهر والعصر يوم التروية بمنى .

والظاهر من سياق حديث جابر وأنس ، أن توجُّهه صلى الله عليه وسلم كان قبل الزَّوال ، كما أمر في حديث ابن عمر المتقدم .

وذكر أبو سعد في شرف النبوة ، أن خروجه صلى الله عليه وسلم كان يوم التروية ضَحوة النهار وهذا يدلُّ على استحباب الغدو من الغد .

وأخرج المُلَّا في سيرته أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى منى بعد ما زاغت الشمس ، وطاف بالبيت أسبوعاً ، متوجهاً إلى مَنى ، ولما توجه كان إلى جانبه بلال ، بيده عود ، عليه ثوب يظله من الشمس ، وأنه نزل بمنى عند موضع دار الإمارة اليوم . وهذا مغاير لما تقدم في فصل المنزل بمكة أنه صلى الله عليه وسلم لم يَقْرَب البيت بعد طواف القدوم حتى رجع من عرفة ، وموافق لما ذكرناه آنفاً من رواية الإمام أحمد ، وفيهما وفي حديث ابن عباس المتقدم ، في الفصل المتقدم . وفي هذا الفصل وفي حديث الحسن بن مسلم ، وقول الشافعي ، ما يدل على استحباب الرواح بعد الزوال . ويمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم تَأَهَّب للتوجه ضَحوة النهار ، وتوجَّه في أوَّل الزوال ، ويكون أمره بالرَّواح ، على ما تقدم ، للرَّاح الحِفَة ، الذي يصل إلى مَنى قبل فوات الصلاة ؛ وأمره بالغدو للمأثي ، أو لذى النَّقْل ، أو يكون أمر بهما توسعة فيهما ، فالتوجه إلى مَنى مخير بين الغدو والرواح لذلك . وقد اتفقت الروايات كلها على أنه صلى الله عليه وسلم صلى بها الظهر والعصر ، وقد تقدم في الباب الأول في فصل حجّ الأنبياء ، أن إبراهيم لما حج بإسماعيل عليهما السلام ، صلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى ، ثم بات بها حتى أصبح ، وصلى بها الغداة ، ثم غدا به إلى نَمِرة ، فقال به هالك . فلو وافق يوم التَّروية يوم الجمعة ، فينبغي أن يخرج قبل الفجر ،

ثلاثا تلزمه الجمعة على قول بطول الفجر ، وإن أقام إلى الزوال لزمت قولاً واحداً ،
وَتَعَيَّنَتْ على جميع أهل البلد ، إذا وُجد شرطها . واختلفت في تسمية ذلك اليوم يوم
التروية ، فقيل : مشتق من الرواية ، لأن الإمام يُروى الناس مناسكهم . وقيل من
الارتواء ، لأنهم يرتوون الماء في ذلك اليوم ، ويجمعونه بمنى . وقيل : من الروية ،
وهى الفكر ، لأن إبراهيم عليه السلام أرى ليلة الثامن ذبح ولده ، فأصبح يتروى في ذلك ،
أى يفكر فيه .

وأما منى فسميت بذلك لما يُراق فيها من الدماء ، من منى يمضى : أى أراق .
ومنه : « من نطفة إذا نمتنى » ، أى تُصَب وتُراق .

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رجلاً سأل : لم سُميت
منى ؟ فقال : لما يقع فيها من دماء الذبائح وشمور الناس ، تقرباً إلى الله تعالى ، وتمنياً للأمان
من عذابه . أخرجه أبو الفرج في مثير الغرام .

٣ - ما جاء في فضل إحياء ليلة التروية

عن مُعَاذ بن جَبَل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أَحْيَا الليالي
الأربع ، وجبت له الجنة : ليلة التروية ، وليلة عرفة ، وليلة النحر ، وليلة الفطر . أخرجه
الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام .

٤ - ما جاء في فضل يوم التروية

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من
صام العشر فله بكل يوم صوم شهر ، وله بصوم يوم التروية سنة .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
يحب السماء ، يعنى الغناء ، فكان إذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائماً ، فانصل الحديث
بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فأحضر الرجل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما حلتك على
صيام هذه الأيام ؟ فقال : يا رسول الله ، إنها أيام الحج ، فأحييت أن يُشركنى الله عز وجل

في دعائهم . فقال صلى الله عليه وسلم : لك بعدد كل يوم تصومه عِتْقُ مِئَةِ رَقَبَةٍ ، ومِئَةِ بَدَنَةٍ تُهْدِيهَا ، ومِئَةِ فَرَسٍ تَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فإذا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ فَلكَ عِتْقُ أَلْفِ رَقَبَةٍ وَأَلْفِ بَدَنَةٍ تُهْدِيهَا وَأَلْفِ فَرَسٍ تَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِزَّ وَجَل ، فإذا كَانَ يَوْمَ عَرَفَةِ فَلكَ عِتْقُ أَلْفِي رَقَبَةٍ ، وَأَلْفِي بَدَنَةٍ تُهْدِيهَا ، وَأَلْفِي فَرَسٍ تَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِزَّ وَجَل ، وصِيَامُ سَنَةٍ قَبْلَهُ وَسَنَةٍ بَعْدَهُ . أَضْرِبْهُمْ الحَافِظُ أَبُو الفَرَجِ فِي مُتَعِيرِ الْفَرَامِ .

٥ - ما جاء فيمن خرج إلى منى قبل يوم التَّروية

عن الحسن أنه كان يخرج إلى منى من مكة قبل التروية بيوم أو يومين أَضْرِبْ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

٦ - ما جاء في التوجه من منى إلى عَرَفَةِ ، وما يقال حينئذ

تقدم في حديث جابر الطويل ، أن توجهه صلى الله عليه وسلم كان بعد طلوع الشمس . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مِثْنَى إِلَى عَرَفَاتٍ ، مِنْهُمَا الْمَكِّيُّ ، وَمِنْهُمَا الْمَكْبَرُ .

وعنه : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ عَرَفَةِ ، مِنْهُمَا الْمَكْبَرُ وَمِنْهُمَا الْمُهِلُّ . فَأَمَّا نَحْنُ فَنَكْبَرُ . وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ يُهْلُ الْمُهِلُّ فَلَا تُنْفَكِرُ عَلَيْهِ ، وَيَكْبَرُ الْمَكْبَرُ فَلَا تُنْكَرُ عَلَيْهِ . أَضْرِبْهُمْ الشَّيْخَانِ . وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى التَّكْبِيرِ مِنْ صَبَاحِ يَوْمِ عَرَفَةِ .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الصبح غداة عَرَفَةَ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : عَلَى مَكَانِكُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . فَيُكَبِّرُ مِنْ غَدَاةِ عَرَفَةِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ آخِرَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ . أَضْرِبْهُمْ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ . وَقَالَ : فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ . رَأَيْتُ الْبَغَوِيَّ ، وَقَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ « وَلِلَّهِ الْحَمْدُ » : ثُمَّ يَكْبَرُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ، مِنْ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ .

وعن عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَكْبَرُ عَقِيبَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَوْمَ عَرَفَةِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلٌ ، اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا . أَضْرِبْهُمْ الْبَغَوِيُّ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يكبر من صلاة الغداة يوم عرفة إلى صلاة العصر يوم النحر . أخرجه البيهقي أيضا .

وعن عبد الله بن سحبرة قال : غَدَوْتُ مع عبد الله بن مسعود مِنْ مَنَى إِلَى عرفات ، قال : وكان يُلَبِّي . قال : وكان عبدُ الله رجلاً آدمَ لَهُ ضَفِيرَتَانِ ، عَلَيْهِ مَسْحَةٌ أَهْلُ الْبَادِيَةِ . قال : فاجتمع عليه غَوَغاءُ النَّاسِ ، وقالوا : يَا أعرابي ، إن هذا ليس بيوم تَلْبِيَةٍ . إنما هو يوم تكبير ، فعند ذلك التفتَ إِلَى وقال : أَجْهَلُ النَّاسُ أَمْ نَسُوا ؟ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَقَدْ خَرَجْتُ مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا تَرَكَ التَّلْبِيَةَ حَتَّى رَمَى جُمُرَةَ الْعَقَبَةِ ، إِلَّا أَنْ يَخْلُطَها بِتَكْبِيرٍ أَوْ تَهْلِيلٍ . أخرجه أَبُو ذَرٍّ : وَلَا تَضَادَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ أَنَّمَا مِنَ التَّكْبِيرِ غَدَاةُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، لَجَوَازِ أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا .

شرح — آدم ، الأذمة في الناس : السمرة الشديدة . قيل هي من أذمة الأرض ، وهو لونُها ، وبه سَمِيَ آدم عليه السلام . والأذمة في الإبل : البياض مع سوادِ المقاتين ، يقال : بعير آدمُ بَيْنَ الْأَذْمَةِ ، وَنَاقَةٌ أَذْمَاءُ ، وقوله « مَسْحَةٌ أَهْلُ الْبَادِيَةِ » أَيْ أَثَرُ ظَاهِرٍ ؛ يُقَالُ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ جَمَالٍ ، وَمَسْحَةٌ مُلْكٍ ، وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْمَدْحِ . وَ« غَوَغاءُ النَّاسِ سَفَلَتُهُمْ » ، وَأَصْلُهُ : الْجَرَادُ حِينَ يَخْفُفُ لِلطَّيْرَانِ ، يُقَالُ لَهُ غَوَغاءُ ، ثُمَّ اسْتَعْبِرَ لِلسَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَالْمُسْرِعِينَ إِلَى الشَّرِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْغَوَغاءِ الصَّوْتُ وَالْجَلْبَةِ ، لِكَثْرَةِ لَفْظِهِمْ وَصِيَاحِهِمْ .

٧ — ما جاء في النزول بنمرة

تقدم في حديث جابر الطويل نزُوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا .
وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : غَدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ عَرَفَةَ ، حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ ، فَنَزَلَ بِنَمْرَةٍ ، وَهُوَ مَنْزِلُ الْإِمَامِ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ بِعَرَفَةَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَجِّراً ، فَجَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ ، ثُمَّ رَاحَ فَوَقَّفَ عَلَى الْمَوْقِفِ مِنْ عَرَفَةَ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ نَمْرَةَ مِنْ عَرَفَةَ ، وَهِيَ فِي عُرْنَةٍ ، فَيَحْتَجُّ بِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ عُرْنَةَ مِنْ عَرَفَةَ ، وَعِنْدَنَا لَيْسَتْ مِنْهَا ، وَسَيَأْتِي تَمَّةُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْفَصْلِ بَعْدَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَوْلُهُ « مُهَجِّراً » : أَيْ فِي وَقْتِ الْمَاجِرَةِ ، وَالْمَاجِرَةُ : اسْتِدَادُ الْحَرِّ عِنْدَ نِصْفِ النَّهَارِ .

الباب الثامن عشر

في الرقرف بمرقة

١ — ما جاء في مكان الوقوف ، وبيان موقف النبي صلى الله عليه وسلم

تقدم في حديث جابر الطويل ، أنه صلى الله عليه وسلم أتى الموقف ، وجعل بطن ناقته إلى الصَّخَرَاتِ ، وجعل حَبْلُ المِشَاءِ بين يديه ، وتقدم الكلام عليه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يَقِفُونَ بِالْمَزْدَلِغَةِ ، وكانوا يُسَمِّنُونَ الحُمْسَ ، وكان سائر العرب يَقِفُونَ بِعَرْقَةِ ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ، فيقف بها ، ثم يُفِيضَ منها ، فذلك قوله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » . أخرجه .

نمرح — الحُمْسَ ، بضم الحاء المهملة ، وسكون الميم ، وبعدها سين مهملة : هم قريش ومن وَلَدَتْ من غيرها . وقيل قُرَيْشٌ ومن وَلَدَتْ وأحلافها . وقيل : قريش ومن ولدت قريش ، وكنانة ، وجذيلة قيس . وكانوا إذا أنكحوا امرأة منهم غريبا ، اشتراطوا عليه أن ولدها على دينهم ، ودخل في هذا الاسم من غير قريش ثقيف وليث بن بكر وخزاعة وبنو عامر بن صعصعة ، وسُمُّوا حُمْسًا لأنهم تَحَمَّسُوا في دينهم ، أي شددوا ، وكانوا يَقِفُونَ بِالْمَزْدَلِغَةِ ، ولا يخرجون من الحرم ، ويقولون : نحن أهل الحرم ، فلا نخرج من حرم الله تعالى ؛ وتابِعَهُمْ على ذلك كنانة وجذيلة قيس ، ولا يستظلون أَيَّامَ مِنَى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم مُحْرَمُونَ ، ولا يَلْبَسُونَ صُوفًا ولا شَعْرًا ولا وَبْرًا . وقيل : سُمُّوا حُمْسًا لشجاعتهم ؛ والحُماسة : الشجاعة : وقيل سُمُّوا حُمْسًا بالكسبة ، لأنها حُمْسَاءٌ لونها ، حجرها أبيض يقرب إلى السواد .

وقريش : اختلف فيه . فقال أكثر الناس : كل من كان من ولد النَّضر بن كِنانة

فهو قُرَيْشِي . وقال بعضهم : أبو قُرَيْشٍ فِهْرٌ ؛ ومن لم يكن من ولد فِهْرٍ فليس من قُرَيْشٍ .
واختلفوا في سبب تسميتهم قُرَيْشًا ، فقيل : لأنهم كانوا يُفْتَشُونَ الحاجَّ عن خَلَتِهِمْ ،
فيقطعون الجَارِعَ ، ويَكْسُونَ العَارِي : ويَحْمِلُونَ المُنْقَطع . والتقْرِيش : التَّفْتِيش . وقيل :
القَرَشُ الكسب ، وبه سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ . وقيل : لغلبيهم غيرهم ، سُمُّوا بدابة في البحر ،
تَأْكُلُ دوابَّ البَحْرِ . وأنشد :

وقُرَيْشٌ هي التي تسكن البحر — به سميت قريش قريشا —

وقيل : لاجتماعها في مكة ، بعد تفرقها في البلاد . وذلك أن قُصَيًّا كان قاصيًا عن
قومه في قُضَاعَةٍ ، ثم قَدِمَ وقُرَيْشٍ متفرقون ، فجاءهم إلى الكعبة ، فسمى مجتمعا .
والتجَميع : التقْرِيش . وقيل لجَمْعِهِم المَالَ بالتجارة . وقيل : سُمُّوا بالإفراش ، وهو وقوع
الرماح بعضها على بعض ؛ وقيل سُمِّيَتْ بقُرَيْشٍ بنَ مُحَمَّدٍ ^(١) ، وكان صاحبَ عيرهم ، وكانوا
يقولون : قدمت عِيرُ قُرَيْشٍ ، وخرجت عِيرُ قُرَيْشٍ ، فسميت بذلك . والمُزْدَلِفَةُ : تقدم
شرحُها في حديث جابر الطويل . وقوله « عَرَافَات » : هي عِلْمُ المَوَاقِفِ والنَّاءِ ليست للتأنيث .
قاله الزمخشري . وقال السَّكْرَمَانِي : التَّنْوِينُ عَوْضٌ مِنَ النُّونِ فِي الزَّيْدِينَ ، واختاره شيخنا
ابنُ أَبِي الفَضْلِ . وقد قيل كلُّ بُقْعَةٍ فِيهَا تَسْمَى عَرَافَةً ، فحى جَمْعُ حَقِيقَةٍ . وقوله « ثُمَّ أَفِيضُوا
مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » : قيل المرادُ بالنَّاسِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وقيل : لإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
وقيل : سائر العرب . والمعنى : ثُمَّ لَتَسْكُنَنَّ إِفَاضَتُكُمْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ، لَا مِنْ
الْمُزْدَلِفَةِ . وذلك رَدُّ لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، أَيْ لَا يَسْكُنَنَّ لَكُمْ إِفَاضَةٌ إِلَّا مِنْ هُنَاكَ ؛ وَأَتَى
بِثَمٍّ لَتَفَاوَتْ مَا بَيْنَ الْإِفَاضَتَيْنِ ، وَأَنْ إِحْدَاهُمَا صَوَابٌ ، وَهِيَ لِلْأُمُورِ بِهَا ، وَالْأُخْرَى خَطَأٌ .
ومثله فِي الْمَعْنَى قَوْلُكَ أَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ ، ثُمَّ لَا تُحْسِنَنَّ إِلَى غَيْرِ كَرِيمٍ . فَأَتَى بِثَمٍّ لَتَفَاوَتْ
مَا بَيْنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْكَرِيمِ وَغَيْرِهِ ، وَبُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا . وقيل معناه : ثُمَّ أَفِيضُوا مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ
إِلَى مَنَى ، بَعْدَ الْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَافَةٍ ، وَيَكُونُ النَّاسُ قُرَيْشًا .

(١) قريش بن محمد بن غالب بن فهر . (كذا في لسان العرب) .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : وقفتُ هاهنا وعرفة كلها موقف .
أُضْرِبُ مُسْلِمَ وَمَالِكَ . وزاد : وارتفعُوا عن بطن عُرْنَةٍ ؛ وَالْمُزْدَلِفَةُ كُلُّهَا موقف ، وارتفعُوا
عن بطن مُحَسَّرٍ . وأُضْرِبُ الطَّحَاوِيَّ ، عن ابن عباس ، وزاد : وشعابُ مكة كلها
مَنْجَرٌ . وأُضْرِبُ أَبَوَذَرَ معناه عن علي عليه السلام ، وذكر فيه أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم
وقف بعرفة وهو مُرْدِفٌ أُسَامَةَ .

وعن عبد الله بن الزُّبَيْرِ أنه كان يقول : اعلموا أَنَّ عرفة كُلُّهَا موقف إلا بطن
عُرْنَةٍ ، وَأَنَّ مُزْدَلِفَةَ كُلِّهَا موقف إلا بطن مُحَسَّرٍ . أُضْرِبُ مَالِكَ .

وعن يزيد بن شَيْبَانَ ، أنهم كانوا في موقف بعرفة ، بعيد من موقف الإمام ،
فإذا هم بآبِنِ مِرْبَعِ الْأَنْصَارِيِّ ، فقال لهم : إني رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْفُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ عَلَى إِزْثٍ مِنْ إِزْثِ إِبْرَاهِيمَ . أُضْرِبُ أَبُو دَاوُدَ
وَالنَّسَائِيَّ وَالتِّرْمِذِيَّ ، وقال : حديث حسن . وابن ماجه

وعن ابن عمر قال : غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مِنًى حين صلى الصبح ،
فنزل بمنزله ، وهو منزل الإمام الذي ينزل فيه بعرفة . أُضْرِبُ أَبُو دَاوُدَ . وذكره ابنُ حَزْمٍ ،
وقد تقدم في باب صفة حجِّ النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الرحمن بن عوف أنه كان يقف بين يدي الموقف بعرفات . أُضْرِبُ
سَعِيدَ بْنِ مَنْصُورٍ .

شرح — ابن مِرْبَعٍ : بكسر الميم ، وسكون الراء المهملة ، وفتح الباء ، الموحدة وتخفيفها ،
واسمه يزيد . والشاعر : العالم ، ومواضع التَّسْكُكِ . والمشرع الحرام : أحد المشاعر ، من قولك
شَعَرْتُ بِالشَّيْءِ ، أَيْ عَلِمْتُهُ ، ومنه « لَيْتَ شِعْرِي » : أَيْ لَيْتَنِي أَعْلَمُ هَلْ يَكُونُ كَذَا
وَكَذَا . والمراد : قِفُوا بعرفة خارج الحرم ، فإن إبراهيم عليه السلام هو الذي جعلها مَشْعَرًا
وموقفًا للحاجِّ ، فهي كلها موروثه عنه ، وأنتم على حظ منها ، حيث كنتم . واتفق العلماء
على أنه لا موقف إلا عرفة ، ولا موقف في عُرْنَةٍ : واختلفوا إذا خالف ووقف بعُرْنَةٍ ؛ فعمدنا
لأَبِي صَحٍّ وقوفه ، وعند مالك يصح ، حكاه ابن المنذر . وعُرْنَةٍ ، بضم العين المهملة ، وبضم

الراء المهملة وفتحها ، وهو الأشهر عند مالك : من عَرَفَة . قال ابن حبيب : ومنه مسجدُ عَرَفَة ، وهو من الحرم ، وهذا لا يصح ، بل هو خارج من الحرم ، والمسجد بعضه في عُرْنَة وبعضه في عَرَفَة . قال الشافعي في الأوسط من مناسكه : وعُرْنَة : ماجاوز وادى عَرَفَة ، وليس الوادى ولا المسجد منها ، إلى الجبال القابلة مما بلى حوائط ابن عامر وطريق الحَضْن ، وماجاوز ذلك فليس من عُرْنَة ؛ حكى ذلك صاحب الشامل ، وحكى الشيخ أبو حامد الإسفرائني أن الشافعي قال في القديم : وعَرَفَة ما بين الجبل المشرف ، إلى الجبال القابلة يميننا وشمالا ، ثم قال : أعنى الشيخ أبا حامد : والجبل المشرف جبل الرحمة . وحكى القولين صاحبُ الذخائر ، وقال في الثاني : وهذا موافق للقول الأول . وقال صاحب البيان : حد عَرَفَة : ما بين الجبل المشرف على بطن عُرْنَة إلى الجبال القابلة يميننا وشمالا ، مما يوالى حوائط ابن عامر وطريق الحَضْن . وروى الأزرقي بسنده عن ابن عباس ، أنه قال : حد عَرَفَة من الجبل المشرف على بطن عُرْنَة إلى أجبال عَرَفَة ، إلى وصيق ، إلى ملتي وصيق ، إلى وادى عُرْنَة .

وقد تقدم الكلام في عُرْنَة . ووصيق : بواو مفتوحة ، وصاد مهملة وقاف ؛ والحَضْن ، بحاء مهملة مفتوحة ، وضاد معجمة مفتوحة ، وهو اسم جبل ^(١) . قال إمام الحرمين في النهاية : وَيُطِيفُ بمنعرجات عَرَفَة جبال وجوهها المقبلة من عَرَفَة . وقال أبو زيد البلخي : عَرَفَة : ما بين وادى عُرْنَة إلى حائط ابن عامر ، إلى ما أقبل على الصَّخَرَات التي يكون بها موقف الإمام ، إلى طريق حَضْن . وقال : حائط ابن عامر عند عُرْنَة ، وبقربه المسجد الذي يجمع الإمام فيه الظهر والمصر ، وهو حائط نخل ، وفيه عين تُنسب إلى عبد الله بن عامر بن كُرَيْز .

قلت : وهو الآن خراب . وهذا المسجد يقال له مسجد إبراهيم ، ويقال له مسجد عُرْنَة ، بالنون وضم العين ، كذلك قيده ابن الصلاح في منسكه . وللتعارف فيه عند أهل مكة وتلك الأمكنة : مسجد عَرَفَة ، بالفاء . وحدد بعض أصحابنا عَرَفَة فقال : الحد الواحد منها : ينتهى إلى جادة طريق المشرق ، وما إلى الطريق . والحد الثاني : ينتهى إلى حافات

(١) الحَضْن ، بال : ناحية الجبل ، وليس اسم جبل ، ويؤيده قول إمام الحرمين ، الذى ذكره المؤلف . وفى نجد جبل يقال له حَضْن ، بالتحريك ، بدون أل .

الجبل الذى وراء أرضِ عَرَفات. والحدُّ الثالث : ينتهى إلى الحوائط التى تلى قَرْيَةَ عرفة ، وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة إذا صلى بعرفة . والحد الرابع : ينتهى إلى وادى عُرنة واختلِف فى تسمية ذلك الموضع عرفة . فقيل : لأن جبريل عليه السلام قال لإبراهيم فى ذلك الموقف : بعد فراغه من تعليم المناسك : عرفت ؟ قال : نعم . وقيل لأن حواء وآدم اجتمعا فيه وتعارفا . وقيل : لأن الناس يتعارفون فيه . وقيل : لأنهم يَعتَرِفون فيه بذنوبهم . وقيل : لأن الله عزَّ وجلَّ يُعَرِّفُهُم البرَّكة والرحمة فيه . إذا تقرر ذلك فسَهِّل تلك المواضع وجبلها من عرفة . وليس وادى عُرنة عندنا منها ، وهو مماليى مكة فى طَرَفِ عَرَفات ، يقطعه من يحمى من مكة إلى عرفة ، ومسجد إبراهيم عندنا : صدره فى الوادى ، وأخراياته فى عرفة ، فمن وقف فى صدره فليس واقفا بعرفة . ويتميز حَدُّ عرفة فيه بصَخَرَاتِ هناك ، وإن ثبت قول ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بعَرَفات خطبته فى بطن الوادى . كان ذلك حُجَّةً لِمَالِك أن عُرنة من عرفة ، إلا أنه يَحْتَمِلُ أنه قال ذلك بالموقف . وأى موضع وقف فيه من عرفة أجزأه ، والأولى ألا يقف على سَنَنِ التوافل ، وهى تنصبُّ فى عرفة فيتأذى بها ، وينقطع عليه الدعاء ، وأن يبعد عن كل موضع يتأذى فيه ، أو يؤذى أحدا . وحسن أن يَجْمَعَ بين المواقف كلها ، فيقف ساعة فى سهلها ، وساعة فى جبلها . والأفضل أن يَقْرُبَ من الإمام ، وأن يكون من وراء ظهره ، عن يمينه ، فإن بَعُدَ منه فلا بأس إذا كان بعرفة ، بدليل حديث ابن مَرْبُوع ، وَمَنْ تَمَكَّنَ من موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالأولى أن يلازمه . وقد روى أبو الوليد الأزرقى بإسناده عن ابن عباس ، أن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الأَجْبُلِ الثلاثة : النَّبِيعَةِ ، والنَّبِيعَةِ ، والنَّابِتِ . وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على النَّابِتِ . قال : والنَّابِتِ عند النَشْرَةِ التى خَلْفَ موقف الإمام وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضَرِيسٍ من الجبل النَّابِتِ مُضَرَّسٍ ، بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذى يقال له إلال .

فت : وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصَّخَرَاتِ السَّكْبَارِ المفتَرَشَةِ فى طرفِ الْجَبَلِيَّاتِ الصَّغَارِ ، التى كأنها الرَّوَابِى ، عند الجبل الذى يَفْتَنِي الناس بِصُغُودِهِ ،

وَيُسَمُّونَهُ جَبَلِ الرَّحْمَةِ ، واسمه عند العرب إلال ، على وزن قبال . وذكره الجوهري بفتح الهمزة ، والمحفوظ خلافه . وهذا مما يُرَجَّح ضبط من ضَبَطَ قول جابر في حديثه الطويل : وجعل جبل المشاة بين يديه ، بالجيم . فإن الواقف كما وصفناه يكون هذا الجبل ، أعنى إلالا بين يديه ، وهو جبل المشاة . وذكر ابن حبيب أن إلالا جَبَل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الإمام ، حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن عليّ الأنصاري في تعاليقه على الجوهري . وذكر ابن أبي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري ، أن اسم جبل الرحمة الذي يقال له جَبَلُ الْمَشَاةِ : كَبْكَب .

قلت : والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نَعمان ، بقرب الثنايا ، عنده قوم يُدْعَوْنَ الكبا كبة ، نسبة إليه . والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه .

إذا تقرّر هذا ، فمن كان راكبا ينبغي أن يُلبس بدابته الصَّخْرَاتُ المذكورة كما رَوَى عنه صلى الله عليه وسلم ؛ ومن كان راجلا وقف عليها أو عفاها ، بحسب ما يتمكن . من غير إيذاء أحد . ولا يَثْبُتُ في الجبل الذي يَمْتَنِي الناس بصعوده خبر ولا أثر . وذكر شيخنا أبو عمرو بن الصلاح في منسكه ، عن صاحب الحاوي ، أنه يقصد الجبل الذي يقال له جَبَلُ الدُّعَاءِ ، وهو موقف الأنبياء صلوات الله عليهم .

وعن محمد بن جرير الطَّبْرِيِّ ، أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الإمام ، بمعنى جَبَلِ الرَّئِثَةِ . والذي ذكره صاحب الحاوي لا دلالة فيه على إثبات فضيلة لهذا الجبل ، فإنه قال : والذي نختار في الموقف أن يَقْصِدَ نحو الجبل الذي عند الصَّخْرَاتِ السود ، بحيثُ يعلو ، وهو الجبل الذي يقال له جبل الدُّعَاءِ ، وهو موقف الأنبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من الأَجْبِلِ الثلاثة : التَّيْبَةِ ، والنَّبِيَّةِ ، والنَّابِتِ . وموقفه صلى الله عليه وسلم كان على النَّابِتِ منها ، وهو عند النسر الذي خلف مقام الإمام ، ووقف صلى الله عليه وسلم على خِرْس من النَّابِتِ ، وجعل بطن ناقته إلى الصَّخْرَاتِ ، وجعل جبل المشاة بين يديه . قال : وهذا أَحَبُّ المواقف إلينا للإمام والناس .

قلت : وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء ، الغابت الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تعرض في كلامه بجبل الرّحمة ، بنى ولا إثبات . وما فهمه رحمه الله أنه جبل الرّحمة ، غير مطابق . وقوله « وهو الجبل » أراد سهله ، وهو من الأضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض ، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم إنما وقف عليه ، لكونه موقف الأنبياء عليهم السلام . وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة على أنه أراد بالجبل الذي عن يمين الإمام ، الجبل الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو النابت ، كما تقدم بيانه ، والله أعلم . والظاهر أنهما أراداه بقولها ، فيكونان قد أثبتاه شيئا من الفضل ، ولا نعلم من أين أخذنا ذلك ، إذ لم يثبت في فضله خبر . ولو ثبت له فضل ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه ، وهو الذي خصه العلماء بالذكر والتفضيل .

قلت : وقال صاحب النهاية : في وسط عرفة جبل يقال له جبل الرّحمة ، ولا نُسَكَّ في الرق عليه وإن كان يعتاده الناس . وقال غيره : قد افتتنت العامة بهذا الجبل في زماننا ، وأخطئوا في أشياء : منها أنهم جعلوا الجبل هو الأصل في الوقوف ، فهم بذكره كهمجون ، وعليه دون غيره مُمرّجون ، حتى رُبما اعتقد بعض العامة أن الوقوف لا يصبح بدون الرُق . ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف . ومنها إيقادهم النيران عليه ليلة عرفة ، واهتمامهم بذلك ، باستصحاب الشموع من بلادهم ، واختلاط النساء بالرجال هنالك ، صعودا وهبوطا ، بالشمع الكثير الموقد ، وإنما حَدَثَ ذلك بعد انقراض السلف الصالح ، ومن كان مُتَّبِعًا آثار النبوة ، فلا يحصل بعرفة قبل دخول وقت الوقوف ، وبأمر بذلك ويُبَيِّن عليه ، وينتهي عن مخالفته .

٢ — ما جاء في الوقوف بالمساجد ، تشبها بالواقفين بعرفة

عن شعبة قال : سألت الحكم وحمادا عن اجتماع الناس يوم عرفة في المساجد ، فقالا : هو مُحَدَّث . وقال منصور ، عن إبراهيم : هو مُحَدَّث . وقال قتادة ، عن الحسن أول من صنع ذلك ابن عباس رضي الله عنهما . أخرجه البغوي في شرح السنة .

وعن الأثرم قال : سألت أحمد بن حنبل عن التعريف في الأمصار يجتمعون في المساجد يوم عرفة ، فقال : أرجو ألا يكون به بأس ، وقد فعله غير واحد : الحسن ، وبكر ، وثابت ، ومحمد بن واسع ، كانوا يشهدون المساجد يوم عرفة .

٣ — ما جاء في وقت الوقوف

تقدم في حديث جابر الطويل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعد ما صلى الظهر ، ولم يزل واقفا حتى غربت الشمس .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر ، قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج ألا يخالف ابن عمر في الحج ، فجاء ابن عمر وابنه معه يوم عرفة ، حين زالت الشمس ، فصاح عند سُرَادق الحجاج ، فخرج وعليه ملحفة مُعَصْفرة . فقال : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : الرواح إن كنت تريد السنة . قال : هذه الساعة ؟ قال : نعم . قال : فأُنْظِرْنِي حتى أفيضَ على رأسي ثم أخرج ، فنزل حتى خرج الحجاج ، فسار بيني وبين أبي ، فقلت : إن كنت تريد السنة فأقصِر الخطبة ، وعجل الوقوف . فجعل ينظر إلى عبد الله ، فلما رأى ذلك عبد الله قال : صدق . أضرب البخاري في باب التهجير بالرواح يوم عرفة . وفي الحديثين دلالة على أن ابتداء وقت الوقوف من الزوال يوم عرفة .

شرح — السُرَادِق : كل ما أحاط بشيء من مَضْرِب أو خِباء أو بناء .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان يقول : من لم يقف بعرفة من ليلة المزدلفة قبل أن يطلع الفجر ، فقد فاتته الحج ، ومن وقف بعرفة ليلة المزدلفة قبل أن يطلع الفجر ، فقد أدرك الحج . أضرب مالك . أضرب الشافعي وأبو ذر عنه ؛ وقدم الإدراك . وآخر الفَوَات ، وزاد : فليات البيت ، فليطُف به ، وليطُف بين الصفا والمروة سبعا ، وليخاق أو يقصر ، فإن كان معه هدى فلينحر قبل أن يخلق أو يقصر ، بعد أن يطوف بالبيت ، وبالصفا والمروة ، ثم يرجع إلى أهله حلالا . فإن أدركه عام فليحج إن استطاع إليه سبيلا ، وليهد في حجه ، فإن لم يجد ما يهدي ، صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع .

وفي هذا الحديث وفيما بعده دلالة على أن آخر وقت الوقوف آخر جزء من ليلة النحر .

وعن عُرْوَةَ بن مُضَرَّس بن أَوْس بن حارثة بن لام الطائي ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزْدَلِفة ، حين خرج إلى الصلاة ، فقلت : يا رسول الله ، إني جئت من جَبَلِي طَيِّي قد أَكَلْتُ راحلتي وأنعيت نفسي ، والله ما تركت من حَبَلٍ إلا وَقَعْتُ عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى نَدْفَع ، وقد وقف قبل ذلك لَيْلًا أو نهارًا فقد تمَّ حَجُّهُ ، وَقَضَى تَفَتُّهُ . أَضْرَمَ الترمذی وقال : حسن صحيح ، وأبوداود والنسائي ، وزاد النسائي : ومن لم يدرك مع الإمام والناس ، فلم يدرك . ومُضَرَّس : بضم الميم ، وفتح الضاد المعجمة ، وتشديد الراء المهملة وكسرها ، وبعدها سين مهملة . وجبل طي : هما سَلَمَى وأجَا . والحَبَلُ ^(١) ، بفتح الحاء المهملة ، وسكون الباء الموحدة ، وبعدها لام : تقدم شرحه في باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم . والمراد - والله أعلم - بقوله : فلم يُدْرِكْ أى لم يدرك السكال ؛ أما أجزاء الحج فلا خلاف فيه ، إلا ما حكي عن ابن حزم ، أنه لا يُجْزئ ما لم يُدْرِكْ الإمام ، عملاً بظاهر هذا الحديث ، وقال - أعني ابن حزم - في صفة الحج الكبرى ، قوله صلى الله عليه وسلم : الحج عرفة ، كان ذلك منه بعرفة ، وكان الحُكْمُ حينئذٍ ما قاله . فلما صار بالمزْدَلِفة ، نزل الوحي بزيادة فرضها ، فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك بمزْدَلِفة . وهذا خلاف ما عليه أكثر أهل العلم . والصحيح ما ذكرنا من تأويل الحديث على ما ذكرناه ، واستدل بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « من ليل أو نهار » من ذهب إلى أن جميع النهار وقت للوقوف ، وقوله « قضى تَفَتُّهُ » : هو بفتح التاء والفاء والتاء المثناة ، وهو ما يفعله الحرام إذا حَلَّ مِنْ قَصٍّ شارب ، وتقليم أنفاره ، وحلق عانته ، وتنف إبطه . وقيل هذا مع أسباب التحلل من الرمي والحلق والنحر . وقيل : هو إذهاب الدَرَن والوَسخ والشَّمَث مطلقاً .

(١) الجبل : هو ما استطال من الرمل . وقيل : ما ضخ وطال ، وهو دون الجبل في الارتفاع .

وعن عبد الرحمن بن يعمر الدبلي ، أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمرقة ، فسألوه ، فأمر مناديا فنادى : الحج عرفة . من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر ، فقد أدرك الحج . أيام منى ثلاثة ، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ؛ ومن تأخر فلا إثم عليه . أضرمه أحمد والترمذي والنسائي ، ولم يقل أيام منى ثلاثة . وأبو داود ، وقال : جاء ناس أو نفر من أهل نجد ، فأمروا رجلا فنادى : رسول الله كيف الحج ؟ فأمر رجلا فنادى : الحج الحج يوم عرفة ، من جاء ليلة جمع ، فتم حجه أيام منى إلى آخره . قال الترمذي : وقال وكيع : هذا الحديث أم للناسك . وقال سفيان ابن عيينة : هو أجود حديث رواه سفيان الثوري . وعبد الرحمن هذا له صحبة ، بكرى ديلي ، بكسر الدال وسكون اليا . وقيل فيه غير ذلك . ويعمر بفتح الياء آخر الحروف ، وإسكان العين المهملة ، ثم ميم مفتوحة ، ثم راء مهملة . وذكر أبو عمر النعمري أنه لم يرو عنه غير هذا الحديث . وقد أخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجه حديثا آخر في النهي عن الدباء والمزقت . وذكر أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة ، أنه روى حديثين ، وذكر هذين الحديثين . وقوله « الحج عرفة » : معناه أن فوات الحج متعلق بفوات وقته ، وغيره من الأركان وقته ممتد .

وبهذا الحديث احتج من قال : من لم يقف بجمع جعلها عمرة . والمقاتل به الشعبي ، حكاه عنه الدارقطني .

وعن سعيد بن المسيب قال : العمرة الطواف ، والحج عرفات . أضرمه أبو ذر . وعن الأسود أن رجلا قدم على عمر بن الخطاب وهو بجمع ، بعد ما أفاض من عرفات ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمت الآن . فقال : أما كنت وقفت بعرفات ؟ قال : لا . قال : فأت عرفة ، فقف بها هنيئة ، ثم أفض . فانطلق الرجل ، وأصبح عمر فوقف بجمع ، وجعل يقول : جاء الرجل ، جاء الرجل . فلما أقبل قيل : قد جاء فأفاض . أضرمه سعيد بن منصور .

وعن ابن عمر قال : من وقف بعرفة لبيل فقد أدرك الحج وإن لم يدرك الموقف

يَجْمَع . أَضْرَمَ سَعِيدٌ وَالدَّارِقُطِيُّ ، وَلَمْ يَقُلْ : « وَإِنْ لَمْ يَدْرِكِ الْمَوْقِفَ بِجَمْعٍ » . وَزَادَ :
وَمِنْ فَاتِهِ عَرَفَاتٌ بَلِيلٌ فَقَدْ فَاتَهُ الْحَجُّ ، فَلْيَجِرْ بِعُمْرَةٍ ، وَعَلَيْهِ الْحَجُّ مِنْ قَابِلٍ .
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : الْحَجُّ عَرَفَاتٌ ، وَالْعُمْرَةُ لَا يُجَاوِزُ بِهَا الْبَيْتُ .
أَضْرَمَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى إِدْرَاكِ الْحَجِّ بِمَا فِي الْحَدِيثِ ؛ وَلَوْ تَعَلَّقَ إِدْرَاكُ الْأَجْزَاءِ
بِأَمْرِ آخِرٍ لَبَيَّنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلسَّائِلِ ، لِأَنَّهُ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ غَيْرُ جَائِزٍ ،
وَلَا التَّفَاتُ إِلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ : اللَّيْلُ لَيْسَ وَقْتُهَا لِلْوُقُوفِ ، وَمَنْ لَمْ يَدْرِكْهُ بِالنَّهَارِ فَقَدْ فَاتَهُ
الْحَجُّ ، وَهُوَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا . حَكَاهُ الْقَوْرَانِيُّ . وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُبَيْنِيُّ : لَيْسَ وَقْتُهَا
فِي حَقِّ مَنْ أَوْقَعَ الْإِحْرَامَ لَيْلًا ، أَمَّا مَنْ أَوْقَعَهُ نَهَارًا فَهُوَ وَقْتُ لَهُ ، وَلَيْسَ الْقَوْلَانِ بِشَيْءٍ
لِخِلَافَةِ ظَاهِرِ الْحَدِيثِ . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : وَقْتُ الْوُقُوفِ مِنْ طُلُوعِ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى
طُلُوعِ فَجْرِ يَوْمِ النَّحْرِ . وَاسْتَدَلَّ بِمَا نَبَّهْنَا عَلَيْهِ آنَفًا . وَقَالَ مَالِكٌ : الْمُعْتَمِدُ فِي الْوُقُوفِ
اللَّيْلُ ، وَالنَّهَارُ تَبَعٌ ، وَالْأَفْضَلُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ أَفْرَدَ اللَّيْلَ جَازَ ، وَإِنْ عَكَسَ لَمْ يُجْزِهِ ،
وَوَظَّاهُ الْحَدِيثُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ .

إِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ ، فَمَنْ حَصَلَ بِعَرَفَةَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْوَقْتِ وَهُوَ عَاقِلٌ ، فَقَدْ أُدْرِكَ
الْحَجُّ ، إِلَّا مَنْ لَمْ يَقِفْ فِي جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ ، يُلْزِمُهُ دَمٌ فِي أَصْحَابِ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَنَا ، وَهُوَ قَوْلُ
أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَقَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالثَّوْرِيِّ ، وَحَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ ؛
فَإِنْ عَادَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، سَقَطَ عَنْهُ الدَّمُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ ، وَعِنْدَ أَصْحَابِ الرَّأْيِ لَا يَسْقُطُ ،
وَيَسْتَحِبُّ لَهُ فِي الْقَوْلِ الْآخِرِ . وَالنَّائِمُ فِي مَعْنَى الْمُسْتَيْقِظِ ، إِلَّا عَلَى وَجْهِ حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ
فِي الْحَاوِي ، وَمِنْ فَاتِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ ، أَوْ وَقَفَ فِيهِ وَهُوَ مُجَنُّونَ أَوْ مُقَمَّمِي عَلَيْهِ ، فَلَا يَصِحُّ
إِلَّا عَلَى وَجْهِ حَكَاهُ فِي الْحَاوِي فِي الْمُجَنُّونِ وَالْمُقَمَّمِي عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

٤ — مَا جَاءَ فِي الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بِعَرَفَةَ

عَنْ عَطَاءٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ إِذَا أَسْلَمَ بِعَرَفَاتٍ ، فَوَقَفَ مُسْلِمًا ، فَقَالَ : أَجْزَأُهُ
الْحَجُّ . أَضْرَمَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وكذا الحكم عندنا فيه إذا أدرك بإسلامه وقت الوقوف ، وأحرم ووقف ، فإن أدرك ولم يقف ، لم يُجزئه على هذا المذهب .

٥ - ما جاء في خطبة الإمام يوم عرفة

تقدم في حديث جابر الطويل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في بطن الوادي قبل الصلاة . وسياق لفظه يدل على أن الخطبة كانت على راحلته . وتقدم أيضا بيان كيفية الخطبة ، والكلام عليه في بابه . وتقدم في الفصل قبله حديث سالم ، وفيه تنبيه عليها . وتقدم في فصل التوجه إلى منى حديث أبي بكر ، وفيه ذكر الخطب الأربع .

وعن رجل من بني ضمرة ، عن أبيه أو عمه ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر بعرفة . أضرب أبو داود .

وعن سلمة بن نبيب ، عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على جبل أحر بعرفة قبل الصلاة . أضرب النسائي وأبو داود ؛ وقال : على بعير أحر .

وعن العداء بن خالد بن هوذة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم عرفة على بعير قائما في الركابين . أضرب أبو داود .

ولا تضاد بين هذه الروايات ، إذ يجوز أن يكون خطب صلى الله عليه وسلم بعض خطبته على البعير قائما في الركابين ، ثم لما أتبعه ذلك انتقل إلى المنبر ، فاتم الخطبة قائما عليه ، على أن رواية المنبر لا ينبغي أن يلتفت إليها ، لأنها رواية مجهول عن مجهول ، مع انضمام شك إلى ذلك ، لأنه يرويه رجل من بني ضمرة عن أبيه أو عمه ، ومثل ذلك لا يقوم به حجة . والعداء ، بفتح العين المهملة ، وتشديد الدال المهملة وفتحها ، ممدود : عامر يزل البصرة ، له صحبة . وهوذة ، بفتح الهاء ، وسكون الواو ، وفتح الدال المعجمة ، وبعدها تاء تانيث . وقد تقدم في باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم ذكر خطبته صلى الله عليه وسلم ، وأنها كانت في بطن الوادي .

وروى الزبير بن بكار بإسفاذه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة ،

وقال : أما بعد فإن أهل الشُّرك والأوثان يَدْفَعُونَ في مثل هذا اليوم قبل غروب الشمس ، وإِنَّا نَدْفَعُ بعدَ غروبها ، وكانوا يَدْفَعُونَ غدا عند المشعر الحرام ، حين تَعْتَمُّ بها رموس الجبال ، وإِنَّا نَدْفَعُ قبل طلوعها ، هَذَيْنَا مُخَالَفٌ لِهَذَى أَهْلِ الشُّرْكِ والأوثان .

وروى ابن إسحاق ، عن عمرو بن خازجة ، قال : بعثني عتَّاب بن أُسَيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أُلْعِبَهَا لَيَقَعُ على رأسي فسمعتة وهو يقول الناس : إِنَّ اللَّهَ قد أَدَى إلى كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ ، وإِنه لا تجوز وصية لوارث. الولدُ لِلْفَرَّاشِ ، وللمأهر الحَجَر . ومن ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير موالیه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا ولا عَدْلًا .

وفي الصحيح من حديث ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطُب بعرفات ، يقول : السراويلُ لمن لم يجد الإزار ، والخفاف لمن لم يجد النَّمْلَيْنِ ، يعني الحرم. وعن الزُّبَيْر بن بكار بإسناده ، عن محمد بن علي بن حسين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حَجَّةِ الْوَدَاعِ بعرفات ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، في شَهْرِكُمْ هَذَا ، في بلدكم هَذَا ، في سَنَتِكُمْ هَذِهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي قد نَصَحْتُهُمْ وَبَلَّغْتُهُمْ كما عَهَدْتَ إِلَيَّ . اللَّهُمَّ احْفَظْنِي فِيهِمْ .

ويجوز أن يكون ذلك كله قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته ببطن الوادي ، وأطلق عليه عرفة لقربه منها ، وأطلق على الوقت عَشِيَّةً لقربه من الْعَشِيِّ . ويجوز أن يكون قاله بالموقف عند الصَّخَرَاتِ ، وهو الأظهر ، ويكون قد أعاد بعض ألفاظ خطبة الوادي .

٦ - ما جاء في الجمع بين الظهر والعصر بعرفة

عن جابر حديثه الطويل ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب ببطن الوادي أَذِنَ ثم أقام ، فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً . وقد تقدم في الباب

الأول ، في فصل حج الأنبياء ، أن إبراهيم لما حج بإسماعيل ، جمع به بين الظهر والعصر ، بعد ما زالت الشمس ، في مسجد إبراهيم عليه السلام ، ثم راح إلى الموقف .

وعن سالم أن الحجاج عام نزل بابن الزبير ، سأل عبد الله بن عمر : كيف أصنع في الموقف يوم عرفة ؟ فقال سالم : إن كنت تريد السنة فهَجِّرْ بالصلاة يوم عرفة . فقال عبد الله : صدق : إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنة . قال ابن شهاب : فقلت لسالم : أفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال سالم : وهل تتبعون في ذلك إلا سنته أضرمه البخاري .

وعن الأسود وعلقمة أنهما قالا : من تمام الحج أن يُصَلِّيَ الظهر والعصر مع الإمام بعرفة . أضرمه سعيد بن منصور .

في الحديث دلالة على أن الجمع بعرفة بأذان واحد وإقامتين . وهو قول الشافعي وأصحابه وأبي ثور وأصحاب الظاهر ، وأبي حنيفة وأصحابه . وقال مالك : الجمع بينهما بأذنين وإقامتين ، لكل صلاة أذان وإقامة . وقال سُفْيَانُ الثوري وأحمد : يجمع بينهما بإقامتين ، لكل صلاة إقامة . ولم يذكر أذاناً ، إلا أن أحمد قال : فإن أذن فلا بأس . واعتمداً في ذلك على حديث مُرْسَل ، عن عطاء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه صلى بعرفة بإقامتين ، كل صلاة بإقامة ، وصلى يجمع بإقامتين ، كل صلاة بإقامة ؛ وهذا مُرْسَل لا تقوم به حجة . على أن الجمع ممكن ، وسيأتي في فصل الجمع بمزدلفة . وقد اختلف أصحابنا : هل كان جمعه صلى الله عليه وسلم بعلّة مطلق السفر ، أو الطويل ، أو بعلّة النسك . وقد تقدم ذكر ذلك . والظاهر أنه بعلّة النسك ، حتى يجوز للأفاقي والمكي والمزدلفي والمعرفي . وعلى الأول لا يجوز للمعري . وعلى الثاني لا يجوز لغير الآفاقي ، ولا خلاف أنه سنة ، حتى لو صلى كل صلاة وحدها في وقتها جاز .

٧ — ما جاء في قصر الصلاة بعرفة

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان يقيم بمكة ، فإذا خرج إلى مِنَى قَصَرَ الصلاة . وعن طاووس أنه قال : وَيُحَكَّ أَوْ وَيَلَّك ؟ ترى الناس صلوا بعرفة خلاف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عمرو بن دينار، قال : قال لي جابر بن زيد : اقصر الصلاة بعرفة .
مرهم بن سعيد بن منصور .

القصر غير جائز عندنا لغير الآفاق باتفاق . وسيأتي في فصل قصر الصلاة بمعى
الدليل عليه . وقال الأوزاعي ، وسفيان بن عيينة ، ومالك : الحاج يقصر ، مكياً كان
أو آفاقاً ، إلا أهل مئى بمعى ، وأهل مُزدلفة بها ، وأهل عرفة بها ، إلا الإمام ، فإنه
يقصر بها ولو كان من أهلها . وذهب الجمهور إلى أن هؤلاء يُتِمُّون ولا يقصر منهم
إلا من كان على مسافة القصر ، كغير الحاج ، و له ذهب عطاء ومجاهد ، وهو قول الزُّهْرِيّ
وابن جُرَيْج والثَّوْرِيّ والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأى .

٨ - ما جاء في الغسل للوقوف

تقدم في الفصل قبله قول الحجاج : أنظرني حتى أبيض على رأى . وفي ذلك دلالة
على أنه في ذلك تابع للسنة ، ولذلك أجابه ابن عمر إليه ، وأقره عليه ، فالحجة في تقرير
ابن عمر ، لا في فعل الحجاج ؛ ولو كان خلاف السنة لأنكره عليه .
وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يغتسل لإحرامه قبل أن يحرم ، ولدخوله
حكة ، ولوقوفه عشية عرفة . أضرهم مالك .

وعنه أنه اغتسل حين راح إلى الموقف . أضرهم سعيد بن منصور .

وعنه أنه كان يغتسل إذا راح إلى عرفة ، وإذا أتى الجمار .

وعن الحارث بن عبد الرحمن ، قال : أخبرني من رأى عمر بن الخطاب يغتسل
بجرفات وهو مُمِلّ .

وعن عبد الرحمن بن يزيد أن ابن مسعود اغتسل تحت الأراك حين راح إلى

عرفة . أضرهم سعيد بن منصور .

٩ -- ما جاء في الدعاء يوم عرفة وفضله والحديث عليه

عن طلحة بن عبد الله بن كُرَيْز قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ؛ وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . أُنهِرهم مالك . وأُنهِرهم البيهقي في كتاب الدَّعَوَاتِ الكبير هكذا مُرْسَلاً مبتوراً .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

أُنهِرهم الترمذي ، وأُنهِرهم أحمد في المُسْنَدِ ، وقال : خير الدعاء وخير ما قلت ، مكان أفضل . وعنه ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وعن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية : «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» . وأنا على ذلك من الشاهدين ، يارب . أُنهِرهم أحمد في المُسْنَدِ .

وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أكثر دعاء من كان قبلي من الأنبياء ، ودعائي يوم عرفة ، أن أقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . اللَّهُمَّ اجعل في بصرى نُوراً ، وفي سمعي نُوراً ، وفي قلبي نُوراً . اللَّهُمَّ اشْرَحْ لِي صدرى ، وبَسِّرْ لِي أمرى . اللَّهُمَّ أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الرِّيح ، وشر بوائق الدهر . أُنهِرهم البيهقي .

وعن سالم بن عبد الله أنه كان يقول بالموقف : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله إلهاً واحداً ، ونحن له مُسْلِمُونَ . لا إله إلا الله ولو كره المشركون ، لا إله إلا الله ربُّنا ورب آبائنا الأولين .

ولم يزل يقول ذلك حتى غابت الشمس ، ثم التفت إلى بُكَيْرِ بْنِ عَمِيْقٍ فقال : قد رأيت لَوْذَانِكَ بِي الْيَوْمِ . ثم قال : حدثني أَبِي ، عن أَبِيهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ : مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيْتَهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ . أَهْرَبَهُ أَبُو ذَرٍّ .

شرح — لَوْذَانِكَ بِي : أَيْ التَّجَاوُكُ وَانْضِمَامُكَ ، مَنْ لَا ذِيْلُوذٍ لِيَاذَا : إِذَا التَّجَاوَا وَانْضَمَّ وَاسْتَفْتَا . وَقَوْلُهُ « أَكْثَرَ دَعَائِي وَأَفْضَلُ الدَّعَاءِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، إِنَّمَا سَمِيَ هَذَا الذِّكْرُ دَعَاءً لِثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ ، أَحَدُهَا : مَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ سَالِمٍ ؛ وَوَجْهُهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الثَّنَاءُ يَحْصُلُ أَفْضَلَ مِمَّا يَحْصُلُ الدَّعَاءُ ، أُطْلِقَ عَلَيْهِ لَفْظُ الدَّعَاءِ ، لِحَصُولِ مَقْصُودِهِ . وَيُرْوَى عَنْ الْحُسَيْنِ ابْنِ الْحَسَنِ الْمَرْوُزِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ سَفِيَّانَ بْنَ عُيَيْنَةَ عَنْ أَفْضَلِ الدَّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ . فَقَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » . فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا ثَنَاءٌ وَلَيْسَ بِدَعَاءٍ . فَقَالَ : أَمَا تَعْرِفُ حَدِيثَ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ ؟ هُوَ تَفْسِيرُهُ . فَقُلْتُ : حَدَّثَنِيهِ أَنْتَ . فَقَالَ : حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا شَغَلَ عَبْدِي ثَنَائُهُ عَلَيَّ عَنْ مَسْأَلَتِي ، أُعْطِيْتَهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ . قَالَ : وَهَذَا تَفْسِيرُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَالَ سَفِيَّانُ : أَمَا عَلِمْتَ مَا قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، حِينَ أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ يَطْلُبُ نَائِلَهُ ، فَقُلْتُ : لَا . فَقَالَ : قَالَ أُمِيَّةُ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءَ
وَعِلْمَكَ بِالْحَقُوقِ وَأَنْتَ فَضْلٌ ^(١) لَكَ الْحَسَبُ الْمَهْدَبُ وَالسَّنَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمَا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

ثم قال : يَا حُسَيْنَ ، هَذَا مَخْلُوقٌ يُكْتَفَى بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ دُونَ مَسْأَلَةٍ ، فَكَيْفَ بِالْخَلْقِ ؟ الْوَجْهُ الثَّانِي . مَعْنَاهُ أَفْضَلَ مَا يُسْتَفْتَحُ الدَّعَاءُ ، عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الْآخِرُ ، فَإِنَّهُ قَالَ : أَفْضَلُ الدَّعَاءِ أَنْ أَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... إِلَى آخِرِهِ

ودعا بعد ذلك : الثالث : معناه أفضل ما يُستبدل به عن الدعاء يوم عرفة ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . إلى آخره . والأول أوجه .

وعن علي عليه السلام قال : أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد ، كالذي تقول ، وخيراً مما نقول . اللهم لك صلاتي ونسُكِي ونَحْيَايَ ومَمَاتِي ، وإليك مآبِي ؛ ولك ربُّ تُرَاثِي . اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر . اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما تُهْبِتُ به الريح . أنْزِمْ الترمذی .

وعنه أنه قال : لا أدع هذا الموقف ما وجدت إليه سبيلاً ، لأنه ليس في الأرض يوم إلا لله فيه عُتَمَةٌ من النار ، وليس يوم أكثر عِتْقاً للرفاق من يوم عرفة ، فأكثر فيه أن تقول : اللهم أعنِّي رقبتي من النار ، وأوسع لي من الرزق الحلال ، واصرف عني فسقة الجن والإنس ، فإنه عامة ما أدعو به اليوم . أنْزِمْ الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان يقول بالموقف : الله أكبر ثلاث مرات ، ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، مرة واحدة . ثم يقول : اللهم اهْدِنِي بِالْهُدَى ، وَاَعْصِمْنِي بِالتَّقْوَى ، واغفر لي في الآخرة والأولى ثلاث مرات . ثم يسكت قدر ما يقرأ بفاتحة الكتاب ، ثم يعود فيقول مثل ذلك ، حتى يفرغ . وكان يقول : اللهم اجْزَلْ حَجَّاً مبروراً ، وَذَنْباً مغفوراً . أنْزِمْ أبو ذر .

وقد تقدم عنه دعاء أطول من ذلك ، في فصل ركعتي الطواف ، وفصل ما يقال على الصفا والمروة ، وأنه كان يقول ذلك بعرفات أيضاً .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان فيما دعا النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : اللهم إني أسمع كلامي ، وترى مكاني ، وتعلم سرِّي وَعَلَانِيَتِي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ ، المعترف بذنبي ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُسْكِينِ ، وَأَبْتَلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالُ الْمُذْنِبِ الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضريع ، مَهْزُومٌ خَضَعْتُ لَكَ رَقَبَتَهُ ، وفاضت لك عَبرَتَهُ ، وَذَلَّ لَكَ خَدُّهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ . اللهم

لا تجعلني بدعائك رب شقيًا ، وكن بي رءوفًا رحيمًا ، يا خير المستولين ، يا خير الممطين .
أحمد أبو ذر .

وعن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنهما قالَا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس في الموقف قول ولا عمل أفضل من هذا الدعاء . وأول من ينظر الله إليه صاحب هذا القول ، إذا وقف بعرفة ، فيستقبل البيت الحرام بوجهه ، ويبسط يديه كهيئة الداعي ، ثم يُبَيِّ ثلثًا ، ويكَبِّرُ ثلثًا ، ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يُحْيِي وَيُمِيت ، بيده الخير ، يقول ذلك مئة مرة . ثم يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ، يقول ذلك مئة مرة ، ثم يتعوذ من الشيطان الرجيم ، إن الله هو السميع العليم . يقول ذلك ثلاث مرَّات ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثلاث مرات ، يبدأ في كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم ، وفي آخر فاتحة الكتاب ، يقول كل مرة : آمين . ثم يقرأ « قل هو الله أحد » مئة مرة ، يقول أولها : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : صلى الله وسلملائكته على النبي الأُمِّي ، وعلى آله ، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، مئة مرة . ثم يدعو لنفسه ، ويحتهد في الدعاء لوالديه ، ولقراباته ولإخوانه في الله من المؤمنين والمؤمنات . فإذا فرغ من دعائه عاد في مقالته هذه . يقول ثلثًا ، لا يكون له في الموقف قول ولا عمل ، حتى يُمَسِّي على هذا ، فإذا أمسى باهى الله به الملائكة ، يقول : أنظروا إلى عبدي ، استقبل بيتي ، فكبرني ولباني وسبِّحني وحمِّدني وهللني ، وقرأ بأحب السور إليَّ ، وصلي على نبيي . أشهدكم أنني قد قبلتُ عمله ، وأوجبت له أجره ، وغفرت له ذنبه ، وشققته فيمن تشفع له ، ولو شفع في أهل الموقف شققته فيهم . أخبرنا بهذا الحديث الشيخ المعمر أبو الحسن على ابن عبد الله بن الحسين بن المقر ، مما أجازَه لنا إن لم يكن سماعًا ، قال (أنا) الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السُّلَاحِي إجازة ، قال أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ، (أنا) عبيد الله بن أحمد الأزهرى ، (أنا) محمد بن علي بن زيد بن مروان ، (ثنا) أبو يوسف

يعقوب بن إبراهيم الجصاص (ثنا) أبو الحسن محمد بن المنذر (ثنا) عبد الله بن عمران (ثنا) عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه ، عن الحرّ ومعاوية بن قرّة وأبي وائل شقيق ابن سلمة ، عن علي وعبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد أو أمة دعا بهذه الدعوات ليلة عرفة ألف مرة ، وهي عشر كلّم ، إلّا لم يسأل ربه عز وجل شيئاً إلّا أعطاه إياه ، إلّا قطيعة رحم أو مأتماً : سبحان الذي في السماء عرشه ؛ سبحان الذي في الأرض موطنه ، سبحان الذي في البحر سبيله ، سبحان الذي في النار سلطانه ، سبحان الذي في الجنة رحمة ، سبحان الذي في القبر قضاؤه ، سبحان الذي رفع السماء ، سبحان الذي وضع الأرض ، سبحان الذي لا منجى ولا ملجأ منه إلّا إليه ، سبحان الذي في القرآن وحيه . أخبرنا بذلك أبو الحسن بن المقرّ ، إجازة إن لم يكن سمعا ، قال : أنبأنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر بن الزاعوني قال : (أنا) عبد الله بن محمد الملاّف ، (ثنا) أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ ، (ثنا) عبد الله بن محمد بن جعفر ، (ثنا) عبد الله بن وثنة ، (ثنا) عبد السلام بن عمرة الحنفي ، (ثنا) عروة بن قيس ، حدّثني أم الفيض مولاة عبد الملك بن مروان ، قالت : سألت عبد الله بن مسعود : هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . ما من عبد أو أمة دعا بهذه الدعوات ... الحديث .

وعن ابن دريد ، (أنا) عبد الرحمن ، عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو بعرفات يقول : اللهم إن ذنوبي لم تُبق لي إلّا رجاء عفوك ، وقد تقدمت إليك فامننّ عليّ بما لا أستأله ، وأعطني ما لا أستحقّه ، بطوّلك وفضّلك .

وينبغي للواقف في ذلك اليوم ، ألاّ يُرَجّ على شيء غير العبادة والدعاء والذكر ، وقد قال الشافعي : أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ؛ وينبغي أن يكثر من التضرع والابتهال والبكاء ، وهنالك تُسكب العبرات ، وتستقال العثرات ، وتُنَجّج الطلّبات ، وهو موضع يجتمع فيه خيار عباد الله ومن لا يشقى بهم جليّتهم من أولياء الله جل وعلا ،

فإن اشتغل بأمر مباح فلا بأس به . عن ابن عباس قال : كانوا لا يتَجَرَّون في أيام مَنى و يوم عرفة ، فأَنزل الله عز وجل « ليس عليكم جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » .
أُفْرِهِ أَبُو ذَرَّ .

والأفضل أن يكون حال دعائه مستقبلاً عند الصخرات ، على ما تقدم في الفصل الأول وأن يكون راكباً ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه نص الشافعي في القديم ، وبه قال أحمد ، ونص في الأم على أن لا مَزِيَّةَ للراكب عَلَى الرَاجِل . وفيه قول ثالث : الرَاجِل أفضل . وهذا أظهرها ، مَهْمَا كَانَ قَوِيًّا لَا يَضَعُ بِسَبَبِ تَرْكِ الرُكُوبِ عَنِ الدَّعَاءِ ، وَلَا يَكُونُ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يَرْكَبَ لِيُظْهِرَ ، فَيُقْتَدَى بِهِ ؛ وَعَلَى أَىِّ حَالٍ وَقَفَ أَجْزَاءُ ، وَلَا يَتَكَلَّفُ السَّجْعَ فِي الدَّعَاءِ ، وَلَا يُقْرِطُ فِي الْجَهْرِ ، وَلْيُيَسِّرْ فِي الدَّعَاءِ وَلَا يَسْتَبْطِئِ الْإِجَابَةَ .

١٠ - ما جاء في رفع اليدين في الدعاء بعرفة والوقوف راكباً

عن أسامة بن زيد قال : كنت رَدَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِرْفَاتٍ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ، فَجَالَتْ بِهِ نَاقَتُهُ ، فَسَقَطَ خِطَامُهَا ، فَتَنَاوَلَ الْخِطَامَ بِأَحْدَى يَدَيْهِ وَهُوَ رَافِعُ يَدِهِ الْآخَرَى .
أُفْرِهِ النَّسَائِيُّ .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تُرْفَعُ الْأَيْدَى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ : عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ ، وَعِنْدَ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ ، وَعَلَى الصَّفَا ، وَالْمُرُوءَةِ ، وَبِعُرْفَةِ ، وَبِجَمْعٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي فَصْلِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَيْتِ . أُفْرِهِ أَبُو ذَرَّ ، وَلَمْ يَذْكُرِ السَّادِسَ وَالسَّابِعَ ، وَلَعَلَّه : عِنْدَ الْجَمْرَةِ وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَيْتِ كَمَا أُفْرِهِ الشَّافِعِيُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِعَرَفَةِ بِالْمَوْقِفِ وَيَدَاهُ إِلَى صَدْرِهِ ، كَأَسْتَطْعَامِ الْمَسْكِينِ . أُفْرِهِ أَبُو ذَرَّ .

وعنه قال : أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةِ وَرَدَفَهُ أُسَامَةُ ، فَجَالَتْ بِهِ

الناقة وهو رافع يديه لآ تجاوزان رأسه ، فسار على هَيْبَتِهِ^(١) ، حتى أتى جمعا . أضرجه أحمد .
وعن أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، باطنهما إلى الأرض ،
وظاهرهما إلى السماء . أضرجه أبو ذر . وفي رواية : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقفا بعرفة يدعو هكذا ، ورفع يديه حيال ثُنْدُوتِهِ^(٢) ، وجعل يطون كفه مما يلي الأرض .
أضرجهما أحمد .

١١ - ما جاء في خوف بعض الصادقين عند وقوفهم بعرفة

عن صالح المري ، قال : وقف مُطَرِّف وبكر بن عبد الله ، فقال مُطَرِّف : اللهم
لا تَرُدُّهُمْ اليومَ من أجلى ، وقال بكر : ما أشرُّهُ من مَوْقِفٍ وأرجاه لأهله ، لولا أنى فيهم !
وعن الفضيل بن عياض أنه وقف بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء
تُكَلِّى مُحْتَرِقَةً . فلما كادت الشمس تستط قبض على لِحْيَتِهِ ، ثم رفع رأسه إلى السماء
وقال : واسواتاه منك وإن غفرت !

وعن أبي الأديان قال : كنت بالموقف ، فرأيت شابا مُطَرِّقا منذ وقف الناس إلى
أن سقط القَرَص . فقلت : يا هذا أبسط يدك للدعاء . فقال لى : نَمَّ وَحْشَةً . فقلت له :
هذا يوم العفو من الذنوب . قال : فبسط يده ، وفي بسط يده وقع مَيِّتا .

وعن الربيعي قال : رأيت أحمد بن المعدل في الموقف ، في يوم شديد الحر ،
وقد ضَجَّيَ^(٣) للشمس ، فقلت : أبا الفصل ، لو أخذت بالسمه . فأنشأ يقول :

ضَحِيَّتْ لَهُ كَيْ أَسْتَظِلَّ بِظَلِّهِ إِذَا الظِّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصَا

فَوَا أَسْفَا إِنْ كَانَ سَمْعِيكَ بِاطْلَا وَيَا حَزَنًا إِنْ كَانَ حَظُّكَ نَاقِصَا

أُخرج جميع ذلك الحافظ أبو الفرج في مُثير الغرام . وقد تقدم حديث أحمد بن المعدل
في باب محظورات الإحرام ، وليس فيه ذكر الموقف .

(١) أى سار على عادته في السكون والرفق . يقال : امش على هَيْبَتِكَ ، أى على رسلك (اللسان).

(٢) الثندوة والثندوة للرجل : بمنزلة الثدى للمرأة . (٣) أى برز لها .

١٢ - ماجاء في التلبية يوم عرفة

عن سعيد بن جبيرة قال : كنت مع ابن عباس بعرفات . فقال : مالي لا اسمع الناس يلبثون ؟ قلت : يخافون من معاوية ؛ فخرج ابن عباس من فسطاطه ، فقال : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . أُنْهِمُ النَّسَائِي .

شرح - الفِسطاط ، بضم الفاء وكسرهما : ضرب من الأبنية في السَّفر دون السُّرادق ، وبه سميت المدينة فُسطاطا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لعن الله بني فلان ، عَمَدُوا إِلَى أَفْضَلِ أَيَّامِ الْحَجِّ ، فَحَجَّوْا زِينَتَهُ ، وَإِنَّمَا زِينَةُ الْحَجِّ التَّلْبِيَةُ . أُنْهِمُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور .

وعنه أنه قال : أَشْهَدُ عَلَى عَمْرٍأَنَّهُ أَهْلٌ وَهُوَ واقِف بعرفة : أُنْهِمُ سَعِيدُ نَسَقًا .

وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه : رَقِيَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ بِعُرْفَةٍ ، فَقَالَ : أَلَا تَهْلِلُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ عَمْرِيْهْلَ فِي مَكَانِكَ هَذَا . فَأَهْلَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ .

وعن عِكْرَمَةَ بْنِ خَالِدٍ الْخَزَوِيِّ وَقَدْ ذُكِرَ عَنْهُ التَّلْبِيَةُ يَوْمَ عُرْفَةٍ ، أَوْ قَالَ يَوْمِ النَّحْرِ ، فَقَالَ عِكْرَمَةُ : أَوَلَيْسَ قَدْ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ واقِف بعرفة؟ قال : فنظر إلى الناس حوله وهو بالوقوف بعرفة ، فقال : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ . أُنْهِمُ الْجَمِيعُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور

١٣ - ماجاء في صوم يوم عرفة

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صِيَامُ يَوْمِ عُرْفَةٍ ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ . وفي رواية : يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ : مَاضِيَةً وَمُسْتَقْبَلَةً . أُنْهِمُ الْهَمَّا .

١٤ - ماجاء في كراهية صوم يوم عرفة بعرفة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفات . أُنْهِمُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ، وَابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو ذَرٍّ .

وعن عُمَرة بن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق ، عيدُنا أهل الإسلام ، وهي أيام أكل وشرب . أخرجه أبو داود والنسائي ، والترمذي ، وقال : حديث صحيح . وأخرجه البيهقي ، وزاد : وذكر الله تعالى . وأخرجه أبو ذرّ في المستدرّك ، وقال مكان « وذكر الله تعالى » : وبإمال . ولم يذكر يوم عرفة . وكذلك أخرجه أبو عُبَيْد البَغْدَادِي في مُسْنَدِهِ ، وفسر البِعمال بالنكاح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أفطر بعرفة، وأرسلت إليه أم الفضل بلبن ، فشرّب . أخرجه الترمذي ، وقال حسن صحيح .

وعن أم الفضل بنت الحارث الهلالية ، وهي أمّ عبد الله بن عباس ، أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : هو صائم ، وقال بعضهم : ليس بصائم ؛ فأرسلت إليه أم الفضل بقَدَحَ لبن وهو واقف على بيده ، فشربه . أخرجه الشيخان . وجاء في بعض الروايات : أن التي سَيَّرَتِ اللَّبَنَ ميمونة . قال أبو حاتم بن حبان البُسْتِيّ : يُشْبِه أن يكون قد كانتا في موضع واحد ، فجاء القَدَح من عندهما ، فَنُسِبَ تارة إلى هذه ، وتارة إلى هذه . وأم الفضل : هي بنت الحارث الهلالية م عبد الله بن عَبَّاس أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس أنه أفطر بعرفة ، فَأَتَى بِرُمَانٍ فَأَكَلَهُ ، وقال : حدثتني أم الفضل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفطر بعرفة ، فَأَتَيْتُهُ بلبن فشربه . أخرجه سعيد في سُنَنِهِ ، وأبو ذرّ في منسكه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : حَجَّجْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَصُِّمْهُ ، يعني يوم عرفة ؛ ومع أبي بكر فلم يصمه ؛ ومع عمر فلم يصمه ، وأنا فلا أصومه ولا أنهى عنه . أخرجه الترمذي وأخرجه سعيد بن منصور ، وزاد : ومع عثمان فلم يصمه ؛ ثم ذكر ما بعده .

وعن سالم : سأله رجل : أما أنت صائم ؟ فقال : لا أصوم هذا اليوم ، ولا كان عبد الله بن عمر يصومه ، ولا كان أحد من آبائي يصومه . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن عكرمة أن العباس أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة بلبن من ألبان الأوارك^(١) ، فشرب ولم يغم يوم عرفة .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه نهى عن صوم يوم عرفة في الحج ، وكان يقول : يوم اجتهاد وعبادة ودعاء . أخرجه سعيده بن منصور .

هذه الأحاديث تدل على استحباب الفطر ، أو كراهية الصوم في يوم عرفة بعرفة ، فيجمل ما جاء في الترغيب في صوم يوم عرفة نحو ما تقدم في الفصل قبله ، على من لم يكن حاجا .

١٥ - ما جاء فيمن صام يوم عرفة

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما من السنة يوم أحب إلى أن أصومه من يوم عرفة . وعن مسروق قال : دخلت على عائشة يوم عرفة ، فقالت : أئمت هذا اليوم ؟ أى بنى ؟ فقلت : لا . قالت : ولم ؟ قلت إن الناس يزعمون أنه يوم الأضحية . فقالت : صمه أى بنى ، فإنما يوم الأضحية الذى يصحى الناس فيه .

وعن القاسم قال : لقد رأيت عائشة تهل إذا دفع الناس من عرفة ، ثم تدعو بشرابها فتفطر . أخرجه سعيده بن منصور .

وعن عطاء الخراساني أن عبد الرحمن بن أبى بكر ، دخل على عائشة وهى صائمة ، والماء يرش عليها ، فقال لها : أفطري . فقالت : أفطر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن صوم يوم عرفة يكفر العام الذى قبله . أخرجه الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام . وعن الحسن قال : رأيت عثمان بن أبى العاص بعرفة وهو صائم ، فأجهده الصوم وهو يرش عليه الماء ، ويروح عليه .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه أن رجلا أتى الحسن والحسين يوم عرفة ، فسألهما عن الصوم ، فوجد أحدهما صائما ، والآخر مفطرا ، فقال : أتيتكما في أمر قد اختلفتما فيه ، فقالا : إنه لا يختلف ، ولكن من شاء صام ، ومن شاء أفطر . أخرجه سعيده .

(١) الأوارك : جمع أركه ، وهى التى اعتادت أكل الأراك ولبنها أطيب الألبان .

١٦ - ما جاء في الصلاة يوم عرفة

عن عليّ وابن مسعود قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى يوم عرفة ركعتين ، يقرأ ، يعنى فى كل ركعة بفاتحة الكتاب ثلاث مرات ، فى كل مرة يبدأ بيسم الله الرحمن الرحيم ، ويحتم آخرها بآمين ، ثم يقرأ بقل يا أيها الكافرون ، ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد مئة مرة ، يبدأ فى كل مرة بيسم الله الرحمن الرحيم ، إلا قال الله : أشهدكم أنى قد غفرت له .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد خمسين مرة ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ورفع له بكل حرف درجة فى الجنة ، ما بين كل درجتين مسيرة خمس مئة عام ، ويزوجه الله بكل حرف فى القرآن حوراء ، مع كل حوراء سبعون ألف مائدة من الدّر والياقوت ، على كل مائدة سبعون ألف لون من لحم طير خضر ، له برد الثلج ، وحلاوته حلاوة المسك ، وريحه ريح المسك ، لم تمسه نار ولا حديد ، يجد لأخوه طعاما كما يجد لأوله . وذكر له فضلا غير ذلك . أنهربهما أبو الفرج فى مشير الغرام .

١٧ - ما جاء فى فضل يوم عرفة ، وإجابة الدعاء ، وتنزل الرحمة على الواقفين فيه

تقدم فى الباب الأول فى فصل ما يفضل الله به على الحاج ، من حين يخرج من بيته إلى آخر طواف بالبيت ، طرّف منه ، من حديث أبى حاتم ، عن ابن عمر .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدا من النار ، من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ، ثم يباهى بهم الملائكة ، فيقول ما أراد هؤلاء ؟ أنهربهم مسلم والنسائي ، وقال : عبدا أو أمة من النار .

وعن طلحة بن عبد الله بن كريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما روى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أذحر ولا أحقر ولا أعظم منه فى يوم عرفة . وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما روى يوم بدر . قيل : وما روى يوم بدر ؟ قال : أما أنه رأى جبريل يزعم للملائكة . أنهربهم مالك .

نمرع — أذحر ، الدحر : الدفع بعنف ، على سبيل الإهانة والإذلال ؛ ومنه « فَتَلَقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا » . وفي رواية : « أذحر ولا أذحق » . والدّحق : الطرد والإبعاد . وأفعل : هي التي للتفضيل من دحر ودحق ، كأشهر وأجن ، من شهر وأجن . وقوله يَزَع^(١) الملائكة : أي يقودهم . قال الجوهرى : يقال : زاع بعيره يزوعه زوعاً^(١) إذا حرّكه بزمام إلى قدام ، ليزداد في سيره .

وعن بلال بن أبي رباح ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله باهى ملائكته بأهل عرفة عامة ، وباهى بمعر بن الخطاب خاصة . أخرجه تمام الرازى في فوائده .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة . قال : فقال رجل : يا رسول الله ، هي أفضل من عِدَّتِهِنَّ جهادا في سبيل الله عز وجل ؟ قال : هي أفضل من عِدَّتِهِنَّ جهادا في سبيل الله عز وجل ؛ وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ؛ ينزل الله إلى السماء الدنيا ، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء ، فيقول : انظروا إلى عبادى شُعْناً غُبْراً ضاجين ، جاءوا من كل فج عميق ، يرجون رحمتى ، ولم يروا عذابى . فلم يَرِ يوم أكثر عِتْقاً من النار من يوم عرفة . أخرجه أبو حاتم في التقاسيم والأنواع . وأخرج الإسماعيلي في مُعْجَم طائفة منه . ولفظه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشية عرفة : يَنْزِلُ اللهُ عز وجل فيه إلى السماء ، فيقول للملائكة : انظروا إلى عبادى شُعْناً غُبْراً ، جاءوا من كل فج عميق ضاجين ، يسألوننى رحمتى ولم يرونى ، وبتعوذون بى من عذابى ولم يرونى ، لا يَرِىَ يَوْمَ أكثر عَتِيقاً أو عَتِيقاً فيه من النار منه ، لا يغفر الله فيه مُخْتَال . وأخرج البغوى في شرح السنة معناه عن جابر . وفيه : فإذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا ، فيقول : انظروا

(١) يزع الملائكة : أى يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب ، فكأنه يكتمهم عن التفرق والانتشار . (النهاية) . وقال فى اللسان : زاعه يزوعه زوعا ، كفه ، مثل وزعه . وقد جعلها المؤلف مادة واحدة ، وهما مادتان ، ولكن معناه واحد .

إلى عبادى شُعْمًا غُبْرًا ، اَشْهَدُوا أَنِي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ ، فتقول الملائكة : ياربِّه
فلان كان يَرْهَق ، وفلان وفلانة . قال : يقول الله عز وجل : قد غَفَرْتُ لَهُمْ .

شرح - يَرْهَق : أَيْ يَغْشَى الْحَارِم .

وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إِنْ اللَّهُ يُبَايِ بِأَهْلِ
عَرَافَاتٍ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ ، فيقول : انظروا إلى عبادى هؤلاء ، جاءونى شُعْمًا غُبْرًا .
أُضْرِبُ ابْنَ حَبَّانَ . وأخرجه الإمام أحمد ؛ ولفظه : إِنْ اللَّهُ عز وجل يُبَايِ مَلَائِكَتَهُ
عَشِيَّةَ عَرَافَةٍ بِأَهْلِ عَرَافَةٍ ، فيقول ... الحديث .

وعن العباس بن مرداس ، أن النبیَّ صلى الله عليه وسلم دعا لأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَافَةٍ
بِالْمَغْفَرَةِ ، فَأُجِيبَ : إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلَا الظَّالِمَ ، فَإِنِّي أَخَذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ . قال : أَيْ
رَبِّ ، إِنْ شِئْتُ أُعْطِيتُ الْمَظْلُومُ مِنَ الْخَيْرِ^(١) ، وَغَفَرْتُ لِلظَّالِمِ ؛ فَلَمْ يُجِبْ عَشِيَّتَهُ . فلما
أَصْبَحَ بِالْمَرْزُوقَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ ، فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ . قال : فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله
عليه وسلم ، أَوْ قَالَ : تَبَسَّمَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي . إِنْ هَذِهِ لَسَاعَةٌ
مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا . فَمَا الَّذِي أَضْحَكُكَ ، أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ ؟ قال : إِنْ عَدُّوْا اللَّهَ
إِبْنَيْسَ ، لَمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عز وجل قد استجاب دعائى ، وَغَفَرَ لَأُمَّتِي ، أَخَذَ التُّرَابَ ، فَجَعَلَ
يُخَوِّهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالتُّبُّورِ ، فَأَضْحَكُنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ . أُضْرِبُ ابْنَ مَاجَةَ .
وَأُضْرِبُ أَبُو حَفْصُ الْمُلَا فِي سِيرَتِهِ . ولفظه : إِنْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دعا لأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ
عَرَافَةٍ بِالْمَغْفَرَةِ وَالرَّحْمَةِ ، فَأَكْثَرَ الدُّعَاءَ ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ عز وجل : إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ وَغَفَرْتُ
لَأُمَّتِكَ إِلَّا ظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فقال : ياربِّ ، إِنَّكَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِلظَّالِمِ ، وَتُنْثِبَ
الْمَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلَمَتِهِ . فَلَمْ يُجِبْ تِلْكَ الْآيَةَ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَدِيدِ دَعَا عِنْدَ الْمَرْزُوقَةِ لَأُمَّتِهِ ،
فَلَمْ يَلْبِثْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَبَسَّمَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي ؟ ضَحِكْتَ
فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَضْحَكُ فِيهَا ، فَمَا أَضْحَكَكَ ، أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنَّكَ ؟ فقال : إِنِّي تَبَسَّمْتُ

(١) كَذَا فِي م ، وَصَوَّبَهُ اللُّجْنَةُ الْمَكِّيَّةُ . وَفِي مَتْنٍ مِثْلٍ فِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ طَبْعُ النَّازِي بِالْقَاهِرَةِ ج ٢
ص ٢٣٧ : اللُّجْنَةُ . (وَانْظُرْ تَلْقِيقَ السَّنَدِي عَلَى الْمُدْرِي بِمَاجَةَ سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ، وَابْسَ فِي سَنَدِهِ ابْنُ أَبِي رَوَادٍ)

من عدو الله إبليس حين علم أن الله استجاب دُعائِي في أمَّتِي ، وغَنَرَ لهم المظالم ، فذهب يدعو بالويل والثُّبور ، ويحثو على رأسه بالتراب .

رَأَضِرْجُ أَبُو سَعْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي كِتَابِهِ شَرَفَ النُّبُوَّةِ مَعْنَاهُ . رَأَضِرْجُ الْإِمَامِ أَبُو بَكْرٍ الْأَجْرِيُّ فِي الثَّمَانِينَ ، بِتَغْيِيرِ بَعْضِ اللَّفْظِ ، وَتَقْدِيمِ بَعْضِ ، وَتَأْخِيرِ بَعْضِ .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : هَذَا الْحَدِيثُ لَا يَصَحُّ . تَفَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ وَلَمْ يُتَابِعْ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ حِبَّانَ : وَكَانَ يُحَدِّثُ عَلَى التَّوَهُّمِ وَالْحِسْبَانِ ، فَيُبْطَلُ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ .

سُرْعُ — الْوَيْلُ : الْحُزْنُ وَالْهَلَاكُ وَالْمَشَقَّةُ ، وَكُلٌّ مِنْ وَقَعَ فِي هَلَاكَةٍ دَعَا بِالْوَيْلِ ، وَمَعْنَى النَّدَاءِ فِيهِ : يَا حُزْنِي وَيَا عَذَابِي وَيَا هَلَاكِي احْضُرْ ، فَهَذَا وَقْتُكَ ، فَكَأَنَّهُ نَادَى الْوَيْلَ أَنْ يَحْضُرَهُ لِمَا عَرَضَ لَهُ . وَالثُّبُورُ : هُوَ الْهَلَاكُ ، وَقَدْ تَبَيَّرَ يَتَبَيَّرُ ثُبُورًا : إِذَا هَلَكَ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ اللَّهُ تَطَوَّلَ عَلَى أَهْلِ عِرْفَاتٍ ، فَبَاهَى بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْمًا غُبْرًا ، أَقْبِلُوا يَضْرِبُونَ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، فَاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ إِلَّا التَّيْبَعَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ قَالَ : ثُمَّ إِنْ الْقَوْمُ أَفَاضُوا مِنْ عِرْفَاتٍ إِلَى جَمْعٍ ، فَقَالَ : يَا مَلَائِكَتِي ، انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي ، وَقِفُوا فَعَادُوا فِي الطَّابِ وَالرَّغْبَةِ وَالْمُسْتَلَةِ ، اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ وَهَبْتُ مُسِيئَتَهُمْ لِحُسْنِهِمْ ، وَتَحَمَّلْتُ عَنْهُمْ التَّيْبَعَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ .

وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا يَبْقَى أَحَدٌ يَوْمَ عِرْفَةٍ فِي قَلْبِهِ وَزَنَ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا غُفِرَ لَهُ . قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِأَهْلِ عِرْفَةٍ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَةً ؟ قَالَ : بَلَى لِلنَّاسِ عَامَةً . أَضْرَجَ الْحَدِيثَيْنِ أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ الْهَرَوِيُّ فِي مَنْسَكِهِ .

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْمَغْفِرَةَ تَنْزِلُ عِنْدَ دَفْعَةِ الْإِمَامِ يَوْمَ عِرْفَةٍ . أَضْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وَعَنْ ثَابِتِ الْبُنَاتِيِّ قَالَ : إِنَّا لَوُقُوفٌ بِجِبْلِ عِرْفَاتٍ ، فَإِذَا شَابَانِ عَلَيْهِمَا الْعَبَاءُ الْقَطَوَانِي ، فَإِذَا أَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : يَا حَبِيبُ ، فَأَجَابَهُ الْآخَرُ : لَبَّيْكَ أَيُّهَا الْمُحِبُّ .

قال : أين الذي تحاببنا فيه، وتواددنا فيه، بعدنا غدا في يوم القيامة ؟ قال : فسمعنا مناديا سمعته الأذن ولم تره العين يقول : لا ، لئس بفاعل . أضرهم صاحب مُثير الغرام .

١٨ — ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان وقوفه بعرفة في حجته في يوم الجمعة عن طارق بن شهاب ، عن عمر بن الخطاب : أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال : أي آية ؟ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزل فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قائم بعرفة في يوم الجمعة . أضرهم مسلم .

١٩ — ما جاء في فضل وقفة الجمعة

عن طلحة بن عبيد الله بن كرز^(١) ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الأيام يوم عرفة وافق يوم الجمعة ، وهو أفضل من سبعمائة حجة في غير الجمعة . أضرهم رزين في تجريد الصحاح ، وعليه علامة المؤطاء ، ولم أره في مؤطاء يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي ، نفعه في غيره من المؤطئات . وذكر أبو طالب المكي في كتابه الموسوم بقوت القلوب ، عن بعض السلف ، أنه قال : إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل الموقف . وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيه في حجة الوداع ، على ما تقدم في الفصل قبله ، وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال : في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا آتاه ، وقد روي أنه قال : التمسوها آخر الساعات بعد العصر . وفي رواية : ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .

٢٠ — ما جاء في اجتماع جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر بعرفة

عن علي عليه السلام قال : يجتمع في ك^١ يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام ، فيقول جبريل : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، فيرد عليه

(١) طلحة بن عبيد الله بن كرز : بفتح الكاف ، وكسر الراء . كنا ضبطه الخزرجي في الخلاصة .

هيكائيل : ماشاء الله ، كل نعمة من الله ؛ فيرد عليهما إسرائيل ، فيقول : ماشاء الله . الخير كله بيد الله ؛ فيرد عليهم الخضر ، فيقول : ماشاء الله ، لا يدفع الشوء إلا الله ؛ ثم يفترقون ، فلا يجتمعون إلى قابل ، في مثل ذلك اليوم . أمر به الحافظ أبو الفرج في منير الغرام .

٢١ - ما جاء في اجتماع الخضر وإلياس في الموسم وبعرفة

عن [عطاء عن]^(١) ابن عباس - قال : لا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال : يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم ، فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه ، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ماشاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ، ماشاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ؛ ماشاء الله ، ما كان من نعمة فمن الله ؛ ماشاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله . قال ابن عباس : من قاهن حين يصبج وحين يمسي ثلاث مرّات آمنه الله من الحرق والفرق والسرّق . قال عطاء : وأحسبه [قال]^(٢) : ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب .

وعن داود بن يحيى مولى عوف^(٣) الطّفاوي ، عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس ، [و] بسّقلان ، قال : بينا أنا أسير في وادي الأردن ، إذا أنا رجل في ناحية الوادي قائم يصلي فإذا سحابة تظّله من الشمس ، فوقع في قاي أنه إلياس النبي عليه السلام ، فأتيته ، فسلمت عليه ، فأنقّلت من صلاته ، فردّ عليّ السلام ، فقلت له : من أنت يرحمك الله ؟ فلم يرّد عليّ شيئاً ، فأعدت القول مرتين ، فقال : أنا إلياس النبي ، فأخذتني رعدة شديدة ، خشيت على عقلي أن يذهب ، قلت له : إن رأيت - رحمك الله - أن تدعوكي أن يذهب عني ما أجد ، حتى أفهم حديثك ، فدعا لي بشان دعوات . قال : يا برّ يا رحيم ، يا حيّ يا قيوم ، يا حنان يا منان ،

(١) ما بين المعقوفين : زيادة عن منير الغرام ، لابن الجوزي ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٤٣٢ حديث . الورقة رقم ٧٥ .

(٢) ما بين المعقوفين : زيادة عن منير الغرام . وقد حذف المؤلف بعض أجزاء من هذا الحديث ذكرها ابن الجوزي في منير الغرام .

(٣) كذا في م ، م والأنسب للسماعي . وفي منير الغرام : عون .

يَأْهِياً شِرْأْهِياً^(١) ، فذهب عنى ما كنت أجد ، فقلت له : إلى مَنْ يُبْعَث ؟ فقال : إلى أهل بَعْلَبَك . قلت : فهل يُوحى إليك اليوم ؟ قال منذ بُعِثَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم خاتمُ النبيين فلا . قلت : فكم من الأنبياء فى الحياة ؟ قال : أربعة . أنا والخضر فى الأرض وإدريس وعيسى فى السماء . قلت : فهل تلتقى أنت والخضر ؟ قال : نعم فى كل عام بعرفات ، يأخذ من شعْرِى ، وآخذ من شعْرِهِ . أضرب الحافظ أبو الفرج فى مثير الفرام .

(١) كذا وردت هذه العبارة فى م ، وه ومثير الفرام لابن الجوزى . وهى من العبرية . وأصل (هيا) بالعبرية : (أَهْيِيَهْ) ومعناها : الله ، الموجود . وقد يقال فيها : (يَهْوَهْ) . وأصل (شر) : أشر ، بالعبرية ، ومعناها : الذى . ومعنى العبارة : يا الله الذى هو الله ، أى الموجود . وقد جاء فى الكتاب المقدس (فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج ، الآيات ١٣ - ١٥) ما يوضح معنى العبارة المتقدمة :

« فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل ، وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم . فإذا قالوا لى : ما اسمه ؟ فإذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى : أَهْيِيَهْ الذى أَهْيِيَهْ . وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أَهْيِيَهْ أرسلنى إليكم . وقال الله أيضا لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل : يَهْوَهْ إله آبائكم ، إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب ، أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد .

البَابُ التَّاسِعُ عَشَرُ

في الإفضاء من عرفة ، والوقوف بالمزدلفة

١ - ما جاء في صفة سيره صلى الله عليه وسلم لما أفاض من عرفة

عن أسامة لما سُئِلَ عن سير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفة . قال : كان يسير العنق ، فإذا وجد فجوة نص . أخرجه .

شرح — العنق : سير رفيق . قال الجوهري : العنق : ضرب من سير الدابة والإبل . والنص : سير فيه سرعة ، من قولك نصصت الحديث ، إذا رفعته إلى قائله . ونسبته إليه . وقال أبو عبيد : النص : التحريك حتى تستخرج من الناقة أفصى جريها . وأصل النص : منتهى الأشياء وغايتها ، ومبلغ أقصاها . والفجوة بفتح الفاء وإسكان الجيم : المكان المتسع . وقد رواه بعض رواة الموطأ : فُرْجَة ، بالراء ، وهي بمعناها .

وفي هذا دلالة على أن السكينة المأمور بها في الحديث بعده ، إنما هي من أجل الرفق بالناس ، فإن لم يكن زحام سار كيف شاء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دَفَعَ ، فسمع وراءه زجرا شديدا ، وضربا للإبل ، فأشار بسوطه إليهم ، وقال : أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع . أخرجه .

وعن أبي داود : فإن البر ليس بالإيجاف .

وفيه دليل على استحباب الرفق في المدفع بالإبل ، وإبقاء عليهم ، لئلا يُجْحِفُوا بأنفسهم . وقوله عليه السلام «عليكم بالسكينة» : قيل : إنما قال ذلك في ذلك الوقت الذي لم يجد فجوة . والإيضاع : سير مثل الخبب . وقيل : هو حمل الركب على السير السريع . واختاره

البَقْوَى ، قال : ومنه قوله تعالى : « وَلَا تُؤْذِمُوا خِلَالَكُمْ » . والإيجاف : الإسراع في السير ، يقال : وَجَفَ الفرس وجيفا ، وأوجف الفارسُ إيجافا ، وكذلك في الإبل . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : سِرْتُ مع عمر حين أفاض ، فما كان يزيد على العَنَق قال : وَسَمِعْتُهُ يقول : لا تزبدوا على العَنَق .

وروي عنه أنه كان بوضعٍ ويُشَد :

إِلَيْكَ تَفْدُو قَلْعًا وَضِيْنَهَا مَخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِيْنَهَا

وعن ابن الزبير أنه كان يوضع أشد الإيضاع ، أخذ ذلك عن عمر . أخرج جميع ذلك سعيد بن منصور .

تقدم شرح الإيضاع والعَنَق . والإفاضة : الدَّفْع ، يقال أفاضَ من المكان : إذا أسرع منه إلى المكان الآخر . وأصله الدَّفْع ، سُمِّي به ، لأنهم إذا انصرفوا ازدحموا ، ودفع بعضهم بعضا . وأما الوَضِيْن في حديث ابن عمر : فهو بَطَانٌ مُنْشُوجٌ بعضه على بعض ، يُشَدُّ به الرَّحْلُ على البعير ، كالخِزَامِ للسرَج . أراد أن وضيْنها كثيرُ الحركة ، لشدة السَّيْرِ ، كالخِزَامِ إذا كان رِخْوًا ، وهكذا أوردَهُ المَرْوِيُّ والزُّنْجَنِيُّ عن ابن عمر ، كما أخرجه سعيد . وأخرجه الطَّبْرَانِيُّ في المُعْجَم عن سالم ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من عَرَقات وهو يقول :

* إِلَيْكَ تَفْدُو قَلْعًا وَضِيْنَهَا *

ولعله أشار بالمخالفة في الموقف ؟ فإن النصاري كانوا يقفون في وادي مُحَسَّرٍ ، كما تقدم ذكره في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم جَعَلَ يُعْنِقُ على ناقته والداس يضر بون الإبل يمينًا وشمالًا ، ولا يلتفت إليهم ، ويقول : السكينة أيها الناس . أخرجه أبو داود ، والترمذِيُّ أتم منه . وقال : حسن صحيح .

قال بعضهم : رواية من روى « يَلْتَقَتِ إليهم » بإسقاط « لا » : أصحُّ ، فإنه كان ينظر إليهم وهم يضر بون الإبل ، يُشِيرُ إليهم يمينًا وشمالًا : السكينة السكينة .

٢ - ماجاء فيما يقال حال الإفاضة من الذكر

تقدم في فصل التلبية حديث ابن عباس عن أسامة والفضل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يُلبّي حتى رمى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ . أخرجه .
وتقدم في فصل التوجه من مَنَى إلى عرفات من حديث ابن مسعود نحوه ، أخرجه أبو ذَرٍّ .

وعن أشعث بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلت مع ابن عمر من عرفات إلى مُزْدَلِفَةِ ، فلم يكن يَفْتُرُ من التكبير والتهليل ، حتى أتينا المَزْدَلِفَةَ . أخرجه أبو داود .
وعن أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يُلبّي حين أفاض حتى دخل جَمْعًا . أخرجه الأزرقي .

وعن الفضل بن عباس رضى الله عنهما ، قال : شهدت الإفاضة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه السكينة ، وهو كافٌ بعيره ، ولَبَّى حتى رمى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ .
وعن الأسود قال : أفاض عمر عشية عرفة على جبل أحر ، وهو يُلبّي : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ ، إن الحمد والنعمة لك . أخرجه سعيد بن منصور .
وقد تقدم الكلام في هذا ، والجمع بين مختلف الروايات في فصل التوجه عن مَنَى إلى عرفة
٣ - ما جاء في النزول دون مُزْدَلِفَةِ لحاجة

عن أسامة بن زيد قال : دَفَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ، حتى إذا كان بالشَّعْبِ قال البخاري : الأثر الذي دون المَزْدَلِفَةِ ، وكذلك ذكره ابن حزم ، وقال المَلَّا : على يَمْرَةِ الطريق بين المَازِمَيْنِ ، ويقال له شَعْبُ الإذْخَرِ . وقال أبو داود : الشَّعْبُ الذي ينيخ الناس فيه للمُعَرَّسِ ، نزل فبال . وقال مسلم : فأناخ ناقته ، ثم بال ، وما قال : أهرأق الماء ، ثم دعا بالوضوء ^(١) . وفي رواية عنده : فلما جاء الشَّعْبُ أناخ راحلته ، ثم ذهب

(١) قوله ثم دعا بالوضوء : قال الحافظ في فتح الباري ، في شرح باب إسباغ الوضوء والماء الذي توضأ به صلى الله عليه وسلم ليلئذ كان من ماء زمزم . أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زيادات مسند أبيه ، بسند حتى (؟) من حديث علي بن أبي طالب ، فيستفاد منه الرد على من منع استعمال زهزم غير الشرب ، والله أعلم .
من نسخة الشيخ أبي الفيض الهندي .

مَالِي الْغَائِطُ ، قَالَا : ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسَمِّحِ الْوُضُوءَ . قُلْتُ لَهُ : الصَّلَاةُ . فَقَالَ الصَّلَاةُ أَمَامُكَ . فَرَكِبَ ، فَلَمَّا جَاءَ الْمَزْدَلِقَةَ ، نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْمَغَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ أَقِيَمَتِ الْعِشَاءُ ، فَصَلَّاهَا وَلَمْ يَصِلْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا . وَفِي رَوَايَةٍ : فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ أَنَاخَ النَّاسُ فِي مَنْازِلِهِمْ ، وَلَمْ يَحِلُّوا حَتَّى أَقَامَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، فَصَلَّى بِهِمْ ، ثُمَّ حَلُّوا . أَفْرَجَاهُ بِطَرُقِهِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ حِينَ أَفَاضَ وَاتَّهَى إِلَى الْمَضِيقِ دُونَ الْمَازِمِينَ ، فَأَنَاخَ وَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَتَاهَا إِلَى هَذَا الْمَسْكَانِ أَنَاخَ ، وَقَضَى حَاجَتَهُ . أَفْرَجَاهُ أَبُو ذَرٍّ .

سَمِعَ - الشُّعْبُ : هُوَ انْفِرَاقُ بَيْنِ الْجَبَلَيْنِ مِنْ طَرِيقِ أَوْ نَحْوِهِ . وَالْمَازِمُ : الْمَضِيقُ بَيْنَ الْجِبَالِ ، حَيْثُ يَلْتَقِي بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، وَيَتَسَعَّ مَاورَاءَهُ ، وَالْمِيمُ زَائِدَةٌ ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْأَزْمِ : الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ ، وَنَزُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشُّعْبِ إِنَّمَا كَانَ نَزُولَ حَاجَةٍ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ النَّسْكَ فِي شَيْءٍ . وَالْمُعْرَسُ : مَوْضِعُ التَّعْرِيسِ . وَالتَّعْرِيسُ : نَزُولُ الْقَوْمِ فِي السَّفَرِ آخِرَ اللَّيْلِ لِلْإِسْتِرَاحَةِ ، ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ . وَقِيلَ : التَّعْرِيسُ : النَزُولُ أَيْ وَقْتُ كَانَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . وَيَشْهَدُ لَهُ مَا جَاءَ : مَعْرِسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهْيَةِ ^(١) . وَفِي قَوْلِهِ : «وَمَا قَالَ أَهْرَاقَ الْمَاءِ» ؛ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ أُورِدَ الْحَدِيثَ بِلَفْظِهِ كَمَا سَمِعَهُ ، وَلَمْ يُورِدْهُ بِمَعْنَاهُ . وَقَوْلُهُ «الصَّلَاةُ» الْأُولَى . يُقَالُ بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِغْرَاءِ ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى إِضْمَارِ ، أَيْ حَانَتِ الصَّلَاةُ ؛ وَالثَّانِيَةُ مَرْفُوعَةٌ بِالْإِبْتِدَاءِ وَقِيلَ بِمَعْنَى الصَّلَاةِ أَمَامُكَ : أَيْ مَوْضِعُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَمَامُكَ ، وَهُوَ الْمَزْدَلِقَةُ . وَيَحْتَجُّ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الصَّلَاةِ قَبْلَ مَزْدَلِقَةَ ، وَحَمَلَهُ مِنْ خَالِفِهِ عَلَى الْأَوَّلِيَّةِ . وَقَوْلُهُ «وَلَمْ يُسَمِّحِ الْوُضُوءَ» مَعَ قَوْلِهِ «فَلَمَّا جَاءَ الْمَزْدَلِقَةَ أَسْمَغَ الْوُضُوءَ» : قَدْ يُؤْهِمُ أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَكُنْ وَضُوءَ الصَّلَاةِ ، بَلْ كَانَ اسْتِنْجَاءً ، وَعَلَى ذَلِكَ تَأْوِيلُهُ بَعْضُهُمْ . وَقِيلَ بَلْ وَضَّأَ بَعْضُ أَعْضَائِهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ كَانَ الْأَوَّلُ وَضُوءَ الصَّلَاةِ مُخَفَّفًا وَإِيمَاءً بِأَدْنَى مَا تُجْزَى بِهِ الصَّلَاةُ ، دُونَ تَكَرُّارٍ ، وَتَخْفِيفِهِ كَانَ لِاسْتِعْجَالِهِ ، وَالْمُبَادَرَةِ بِهِ ، أَيْ كَوْنِهِ عَلَى طَهَارَةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا يُقَالُ

(١) نَحْرِ الظَّهْيَةِ هُوَ حِينَ تَبْلُغُ الشَّمْسُ مَتْنَهَا مِنْ الِارْتِفَاعِ ، كَأَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَى النَّحْرِ ، وَهُوَ أَعْلَى الصَّدْرِ .

على الاستنجاء وضوء حقيقة ، ولا لم يسعغ الوضوء ، وقد جاء في بعض الطرق : فصَبَّبتُ عليه من الإداوة ، فتوضأ ، وذلك أدلُّ دليل على أنه لم يكن استنجاء ، إذ لا يَصُبُّ عليه في الاستنجاء ، ثم أعاد وضوءه لتحصل فضيلة كماله بإسباغه . ويجوز أن يكون طَرَأ ما أوجب إعادته : وفيه دليل على أن الوضوء نفسه عبادة ، وإن لم يُرَدَّ به الصلاة . وقوله « ثم أناخ كل إنسان بعيره » : دليل على أن قليل العمل لا يَقْطَعُ نَظْمَ الجمع ، وتأخير حَطِّ الرحال إلى الفراغ من صلاة العشاء : هي السنة المأثورة .

وعن عطاء أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء الشَّعْبُ الذي يُصَلِّي فيه الخلفاء اليوم المغرب ، يعني خلفاء بني مروان ، نزل فأهراق الماء ، ثم توضأ ، ثم انطلق حتى جاء جَمْعاً . . الحديث .

وعنه أنه كان إذا ذكر الشَّعْبُ يقول : اتَّخَذَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مَبَلا ، واتَّخَذْتُمُوهُ مُصَلَّى ، يعني خلفاء بني مروان ، وكانوا يُصَلُّون به المغرب . أمرهم بها أبو الوليد الأزرقى . وقال : سألت جَدِّي عن الشَّعْبِ الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة ، حين أفاض من عرفة . قال : هو الشَّعْبُ الكبير الذي مِنْ مَازِمٍ عرفة ، عن يسار المُقْبِل من عرفة إلى مزدلفة ، في أقصى المأزم مما يلي تَمْرَةٍ . وفي هذا الشعب صخرة كبيرة ، وهي الصخرة التي لم أزل أسمع من أدركت من أهل العلم يزعمُ أن النبي صلى الله عليه وسلم بال خلفها ، واستتر بها ، ثم لم تزل أئمة الحج تَدْخُل هذا الشعب ، فتبول فيه وتوضأ إلى اليوم . وقال أبو محمد : أَحْسِبُ أن جد أبي الوليد أَوْهَمَ . وذلك أن أبا يحيى بن أبي ميسرة أخبرني أنه الشَّعْبُ الذي في بطن المأزم ، عن يمينك وأنت مُقْبِل من عرفة ، بين الجبلين إذا أَقْصَيْت من مضيق المأزمين ، وهو أقرب وأوصل بالطريق ، لأن الشَّعْبَ الذي ذكره جد أبي الوليد الأزرقى يَبْعَد عن الطريق . وهذا أقرب إلى الصحة ، لأن البخارى نَصَّ على أنه عن يَسْرَةِ الطريق كما تقدم ، والظاهر أنه يريد لمن أفاض ، لا لمن قصد عرفة ، لأنهم كانوا مُفِيضِينَ .

٤ - ما جاء مما يَوْمُ مِضَادَةِ الْحَدِيثِ قَبْلَهُ

عَنِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ قَالَ : أَفَضْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَامَتِ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ حَتَّى أَتَى جَمْعًا . أَخْبَرَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَأَبُو ذَرٍّ ، وَمَا رَوَاهُ أُسَامَةُ أَنْبَتَ ، فَإِنَّهُ كَانَ رَذَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرَ الشَّرِيدُ عَمَّا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ .

٥ - ما جاء في الوقوف للمسألة حال الإفاضة

عَنْ أَبِي سُوَيْدٍ بْنِ مَخِيرَةَ^(١) قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِي ، قَالَ : لَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عِرْفَةِ وَالْمَزْدَلِفَةِ ، فَأَخَذْتُ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ ، فَقُلْتُ : مَا بَقَرْتُ بَنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيَبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ لَنْ أُوجِزَ الْمَسْأَلَةَ ، لَقَدْ أَعْظَمْتُ وَطَوَّلْتُ . أَمِ الصَّلَاةُ الْمَسْكُوتَةُ ، وَأَدُّ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ ، وَاجْتِنَاجُ الْبَيْتِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَفْعَلَ بِكَ النَّاسُ فَافْعَلْ بِهِمْ . وَمَا كَرِهْتُ أَنْ يَفْعَلَ بِكَ النَّاسُ فَدَعْ النَّاسَ مِنْهُ ، خَلِّ عَنْ خِطَامِ النَّاقَةِ . أَخْبَرَهُ أَبُو ذَرٍّ .

٦ - ما جاء أن المزدلفة كلها موقف ، وبيان موقفه صلى الله عليه وسلم منها
عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَقَفْتُ هَهُنَا ، وَجَمَعَ كُلُّهَا مَوْقِفَ . أَخْبَرَاهُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ فِي فَصْلِ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ بِالْمَزْدَلِفَةِ ، وَقَالَ : وَقَفْتُ هَاهُنَا ، وَمَزْدَلِفَةُ كُلِّهَا مَوْقِفَ . أَخْبَرَاهُ .
وَعَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَصْبَحَ يَجْمَعُ أَتَى قُزَحَ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَذَا قُزَحَ وَهُوَ الْمَوْقِفُ ، وَجَمَعَ كُلُّهَا مَوْقِفَ . أَخْبَرَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ بِالْمَزْدَلِفَةِ

(١) كَذَا فِي ٥ ، مَخِيرَ ، بِدُونِ نَقْطٍ لِلْحَرْفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ . وَفِي ٣ : حَجِيرَ ، بِحَاءٍ ثُمَّ جِيمَ .

ركب ناقته حتى أتى للمشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعاه وكبره وهله ووحدته ، ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى ناسا يزدهون على الجبل الذي يقف عليه الإمام ، فقال : يا أيها الناس ، لا تشقوا على أنفسكم ، ألا إن ما هاهنا مشعر كله . أنهرهم سعيد بن منصور .

وعنه قال : للمشعر الحرام المزدلفة كلها . أنهرهم أبو ذر .

هذا الحديث مُصرِّح بأن المشعر الحرام هو المزدلفة ، وكذلك تضمنه كثير من كتب التفسير في قوله تعالى : « فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ » . وحديث علي وجابر يدلان على أن قُزَح هو المشعر الحرام ، وهو المعروف في كتب الفقه ؛ فتبين أن يكون في أحدهما حقيقة ، وفي الآخر مجازا ، دفعا للاشتراك ، إذ الجاز خير منه ، فتبرَّجح احتمالاه عند التعارض ، فيجوز أن يكون حقيقة في قُزَح ، فيجوز إطلاقه على الكل ، لتضمنه إياه ، وهو أظهر الاحتمالين في الآية ؛ فإن قوله تعالى عند المشعر الحرام ، يقتضي أن يكون الوقوف في غيره ، وتكون المزدلفة كلها عنده ، لما كانت كالحریم له ، ولو أريد بالمشعر الحرام المزدلفة لقال : في المشعر الحرام ؛ ويجوز أن يكون حقيقة في المزدلفة كلها ، وأطلق على قُزَح وحده مجازا ، لاشتغالها عليه ، وكلاهما وجهان من وجوه المجاز ، أعنى إطلاق اسم الكل على البعض ، وبالعكس . وهذا القائل بقول : حروف المعاني يقوم بعضها مقام بعض ، فقامت « عند » مقام « في » ، ومنه : « ولهم اللعنة » أي عليهم ، وكذا « إلاحلت عليه الشفاعة » : أي له . وفي الحديث والأثر ما يُصدَّق كل واحد من الاحتمالين . وقُزَح ، بضم القاف ، وفتح الزاي ، ثم حاء مهملة : موضع من المزدلفة ، وهو موقف قریش في الجاهلية ، إذ كانت لا تقف بعرفة . وقال الجوهري : قُزَح : اسم جبل بالمزدلفة . قلت : وقد بُني عليه بناء ، فمن تمكن من الرُّقَى عليه رقى ، وإلا وقف عنده مستقبل القبلة ، فيدعو ويكبر ويهلل ويوحّد ، ويكثر من التلبية إلى الإسفار . ويستحب أن يدعو بدعاء ابن عمر المتقدم في فصل ركعتي الطواف ، وباب السعي ولا ينبغي أن يفعل

ما تطابق عليه الناس اليوم ، من النزول بعد الوقوف من دَرَج في وسطه ضيقة ، يزدحم الناس على ذلك ، حتى يكادُ يهلك بعضهم بعضا ، وهو بدعة شنيعة ، بل يكون نزوله من حيث رُقِيَهُ من الدَرَج الظاهرة الواسعة . وقد ذكر ابن الصلاح في منسكه أن قُرَحَ جبل صغير في آخر المزدلفة ، ثم قال بعد ذلك : وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذي ذكرناه ، الوقوف على بناء مُسْتَحْدَث في وسط المزدلفة ، ولاتأذى به هذه السنة ، والله المستعان . هذا آخر كلامه . والظاهر أن البناء إنما هو على الجبل كما تقدم ذكره ، ولم أر ما ذكره لغيره . وجمع بفتح الجيم وإسكان الميم ، هي المزدلفة ، سُميت بذلك لاجتماع الناس بها ، وقيل للجمع بين الصلاتين ، وقيل : لأن آدم وحواء عليهما السلام بعد ما أهبطا إلى الأرض ، كل واحد في موضع ، اجتمعا به ، وقيل في قوله تعالى « فَوَسَّطْنَاهُ بَيْنَهُمَا » : المزدلفة . وقيل : جمع الكفار ، وقد ذكرنا سبب تسميتها المزدلفة في شرح حديث جابر الطويل ، في صفة حجِّ النبي صلى الله عليه وسلم . وحُدِّ المزدلفة : من مأزِجَى عرفة ، إلى وادى مُحَسَّرٍ يميننا وشمالا ، من تلك المواطن ، القوابل والظواهر والشعاب كلها ، وليس المأزِمان ولا وادى مُحَسَّرٍ من المزدلفة . وقد سبق شرح المأزِمين مكررا . ووادى محسر : وادٍ بين المزدلفة ومِنَى . وسيأتى ذكره في فصل الإفاضة إلى مِنَى .

٧ - ما جاء في الجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجمع ، ليس بينهما سجدة ، وصلى المغرب ثلاثا ، وصلى العشاء ركعتين . أخبرناه . وقوله « ليس بينهما سجدة » ، أى صلاة نافلة ؛ وقد جاءت السجدة بمعنى الركعة . وعن أبي أيوب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع في حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة . وقد تقدم الكلام في الجمع لأى عِلَّةٍ هو ، وفي جواز القصر ، في فصل الجمع بين الظاهر والعصر بعرفة ، وهذا الجمع سنة بإجماع العلماء ، وإنما اختلفوا فيما لو صلى كل صلاة في وقتها ، فعند أكثر العلماء يجوز . وقال الثوري وأصحاب الرأي : إن صلى المغرب دون

مزدلفة فعليه الإعادة ، وجوزوا في الظهر والعصر أن يُصَلِّيَ كل واحدة في وقتها ، مع كراهية ، وقد تقدم في الباب الأول ، في فصل حج الأنبياء ، أن إبراهيم لما حجج بإسماعيل ، جمع به بين المغرب والعشاء بمزدلفة ، ثم بات بها ، حتى إذا طلع الفجر صَلَّى بها الغداة ، ثم وقف به على قُرَحَ من المزدلفة ، حتى إذا أسفر غير مُشْرِقٍ ، دفع به وبمن معه ، يُرِيه ويُعَلِّمُهُ .

٨ - ما جاء أنه يجمع بينهما بأذان واحد وإقامتين

عن جابر رضى الله عنه في حديثه الطويل ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى بالمزدلفة المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئا . وفيه دلالة على أن الفوائت يُرَدَّنَ لها ، وأن الجمع بأذان وإقامتين ؛ وهو قول أحد ، وأصحُّ قول الشافعي ، وقول غيرهما من العلماء .

٩ - ما جاء أنه يجمع بينهما بأذان واحد وإقامة واحدة

عن أشعث بن سليم عن أبيه ، قال : أقبلتُ مع ابن عمر من عرفات إلى المزدلفة ، فأذُنْ وأقام أو أمر إنسانا فأذن وأقام ، فصلى بنا المغرب ثلاث ركعات ، ثم التفت إلينا فقال : الصلاة ؛ فصلى بنا العشاء ركعتين ، ثم دعا بمشائه ، فقبل له في ذلك ؛ فقال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم هكذا . أنهرهم أبو داود ؛ وبه قال أبو حنيفة : إنه يصلى بأذان واحد وإقامة واحدة .

وأشعثُ هذا : أبوه هو أبو الشعثاء . سليم بن أسود البُخَارِيُّ الكوفي ، بضم السين ، وفتح اللام .

١٠ - ما جاء أنه يجمع بينهما بأذنين وإقامتين

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه جمع بين الصلاتين بالمزدلفة ، فصلَّى الصلاتين ، كل صلاة وحدها بأذان وإقامة ، والعشاء بينهما . وفي رواية : لما صَلَّى المغرب صلى بعدها ركعتين ، ثم دعا بمشائه ، ثم أذَّنْ بالعشاء ، وأقام فصلها . أنهرهم البُخَارِيُّ . وأُفْرِجْ أحد الجمع بين الصلاتين بأذنين وإقامتين والعشاء بينهما من فعل ابن مسعود أيضا . قال الحافظ المنذرى : وبه أخذ مالك محتجا بحديث ابن مسعود .

١١ - ما جاء أنه يجمع بينهما بإقامتين دون أذان

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى المغرب والعشاء بجمع، كل واحدة بإقامة، ولم يُسَبِّح بينهما، ولا على أثر كل واحدة منهما. أضرجه البخاري وأضرجه أبو داود، وقال: ولم يناد في الأولى، ولم يُسَبِّح على أثر واحدة منهما. وفي رواية عنده أيضا: ولم يناد في واحدة منهما. وحكى البغوي والمُنْذِرِي أن هذا قول الشافعي، ودليله هذا الحديث وحديثُ أسامة المتقدم في فصل النزول دون مزدلفة؛ وهو قول إسحاق؛ وحكى غيرهما أن أصح قوليه أنه يجمع بينهما بأذان وإقامتين.

١٢ - ما جاء أنه يجمع بينهما بإقامة واحدة دون أذان

عن ابن عمر أنه صلى بجمع للمغرب والعشاء بإقامة واحدة، ثم انصرف فقال: هكذا صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في هذا المكان. أضرجه، والنسائي، وزاد ولم يُسَبِّح بينهما، ولا على أثر واحدة منهما. وأضرجه أبو داود، وزاد بعد قوله بإقامة واحدة: ثلاثا واثنتين. وروى الجمع بإقامة واحدة عبد الله بن مالك، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم وأضرجهما أبو داود. وبه قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ. وقال: أيها فعلت أجزأك.

وهذه الأحاديث المختلفة في هذه الفصول تؤم التضاد والتهاوت، وقد تعلق كل من قال بقول منها بظاهر ما تضمنه، ويمكن الجمع بين أكثرها، فنقول: قوله «إقامة واحدة». أي لكل صلاة أو على صفة واحدة لكل منهما؛ ويتأيد برواية من صرح بإقامتين. ثم نقول المراد بقول من قال: كل واحدة بإقامة، أي ومع إحداها أذان، يدل عليه رواية من صرح بأذان وإقامتين. وأما قول ابن عمر: لما فرغ من المغرب: الصلاة، قد تؤم الاكتفاء بذلك دون إقامة، ويتأيد برواية من روى أنه صلاهما بإقامة واحدة. فنقول: يحتمل أنه قال: الصلاة، تنبيهها لهم عليها، لئلا يشتغلوا عنها بأمر آخر؛ ثم أقام بعد ذلك، أو أمر بالإقامة. وليس في الحديث أنه اقتصر على قوله: الصلاة ولم يُقِم.

وأما حديث البخاري أنه صلى كل واحدة منهما بأذان وإقامة، والعشاء بينهما، فهو مضاد للأحاديث كلها. ويحمل ذلك على أنه فعل ذلك مرة أخرى غير تلك المرة، ويستدل به على عدم وجوب الموالاة؛ ويؤيده حديث: ثم أناخ كل واحد بغيره، وقد تقدم في الفصل الأول.

إذا تقرر ذلك فمن قدّم العصر إلى الظهر، أذن للظهر وفاقا، وأقام للعصر عند الأكثرين، وهو قول الشافعي، وقال أصحاب الرأي: لا يقيم لها. أما إذا أخر الأولى إلى الثانية، فاختلف العلماء في التأذين للأولى، على ما سبق تقريره، ولا خلاف أنه لا يؤذن للثانية، إلا ما تقدم ذكره عن ابن عمر.

١٣ - ما جاء في أنه يجمع بينهما بغير أذان ولا إقامة

عن طلق بن حبيب أن ابن عمر جمع بين المغرب والعشاء بجمع؛ قال: الصلاة للمغرب ولم يؤذن، ولم يُقم. ثم قال: الصلاة للعشاء، ولم يؤذن، ولم يقم، ونحر بدنته وهي قائمة مقيدة. أنهرج علي بن عبد العزيز البغوي. وأنهرج عنه ابن حزم في صفة حجة الوداع الكبرى. وعن نافع قال: لم أحفظ عن ابن عمر أذانا ولا إقامة بجمع. وهذا قال به بعض السلف. وهو محمول على ما تقدم من التأويل، جمعا بين الأحاديث.

ونقول^(١): العُمدة من هذه الأحاديث كلها حديث جابر، دون سائر الأحاديث، لأن من روى أنه جمع بإقامة معه زيادة علم على من روى الجمع دون أذان ولا إقامة، وزيادة الثقة مقبولة. ومن روى بإقامتين، فقد أثبت ما لم يثبت من روى بإقامة، فقضى به عليه. ومن روى بأذان وإقامتين وهو حديث جابر، وهو أتم الأحاديث، فقد أثبت ما لم يثبت من تقدم ذكره، فوجب الأخذ به، والوقوف عنده، ولو صح حديث مُسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ابن عمر وابن مسعود الذي أخذ به مالك، من أذنين وإقامتين، لوجب المصير إليه، لما فيه من إثبات الزيادة، ولكن لاسبيل إلى التقدم^(٢) بين يدي الله ورسوله، ولا إلى الزيادة، على ما صح عنه صلى الله عليه وسلم.

(١) ف: ولا يقول. (٢) يقال: فلان يتقدم بين يدي أبيه: إذا عجل في الأمر والنهي دونه.

١٤ - ما جاء في التلبية بالمزدلفة

تقدم في فصل التلبية وغيره ، أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يُدبِّي حتى رمى جمره العقبة . وفيه دلالة على ذلك ، وقد تكرر في فصول .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : قال ابن مسعود رضى الله عنه ونحن مجتمع : سمعت الذى أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المكان : كَبَّيْكَ اللَّهُمَّ كَبَّيْكَ . أُنْهِرَهُ النَّسَائِي .
وعن عبد الله بن مسعود ، أنه أتى ليلة جمع ، فقال رجل : مَنْ هذا المُلَبِّي ؟ فأجابه عبد الله : كَبَّيْكَ اللَّهُمَّ كَبَّيْكَ ، كَبَّيْكَ عدد التراب . فقيل له : هذا عبدُ الله بن مسعود ؛ فانساب الرجلُ في الناس . أُنْهِرَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور .

وعنه أنه قال يجمع : سمعت الذى أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام : كَبَّيْكَ اللَّهُمَّ كَبَّيْكَ . وفي رواية : نِمَّ لَبِّي وَلَبَّيْنَا مَعَهُ . أُنْهِرَهُ مُسْلِم .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت عمرُ يُأبِي بالمزدلفة ، فقلت : فِيمَ هَاهُنَا التَّلْبِيَةُ ؟ فقال : التلبية حتى نَرْمِيَ الْجَمْرَةَ . أُنْهِرَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور :

١٥ - ما جاء في إحياء ليلة العيد

تقدم في فصل ليلة التزوية طَرف من ذلك .
ويُروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أَحْيَا لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ ، وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ .
وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ النحر ركعتين ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب خمسَ عشرة مرة ، وقل هو الله أحدٌ خمسَ عشرة مرة ، وقل أعوذ برب الفلق خمسَ عشرة مرة ، وقل أعوذ برب الناس خمسَ عشرة مرة ، فإذا سَلِمَ قرأ آية الكرسي ثلاث مرات ، واستغفر الله خمسَ عشرة مرة ، جعل الله اسمه في أصحاب الجنة ، وغفر له ذنوب السرِّ ، وذنوب العلانية ، وكتب له بكل آية قرأها حَجَّةٌ وعُمْرَةٌ ، وكانما أعتق ستينَ رقبة من ولد إسماعيل ، وإن مات فيما بينه وبين الجمعة الأخرى ، مات شهيداً .

وقال الفيرباني : كنت بمزدلفة أحيي الليل ، فإذا امرأة تصلي إلى الصُّباح ، ومعها شيخ ، فسمعتة يقول : اللَّهُمَّ إنا قد جئناك من حيثُ تعلم ، وَحَجَّجْنَا كما أمرتنا ، ووقفنا كما دَلَّلْتَنَا ، وقد رأينا أهل الدنيا إذا شابَ للملوك في خدمتهم تَذَمَّنُوا أن يبيعوه ، وقد شَبَّنا في خدمتك ، فأَعْتَقْنَا . أَضْرِبْ أَبُو الْفَرَجِ في مثير الغرام ^(١) :

١٦ - ما جاء في التبكير بالصبح بالمزدلفة

عن عبد الله بن مسعود قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى صلاة إلا لميقاتها إلا صلاتين : صلاة المغرب والعشاء بجمع ، وصلاة الصُّبح يومئذ قبل ميقاتها . وعنه أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى الفجر حين طلع الفجر ، قائل يقول : طلع الفجر ، وقائل يقول : لم يطلع . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هاتين الصلاتين حَوَّلْتَا عن وقتهما في هذا المكان : المغرب ، فلا يقدِّم الناس جَمْعًا حتى يُعْتَمُوا ، وصلاة الفجر هذه الساعة . ثم وقف حتى أسفر ، ثم لم يزل يُبَلِّى حتى رمى جرة العقبة . أَضْرِبْهُمَا الشَّيْخَان .

والمراد وقتها المعتاد ، لا أنهما صلاحا في غير الميقات المشروع . ويدلُّ عليه حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي الصبح حين تبَيَّن له الفجر .

١٧ - ما جاء في وقت الوقوف بالمزدلفة

عن جابر حديثه الطويل ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى المزدلفة صَلَّى المغرب والعشاء ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلَّى الفجر ، ثم ركب القِصواء ، حتى أتى الشعْرَ الحرام ، ولم يزل واقفا حتى أسفر جدًّا ، ثم دَفَعَ قبل طلوع الشمس . وهذا كمالُ السنة في البيت بالمزدلفة ، وعليه اعتمد من أوجب ذلك . وقال أبو حنيفة :

(١) زادت م بعد ذلك . و لبعضهم في هذا المعنى :

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا شَابَتْ عِيْدُهُمْ فِي رِقَبِهِمْ عَتَقُوهُمْ عِتْقَ أَزْوَارٍ
وَأَنْتَ أَكْرَمُ أَنْ تَعْدُوكَ مَكْرَمَةً قَدْ شَبَّتْ فِي الرِّقِّ فَأَعْتَقَنِي مِنَ النَّارِ .

إذا لم يكن بها بعد طلوع الفجر لزمه دم ، إلا لُذِرَ من ضعف أو غيره ، فإن كان :
أجزأه وإن لم يكن قبله ؛ وهو ظاهر ما نقله البغوي عن مالك وأحمد . وفي وجوب الميضة
عندنا قولان : الأصح وجوبه ، والمتمم فيه أدنى جزء بعد نصف الليل إلى طلوع الفجر
هذا هو المشهور . وللشافعي قول آخر : إلى طلوع الشمس ، فمن كان بها فيه فلا شيء
عليه ، وإن لم يكن قبله ، ومن دفع قبله فعليه دم ، على الأصح . وسيأتى في فصل أحاديث
هذا الحكم إن شاء الله تعالى .

١٨ - ما جاء فيما يتفضل الله به في غداة جمع على الواقفين بها

عن بلال بن أبي رباح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : يا بلال ، أسكنت
الناس ، أو أنصيت الناس ، ثم قال : إن الله تطوّل عليكم في جمعكم هذا ، فوهب مُسِيئَكُمْ
لحسنكم ، وأعطى مُحسنكم ما سأل . ادفعوا باسم الله . امر به ابن ماجه . وأخرجه تمام
الرازي في فوائده ، وقال : ادفعوا على بركة الله .

وقد تقدم في مثله من فصول الوقوف لإجابة الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
في أمته في تلك الغداة ، أن يغفر لهم المظالم التي بينهم .

١٩ - ما جاء في جواز الوقوف قبل وقوف الإمام وقبل الفجر

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان يقدم ضَعْفَةَ أَهْلِهِ ، يقفون عند المشعر الحرام
بالمزدلفة بالليل ، فيذكرون الله ما بدا لهم ، ثم يدفعون قبل أن يقف الإمام ، وقبل أن
يدفع ، فمنهم من يَقْدَمُ مِنِّي لصلاة الفجر ، ومنهم من يَقْدَمُ بعد ذلك ، فإذا قَدِمُوا
رَمَوْا الجِرة . وكان ابن عمر يقول : أرخص في أولئك رسول الله صلى الله عليه
وسلم . أخرجه .

وقوله « يقفون عند المشعر الحرام قبل أن يدفعوا » : هذا محمول على إرادة قُرْحِ
بِالمشعر الحرام ، أو أراد بالوقوف عنده الوقوف به ، على ما تقدم تقريره ، ويدل عليه أنه
جعل الرخصة في تمجيل الوقوف ، لا في إسقاطه .

البَابُ العِشْرُونَ

في الإفاضة من المزدلفة وفي الرمي

١ — ما جاء في وقت الإفاضة

تقدم في حديث جابر الطويل أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع قبل طلوع الشمس ،
وأردف الفضل بن عباس .

وعن عمرو بن ميمون قال : شهدت عمر حين صلى بجمع الصبح قال : إن المشركين
كانوا لا يدفعون حتى تطلع الشمس ويقولون : أشرق نبي ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم
خالفهم ، فدفع قبل طلوع الشمس . وفي رواية : حتى تطامع الشمس على نبي . أخرجه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رأيت أبا بكر وعمر وعثمان لا يفوضون
في حجهم من المزدلفة حتى تنظر الإبل أخفافها .

وعن جابر بن زيد قال : وقت الدفعة من المزدلفة إذا أبصرت الإبل أخفافها .

وعن نافع قال : أسفر ابن الزبير للدفة ، فقال ابن عمر : تريدون الجاهلية ؟

فدفع ابن عمر ، ودفع الناس معه . أخرجه الثلاثة سميد بن منصور .

قال أهل العلم : وهذه سنة الإسلام ، أن يدفع من المزدلفة عند الإسفار ، قبل طلوع

الشمس . قال طاووس : كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ،

ومن المزدلفة بعد أن تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق نبي ، كما نفي . فأخر الله هذه ،

وقدم هذه . قال الشافعي : يعني قدم المزدلفة قبل أن تطامع الشمس ، وأخر عرفة إلى أن

تغيب الشمس .

وقوله « أشرق نبي » أي ادخل أيها الجبل في الشروق ، كما يقال : أجنب ،

أي ادخل في الجنوب ، وأشمل ، أي ادخل في الشمال . ومنه قوله تعالى : « فَاتَّبِعُوهُمْ »

مُشْرِقِينَ» أى لحِقوهم فى وقت دخولهم فى شُرُوق الشمس ، وهو طلوعها . وثَبِير ، بفتح
 التاء المثلثة ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها راء مهملة : جبل
 المزدلفة ، على يسار الذهاب إلى مَنَى ، وقيل : هو أعظم جبال مكة ، عُرِفَ برجل من
 هُذَيْل كان اسمه ثَبِيرًا دُفِنَ فيه . وبمكة جبال كل منهما اسمه ثَبِير ، وفى بلاد مُزَيْنَةَ ماء
 اسمه ثَبِير ، أَقَطَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم شُرَيْحَ بن ضَمْرَةَ المزَنِي رضى الله عنه
 وقوله « كما نفير » : أى كى نفير ، وما زائدة كلفة لعمل كى ، ونفير : أى نَدْفَعُ للنجس ،
 يقال : أغار إغارة الثعلب ، أى أسرع ودَفَعَ فى عدوه .

٢ - حُجَّة من قال : يجوز الدفع بعد نصف الليل

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النَّعْلِ ،
 أو فى الضَّمْفَةِ ، من جَمْعِ بَلِيلٍ .

وعنه قال : أنا ممن قَدَّمَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فى ضَمْفَةِ أهله .

وعن أم حبيبة أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بعثَ بها من جَمْعِ بَلِيلٍ .

وعن عائشة : كانت سَوْدَةُ امرأة ثَبِيطَةَ ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن تُفَيِّضَ من جَمْعِ بَلِيلٍ ، فأذِنَ لها ، قالت عائشة : فليتنى استأذنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كما استأذنته سَوْدَةُ ؛ وكانت عائشة لا تُفَيِّضُ إلا مع الإمام . وفى رواية : استأذنت
 سَوْدَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة ، فدَفَعْتُ قبله وقبل حَطْمَةَ الناس . زاد
 فى رواية أُخْرَى : وأقننا نحن ، يعنى عائشة ، حتى أصبحنا ، فدَفَعْنَا بدَفْعِهِ .

وعن عبد الله مَوْلَى أسماء قال : قالت لى أسماء عند دار المزدلفة : هل غاب القمر ؟
 قلت : لا . فصلت ساعة ، ثم قالت لى : هل غاب القمر ؟ قلت : نعم . قالت : ارتحل .
 فارتحلنا حتى رمت الجمرَةَ ، ثم صلَّت فى منزلها ، فقلت لها : أى هَتَاكَ ، لقد غَلَسْنَا .
 فقالت : كلا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَذِنَ لِلظُّعُنِ ، وفى طريق آخر : أَذِنَ
 لظُفْمِهِ . أخرج الخمسة الشيخان .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لِصَفَةِ الناس أن يدفعوا من المزدلفة لبيل . أخرجه أحمد .

وعنه أنه كان يُقدِّم نساء وصبيَّانه من المزدلفة إلى منى ، حتى يُصلُّوا الصبح بمنى ، ويَرْمُوا قبل أن يأتى الناس . أخرجه مالك والبخارى في شرحه .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه كان يُقدِّم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وَصَفَةَ أهله من جُبع لبيل إلى منى ، قبل الفجر . وفي رواية : أن عبد الرحمن كان يصلّى بأمهات المؤمنين الصبح بمنى . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن طلحة بن عبيد الله : أنه كان يُقدِّم أهله من المزدلفة ، حتى يُصلُّوا الصبح بمنى . أخرجه مالك وسعيد بن منصور .

شرح — الثَّقل ، بفتح الثاء المثناة والقاف : هو المتاع والحشم . وثَبِطَ : أى ثقيلة بطيئة ، من التثبيط ، وهو التغويق عن المراد . وتمنى عائشة رضى الله عنها الإفاضة لبيل : لإيثار الراحة ، لا لأنه أفضل ، بل الأفضل أن يُفِيض بعد صلاة الصبح ، وقبل حلول الشمس . وقوله « أى هَنَتَاه » : أصله من الهَنَ ، بالتخفيف ، الذى يُكْنَى به عن الشيء ، والمرأة هَنَةٌ ، فإذا وصلتْها بالثاء قلت : يا هَنَتَاه . ومن العرب من يقول : يا هَنِيئَةً^(١) ، وللرجل يا هَنَاه ، ولا تستعمل كذا إلا فى النداء . وقوله « لقد غَلَسْنَا » أى رَمِينَا بَغْلَسَ ، وهو أعلى السَّحَرِ^(٢) . ويؤيد هذا التأويل حديث أبى داود ، على ما سيأتى ، فإنه صرَّح بأن الرَّمَى وقع منها لبيل . وفى جميع هذه الأحاديث حُجَّة لمن ذهب إلى جواز الدَّفْع قبل الإمام ، بشرط أن يكون بعد نصف الليل ، فإن كان قبله لزمه دم ، وهو أصح قولى الشافعى ، على ما سبق ذكره ، وسواء كان لَعُدْر أو لغيره ، لأن ابن عباس لم يكن من الصَّفَةِ : وَمَنَعَهُ بمض العلماء لغير عُدْر ، منهم ابن حزم ، وقال : الضعفة المشار إليهم فى الحديث : النساء والصبيان ، بدليل حديث ابن عباس وأسماء .

(١) فى م ، هـ : يا هَنِيئَةً . وهذه صيغة تصغير ، ولا بد من إدغام الياء فى الواو ، فتصير : يا هَنِيئَةً ، بتشديد الياء . وبعضهم يبدل الواو هاء ، فيقول : يا هَنِيئَةً ، وأمله المراد هنا . (انظر لسان العرب فى هـنو) :

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل . إذا اختلطت بصوه الصبح . (عن النهاية لابن الأثير) .

٣ - ما جاء في التلبية حال الإفاضة من جمع إلى منى

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم الغداة من يوم النحر ، وردفه الفضل بن عباس ، فما زال يُلبّي حتى رمى جمرَةَ العقبة .
أُهرجه . وأُحد ، واللفظ له .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أنه لبّي حين أفاض من جمع ، فقيل أعرابى هذا ؟ فقال عبد الله : أنسى الناس أم ضلّوا : سمعتُ الذى أنزلت عليه سورة البقرة يقول فى هذا المكان : كَبَيْتَكَ اللَّهُمَّ كَبَيْتَكَ . أُهرجه ، وقد تقدم .

وعنه أنه قال يجمع نحو ذلك . أُهرجه مسلم . وفى رواية أنه لبّي غداة جمع ؛ فقال الناس : من هذا الأعرابى ؟ فقال عبد الله : كَبَيْتَكَ عدد الحصى والتراب ثم قال : ما بال الناس ؟ أضلّ الناس أم نسوا ؟ ثم ذكر معنى ما تقدم . أُهرجه سعيد بن منصور . وقد تقدم فى فصل التوجّه من منى إلى عرفة عنه ، أنه لبّي وأنكر عليه ، أجاب بمثل ذلك ولعل الإنكار تكرر عليه ، فلا تضادّ بينهما . وقد تقدم أيضا فى هذا الفصل وفى فصول التلبية أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يُلبّي حتى رمى جمرَةَ العقبة . أُهرجه .

وتخصيص ابن مسعود سورة البقرة بالذكر ، لأنها أكثر اشتمالا على مناسك الحج وعن عثمان أنه دفع حين أسفر ، فلم يزل يُلبّي حتى رمى جمرَةَ العقبة . أُهرجه رزين فيما ذكر أنه مُتَّفَق عليه .

وعن عكرمة قال : أفضتُ مع الحسين بن على من المزدلفة ، فلم أزل أسمعه يُلبّي حتى رمى جمرَةَ العقبة ، فسألته فقال : [أفضتُ مع أبى من المزدلفة ، فلم أزل أسمعه يلبّي حتى رمى جمرَةَ العقبة ، فسألته فقال ^(١) : أفضتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أزل أسمعه يلبّي حتى رمى جمرَةَ العقبة . أُهرجه أحمد .

٤ - ما جاء في أمره صلى الله عليه وسلم بالسكينة حال الدَّفْع

عن الفضل بن عباس رضى الله عنهما، وكان رَدِيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشية عَرَفة وغداة جمع للناس حين دَفَعُوا : عليكم بالسَّكينة ، وهو كافٌّ ناقته ، حتى دخل وادى مُحَسَّر ، وهو مِن مِّنَى . وقال : عليكم بحصى الخَذَف ، الذى يُرْمَى به الجُرَّة . أُنْهِرْهُ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من عَرَفة وعليه السكينة ، وردفه أسامة ، فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بالسكينة ، فإن البرَّ ليس بإيجاف الخليل والإبل ، فما رأيتهما رافعة يديها عادية حتى أتى جَمْعاً . زاد وهب بن سنان : ثم أَرَدَفَ الفضل بن عباس ، فقال : أيها الناس ، إن البرَّ ليس بإيجاف الخليل والإبل ، فعليكم بالسكينة ، فما رأيتهما رافعة يديها حتى أتى مِنَى . أُنْهِرْهُ أبوداود .
شرح - الإيجاف : سرعة السير ، وقد أوجف دابته يُوجِفُهَا إيجافاً : إذا حَثَّهَا .

٥ - ما جاء في الإسراع فى وادى مُحَسَّر

تقدم فى حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى بطن مُحَسَّر حرك قليلاً . وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أَوْضَعَ فى وادى مُحَسَّر . أُنْهِرْهُ أحمد .
وعن على عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أفاض من جَمْع ، وانتهى إلى وادى مُحَسَّر ، قرع ناقته ، نَحَبَّتْ حتى جاوز الوادى ، فوقف وأردف الفضل ، ثم أتى الجزة ، فرماها ، ثم أتى المنحَر فقال : هذا المنحَر ، وَمِنَى كُلُّهَا مَنَحَر . أُنْهِرْهُ الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يُجْهِدُ ناقته إذا مرَّ بِمُحَسَّر . أُنْهِرْهُ سعيد بن منصور .

شرح - الإيضاع : السير السريع والخبب كالزَّمَل ، وهو دونه . ولعله صلى الله عليه وسلم سار فيه النوعين من السير ، فَرَوَى كُلُّ مَارَأَى . وقوله فى حديث على : أَرَدَفَ

الفضل بعد مجاوزة وادى مُحسّر، وقد تقدم في حديث مسلم أنه كان رِذْفَه حال الدَّفْع ، وكذلك في حديث جابر الطويل ؛ ولا تضادّ بينهما ، إذ يجوز أن يكون أنزله من أوّل الوادى تخفيفا عن الراحلة ، ليكون أسرع لها ، أو ليلتقط الحصى ، وسيأتى أن الحصى يُلتَقَط منه ، ثم أردفه لما جاوز الوادى . وأوّل وادى مُحسّر : من القرن المُشرّق من الجبل الذى على يسار الذهاب إلى منى . قال أصحابنا : وليس من مزدلفة ولا مِنًى ، بل هو مَسِيلُ بينهما . وقد تقدم أيضا في حديث الفضل بن عباس ما يدل على أنه من مِنًى ، وسيأتى في فصل من أين تلتقط الحصى ما يدل على أنه من مِنًى أيضا . وقد تقدم الكلام في سبب تسميته ، وبيان حِكْمَةِ الإسراع فيه ، في باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم .

٦ - ما جاء في وقت رمى جرة العقبة

تقدم في فصل جواز الاستئذان للمحرم حديث أم الحُصَيْن ، وفيه بيان لذلك . وتقدم في حديث جابر الطويل أنه صلى الله عليه وسلم سلك الطريق الوُسْطى ، التى تخرج على الجِمْرة الكبرى ، حتى أتى الجِمْرة التى عند الشجرة ، رمى بسبع حصيات ، يُكَبِّرُ مع كل حصاة منها : حصى الخذف ، وفيه تنبيه على ذلك .

وعن جابر قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجِمْرة يوم النحر ضُجًى . وأما بعدُ فإذا زالت الشمس . أضرماه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَمَمَةً أهله ، وقال : لا ترمُوا جِمْرة العقبة حتى تطلع الشمس . أضرهم الترمذى .

وعنه قال : قدّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة أُغْيِلِمَةَ بنى عبد المطلب على حُمُرَات ، فجعل يُلَطِّحُ أخذانا ويقول : أَبْيَدِي ، لا ترمُوا جِمْرة العقبة حتى تطلع الشمس . أضرهم أبو داود .

استدل بظاهر هذه الأحاديث من قال : لا يجوز الرَّمْيُ إلا بعد طلوع الشمس ، وهو قول كثير من أهل العلم ، وذهب قوم إلى جوازه بعد الفجر ، وقبل طلوع الشمس . وبه قال مالك ، وأبو حنيفة وأحمد . وذهب الشافعى إلى جوازه بعد نصف الليل ، وسيأتى دليله .

شرح — أُغْيِلِمَة: تصغير غِلْمَة ، صغر على مكبره ، كأنهم صفروا أغلمة وإن لم يقولوه كما قالوا : أُصْبِيَة في تصغير الصَّبِيَة . ويريد بالأغْيِلِمَة الصَّبِيَّان ، ولذلك صَفَّرَهم . وَخُرَات بضمتين جمع حمار . وقال بعضهم : خُرَات جمع صخرة ، وخُر : جمع حمار . والالطخ ، بفتح اللام ، وسكون الطاء المهملة وبعدها حاء مهملة: الضرب الخفيف باليد . وقيل الضرب ببطن الكف ليس بالشديد . وقال الجوهري : هو الضرب اللَّيِّنُ على الظهر ببطن الكف . وفي هذا الحديث ما يَرُدُّه إلا أن يكون ما ذكره هو الأصل ، ثم استعير . وقوله : أُبَيِّنِي ، بضم الهمزة ، وفتح الباء الموحدة ، وسكون الياء ، وكسر النون ، وتشديد الباء أيضا آخر الحروف : قال الأزهري تصغير بَيِّنِي ، ويريد يابِنِي .

وينبلي ألا يُعَرِّج الناسك إذا أفاض من مزدلفة وأتى مِنًى ، على شيء قبل رمي جرة العقبة ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو تحية مِنًى ، فلا يبدأ بشيء قبلها ، وهي آخر الجرات مما يلي مكة .

٧ — حُجَّة من قال : يحوز الرمي قبل الفجر وبعد نصف الليل

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بِأُمِّ سَلَمَةَ أَيْمَةَ النَّجَرِ ، فرمت الجرة قبل الفجر ، ثم مضت فأفاضت ، وكان ذلك اليوم [اليوم^(١)] الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها . أضرهم أبو داود .

وعن عُرْوَةَ قال : دار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمِّ سَلَمَةَ يوم النحر ، فأمرها أن تُعَجِّلَ الإفَاضَةَ من جَمْع ، حتى تأتي مكة فتُصَلِّيَ بها الصُّبْح ، وكان يومها ، فأحبَّ أن توافقه . أضرهم الشافعي والبيهقي .

وعن عائشة بنت طلحة أن خالتها عائشة أم المؤمنين أخبرتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر إحدى نساؤه أن تَنفِرَ من جَمْع ليلة جَمْع ، فتأتي جرة العقبة ترميها ، وتصبح في منزلها ، وكان عطاء يفعله حتى مات .

(١) لفظة اليوم مكررة في سنن أبي داود .

وعن عطاء قال : أخبرني نُجَير عن أسماء أنها رمت الجرة . قلتُ : إنا رمينا الجرة بليلٍ قالت : إنا كنا نصنع هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أضربهما أبو داود . وأضرب مالك الثاني . وقال : إنَّ موثى لأسماء ابنة أبي بكر ، أخبره وقال : قالت قد كنا نفعل هذا مع من هو خير منك . استدلل الشافعي بحديث أم سلمة وحديث أسماء ، على ما ذهب إليه من جواز الإفاضة بعد نصف الليل .

وذكر ابن حزم أن الإذن في الرمي بالليل مخصوص بالنساء دون الرجال ، ضعفاهم وأقوياهم في عدم الإذن سواء ، والذي دل عليه الحديث أن من كان ذا عذر جاز أن يتقدم ليلا ، ويرمى ليلا .

٨ - ما جاء في جواز رمي يوم النحر في ليلة القُرَّ

عن نافع أن ابنة أخ لصفيّة بنت أبي عبيد نفست بالزُدفة ، وتخلفت ^(١) هي وصفية حتى أتتني بعد ما غربت الشمس من يوم النحر ، فأمرها عبد الله بن عمر أن ترمي الجرة حين أتتني ، ولم يرَ عليهما شيئا . أضرب مالك . واختاف أصحابنا في ذلك . وحديث ابن عمر هذا يدل على جوازه وكذلك حديث أبي داود : إني أمسيت ولم أرم - قال : ارم ولا حرج . وسيأتي .

٩ - ما جاء من أين يُلْتَقِطُ حصي الجمار

عن الفضل بن عباس ، وكان ردّف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قال صلى الله عليه وسلم عشيّة عرفة وجّعت حين دفعوا : عليكم بالسكينة ، وهو كافٌ ناقته حتى دخل مُحسّرا وهو مني ، قال : عليكم بحصى الخذف ، الذي يرمى به الجرة . أضرباه وأضرب النسائي ، وزاد : والنبي صلى الله عليه وسلم يشير بيده كما يخذف الإنسان ، وبوّب عليه من أين يُلْتَقِطُ الحصى .

(١) في الموطأ : فتخلفت بالقاء .

وذكر ابن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم رمى بحصيات التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذي رمى فيه مثل حصى الخذف . لا تضادَ بينه وبين ما تقدّم ، فإنه لم يقل في الحديث إنه التقط ، وإنما أمر بالالتقاط ، فيحتمل أنه لم ير تكليف الالتقاط لنفسه في ذلك الموضع ، لاشتغال الناس فيه بالسعى ، وإن تكلفوا ذلك في حق أنفسهم . ويجوز أن يكون التَّطُّعُ له ، ثم سقط منه ،

وروى أبو حنيفة الملاء عن أبان بن صالح: أخذ حصى جرة العقبة من المزدلفة. وعليه نص أصحابنا ، ولعل أخذ الحصى كان منها ، والأمر به من وادى مُحَسَّرٍ لمن لم يأخذ من المزدلفة ، أو يكون الراوى نَسَبَ مُحَسَّرًا إلى مزدلفة ، لأنه حدها ، فأضاف الأخذ إليها ، وهو منه . ولا تضاد بين الروايات كلها . وإنما يُسْتَحَبُّ أخذ حصى رمى جرة العقبة لا غير ، ليكون غيرَ مُعَرَّجٍ على شيء غير الرمي عند وصوله إلى منى . ولا بأس أن يزيد احتياطاً ، فربما سقط شيء ، واختار بعض أصحابنا أن يلتقط من المزدلفة حصى جِارِ أيام التشريق ، وهى ثلاث وستون حصاة ، فتكون الجملة سبعين حصاة . وأما الالتقاط من حصى الجرة الذى قدرمى به فهو مكروه ، لأنه قد جاء أن ما تُقْبَلُ منه يُرْفَعُ . وسيأتى فى الفصل بعده . وأما التقاط ابن عباس للنبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم ، فلم يكن من الرمى نفسه ، بل كان من مكان الوقوف ، ومكان الوقوف بطن الوادى ، على ما دل عليه حديث جابر وغيره . ولهذا قال : والتقطها له من موقفه الذى رمى فيه ، أى وقف فيه للرمى .

١٠ - ما جاء فى أن ما تُقْبَلُ من الجمار يُرْفَعُ

عن أبى سعيد الخدرى قال : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هذه الجمار التى تُرْمَى كُلُّ عامٍ ، فحَسِبُ أنها تنقُصُ . قال : ما تُقْبَلُ منها رُفَعُ ، ولولا ذلك لرأيتها أمثال الجبال . أخبرهم الدارقطنى ، وهو حديث حسن . وأخبرهم أبو ذرٍّ والواقدي . وأخبرهم سعيد بن منصور موقوفاً على أبى سعيد ، وقال : ولولا ذلك لرأيته أطول من ثبير .

وعن أبي الطفَّيل قال : قلت لابن عباس : رُمى الناس في الجاهلية والإسلام . قال : ما تُقبَّل منه رُفْع ، ولولا ذلك كان أعظم من تَبِير . أُنْهِمُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور .

وعن أبي خَيْثَم قال : سألت أبا الفضل فقلت : هذه الجمار يُرْمى بها في الجاهلية والإسلام ، كيف لانكون هضابا تسد الطريق ؟ قال : سألت عنها ابن عباس ، فقال : إن الله وكَّلَ بها ملكا ، فما تُقبَّل منها رُفْع ، وما لم يُتَقَبَّل منها تَرِكَ . أُنْهِمُ الْأَزْرَقِي .
شرح — الهَضَاب : جمع هَضْبَة ، وهى الراية ؛ وتجمع على هَضْب أيضا ، كَتَمْرَة وتَمْر .
وعن عطاء قال : سألت ابن عباس فقلت : يا أبا عباس ، إني توسَّطت الجَمْرَة ، فرميت بين يَدَي ، ومن خَلْفِي ، وعن يَمِينِي ، وعن شِمَالِي ، فوالله ما وجدت له مَسًّا . فقال ابن عباس رضى الله عنه : ما من عبد إلا وهو مُوَكَّل به مَلَك يمنعُه مما لم يُقدَّرْ عليه ، فإذا جاء القَدَر لم يستطع منعه منه ، والله ما قبل الله عزَّ وجل من امرئ حَبَّه إلا رَفَع حَصاه . أُنْهِمُ الْأَزْرَقِي .

قلت : وأخبرني بعض أشياخي أنه شاهد ذلك عيانا .

وعن ابن عمر قال : إنه والله ما قبل الله من امرئ حَبَّه إلا رَفَع حَصاه .

وعن ابن عباس مثله . أُنْهِمُ الْأَزْرَقِي .

١١ — ما جاء في قدر ما يُرْمى به من الحصى

تقدم في حديث جابر الطويل طَرَف منه . وتقدم في فصل من أين يُلتقط الحصى ما يَدُلُّ عليه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَاتِ الْقُطْ لى . فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ ، فَلَمَّا وَضَعْتَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ : بَأْمِثَالِ هَؤُلَاءِ ، إِيَّاكُمْ وَالْمُلُوفُ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ نَبْلِكُمُ الْمُلُوفُ فِي الدِّينِ . أُنْهِمُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ .

وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدي، عن أمه، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بطن الوادي، وهو يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَبْقَتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، إِذَا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ. أُضْرِبُهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شَرْحِهِ. وَهَذَا التَّقْدِيرُ مَحْمُولٌ عَلَى الْأَوَّلِيَّةِ، حَتَّى لَوْ رَمَى بِأَكْبَرٍ مِنْهُ فَهُوَ جَائِزٌ، إِذَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْحَجَرِ، مِنْ مَرَوْ أَوْ بَرَامٍ أَوْ فِهْرٍ، وَإِنْ كَانَ مِنْ زَرْنِيخٍ أَوْ نَحْوِهِ لَمْ يُجْزِهِ.

١٢ - مَا جَاءَ فِي رَمَى جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ عَلَى الرَّاحِلَةِ

عن جابر حديثه الطويل، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رمى جمرَةَ الْعَقْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي.

وعنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، يَقُولُ لَنَا: خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجَّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ. أُضْرِبُهُ.

وعن أُمِّ جُنْدَبٍ الْأَزْدِيَّةِ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي يَوْمَ النَّحْرِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَبْقَتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَخْصِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. وَخَلْفَهُ رَجُلٌ يَسْتُرُهُ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ. أُضْرِبُهُ أَحْمَدُ.

وعن قُدَّامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي الْجَمْرَ عَلَى نَاقَةٍ، لَيْسَ ضَرْبٌ، وَلَا طَرْدٌ، وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ. أُضْرِبُهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَأَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ: نَاقَةٌ صَهْبَاءُ.

اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى جَوَازِ الرَّمْيِ رَاكِبًا، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَفْضَلِ؛ فَاخْتَارَ قَوْمُ الرُّكُوبِ اقْتِدَاءً بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاخْتَارَ قَوْمُ الْمَشْيِ، وَقَالُوا: كَانَ رُكُوبُهُ لِتَبْيِينِ الْجَوَازِ، بِدَلِيلٍ مَشْبُوهٍ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، عَلَى مَاسِيَاتِي، وَلِيَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَسْأَلُوهُ. وَالصَّهْبَةُ: مُحَرَّةٌ يَمْلُوهَا سَوَادٌ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَهِيَ مَخْتَصصةٌ بِالشَّعَرِ.

١٣ - ما جاء في كيفية الرمي

عن سليمان بن عمرو بن الأحوص ، عن أمه قالت : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ راكبا، ورأيت بين أصابعه حجرا ، فرمى ورمى الناصر ، معه .
أخبرهم أبو داود .

وعن حَمَلَةَ بن عمرو قال : حَجَجْتُ حِجَّةَ الْوَدَاعِ . فلما وقفنا بمرفات رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا إحدى أصبعيه على الأخرى ، قلت لعمى : ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : يقول : ارموا الجمرَةَ بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ .
أخبرهم أحمد .

والكيفية في الحديث الأول هي المستحبة عندنا . وقال بعض أهل العلم : يَحْذِفُ بها ، فيضع الحصى على طرف إبهامه ، ثُمَّ يَحْذِفُهَا بِمُسَبَّحَتِهِ ، أو بين أصبعيه السَّابِتَيْنِ ، كما دل عليه ظاهر هذا الحديث . وظاهر حديث تنزيل الناس منازلهم ، وفي آخره موضع أصبعيه السَّابِتَيْنِ . ثم قال : بحصى الخذف وسيأتي . واستدل على ذلك أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم بحصى الخذف ، وبما تضمنه حديث النسائي في فصل من أين يُلْتَقَطُ الحصى : والنبي صلى الله عليه وسلم يشير بيده ، كما يَحْذِفُ الإنسان . ولا دلالة فيه ، فإنه صلى الله عليه وسلم أمر بالتقاط حصى الخذف ، وأشار تأكيذا في البيان ، ولا يلزم منه أن يكون الرمي على هيئة الخذف المتعارف ، فإنه لو قال عليكم بحصى الخذف ، وأشار بصورة الخذف ، ثم قال : ارموا به هكذا ، وأشار بالهيئة المذكورة آنفا ، لم يكن في ذلك تضاد ولا منافاة ، فيحمل ذلك على بيان صفة الحجر الذي يُرمى به ، ويكون هذا بيانا لكيفية رميه به ، وهو أمكن من الخذف ، فكان أولى .

١٤ - ما جاء في كيفية الوقوف لرمي جمرَةِ الْعَقَبَةِ ورميها من بطن الوادي

عن جابر حديثه الطويل ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم رمى الجمرَةَ من بطن الوادي بسبع حصيات ، وتقدم في فصل قدر ما يُرمى به ، حديث سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرَةَ من بطن الوادي .

وعن عبد الله بن مسعود أنه لما رمى جمرة العقبة جعل البيت عن يساره ، ومِنَى عن يمينه ، وقال : هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة . وفى رواية أنه استبطن الوادى ، فاستعرضها ، فرماها بسبع حصيات ، يُكَبِّرُ مع كل حصاة ، فقليل له يا أبا عبد الرحمن ، إن الناس يرمونها من فوقها ، فقال هذا والذى لا إله غيره ، مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة . أضرهما .

وعنه أنه استبطن الوادى ، واستقبل الكعبة ، وجعل يرى الجرة على حاجبه الأيمن ، ثم رمى بسبع حصيات ، يكَبِّرُ مع كل حصاة ، ثم قال : والذى لا إله غيره ، من هاهنا رمى الذى أنزلت عليه سورة البقرة . أضرهم الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وربما تَوَهَّم بين الحديثين تضاد ، وليس كذلك ، فإن قوله من هاهنا إشارة إلى بطن الوادى ، وقوله « هذا مقام » إشارة إلى هيئة الوقوف الرمى ، ويكون ابن مسعود قد رَمَى مَرَّتَيْنِ فى عامين ، وافق فى إحداها كمال السنة ، والأخرى أصاب فيها بعض السنة ، وفاته البعض ، إما للجراح الراحلة ، أو كثرة الزحام ، أو عُذْرٌ غير ذلك . وقد اختلف أصحابنا فى كيفية الوقوف للرمى . واختار استقبال الجرة ، ومِنَى عن يمينه ، ومكة عن يساره ، كما تضمنه حديث مسلم . وقيل يستقبل الكعبة ، كما تضمنه حديث الترمذى . وقيل يستدبر القبلة ، ويستقبل الجرة ؛ وبه قطع الشيخ أبو حامد . وإنما خصَّ ابن مسعود سورة البقرة بالذكر ، لأن معظم الناسك مذكور فيها . وفيه حُجَّةٌ لمن أجاز قول سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، وشبه ذلك ، خلافاً لمن أنكره .

١٥ — ما جاء فى عدد حصَى الجرة

عن جابر حديثه الطويل ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم رمى الجرة بسبع حصيات يكَبِّرُ مع كل حصاة . وعن ابن عمر مثله . أضرهم البخارى تعليقا .

وعن ابن مسعود أنه رَمَى الجرة الكبرى ، جعل البيت عن يساره ، ومِنَى عن يمينه ، ورمى بسبع حصيات ، وقال : هكذا رمى الذى أنزلت عليه سورة البقرة . أضرهم البخارى .

١٦ - ما جاء في العفو عن حصاة

عن سعيد بن مالك قال : رجعنا في الحجة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضنا يقول : رميت ست حصيات ، وبعضنا يقول : رميت سبع حصيات فلم يعب بعضنا على بعض . أضرجه النساءى

وأضرج سعيد بن منصور عن ابن أبي نجيح : أن رجلا سأل طاووسا عن رجل رمى الجرة بست حصيات ، قال : تطعم تمر أو لقمة ، فقال مجاهد : إن أبا عبد الرحمن لم يسمع قول سعد ، إن سعدا قال رجعنا في الحجة . . وذكر تمام الحديث .

وعن أبي مجلز قال : سألت ابن عباس عن شيء من أمر الجار ، فقال : مأدري : أرماها رسول الله صلى الله عليه وسلم بست أو سبع . أضرجه أبو داود والنسائي . وأبو مجلز ، بكسر الميم ، وسكون الجيم ، واسمه لاحق بن حُميد ، بضرى تابعى ، وحكى فيه فتح الميم ، والصحيح : الكسر . قال ابن السكيت : هو مُشتق من جَلَز السَّوط ، وهو أغلظه عند مقبضه ، وجَلَز السنان : أغلظه . وقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رمى الجرة بسبع حصيات ، من رواية عبد الله بن عباس ، وجابر ابن عبد الله ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعائشة ، وشكُّ الشاك لا يؤثر في جَزَم الجازم . ورواية سعد ليست مُسندة . واختاف الناس في ذلك . والذي ذهب إليه الجمهور أن رمى جرة العقبة يوم النحر ، ورمى الجرات الثلاث أيام التشريق ، كل جرة منها بسبع حصيات ، السنة الثابتة في ذلك وعمل الأمة .

وحكى الطبري عن بعضهم ، أنه لو ترك رمى جميعهن بعد أن يُكبَّر عند كل جرة سبع تكبيرات أجزأه ذلك . وقال : إنما جعل الرمي في ذلك بالحصى سببا لحفظ التكبيرات السبع . وقال عطاء : إن رمى بخمس أجزأه ، وقال مجاهد : إن رمى بست فلا شيء عليه ، وبه قال أحمد وإسحاق .

١٧ - ما جاء في التكبير مع كل حصاة

عن جابر حديثه الطويل متضمنا ذلك ، وقد تقدم .
وعن سليمان بن عمرو وابن مسعود نحوه . وقد تقدما في فصل كيفية الرمي .
وعن ابن عمر نحوه . أخرجه البخاري تعليقا .
وعن عطاء قال : إذا رميت الجرة فكبر ، وأتبع الرمي التكبير . أخرجه
سعيد بن منصور .

١٨ - ما جاء فيما يقال عند رمي الجرة

عن عبد الله بن مسعود أنه لما رمى جرة العقبة قال : اللهم اجعله حجًا مبرورا ،
وذنبًا مغفورا .
وعن ابن عمر أنه كان يرمي الجمار ويقول : اللهم اجعله ... إلى آخره .
وعن إبراهيم أنه قال : كانوا يحبون للرجل إذا رمى جرة العقبة أن يقول :
اللهم اجعله حجًا مبرورا ، وذنبًا مغفورا . فقل له : تقول ذلك عند كل جرة ؟ قال :
نعم ، إن شئت . أخرجه سعيد بن منصور .

١٩ - ما جاء في أن ما يُرمى به وتر

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاستجمار تَوَ ، ورمي الجمار
تَوَ ، والسعي بين الصفا والمروة تَوَ ، والطواف تَوَ . قال : وإذا استجمر أحدكم فليستجمر
بتَوَ . أخرجه .
التَوَ : الوتر ، وإنما كرّر الاستجمار لأن المراد ، والله أعلم ، بالأول الفعل ، وبالثاني
عدد الحصى . والمراد بالتَوَ في رمي الجمار السبع ، وكذلك في الطواف والسعي ، بدليل
الأحاديث المصرّحة بذلك .

٢٠ - ما جاء فيمن رمى الجمرة من فوقها

عن الأسود قال : رأيت عمر رمى جمره العقبة من فوقها .
وعن عطاء سئل عن الرمي من فوقها ، فقال : لا بأس . أخرجهما سعيد بن منصور .

٢١ - ما جاء أنه لا يقف عندها

عن سليمان بن عمرو بن الأحوص ، عن أمه قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمره العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ، ولم يقف عندها . أخرجه سعيد بن منصور .

٢٢ - ما جاء في وقوف الإمام للمسألة للناس بعد الرمي

عن ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات ، في الحجة التي حج . أخرجه البخاري .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه . أخرجه . وتما الحديثن سياتي فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ويأتي الكلام في اختلاف الروايات في وقوفه للناس .

وعن أم الحصين قالت : حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا ، أحدهما يقود بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر يرفع ثوبه يستره من الحر ، حتى رمى جمره العقبة ، ثم انصرف فوقف للناس ، وقد جعل ثوبه تحت إبطه الأيمن ، على عاتقه الأيسر ، وقال قولا كثيرا ، وكان فيما يقول : إن أمرَ عليكم عبدٌ مُجَدَّعٌ أسود يقودكم بكتاب الله ، فاسمعوا وأطيعوا ؛ ثم قال : هل بلغت ؟ أخرجه أبو حاتم بن حبان .

البَابُ الحَادِي وَالْعِشْرُونَ

فِي النحر

١ — ما جاء في فضل إراقة الدم يوم النحر

عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحبَّ إلى الله من إهراق الدم ، إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله تعالى بمكانه قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوها بها نفساً .
أُمر به الترمذى ، وقال حديث حسن .

شرح — إهراق الدم : إراقة ، والماء في هراق بدل من الهزمة في أراق ، يقال : أراق الماء يريقه ، وهراقه يُهرقه بفتح الهاء هِرَاقَة ، ويقال فيه أهرقت الماء أهرقه إهراقاً ، فيجمع بين البذل واللبدل ؛ والحديث عام في الهدى والأضحية .

٢ — ما جاء فيمن قال : يصلى ركعتين عند الذبح بمنى ومن كره ذلك

عن عمرو بن دينار ، قال : سألت سعيد بن جبير ، فقلت : أريد أن أذبح بمنى فقال : صلّ ركعتين ، ثم اذبح .

وعن ليث قال : كنت مع أصحاب لي بمنى ، فقالوا لي يوم النحر : لا تذبح حتى نصلى ركعتين ، قال : فسألت عطاء وطاوساً ومجاهداً ، فقالوا : لا تصلهما فإنهما ليستا من السنة . أُمِرَ بهما سعيد بن منصور .

٣ — ما جاء في نحر الإبل قياماً

عن ابن عمر أنه أتى على رجل وهو ينحر بدنته بركة ، فقال ابعتها قياماً مُقَيَّدة ، سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم . أُمِرَ به . وقد تقدم في فصل القرآن ، من باب وجوه أداء النساكين ، أنه صلى الله عليه وسلم نحر بدنته بركة قياماً .

وعنه أنه نحر بدنته قائمة ، معقولة إحدى يديها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما مثله .

وعن ابن الزبير أنه نحر بدنة معقولة على ثلاث .

وعن ابن عباس وقال له رجل : قوله تعالى : « فَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا » كيف

أقول ؟ قال : قل : لا إله إلا الله ، والله أكبر . قال قوله تعالى : « صَوَّافٌ » قال : معقولة

على ثلاث ، وقال في قوله تعالى « صَوَّافٌ » : قياما . أخرج الأربعة سعيد بن منصور .

وفي هذه الأحاديث دلالة على نحر الإبل قياما ، وهو السنة في قول كافة العلماء ، وبه

فُسر قوله تعالى : « فَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَّافٌ » إلا ما شذبه عطاء في استحباب

نحرها باركة . وأما البقر والغنم فتذبح مُضْجَمَةً ، ولا تنحر ، ويدل عليه ماسياني .

٤ - ما جاء في كيفية نحر الإبل وتوجيهها إلى القبلة

عن عبد الله بن دينار ، قال : رأيت عبد الله بن عمر في العمرة ينحر بدنة وهي

قائمة في دار خالد بن أسيد ، وكان فيها منزله ، ولقد رأيته طعن في لبّة بدنة ، حتى

خرجت الطمّنة من تحت كتفها . أخرجه مالك .

شرح - الآية : هي الهزيمة التي فوق الصدر ، وجمعها لَبَّاتٌ .

وعن عروة بن الحارث الأسدي قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم

في حجة الوداع أتى بالبُدن ، فقال : ادعوا لي أبا حسن ، فدُعِيَ له عليّ ، فقال له خذ

بأسفل الحربة ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلاها ، ثم طعن بها البدن . فلما

فرغ ركب بقلته ، وأردف عليّا . أخرجه أبو داود .

وعن عمرو بن دينار : قال رأيت ابن الزبير واقفا على برذون له ، بيده الحربة

ينحر بها البدن .

وعن هشام ، عن أبيه ، أنه كان ينحر بدنته وهي قائمة ، مستقبل الكعبة .

وعن ابن عمر أنه رأى رجلا ينحر بدنته لغير القبلة ، فقال له : إن كنت مسلما

فوجهها إلى القبلة . أخرجه الثلاثة سعيد بن منصور .

٥ - ما جاء فيمن نحرها بركة

تقدم في فصل نحر الإبل قياما عن عطاء استحباب نحرها بركة .
وعن عمرو بن دينار أنه رأى ابن عمر نحر بدنته وهى بركة مُثَبَّتة اليدين ،
ورجل مُمَسَّك على يديها ، ومعه الخربة ، وهو يطعن فيها . أضرجه سميد .
وهذا محمول على العذر ، إما لشدة نفارها ، أو لأمر آخر ، توفيقا بينه وبين ما تقدم عنه

٦ - ما جاء في أن البقر والغنم تذبح ولا تنحر

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح بقرة يوم النحر . وفي رواية :
في حجته . أضرجه .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : ضحَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين
أملحين أقرنين ، ذبحهما بيده ، وسمى وكبّر ، ووضع رجله على صفاحهما . أضرجهما ،
وأبوداود وزاد : فلما وجههما قال : «إني وجهت وجهي» ... إلى «وأنا أول المسلمين» .
اللهم منك ولك ، وعن محمد وأمثه ، باسم الله والله أكبر ، ثم ذبح . أضرجهما .

شرح - الأملح : الذى بياضه أكثر من سواده . وقيل : هو النقي البياض .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكبش أقرن ، يظاً
في سواد ، ويَبْرُكُ في سواد ، وينظر في سواد ، فأُتِيَ به ليُضَحَّى به ، فقال لها : يا عائشة ،
هللنى المذبة ، ثم قال : اشحذها بحجر ، ففعلت ، ثم أخذها ، وأخذ الكبش ، فأضجعه ،
ثم ذبحه ، ثم قال : باسم الله ، اللهم تقبل من محمد وآل محمد ، ومن أمة محمد ، وضحى به .
أضرجهما . زاد البخارى : وبأكل في سواد^(١) .

شرح - قوله اشحذها : أى حذّيا ، يقال : شحذت السيف والسكين ، إذا حدّدتها
بالمنّ وغيره مما يخرج حدّه .

(١) معنى يظاً ويبرك وينظر في سواد: أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود. كنا في النووي على مسلم . قال : وفي عبارة الحديث تقديم وتأخير .

وفي هذه الأحاديث دليل على ذبح الفم على الوصف المذكور ، وعلى استحباب حد المذبة ، وهي السكين ، وعلى استحباب التوجيه والتسمية والدعاء ، فإن ترك التسمية لم يحرم ، وبه قال مالك . وقال أبو ثور وداود : التسمية شرط في الإباحة مطلقا ؛ وقال أبو حنيفة : هي شرط في حال الذكر ، وعن أحمد الأفعال الثلاثة . وما قدر على ذبحه لا يحل إلا بقطع الخلقوم ، وهو مجرى النفس في مقدم الرقبة ، والمرى ، وهو مجرى الطعام والشراب ؛ ويستحب قطع الودجين ، وهما عرقان في جانبي العنق . وقد يقطعان من الحيوان فيبقى ، وقال أبو حنيفة : يشترط قطع المرى وكل واحد منهما ، وقال مالك : لا بد من قطع هذه الأربعة . حكاه عنه صاحب الحاوي . ولو أبان الرأس لم يحرم ، خلافا لسعيد بن المسيب .

٧ - ما جاء في نحر ما يذبح ، وذبح ما يُنحر

عن أسماء قالت : نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكلنا أفرجه النسائي ، وبوّب عليه نحو ما ذكرنا .

٨ - ما جاء في الأمر بالإحسان في الذبح

عن شداد بن أوس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إن الله كتب عليكم الإحسان ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليجد أحدكم شقوته ، وليرح ذبيحته . أخرجه .
شرح - الشفرة : السكين الغليظة .

٩ - ما جاء فيما يجوز الذبح به

عن رافع بن خديج ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل لیس السن والظفر ، وسأحدثك . أما السن فعضم . وأما الظفر فمدى الحبشة . قال : وأصبنا نهب إبل وغنم ، فنذ منها بعير ، فرماه رجل بسهم ، فحبسه ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن لهذه الإبل أوابد كأوابد الوحش ، فما نذ عليكم

منها فاصنعوا به هكذا . أنصراه . وبَوَّبَ عليه النسائي ذكر المفتلة التي لا يُقدَّر على ذبحها :
والأوابد : جمع أبدة ، وهي التي قد تابَّدَتْ ، أي توحَّشَتْ ، ونفرت من الإنس ،
وقد أبَدَتْ تابَّد وتابَّد أبودا ، بضم مضارعه وكسره .

١٠ - ما جاء في وقت النحر

عن جُبَيْر بن مُطْعِم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : كلُّ عرفات موقف ،
وارتفعوا عن عُرَّتِه ؛ وكل مزدلفة موقف ، وارفعوا عن مُحَسَّر ؛ وكل فجاج مِنِّي منحر ،
وكل أيام التشريق ذبح . أنصراه الإمام أحمد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أيام النحر ثلاثة أيام .

وعن مجاهد أن معاذ بن مالك حجَّ ، وحجَّ بأهله ، وأهدى هَديَيْن ، فأضلهما
بذي الحجاز ، فأتى عمر بن الخطاب يوم النحر ، فقال : امكث اليوم وغدا ، ولا يحِلَّ منك
شيء . وفي رواية : ولا تحلِّق رأسك ، والتسهما ، فإن وجدتهما فانحرهما ، وإلا فحِل .
وفي رواية : فإن وجدتهما فانحرهما ، وإلا فاشترِ مكانهما وانحرهما . وأحسبه قال : فإن
وجدتهما بعد ذلك فانحرهما . أنصراه سعيد بن منصور ، وبَوَّبَ عليه من رأى أن النحر
في ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، ومن رآه يومين .

ظاهر كلامه يدل على إرادة ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، أو يومين بعده . وبشير بالأول .
إلى قول ابن عباس ، وهو محتمل لإرادة ذلك ، أو ثلاثة أيام بيوم النحر . وبشير بالثاني
إلى ما دل عليه قول عمر . ولا دلالة في قوله إلا على يوم النحر ويوم واحد بعده .

وقد اختلف العلماء في ذلك ؛ فذهب الشافعي إلى أن أول وقت من وقت انبساط
الشمس يوم النحر ، وآخره إذا خرجت أيام التشريق ، فيكون ثلاثة أيام بعد يوم النحر ؛
وعليه يُحمَل قول ابن عباس . وقال مالك وأبو حنيفة : وقته يوم النحر ويومان بعده .
وقال سعيد بن جُبَيْر : تجوز الأضحية لأهل الأمصار يوم النحر خاصة ، ولأهل السواد
فيه وفي أيام التشريق . وحكى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والنخعي : وقتها من يوم النحر
إلى آخر ذي الحجة . وحكم الهذلي حكم الأضحية ، إلا في المسكان ، فالهذلي يختص

بالحرَم ، والأضحية في كل مكان : إذا ثبت هذا ، فما كان منها واجبا فلا يسقط بفوات الوقت ، ويذبحها ، ويكون قضاء ، وقال أبو حنيفة : يسقط الذبح .

١١ - ما جاء في مكان النحر في الحج والعمرة

تقدم في أول الفصل قبله ما يدل عليه .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نحرنا هاهنا ، ومِنَى كلها منحر ، فانحروا في رحالكُم . أخرجه . وزاد أبو داود : وكل لحاج مكة طريق ومنحر . وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مِنَى ، فأتى الجرة ، فرماها ، ثم أتى منزله بمنى فنحر . أخرجه .

وعن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بمنى : هذا المنحر ، وكل منى منحر ؛ وفي العمرة : هذا المنحر ، يعنى المروة . وكل لحاج مكة وطرقها منحر . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان ينحر في المنحر . قال عبيد الله : في منحر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعنه أنه كان يبعث بهديه من جمع من آخر الليل ، حتى يدخل به منحر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حُجاج فيهم الحر والمملوك . أخرجه البخارى . وفيه حث على النحر في منحر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم في منحر إبراهيم ، الذى نحر فيه الكعبش ، فاتخذوه منجرا ، وهو المنحر الذى ينحر فيه الخلفاء اليوم ، فقال : هذا المنحر ، وكل مِنَى منحر .

وقال ابن عباس : تقول اليهود إن المقدى إسحاق وكذبت ، إنما هو إسماعيل . أخرجه أبو ذر . وعنه قال : الصخرة التى بمنى بأصل تبير ، هى الصخرة التى ذبح عليها إبراهيم فداء إسماعيل أو إسحاق ، وهو الكعبش الذى قرّبه ابن آدم ، فقبل منه ، كان نخزونا حتى فدى به إسماعيل أو إسحاق ، وكان أعين أقرن له ثغاء . أخرجه أبو سعد فى شرف النبوة .

شرح — أعين : أى واسع العين . والثغاء : صياح الغنم ، يقال ماله ثاغية ، أى ماله

شئ من الغنم .

وهذان الحديثان بينهما تضادّ ، لأن حديث أبي سعد يتضمن أن مكان ذبح إبراهيم في أصل ثبير ، وحديث أبي ذرٍّ يتضمن أنه منحَر الخلفاء اليوم ، وذلك في سفح الجبل المقابل له ، وكلاهما لا يصادان الحديث الأول ، أنه منحَر عند منزله ، إذ قد يكون منزله عند المنحر منه ، فَنُسِبَ منحَرُهُ تارة إلى المنزل ، وتارة إلى المنحر . وسيأتى تنمة الكلام في هذا الفصل في باب الهدى ، إن شاء الله تعالى .

١٢ - ما جاء في ذكر الأضحية بمنى يوم النحر

عن عبد الرحمن بن أبي بكره ، عن أبيه ، قال : لما كان ذلك اليوم قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعيره ، وأخذ إنسان بخطامه ، قال : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : أليس بيوم النحر ؟ قلنا : بلى ، يا رسول الله ، قال : فأى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ؛ قال : أليس بذي الحجة ؟ قلنا : بلى ، يا رسول الله ، قال : فأى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ؛ قال : أليس بالبلدة ؟ قلنا : بلى ، يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلكدكم هذا ، فليُكَلِّغِ الشاهد الغائب . قال : ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما ، وإلى جذيعَةٍ من النعم ، فقسمها بيننا . أضربهم مسلم .

قال الدارقطنى : قوله ثم انكفأ إلى آخره ، هذا الكلام وَهَم من ابن عَوْنٍ ^(١) فيما يقال . وقد أضرج البخارىّ حديث ابن عون ^(١) ، ولم يُخْرِج هذا الكلام فيه ، ولعله صح عنده أنه وَهَم .

قلت : ولعله صح عند مسلم هذا الكلام ، فلذلك خرّجه فى صحيحه ، الذى ذكر أنه لم يودع فيه غير الصحيح . ولا تمارض بين هذا الحديث وبين حديث أنس : ضحّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بكبشين أملحين ، بل روى أبو بكره عمله صلى الله عليه وسلم فى حِجَةِ الْوَدَاع ، وروى أنس عمله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وفيه رد لقول من قال : لا يضحّى الحاج ولا المسافر ، بل هى مستحبة للحاج والمسافر ، كالقِمِّ وقدرت

(١) المذكور فى سند هذا الحديث فى صحيح مسلم أبو عوانة لا ابن عون .

عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر . أقرمه البخاري ، وروى : أهدى ، مكان ضحى ، ولا تضاد ، فإن الهذى قد يُطلق على الأضحية ولا عكس ، والله أعلم .

١٣ - ما جاء فيمن ترك الأضحية بمنى

عن إبراهيم قال : كان عمر يمج ولا يضحي قال : وكان أصحابه يمجون ومعهم الورق والذهب ولا يضحون . قال إبراهيم : ما يمنعهم من ذلك إلا ليتفرغوا لنسكهم ، مخافة أن يشغلهم عن شيء .

وعن أبي الأحوص أنه شهد الموسم ولم يضح ، وأعطى أصحابه ثمن بقرة وقال : اذبحوها وتزودوا لحجها . أقرمه سعيد بن منصور .

١٤ - ما جاء في الاختلاف في الذبيح : هل هو إسحاق أو إسماعيل

عن ابن عباس في حديث طويل ، وسيأتي في فصل أول من رمى الجمار أن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يذبح إسحاق قال له : يا أبة ، أو تقبى لا أضطرب ، فينضح عليك من دمي إذا ذبحتني ، فشدّه ، فلما أخذ الشفرة ، فأراد أن يذبحه ، نُودي من خلفه : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا . وفي رواية عن ابن عباس : أن الذبيح إسماعيل ، وفيها : قالت فإذا هو بكبش أقرن أعين . قال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش . أقرمه أحمد .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : الذي أمر إبراهيم بذبحه إسحاق عليه السلام . هكذا قالوا . كانت هذه القضية بالشام . أقرمه الواحدى بسنده . وهذا قول الأكثر ، أعنى أنه إسحاق ، وهو قول عليّ وابن مسعود وكعب ومقاتل وقادة وعكرمة والسدي . وقال آخرون : الذي أمر بذبحه إسماعيل . وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد ، وابن عباس في رواية عطاء . قال أبو إسحاق الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيح ؛ وسياق الآية يدل على أنه إسحاق ، لأنه تعالى قال : فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ، ولا خلاف أن هذا إسحاق ، ثم قال : فلما بلغ معه السّمي ، فعطف بقصة الذبيح على ذكر إسحاق ، فدلّ على أنه هو .

البَابُ الثَّانِي والعِشْرُونَ

فِي الْخَلْقِ وَالْقَصْرِ

١ - ما جاء في أنه صلى الله عليه وسلم خلق في حجة الوداع

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق في حجة الوداع . وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق وحلق طائفة من أصحابه ، وقَصَّر بعضهم . أخرجهما .

٢ - ما جاء في فضل الخلق على التقصير

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رحم الله المُحَلِّقِينَ . قالوا : والمَقْصِّرِينَ يا رسول الله . قال : رحم الله المُحَلِّقِينَ . قالوا : والمَقْصِّرِينَ يا رسول الله . قال : رحم الله المُحَلِّقِينَ . قالوا : والمَقْصِّرِينَ يا رسول الله . قال : والمَقْصِّرِينَ . وفي رواية : فلما كانت الرابعة قال : والمَقْصِّرِينَ . أخرجهما .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ . قالوا : يا رسول الله والمَقْصِّرِينَ . قال : والمَقْصِّرِينَ أخرجهما .

وعن مالك بن ربيعة السَّكَلَوِيُّ ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ . قال : يقول رجُلٌ من القوم : والمَقْصِّرِينَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثالثة أو الرابعة : والمَقْصِّرِينَ . ثم قال : وأنا يومئذ مخلوق الرأس ، فما يَسُرُّني بخلق رأسي سَحَرُ النَّعَمِ . أخرجهما .

وعن أحمد بن العباس البزار^(١) قال : سمعت أبا سَهْلٍ بنَ بونس الرجل الصالح يقول : رأيت كأنَّ سفينة تجرى على وجه الأرض ، فقلت : سبحان الله سفينة تجري على وجه الأرض ! فقال قائل : فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقفزت من موضعي ،

(١) في م : البزار ، براءين . وفي هـ : البراء ، براءين . والتصويب من تاريخ بغداد للخطيب . انظر الترجمة رقم ٢١٥٠ .

وضربت يدي على هريانات^(١) المركب ، وقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . فقال لي : حججت ؟ فقلت نعم . فقال : حلفت رأسك ؟ قلت : نعم . فقال : رأسُ حُلُقِي بِمَنَى لَاتَمْسَهُ النار أبدا . أضرهم ابن الحاج المالكي في منسكه . وفيه عموم يشتمل على من حَلَقَ مُطْلَقًا ، سواء قَصَرَ قبله ، أو كان في غير نُسْكَ . والظاهر حمله على التحلل بالخلق ، حملا على الأحاديث المتقدمة المقيّدة ، ولأنه ذكر ذلك بعد سؤاله عن حَجَّه ، فدل على أنه يريد حَلَقَه فيه ، لا أنه استأنف جملة لاتعلق لها بما تقدم ، بل الكلام كله جملة واحدة ، مرتبط بعضه ببعض . وفي تكرار الدعاء للمُحَلِّقِينَ حث عليه ، وتأكيد لندبته ، لأنه أبلغ في العبادة ، وأدل على صدق النية في التذلل لله ، لأن المقصر مُبْقٍ لنفسه من الزينة التي أراد الله تعالى من المستجيبين له بالحج ، الخروج عنها ، مظهرين للذلة والخشوع . ثم جعل للمقصرين نصيبا . وهو الربع أو الثلث ، لثلاثيخيب أحد من أمته من صالح دعوته . وقد زعم بعض العلماء أن تكرار الدعاء للحالق لأجل أنه كان أمرهم أن يحلوا في حجة الوداع ، فلم يحلوا ، وتوقفوا استنقالا لمخالفة فعله ، وكانت طواعيتهم له أولى . فلما عزم عليهم مالوا إلى التقصير ، لأنه أخف وأقرب إلى من لم يحل ، أو لأنهم لم يعتادوا الحلاق ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أحرّم في الدعاء ، وقد ذكر بعضهم أن هذا القول كان بالحديبية ، حين أمرهم بالخلق ، فلم يقم له أحد . وكذلك أضرهم أبو ذر في منسكه . قال أبو عمرو : وهو المحفوظ . وروى ابن عباس أنه قيل له : يا رسول الله ، ما بال المُحَلِّقِينَ ظاهرت لهم بالترحم ؟ قال : لأنهم لم يشكّوا . وقد روى مسلم في هذا الباب عن ابن الحصين ، عن جدته أم الحصين ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا للمُحَلِّقِينَ ثلاثا ، وللمقصرين مرة ، وقد تقدم ذكر حجج أم الحصين مع النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الباب العشرين من حديث ابن حبان ، ولا يبعد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قاله بالحديبية ، وفي حجة الوداع . وقال بعضهم : تكرار الدعاء للمُحَلِّقِينَ دليل على أنه نُسْكَ لا إباحة ، ولو كان إباحة لما استحقوا الدعاء والثواب عليه . وأيضاً فإنه فاضل بين المُحَلِّقِينَ والمقصرين ، ولا تفاضل في الإباحة ، وإنما التفاضل فيما فيه ثواب .

(١) كذا في م . وفي م : هريابات . ولم نستطع تصويب اللفظ .

٣ - ما جاء في استحباب تقديم الرمي ، ثم النحر ، ثم الحلق ،
وكيفية الحلق وتفريقه شعره صلى الله عليه وسلم بين الناس
تقدم في حديث جابر الطويل ما يدل عليه

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مِنًى ،
فأتى الجرة ، فرماها ، ثم أتى منزله مِنًى ونحر ، ثم قال للحلَّاق خُذْ ، وأشار إلى جانبه الأيمن ،
ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس . وفي رواية : فبدأ بالشق الأيمن ، فوزَّعه الشعرة
والشعرتين بين الناس ، ثم قال بالأيسر ، فصنع به مثل ذلك ، ثم قال : هاهنا أبو طلحة ؟
فدفعه إلى أبي طلحة . وفي رواية فأعطاه أم سليم . أضرجه بطرقه .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : لما خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه مِنًى ،
أخذ شق رأسه الأيمن بيده ، فلما فرغ ناوَأنى ، فقال : يا أنس ، انطلق بهذا إلى أم سليم ،
قال : فلما رأى الناس ما خَصَّنَا به ، تنافسوا فى الشَّق الآخر . هذا يأخذ الشيء ، وهذا
يأخذ الشيء . قال محمد : فحَدَّثَهُ عُبَيْدَةُ السَّامَانِي ، فقال : لأن تكون عندي شعرة منه
أحب إليّ من كل بيضاء وصفراء ، على وجه الأرض وفي بطنها . أضرجه أحمد . والصحيح
أن الذى وزَّعه على الناس صلى الله عليه وسلم الشَّق الأيمن ، على ما تضمنه الحديث الأوّل ،
وأعطى الأيسر أبا طلحة أو أمّ سليم ، على ما تضمنه أيضا . ولا تضادّ بين الروایتين ،
لأن أمّ سليم امرأة أبي طلحة ، فأعطاه صلى الله عليه وسلم لها ، فنُسبت العطية تارة إليه ،
وتارة إليها .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أن النّبى صلى الله عليه وسلم لما ناول أبا طلحة
شعره يُفرقه بين الناس ، كله خالد بن الوليد فى ناصيته ، فدفعها إليه . أضرجه المُلّا فى سيرته .
وفى الحديث دلالة على استحباب الترتيب ، بأن يرمى ثم ينحجر ثم يحلق ، ولا يجب
ذلك لما سيأتى فى باب التقديم والتأخير ، ودلالة على البداءة باليمين فى الحلق ، وأن من كان
يُحَسِّن به الظن ، ويُقْتدى به ، يجوز أن يدفع شيئا من ثيابه أو شعره على وجه التَّبَرُّك .

٤ - ما جاء أين يبلغ بالخلق من الرأس

عن ابن عمر رضی الله عنهما أنه كان يقول للحائق : يا غلام ، ابْلُغِ العظم .
أُخْرِجْ الشافى ، وقال : هو العظم الذى عند منقطع الصَّدْغَيْنِ . وأُخْرِجْ سَعِيدَ بن منصور .
وقال : ابْلُغِ العظمين .

وعنه أنه قال : فى الأصلع : مِمْرُ المَوْسَى على رأسه . أُخْرِجْ الدارقطنى .
الأكمل والأفضل فى الخلق أن يَسْتَوْعِبَ جميع الرأس ، فلو اقتصر على خلق ثلاث
شَعْرَاتٍ أو تقصيرها جاز عندنا . وقال أصحاب الرأى يجب خلق ربع الرأس .
ووقت الخلق بعد رمى جمره العقبة ، ولن معه هدى بعد ذبحه كما تقدم ، ووقته فى
العمرة بعد الفراغ من السعى ، ولن معه هدى بعد ذبحه . ويستحب أن يبدأ بشقه الأيمن ،
ثم الأيسر ، ويستقبل القبلة ، وأن يكبر ويصلى بعد الفراغ منه ، لما رواه وكيع ، قال :
قال لى أبو حنيفة : أخطأت فى خمسة أبواب من المناسك ، فعلمنيها حَجَّامٌ . وذلك أنى
حين أردت أن أخلق رأسى وقفت على حَجَّامٍ ، فقلت له : بكم تخلق رأسى ؟ فقال :
أعراقى أنت ؟ قلت : نعم . قال : النَّسْكُ لا يَشَارَطُ عليه ؛ اجلس . فجلست مُنَحَرِّفاً عن القبلة
فقال لى : حرّك وجهك إلى القبلة . وأردت أن أخلق رأسى من الجانب الأيسر ، فقال :
أدِرِ الشَّقَّ الأيمن من رأسك ، فأدرته ، وجعل يحلق وأنا ساكت ، فقال لى : كبر .
فجعلت أ كبر حتى قمت لأذهب ، فقال لى أين تريد ؟ فقلت : رَحِلْ قال : صل ركعتين ،
ثم امض ، فقلت : ما ينبغى أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحَجَّام . فقلت له : من
أين لك ما أمرتنى به ؟ قال : رأيت عطاء بن أبى رباح يفعل هذا . أُخْرِجْ أبو الفرج
فى مثير الغرام .

٥ - ما جاء فى كيفية التقصير

عن معاوية قال : قَصَّرْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشْقَصٍ وهو على
النَّزْوَةِ . أُخْرِجْناه .

وعنه أخذت من أطراف شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشْقَصٍ كان معى ،

بعد ما طاف بالبيت ، وبالصفا والمروة ، في أيام العَشر . أضرجه النسائي . وقال قيس بن سعد الناس ينكرون على معاوية مارواه . وقد احتج من قال إنه صلى الله عليه وسلم كان مُتَمَتِّعًا بقوله في أيام العَشر ؛ إلا أن هذه الزيادة لم تُرَوِّ في الصحيح ، فيُحْتَمَلُ أن يكون في عُمره الجُمُرانة ، فإن معاوية قد صحَّ أنه كان أسلم مع أبيه .

وَيُبَيِّنُ أنه كان في عُمره لا في حجّ رواية أخرى ، أخرجها النسائي ، أن معاوية قصر عن النبي صلى الله عليه وسلم بِمَشَقَصٍ في عُمرته على المروة . وللقائل إنه كان مُتَمَتِّعًا أن يقول : يمكن القول بالوجِب ، وأنه كان في عَمرة ، لكن مع حَجَّتِهِ . لكن يَرُدُّ هذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث حَفْصَةَ المتقدم في فصل القِران : إِنِّي لَبَدْتُ رَأْسِي وَقَلَّدْتُ هَدْيِي ، فَمَا أَجِلٌ حَتَّى أَنْحَرَ الْمَدَى . وفي لفظ : فَمَا أَجَلَ حَتَّى أَجَلَ مِنْ الْحَجِّ .

وَالْمَشَقَصُ مِنَ النَّصَالِ : مَا طَالَ ، وَلَا يَكُونُ عَرِيضًا ، فَإِذَا كَانَ عَرِيضًا فَهُوَ الْمَغْبِلَةُ . وعن القاسم وأتاه رجل فقال : إِنِّي أَفَضْتُ وَأَفَضْتُ مَعِيَ بِأَهْلِي ، ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى شَعْبٍ ، فَذَهَبْتُ لِأَدْنُو مِنْ أَهْلِي ، فَقَالَتْ : لَمْ أَقْصِرْ مِنْ شَعْرِي بَعْدَ ، فَأَخَذْتُ مِنْ شَعْرهَا بِأَسْنَانِي ، ثُمَّ وَقَعْتُ بِهَا فَضَحَكَ الْقَاسِمُ ، وَقَالَ : مَرُّهَا أَنْ تَأْخُذَ مِنْ رَأْسِهَا بِالْجَلَمَيْنِ . قال مالك : وَأَنَا أَسْتَحِبُّ أَنْ يُرَبَّقَ فِي مِثْلِ هَذَا دَمًا .

قلت : وَالْعَمَلُ عِنْدَنَا عَلَى الْقَوْلِ بِأَجْزَاءِ ذَلِكَ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَخْذِ مِنَ الشَّعْرِ بِالْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ ، مِنْ نَقْفٍ ، أَوْ قَطْعٍ ، أَوْ حَرْقٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . فَلَعَلَّ الْقَاسِمَ إِنَّمَا أَمَرَ بِالْأَخْذِ بِالْجَلَمِ عَلَى وَجْهِ النَّدْبِ ، لِثَانِي صُورَةِ السَّنَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالْجَلَمُ هُوَ الَّذِي يُجَزُّ بِهِ الشَّعْرُ وَالصُّوْفُ . وَالْجَلَمَانِ : شَفْرَتَانِ . وَهَكَذَا يُقَالُ مِثْنِي وَمُفْرَدًا كَالْمَقْصِصِ وَالْمَقْصَصَيْنِ .

وعن عمرو بن دينار قال : أَخْبَرَنِي حَجَّامٌ أَنَّهُ قَصَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : أَبْدَأُ بِالشَّقِّ الْأَيْمَنِ ، لِأَنَّهُ نُسُكٌ ، اقْتِدَاءً ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحِبُّ التَّيْمَنَ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ . أَضْرَجَهُ الشَّافِعِيُّ .

٦ - ما جاء في استحباب أخذ المتحلل بالخلق أو التقصير ، من لحيته وشاربه

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان إذا حلق رأسه في حج أو عمرة أخذ من لحيته وشاربه . أخرجه مالك وأبو ذر ، وزاد : وكان يقبض بيده على لحيته ويأخذ من طرفها ما يخرج من قبضته . أخرجه سعيد بن منصور بزيادته بتغيير بعض اللفظ .

وعنه أنه كان لا يأخذ من لحيته إلا في حج أو عمرة . وكان إذا أخذ منها قبض منها قبضة ، ثم جز ما وراء ذلك . أخرجه سعيد أيضا . وأخرج الملا في سيرته أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حلق أخذ من شاربه وعارضيه ، وقلم أظفاره ، وأمر بشعره وأظفاره أن يدفنا ، ثم أفاض .

وعن ابن عمر أنه حلق رأسه على المروة ، فقال للحلاق : إن شعري كثير قد آذاني ، ولست أظلي ، أفأحلقه ؟ قال : نعم . فحلق صدره وأشراف الناس ينظرون إليه . فقال : بأيها الناس ، إن هذا ليس بسنة ، ولكن شعري كثير ، وقد آذاني . ولست أظلي . أخرجه سعيد بن منصور .

٧ - ما جاء فيمن قال : يجب على الملبّد الحلق

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أبد رأسه للإحرام فقد وجب عليه الحلق . أخرجه البيهقي وقال : وهو ضعيف ، والصحيح رواية مالك عن نافع عن ابن عمر ، عن عمر بن الخطاب ، وسالم عن ابن عمر عن عمر : من ضفر فليحلق . وفي رواية ابن المسيب عن عمر : من عقص أو ضفر أو لبّد فقد وجب عليه الحلق . أخرجه مالك . وعنه أنه رأى رجلا قد ضفر رأسه ، فقال : ضاهيت التليد ، احلق .

وعن إبراهيم قال : الضافر والملبّد والخمر عليهم الحلق . أخرجه الثلاثة سعيد بن منصور . والمخمر : هو العاقص شعره .

٨ - ما جاء فيمن اعتبر مع ذلك النية

عن ابن عباس في الملبّد قال: إن كان نوى الخلق فليخلق ، وإن لم ينو الخلق ، فإن شاء خلق ، وإن شاء قصّر .
وعن مجاهد مثله . أضرجه سعيد .

٩ - ما جاء في نهى النساء عن الخلق وأمرهن بالتقصير

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس على النساء حلق ، وإنما على النساء التقصير . أضرجه أبو داود .
وعن عليّ عليه السلام قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحلق المرأة رأسها . أضرجه الترمذى .

في الحديثين دلالة على أن الشّنة في حق النساء التقصير ، والخلق مختص بالرجال . قال بعضهم : وهذا مجمّع عليه .

١٠ - ما جاء في قدر ما تأخذ المرأة من رأسها

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تجمع رأسها ، وتأخذ قدر أتملة .

وروى موقوفاً على ابن عمر ، ولفظه : المرأة إذا أرادت أن تقصّر جمعت شعرها إلى مقدم رأسها ، ثم أخذت منه أتملة .

وعن عطاء قال : تأخذ قدر ثلاث أصابع مقبوضة ، أو أربع أصابع .

وعنه قال : إذا قصّرت المرأة شعرها تأخذ من أطرافه ، من طويله وقصيره .

وعن إبراهيم مثله .

وعنه قال : تأخذ الحرمة من رأسها إذا قصّرت أصبعاً بقدر السّجّابة .

وعنه في المرأة : تقصّر من شعرها قدر مفصلين .

أُخرج جميع أحاديث هذا الفصل سعيد بن منصور . وأُخرج الحديث المتضمن ذكر السَّبابَةِ الدارقطني . وقد قيل : لأحد لما تأخذه المرأة من شعرها . وعندنا أقل ما يُجزئ ثلاث شعرات ، ويستوى في ذلك الرجل والمرأة .

وعن مجاهد عن عائشة أنها كانت تقول : أَلَا تَعَجَّبُونَ من ابن الزَّيْبِر ، يفتي المرأة المحرمة أن تأخذ من شعرها أربع أصابع . إنما يكفيها من ذلك التصريف .
ويريد ، والله أعلم ، بالتصريف : أخذ ما تشعث منه ، أخذاً من تصريف جريد النخل ، وهو إزالة ما ييس منه ، أو لعلها قالت : التطريف : تريد أخذ أطراف الشعر ، فغُيِّط بالتصريف .

١١ - ما جاء في قوله تعالى : ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، التَّفَثُ : حلق الرأس ، والأخذ من العارضين ، ونَتْفَ الإبْطِ ، وحلق العانة ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، وإزالة الرِّيح ، والوقوف بعرفة ، والسعى بين الصفا والمروة ، ورعى الجمار . أخرجه سعيد بن منصور .

١٢ - ما جاء في أن الحلق نُسْكٌ

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل يوم النحر وهو واقف عند الجرة ، فقال : يا رسول الله ، حَلَقْتُ قبل أن أرمى . قال : ارمِ ولا حَرَجَ . وأتاه آخر فقال : إني ذبحت قبل أن أرمى . فقال : ارمِ ولا حَرَجَ . وأتاه آخر فقال : إني أفصت إلى البيت قبل أن أرمى . فقال : ارمِ ولا حَرَجَ . أخرجه .
وجه الدلالة أنه لو لم يكن الحلق نُسْكاً لما جاز تقديمه على الرَّمْيِ . وفيه قولان للشافعي أحدهما هذا ، وهو الأصح ؛ والثاني أنه استباحة محظور ، كغيره من المحظورات . ووجهه أنه أمرٌ ورَدَ بعد الحظر ، فانقضى الإباحة ، أو العود إلى ما كان عليه ، وهو الإباحة ؛ وعلى هذا لا يجوز تقديمه على الرمي . قال المرازقة من أصحابنا : وعلى الأول يكون ركناً ،

وتكون أركان الحج خمسة : الإحرام ، والوقوف ، والطواف ، والسعي ، والخلق .
وقال أهل العراق : يكون واجبا مجبورا بالدم ، ولا يتحقق قوته إلا بالموت ، إذ يصح
الإتيان به في بلده ، وتكون أسباب التحلل على هذا القول ثلاثة : الرمي ، والخلق ،
والطواف . وعلى قولنا استباحة محذور ، تكون شيئين . وسيأتي الكلام في ذلك .

١٣ - حجة من قال : ليس بنُسك ، ولا يقف التحلل عليه

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا
رمى أحدكم جرة العقبة ، فقد حلّ له كل شيء إلا النساء . أخرجه أبو داود . وأخرجه
أحمد عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي . قال أبو داود : هذا
حديث ضعيف .

البَابُ الثَّالِثُ والعِشْرُونَ

فِي طَوَافِ الْإِفَاضَةِ

١ - مَا جَاءَ أَنَّهُ رُكْنٌ لَا يُجَبَّرُ بِالْدَمِ

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كُنَّا نَتَخَوَّفُ أَنْ تَحْيِضَ صَفِيَّةُ قَبْلَ أَنْ تُفَيْضَ . قَالَتْ : لَجَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَحَابِسْتُنَا صَفِيَّةُ ؟ قُلْتُ : قَدْ أَفَاضْتَ . قَالَ : فَلَا إِذْنَ . وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ مِنْ صَفِيَّةَ بَعْضَ مَا يَرِيدُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهَا حَائِضٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : وَإِنَّهَا لِحَابِسْتُنَا . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهَا قَدْ زَارَتْ يَوْمَ النَّعْرِ . قَالَ : فَلَتَمَنِّفِرْ مَعَكُمْ . فَأُضْرِبَاهُ .

أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى وَجوب طَوَافِ الْإِفَاضَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي اعْتِبَارِ النِّيَّةِ فِيهِ ، وَمَتَى نَوَى طَوَافًا بَعْدَ التَّحَلُّلِ الْأَوَّلِ ، وَعَلَيْهِ طَوَافُ الرُّكْنِ ، فَإِنَّهُ يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ عِنْدَنَا ، قِيَاسًا عَلَى أَصْلِ الْحَجِّ . وَقَالَ أَحَدٌ : لَا يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَعْيِينِ النِّيَّةِ ، وَلَوْ أَرَادَ الْحَاجُّ النَّفَرَ وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ حَائِضٌ لَمْ تَطْفُ لِلْإِفَاضَةِ وَلَيْسَ بِهِمْ ضَرُورَةٌ إِلَى النَّفَرِ ، فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ . وَلَمْ أُعْثَرْ عَلَى شَيْءٍ فِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِنَا ، لَكِنَّ الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَيْهِ . وَرَوَى الرَّئِيسُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ الثَّقَفِيُّ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ أَجْزَائِهِ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُورَةِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمِيرَانِ وَلَيْسَا بِأَمِيرَيْنِ : مَنْ تَبَعَ جِنَارَهُ ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْصَرَفَ حَتَّى تُدْفَنَ أَوْ يُأْذَنَ صَاحِبُهَا ؛ وَالْمَرْأَةُ حَجَّتْ أَوْ اعْتَمَرَتْ فَكَانَتْ مَعَ قَوْمٍ ، فَخَاضَتْ وَلَمْ تَقْضِ الطَّوْفَ الْوَاجِبَ ، فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَنْصَرَفُوا حَتَّى تَطْهَرُ أَوْ تُأْذَنَ لَهُمْ . وَأُضْرِبَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَهَذَا مَعَ قَوْلِهِ : أَحَابِسْتُنَا ؟ يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ : يَلْزَمُ الْجَمَالَ حَبْسُ الْجَمَالِ لَهَا أَكْثَرَ مَدَّةِ الْحَيْضِ وَزِيَادَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَقَوْلُهُمْ « إِنَّهَا زَارَتْ » :

ليل على تسمية هذا الطواف طواف الزيارة ، وفي إرادته صلى الله عليه وسلم من صفية
مضى ما يريد الرجل من أهله ، مع قوله « وإني لحابستنا » : ربما يسبق إلى الفهم أنه
راد الجماع مع اعتقاده أنها لم تُفِض ، ولا يحل اعتقاد ذلك ، فإنه لا خلاف في حرمة الوطء
إبله ، فكيف يُتَصَوَّر إرادته ، فيجب تأويل ذلك على إرادة مقدمات الجماع ، من كَسْ
بشهوة ، أو قُبلة ، أو نحو ذلك ؛ ويكون هذا دليلا على جواز ذلك قبل التحلل الثاني ؛
وهو الأصح عند أكثر أصحابنا ، وعليه العمل . ومن نَفَرَ وعليه طواف الإفاضة ، فعليه
لَعَوْدَ له ، ولا يخرج من إحرامه ذلك إلا به ، وقال عطاء : يرجع بحجّ أو عمرة حتى
يُطَوف . وفيه نظر ، فإن عُلُقَةَ الإحرام الأول باقية ، مانعة من التلبس بذلك .

٢ - ما جاء في وقت طواف الإفاضة ، واستحباب تعجيله يوم النحر

تقدم في حديث جابر الطويل ، أنه صلى الله عليه وسلم أفاض إلى البيت ، فصلَّى
نكّة الظهر .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ، ثم رجع فصلّى الظهر
بمَنَى أَضْرَبَاهُ .

وعن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين
صلى الظهر ، ثم رجع إلى مَنَى ، فكَثَّ بها ليلتي أيام التشريق . . . الحديث .
أضربه أبو داود .

وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أَمَّرَ طواف الزيارة إلى الليل . أضربه الترمذی ،
وقال حديث حسن . وأضربه أحمد من حديث ابن عباس . قال ابن حزم :
وهذا حديث معلول ، لأنه يرويه أبو الزبير ، عن ابن عباس وعائشة ، وهو يدّئس فيما
لم يقل فيه : أخبرنا أو حدّثنا أو سمعت ، فهو غير مقطوع بإسناده ، إلا ما كان من
رواية الليث عنه عن جابر ، فإنه كله سماع ، واسناده محتج من حديثه إلا بما كان فيه بيان
أنه سمعه ، وليس في هذا بيان سماعه منهما .

وعن طاووس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يَهَجَرُوا بالإفاضة ،

وأفاض بذنائه ليلا على راحلة ، يستلم الركن بِمِحْجَته . أخرجه الشافعي والبيهقي ، وقد تقدم ذكره في باب السعي . وأخرجه الواقدي ، وقال : ليلا في مساء يوم النحر . وأخرجه سعيد بن منصور والأزرقي ، وزاد : فطاف بالبيت على راحلته ، ثم جاء زمزم ، فقال : ناولوني فنؤول دَلّوا ، فشرب منها ، ثم مضى فمَجَّ في الدلو ، ثم أمر بما في الدلو فأفرغ في البئر ، ثم قال : لولا أن تُغَلَّبوا عليها لنَزَعْتُ معكم .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ثم رقد رَقْدَةً يَمْنَى ، ثم ركب إلى البيت ، فطاف به . أخرجه أبو حاتم ابن حبان ، وقال في الجمع بينه وبين حديث ابن عمر : يشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم رمى ثم أفاض ، ثم رجع ، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ورقد رَقْدَةً ، ثم ركب إلى البيت ، فطاف طوافا ثانيا بالليل . ولم يترخص لحديث جابر ، وهو أنه صلى بمكة الظهر ، ولا لحديث عائشة ، وهو أن الإفاضة كانت بعد صلاة الظهر . قال ابن حزم في صفة حجة الوداع : لم يلبح لنا وجه الحقيقة في هذه الأحاديث ، وأشار إلى تعذر الجمع بينها عليه . ثم قال : ولا شك أن أحد الخبرين وَهَمٌ ، والآخر صحيح ، ولا ندري أيهما هو . قال : وقد اتفق جابر وعائشة أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة ، وهما والله أعلم ، أحفظ لذلك من ابن عمر ، وعائشة أخص به صلى الله عليه وسلم من جميع الناس . وأيضاً فإنه صلى الله عليه وسلم فعل في ذلك اليوم قبل الإفاضة أعمالاً كثيرة ، من تَحَرُّ بِذَنٍ كثيرة ، وانتظار طبخها ، ورمي الجار قبل ذلك ، وتنزيل الناس منازلهم ، إلى غير ذلك من الأعمال ، ويبعد من هذا أن يُفَيْضَ ، ثم يعود إلى مَنَى ، ويصلي بها الظهر . هذا آخر كلامه .

فت : وقوله « اتفق جابر وعائشة على صلاته صلى الله عليه وسلم بمكة » : إنما قال ذلك لأنه روى حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أفاض من آخر يومه ، حتى صلى الظهر ، ثم رجع إلى مَنَى ؛ وروى الحديث عن أبي داود ، والذي ضبطناه فيما رويناه من السنن ، في نسخ صحيحة : حين صلى الظهر ، فيكون على ما قررناه . والجمع بين الروايات .

كلها ممكن ، إذ يحتمل أن يكون صَلَّى منفردا في أحد الموضعين ، ثم مع جماعة في الآخر ، أو صلى بأصحابه يَمْنَى ثم أفاض ، فوجد قوما لم يصلوا ، فصلى بهم ، ثم لما رجع وجد قوما آخرين لم يصلوا ، فصلى بهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يتقدمه أحد في الصلاة . أو كرر الصلاة بمكة ومِنَى ، ليمين جواز الأمرين في هذا اليوم ، توسعة على الأمة . ويجوز أن يكون أذن في الصلاة في أحد الموضعين ، فنسب إليه ، وله نظائر . وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه فزاروا البيت يوم النحر ، وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلا . وهذا حديث غريب . وفي الصحيح خلافة ، إذ روى البخارى في صحيحه ، والنسائي في سننه ، عن عائشة ، قالت : حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفَضْنَا يوم النحر ، فحاضت صفية ... الحديث . وفيه أنه لما قال : أحَابِسْتَنَاهُ ؟ قالوا : يا رسول الله ، إنها أفاضت يوم النحر . قال البيهقي : وأصح هذه الروايات حديث نافع عن ابن عمر ، وحديث جابر ، وحديث أبي سلمة عن عائشة ، يعنى حديث البخارى المذكور آنفا . قال ابن حزم : وفي ذلك اليوم طهرت عائشة من حيضها ، وأفاضت ، وطافت فيه صفية ، ثم حاضت بعده ليلة النَّفَر ، فأفاضت فيه أم سلمة ، وطافت راكبة ، وكانت شاكية .

وذكر البغوي عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت أيام مِنَى . وذكره البخارى ولم يستدنه ، بل قال : ويذكر عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت أيام مِنَى ، وهذا يؤيد تأويل أبي حاتم ، فعمل زيارته صلى الله عليه وسلم وقعت في تلك المرة ليلا ، ويجوز أن يكون هذا منشأ اختلاف الروايات ، فأراد بعضهم يوم النحر ، وبعضهم غير يوم النحر ، وقد سمي الزيارة إفاضة ، لأن معنى الإفاضة الدفع بكثرة ، ولم يذكر جميعهم أنه كان يوم النحر . وقد دلت هذه الأحاديث على استحباب وقوعه في يوم النحر ، وأن يكون ضحوة النهار ؛ وأول وقته عندنا نصف الليل من ليلة النحر ، بدليل حديث أم سلمة المتقدم في فصل وقت الرمي ؛ وقال أبو حنيفة : أول وقته من طلوع الفجر ، وقد تقدم الكلام فيه ، ولاحد لآخر وقته عندنا ، ولا يجب

بتأخيره عن أيام التشريق دم ، وبه قال أحمد : وقال مالك : إن تطاول الزمان فعليه دم .
وقال مرة : لاشئ عليه . وقال أبو حنيفة : إن أخره إلى اليوم الثالث من أيام التشريق ،
وجب عليه الدم ، وهو خلاف قول الكفاة .

٣ - ما جاء أنه لا يرُمَل في طواف الإفاضة

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرُمَل في السَّبْع
الذي أفاض فيه . أنهزم أبو داود والنسائي وابن ماجه .
وفيه دلالة على اختصاص الرَّمَل بطواف القدوم ، أو بكل طواف يَقْبِهُ سَعْي ،
وهما قولان للشافعي . وقد تقدم الكلام فيه في فصله من باب الطواف .

٤ - ما جاء أن القارن يُجْزئه طواف واحد

تقدم في فصل القِرن من باب وجوه أداء النُسكين من حديث الترمذی ، عن جابر
أن النبي صلى الله عليه وسلم قَرَنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، وطاف لهما طوافا واحدا .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أَهَلَ بِالْحَجِّ
وَالْعُمْرَةِ أَجْزَأَهُ لَهَا طَوَافٌ وَاحِدٌ وَسَعْيٌ وَاحِدٌ . وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة : إن
طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك . وسيأتي في باب فسخ الحج .
وعن جابر قال : لو نويت حَجًّا وَعُمْرَةً لَطَفْتُ لَهَا طَوَافًا وَاحِدًا ، وكنت مهديًا .
وعن طاووس وعطاء ومجاهد ، أنهم قالوا : يطوف لهما طوافا واحدا . أنهزمهما
سعيد بن منصور .

٥ - ما جاء فيمن قال : يطوف القارن طوافين وسعيين

عن علي عليه السلام ، وعبد الله رضي الله عنه ، قالا في القارن : يطوف
طوافين : طوافا لعمرة ، وطوافا لحجة ، ويسمى سعيين ، ولا يحلُّ منه حرام دون
يوم النحر ، فبلغ ذلك مجاهدا ، فقال : ما كنت أفتي إلا بطواف واحد ، وأما بعد اليوم
فإني أفتي بطوافين .

وعن الشعبي مثل قولهما .

وعن علي عليه السلام ، أنه أهلّ بحجٍّ وعُمْرة ، فلما قَدِمَ مكة طاف بالبيت وبالصفا والمروة لعمركه ، ثم عاد فطاف بالبيت وبالصفا والمروة لحجه ، ثم أقام حراماً إلى يوم النحر . أخرج ذلك كله سعيد بن منصور . وقد تقدم هذا الفصل والذي قبله في باب القرآن .

٦ - ما جاء في استحباب تعجيل الإفاضة للنساء

عن عائشة أنها كانت تأمر النساء بتعجيل الإفاضة يوم النحر تخافة الحيض . وعن عطاء قال : إذا خافت المرأة الحيضة ، فلتزُرِ البيت قبل أن تَرِيَّ الجرة ، وقبل أن تقصّر شعرها ، وقبل أن تَذْبِج .

٧ - ما جاء في استحباب الإفاضة في أيام التشريق لمن فاتته يوم النحر

عن إبراهيم كان يزور البيت ليلاً ونهاراً إذا لم يكن زار يوم النحر . وعن محمد بن سُوَوفَةَ أن رجلاً أتى علياً بمكة يوم النَّفَرِ الأول ، فوجده متضمّخاً ، فقليل له : زار البارحة . أخرجهم سعيد بن منصور .

٨ - ما جاء في المرأة تحيض وقد طافت خمسة أطواف من طواف الزيارة

عن عطاء وسُئِلَ عن امرأة طافت بالبيت أربعاً ، ثم حاضت . قال عطاء : لو كانت طافت خمسا لأمرتها أن تنفِرَ .

وعنه أنه قال : إذا طافت ثلاثاً أو خمسا أجزأها . أخرجهم سعيد بن منصور .

٩ - ما جاء في المرأة الحائض تشرب الدواء ليرتفع حيضها ، حتى تطوف وتنفِرَ

عن ابن عمر وسُئِلَ عن المرأة تشرب الدواء ليرتفع حيضها لتنفِرَ ، فلم يرَ به بأساً ، ونعت لهم ماء الأراك . أخرجهم سعيد بن منصور .

وإذا اعتدّ بارتفاعه في هذه الصورة اعتد بارتفاعه في انقضاء العدة ، وسائر الصور ؛ وكذلك في شُرْبِ دواء يَحْتَلِبُ الحيض إلخافاً به .

الباب الرابع والعشرون

في جواز تقديم بعض النسك على بعض

تقدم في آخر باب الخلق من حديث ابن عمر تقديم الخلق والذبح والطواف على الرمي.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له في الذبح والخلق والرمي والتقديم والتأخير. فقال : لا حرج . أضر به . وفي بعض طرق البخاري :
زُرْتُ قبل أن أرمي . فقال : لا حرج . رميت بعد ما أمسيت ؛ قال : لا حرج . وقال
أبو داود : إني أمسيت قبل أن أرمي . قال : ارم ولا حرج .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع يَمْنَى للناس بسألونه ، فجاءه رجل ، فقال : يا رسول الله ، لم أشعر ، فحلفت
قبل أن أنحر . فقال : اذبح ولا حرج . ثم جاءه رجل آخر ، فقال : يا رسول الله ، لم أشعر ،
فنهضت قبل أن أرمي . فقال : ارم ولا حرج . فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال : افعَل ولا حرج . أضر به .

وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل يوم النحر وهو واقف
عند الجرة ، فقال : يا رسول الله ، إني حلفت قبل أن أرمي . فقال : ارم ولا حرج :
أضر به مسلم .

وهذا دليل على أن الخلق نُسَكٌ لاستباحة محظور .

وعن علي عليه السلام قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، حلفت قبل أن
أنحر ، قال : انحر ولا حرج ، ثم أتاه آخر فقال : يا رسول الله ، أفضت قبل أن أُحِلَّقَ .
قال : احلق ولا حرج . أضر به أحمد .

وعن أسامة بن شريك قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجًا ،

فكان الناس يأتونه ، فمن قائل : يا رسول الله ، سميت قبل أن أطوف ، أو أخبرت شيئاً ، أو قدمت شيئاً ، فكان يقول : لا حرج لا حرج إلا على رجل افترض عرض رجل مسلم وهو ظالم ، فذلك الذي حرج وهلك . أنهزم أبو ذر في صحبته المستدرك على الصحيحين . وأنهزم الدارقطني وأنهزم ابن حزم في صفة الحج الكبرى ، عن أبي ذر كما أخرجه . وأنهزم عنه بسنده عن أسامة بن شريك ، قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وهو يخطب ، وهو يقول : أملك وأبأك وأختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك ، ثم سأله رجل نسي أن يرمي الجمار ، فقال ارم ، ولا حرج . ثم أتاه آخر ، فقال : يا رسول الله ، نسيت الطواف ، فقال : طُفْ ولا حرج . ثم أتاه آخر حاق قبل أن يذبح ، فقال : اذبح ولا حرج . فما سأله يومئذ عن شيء إلا قال : لا حرج لا حرج . ثم قال قد أذهب الله الحرج ، إلا رجلاً افترض امرأ مسلماً ، فذلك الذي حرج وهلك . وقال : ما أنزل الله عز وجل داء إلا أنزل له دواء ، إلا الهرم .

قلت : وقوله صلى الله عليه وسلم «قد أذهب الله الحرج» : إشارة إلى أن الحج يهدم ما قبله من الذنوب ، واستثناء افتراض العرض دليل على أن ظلامة الآدمي لا تغفر إلا برضاه . والله أعلم . وفي هذه الأحاديث حجة لمن ذهب إلى جواز تقديم ما شاء من أسباب التحلل ، وهو قول أكثر أهل العلم ، وإليه ذهب مجاهد وطاؤوس ، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق ، وفقهاء أصحاب الحديث ، في جماعة من السلف . وذهب بعضهم إلى أنه إذا قدم نسكاً على نسك يجب عليه دم ، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة ، وبه قال مالك وأصحاب الرأي ، وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم لا حرج ، على نفي الحرج لا الفدية ، وعلوه بأن الخلق حصل قبل شيء من التحلل ، مع القول بأنه نسك . وهذا غير منتظم ، فإنه إذا كان نسكاً كان من أسباب التحلل . واحتجوا أيضاً بقوله تعالى : «وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ» ، ومحلّه : محمول عندنا على وصوله إلى منى ، لانحره . وقال بعضهم : من فعل ذلك ساهياً فلا شيء عليه ، واحتجوا بقول السائل : لم أشعر فحلفت . وقوله : «رميت بعد ما أمسيت ، فقال : لا حرج» دليل على جوازه ، وقد تقدم الكلام فيه

في باب الرمي ، وقوله « لاحتج » : إباحة لما فعل وقدم ، وإجازة له لا أمر بالإعادة ،
 أى افعل ذلك متى شئت ولا حرج عليك ، لأن السؤال إنما وقع عما انقضى وتم ، وقوله
 « لم أشعر » : يؤهم بأن الحكم بذلك كان في حق السامى ، ولم يُفَرِّق العلماء بين السامى
 والعامد في ذلك ، بل سَوَّوْا بينهما في رفع الإثم والغدية ، لأن الترتيب لو كان واجبا
 لما سقط بالنسيان ، كترتيب السعى على الطواف وغير ذلك . وقوله في حديث أبى ذر
 « سميت قبل أن أطوف » : هذا لأعلم أحدا قال بظاهره ، واعتدّ بالسعى قبل الطواف ،
 إلا ما روى عن عطاء ، وهو قول كالشاذ لا اعتبار به ، ولعله اعتمد على ظاهر هذا الحديث ،
 وهو محمول على إرادة تقديم السعى مع طواف القدوم ، ويصدق على ذلك « سعى قبل أن
 يطوف » : يعنى الطواف الواجب . وقوله « إلا على رجل افترض » هو بالقاف والصاد المعجمة ،
 أى نال منه وعابه ، وقطعه بالغيبة ، وهو افتعال من القرض ، وهو القطع ، وسمى المقرض
 لأنه يقطع ، وقرض الفأر : قطع . وروى بالقاء والصاد المعجمة ، من القرض وهو القطع ،
 والمقرض : الحديدة التى يُحْزُّ بها . وروى بالقاء والصاد المهملة ، من القرض وهو القطع ،
 والمقرض والمقرض : الذى تقطع به الفضة . وقد اختلفت روايات مسلم في وقوفه للناس ؛
 ففي رواية عبد الله بن عمرو ، أنه وقف للناس يسألونه في حجة الوداع بمنى ، كما تقدم آنفا ،
 وفي أخرى : وقف على راحلته ، فطفق ناس يسألونه ، وفي أخرى : بينما هو يخطب يوم
 النحر ، فقام إليه رجل . وفي أخرى : بينما هو واقف عند الجمرة . قال الدراوردي : معنى
 يخطب : أى وقف للناس يُعَلِّمُهُمْ ، لا أنها من خطب الحج ، ورواه عن مالك . ويجوز
 أن يكون ذلك في موطنين أو مواطن ، بعضها كان فيه على راحلته عند الجمرة . ولم يقل
 في هذا : يخطب ، وبعضها لما خطب يوم النحر الخطبة الثانية من خطب الحج ، وعلم
 الناس ما بقى من مناسكهم . وقد تقدم في بعض الروايات : رميت بعد ما أمسيت . وهذا
 يدل على أن السؤال كان ليلا ، أو في يوم القر ، وهو أوّل أيام التشريق .

وذكر ابن حزم في صفة الحج الكبرى : أن هذه الأسئلة عن التقديم والتأخير ،
 كانت بعد عودته إلى منى مِنْ إفاضة يوم النحر .

قلت : ويحتمل أنها تكرررت قبله وبعده وفي الليل . والله أعلم . قال ابن حزم :
وأخبر صلى الله عليه وسلم ، يعنى فى ذلك اليوم ، أن لكل داء دواء إلا الهرم .

١ - حُجَّة من منع تقديم بعض النسك على بعض ،

وأوجب به الفدية

عن عبد الله بن عمر أنه لقي رجلا من أهله يقال له المُجَبَّر ، قد أفاض ولم يخلق
ولم يُقَصِّر ، جهل ذلك ، فأمره عبد الله أن يرجع ، فيخلق أو يقصر ، ثم يرجع إلى البيت
فيُفِيض . أضربه مالك وسعيد .

وهو محمول عندنا على الاستحباب .

الباب الخامس والعشرون

فبما يحل بالتحمل الأول والثاني

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر خطب الناس بعرفة ، وعلمهم أمر الحج ، وقال لهم فيما قال : إذا جئتم مني ، فمن رمى الجرة فقد حل له ما حرم على الحاج إلا النساء والطيب ، لا يمسس أحد نساء ولا طيبا حتى يطوف بالبيت . وفي رواية : من أتى الجرة ونحر هديا إن كان معه ، وحلق أو قصر ، فقد حل له ما حرم عليه ، إلا النساء والطيب ، حتى يطوف بالبيت . أخرجهما مالك .

وعن عروة بن الزبير قال : لا يحل الطيب لمن لم يطوف بالبيت بعد عرفة وإن قصر . أخرجه سعيد بن منصور .

لا خلاف أن للحج تحللين . واختلف قول الشافعي فيما يحصل به التحلل الأول على قولين : وأصحهما أن أسباب التحلل ثلاثة : الرمي والحلق والطواف . فإذا أتى باثنين من هذه الثلاثة ، حصل له التحلل الأول . والقول الآخر أن التحلل الأول يحصل بواحد من اثنين : الرمي والطواف . واختلف قوله أيضا فيما يحل بالتحلل الأول . وأصح قوليه أنه يحل بالأول ما سوى النساء ، والمراد بالنساء الوطاء وحده على الأصح : وقد تقدم الاستدلال على ذلك بحديث صفيّة في آخر فصل أن طواف الإفاضة ركن . والقول الثاني : يحل بالأول ثلاثة أشياء : لبس الحيط ، والحلق وقلم الأظفار ؛ وبالثاني يحل الباقي . وبه قال مالك . ومذهب عمر رضي الله عنه ، أنه لا يحل بالأول النساء والطيب ، ويحل ما سواهما . وبه قال سالم بن عبد الله . وأما اعتبار الطواف قبل الوقوف ، كما تضمنه قول عروة ، فيكون ذلك مذهبا له ، ولا أعلم مستندة ، ولعله يريد إذا سعى بعده ، فيكثر أسباب التحلل .

١ - حجة من قال بإباحة الطيب بالتحلل الأول

عن عائشة رضى الله عنها قالت : طَيَّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِحْرَمِهِ حِينَ أَحْرَمَ ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يُفَيْضَ ، بِأَطْيَبِ مَا وَجَدْتُ . وَفِي رِوَايَةٍ : كُنْتُ أَطْيِبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ النَّحْرِ ، قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، بِطَيِّبٍ فِيهِ مِسْكٌ . أَضْرِبَاهُ . وَعَنْ النَّسَائِيِّ : طَيَّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِحْرَمِهِ حِينَ أَحْرَمَ ، وَلِحِلِّهِ بَعْدَ مَا رَمَى بَجَرَّةِ الْعَقَبَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ .

تقدم شرح قوله « وَلِحْرَمِهِ » فِي بَابِ سُنَنِ الْإِحْرَامِ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إِذَا رَمَى أَحَدُكُمْ الْجَرَّةَ فَقَدْ حَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا النَّسَاءَ . قِيلَ لَهُ وَالطَّيِّبُ ؟ قَالَ : أَمَّا أَنَا فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَتَضَمَّنُ بِالْمِسْكِ ، أَطْيَبُ هُوَ ؟ أَضْرِبِ النَّسَائِيَّ . وَأَضْرِبِ أَحَدَهُ ، وَقَالَ : يَتَضَمَّنُ رَأْسَهُ بِالْمِسْكِ ، وَالْمِسْكِ : نَوْعٌ مِنَ الطَّيِّبِ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا رَمَى أَحَدُكُمْ جَرَّةَ الْعَقَبَةِ ، فَقَدْ حَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا النَّسَاءَ . أَضْرِبِ أَبَا دَاوُدَ . قَالَ : وَهُوَ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ يَرْوِيهِ الْحُجَّاجُ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَهُوَ لَمْ يَرَهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي آخِرِ بَابِ الْحُلُقِ .

وعنها : إِذَا رَمَيْتُمْ وَذَبَحْتُمْ وَحَلَقْتُمْ حَلًّا لَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا النَّسَاءَ ، وَحَلَّ لَكُمْ الثِّيَابُ وَالطَّيِّبُ . أَضْرِبِ أَحْمَدَ وَالدَّارِقُطَنِيَّ .

٢ - ما جاء في الرجل يزور البيت ثم يواقع أهله قبل أن يرجع إلى منى

تقدم في فصل كيفية التقصير عن القامم جواز ذلك .

وعن عطاء وسئل عن ذلك ، فقال : إِنْ شَاءَ وَاقَعَ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْى .

وعن عُرْوَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ أُمَّ سَلَمَةَ أَنْ تَصَلِّيَ الصُّبْحَ بِمَكَّةَ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَكَانَ يَوْمُهَا ، وَأَحَبُّ أَنْ تَوَاقِعَهُ أَضْرِبِ سَمْعِدْنَ بْنَ مَنْصُورٍ .

٣ - ما جاء أن من أمسى ليلة القُرّ ولم يُفِضْ عاد حراما كما كان

عن . أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل على وهب بن زَمْعَةَ ، ودخل معه رجل من آل أبي أمية ، مُتَمَصِّين . فقال صلى الله عليه وسلم لو هب : هل أفَضْتَ أبا عبد الله؟ قال : لا والله يارسول الله ، قال : انزعْ عنك القميص . قال : فنزعه من رأسه ، ونزع صاحبه قميصه من رأسه . قال : ولم يارسول الله؟ قال : إن هذا يومٌ رَخَّصَ اللهُ لكم إذا أنتم رميتم الجرة أن تحلوا . يعنى من كل ما حرّمتم منه إلا النساء ، فإذا أمسيتم قبل أن تطوفوا صرّتم حرّما كهيئتكم قبل أن ترموا الجرة ، حتى تطوفوا به . أنهرم . أحمد وأبو داود وابن ماجه .

وهذا حكم لا أعلم أحدا قال به . وفي قوله : « فنزعه من رأسه » تنبيه على أن من أحرّم في قميص يجب عليه أن ينزعه كذلك من قبل رأسه ، ولا يجب عليه شقّه والخروج منه ، وقد تقدم الكلام في ذلك في باب محظورات الإحرام .

وهب بن زَمْعَةَ قُرَشِيّ أسدى من مُشَلِّمة الفتح ، وقَعَ ذكره هنا ، وقيل إنه لا يُحْفَظُ له رواية ، وهو أخو عبد الله بن زَمْعَةَ ، وأخوه قد روى ثلاثة أحاديث .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

في فضل يوم النحر ، ورفية أعمار

١ - ما جاء في فضل يوم النحر ، وأنه يوم الحج الأكبر

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات ، في الحجة التي حج ، وقال : هذا يوم الحج الأكبر . فطَفِقَ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللَّهُمَّ أَشْهَدُ . فودَّعَ الناس . فمن ثم قيل : هذه حجة الوداع .

قال صلى الله عليه وسلم : إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر ، ثم يوم القر ، وقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدَنَاتِ خَمْسٍ أَوْ سِتٍ ، فَطَفِقَنَ يزدلفن إليه ، بآيِهِنَّ يبدأ ، فلما وَجَّهَتْ جُنُوبَهَا قال : من شاء أَقْطَعَ أَضْرَمَ البُخَارَى . وأُفْرِجَ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : إن أعظم الأيام عند الله إلى آخره .

وعن علي عليه السلام قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم النحر . أَضْرَمَ الترمذی .

وعنه أنه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر ، ولم يرفعه . أَضْرَمَ الترمذی ، وقال : هذا أصح من الحديث الأول .

وعن أبي هريرة قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذَن يوم النحر بِمَنَى الْأُحْجِ بِمَدِّ الْعَامِ مُشْرِكٍ ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٍ . ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، والحج الأكبر الحج أَضْرَمَ أَبُو دَاوُدَ .

شرح - يوم الحج الأكبر : اختلف أهل العلم في يوم الحج الأكبر على أقوال : أحدها أنه يوم النحر ، كما تضمنه الحديث والأثر . واختلف في سبب تسميته بذلك ، فقليل : في الكلام إضمار ، تقديره يوم تمام الحج الأكبر . والحج الأكبر هو الحج ،

والأصفر هو العُمرة ، وهو قول الشَّعْبِي . وقال مجاهد : الأَكْبَر : القرآن ، والأصفر : الأفراد ، وفي يوم النحر تَفْعَلُ بقية الأركان ، فيتم الحج . وقيل : سمي يوم الحج الأَكْبَر : لأن أكثر أفعال الحج تُفْعَلُ فيه . وقيل : لأنه يَخْلُقُ فيه الشعر ، ويُهَرِّيقُ الدم ، وَيَحِلُّ فيه الإحرام . قاله عبد الله بن أبي أوفى . وقيل : سمي به لأنه اتفق في سنة حجة فيها للمسلمون والمشركون ، ووافق ذلك عيد اليهود والنصارى ، قاله الحسن .

القول الثاني : أن يوم الحج الأَكْبَر يومُ عَرَفَةَ . وهو قول عُمرَ وابن عمر وغيرهما ، وذكره ابن حزم عن عليّ عليه السلام .

الثالث : أنه أيام الحج كلها ، فاعتبر عن الأيام باليوم ، كما قالوا يوم الجمل ، ويوم صفين ؛ وهو مذهب الثَّوْرِي . وبوم القُرْبُ : هو اليوم الأول من أيام التشريق ؛ سُمِّيَ بذلك لأن الناس يستقرُّون فيه بِمَنَى ، ولا نَفَرُ فيه . وطَفِقَ : من أفعال المقاربة ، بمعنى أخذ وجعل . ويزدلقن : أى يقرَّبُنْ ، يفتعلن من القُرْب^(١) ، فأبدلت التاء دالا لأجل الزاى . ووجبت : أى وقعت ؛ ومنه وجوب الحق ، أى وقوعه على من وجب عليه ، ويُحْتَمَلُ أن تكون هذه البدَنَات من الثلاث والستين التى نحرها النبي صلى الله عليه وسلم بيده من المِئَةِ ، ويحتمل أن يكنَّ غيرها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم النحر ، فقال : بَأَيِّهَا الناس ، أى يوم هذا ؟ قالوا : يومٌ حَرَام . قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأعْرَاضَكُمْ عليكم حرام كحُرْمَةِ يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، فأعادها مرارا ، ثم رفع رأسه فقال : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟ قال ابن عباس : فوالذى نفسى بيده : إنها لو صِيتُهُ إِلَى أُمْتِهِ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ . لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ . أُنْزِلَ بِهِ . وعن أبي بكر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فى حجته فقال :

(١) حقه أن يكون « من الزلف » ، وهو القرب .

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السَّنةُ اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حُرُم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ؛ ورجب مُضَرّ الذى بين جمادى وشعبان . أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى . قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ بغير اسمه . قال : أليس البلدة ؟ قلنا : بلى . قال : فأى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى . قال : فإن دماءكم وأموالكم (قال محمد : وأحسبه قال : وأعراضكم) عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا . ثم ذكر معنى ما بقى . أخرجه البخارى .

وأبو بكره : اسمه نُفَيْع ، بضم النون ، وفتح الفاء ، وسكون الياء آخر الحروف ، بعدها عين مهيالة .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : ألا أى شهر تعلمونه أعظمُ حرمةً ؟ قالوا : ألا شهرنا هذا . قال : فأى بلد تعلمونه أعظم حرمةً ؟ قالوا : ألا بلدنا هذا . قال : أى يوم تعلمونه أعظم حرمةً ؟ قالوا : ألا يومنا هذا . قال : فإن الله عز وجل قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ؛ ألا هل بَلَّغْتُ ؟ ثلاثاً . كل ذلك يُجيبونه : ألا نعم . قال : ويحكم أوزنكم ، لاترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . أخرجه البخارى وابن حزم فى صفة الحج الكبرى ، مسنداً عنه .

وقوله : « أليس البلدة » : يعنى الحرمه ، كما قال تعالى : « إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا » . ويقال : البلدة : اسم خاص لمكة ولها أسماء سواها . وقوله « إن الزمان قد استدار كهيئته » قال ثمر : الزمان والدهر واحد . وأنكر ذلك أبو الميثم . وقال : الزمان زمان الحرّ ، وزمان البرد ، وزمان الرطب ؛ ويكون الزمان من الشهرين إلى ستة أشهر ، والدَّهْر لا ينفطع إلى أن يشاء الله تعالى . وقال

الأزهرى : الدهر عند العرب يقع على بعض الدهر ، وعلى مدة الدنيا كلها ، يقولون :
أقننا على كذا دهرًا . وقوله « قد استدار كهيئته » : أى دار . وقوله « وأعرضكم » :
جمع عرض ، وهو موضع المدح والذم من الإنسان ؛ يريد الأمور التى يرتفع الرجل
أو يتضع بذكرها ، فيجوز أن يكون فيه دون أسلافه ، ويجوز أن يكون فى أسلافه ،
فيلحقه النقيصة بذكرهم وعيبيهم . هذا قول أكثر أهل اللغة ، إلا ما قاله ابن قتيبة .
فإنه أنكر أن يكون العرض الأسلاف ، وزعم أن عرض الرجل نفسه ، واحتج
بالحديث فى وصف أهل الجنة : لا يَتَمَوَّطُونَ ولا يَبُولُونَ ، إنما هو عرق يجرى من
أعراضهم مثل ريح المسك ، يعنى من أبدانهم . وبحديث أبى ضمضم : اللهم إني قد تصدقت
بعرضى على عبادك . يريد بنفسى ، وأحلت من يفتأ بها . وليس له أن يحل مَنْ يسب
أسلافه الموتى ؛ وبقول حسان :

فإن أبى ووالده وعرضى لعرض محمدٍ منكم وقاه

يريد نفسه ، والأول أولى . ولو كان المراد من الأعراض المذكورة فى الحديث
النفوس ، لكان ذكر الدماء كافيا ، لأن المراد من الدماء النفوس . وأما قوله صلى الله
عليه وسلم : « إنما هو عرق يجرى من أعراضهم » ، فهى المقاب والمواضع التى تعرق
من الجسد . قال الأصمى : يقال منه : فلان طيب العرض ، طيب الريح . وقول
أبى ضمضم « تصدقت بعرضى على عبادك » : معناه على من ذكرنى وذكر أسلافى بما
يرجع عيبي إلى ، ولم يرد به أنه أحل من أسلافه ، فألحقهم بذكره عيبي ، وإنما أحل
ما وصل إليه من أذى بذكرهم . ومعنى قول حسان « وعرضى » : أراد جميع أسلافى
الذين أمدح وأذم بذكرهم ، فأتى بالعموم بعد الخصوص . وقوله « لا ترجعوا بعدى
كفاراً يضرب بمضكم رقاب بعض » : معناه لا تكن أفعالكم تشبه أفعال الكفار
فى ضرب رقاب المسلمين . وقيل معناه : لا تستروا السلاح ، من قولهم كفر دِرْعُه ،
إذا لبس فوقها شيئا يسترها ، لأنه يستر بكفره الإيمان « ومنه سميت الكفارة ، لأنها
تغطى الإثم . وقوله « السنة اثنا عشر شهرا » : لإبطال لما كانت العرب عليه ، فإنهم

كانوا يزيدون في كل أربع سنين شهرا ، يسمونه شهر صفر الثاني ، فتكون السنة الرابعة ثلاثة عشر شهرا ، ليستقيم لهم الزمان على موافقة أسمائها ، لأنها كانت قد بدلت الأشهر الحرم ، وذلك لأنها كانت تعظم من شأنها ، ويحرمون القتال والصيد فيها ، وكان معظم معايشهم من الصيد والغارة ، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متواليات ، فكانوا يستحلون منها شهرا ، ويحرمون مكانه آخر ، وهو النسيء الذي ذكره الله تعالى في القرآن : « إنما النسيء زيادة في الكفر » . ومعناه تأخير تحريم شهر رجب إلى شعبان ، والمحرم إلى صفر ، مأخوذ من نسيت الشيء إذا أخرته . وكان ذلك في كثرة ينسئون الشهور على العرب ، وإذا أخرها تحريم الحرم إلى صفر مكثوا زمانا ، ثم إذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر إلى ربيع ، فعلوا ذلك هكذا شهرا بعد شهر ، حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام وقد رجع الحرم إلى موضعه الذي وضعه الله تعالى ، وذلك بعد دهر طويل ، فذلك المشار إليه في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » . ويقال : كان قد استمر ذلك بهم حتى خرج الحساب من أيديهم ، فكانوا ربما يحججون في بعض السنين في شهر ، ويحجون من قابل في شهر غيره ، إلى أن كان العام الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافي حجهم شهر الحج المشروع فيه ، وهو ذو الحجة ، فوقف اليوم التاسع ، وخطب في اليوم العاشر بمضى ، وعرفهم أن أشهر النسيء قد انتسخت باستدارة الزمان ، وعاد الأمر إلى ما وضعه الله عز وجل يوم خلق السموات والأرض ، وأمرهم بالحفاظ عليها لئلا تبدل فيما يستقبل من الزمان .

وقال بعض أهل العلم : إنما أخر النبي صلى الله عليه وسلم الحج مع إمكانه ليوافق أصل الحساب ، فيحج فيه حجة الوداع . وهذا عندى إيس بشيء ، ولا يُجعل ذلك عذرا في التأخير ، بل كان يجب حرّم قاعدتهم وما هم عليه ، والرجوع إلى الحق . قال مجاهد في تفسيره إن الزمان قد استدار : إنه في الحج . وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تحج عامين في القعدة وعامين في الحجة . فلما كانت السنة التي حج فيها أبو بكر ، وافق

السَّنة الثانية في ذى القعدة، وكانت حجة النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل في ذى الحجة فذلك المشار إليه في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الزمان قد استدار » . يقول : وقد ثَبَّتَ الحج في ذى الحجة . وقوله « ورجب مُضر » : إنما أضافه إلى مُضر، لأنها كانت تحافظ على تحريره أشد من محافظة سائر العرب ، ولم يكن يستحله أحد من العرب إلا حَيَّان : خَفَعَمُ وطِيءٌ ، فإنهما كانتا تستحلان الشهور ، وكانوا يعملون رجب رمضان، ومُضر تبقيه على حاله ، وكانت العرب تستحل دماءهم في المسجد الحرام دون غيرهم . وقوله « بين جمادى وشعبان » : قال الخطَّابى : يحتمل أن يكون ذلك توكيدا لليبان ، كما في الحديث في نُصَب الزكاة : ابن لبون ذكر ، ويحتمل ذلك من أجل النسيء ، فإنهم كانوا يؤخرون رجباً عن موضعه ليُجِلُّوه ، وَيُسَمُّوا به غيره فيجرموه ؛ فبين لهم أن رجباً هو الذى بين جمادى وشعبان ، لا ماسمَّوه به على حساب النسيء . وقوله في حديث ابن عمر « أى بلد أعظم حرمة » : فيه دليل لتفضيل مكة على ما سواها من البلاد .

٢ - ما جاء في تنزيل الإمام الناس منازلهم

عن عبد الرحمن بن معاذ رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمِثًى ، ونَزَّلَهُمْ منازلهم ، فقال : لينزل المهاجرون هاهنا ، وأشار إلى مَيمنة القِبلة ، والأنصارُ هاهنا ، وأشار إلى ميسرة القِبلة . ثم لينزل الناس حواليتهم .

وفي رواية : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله أسمعنا ، حتى إن كنا لتسمع ما يقول ونحن في منازلنا ، فطَفِقَ يُعَلِّمُهُم مناسكهم ، حتى بلغ الجمار ، فوضع أَصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ ، ثم قال : بحصى الخذف ، وأمر المهاجرين أن ينزلوا في مُقدِّم المسجد ، وأمر الأنصار أن ينزلوا من وراء المسجد . أخرجه أبو داود . وأخرج الأول أحد ، ومعنى الثانى .

قال ابن حزم : وعبد الرحمن بن معاذ بن عثمان هذا : هو ابن عم طلحة بن عبيد الله ابن عثمان .

وعن معاذ أو ابن معاذ ، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الناس مناسكهم بمنى ، ففتح الله أسماعنا ، حتى إنا لنسمع في رحالنا . قال : ينزل المهاجرون كذا ، وينزل الأنصار الشَّعب بمنى ، الذى من وراء دار الإمارة ، ونزل الناس منازلهم : قال : وارموا بمثل حصي الخذف . أضربم الأزرقي .

وهذا الحديث مضاد لما قبله ؛ فإن دار الإمارة اليوم بين الجزتين اللتين تليان مسجد الخيف ، ومسجد الخيف بعيد منها ، فلعل دار الإمارة كانت عند المسجد في ذلك الزمان . وعن عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قَدِمْنَا مكة نزلنا بالخيف ، مسجد منى . قال : ومسجد الخيف مسجد في وسطه منارة ، بقرب المنارة قبر آدم عليه السلام . أضربم أبو سعد في شرف النبوة . وأضربم الأزرقي بزيادة وتقصان . ولفظه : إذا قَدِمْنَا مكة إن شاء الله نزلنا بالخيف . والخيف مسجد منى الذى تحالفوا فيه علينا . قال ابن جرير : قلت لعثمان : أى حلف ؟ قال : الأحزاب . قال عثمان : وهو ابن أبي سليمان ، عن طلحة بن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان منزلنا بمنى - يريد منزل أبي بكر الصديق - الصخرة التى عليها المنارة .

وعن طاووس قال : كان منزل النبي صلى الله عليه وسلم عن يسار مُصَلَّى الإمام ، وكان منزل الأنصار خلف دار الإمارة ، وأوْماً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أن انزلوا هاهنا وهاهنا .

وعن طلق قال : سأل عمر بن الخطاب زيد بن صوحان : أين منزلك بمنى ؟ قال : فى الشق الأيسر . قال : ذلك منزل الداج فلا تنزله . قال سفيان : والداج : هم التجار . أضربهم الأزرقي .

٣ - ما جاء في منع البناء بمعى

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلنا يا رسول الله ، ألا تبني لك بناء يُظلك بمعى ؟ فقال : لا . مئى مُناخ من سبق . أخرجه الترمذى ، وقال : حديث حسن . وأبو داود ، وقال : إنما هو مُناخ من سبق إليه . وعنها أنها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء كنيف بمعى ، فلم يأذن لها . أخرجه سعيد بن منصور والأزرقى . والكنيف : كل ما ستر من بناء أو حظيرة . وقد احتج بهذا من لا يرى دُورَ مَكَّةَ مملوكة لأهلها ، ولا يرى بيعها ، ولا عقد الإجارة عليها جائزا . وقيل : إن هذا خاصٌّ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبالمهاجرين من أهل مكة ، فإنها دار تركوها لله جلّ وعلا ، فلم يروا أن يمودوا فيها ، فيتخذوها وطنًا ، أو يسوؤوا فيها بناء .

قلت : ويحتمل أن يكون ذلك مخصوصا بمعى ، لكان اشتراك الناس فى النُكس المتعلق بها ، فلم ير صلى الله عليه وسلم لأحد اقتطاع موضع منها ببناء وغيره ، بل الناس فيها سواء ، وللسابق حقّ السّبق . وكذلك الحكم فى عرفة ومزدلفة ، إلحاقا بها .

٤ - ما جاء فى خطبة يوم النحر

تقدم فى الفصل الأول طرف منه .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبى بكرة ، قال : لما كان ذلك اليوم ، يعنى يوم النحر بمعى ، قعد على بعيره ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : تدرّون أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال : أليس بيوم النحر ؟ قلنا : بلى ، يا رسول الله . قال : فأى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أليس بذى الحجة ؟ قلنا : بلى ، يا رسول الله . قال : فأى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أليس بالبلدة ؟ قلنا : بلى ، يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، حرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . فليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائب . قال ثم انكفأ صلى الله عليه وسلم إلى كبشين أملحين فذبحهما ، وإلى جُرُيْمَةٍ من الغنم ، فقسّمها بيننا . أخرجه مسلم ، ورواه عنه ابن حزم فى صفة الحجة الكبرى بسنده مرفوعا .

والْجَزَيْعَةُ : القطعة من الغنم ، تصغير جَزَعَة بالكسر ، وهو القليل من الشيء ، يقال : جَزَع له جَزَعَة من اللال ، أى قطع له قِطْعَة . هكذا ضبطه الجوهري مُصَغَّرًا . والذي جاء في الْمُجْمَل لابن فارس : بفتح الجيم ، وفتح الزاي ، وقال : هى القِطْعَة . قال ابن الأثير : وما سمعناها في الحديث إلا مُصَغَّرَة . وفي الحديث دلالة على النصحية يوم النحر للحاج . وعن الهِرْمَاس بن زياد الباهلي ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على ناقته المأضباء يوم الأضحى . أُنْهِرَهُ أَبُو دَاوُدَ .

والهِرْمَاس : بكسر الهاء ، وسكون الراء المهملة ، بعدها ميم مفتوحة ، ثم ألف ، ثم سين مهملة ، سكَنَ البصرة ، وطال عمره .

وعن رافع بن عُمرٍو المزني قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يَمْنَى حين ارتفع الضحى ، على بغلة شهباء ، وعلى يُعَبَّرُ عنه ، والناس بين قائم وقاعد . أُنْهِرَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وأُنْهِرَهُ أَحْمَدُ عن عاصم بن هلال المزني ، وزاد : وعليه برد أحمر . قال : ورجل من أهله قائم بين يديه ، يُعَبَّرُ عنه . قال : فُجْتُ حتى أدخلت يدي بين قدمه وبين شِراكه ، فجعلت أعجب من بَرْدِهَا .

وقد جاء في حديث آخر : بغلته البيضاء ، وهى واحدة ، والشَّهْبَةُ : البياض الذى يخالطه سواد ، وهى الدُّلْدُلُ ، أهداها إليه القَوَاقِسُ ، وكان يرز كِبْها فى الأسفار ، وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أسنانها ، فكان يُحْسَى لها الشعر ، وبقيت حتى كان زمن معاوية رضى الله عنه ، وماتت بينبع ، وقيل : لم يكن فى العرب يومئذ غيرها . وقال بعضهم : أهداها له قَرَوَةُ بْنُ عُمرٍو الجَذَامِيُّ . وذكر بعضهم أن فروة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها قِصَّة ، فوهبها لأبي بكر . وظاهر هذا أنهما اثنتان والمشهور هو الأول ، ولعلهما من قولهم مرَّ يتدلَّل ، وتدلَّل فى مشيه : إذا اضطرب . ودلَّل فى الأرض : ذهب .

وهذه الخطبة الثالثة من خطب الحج ، ولا تضاد بين الحديثين ، إذ قد يجوز أن يكون خطب على الناقة ، ثم تحول إلى البغلة ، ويجوز أن يكون الخطبتان فى وقتين ، وكانت إحدى الخطبتين تعليما للناس ، لا أنها من خطب الحج .

٥ - ما جاء في تكبير يوم النحر

عن عمر بن الخطاب أنه كان يكبر في قُبَّتِهِ بِمَنَى ، ويكبر أهل المسجد ، ويكبر أهل السوق ، حتى ترج مَنَى تكبيرا . أخرجه سعيد بن منصور .

وعنه أنه خرج الفَدَّ من يوم النحر حين ارتفع النهار شيئا ، فكبر ، فكبر الناس بتكبيره ، ثم خرج حين زالت الشمس ، فكبر ، فكبر الناس بتكبيره ، حتى انتهى التكبير وبلغ البيت ، فيعلم أن عمر قد خرج ليرى . أخرجه مالك . وقوله « حتى زالت الشمس » : يحتمل أن يزيد من يوم القَرِّ ، بدليل ذكر الرُّمى ، والرُّمى بعد الزوال ، إنما يكون في أيام التشريق ، ويوم النحر مستحب رميه قبل ذلك .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يُكَبِّرُ من صلاة الظهر يوم النحر ، إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كذلك ، إلا أنه يزيد إلى العصر من آخر أيام التشريق . أخرجهما البيهقي .

وعنه في قوله تعالى : « وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ » ، قال : أيام التشريق .

أخرجه سعيد .

وعن كعب قال : ما كبرَ حاجٌّ ولا مُعْتَمِر ولا غازٍ تكبيرة ، إلا كبرَ الرُّمى الذى يليه ، ثم الذى يليه ، حتى ينقطع في الآفاق . وفي رواية : إلا كبرَ الشَّرَف الذى يليه ، ثم الذى يليه ، حتى ينقطع منقطع الأرض . أخرجه سعيد بن منصور .

اختلف العلماء في أول وقت التكبير . وللشافعي ثلاثة أقوال ، أحدها أنه يكبر من ظهر يوم النحر ، لما تقدم ، وهو قول مالك ، ورؤي ذلك عن ابن عباس وابن عمر كما تقدم . والثاني : من مغرب ليلته ، قياسا على عيد الفِطْرِ إلى صبح آخر أيام التشريق في القولين . والثالث : من صُبح يوم عرفة إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق . قال البغوي : وإليه ذهب أكثر أهل العلم ، وهو قول عمر وعليّ وابن عباس في رواية . ورؤي عن ابن مسعود وبه قال مكحول وأحمد .

الباب السابع والعشرون

في استحباب الشرب من زمزم ومن سقاية العباس لمن أفاض يوم النحر
وذكر فضل زمزم

١ — ما جاء في شربه صلى الله عليه وسلم من زمزم حين أفاض يوم النحر
والوضوء منها وشربه من السقاية

عن جابر حديثه الطويل . وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أفاض أتى
بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم ، فناولوه دلو ، فشرب منه . قال أبو علي
ابن عبد السكن : نزع له الدلو العباس بن عبد المطلب . وذكر الملاء في سيرته عن ابن خديج .
أن النبي صلى الله عليه وسلم نزع لنفسه دلو ، فشرب منه ، ثم عاد إلى متى . وذكر
الواقدي أنه لما شرب صب على رأسه . وذكر أبو ذر في مناسكه ، عن علي عليه السلام ،
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أفاض دعا بسجل من زمزم ، فتوضأ . وأخبره أحد أبطاء ،
وقال : فدعا بسجل من ماء زمزم ، فشرب منه وتوضأ . وأخبره أيضاً من حديث ابن عباس ،
وزاد : وقال : لولا أن يتخذها الناس نسكاً وبغلبوكم عليه ، لزرعت معكم . وفي رواية عنده :
أنهم لما نزعوا الدلو غسل منه وجهه ، وتمضمض فيه ، ثم أعادوه فيها . وكذلك أخبره
سعيد بن منصور .

وعن عاصم ، عن الشعبي أن ابن عباس رضي الله عنهما حدثهم قال : سقيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زمزم ، فشرب وهو قائم ؛ قال عاصم : خلف عكرمة :
ما كان يومئذ إلا على بعير . أخبره البخاري ، ورواه ابن حزم عنه . وأخبره النسائي ؛
فيحور أن يكون الأمر فيه على ما حلف عليه عكرمة ، وهو أنه شرب وهو على الراحلة ،

ويطلق عليه قائم ، ويكون ذلك مراد ابن عباس من قوله قائما ، فلا يكون بينه وبين النهي عن الشرب قائما تضاداً ؛ ويموز أن يُحمل على ظاهره ، ويكون دليلاً على إباحة الشرب قائماً

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السّماية ، فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل ، اذهب إلى أمك ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها . فقال : استقنى ، فقال : يا رسول الله ، إنهم يحملون أيديهم فيه ، فقال : استقنى ، فشرب منه ، ثم أتى زمزم وهم يستقون عليها ، فقال : اعملوا ، فإنكم على عمل صالح ، ثم قال : لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه ، وأشار إلى عاتقه . أخرجه . وفي هذا دليل على ترجيح الاحتمال الأول في الحديث قبله ، لأن قوله لنزعت يدل على أنه كان راكباً ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمكة قبل الوقوف أربعة أيام بلياليها ، من صبيحة يوم الأحد إلى صبيحة يوم الخميس ، فلعل ابن عباس سقاه من زمزم وهو قائم في بعض تلك الأيام . وفي رواية : أن هذا شراب قد مُنِثَ ومُرِثَ ، أفلا نسقيك لبناً وعسلاً ؟ فقال : اسقونا بما تسقون منه المسلمين . وفي رواية : قال : استقنى من النبيذ ، فقال العباس : إن هذا شراب قد مُنِثَ ومُرِثَ ، وخالطته الأيدي ، ووقع فيه الذباب . وفي البيت شراب هو أصفى منه ، فقال : منه فاستقنى ، يقول ذلك ثلاث مرات ، فسقاه منه . أخرجهما الأزرقي ، وأخرج معناهما سميدين منصور . وأخرج الثاني الشافعي ، ولم يقل يقول ذلك ثلاث مرات . وذكر الملاء في سيرته قوله إنهم يحملون أيديهم فيه ، فقال : استقنى ، لا تبرك بأكيف المسلمين .

شرح — مُنِثَ ومُرِثَ . أصل المُنْثَ : الرأس والدلك بالأصابع ، ثم اتسع فيه حتى استعمل في الضرب ليس بالشديد . والمُرِثَ : المرس ، والمعنى أنهم قد وسخوه لما خالطته أيديهم . وذكر ابن حزم أن ذلك كله كان يوم النحر ، وفيه دلالة على أنه لا ينبغي أن يُتَقَدَّرَ ما يحمل الناس أيديهم فيه .

٢ - ما جاء في آداب شرب ماء زمزم

عن عبد الله بن أبي مُليكة قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له : من أين جئت؟ قال : شربت من زمزم ، فقال ابن عباس : أشربت منها كما ينبغي؟ قال : وكيف يا أبا عباس؟ قال : إذا شربت منها فاستقبل القبلة ، واذكر اسم الله تعالى ، وتنفس ، وتضلع منها ، فإذا فرغت فاحمد الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن بيننا وبين الناس أنهم لا يتَضَلَّعون من زمزم .

وعن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا شرب من زمزم قال : اللهم إني أسألك علما نافعا ، وريزا واسعا ، وشفاء من كل داء . أخرجهما الدارقطني ، وابن ماجه .

وعن ابن جريج أن ابن عباس قال : إذا شربت ماء زمزم فاستقبل القبلة ، ثم قل : اللهم اجعله إلى آخره . أخرجه سعيد بن منصور .

شرح - التضلع : الامتلاء حتى تمتد أضلاعه .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتَضَلَّعون من ماء زمزم . أخرجه ابن ماجه .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق .
وعنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في صُفَّة زمزم ، فأمر بدلو ، فنزعت له من البئر ، فوضعها على شفة البئر ، ثم وضع يده من تحت عراق الدلو ، ثم قال : باسم الله ، ثم كرَّع فيها فأطال ، ثم أطال ، فرفع رأسه ، فقال : الحمد لله . ثم عاد فقال : باسم الله . ثم كرَّع فيها فأطال ، وهو دون الأول ، ثم رفع رأسه ، فقال : الحمد لله ، ثم كرَّع فيها ، فقال : باسم الله ، فأطال ، وهو دون الثاني ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : علامة ما بيننا وبين المنافقين : لم يشربوا منها قطُّ حتى يتَضَلَّعوا . أخرجهما الأزرقي .

شرح - العراقى : جمع عراقُة الدلو ، وهى الخشبة المقرضة على فم الدلو ، وهما

عَرَفُوتَانِ كَالصَّليبِ ، وَقَدْ عُرِقَتِ الدَّلْوُ : إِذَا رُكِبَتِ الْعَرَقُوقَةُ فِيهَا . وَكَرَّعَ فِي الْمَاءِ بِكَرَّعٍ كَرَّعًا : إِذَا تَنَاوَلَهُ بَقِيهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِّهِ وَلَا بِإِنَاءٍ ، كَمَا يَشْرَبُ الْبَهَائِمُ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُدْخِلُ أَكْرَعَهَا فِيهَا . وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا ، وَفِي رَوَايَةٍ : فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا . أَضْرَبَاهُ مِنْ رَوَايَةِ أَنَسٍ . وَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَتَنَفَّسَ بَعْدَ أَنْ يَفْصِلَ الْإِنَاءَ عَنْ فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّنَفُّسِ فِي الْإِنَاءِ . أَضْرَبَاهُ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ قَتَادَةَ ، فَيَحْمِلُ الْأَوَّلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . وَالْمُرَادُ بِالتَّنَفُّسِ ثَلَاثًا ، أَنْ يَفْصِلَ فَاهُ عَنِ الْإِنَاءِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَيَشْرَبُ فِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَبْتَدِئُ كُلَّ مَرَّةٍ بِبِاسْمِ اللَّهِ ، وَيَحْتِمُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ، وَهَكَذَا جَاءَ مَفْسَّرًا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ :

٣ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ زَمْزَمَ وَبِرَكَّتِهَا

تَقْدِمُ فِي فَضْلِ رَكْعَتِي الطَّوَّافِ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ : صَلُّوا فِي مُصَلَّى الْأَخْيَارِ ، وَاشْرَبُوا مِنْ مَاءِ الْأَبْرَارِ ... الْحَدِيثُ :

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ، فَفَرَجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي . ثُمَّ أَطْبَقَهُ . أَضْرَبَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَعَنْهُ حَدِيثٌ قَدُومُهُ مَكَّةَ وَاسْتَخْفَاةُ بِهَا حِينَ أَسْلَمَ . قَالَ : وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبُهُ ، وَصَلَّى ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قُلْتَ : مِنْ غِمَارٍ . قَالَ : مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا ؟ قَالَ : قُلْتَ : قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مِنْ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ . قَالَ : فَمِنْ كَانَ يُطْعِمُكَ ؟ قَالَ : قُلْتَ : مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكْثُرَتْ عُكَّتِي ، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبْدِي سَخْفَةَ جُوعٍ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهَا مَبَارَكَةٌ هَ إِذَا طَعَامُ طَعْمٍ . أَضْرَبَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، وَزَادَ : وَشَفَاءُ سُقْمٍ . وَعَزَا الْبَيْهَقِيُّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ إِلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ أَجِدْهَا فِيهِ ، وَاعْلَمْ فِي بَعْضِ نَسْخِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شرح - سَخْنَةُ جوع : يعنى رِقَّتَهُ وَهَزَالَه . وَاللَّخْفُ بِالْفَتْح : رقة العيش ، وبالضم : رِقَّةُ الْعَقْلِ . وقيل : هى الخفة التى تفتى الإنسان إذا جاع ، من السُّخْف ، وهى الخفة فى العقل وغيره .

وعن أبى حمزة قال : كنت أدفع الناس عن ابن عباس ، فاحتبست أيتاما ، فقال : ما حبسك ؟ قلت : الْحُمَّى . قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الْحُمَّى من فَيْحِ جَهَنَّمَ ، فأبردوها بماء زمزم . أضرجه أحد فى المسند ، وأبو حاتم بن حبان فى التماسيم والأنواع . وانفرد البخارى بإخراجه ، وقال : فأبردوها بالماء ، أو بماء زمزم . وربما طُلبَ هذا الحديث فى مَظَنَّتِهِ من البخارى فلا يوجد ، فيُظَنُّ أنه ليس فيه ، وليس كذلك . وقد أضرجه الْحَمِيدِيّ فى أفراد البخارى من رواية ابن عباس .

وعن ابن خيثم ، قال : قدم علينا وهب بن مُنَبِّه ، فاشتكى ، فجنّاه نعوذه ، فإذا عنده من ماء زمزم . قال : فقلنا له : لو استعذبت ، فإن هذا الماء فيه غِلَظٌ . قال : ما أريد أن أشرب - حتى أخرج منها - غيره ، والذى نفس وهب بيده ، إنها لى كتاب الله تعالى : « زمزم ، لا تنزف ولا تدم » ، وإنها لى كتاب الله تعالى « برّة » ، شراب الأبرار . وإنها لى كتاب الله « مضمونة » ، وإنها لى كتاب الله تعالى : « طعام طعم ، وشفاء سُقْم » . والذى نفس وهب بيده ، لا يعمدُ إليها أحد فيشرب منها حتى يَتَضَلَّعَ ، إلا نزعت منه داء ، وأحدثت له شفاء . أضرجه سعيد بن منصور والأزرقي .

وعن كعب الأخبار ، أنه كان يقول : إني لأجدُ فى كتاب الله المنزل : إن زمزم طعام طعم ، وشفاء سُقْم . أول من سقى ماءها إسماعيل .

وعن الأسود قال : كنت مع أهلى بالبادية ، فابتغتُ بمسكة ، فأعْتِقْتُ ، فمكثت ثلاثة أيام لأجد شيئا آكله ، فمكثت أشرب من ماء زمزم ، فانطلقت حتى أتيت زمزم ، فبركت على رُكْبَتَيْ ، مخافة أن أستقي وأنا قائم ، فبرقعتى الدلو من الجهد ، فجعلت أنزع قليلا قليلا ، حتى أخرجت الدلو ، فشربت ، فإذا أنا بصريف اللبن بين ثنايى ،

فقلت : لعل ناعس ، فضربت بالسوء على وجهي ، وانطلقت وأنا أجد قُوَّةَ اللَّبَنِ وشِبَعَهُ .
أضرمهما الأزرقى .

شرح — الصَّريِّف : اللبن ساعة يُصْرَفُ عن الصَّرْع .

وعن العباس بن عبد المطلب ، قال : تنافس الناسُ في زمزم في الجاهلية ، حتى
إن كان أهل العيال لَيَعْدُونَ بعيالهم ، فيشربون منها ، فيكون صبوحا لهم . وقد كنا
نعُدُّها عوناً على العيال .

وعنه أبي الطَّغَيْل قال : سمعت ابن عباس : كانت تسمى في الجاهلية شُباعة ،
يعنى زمزم ؛ ويزعم أنها نعم العون على العيال . أضرمهما الأزرقى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان أهل مكة لا يسألقهم أحد إلا سبقوه ،
ولا يُصَارِعُهُمْ أحد إلا صرعوه ، حتى رَغِبُوا عن ماء زمزم ، فأصابهم المَرَضُ في أرجالهم .
أضرم أبو ذر .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شُرِبَ له . وإن شربته
تستشفى به شفاك الله ، وإن شربته ليشبمك أشبمك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك
قطعه الله ، وهى هَزْمَةُ جبريل ، وسُقْيَا الله إسماعيل . أضرم الدارقطني ، وسعيد بن
منصور موقوفا . أضرم أحمد وابن ماجه عنه مرفوعا : ماء زمزم لما شُرِبَ له ، من
رواية جابر .

شرح — الهَزْمَةُ : الغزوة بالثَّعْبِ في الأرض ، وأصله النُّقْرَةُ في الصَّدْر ، وفي التفاحة
إذا غمزتها بيدك ، ونحو ذلك ، فسكان جبريل والله أعلم لما غَمَزَ الأرضَ بَعَقِبِهِ فانجبرت ،
قيل هَزْمَةُ جبريل .

وعن أبي الطَّغَيْل ، قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : خير واديين في الناس :
وادي مكة ، وواد بالهند ، الذى هبط به آدم عليه السلام ، ومنه يؤتى بهذا الطَّيِّب الذى
يُطَيَّبُونَ به . وشرُّ واديين في الناس : واد بالأحقاف ، وواد بحضرة موت ، يقال له

بَرَهُوت ؛ وخير بئر في الناس بئر زمزم ، وشر بئر في الناس بِلَهُوت ، وإليها تجتمع أرواحُ الكُفَّار ، وهي في بَرَهُوت .

وعن ابن جَرِيح أنه قال : خير ماء في الأرض ماء زمزم ، وشر ماء في الأرض ماء بَرَهُوت ، شعب من شعاب حضرموت ؛ وخير بقاع الأرض المساجد ، وشر بقاع الأرض الأسواق . أضرهما الأزرق ، وأضر طَرَفًا من الأول سميد . ولفظه : خير بئر في الناس زمزم ؛ وخير واديين في الناس : وادي مكة ، ووادي الهند ، الذي هبط فيه آدم عليه السلام ، وفيه هذا الطَّيِّب .

شرح — بَرَهُوت بفتح الباء الموحدة ، والراء المهملة : بئر عتيقة بحضرموت ، لا يُستطاع النزول إلى قعرها . ويقال : بُرَهُوت ، بضم الباء وسكون الراء ، فيكون تاؤها على الأول زائدة ، وعلى الثاني أصلية . وأما بِلَهُوت باللام ، فلم يذكرها غيرُ الأزرق . والمشهور فيه بَرَهُوت بالراء ، وكذلك أضرجه المَرَوِي في غريبه ، عن علي . وأضرجه الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الرحمن بن يعقوب : قال : قدم علينا شيخ من هَرَاة ، يُكنى أبا عبد الله ، شيخ صدق ، فقال لي : دخلتُ المسجد في السَّحَر ، فجلستُ إلى زمزم ، فإذا شيخ قد دخل من باب زمزم ، وقد سَدَل ثوبه على وجهه ، فأتى البئر ، فنزع بالدلو فشرب ، فأخذتُ فضله ، فشربتها ، فإذا سَوِيق لَوْز لم أذُق قطُّ أطيب منه ، ثم التفتُ فإذا الشيخ قد ذهب ؛ ثم عدتُ من الغَدِ في السَّحَر إلى زمزم ، فإذا الشيخ قد دخل ، فأتى البئر ، فنزع بالدلو ، فشرب ، وأخذتُ فضله فشربتها ، فإذا ماء ^(١) مضروب بعسل ، لم أذُق قطُّ أطيب منه ، ثم التفتُ فإذا الشيخ قد ذهب . ثم عدتُ في السَّحَر ، فإذا الشيخ قد دخل ، فأتى البئر ، فنزع بالدلو ، فشرب ، فأخذتُ فضله ، فشربتها ، فإذا سُكَّر مضروب بلبن ، لم أذُق قطُّ أطيب منه ، فأخذتُ مِلْحَقَمَه ، فلفَقَمْتُها على يدي ، وقلت : يا شيخ ،

(١) في منبر النرام لابن الجوزي (الورقة ١٣٦) : لبن ، في مكان : ماء .

بحق هذه البَيِّنَةِ عليك ، مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : تَسْكُمُ قَلَى حَتَّى أَمُوتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ :
أَنَا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدِ الثَّوْرِيِّ . أَضْرِبْهُ أَبُو الْفَرَجِ فِي مُثِيرِ الْغَرَامِ .

٤ -- مَا جَاءَ فِي تَحْرِيمِ الْعِبَاسِ الْغُسْلَ فِي زَمَرَم

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، مِنْ بَنِي الْمَغِيرَةِ
اغْتَسَلَ فِي زَمَرَمٍ ، فَوَجِدَ مِنْ ذَلِكَ الْعِبَاسَ وَجَدًا كَبِيرًا ، فَقَالَ : لَا أَحِلُّهَا لِمَغْتَسِلٍ ، وَهِيَ لِلشَّارِبِ
حِلٌّ وَبِلَاءٌ ، وَلِلْمَتَوَضِّئِ حِلٌّ وَبِلَاءٌ . أَضْرِبْهُ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو الْوَلِيدُ الْأَزْرَقِيُّ . وَأَضْرَجَ سَعِيدٌ مَعْنَاهُ .
رَأَضَجَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي غَرِيبِهِ الْمُسْنَدُ مِنْ قَوْلِهِ : لَا أَحِلُّهَا إِلَى آخِرِهِ .
شَرَعَ -- قَوْلُهُ : وَبِلَاءٌ أَيْ حِلٌّ ، وَكَرَّرْتَ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظِ تَوْكِيدًا .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ عُبَيْدِشٍ قَالَ : رَأَيْتُ الْعِبَاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَهُوَ
يَطُوفُ حَوْلَ زَمَرَمٍ وَيَقُولُ : لَا أَحِلُّهَا لِمَغْتَسِلٍ ، وَهِيَ لِمَتَوَضِّئٍ وَشَارِبٍ حِلٌّ وَبِلَاءٌ . قَالَ
سُفْيَانُ يَعْنِي لِمَغْتَسِلٍ فِيهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَجَدَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، وَقَدْ نَزَعَ ثِيَابَهُ وَقَامَ
بِغُسْلٍ مِنْ حَوْضِهَا عُريَانًا .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ اغْتَسَلَ فِي زَمَرَمٍ ، فَوَجِدَ مِنْ ذَلِكَ
الْعِبَاسَ وَجَدًا شَدِيدًا ، فَقَالَ : مَا أَحِلُّهَا لِمَغْتَسِلٍ ، يَعْنِي فِي الْمَسْجِدِ ؛ وَهِيَ لِلشَّارِبِ وَمَتَوَضِّئٍ ،
يَعْنِي حِلًّا وَبِلَاءً . قَالَ سُفْيَانُ يَقُولُ : حِلٌّ مُحَلَّلٌ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَرِيدُ الْغُسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ،
لِمَسْكَانِ تَحْرِيمِ اللَّبَثِ فِي الْمَسْجِدِ لِلْجَنَبِ ، وَفِي قَوْلِهِ « فِي الْمَسْجِدِ » : تَنْبِيْهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا أُسْنَدُ
التَّحْرِيمِ إِلَى نَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ مَلَكَ الْمَاءَ لِحَيَازَتِهِ فِي حِيَاضٍ كَانَ يَجْعَلُهَا هُنَاكَ ، يَضَعُ فِيهَا الْمَاءَ ،
فَالْمَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ مِنْهَا ارْتَكَبَ التَّحْرِيمَ مِنْ وَجْهَيْنِ ، مِنْ جِهَةِ اللَّبَثِ فِي الْمَسْجِدِ ، وَمِنْ
جِهَةِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ الْمَمْلُوكِ دُونَ إِذْنِ مَالِكِهِ ، وَيَكُونُ مَنَعُهُ إِمَّا تَنْزِيْهِهَا لِلْمَسْجِدِ ، وَإِمَّا تَعْظِيمَ
لِلْمَاءِ ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ ، لِقَوْلِهِ « يَعْنِي فِي الْمَسْجِدِ » . قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِيُّ : كَانَ لَزَمَرَمِ
حَوْضَانٌ ، فَحَوْضٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرُّكْنِ ، يُشْرَبُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَحَوْضٌ مِنْ وَرَائِهَا لِلْوَضُوءِ ،
لَهُ سَرَبٌ يَذْهَبُ فِيهِ الْمَاءُ ، يَعْنِي إِلَى جِهَةِ الصَّفَا .

٥ - ما جاء في حمل ماء زمزم

عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تحمل ماء زمزم ، وتخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحمله . أخرجه الترمذى ، وقال : حديث غريب .
وعن ابن أبي حُسَيْن قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو : إن جاءك كتابي ليلا فلا تُصْبِح ، وإن جاءك نهارا فلا تُمَسِّحَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَى بَئَاءِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ . فاستعانت امرأته أَثِيْلَةُ الْخَزَاعِيَّةَ جَدَّةَ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَدْبَجَتَاهَا وَجَوَّارِيَهُمَا فَلَمْ تُصْبِحَا حَتَّى فَرَّتا^(١) مَزَادَتَيْنِ ، وَمَلَأَتَاهَا ، وَجَعَلَتَاهَا فِي كُرَّيْنِ غُوطِيَيْنِ . أَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ فِي تَعْمِيقِهِ ، وَقَالَ : الْكُرُّ جَنْسٌ مِنَ الثِّيَابِ الْفِلَازِ . وَأَخْرَجَهُ الْأَزْرَقِيُّ أَيْضًا . وَفِي رِوَايَةٍ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَسْتَهْدِيهِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَرَاوِيتَيْنِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمَا كُرًّا غُوطِيًّا .
وعن عطاء أن كعب الأبحار كان يحمل معه من ماء زمزم ، ويتزوده إلى الشام .
أخرجهما الواقدي .

٦ - ما جاء في سبب ظهور زمزم ، وإخراج جبريل إياها لهاجر

أم إسماعيل عليه السلام

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هاجر لما أشرفت على المروة ، حين أصابها موولدها العطش ، على ما تقدم في أول أذكار السعي ، سمعت صَوْتًا ، فقالت : صبي ، تريد نفسها ، ثم تسدمت ، فسمعت أيضا . فقالت : قد أُنْصِتَ لِي إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غُوثٌ ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ ، فَبَعَثَ بِعَقِيهِ ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ ، حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلَتْ تَحْوِضُهُ^(٢) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ، تَقْتَرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا ، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَقْتَرِفُ .
قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أم إسماعيل ، لو تَرَكَتْ

(١) فرى المزايدة بفرها : إذا خرزما وأصلحها . عن لسان العرب .

(٢) حاض الماء يحوضه حوضا وحوضه بالتشديد : حاطه وجمعه : (لسان العرب) .

زمزم ، أو قال : لو لم تغترف من الماء ، لكانت زمزم عَيْنًا مَعِينًا . قال : فشرِبَتْ وأَرْضعت ولدها ، فقال لها المَلَكُ : لا تخافوا الضَّيعة ، فإن هاهنا بَيْتَ اللَّهِ ، يَبْنِي هَذَا الغلام وأبوه ، وإن الله لا بُضِيعُ أَهله . وكان البيت مثل الراية ، تأتيه السُّيول فتأخذ عن يمينه وشماله . أخرجه البخاري .

٧ - ما جاء في نبذ السَّقاية واستحباب الشرب منه

تقدم في الفصل الأول حديث ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى السَّقاية ، فاستسقى من النَبِذ ، فسقوه .

وعن بُكَيْر بن عبد الله قال : قال رجل لابن عباس : ما بال أهل هذا البيت يَسْقُونَ النَّبِذ ، وبنو عمهم يسقون اللبن والعسل والسويق ، أبخل بهم ، أم حاجة ؟ فقال ابن عباس : ما بنا من حاجة ولا أبخل ، قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وخلفه أسامة بن زيد ، فاستسقاها ، فأثيناها بإناء من نَبِذ ، فشرب منه ، وسقى فَضْلَهُ أسامة ، فشرب منه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : أحسنتم وأجملتم ، كذا فاصنعوا . فلا يريد أن يُغَيِّرَ ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه ، وأبو داود .
فيه دلالة على أن هذه السقاية ولاية لبني العباس ، وعلى استحباب سَقَى النَبِذ ونحوه هناك .

وعن ابن خديج ، عن ابن طاوس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من النَّبِذ ومن ماء زمزم ، وقال : لولا أن تكون سنة لَنَزَعْتُ . أخرجه الأزرقي .
وفية تنبيه على أن الشرب منهما سنة ، وتركه صلى الله عليه وسلم إنما كان خشية أن يُتَّخَذَ سنة . وذكر ابن حزم أن ذلك كله كان من النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر ، حين أفاض .

وعن طاووس أنه كان يقول : شَرِبُ النَّبِذ من تمام الحج . أخرجه البيهقي .
وعن بُكَيْر بن عبد الله قال : من الحج أن تدخل البيت ، وأن تدلَّوْا من ماء زمزم ، وأن تشرب من السَّقاية . أخرجه سعيد بن منصور .

٨ - ما جاء في أصل السقاية

قال أهل التواريخ : كان أصل السقاية : حياض من آدم ، توضع على عهد قصي بقاء الكعبة ، ويستقى فيها الماء للحاج ، وأصل الرقادة : خرجت كانت قريش تخرجه من أموالها ، إلى قصي ، يصنع به طعاما للحاج ، يأكله من ليس له سعة . وكان ينحدر على كل طريق من طرق مكة جزورا ، وينحدر بمكة جزورا كثيرة ، ويطعم الناس ، ويستبي اللبب والزبيب ، وكان يحمل راجل الحاج ، ويكسو عاريهم ؛ وما زال ذلك الأمر حتى قام به هاشم ، ثم أخوه المطلب ، ثم عبد المطلب ثم قام به العباس عليه السلام .

وعن ابن عائشة عن أبيه قال : أول من أطعم الحاج الفالودج بمكة عبد الله بن جدعان . قال أبو عبيدة وقد ابن جدعان على كسرى ، فأكل عنده الفالودج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل . فقال : ابغوني غلاما يصنعه ، فأثوه بفلام ، فابتاعه ، فقدم به مكة ، وأمره فصفه للحاج ، ووضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى مناديه : ألا من أراد الفالودج فليحضر . فحضر الناس ، وما زال إطعام الحاج في الجاهلية وفي الإسلام . وكانت الخلفاء تقيمه ولا يكلفون أحدا من ماله شيئا ، وكان معاوية قد اشترى دارا بمكة ، وسمّاها دار المراحل ، وجعل فيها قدورا ، ورسم لها من ماله ، وكانت الجزر والغنم تذبح وتطبخ فيها ، ويطعم الحاج أيام الموسم ، ثم يفعل ذلك في شهر رمضان . فأخرج ذلك كله الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام ^(١) .

(١) ما أورده المؤلف هنا فيه بعض تصرف في العبارة .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

فِي دُخُولِ الْبَيْتِ

١ - مَا جَاءَ فِي اسْتِحْبَابِهِ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من دخل البيت دخل في حَسَنَةٍ ، وخرج من سيئَةٍ ، مغفورا له . أخرجه تمام الرازى ، وهو حديث حسن . غريب ، من حديث عطاء بن أبى رباح .

٢ - حُجَّةٌ مِنْ قَالَ : لَا يَسْتَحِبُّ

عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى . وهو قرير العين ، طيب النفس ، ثم رجع إلىّ وهو حزين ، فقلت له ، فقال : دخلتُ الكعبة ، وَوَدِدْتُ أَنَّى لَمْ أَكُنْ فَعَلْتُ ، إِنِّى أَخَافُ أَنْ أَكُونَ أَتَعَبْتُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي . أخرجه أحمد والترمذى وصححه ، وأبو داود .

وقد استدَلَّ بهذا الحديث من كره دخول البيت . ولا دلالة فيه ، بل نقول دخوله صلى الله عليه وسلم دلائل الاستحباب ، [وتمنيه عدم الدخول قد علله بِالْمَشَقَّةِ عَلَى أُمَّتِهِ ، وذلك لا يرفع حكم الاستحباب ^(١)] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه حج كثيرا ولم يدخل البيت . أخرجه البخارى تعليقا . وعن عبد الله بن أبى أوفى قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت ، وصلى خلف المقام ركعتين ، ومعه من يستره من الناس ، فقال له رجل : أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ؟ قال : لا . أخرجه . وبوب عليه البخارى باب

(١) ما بين المعوقين زيادة عن م وحدها .

من لم يدخل الكعبة ، وفي رواية عندهما قال : ونحن معه نستره من أهل مكة ، لا يرميه أحد ، أو يصيبه أحد بشيء .

وعن ابن عباس قال : ليس من أمر الحج دخول البيت فتؤذَى وتؤذَى ، ولا يُستَلَم الحجر إلا إن تيسر .

وعنه أنه قال : ليس من أمر حجك دخول بيتك .

وعن سُفيان قال : سمعت غير واحد من أهل العلم يذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ، وحجّ ولم يدخلها .

وعن سَمَاك الحَنَفِيّ قال : سألت ابن عمر عن الصلاة في الكعبة قال : صلّ فيها ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى فيها . وسيأتى آخر فينهاك ، فلا تطعه : يعنى ابن عباس ، فسألته ، فقال : انتمّ به كله ، ولا تجعل شيئا منه خالفك . وسيأتى آخر فيأمرُك ، فلا تطعه ، يعنى ابن عمر . أخرج الثلاثة الأزرقي .

وعن إبراهيم قال : من حجّ ولم يدخل البيت لم يَنْقُص حَجُّهُ شيئا .

وعن عطاء أن رجلا قال له : إن طُفْتُ بالبيت ولم أدخله ، فقال عطاء : وما عليك ألاّ تدخله ، إنما أمرتَ بالطواف به ، ولم تؤمر بالدخول فيه .

وعن خَيْثَمَةَ قال له رجل : أطوف بالبيت فلا أدخله ؟ فقال له خَيْثَمَةُ : لا عليك والله ألاّ تدخله . أخرج الثلاثة سعيد بن منصور .

إذا تقرر ذلك ، فقول ابن عمر يدل على الاستحباب ، وهو أولى ، للحديث المتقدم ، وحديثه الأول « أنه حج كثيرا ولم يدخله » لا دلالة فيه على كراهية الدخول ، فقد يكون منعه عُذر ، وكذلك عدم دخوله صلى الله عليه وسلم في عُمرته يجوز أن يكون للعذر ، ولعله تركه شفقة على أمته ، كما دل عليه الحديث المتقدم . وقول سُفيان إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخله غير مرة واحدة سيأتى ما يدل على خلافه ؛ وقول ابن عباس الأول ليس من أمر الحج دخولك البيت ، يشير إلى واجبات الحج ؛ وقوله الثانى إنما دل على عدم استحباب

الصلاة فيه ، لا على دخوله ، وهو ظاهر من ساق لفظه ؛ وقول إبراهيم وعطاء وخيثمة محمول على عدم رؤية الوجوب ، لا على نفي الاستحباب .

٣ - ماجاء في استحباب الصلاة فيه وبيان مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة هو وأسماء
وبلال وعثمان بن طلحة الحنفي ، فأغلقها عليه ، ثم مكث فيها ، فقال ابن عمر : فسألت بلالا
حين خرج : ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : جعل عمودين عن يساره ، وعمودا
عن يمينه ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، ثم صلى . أخرجه
وفي رواية عند البخاري وأبي داود : عمودا عن يساره ، وعمودين عن يمينه . وكذلك أخرجه
مالك في الموطأ . قال البيهقي : وهو الصحيح . وفي رواية عندهما أيضا : عمودا عن يمينه ،
وعمودا عن يساره . وفي رواية عندهما وعند أحمد وأبي داود : ثم صلى وبينه وبين القبلة
ثلاثة أذرع . ولم يذكر في هذه الرواية السواري .

وعن نافع قال : كان عبد الله بن عمر إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين
يدخل ، وجعل الباب خلف ظهره ، فيمشى حتى يكون بينه وبين الجذر الذي قبل وجهه
حين يدخل قريب من ثلاثة أذرع ، فيصلى وهو يتوحن المكان الذي أخبره بلال أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى فيه . وليس على أحد بأس أن يصلي في أي جوانب البيت شاء .
أخرجه البخاري .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
وهو مُردف أسامة على القصواء ، ومعه بلال وعثمان بن طلحة ، حتى أناخ عند البيت ،
ثم قال لثمان : ائتنا بالفتاح ، فجاءه بالفتاح ، ففتح له ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبلال وأسماء وعثمان ، ثم أغلقوا عليهم الباب ، فسكت . هارا طويلا ، ثم خرج قابتدر
الناسُ الدخول ، فسبقتهم ، فوجدت بلالا قائما على الباب ، فقلت له : أين صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بين ذينك العمودين المُدَّمين ، وكان البيت على ستة أعمدة ،

قال : صلى بين العمودين من السطر المَقْدَم ، وجعل الباب خلف ظهره ، واستقبل بوجهه الذي يستقبل حين يَلْجُ البيت ، بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع . متفق عليه ، وبهذا اللفظ أئمرهم - رزين . زاد البخاري : وعند ذلك المكان الذي صلى فيه مرةً مرةً . وعنده أيضا عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته ، حتى أناخ في المسجد ، فدخل البيت ، فمكث فيه نهرا طويلا . وظاهر هذا السياق يدل على أنه لم يطفُ للقدوم ، ويكون طواف القدوم من سنن الحج خاصة . وفيه دلالة على التوسعة في المكث في البيت ، لكن للتعبّد فيه ، لا للحديث وغيره . وعن أبي الشعثاء قال : خرجت حاجا ، فجئت حتى دخلت البيت ، فلما كنت بين السارين مضيت حتى لزمت بالخط ، فجاء ابن عمر فصلّى إلى جنبي ، فصلّى أربعا ، فلما صلى قلت له : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت ؟ فقال : أخبرني أسامة ابن زيد أنه صلى ها هنا . فقلت : كم صلى ؟ قال : على هذا أجدي ألوم فيه نفسى ، إنى مكثت معه عمرا فلم أسأله كم صلى . ثم حَجَجْتُ من العام المقبل ، فجئت حتى قمت في مقامه ، فجاء ابن الزبير حتى قام إلى جنبي ، فلم يزل يزحمني حتى أخرجني منه ، ثم صلى أربعا . أئمرهم أحمد .

وعن شَيْبَةَ بن جُبَيْر بن شَيْبَةَ ، قال : حج معاوية بن أبي سفيان ، ودخل البيت وأرسل إلى عبد الله بن عمر ، فجاء به . فقال : يا أبا عبد الرحمن : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام دخلها ؟ قال : بين العمودين المَقْدَمين . اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة . أئمرهم الأزرقي .

وقد جاء في الصحيح في رواية أنه بين العمودين اليمانيين . وفي أخرى : بين العمودين تلقاء وجهه ، وبين العمودين المَقْدَمين . وسيأتى ذلك في فصل بعده ، وتقدم طرّف منه ، وهذا يؤيد رواية من روى أنه جعل عمودين عن يمينه ، وعمودا عن يساره ، لأن الباب أقرب إلى جهة اليمين ، وهو يفتح من جهة المشرق ، فإذا دخل منه ، وصلى بين العمودين اليمانيين المَقْدَمين تلقاء وجهه ، والبيت بومئذ على ستة أعمدة ، فقد جعل عمودين عن يمينه ،

وعمودا عن يساره، وصلى إلى جهة الغرب . وقوله اليمين قد يشكل ، فإنها ثلاثة صفّ وجعل اثنين منهما يمينين ليس بأولى من جعلهما شاميين . فنقول : لما صلى بين اثنين منها وهو إلى جهة اليمين أقرب ، أطلق عليهما يمينين ، ولو جعل عمودا عن يمينه ، وعمودين عن يساره كان إلى جهة الشام أقرب ، وحسن أن يطلق عليهما شاميين . ولا تضاد بين هذا وبين قوله جعل عمودا عن يمينه ، وعمودا عن يساره ، فإن من ضرورة جعل عمودين عن يمينه ، أن يكون عمود عن يمينه ، والآخر مسكوت عنه ، وليس في اللفظ ما ينفيه .

واختافوا في فائدة غلق الباب عليه صلى الله عليه وسلم ، فقيل : ليصلى إلى كل جهة فيها ، فإن الباب إذا كان مفتوحا وليس أمامه قدر مؤخرة الرجل ، لم تصح الصلاة فيه ، لعدم استقبال شيء منها . وقيل : إنما أغلقها لئلا يكثر الناس عليه ، فلا يتمكن من الصلاة على ما يريد صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الأظهر ؛ ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم لم يصح أنه صلى أكثر من ركعتين ، على ما سيأتى بيانه . واختلف العلماء في الصلاة في الكعبة ؛ فذهب الثوري والشافعي وأبو حنيفة وجماعة من الساف وبعض أهل الظاهر إلى أنه يصلى فيها كل شيء ؛ وقال مالك : يصلى فيها التطوع ، ولا يصلى الفرض ولا الوتر ، ولا ركعتي الفجر ، ولا ركعتي الطواف . وقال بعض أهل الظاهر : لا يصلى فيها مكتوبة ولا نافلة .

والجحي ، بفتح الحاء المهملة والجيم : نسب لأنه حجب البيت ، ويقال لجميعهم الحجّميون .

٤ - ما جاء كم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أتى منزله ، فقيل له : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل الكعبة . قال : فأقبلنا ، فأجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج ، وأجد بلالا على الباب قائما ، فقلت : يا بلال ، أهلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة ؟ قال : نعم . قلت : أين ؟ قال : ما بين هاتين الأسطوانتين ، ركعتين . أخرجه النسائي .

وعن مجاهد عن ابن عمر أنه سأل بلالا عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في البيت ، أخبره أنه ركع ركعتين ، وجعل الأسطوانة عن يمينه ، وتقدّم قليلا ، وجعل المقام خلف ظهره ، وصلى ركعتين ، وفي رواية : أنه سأل بلالا المؤذن ، كيف فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة ؟ قال : صلى ركعتين حيال وجهه ، ثم دعا الله ساعة ، ثم خرج .
أُضْرِبْهُمَا أَحْمَد .

وعن عبد الرحمن بن صفوان قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، انطلقت ، فوافقت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من الكعبة ، وأصحابه قد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم ، وقد وضعوا خدودهم على البيت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطهم ؛ فقلت : كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة ؟ قال : صلى ركعتين . أُضْرِبْهُ أَحْمَد .

وقد تقدّم هذا الحديث في فصل الملتزم ، من حديث أبي داود . وليس فيه ذكر الصلاة ، وتقدم فيه شرح الحطيم

٥ - ما جاء في صلاة الفريضة في البيت

عن ابن جريج أن عطاء جاء يوما وقد فاتته الظهر مع الإمام . فدخل الكعبة ، فصلّى في جوفها . أُضْرِبْهُ الْأَزْرَقِي . وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْهُ ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بِالْإِثْمَةِ فِي الْبَيْتِ بَأْسًا ، وَيَكْرَهُ الْمَكْتُوبَةَ فِيهِ .

٦ - حُجَّةٌ مَنْ قَالَ لَمْ يَصَلِّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْبَيْتِ

عن أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ، ولم يصلّ حتى خرج ، فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين ، وقال : هذه القبلة . أُضْرِبْهُ . قال ابن جريج : قلت لعطاء : ما نواحيه ؟ أفى زواياه ؟ قال : بل في كل قبلة من البيت .
أُضْرِبْهُ مُسْلِم .

والظاهر من قوله: بل في كل قبلة منه ، أى في كل موضع ، إذ كل موضع منه قبلة ، ويكون قد دار صلى الله عليه وسلم في البيت جميعه داعيا ذا كرا . وقال النسائي : سَبَّح في نواحيه وكَبَّر ولم يصل ، ثم خرج وصلى خلف المَقَام ركعتين ، وقال : هذه القِبْلة . وعنه أنه دخل هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالا ، فأجاف^(١) الباب ، والبيت يومئذ على ستة أعمدة ، فضى حتى إذا كان بين الأسطوانتين اللتين تليان باب الكعبة ، جلس فحمد الله ، وأثنى عليه ، وسأله واستغفره ، ثم قام حتى أتى ما استقبل من دُبر الكعبة ، فوضع وجهه وخذّه عليه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وسأله واستغفره ، ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة ، فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح ، والثناء على الله ، والمسألة والاستغفار ، ثم خرج فصلى ركعتين مستقبلا وجهه الكعبة ، ثم انصرف ، فقال : هذه القِبْلة ، هذه القِبْلة . أخرجه النسائي .

وعنه قال : دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وكَبَّر وهَلَّل ، ثم قام إلى ما بين يديه من البيت ، فوضع صدره عليه ، وخذه وبديه ، ثم هَلَّل وكَبَّر ودعا ، ثم فعل ذلك بالأركان كلها ، ثم خرج ، ثم أقبل على القِبْلة ، وهو على الباب ، فقال : هذه القِبْلة ، هذه القِبْلة ، مرتين أو ثلاثا . أخرجه أحمد والنسائي .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وفيها سِتُّ سَوَارٍ ، فقام عند كل سارية ، فدعا ولم يصل فيه . أخرجه أحمد .

وعن الفضل بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في الكعبة ، وسَبَّح وكَبَّر ، ودعا الله عز وجل واستغفر ، ولم يركع ولم يسجد .

وعنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة ، قال : فلم يصل فيها ، ولكنه لما دخلها وقع ساجدا بين العمودين ، ثم جلس يدعو .

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في البيت حين دخل ، ولكنه حين خرج ركع ركعتين عند باب البيت . أخرجه الثلاثة أحمد .

(١) رده عليه (النهاية لابن الأثير) .

وقوله في الأول « ولم يسجد » : أى فى صلاة ، حتى لا يكون بينه وبين ما بعده تضاد ، وبؤيده قوله : « ولم يركع » . والركوع إنما يكون فى صلاة . وقد اختلف بلال وأسامه فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى البيت ، وحكم العلماء بترجيح حديث بلال ، لأنه أثبت ، وضبط ما لم يضبطه أسامة ، ولثبت مقدم على النافى ، ويبين أنها الصلاة الممهودة لا الدعاء قول ابن عمر : ونسيت أن أسأله كم صلى ؟ ويحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة ، فلم يشهد صلاته . وقد روى ابن المنذر عن أسامة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى صوراً فى الكعبة ، فكنّت آتية بماء فى الدلو ، يضرب به الصور ، فأخبر أنه كان يخرج لنقل الماء ، وكان ذلك يوم الفتح ، وصلاته صلى الله عليه وسلم فى الكعبة إنما كانت يوم الفتح ، لا فى حجة الوداع . قال أبو حاتم بن حبان : والأشبه عندى أن يُحمل الخبران على دخولين متغايرين : أحدهما يوم الفتح ، وصلى فيه ، والآخر فى حجة الوداع ، ولم يصل فيه ، من غير أن يكون تضاد ، ويتأيد ذلك بما أخرجه الشيخان عن إسماعيل بن أبى خالد قال : قلت لعبد الله بن أبى أوفى أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فى عمرته ؟ قال : لا . فتعين الدخول فى الحج والفتح .

٧ - ما جاء فى آداب دخول البيت

عن عائشة أنها قالت : وأعجباً للرمء المسلم إذا دخل الكعبة ، كيف يرفع بصره قبل السقف ، لا بدع ذلك لإجلال الله تعالى وإعظاماً له ؛ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ، ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها . أمرهم أبو ذر وابن الصلاح فى منسكهما .

وعن داود بن عبد الرحمن ، قال : أوصانى عبد الكريم بن أبى المخارق ألا أخرج من منزلى يوم الجمعة حتى أصلى ركعتين ، وألا أدخل الكعبة حتى أغتسل أمرهم الأزرقي . وعن سعيد بن جبير ، أنه كان إذا أراد دخول البيت أو الحجر نزع نعليه . وعن عطاء وطاووس ومجاهد أنهم كانوا يقولون لا يدخل أحد الكعبة فى خف ولا نعل . أمرهم سعيد بن منصور .

فينبني لداخل الكعبة أن يلزم نفسه الأدب ، فلا يطلق بصره في أرجاء البيت ،
فذلك قد يولد الغفلة واللهو عند القصد ، ولا يكلم أحدا إلا لضرورة ، أو أمر بمعروف ،
أو نهى عن منكر ، ويلزم قلبه الخشوع والخضوع ، وعينه الدموع إن استطاع ذلك ،
وإلا حاول صدّها . ويحتزم من خصلتين ابتداءً بهما بعض الفجرة ، ليضل الناس ، وربما تسبب
بهما إلى طمع :

إحداهما ما يسمى بالعرّوة الوثقى . وقع في قلوب كثير من العامة أن من ناله بيده ،
فقد استمسك بالعرّوة الوثقى ، فترام يركب بعضهم بعضا لنيل ذلك ، وربما ركبت المرأة
على ظهر الرجل ، وكان ذلك سببا لانكشاف عورتها ، وذلك من أشنع البدع وأفحشها .
الثانية : ما سمي بسرّة الدنيا ، وهو مسمار في وسط البيت ، تكشف العامة ثيابهم
عن بطونهم ، حتى يضع الإنسان سرته عليه ، وينبطح بمجملته على الأرض حتى يكون
واضعا سرته على سرّة الدنيا . قاتل الله مخترع ذلك ومبتدعه ، فلقد باء بموجبات مقت الله
عز وجل ، وينضم إلى كون فاعل ذلك مرتكبا بدعة كُفّ وأذى بمزاحمة ومخالفة
الأدب المستحق في ذلك المكان . ويقع ذلك ضروريا لمن فعل ذلك ، فليحذر داخل البيت
من ملابسة ذلك ، والله أعلم .

٨ - ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم فتح البيت بنفسه

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ،
على ناقة لأسامة بن زيد ، حتى أناخ بفناء الكعبة ، ثم دعا عثمان بن طلحة ، فقال صلى الله
عليه وسلم : اثنى بالفتاح ، فذهب عثمان إلى أمه ، فأبّت أن تعطيه ، فقال : والله لتعطينه
أو ليخرجن هذا السيف من صُلبى ، قال : فأعطته إياه ، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
فدفعه إليه ، ففتح الباب ، ثم دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأسامه بن زيد وبلال
وعثمان بن طلحة ، وأمر بالباب فأغلق ، فلبثوا فيه مَلِيًّا ، ثم فُتِح الباب . قال عبد الله
فبادرت الناس ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا ، وبلال على أثره ، فقلت
لبلال : هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ؟ قال : نعم . فقلت : أين ؟ قال :

بين العمودين تلقاء وجهه . قال : وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَيْ صُلِّيَ . أُضْرِبُ مُسْلِمًا . وفي رواية : كنت شاباً قويا ، فبادرت الناس فبَدَرْتَهُمْ ، فوجدت بلالا قائما على الباب ، فقلت : أَيْ بِلَال ، أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال : بين العمودين المقدمين . وكانت الكعبة على ستة أعمدة ، قال ابن عمر : فَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَيْ صُلِّيَ ؟ أُضْرِبُ مُسْلِمًا وَرَأْسَهُ . وعن راشد بن سعد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح مكة أخذ من بني شَيْبَةَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، حتى أَشْفَقُوا أَنْ يَنْزِعَهُ مِنْهُمْ ، ثم قال : يَا بَنِي شَيْبَةَ ، هَا كُمْ الْمِفْتَاحَ ، وَكُلُوا بِالْمَعْرُوفِ . أُضْرِبُ سَعِيدَ بْنِ مَنْصُورٍ .

الحِجَابَةُ : مَنْصِبُ بَنِي شَيْبَةَ ، وَلَأَمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا ، كَمَا وَلَّى السَّقَايَةَ لِلْعَبَّاسِ . وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَهِيَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَسِدَانَةَ الْبَيْتِ . والمأثرة المكرمة والمفخرة التي تؤثر عنهم ، أَيْ تَرَوَى وَتَذْكَرُ . والمراد ، والله أعلم ، إسقاطها وحطها إِلَّا هَاتَيْنِ الْمَأْثَرَتَيْنِ . وَسِدَانَةَ الْبَيْتِ خِدْمَتُهُ ، وَتَوَلَّى أَمْرَهُ ، وَفَتَحَ بَابَهُ وَإِعْلَاقَهُ ، بِقَالَ : سَدَنَ يَسْدِنُ سِدَانَةً ، فَهُوَ سَادَنٌ ، وَالْجَمْعُ سَدَنَةٌ .

وعن عمر أنه كان يقول لقريش : إِنْ هَذَا كَانَ وُلَاةَ هَذَا الْبَيْتِ قَبْلَكُمْ طَنَمَ ، فَاسْتَخَفُّوْا بِحَقِّهِ ، وَاسْتَخْلَوْا حُرْمَتَهُ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ وَلِيَتْ بَعْدَهُمْ جُرْهُمُ ، فَاسْتَخَفُّوْا بِحَقِّهِ ، وَاسْتَخْلَوْا حُرْمَتَهُ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . قال الجوهرى : طَنَمَ : قَبِيلَةُ مِنْ عَادَ . قال أهل التفسير : لما استخفت جُرْهُمُ بِحَقِّهِ شَرَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَوَلِيَهُ خُرَاعَةٌ . ثُمَّ وَلَّى بَعْدَ خُرَاعَةِ قُصَيِّ بْنِ كَلَابٍ ، وَلَّى حِجَابَةَ الْكَعْبَةِ وَأَمْرَ مَكَّةَ ، ثُمَّ أُعْطِيَ وَلَدَهُ عَبْدَ الدَّارِ السَّدَانَةَ ، وَهِيَ الْحِجَابَةُ ، وَدَارُ النَّدْوَةِ وَاللَّوَاءِ ؛ وَسُمِّيَتْ دَارُ النَّدْوَةِ لِاجْتِمَاعِ النَّدِيِّ فِيهَا ، فَيَجْلِسُونَ لِإِبْرَامَ أَمْرِهِمْ وَمَشُورَتِهِمْ ؛ وَأُعْطِيَ عَبْدُ مَنْفَرٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ ، وَجَعَلَ عَبْدُ الدَّارِ الْحِجَابَةَ إِلَى ابْنِهِ عُثْمَانَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَنْتَقِلُ أَمْرَهَا فِي الْأَوْلَادِ ، حَتَّى أَتَاهُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ . قال عثمان : فَكُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ النَّاسِ ، فَفَلَّتْ مِنْهُ ، وَحَلَمَ عَنِّي ،

ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي ، أضعه حيث شئت . قلت : لقد هلكت قريش يومئذ وذلت . فقال : بل عزت . ودخل الكعبة ، ووقعت كلبته منى موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال ؛ وأردت الإسلام ، فإذا قومي يزبروني^(١) زبرا شديدا ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام القضية ، غير الله قلبي ، ودخلني الإسلام ، ولم يعزم لي أن آتيه حتى رجع إلى المدينة ، ثم عزم لي الخروج إليه ، فادلجت فوجدت خالد بن الوليد ، فاصطحبنا ، فلقينا عمرو بن العاص ، فاصطحبنا ، فقدمنا المدينة ، فبايعته ، وأقت عنده ، حتى خرجت معه في غزوة الفتح ، فلما دخل مكة قال : يا عثمان ، إيت بالمفتاح ، فأتيته به ، فأخذه مني ، ثم دفعه إليّ وقال : خذوها يا بني أبي طلحة ، خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم .

وقال ابن عباس : لما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح من عثمان ، فهمّ أن يناوله إياه ، فقال له العباس : بأبي أنت وأمي ، اجتمع لي مع السقاية ، فكف عثمان يده ، مخافة أن يعطيه العباس بن عبد المطلب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأت المفتاح ، فأعاد العباس قوله ، وكف عثمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر . فقال : هاك يا رسول الله ، بأمانة الله ، فأخذ المفتاح ، وفتح الباب ، فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » . ثم لم يزل عثمان يلي البيت إلى أن توفى ، فدفع ذلك إلى شذبة ابن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عمه ، فبقيت الحجابة في بني شذبة .

شرح — قوله « خالدة تالدة » : لعله من التالدة ، وهو المال القديم ، أي أنها لكم من أول ومن آخر ، أو يكون إنباعا لخالدة بمعناها .

وعن مجاهد قال : نزل قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة ، فدخل الكعبة يوم الفتح ، ثم خرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان

(١) أي يهونني ويجزونني .

ثم دفع إليه المفتاح ، وقال : خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه ، لا ينزعها منكم إلا ظالم . أخرج جميع ذلك الأزرقي ، وتابعه أبو الفرج عليه مختصرا .

[وأخرج ^(١) ابن عبد البر النمري في كتاب الاستيعاب ، هجرة عثمان بن طلحة هذا ، ولفظه : هاجر عثمان بن طلحة بن أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية ، هو وخالد بن الوليد ، فلقيا عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي ، يريد الهجرة ، فاصطحبوا جميعا ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . يقول : إنهم وجوه مكة ، فأسلموا . ثم شهد عثمان بن طلحة فتح مكة ، فدفع النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة إليه ، وإلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، وقال : خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، ثم نزل عثمان بن طلحة المدينة ، فأقام بها إلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انتقل إلى مكة ، فسكنها حتى مات في أول خلافة معاوية ، سنة اثنين وأربعين . وقيل إنما قُتل بأجنادين .

وذكر الواحدي في تفسيره الوسيط ، وكتاب أسباب النزول ، أن أخذ المفتاح من عثمان ورده إليه ، ونزول الآية بالأمر برده إليه ، كان وعثمان كافرا . ولفظه : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة طلب المفتاح . فقيل له إنه مع عثمان بن أبي طلحة الحجبي ، وكان من بني عبد الدار ، وكان بلى سدانة الكعبة ، فوجه إليه عليا رضي الله عنه ، فأبى أن يدمعه إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه ، فلوى على يده ، فأخذه منه قسرا ، وفتح الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ، وصلى فيه ركعتين ، فسأله العباس أن يعطيه المفتاح ، ويجمع له بين السدانة والسماية ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا » . الآية ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان ، ويعتذر ، ففعل كرم الله وجهه ذلك . فقال عثمان : يا علي أكرهت وأذيت ، ثم جثت

(١) ما بين المتوفين عن م وحدها .

به يرفق . فقال : لقد أنزل الله عز وجل في شأنك قرآنا ، وقرأ عليه هذه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن محمدا رسول الله ، فجاء جبريل عليه السلام وقال : بما دام هذا البيت ، فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان . ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عاجز ودفع المفتاح إلى أخيه شيبة ، فهو في ولده إلى اليوم [.

قال العلماء : لا يجوز لأحد أن ينزعها منهم . قالوا : وهي ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأعظم مالك أن يشرك معهم غيرهم . قلت : ولا يبعد أن يقال هذا ، إذا حافظوا على حرمة ، ولازموا في خدمته الأدب . أما إذا لم يحفظوا حرمة ، فلا يبعد أن يجعل عليهم مُشرف يمنعه من هتك حرمة . وربما تعلق الجاهل الفبي الرأي ، المعكوس الفهم بقوله صلى الله عليه وسلم : « وكلوا بالمعروف » ، فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت . ولا خلاف بين الأمة في تحريم ذلك ، وأنه من أشنع البدع ، وأقبح الفواحش . وهذه اللفظة إن صحت ، فيستدل بها على إقامة الحرمة ، لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف ، وإنما الإشارة ، والله أعلم ، إلى ما يقصدون به من البر والصلة ، على وجه التبرر ، فاهم أخذه ، وذلك أكل بالمعروف لا محالة ، أو إلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يتولونه من خدمته ، والقيام بمصالحه ، فلا يحل لهم منه إلا قدر ما يستحقونه ، والله أعلم .

٩ - ما جاء في أن الحجر من البيت

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجر : أمن البيت ؟ قال : نعم . قلت : فما لهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال : إن قومك قصرت بهم النفقة . قالت : فما شأن بابه مرتفعا ؟ قال : فعل ذلك قومك ، ليدخلوا من شاءوا ، ويمنعوا من شاءوا ، ولولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية ، فأخاف أن تنسكر قلوبهم أن أدخل الحجر في البيت ، وأن أصق بابه بالأرض . أمهرجاء .

وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم ، وأدخلت فيه ما أخرج منه ، وألزقته بالأرض ، وجعلت له بابين :

بابا شرقيا ، وبابا غربيا ، فَبَكِفْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ . أَهْرَبَهُ الْبُخَارَى . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .
وَلَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ : بَابَا يُدْخَلُ مِنْهُ ، وَبَابَا يُخْرَجُ مِنْهُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ زِحَامًا .

وَعَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَدْخُلَ الْبَيْتَ ، فَأُصَلِّيَ فِيهِ ، فَأُخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي ، فَأَدْخَلَنِي الْحِجْرَ ، فَقَالَ لِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحِجْرِ : إِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْبَيْتِ ، فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ ، وَلَكِنْ قَوْمُكَ اسْتَقْصَرُوا حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَيْتِ . أَهْرَبَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ صَحِيحٌ .
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُلُّ نِسَائِكَ دَخَلَ الْبَيْتَ غَيْرِي ، قَالَ : فَاذْهَبِي إِلَى قِرَابَتِكَ شَيْبَةَ يَفْتَحُ لَكَ الْكَعْبَةَ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فَتَحَتْ بَلِيلَ قَطْفٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَفْتَحَهَا فَتَحْتُهَا . قَالَ : لَا . ثُمَّ قَالَ : إِنْ قَوْمُكَ قَصَّرتْ بِهِمُ النِّفْقَةَ ، فَقَصَّروا فِي الْبَنِيَانِ ، وَإِنْ الْحِجْرُ مِنَ الْبَيْتِ ، فَادْهَبِي فَصَلِّي فِيهِ . أَهْرَبَهُ أَحْمَدُ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبُو ذَرٍّ .

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَائِشَةَ الْبَيْتَ وَمَعَهَا نِسْوَةٌ ، فَأَغْلَقْتُ الْحِجْبَةَ الْبَيْتَ دُونَ النَّسَاءِ ، فَجَعَلُنَّ يَنَادِينَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ : عَلَيْكُنَّ بِالْحِجْرِ فَإِنَّهُ مِنَ الْبَيْتِ .

وَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : مَا أَبَالِي : فِي الْحِجْرِ صَلَاتُ أُمِّ فِي الْبَيْتِ .
أَهْرَبَهُمَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وَاسْتَدَلَّ بِظَاهِرِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَنْ قَالَ : الْحِجْرُ كُلُّهُ مِنَ الْبَيْتِ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ التَّنَقُّلِ فِي الْكَعْبَةِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى التَّوَسُّعِ لِلنِّسَاءِ فِي الصَّلَاةِ فِي الْحِجْرِ . وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَنْعُ مِنْ ذَلِكَ . عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أُمُّ شَيْبَةَ قَالَتْ : سَمِعْتُ أُمَّ عُمَرَ وَامْرَأَةَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : أَعَزَّمُ بِاللَّهِ عَلَى امْرَأَةٍ صَلَّتْ فِي الْحِجْرِ . أَهْرَبَهُ الْأَزْرَقِيُّ . وَهَذَا أَوَّلَى فِي زَمَانِنَا ، لَمَّا أَحْدَثَ النَّسَاءُ ، وَلَا يَقَاسُ عَلَى عَائِشَةَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ فِي التَّحَفُّظِ ، وَالتَّحَرُّزِ عَلَى أَوْفَرِ حَظٍّ ، حَتَّى امْتَنَعَتْ مِنْ اسْتِلَامِ الْحِجْرِ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهَا .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم « فعل ذلك قومك » ليُدخلوا من شاءوا ، ويمنعوا من شاءوا . وقوله « أَلَصُّوْا بِأَبَائِهِم بِالْأَرْضِ » : دلالة على أن الناس غير محجوبين عن البيت ، وأنه لا يَحِلُّ مِنْهُمْ ، وما تأخذهُ السَّدَنَةُ على ذلك لا يطيب لهم إلا بطيب نفس من الدافعين ، وإنما يجب أجْرهم عَلَى ما يَتَوَلَّوْنَهُ من القيام بمصالحه من بيت المال . قال أبو العالمة الرياحي : رضى الله عنه في قوله تعالى : « فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ » قال . السهم المضاف إلى الله تعالى ، إنما هو لبيت الله تعالى . وأكثر أهل العلم عَلَى أنه أضاف الخُمُسَ إلى نفسه لشرفه ، وسهم الله وسهم رسوله واحد ، وَعَلَى هذا القياس أمر للمساجد والمشاهد والرباطات والمنازل التي تُدْبَى لإقامة عبادة الله تعالى . أو ليقع بها الارتفاق ، وكذلك الآبار والحياض المُسَبَّلَةُ في المفاوز ، ليس لأحد أن يأخذ ممن يأتيها شيئاً ، إلا أن يستأجره رجل ، أو يعطيه شيئاً عَلَى القيام بمصالحه ، من سقى ماء ، أو تنظيف مكان ، ونحوه .

١٠ - حُجَّة من قال : الذي في الحجر من البيت بغضه لا كله

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ، لولا أن قومك حديثو عهد بشرِك ، لهدمت الكعبة ، فأزقتها بالأرض ، ولجعلت لها باباً شرقياً ، وباباً غربياً ، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر ، فإن قريشاً استقصرتها حين بنت الكعبة ، وفي رواية : فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنُّوه ، فهُمُيْ لِرَبِّكَ ما تركوا منه ، فأراها قريباً من سبعة أذرع . أخرجه .

وعن عطاء قال : لما احترق البيت رمان يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام ، وكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزُّبَيْر حتى قدم الناس في الموسم ، فلما صَدَرَ الناس قال : يَأْيِهَا النَّاسُ ، أَشِيرُوا عَلَى فِي الْكَعْبَةِ : أَنْقُضْهَا ثُمَّ أَبْنِهَا ، أو أصلح ما وَهَى مِنْهَا ؟ فقال له ابن عباس : إني أرى أن تُصْلَح ما وَهَى مِنْهَا ، وتَدْعَ بَيْتاً أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَحِجَارَةً أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا ، وَبُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال ابنُ الزُّبَيْر : لو أن أحدكم احترق بيته ، مارضِيَ حتى يجدده ، فكيف يبت ربكم إني مستخير ربي ثلاثاً ثم عازم عَلَى أمرى . فلما مضت الثلاثة ، أجمع رأيهُ أن ينقُضَهَا ، فتحاماهم الناس أن ينزل

بأول الناس يصعد عليه أمر من السماء ، حتى صعد رجل^(١) ، فألقى منه حجارة ، فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنفضوه ، حتى بلغ به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة ، فستر عليها الستور ، حتى ارتفع بناء البيت .

وقال ابن الزبير : إني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن الناس حديث عهدم بكفر ، وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ، ولجملت لها بابا يدخل الناس منه ، وبابا يخرجون منه ، قال ابن الزبير : فأما اليوم أجد ما أنفق ، ولست أخاف الناس . قال : وزاد فيه خمسة أذرع من الحجر ، حتى أبدى أسفاً نظر الناس إليه ، فبنى عليه البناء ، وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً ، وزاد في طوله عشرة أذرع^(٢) ، وجعل لها بابين : أحدهما يدخل منه ، والآخر يخرج منه . فلما قُتل ابن الزبير ، كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ، وأن ابن الزبير وضع البناء على أسفٍ نظر إليه المدول من أهل مكة .

فكتب إليه : إنا لسنا من تلطيخ^(٣) ابن الزبير في شيء ، أما مازاد في طوله فأقره . وأما مازاد فيه من الحجر ، فَرُدُّهُ إلى بنائه ، وسُدَّ الباب الذي فتحه . فنفضه وأعادته إلى بنائه .

وفي حديث الوليد بن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : هل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : لا . قال : تمزّزوا ألا يدخلها إلا من أرادوا ، فسكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقى ، حتى إذا كاد أن يدخل ، دفعوه فسقط . وساق مثل حديث ابن الزبير عن عائشة . فحدث الحارث^(٤) بهذا عبد الملك حين حجّ ، وقال : أنا سمعته من عائشة . فقال للحارث : أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم .

(١) في أخبار مكة للأزرقي : أن الذي صعد هو عبد الله بن الزبير نفسه . وسيأتي مثله .

(٢) كذا في م ، وه ، وصحيح مسلم . والذي في أخبار مكة للأزرقي تسعة أذرع .

(٣) يقال لظخته : إذا رميته بأمر قبيح ؛ يريد بذلك سبه وعيب فعله .

(٤) هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي . كما في الأزرقي (ج ١ ص ١٣٨) .

فَنكَتَ سَاعَةً بَعْصَاهُ، ثُمَّ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهُ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ وَمَا تَحْمَلُهُ. أَفْرَجَ سَهْمًا مُسْلِمًا.
سُرِعَ — تَعَزَّزُوا: أَيِ تَكَبَّرُوا وَتَشَدَّدُوا عَلَى النَّاسِ. يَنْفَكْتُ الْأَرْضَ بَعْصَاهُ:
أَيِ يَضْرِبُ الْأَرْضَ بَطَرَفِهَا.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: لَمَّا عَزَمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى هَدْمِ السَّكْبَةِ، خَرَجْنَا إِلَى مِثْنَى نَنْتَظِرُ
الْعَذَابَ ثَلَاثًا، وَأَمَرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ النَّاسَ أَنْ يَهْذِمُوا، فَلَمْ يَجْرُوا أَحَدًا عَلَى هَدْمِهَا، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ
لَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهَا، أَخَذَ هُوَ بِنَفْسِهِ الْمِعْوَلَ، ثُمَّ ارْتَقَى فَوْقَهَا، فَهَدَمَ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ أَنَّهُ
لَمْ يَصِبْهُ شَيْءٌ، اجْتَرَعُوا عَلَى هَدْمِهَا، قَالَ: فَهَدَمُوا، وَأَدْخَلَ عَامَّةَ الْحِجْرِ فِيهَا، فَلَمَّا ظَهَرَ
الْحِجَاجَ رَدَّ الَّذِي كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَدْخَلَ مِنَ الْحِجْرِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مِرَانَ: وَدِدْنَا
أَنْ تَرَكْنَا أَبَا خُبَيْبٍ وَمَا تَوَلَّى مِنْ ذَلِكَ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ.

وَعَنْ يَزِيدَ مَوْلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: شَهِدْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ احْتَفَرَ فِي الْحِجْرِ، فَأَصَابَ
أَسَاسَ الْبَيْتِ حِجَارَةً حُمْرَاءَ، كَأَنَّهَا الْخِلَافُ^(١)، يَحْرُكُ الْحِجْرَ فَيَهْتَزُّهُ الْبَيْتُ، فَأَصَابَ
فِي الْحِجْرِ مِنَ الْبَيْتِ سِتَّةَ أَذْرَعٍ وَشِبْرًا، وَأَصَابَ فِيهِ مَوْضِعَ قَبْرِ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: هَذَا
قَبْرُ إِسْمَاعِيلَ، فَجُمِعَ قَرِيشًا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: اشْهَدُوا. ثُمَّ بَنَى. أَفْرَجَ الْأُزْرُقِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ:
قَالَ يَزِيدُ: وَقَدْ شَهِدْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ هَدَمَهُ وَبَنَاهُ، وَأَدْخَلَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ؛ وَقَدْ رَأَيْتُ
أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ حِجَارَةً كَأَسْنَمَةِ الْإِبِلِ مَتَلَحِّكَةً^(٢). أَفْرَجَ لِلنَّسَائِيِّ. وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ
غَيْرِهِ: أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ جَعَلَ الْبَيْتَ عَلَى ثَلَاثَةِ دَعَائِمَ، وَكَانَ فِي زَمَنِ قُرَيْشٍ عَلَى سِتَّةِ دَعَائِمَ،
وَجَعَلَ بَابَهُ مِصْرَاعَيْنِ، وَكَانَ مِصْرَاعًا وَاحِدًا، وَجَعَلَ مِيزَابَهُ يَصُبُّ فِي الْحِجْرِ.

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْحِجْرِ مِنَ الْبَيْتِ. وَمَنْ يَرَى حَمْلَ الْمَطَاقِ
عَلَى الْمُقَيَّدِ يَقُولُ: مَطْلُقُ الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ مَنْزِلَةٌ عَلَى هَذَا، وَمَنْ لَا يَرَاهُ
عَمَلًا بِهِمَا وَاسْتَدْلَ بِظَاهِرِ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَلْيَطُفْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرِ.
وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ تَرْكِ بَعْضِ مَا يُسْتَصَوَّبُ فَعَلَهُ إِذَا خِيفَ تَوْلَدُ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْ

(١) الْخِلَافُ: صُغُورُ عِظَامٍ بِقَدْرِ النُّوْقِ الْحَوَالِمِ. وَاحِدُهَا: خِلْفَةٌ (اللسان).

(٢) التَّلَاحُكُ فِي الْبَنِيَانِ وَنَحْوِهِ: شِدَّةُ الثَّمَامِ بَعْضُهُ بِيَعْنِ، وَالتَّرَاقُ بِهِ (اللسان).

تركه ؛ وقد ذُكر أن الرشيد أراد أن يهدم ما بناه الحجاج ، ويرد البيت على بنيان ابن الزبير ، فقال له مالك : سألتك بالله يا أمير المؤمنين ، ألا تجعل هذا البيت مَلْعَبَةً^(١) للملوك ، لا يشاء أحد إلا هدمه ، فتذهب هيئته من صدور الناس .

وقد أدخلنا في هذا الفصل ما ليس منه ، لأنه كاللصقة له . ولتشوف النفس عند سماع بعضه إلى بعض .

ومما تشوف النفس إلى تعرفه عند سماع ما ذكرناه ، معرفة من بنى البيت قبل ذلك ، فلنذكر طرفاً منه ملخصاً .

وقد اختلف في أول من بناه على ثلاثة أقوال :

أمرها : أن الله عز وجل وضعه لابيناء أحد ، وفي زمن وضعه إياه قولان : أحدهما أنه وضعه قبل خلق الدنيا ، ويدل عليه حديث ابن عباس وحديث أبي هريرة المتقدمان في فصل قوله تعالى : « إِنِّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ » .

وعنه قال : كان البيت قبل هبوط آدم ياقوته من يواقيت الجنة ، وكان له بابان من زمرّد أخضر ، باب شرقي ، وباب غربي ، وفيه قناديل من الجنة ، ثم أهبط الله آدم إلى موضع الكعبة ، وهو مثلُ الفلك من شدة الرعدة ، وأنزل عليه الحجر الأسود ، وهو يتلألأ كأنه أوّاة بيضاء ، فأخذهُ آدم عليه السلام ، فضمه إليه استئناساً به . أضرجه صاحب مثير الغرام .

القول الثاني من القولين : أنه أهبطه الله عز وجل مع آدم . قاله قتادة . وقد تقدم ذكره في فصل « إِنِّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ » ، ويدل عليه حديث ابن عمر ، وقد تقدم في فصل فضل البيت .

القول الثاني من الأقوال الثلاثة : أن الملائكة بنته ، ويدل عليه حديث جعفر بن محمد عن أبيه ، وحديث علي بن الحسين عليهما السلام ، وقد تقدم في فصل فضل البيت .

(١) في شرح الذوى على مسلم : لمبة .

الثالث أنه أرم بناءه : عن عطاء عن ابن عباس : أن آدم بناه من خمسة أجبل : من لبنان وطور سيناء وطور زبتا والجودي وجرأ ، وكان رُبُضُهُ من جرأ ، والرُبُضُ هنا : هو الأساس المستدير بالبيت . أضرجه عبد الرزاق في مصنفه ، وصاحب مثير الغرام .

وعن عثمان بن ساج قال : حَدَّثْتُ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنْ لَكُلِّ عَامِلٍ أَجْرًا ، وَإِنْ لِي أَجْرًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : تَرُدُّنِي مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتَنِي . قَالَ : ذَلِكَ لَكَ . قَالَ : وَمِنْ خَرَجَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ مِنْ ذَرْبِي يَقِرُّ عَلَى نَفْسِهِ مِثْلَ الَّذِي أَقَرَّرْتُ بِهِ مِنْ ذَنْبِي ، أَنْ تَغْفِرَ لَهُ . قَالَ : نَعَمْ . ذَلِكَ لَكَ . أضرجه الأزرقى .

وعن وهب بن منبه قال : لما رُفِعَتِ الخيمة التي وضعها الله تعالى لآدم عليه السلام مكان البيت ، ومات آدم ، بنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة . وفي رواية عنه قال : كان شِيثٌ وَصِيٌّ أَبِيهِ آدَمَ ، وهو الذي ولد للبشر كله ، وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة . فلم يزل معمورا يَعْمُرُونَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، حَتَّى كَانَ زَمَنُ نُوحٍ فَتَسَفَّهُ^(١) الْفَرَقَ . قَالَ مُجَاهِدٌ : وَكَانَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ بَعْدَ الْفَرَقِ أَكْمَةَ حِمْرَاءَ لَا تَعْمَلُوهَا السَّيُولُ ... الْحَدِيثُ إِلَى آخِرِهِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي فَصْلِ فَضْلِ الْبَيْتِ .

وقال أهل السير : فلما ولد الخليل إسماعيل عليهما السلام أمره الله عز وجل ببناء البيت ، قال : يا رب بين لي صفته ، فأرسل الله عز وجل سحابة على قدر البيت ، فسارت معه ، حتى قدم مكة ، فوقف في موضع البيت ، ونودي : أَنْ ابْنَ عَلَى ظِلِّهَا ، لَا تَزِدْ وَلَا تَنْقُصْ ، فكَانَ بَيْنِي وَإِسْمَاعِيلَ يَنَاولُهُ الْحِجَارَةَ ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْهُ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ : قَالَ : يَا رَبِّ ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي ؟ قَالَ : عَلَيْكَ الْأَذَانُ ، وَعَلَيْنَا الْبَلَاغُ . قَالَ : فَعَلَّا نَبِيرًا وَقَالَ : يَا عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بَيْتًا يُحْجُّوهُ . قَالَ مُجَاهِدٌ : فَلَبَّى كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَأَسْمَعُ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَأَجَابُوهُ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ : كَبَّيْكَ اللَّهُمَّ كَبَّيْكَ . وقد تقدم في فصل حج إبراهيم عليه السلام في الباب الأول ، أن قيامه كان على المقام ،

(١) تسف الساء : ذمه . (اللسان) .

قليل نِدَامه مكرر، فكان مرة على المقام ومرة على تبيير . ثم إن البيت اتهدم، فبنته العالقة، ثم مرة عليه الدهر، فبنته جُرم، ثم مر عليه الدهر فبنته قريش، وكان بناء قريش البيت وبنينا صلى الله عليه وسلم غلام. قال الزُّهْرِيُّ: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت^(١) امرأة الكعبة، فأطارت شَرَرَةً، فأحرقَت ثياب الكعبة، فوَهَى البيت، فنقضتَه قريش وبنته، فلما أرادوا وضع الركن، اختلفوا فيمن يرفعه من القياثل، فاجتمع رأيهم على أن يتعاضدوا إلى أول داخل من باب المسجد، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام، فحَكَّوه، فقال هاتوا ثوبا، فأخذ الركن، فوضعه فيه بيده، ثم أمر سيّد كل قبيلة أن يأخذ بناحية من الثوب، ثم قال: ارفعوه جميعا، فلما رفعوه وضعه بيده في مكانه .

وعن الوليد بن مسلم قال: لما هُدِمت الكعبة أصابوا في طُوبَة، يعني آجَرَةَ، مكتوبا بالعبرانية: احذروا سَكَرَاتِ الموت، واعملوا لما بعده؛ فإن الموت لا يُغْلَب؛ وساكِن الأموات لا يرجع؛ وملك الموت مأمور لا يعصى .

ثم إن ابن الزُّبَيْر هدم الكعبة، وبنّاها على أساس إبراهيم عليه السلام، على ما تقدم . وكانت قريش قد قَصَّرت بهمُ النَّفَقَة، فأخرجوا طائفة من الحِجْر، على ما تقدم تقريره . ثم نقَضَ الحِجَّاج جانبها منها، وردّه على البناء الأول، كما تقدّم بيانه .

ولا تضادّ بين الأحاديث التي تضمّنت أن البيت رُفِع، وبين قول مجاهد: إن الفرق نَسَف البيت، فإن المرفوع هو البيت الذي بناه آدم والملائكة، أو أنزله الله عزّ وجلّ، على ما تقدم من الخلاف فيه . والذي نَسَفه الفرق هو الذي بناه بنو آدم، وأما مَنْ قَيَّدَ الرفع بزمان الطوفان، فيجوز أن يكون تجوِّز بذلك، وكان الرفع قبله، أو يكون كُنِيَ بالرفع عن الإزالة، دلّ على ذلك حديث غيره، والله أعلم .

(١) أجمرت: بجرت . (النهاية لابن الأثير) .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي كِسْرَةِ الْبَيْتِ

١ — مَا جَاءَ فِي كِسْرَتِهِ بِمَا يُجَلَّلُ بِهِ الْهُدَى مِنَ الثِّيَابِ

عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يُجَلَّلُ بِدُنَّةِ الْقَبَاطِيِّ وَالْأَنْمَاطِ وَالْخَلَلِ ،
ثُمَّ يَبْعَثُ بِهَا إِلَى السَّكْبَةِ ، يَكْسُوها بِهَا . أَخْبَرَهُ مَالِكٌ وَأَبُو ذَرٍّ .
وَعَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُجَلَّلُهَا الْأَنْمَاطُ ، وَيَكْسُوها السَّكْبَةُ ، فَلَمَّا كَسَاهَا الْأَمْرَاءُ جَلَّلَهَا الْقَبَاطِيُّ
فَلَمَّا نُحِرَتْ كَسَاهَا الْمَسَاكِينُ . أَخْبَرَهُ أَبُو ذَرٍّ .

سَمِعَ — الْقَبَاطِيُّ : جَمْعُ قُبْطِيَّةٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ الثَّوبُ مِنْ ثِيَابِ مِصْرَ ، رَقِيقٌ أَبْيَضٌ ،
كَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقِبْطِ ، وَهُمْ أَهْلُ مِصْرَ ، وَالضَّمُّ فِيهَا مِنْ تَغْيِيرِ النَّسَبِ ؛ وَهَذَا فِي الثِّيَابِ ،
أَمَّا فِي النَّاسِ ، فَقِبْطِيٌّ لَا غَيْرَ . وَالْأَنْمَاطُ : ضَرْبٌ مِنَ الْبُسْطِ ، وَاحِدُهَا : نَمَطٌ .
وَفِي فِعْلِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّهُ لَا يُعَدُّ مَا فَعَلَ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبَةِ إِسْرَافًا ، وَلَوْ خَرَجَ
فَاعْلَهُ عَنِ الْعَادَةِ فِيهِ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ، قَالَ : نَذَرْتُ أُمِّي بَدَنَةَ تَنْحَرُهَا عِنْدَ الْبَيْتِ ،
وَجَلَّلْتُهَا شُقَّتَيْنِ مِنْ شَعَرٍ ، فَتَنَحَّرَتْ الْبَدَنَةُ ، وَسُيِّرَتْ السَّكْبَةُ بِالشَّقَّتَيْنِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرْ ، وَأَنْظَرَ يَوْمَئِذٍ إِلَى الْبَيْتِ وَعَلَيْهِ كَسَى شَتَّى ، مِنْ وَصَائِلَ
وَأَنْطَاعٍ وَخَزَرٍ وَنَمَارِقَ عِرَاقِيَّةَ . أَخْبَرَهُ الْأَزْرَقِيُّ .
سَمِعَ — الْوَصَائِلُ : ثِيَابٌ حُمْرٌ مُخَطَّطَةٌ بِمَانِيَةٍ .

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي عَبْدِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ ، قَالَ : كَانَ النَّاسُ يُهْدُونَ
إِلَى السَّكْبَةِ كِسْوَةً ، وَيَهْدُونَ إِلَيْهَا الْبُذْنَ عَلَيْهَا الْحَبْرَاتُ ، فَيُبْعَثُ بِالْحَبْرَاتِ إِلَى الْبَيْتِ

كُسوة ؛ فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج ؛ فلما كان ابن الزبير اتبع أثره ، وكان يبعث إلى مُصَنَّب بن الزبير يبعث بالكسوة كل سنة ؛ فكان يكسو يوم عاشوراء ؛ أضرجه الواقدي .

شرح — الحَبَرَات : جمع حَبْرَة ، وهو ما كان من البرود مخططا ، يقال : بُرِدَ حَبْرَة وبُرِدَ حَبِير ، على الوصف ، وعلى الإضافة أيضا وهو من ثياب اليمين .

٢ — ما جاء في أول من كسى الكعبة

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سَبِّ أسعدَ الحِمْيَرِيّ ، وهو تَبَعٌ ، قال : هو أول من كسا الكعبة . أضرجه أبو ذرّ والأزرقى وأبو الفرج في مثير الغرام .

وعن محمد بن إسحاق قال : بلغني عن غير واحد من أهل العلم : أن أول من كسى الكعبة كُسوة كاملة تَبَعٌ ، وهو أسعد ، أرى في المنام أنه يكسوها ، فكساها الأنطاع ، ثم أرى أنه يكسوها ، فكساها الوصائل ، ثياب حَبْرَة من عَصَب اليمين ، وجمل لها بابا يُفَلَّقُ . أضرجه الأزرقى وصاحب مثير الغرام .

ونرح الوصائل تقدم ، وكذلك الحَبَر . وأما العَصَب فهو برود يَمْنِيَّة ، يُعَصَّب غزلها ، أى يُجَمَّع وَيُشَدُّ ، ثم يُصَبِّغُ وَيُنَسِّجُ ، فيأتى مَوْشِيًا ، ويبقى ماعَصَب منه أبيض ، لم يأخذه صَبِغ ؛ يقال : بُرِدَ عَصَبٌ وبرودٌ عَصَبٌ ، بالتنوين والإضافة .

٣ — ما جاء مِمَّ كانت تُكْسَى في الجاهلية

عن ابن أبي مُثَيْبَةَ قال : بلغني أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كُسَى شتى ، كان البَدَنُ تُجَلَّلُ الحَبَر والأَنَمَاط والأَكْسِيَّة ، وغير ذلك من عَصَب اليمين ، فيكسى منه الكعبة ، ويجعل مابقي في خزانة الكعبة ، فإذا بلى منها شيء أُخْلِفَ عليها مكانه ثوب آخر ، ولا يُنَزَّع مما عليها شيء ، وكان يُهْدَى لها خَلُوقٌ ومُجَمَّرٌ ، وكانت تُطَيَّبُ بذلك من بطنها ومن خارجها .

وعن أم زيد بن ثابت قالت : رأيت على الكعبة قبل أن ألد زيد بن ثابت ، مطارف خَزٍ خَضِرًا وَصُفْرًا ، وأكسية من أكسية الأعراب ، وشقاق شَعَر .

وعن ابن أبي مُليكة قال : كانت قريش في الجاهلية تترافد في كِسوة البيت ، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها ، من عهد قُصَيِّ بن كلاب ، حتى نشأ أبو ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يختلف إلى اليمن يتجر بها ، فأثرى في المال ، فقال لقريش : أنا أِكسو وحدي الكعبة سنة ، وجميع قريش سنة ، وكان يفعل ذلك حتى مات ، يأتي بالحِبرة الجديدة من الحِند^(١) ، ويكسو الكعبة ، فسمته قريش العِذْل ، لأنه عدَل فعله فعل قريش كلها ، فسمو العِذْل ، ويقال لولده بنو العِذْل .

أُضرم الأُزرق ، وأبو الفرج في مثير الغرام .
وأول عربية كَسَت الكعبة الحرير والدِّياج نُذَيْلة بنت جَناب أم العباس ابن عبد المطلب . ذكره أبو الفرج في مثير الغرام .

٤ - ما جاء في كِسوة النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة والخلفاء الراشدين بعده
ثم الأمراء بعدهم ، وما كانوا يكسونها

عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة ، عن أبيه قال : كَسَى البيت في الجاهلية الأنطاع ، ثم كساه رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ، ثم كساه عُمر وعُثمان القَبَاطِي ، ثم كساه الحَجَّاج الدِّيَاج أُضرم الواقدي ، وتابعه الأُزرق وأبو الفرج .
وعن حبيب بن أبي ثابت : قال : كَسَا النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة ، وكساه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

وعن ابن أبي نَجِيح : أن عمر كَسَى الكعبة القَبَاطِي من بيت المال ، وكان يكتب فيها إلى مصر ، تُحَاك له هناك ؛ ثم عُثمان من بعده ، فلما كان معاوية بن أبي سفيان كساهَا كِسوتين : كِسوة عُمر القَبَاطِي ، وكِسوة دِيَاج ، فكانت تُكَسَى الدِّيَاج يوم عاشوراء ، وتُكَسَى القَبَاطِي في آخر شهر رمضان للفطر . أُضرم الأُزرق .

(١) الجند ، بالتحريك : بلد باليمن ، بين عدن وتغر ، وهو أحد مخاليفها المشهورة . (تاج العروس)

رَوَى أَن الْمَأْمُون كَانَ يَكْسُوها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَيَكْسُوها الدِّيَبَاجَ يَوْمَ التَّروِيَةِ ، وَالْقَبَاطِيَّ يَوْمَ إِهْلَالِ رَجَبٍ ، وَالدِّيَبَاجَ الْأَبْيَضَ يَوْمَ سَمِعَ وَعْثَرِينَ مِنْ رَمَضَانَ . وَهَذَا الْأَبْيَضُ ابْتِدَاءُ الْمَأْمُونِ سَنَةَ سِتٍّ وَمِثْتَيْنِ ، حِينَ قَالُوا لَهُ الدِّيَبَاجُ الْأَحْمَرُ يَتَخَرَّقُ قَبْلَ الْكِسْوَةِ الثَّانِيَةِ ، فَسَأَلَ عَنْ أَحْسَنِ مَا تَكُونُ فِيهِ الْكِسْمِيَّةُ . فَقِيلَ : الدِّيَبَاجُ الْأَبْيَضُ ؛ فَفَعَلَهُ .

وَعَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ أَنَّ عَثْمَانَ كَسَى الْكَعْبَةَ سَنَةَ بَرُودَا يَمَانِيَّةً أَمَرَ بِعَمَلِهَا عَامِلُهُ عَلَى الْبَيْتِ يَغْلَى بْنُ أُمِيَّةٍ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ظَاهَرَ لَهَا كُسُوتَيْنِ ، يَعْنِي الْقَبَاطِيَّ وَالْبُرُودَ . أَضْرَبَهُ الْأَزْرَقِيُّ . وَذَكَرَ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ خَلَقَهَا ، وَكَسَاهَا الْقَبَاطِيَّ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ : كَسُوهُ الْبَيْتَ عَلَى الْأَمْرَاءِ . أَضْرَبَهُ الْأَزْرَقِيُّ .

٥ - مَا جَاءَ فِيمَنْ كَسَى الْكَعْبَةَ الدِّيَبَاجَ

تَقْدِمُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَسَى الْكَعْبَةَ الدِّيَبَاجَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَتَقْدِمُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَسَاهَا الْحُجَّاجُ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَسَاهَا الدِّيَبَاجَ مَعَاوِيَةُ ؛ وَهَذَا أَثْبَتٌ لِأَنَّهُ مَعَهُ زِيَادَةُ عِلْمٍ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ بَعْدِهِ ، فَارَوَى كُلُّ مَا بَلَغَهُ .

وَعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ حُرَيْبٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَوَّلَ مَنْ كَسَى الْكَعْبَةَ الدِّيَبَاجَ ، وَكَانَتْ كِسْوَتُهَا الْمُسُوحَ وَالْأَنْطَاعَ . أَضْرَبَهُ أَبُو ذَرٍّ الْفَرَزِيُّ . وَأَضْرَبَهُ الْأَزْرَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُرْوَةَ ، وَلَمْ يَقُلْ : أَوَّلَ .

وَلَا تَضَادُّ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا تَقْدِمُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ ، أَنَّهُ كَسَاهَا الْقَبَاطِيَّ ، لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ كَسَاهَا أَوَّلًا الْقَبَاطِيَّ ، ثُمَّ كَسَاهَا الدِّيَبَاجَ .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ ، قَالُوا : لَمَّا وَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ كَانَ يَبِيعُ كُلَّ سَنَةٍ بِالدِّيَبَاجِ ، فَيُمَرُّ بِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَيُنْذَرُ يَوْمًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَسَاطِينِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، ثُمَّ يُطَوَّى وَيُبْعَثُ بِهَا إِلَى الْبَيْتِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخْدَمَ الْكَعْبَةَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَأَوَّلَ مَنْ خَلَقَ جَوْفَ الْكَعْبَةِ ابْنُ الزُّبَيْرِ .

٦ - ما جاء في الأوقات التي كانت تكسى فيها الكعبة

تقدم في الفصل الأول ، وفي فصل كسوة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، طَرَف منه .

وعن خالد بن أبي المهاجر أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم عاشوراء ، فقال : هذا يوم عاشوراء ، يوم تُشتر فيه الكعبة ، وتُرفع فيه الأعمال ، ولم يُكتب عليكم صيامه ، وأنا صائم ، فمن أحب منكم أن يصوم فليصم .

وعن ابن خديج قال : كانت الكعبة فيما مضى إنما تكسى يوم عاشوراء ، إذا ذهب آخر الحاج ، حتى كانت بنو هاشم ، فكانوا يعلقون عليها القميص يوم التروية من الديباج ، لأن يرى الناس ذلك عليها بهاءً وجمالاً ، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار . أمرهمم الأزرقي ، وقال : حدثنا جدي ، قال : كانت الكعبة تكسى في كل سنة كسوتين : كسوة ديباج ، وكسوة قباطي ، فأما الديباج فتكساه يوم التروية ، فيعلق القميص ؛ ويدلّي ولا يُخاط ، فإذا صدر الناس من منى خيط القميص ، وترك الإزار حتى يذهب الحاج ، لثلاثي نحر قوه ، فإذا كان عاشوراء شاق عليها الإزار ، فوصل بالقميص ، فلا تزال هذه الكسوة الديباج حتى يوم سبع وعشرين من رمضان ، فتكسى القباطي للقطر .

فلما كان خلافة المأمون أمر بكسوة ثالثة من ديباج أبيض ، فكانت تكسى الديباج الأحمر يوم التروية ، وتكسى القباطي يوم هلال رجب ، وتكسى الديباج الأبيض الذي أحدثه المأمون يوم سبع وعشرين من رمضان للفطر ، وهي تكسى إلى اليوم ثلاث كسّى . قال : ثم رُفِع إلى المأمون أن إزار الديباج الأبيض يتخرق ويبلى في أيام الحج ، من مسّ الحاج ، فبعث بفضل إزار من ديباج أبيض تكساه يوم التروية ، أو يوم سابع يستر به ما تخرق من الإزار الذي كسيت للفطر ، إلى أن يُخاط عليها إزار الديباج الأحمر في العاشوراء . ثم رُفِع إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله أن إزار الديباج الأحمر يبلى قبل هلال رجب ، من مسّ الناس وتمسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، وأزال قميص الديباج الأحمر ، وأسبله حتى بلغ الأرض ، وجعل الإزار فوقه ،

في كل شهرين إزار . ثم نظر الحجة فإذا الإزار الثاني لا يحتاج إليه فرفع في تابوت الكعبة وكتبوا إلى أمير المؤمنين : إن إزارا واحدا مع ما أزيل من قميصها يجزيها . فصار يبعث بإزار واحد ، وأمر بإزالة القميص القباطي ، حتى بلغ الشاذرون .

٧ - ما جله في تجريد كسوة الكعبة ، وقسمتها بين الحاج وأهل مكة

وبيان حكم بيعها

عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه كان ينزع ثياب الكعبة في كل سنة ، فيقسمها على الحاج ، فيستظلون بها على السمرة بمكة . وعن ابن أبي مليكة قال : كانت على الكعبة كُتي كثيرة من كسوة أهل الجاهلية ، من الأنطاع والأكسية والأنماط ، وكانت رُكاما بعضها فوق بعض ، فلما ركبت في الإسلام من بيت المال ، صار يُخَفَّفُ عنها الشيء بعد الشيء ، فقال شعبة بن عثمان : لو طرحت عنها ما عليها من كُتي الجاهلية ، حتى لا يكون ممامسه المشركون شيء لفجاسته ، فكتب في ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ، فكتب أن جرّدها ، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطي وحبرة . قال : فرأيت شعبة جرّدها ، حتى لم يُبق عليها شيئا مما كان عليها ، وخلق جُدرانها كلها وطَّيَّها ، ثم كساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية إليها وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة ، وكان ابن عباس حاضرا في المسجد الحرام وهم يجردونها ، قال : فما رأيته أنكر ذلك ولا كرهه . أنهره الأزرقى . وأخرج الأول سعيد بن منصور .

وعن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير بن شعبة ، قال : جرّد شعبة بن عثمان الكعبة قبل الحريق ، خفّفتها وطَّيَّها . قلت : وما تلك الثياب ؟ قال : من كل نحو أنطاع وحبر . وكان شعبة يكسو منها ، حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها ، فدفعها في بيت حتى هلكت ، يعني الثياب . أنهره الواقدي والأزرقى .

وعن عطاء بن يسار قال : قدّمت مكة معتمرا ، فجلست إلى ابن عباس في صُفّة

زَمَزَم ، وشيبة يومئذ يجرّد للكعبة ، قال عطاء بن يسار : فرأيت جَدْرَهَا ، ورأيت خَلْقَهَا وطِيبَهَا ، ورأيت تلك الثياب قد وضعت بالأرض ، ورأيت شيبة يومئذ يقسمها ، فأخذت يومئذ كساء من نسج الأعراب ، فلم أر ابن عباس أنكر شيئاً مما صنع شيبة . قال عطاء : وكانت قبل هذا لا تجرد ، وإنما يُخَفَّف عنها بعض كسوتها . أفرجهم الواقدي والأزرقي .

وعن عائشة ، أن شيبة بن عثمان دخل عليها ، فقال : يا أم المؤمنين ، إن ثياب الكعبة تجتمعُ عليها ، فتكثرُ ، فنعمد إلى بئار فنحفرها ونعمقها ، فندفن فيها ثياب الكعبة ، لئلا تمسها الحائض والجُنُب ، فقالت له عائشة : ما أصبت ، وبئسما صنعت ، لا تعدّ لذلك ، فإن ثياب الكعبة إذا نَزَعَتْ عنها ، لا يضرُّها من لبسها ، من حائض أو جُنُب ، ولكن بقها ، فاجعل ثمنها في سبيل الله والمساكين وابن السبيل . أفرجهم سعيد بن منصور . وأبو ذرّ والأزرقي .

وعن عبد الرحمن بن عُبَيْد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود قال : رأيت شيبة بن عثمان يسأل ابن عباس عن ثياب الكعبة ، ثم ساق مثل حديث عائشة ، فقال له ابن عباس مثل ما قالت له عائشة رضى الله عنهما .

وعن فاطمة الخُزَاعِيّة قالت : سألت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقالت : إذا نَزَعَتْ عنها ثيابها ، فلا يضرُّها مَنْ لبسها من الناس ، من حائض أو جُنُب . أفرجهم الواقدي .

قال أبو الوليد : وحدثني جدي قال : حجّ المهديّ أمير المؤمنين سنة ستين ومئة ، فرُفِعَ له أنه قد اجتمع على الكعبة كُسوة كثيرة ، حتى إنها قد أنقَلَتْها ، ويخاف على جدرانها من ثَقَل الكُسوة ، فجرّدها حتى لم يَبْقَ عليها من كُسوتها شيء ، ثم ضمها من خارجها ومن داخلها بالغالية والمسك والعنبر ، فطلا خارجها ، من أسفلها إلى أعلاها ، من جوانبها كلها ، ثم أفرغ عليها ثلاث كُسى من قَبَائِطٍ وَخَزٍ وِدِيَّاج ، والمهدي قاعد على ظهر المسجد ، مما يلي دار النُّفُوة ينظر إليها ، وهي تُطَلَّى بالغالية ، وحين كسيت .

فما تقدم من الأحاديث دلالة على جواز لبس ثياب الكعبة لدى الحاجة ، وللمشتري لها بمن يجوز له بيعها . وللناظر في أمرها البيع ، وصرف الثمن لمن ذكرته عائشة ، إلا أن تحتاج إلى عمارة ، فصرفه فيها أولى . وله أيضا قسمتها فيمن يراه ، على ما دل عليه حديث عمر الأول . وذكر الإمام الرافعي وابن الصلاح في منسكه عن أبي الفضل بن عبدان الهمداني ، أنه قال : لا يجوز لأحد قطع شيء من كسوة الكعبة ، ولا شراؤه من بنى شعبة ، ومن أخذ منها شيئا فعليه ردّه ، ولا يجوز وضعه في أوراق المصاحف ، خلافا لما يتوهمه العامة . وقال الإمام الحايبي : لا ينبغي أن يؤخذ من كسوة الكعبة شيء ، وقال ابن الصلاح : الأمر في ذلك إلى الإمام ، يصرفها في بعض مصارف بيت المال ، بيعا أو عطاء .

قلت : والأسرف فيه عندي على ما تقدّم ، ويؤيده ما ذكرناه عن عمر وعائشة وأم سلمة . ويحمل على المحتاجين ، وإن كان ظاهر اللفظ يعم جميع الحاج .

٨ - ما جاء في مال الكعبة

عن شعبة بن عثمان قال : قعد عمر بن الخطاب في البيت ، فقال : لا أخرج حتى أقسم مال الكعبة . قال : قلت : ما أنت بفاعل . قال : بلى لأفعلن . قال : قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى مكانه وأبو بكر ، وها أحوج منك إلى المال ، ولم يحركاه . فقام فخرج . أضرم البخاري والنسائي وأبوداود ، واللفظ له .

لما رأى عمر ما في الكعبة من الذهب والفضة ، وأنها لا تحتاج لكثرتة ، فأراد أن يصرفه في مصالح المسلمين ، فلما أخبره شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه لم يعرضا له ، أمسك وصوّب فعلهما . وإنما تركه والله أعلم ، لأن ما جعل في الكعبة وسبيل لها ، يجري تجرّي الأوقاف ، ولا يجوز تغيير الأوقاف عن وجوهها . وفي ذلك أيضا تعظيم للإسلام ، وترهيب على العدو . وفيه ترك خلاف من يمتدّى به . ولاقتداء بهم في أفعالهم ، وذلك فعل سلف الأمة رضي الله عنهم .

٩ - ما جاء في كنز الكعبة

عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتركوا الحبشة ماتركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو الشؤبقتين من الحبشة . أخرجه أبو داود وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُحْرَبُ الكعبة ذو الشؤبقتين من الحبشة .

١٠ - ما جاء في تطيب الكعبة

تقدّم في الفصل قبله طرّف منه .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لأن أطيب الكعبة أحبُّ إلى من أن أهدى لها ذهباً وفضة .
وعنها أنها قالت : طيّبوا البيت ، فإن ذلك من تطهيره .
وعن ابن الزبير أنه خاف جوف الكعبة أجمع .
وعنه أنه كان يُجمّر الكعبة كل يوم برطل من مُجَمَّرٍ ويُجمّر الكعبة كل يوم مُجمعة برطلين من مُجَمَّرٍ .

وعن ابن جريج أن معاوية أجرى للكعبة وظيفة الطيب لكل يوم صلاة ، فكان يبعث بالطيب المُجمّر والخلوق في الموسم ، وفي رجب ، وأخدمها عبيداً بعث بها إليها ، فكانوا يخدمونها ، ثم اتبعت ذلك الولاية بعده . أخرجه الستة الأزرقي .
وذكر الواقدي عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان لما ولي كان يبعث إليها كل سنة بالطيب والمُجمّر .

شرح - المُجمّر ما يُتَجَمَّرُ به ، وهو العود الطيب ، وبالضم ما يُتَجَمَّرُ فيه . والخلوق : طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، ويغلب عليه الصُفرة والخمرة . وقد تقدّم ذكره في باب الإحرام . قال الإمام أبو عبد الله الحلي : روى عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يُسْتَنْشَفُ به . وقال عطاء : كان أحدنا إذا أراد أن يستنشق به جاء بطيب من عنده ، فمسح به الحجر ، ثم أخذه ؛ ذكره ابن الصلاح في منسكه

الباب الثلاثون

في عمل أيام منى

١ - ما جاء في سبب رمي في هذه الأيام

تقدم في الباب الأول في فصل حج إبراهيم عليه السلام ، أحاديث هذا الفصل مستوفى .

٢ - ما جاء في وقت الرمي في هذه الأيام

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : رمى بحجرة العقبة ضحى .
فأما بعد ، فإذا زالت الشمس . أهرجه وأبو داود والنسائي وأخرجوه أيضا من حديث جابر .
والمراد أنه يرْمِي بحجرة العقبة يوم النحر ، ولا يرْمِي فيه غيرها .

وقوله فأما بعد ، فإذا زالت الشمس ، يعنى رمى أيام التشريق .

وعنه قال : كنا نتحين زوال الشمس ، فإذا زالت رَمَيْنَا . أهرجه البخارى .

وقوله « نتحين » : أى نطلب حينها ، والحين : الوقت . ومنه : كانوا يَتَحَيَّنُونَ
وقت الصلاة ، أى يَطْلُبُونَ حينها .

وعنه أنه كان يقول : لا تَرْمِي الجِار في الأيام الثلاثة حتى تزول الشمس . أهرجه
الترمذى وابن ماجه .

وعن عائشة قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى
الظهر ، ثم رجع إلى منى ، فكث بها ليل إلى أيام التشريق ، يرمى الجرة إذا زالت الشمس ،
كل جرة بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة ، ويقف عند الأولى والثانية ، فيطيل القيام
ويتضرع ؛ ويرمى الثالثة ولا يقف عندها . أهرجه أبو داود .

وعن عمرو بن دينار ، قال : رأيت ابن عمر يرمي الجمار حين زالت الشمس ، ولم يهجر ذلك التهجير .

وعن إبراهيم قال : تُرمى الجمار بالهجير . أخرجهما سعيد بن منصور .
والتهجير : السير في الهجرة والهجير ، وهما اشتداد الحر نصف النهار ، يقال : هجر بالصلاة : إذا أتى بها أول وقت الظهر .

وقد دلت هذه الأحاديث على أن وقت الرمي في هذه الأيام من بعد الزوال ؛ رماها بعد الزوال عمر وابن عباس وابن الزبير ؛ وهي سنة الرمي أيام التشريق الثلاثة ؛ ولا يجوز إلا بعد الزوال عند الجمهور ، وبه قال مالك وأبو حنيفة والثوري والشافعي وأحمد وحكي عن بعضهم خلاف ذلك ؛ والسنة الصحيحة ترد ذلك . ويمتد وقتها إلى الغروب . وهل يمتد بعد ذلك إلى طلوع الفجر ؟ اختلف أصحابنا فيه . والأصح أنه يمتد ؛ ولا خلاف أنه لا يمتد في اليوم الثالث ، لانهاء أيام التشريق بغروب الشمس من الثالث وقال أبو حنيفة : يجوز الرمي في اليوم الثالث قبل الزوال استحسانا ، وقال أبو جعفر محمد بن علي : رمى الجمار ما بين طلوع الشمس إلى غروبها . وقال عطاء : رمى الجمار بعد الزوال ، فإن رمى قبل الزوال بجهالة أجزأه . أخرجهما سعيد بن منصور . وهل هذه الأيام كلها كالיום الواحد ، حتى يجوز له رمي الأول في الثاني ؟ فيه قولان للشافعي ، أحدهما أنها كالיום الواحد . فعلى هذا . يجب بترك الجميع دم واحد ؛ وعلى القول الآخر : يجب لكل يوم وجب رميه دم ، وهو ظاهر اختيار الباقين في شرح السنة ، ويوم النحر كيوم من أيام التشريق ، يجب في الجميع دم ، وعلى القول الآخر دمان ، وعلى قولنا : يجب لكل يوم من أيام التشريق ، يجب في الجميع أربعة دماء . وإذا قلنا إنها كالיום الواحد ، جاز رمي اليوم الأول في الثاني ، والثاني في الثالث ، ولا شيء عليه إلا على وجه لابن سريج ، وهو بعيد ، وهل يكون أداء حتى يجوز التقديم كما يجوز التأخير ، ولا يأنم بالتأخير لغير عذر أو قضاء ؟ فيه وجهان .

وعن عطاء قال : من نسى رمي الجمار أيام التشريق فذكر ، وكان في أيام التشريق ، فليزيم ولا شيء عليه ؛ فإن مضت أيام التشريق فقد ذهب وقت الرمي ، فليهرق دما . ومن فاته رمي الجمار يوما فليتيه بدمه .

وعنه ، أنه سأل رجل فقال : يا أبا محمد ، رجلٌ من أصحابنا مَرَضَ أيام التشريق ، ولم يرم الجمار حتى مضت أيام التشريق . قال : وما رَمَى عنه أحد ؟ قال : لا . قال : بمُسْ ماصنع ، يستغفر الله .

وسميت هذه الأيام أيام التشريق : لكثرة تشريق اللحم في الشمس فيها بعد تقطيعه وتقديده . وقيل لأن الهدايا والضحايا تقع فيها ، وابتدأوها من يوم النحر بعد شروق الشمس ، فانسحب عليها اسم التشريق . وهذا القول اختاره أبو عبيد القاسم بن سلام . واليوم الأول من هذه الأيام الثلاثة يقال له يوم القُرْ ، لأن الناس يَسْتَقِرُّون فيه بمنى ؛ وسُمي يوم الرؤوس أيضا ، لأن الناس يأكلون فيه رؤوس ذبائحهم يوم النحر . واليوم الثاني سُمي يوم النَّفَرِ الأول ، ويقال له يوم الأكارع . واليوم الثالث يقال له يوم النفر الآخر .

٣ - ما جاء في الدعاء إذا رمى الجمرتين الأوليين دون جرة العقبة

ورفع اليدين فيه

تقدم في فصل ركعتي الطواف ، وفصل ما يقال على الصفا والمروة ، ذكر دُعاء ابن عمر هنالك ، وعند رمى الجمرتين . وتقدم في الفصل قبله حديث أبي داود عن عائشة متضمنا ذلك .

وعن ابن عمر أنه كان يرمي الجرة الدنيا . وفي رواية التي تلى مَسْجِدَ مِنِّي بسبع حصيات ، يُكَبِّرُ على أثر كلِّ حَصَاة . وفي رواية : يكبِّرُ كلما رَمَى حصاة ، ثم يتقدم فيقوم مستقبل القبلة قِياما طويلا ، فيدعو ويرفع يديه ؛ ثم يرمي الجرة الوسطى كذلك ، فيأخذ ذات الشمال ، فيقوم مستقبل القبلة قِياما طويلا ، فيدعو ويرفع يديه ، ثم يرمي الجرة ذات العقبة من بطن الوادي ، ولا يقف عندها ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل . أخرجه البخاري . وأخرجه النسائي ، وقال : الجرة التي تلى المنحَر : مَنَحَرَ مِنِّي . وقال : ثم يتقدم أمامها . وفي الجرة الوسطى قال : ثم ينحر ذات الشمال .

وعنه أنه كان يقوم عند الجمرتين قدر ما كنت قارئاً سورة البقرة .

وعن أبي مجلز قال : رأيت عمر رَمَى الجرة ، ثم قام فأطال القيام .

وعنه قال : شَهِدْتُ ابنَ عمرَ عندَ الجُمرَينِ يَقولُ : اللهُ أَكْبَرُ واللهُ الحَمْدُ ، اللهُ أَكْبَرُ واللهُ الحَمْدُ ، اللهُ أَكْبَرُ واللهُ الحَمْدُ . لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحدهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ . اللَّهُمَّ اهْدِنِي بِالْهُدَى ، وَقِنِي بِالْتَّقْوَى ، وَاغْفِرْ لِي فِي الآخِرَةِ وَالْأُولَى ، وَهُوَ رَافِعُ يَدَيْهِ ، لَا يَجَاوِزُ بِهِمَا أُذُنَيْهِ ؛ وَأَلْحَقْ فِي دُعَايِهِ : اللَّهُمَّ أَتَمِّمْ لَنَا مَنَاسِكَنَا ، أَوْ أَصْلِحْ لَنَا مَنَاسِكَنَا ، شَكَ أَبُو بَجَلَزٍ . أَضْرَبَهُنَّ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن ابن عمر أنه كان يرمى الجمرة الدنيا بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة ، ثم يتقدم فيسهل ، فيقوم مستقبل القبلة قياما طويلا ، فيدعو ويرفع يديه ، ثم يرمى الجمرة الوسطى ، ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل ، فيقوم مستقبل القبلة ، ثم يدعو ويرفع يديه ، ويقوم طويلا ، ثم يرمى الجمرة ذات العقبة من بطن الوادي ، ولا يقف عندها ، ثم ينصرف ويقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل . أضربه البخاري ، وأضربه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس .

في هذا الحديث وفي الحديث قبله ، دلالة على رفع اليدين بالدعاء عند الجمرتين . وبه قال كافة العلماء ، واختلف فيه قول مالك . وقوله « فيسهل » . أى ينزل إلى السهل . يقال : أسهل القوم : إذا نزلوا من الجبل إلى السهل .

وعن ابن عباس أنه وقف عند الجمرتين بقدر سورة من الشّمع . أضربه الأزرقي . وعن ابن عمر أنه كان يقف عند الجمرتين وقفا طويلا حتى يَلْ التَّامَّ . أضربه مالك . وعن محمد بن الأسود قال : أدركت الناس يتزودون للماء في الإداوات إلى الجمار ، من طول القيام .

وعن ابن جريج [قال :] قال عطاء : إذا رميت قمت عند الجمرتين الشفليتين . فقلت : حيث يقوم الناس ؟ قال : نعم ، فدعوت بما بدا لك . ولم أسمع فيه بدعاء معلوم . قلت : أبلكم ذلك عن ثبوت . قال : نعم . وحق سنة على الرّاكب والراجل والمرأة والناس اجمعين ، القيام عند الجمرتين القصوين . أضربه الأزرقي .

وعن عبد الله بن عمرو قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند الجمرة الثانية ، أكثر مما وقف عند الجمرة الأولى ، ثم أتى جمرة العقبة ولم يقف عندها . أضربه أحمد .

٤ - ما جاء في الرخصة في ترك القيام عند الجمار يوم النفر

عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال : لا يُقام يوم النفر عند الجمار .

وعن ابن طاووس عن أبيه : لا يُقام يوم النفر عند الجمار إلا قياما خفيفا

أُمر به منصور .

وعن ابن جريج : قلت لعطاء : ألا يُقام عند الجمرة ^(١) [التي عند] العقبة ؟ قال :

لا . ولا يُقام ^(٢) عند شيء من الجمار يوم النفر . أُمِر به الأزرقى .

٥ - ما جاء في استحباب استكمال رمى أيام التشريق ، وأن يرمى الجمار ماشيا

عن ابن عمر أنه كان يأتي الجمار في الأيام الثلاثة بعد يوم النحر ماشيا ، ذاهبا

وراجعا ، ويخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك . أُمِر به أبو داود .

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رمى الجمار مشى إليها ذاهبا وراجعا .

أُمِر به الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وعنه أنه كان يرمى الجمرة يوم النحر راكبا ، وسائر ذلك ماشيا ، ويخبرهم أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك . أُمِر به أحمد .

قال مالك : وبلغني أن الخلفاء إنما كانوا يرمون على أرجلهم ، ذاهبين وراجمين .

قال القاسم : وأول من ركب معاوية بن أبي سفيان .

في الحديث الأول دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم استكمل الأيام الثلاثة ، وبه

صرح ابن حزم في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أقام بها يوم النحر ، وليلة القَرّ ويومه

وليلة النفر الأول ويومه ، وليلة النفر الثاني ويومه ، وهذه أيام التشريق ، وأيام منى .

٦ - ما جاء في استحباب الغسل للرمي

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يغتسل إذا رمى الجمار ، وكذا إذا راح إلى

عرَفة . أُمِر به أبو ذر .

(١) في م جرة . ومى سافطة من الأزرقى ، ولعله من اختلاف النسخ .

(٢) ما بين المعوقين عن الأزرقى ، وفيه : ألا يُقام عند جرة العقبة ولا عند شيء آخر . وقد سقط

جزء من جواب عطاء .

وعن سُلَيْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ : نظرنا عمرَ بن الخطاب في يوم النَّفَرِ الأول ، فخرج علينا وحيته تَطَرُّ ماء ، وفي يده حَصِيَّات ، وفي حُبْزَتِه حَصِيَّات ، يكبر في طريقه ، حتى رمى الجرة الأولى ، ثم مضى حتى انقطع من فَضْضِ الحصى ، حيث لا يناله حصى من رمى ، فدعا ساعة ، ثم مضى إلى الجرة الوسطى ، ثم الأخرى . أضرجه الأزرقى .
 شرح — الحُجْزَةُ : موضع شدِّ الإزار ، ثم اتَّسع فيه حتى أطلق على الإزار حُجْزَةً ، للمجاورة . والفَضْضُ : الحصى الكبير ، والفَضِيضُ : الحصى الصغير ، قاله ابن الأعرابي .

٧ — ما جاء في الرمي عن المريض

عن عطاء ، قال في المريض إذا لم يقدر على الطواف : يُطاف به ، ويُرْتَمَى عنه .
 وعن إبراهيم في المريض إذا لم يستطع رمي الجمار قال : يَحْمِلُ الجِمار ، فيؤْضَعُ الحصى في كفه ، فيرمي بها إن استطاع ، وإن لم يستطع فليُرْمَ بها من كفه عنه .
 وعن ابن طاووس قال : رميت عن أبي الجار وهو مريض . ورؤي من قوله : يُرْتَمَى عن المريض الجمار . أضرجه ذلك سعيد بن منصور .

٨ — ما جاء في الرخصة لرعاة الإبل ! ومن في معناهم في ترك رمي يوم إلى آخر
 عن أبي البَدَّاح^(١) بن عدي عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رَخَّصَ لرعاة الإبل أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً . أضرجه سعيد بن منصور ، وأبو حاتم بن حبان ، وسيأتي مستوفى في باب البيت ليالى منى .

٩ — ما جاء في كيفية قضاء الرمي لأهل العذر

عن عطاء عن رجل رمى جرة العقبة يوم النحر ، ثم خرج في إبله ، ثم جاء في آخر أيام التشريق ، قال : يرمى ما ترك ؛ قيل له : يرمى الجرة الأولى ثلاث مرات ، ثم الثانية كذلك ، ثم الثالثة كذلك ؟ قال : لا ، ولكن يرمى الجرة الأولى بسبع حصيات ، ثم الثانية بسبع ، ثم الثالثة بسبع ، ثم يرجع إلى الأولى ، بفعل ذلك ثلاث مرات ، فإن جاء في الليلة التي بعد النَّفَرِ الثاني رماها بالليل ، فإن طلع الفجر فلم يرم فعليه دم . أضرجه سعيد بن منصور .

(١) في خلاصة الخزرجي : أبو البداح بن عامر بن عدي .

هكذا ذكر في الليلة التي بعد النفر الثاني، فإن صح النقل فيكون قاس ذلك على الوقوف، يحمل حكم الليلة المعتقة لليوم حكمه؛ وإن أراد النفر الأول وغلط عليه بالثاني، فهو على المشهور في معية اليوم الليلة قبله، وحكم الوقوف ثبت في الشرع على خلاف الأصل؛ إلا أنه يشكل أيضا، فإن اليوم الثالث وقت لقضاء الرمي كليته، فلا وجه لوجوب الدم، فيبعد إرادة ذلك، والله أعلم.

١٠ - ما جاء في أول من رمى الجمار وسببه

عن علي بن أبي طلحة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رمي الجمار، فقال: الله ربكم تكبرون، وملة أبيكم إبراهيم تنبمون، ووجه الشيطان ترمون. أفرجه سعيد بن منصور.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ؛ ثم أتى به الجرة الوسطى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ؛ ثم أتى به الجرة القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ؛ فلما أراد إبراهيم أن يذبح إسحاق، قال لأبيه: يا أبة، أوثقي لا أضطرب، فينضخ عليك من دمي إذا ذبحتني، فشدّه، فلما أخذ الشفرة، فأراد أن يذبحه، نُودي من خلفه: «أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ حَدَّثَتِ الرُّؤْيَا». .

وفي رواية عن ابن عباس: أن الذبيح إسماعيل. وفيها: فالتفت فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين. قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكبش. وقال فيها: ثم ذهب به جبريل إلى منى، فقال: هذا ميناخ الناس. ثم أتى به جعرا، فقال: هذا المشعر الحرام. ثم ذهب به إلى عرفة. قال ابن عباس: هل تدري لم سُميت عرفة؟ قلت: لا. قال: لأن جبريل قال لإبراهيم: أعرفت؟ قال: نعم. قال ابن عباس: فمن ثم سُميت عرفة. أفرجه سما الإمام أحمد.

شرح — ساخ في الأرض : أى غاص فيها ، يقال : ساخ بسوخ وبسبخ .
وقد اختلف أهل العلم في الذبيح من هو ؟ والأكثر على أنه إسحاق . وقد تقدم ذكر ذلك في آخر باب النحر ، في فصل الاختلاف في الذبيح .

وعن مجاهد قال : لما قال إبراهيم عليه السلام : « رَبَّنَا أَرِنَا مَناسِكَنا » ، أمر أن يرفع القواعد من البيت ، ثم أرى الصفا والروة ، وقيل : هذا من شعائر الله ، ثم خرج به جبريل عليه السلام ، فلما مرَّ بجمرة العقبة إذا إبليس ، فقال له جبريل : كبر وارمه ؛ ثم ارتفع إلى الجمرة الثانية ، فقال له جبريل عليه السلام : كبر وارمه ؛ ثم ارتفع إلى الجمرة القصوى ، فقال له جبريل عليه السلام : كبر وارمه ؛ ثم انطلق إلى الشجر الحرام ، ثم أتى به عرفة ، فقال له جبريل : هل عرفت ما أريتك ؟ ثلاث مرات ، قال : نعم . قال : فأذن بالحج . قال : كيف أقول ؟ قال : قل : يا أيها الناس أجيئوا ربكم ، ثلاث مرات ؛ قالوا : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . فن أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ فهو حاج . أضرجه سعيد بن منصور ، والأزرقي .

وعن عبد الله^(١) بن مروان قال : بلغني أن الله عز وجل أمر إبراهيم (عليه السلام) ببناء البيت ، وأمر أن يتبع سحابة ، حتى انتهى إلى منى ، فعرض له إبليس مما يلي الجمرة التي تلى مسجد الخيف ، فقال : أين تريد ؟ قال : بيت ربي قال : أيها . تركت الطريق ، فقيل له : إن هذا إبليس ، فرماه بسبعة أحجار ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه ، ثم عرض له عند جمرة العقبة فرماه ، حتى أتى البيت ، فبناه هو وإسماعيل . أضرجه علي بن حرب الطائي بسنده .

فلا تضاد بين هذا وبين ما تقدم ، لجواز أن يكون ذلك وقع أولا لما توجه إلى البيت ، ثم وقع ثانيا لما فرغ من بنائه . ولهذا بدأ في هذه الرواية بالجمرة التي تلى مسجد الخيف ، لأنها أول ما لقيه ، وفي الأولى بدأ بجمرة العقبة ، لأنها أول ما لقيه حين توجه إلى المناسك .

(١) في م : عبد الملك .

قال ابن السكبي : وإنما سُميت الجمار جماراً ، لأن آدم عليه السلام كان يرمى إبليس ، فيجمر من بين يديه ، والإجمار : الإسراع .

١١ - ما جاء في استحباب زيارة البيت أيام منى ولياليها

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُفيض كل ليلة ، ورؤى في بعض الأيام . أنهره ابن حبان . واحتج بهذا الحديث من ذهب إلى استحباب ذلك ، ومنهم من اختار الإقامة بمنى ، لأنها أيام منى .

١٢ - ما جاء في عدد أيام منى ، وأنها أيام أكل وشرب

تقدم في فصل وقت الوقوف عن عبد الرحمن بن يعمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيام منى ثلاثة . أنهره أحمد وأبو داود . والمراد غير يوم النحر . وتقدم في فصل كراهة صوم يوم عرفة عن عتبة بن عاصم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام ، وهي أيام أكل وشرب ، وذكر الله تعالى . أنهره الترمذي ، وقال : حديث صحيح . وأنهره القاسم بن سلام ، وزاد : ويعال ، ولم يقل : وذكر الله تعالى ، ولم يذكر يوم عرفة .

وعن ابن عباس قال في قوله تعالى : « وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ » قال أيام التشريق . وقال في قوله تعالى « وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ » قال : أيام العشر . أنهره البيهقي .

١٣ - ما جاء في قصر الصلاة أيام منى لجميع الحاج

تقدم في فصول عرفة طرف منه .

وعن حارثة بن وهب الخزاعي ، وهو أخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لأمه ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، والناس أكثر ما كانوا ، فصلى بنا ركعتين في حجة الوداع . أنهره أبو داود ، وقال : حارثة من خزاعة ، ودارهم بمكة . وأنهره الترمذي ، وقال : حسن صحيح وكانت أم حارثة ، وهي أم كلثوم بنت جبر ، الخزاعي .

تحت عمر بن الخطاب ، فولدت له عبيد الله ، وكانت دار حارثة بمكة ، فلم يجز القصر لأهل مكة لقال حارثة: أتمننا نحن، أو قال لنا: أتموا. فنبت القصر لأهل مكة بمنى بالشنة، وقال بعضهم: ليس في قوله «فصلي بنا ركعتين» دليل على أن المكي يقصر الصلاة بمنى، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مسافرا بمنى، فصلى صلاة المسافر، ولعله لو سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته، لأمره بالإتمام. وقد يترك النبي صلى الله عليه وسلم بيان بعض الأمور في بعض المواطن، اقتصارا على ما تقدم من البيان السابق، وخصوصا في مثل هذا الأمر، الذي هو من العلم الظاهر العام.

وعن عبد الرحمن بن يزيد، قال: صلى عثمان بمنى أربعا، فقال عبد الله، يعني ابن مسعود: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، ومع عثمان صدرا من إمارته، ثم أتمها؛ ثم تفرقت بكم الطرق، فلوددت أن لي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين. قال الأعشى: حدثني معاوية بن قرّة، عن أشياخه، أن عبد الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أربعا، فقبل له عبت على عثمان ثم صليت أربعا؟ قال: الخلاف شر. أضره أبو داود، وأضره ما مختصرا ومطولا، وليس في حديثهما ما ذكره ابن قرّة عن ابن مسعود. وفيه دلالة على جواز ترك الأولى خوف الفتنة، ويكون هو الأولى، وكان إنكار ابن مسعود لما رأى عثمان رضي الله عنه ثم، كراهة خلاف ما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قبل. وصلاته خلفه أربعا دليل على أن إنكاره، ليس لأنه رآه خالف الفرض. وإنما خالف الفضل، ولو اعتقد أن الفرض ركعتان لم يسوغ لنفسه أن يصليها خلفه أربعا. وقوله «الخلاف شر» لأنه رأى أن الخلاف على الإمام فيما سبيله التخفيف والإباحة والتخيير شر. وقد أخذ بهذه الأحاديث مالك، فاختار القصر لأهل مكة بمنى، ولم يجزه الشافعي وأحد وأهل الرأي.

١٤ - ذكر سبب إتمام عثمان الصلاة بمنى

عن الزهري أن عثمان أتم أربعة ، لأنه أجمع على الإقامة بعد الحج .
وعنه قال : لما اتخذ عثمان الأموال بالطائف ، وأراد أن يقيم بها صلى أربعة . قال :
ثم أخذ به الأئمة بعده .

وعنه أن عثمان أتم الصلاة بمنى من أجل الأعراب ، لأنهم كثروا عامئذ ، فصلى
بالناس أربعة ، ليعلمهم أن الصلاة أربع . أخرجه ابن أبي داود ، وهذا منقطع ، لأن الزهري
لم يدرك عثمان . قاله المنذرى .

وعن إبراهيم النخعي قال : إن عثمان صلى أربعة ، لأنه اتخذها وطناً . وهذا
أيضاً منقطع .

ومن قال إن عثمان صلى من أجل الأعراب ، فيرده أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم
ركعتين ، وهو صلى الله عليه وسلم القدوة للأعراب وغيرهم . وكان الأعراب في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أجهل بأحكام الصلاة منهم في زمن عثمان ، وكان أمر الصلاة
في زمن عثمان أشهر من أن يخفى عددها . وأما من قال إنه أجمع على المقام بمكة بعد الحج ،
فيرده أن المهاجرين فرض عليهم ترك المقام بمكة ، ولا يقيم بها بعد قضاء نسكه سوى
ثلاث . وقد روى عن عثمان أنه كان لا يؤدع الناس إلا على راحلته ، ويسرع الخروج
من مكة ، خشية أن يرجع في هجرته . وأما من قال إن عائشة لما أتمت تأولت أنها
أم المؤمنين ، وأن عثمان تأول أنه إمامهم ، حيث حلا فكلنهما في منازلها ، فيرده أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى الناس بذلك ولم يتم . والختار في تأويل إتمامهما
أنهما اعتقدا في قصر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما خبر بين القصر والإتمام ، اختار
الأيسر على أمته ، وأخذاها بالأشد ، ورأياه الأكل عندهما .

١٥ - ذكر حُجة من قال : يجب الإتمام على غير الآفاق

عن عمر بن الخطاب أنه صلى للناس بمكة ركعتين ، فلما انصرف قال : يا أهل مكة ، أتموا صلاتكم ، فإننا قوم سَنَر ، ثم صلى ركعتين بمنى ، ولم يبلغنا أنه قال لهم شيئا .
أُضرب مالك .

وعن عطاء قال : قلت لابن عباس : أقصر الصلاة إلى عرفة وإلى منى ؟ قال : لا ، ولكن أقصر الصلاة إلى جذّة ، وإلى الطائف ، وإلى عُسفان ، فإذا قَدِمْتَ على أهل لك أو ماشية ، فأتمّ الصلاة . أُضرب سعيد بن منصور .

والقائل بهذا جعل قصره صلى الله عليه وسلم بعلّة السفر الطويل ، ويدل على ذلك قول عمر بمكة : إنا قوم سَفَر . وإنما لم يُعِدّه بمنى اكتفاء بالأول ، فإن المسافة لا تُقصر فيها الصلاة ؛ وقد نبّه على أن التقصر بعلّة السَفَر بقوله : فإننا قوم سَفَر ؛ ومن قصر مع النبي صلى الله عليه وسلم كان على عزم السفر .

١٦ - ما جاء في أنه لا الجمعة على أهل منى

عن عطاء قال : ليس على أهل منى جمعة ، إنما يقصون مناسكهم .
وعن ابن جريج قال : أراد إبراهيم بن هشام أن يصلي الجمعة بمنى ، فسبح به سالم بن عبد الله ، فصلّى الظهر . أُضرب سفيان بن منصور .

١٧ - ما جاء في التجارة أيام منى

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كانوا لا يتجرون في أيام منى وبوم عرفة ، فأنزل الله عز وجل : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ . . . » إلى آخر الآية . وقد تقدم في فصل حج المُسكاري من الباب الرابع ، عن ابن عمر ، أنها نزلت فيمن يواجر نفسه .

وعن مجاهد في قوله تعالى : « لَيْسَ لَهُمْ مَنَافِعَ لَهُمْ » . قال : الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا . أُضرب سعيد

١٨ - ما جاء في الخطبة في اليوم الأول من أيام التشريق

عن كعب بن عاصم الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَبَ بِمَعْنَى أَوْسَطِ أَيَّامِ الْأَضْحَى ، يَعْنِي الْفَدَمِنْ يَوْمِ النَّحْرِ . أَضْرَبَهُ الدَّارِقُطْنِي وَأَطْلَقَ عَلَيْهِ أَوْسَطَ لِمَا سَيَأْتِي فِي الْفَصْلِ بَعْدَهُ .

١٩ - ما جاء في الخطبة يوم النفر الأول لوداع الحاج

عن سَرَّاءَ بِنْتِ زَبْنَهَانَ ، وَكَانَتْ رَبَّةً بَيِّنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَتْ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الرُّمُوسِ ، فَقَالَ : أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : أَلَيْسَ أَوْسَطُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ . أَضْرَبَهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَسَرَّاءُ ، بَفَتْحِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ ، بَعْدَ هَارَاءِ مَهْمَلَةِ مُشْدَدَةِ مَفْتُوحَةِ مَمْدُودَةٍ : لَهَا صُحْبَةٌ . وَعَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي بَكْرٍ ، قَالَا : رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، وَنَحْنُ عِنْدَ رَاحِلَتِهِ ، وَهِيَ خُطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي خُطِبَ بِمَعْنَى . أَضْرَبَهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَأَفْضَلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا عَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، إِلَّا بِالْتَّقْوَى . أَبْكَفْتُ^(١) ؟ قَالُوا : بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَضْرَبَهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ سَبْرَةَ قَالَ : خُطِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، يَعْنِي يَوْمَ النَّفَرِ الْأَوَّلِ . أَضْرَبَهُ الدَّارِقُطْنِي .

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حُجَّةِ الْوُدَاعِ ، فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، أَلَيْسَ هَذَا الْيَوْمُ حَرَامًا ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنْ

(١) فِي م : أَلَا بَلَّغْتُ ؟

حُرِّمَتْكُمْ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْلَةِ ، كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ ، ثُمَّ [قَالَ] ^(١) أَنْبِئُو كُمْ [مَنْ لِلْمُسْلِمِ ؟] ^(٢) :
 الْمُسْلِمُ مِنْ سِلْمِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ لِسَانِهِ وَبَدَنِهِ . وَأَنْبِئُو كُمْ [مَنْ] ^(١) [الْمُؤْمِنُ ؟] [الْمُؤْمِنُ] ^(٢) :
 مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ . وَأَنْبِئُو كُمْ مَنْ الْمُهَاجِرُ ؟ الْمُهَاجِرُ : مَنْ هَجَرَ
 السَّيِّئَاتِ ، وَهَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ . وَالْمُؤْمِنُ حَرَامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَحُرْمَةِ هَذَا الْيَوْمِ ، لِحِمِّهِ عَلَيْهِ حَرَامٌ
 أَنْ يُخْرِقَهُ ، وَوَجْهَهُ عَلَيْهِ حَرَامٌ أَنْ يَلْطُمَهُ ، وَدَمُهُ عَلَيْهِ حَرَامٌ أَنْ يَسْفِكَهُ ، وَحَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ
 يَدْفَعَهُ دَفْعَةً تَمْنِيهِ . أَضْرَبَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ بِسَنَدِهِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ فِي مَثِيرِ الْفَرَامِ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ ،
 فَقَالَ : اتَّقُوا اللَّهَ ، وَصَلُّوا أَوْسَمَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا
 ذَا أَمْرِكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ . أَضْرَبَ أَبُو الْفَرَجِ فِي مَثِيرِ الْفَرَامِ ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ
 صَحِيحٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ فِي خُطْبَتِهِ جَيْنَ وَدَّعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَهُمْ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ ، قَالَ :
 وَهُوَ يَوْمُ الرَّءُوسِ ، وَرَوَى حَدِيثَ سَرَّاءَ بِنْتِ نَهْجَانَ فِي صَفَةِ الْحَجِّ الْكَبِيرِ ، وَقَالَ :
 لَمَّا صَحَّ أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الرَّءُوسِ ، فَهُوَ ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ ، يَجْمَعُ أَهْلَ مَكَّةَ . وَعَلَى هَذَا
 يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْأَوْسَطِ الْأَفْضَلُ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى . « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا »
 أَيْ خِيَارًا عَدُولًا ، وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ الدَّارِقُطِيِّ الْمَتَّقِمِ ، فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ ، فَإِنَّهُ فَسَّرَ الْأَوْسَطَ
 بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ ، وَحَدِيثُ الْبُخَارِيِّ الْمَتَّقِمِ فِي فَضْلِ يَوْمِ النَّحْرِ ، أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ ،
 جَلَّ وَعَلَا يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقُرْبَى ، وَيَتَأَيَّدُ بِأَنَّهُ مَعْنَى يَوْمِ الرَّءُوسِ الْيَوْمُ الَّذِي تَوَكَّلَ فِيهِ الرَّءُوسُ ،
 وَهُوَ إِنَّمَا تَوَكَّلَ فِي ثَانِي يَوْمِ النَّحْرِ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْأَضَاحِيِّ يَوْمَ النَّحْرِ ،
 وَيَقَاوُهَا إِلَى ثَالِثِ يَوْمِ النَّحْرِ يَوْجِبُ تَغْيِيرَهَا ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَهُمْ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْأَكَارِعِ .

وَخَرَّجَ الْمَلَّا عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ فِي حُجَّةِ

(١) مَا بَيْنَ الْمُعَرَّفَيْنِ : عَنْ مَثِيرِ الْفَرَامِ لابن الجوزي .

الوداع وهو على الجذعاء ، يتطاوّل ويقول : ألا تسمعون ؟ فقال رجل من آخر القوم :
ما تقول يا رسول الله ، قال : اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ، وَصَلُّوا رَحِمَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَذُوا
زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَاءَكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ .

ثم خطب خطبة في ثلثي أيام التشريق ، في أظهر الروايات وأصحها .

وذكر أبو سعد في شرف النبوة ، أن الروايات في خطبة الوداع كثيرة ، فمنهم من روى
الكلمة والكلمتين ، ومنهم من روى الحسكّم والحسكّين قال : ولا أعلم أحداً روى
الخطبة على وجهها . وأكثر ما روى فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجته
بمَنى ، بمعنى في أوسط أيام التشريق ، وهذا تصريح منسب إليه بأن الخطبة في أوسط أيام
التشريق كانت الوداع ، فيكون عنده على ما تقدم أنها كانت يوم النفر الأول ،
وتصريح من المألا أيضاً بأنه صلى الله عليه وسلم خطب يوم النفر الأول ، في أظهر الروايات .
وجملة الخطب في الحج أربع : خطبة يوم سابع الحجة ، وخطبة يوم عرفة ، وخطبة
يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الأول ، الوداع ، وقد تقدم ذكرهنّ مستوفى في فصل
خطبة يوم سابع الحجة ، وعلى رواية ابن حزم أنه خطب يوم الرؤوس ويوم الأكارع ،
فيكون خمسا . والله أعلم .

٢٠ - ما جاء في جواز تعجيل النَّفَر

تقدم في فصل وقت الوقوف من حديث عبد الرحمن بن يعمر : أيام منى ثلاثة ،
« فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه » . أخرجه أحمد .
وعن الحسن في قوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » . قال : لا إثم عليه في تعجيله في اليوم الثاني ، ولا إثم عليه في تأخيره
إلى اليوم الثالث .

وعن مجاهد في قوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ . . » الآية ، قال : كلهم مغفور لهم .
وعن إبراهيم مثل قول الحسن .

وعن ابن الزبير في قوله جل وعلا « وَالشَّعْرَ وَالْوَتْرَ » . قال . الشَّعْرُ أن يتمجّل في يومين والوتر أن يتمجّل في الثالث . أخرج الثلاثة سعيد بن منصور .

فإن قيل : كيف قيل : فلا إثم عليه بالتعجيل والتأخير جميعا ، ومعلوم أن التأخير أفضل ، وكان حقه أن يقال : فهو خيرٌ له ؟ قلنا : قيل ذلك دلالة على أن التعجيل والتأخير يخير الناسك بينهما ، فكأنه قال : فتأخروا إن شئتم أو تمجلوا . ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خيّر المسافر بين الفطر والصوم ، وإن كان الصوم أفضل . وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فريقين : منهم من جعل التمتع آثما ، ومنهم من جعل المتأخر آثما ، فنفى الإثم جميعا فيهما ، وقوله « لمن اتقى » أى ذلك التخيير ، ونفى الإثم عن التمتع والمتأخر ، لأجل المتقى ، لئلا يحتاج في قلبه شيء منهما ، فيحسب أن أحدهما يَكْسِبُ صاحبه إثمًا في الإقدام عليه ، لأن ذا التقوى حَذِرَ متحرز من كل ما يَرِيبه ، لأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله : قال شيخنا الإمام المحقق أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل الشامي : ويجوز أن يكون انتفاء الإثم على الإطلاق عن التمتع والمتأخر للمتقى ، حتى لا يتخيل أن من تقدم أو تأخر ينتفى عنه كل إثم .

قلت : ويجوز أن يكون انتفاء الإثم عنهما لمن اتقى في تمجيله أو تأخيريه ، حتى لو تمجّل لفضد محرم ، أو تأخر لذلك كان آثما .

إذا تقرر ذلك ، فجواز النفر الأول مشروط بشرطين : أحدهما أن ينفر قبل غروب الشمس من اليوم الثاني ، فإن غربت قبل أن ينفر ، لزمه المبيت ، ورعى اليوم الثالث . بشرط الثاني : أن ينفر بعد الزوال ، فإن نفر قبله ، قال المثنائي من أصحابنا لا يسقط عنه المبيت في الليلة الثالثة ، ولا رعى اليوم الثاني والثالث ، لأن ذلك إنما يسقط بنفر جائز ، وهذا غير جائز .

٢١ - ما جاء في فضل مسجد الخيف ، واستحباب الصلاة فيه

عن يزيد بن الأسود قال : شهدت الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فصلّيت معه الصبح بمسجد الخيف ، فلما قضى صلاته وانحرف ،

فإذا هو برجاين في آخر القوم لم يصليا معه ، فقال لها : ما منعكما أن تصليا معنا ؟ قالا :
لما صلينا في رحالنا . قال : إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة ، فصليا معهم ،
فإنهما لكما نافلة . أخرجه الترمذى . وأخرجه ابن حبان في كتابه التقاسيم والأنواع ، وزاد :
فأتى بهما ترعد فرائصهما ، فقال لها ... ثم ذكر ما بعده .

وعن خالد بن مضرئس أنه رأى مشايخ من الأنصار يتحرون مُصَلَّى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمام المنارة أو قريبا . أخرجه أبو ذر والأزرقي ، وقال : قال جدى :
الأحجار التى بين يدى المنارة ، هى موضع مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يزل يرى
الناس وأهل العلم يصلون هنالك . ويقال إنه مسجد الفيشومة ، فيه غيشومة أبدا خضراء ،
فى الجلب والخصب بين حجرين من القليلة ، وتلك الفيشومة قديمة لم تزل تم .
شرح — الفيشومة : نبت طويل دقيق محدد الأطراف ، كأنه الأسل ، تتخذ منه
الحصُر الرقاق ، والياء فيها زائدة .

وعن ابن عباس قال : صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا ، كلهم يخطمون بالليف .
أخرجه أبو سعد فى شرف النبوة ، والأزرقي ، وقال : قال مروان : يعنى رواحلهم .
وعن مجاهد قال : حج البيت خمسة وسبعون نبيا ، كلهم قد طاف بالبيت ، وصلى
فى مسجد منى ، فإن استطعت ألا تفوتك الصلاة فيه ، فافعل .
وعن عطاء قال : قال أبو هريرة : لو كنت من أهل مكة لأتيت منى كل سبت .
أخرجهما أبو سعد والأزرقي ، قال أبو سعد : وذكر أيضا أن قبر آدم بقرب المنارة .

٢٢ — ما جاء فى ذكر الغار الذى أنزلت فيه سورة المرسلات

عن عبد الله ، هو ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : بينا نحن مع النبى صلى الله
عليه وسلم فى غار بمنى ، أنزلت عليه والمرسلات عُرُفا ، وإنه ليتلوها ، وإنى لأتلقاها من
فيه ، وإز ، فاه لرطب بها ، إذ وثبت علينا حية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقتلواها ،
فابتدرناها فذهبت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وقيت شركم ، كما وقيت شرها .

أُخْرِجَ الْبَخَارِيُّ فِي بَابٍ مَا يَقْتُلُ الْحَرَمَ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَهَذَا الْفَارُّ مَشْهُورٌ بِمَنَى خَلْفَهُ
مَسْجِدَ الْخَلِيفَةِ نَحْوَ الْجَبَلِ ، عَمَّا يَلِي الْيَمِينَ ، كَذَلِكَ بِأَثَرِهِ الْخَلْفَ عَنْ السَّلَفِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٢٣ -- مَا جَاءَ فِي مَسْجِدِ الْكَبْشِ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا فَدَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
إِسْمَاعِيلَ بِالذَّبْحِ ، نَظَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِذَا بِالْكَبْشِ مِنْهَبِطٍ ^(١) مِنْ تَبِيرٍ ، عَلَى الْعِرْقِ
الْأَبْيَضِ الَّذِي عَلَى بَابِ شُعْبٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢) فَنَحَلَ إِسْمَاعِيلُ ، وَاسْمُ تَلْقَاءُ ^(٣) الْكَبْشِ
لِيَأْخُذَهُ ، فَخَادَعَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْصِلُ لَهُ وَيُرْدِيهِ ، حَتَّى أَخَذَهُ عَلَى الصَّفَا الَّذِي بِأَصْلِ الْجَبَلِ ،
عَلَى بَابِ شُعْبٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي يُقَالُ بَنَتْ عَلَيْهِ لُبَانَةٌ بَنَتْ عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبَّاسٍ الْمَسْجِدَ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَسْجِدُ الْكَبْشِ ، ثُمَّ اقْتَادَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى ذَبَحَهُ
فِي الْمَنْجَرِ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَذْكُرُ أَنَّهُ ذَبَحَهُ عَلَى ذَلِكَ الصَّفَا ^(٤) . ذَكَرَهُ الْأَزْرَقِيُّ .

٢٤ -- مَا جَاءَ فِي فَضْلِ السَّرْحَةِ الَّتِي بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ مِنْ مَنَى

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِمْرَانَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : عَدَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
وَأَنَا نَازِلٌ تَحْتَ سَرْحَةٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، فَقَالَ : مَا أَتْرَاكَ تَحْتَ هَذِهِ السَّرْحَةِ ؟ فَقُلْتُ : أُرِدْتُ
ظِلَّهَا ، فَقَالَ : هَلْ غَيْرُ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ مِنْ مَنَى ، وَتَفَسَّخَ بِيَدِهِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ ، فَإِنْ هُنَاكَ وَادِيَا
يُقَالُ لَهُ وَادِي الشَّرَرِ ، بِهِ سَرْحَةٌ سُرَّتْ تَحْتَهَا سَبْعُونَ نَبِيًّا . أُخْرِجَ مَالِكُ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ .
شَرَحَ — قَوْلُهُ « سُرَّتْ تَحْتَهَا » : أَيُ قُطِعَتْ سُرَّتُهُمْ . وَالشَّرَرُ : مَا تَقَطَّعَتْ الْقَابِلَةُ مِنْ
الْمَوْلُودِ ، وَالْبَاقِي بَعْدَ الْقَطْعِ يُقَالُ لَهُ الشَّرَّةُ ، وَالْمَقْطُوعُ الشَّرَرُ وَالشَّرُّ أَيْضًا بِالضَّمِّ . وَالْمُرَادُ
أَنَّهُمْ وَلِدُوا تَحْتَ تِلْكَ السَّرْحَةِ . وَالْمَوْضِعُ الَّتِي هِيَ فِيهِ يُسَمَّى وَادِي الشَّرَرِ ، بِضْمِ السَّيْنِ ،
وَقِيلَ يَفْتَحُهَا ، وَقِيلَ بَكْسَرُهَا ، وَالرَّاءُ مَفْتُوحَةٌ فِي الْأَحْوَالِ الثَّلَاثِ .

(١) الْأَزْرَقِيُّ : فَإِذَا الْكَبْشُ مِنْهَبِطًا . (٢) الْأَزْرَقِيُّ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) الْأَزْرَقِيُّ : يَتَلَقَّى . (٤) الْأَزْرَقِيُّ : أَفْيَصِرُ ، فِي مَكَانٍ ذَلِكَ الصَّفَا . وَهُوَ جَبَلٌ .

٢٥ - ما جاء في صوم أيام التشريق

عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما أنهما قالَا : لم يُرَخَّص في أيام التشريق بصوم إلا لِمُتَمَتِّع لم يجد الهدى . أخرجه البخارى ، وقد تقدم في فصل الفطر بعرفة ، أنها أيام أكل وشرب وبِعال .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه دخل على أبيه فوجده يأكل ، قال : فدعاني ، قلت له : إني صائم ، فقال : هذه الأيام التي نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيامهن ، وأمرنا بفطرهن . أخرجه مالك ، وقال : هي أيام التشريق .

٢٦ - ما جاء في اتساع منى للحاج ، ولم سميت منى ؟

عن أبي الطُّفَيْل قال : سَمِعْتُ ابن عباس يُسأل عن منى ويُقال له : عجبا لضيقه في غير الحج ! فقال ابن عباس : إن منى يتسع بأهله كما يتسع الرحم للولد .

وعن الكلبي أن ابن عباس ، قال : إنما سُمِّيَتْ منى لأن جبريل عليه السلام حين أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له : تَمَنَّ . قال : أتمنى الجنة ، فسُمِّيَتْ منى لِأَمْنِيَّتِهِ عليه السلام .

وعن عبد الله بن عمر بن مُطَرِّف ، عن أبيه قال : إنما سُمِّيَتْ منى لما يُمْنَى فيها من الدماء . أى يراق^(١) . أخرجه ابن الأزرقي .

وفي تسميتها منى وجه ثالث ، وهو أن العرب تسمى كل موضع يُجْتَمَع فيه منى . وهي من مكة على أربعة أميال :

(١) قوله : « أى يراق » ليس من كلام ابن مطرف ، وإنما هو من تفسير المؤلف . ومثله في تاج العروس . وفي الأزرقي : معنى : أى يقدر ، وهو تفسير آخر .

الباب الحادى والثلاثون

فى المبيت ليلالى منى

١ - ما جاء فى وجوب استكمال المبيت فى الليالى الثلاث

عن عائشة رضى الله عنها قالت : أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى منى ، فأقام بها ثلاثة أيام التثريق . أخرجه .

وعن أبى حُرَيْرَةَ أنه سمع عبد الرحمن بن قُرْظُوحَ يسأل ابن عمر قال : إنا نتبايع بأموال الناس ، فيأتى أحدنا مكة ، فيبيت على المال . قال : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بات بمنى ، وظل . أخرجه أبو داود .

وقوله : « فيبيت على المال » : يقال ، « بات يفعل كذا » : إذا فعله ليلا ، وظلّ يفعل كذا : إذا فعله نهارا ؛ ولا يقال اغير فعل النهار ظلّ ، كما لا يقال بات لغير فعل الليل . ويقال : طَفِقَ فيهما ، وقيل : يكون ظلّ يفعل : بمعنى دام .

وعن إبراهيم : لا بأس بأن يزور البيت ليلا ، ولكن لا يبيتين بمكة .

وعن عُرْوَةَ فى البيتوتة بمكة أيام منى قال : لا يبيتن أحد إلا بمنى . أخرجه .
المبيت ليلالى أيام منى واجب فى أصح قولى الشافعى ، ويجب بتركه فى الليالى الثلاث دم ، وفى ليلة ثلث دم . وعلى قول : مُدَّة ، وعلى قول : درهم . وهذه الأقوال جارية فى الحصة^(١) الواحدة ؛ وقال مالك فى ليلة واحدة دم . وقال أصحاب الرأى : أساء ولادم عليه . والمعتبر فى المبيت : السكون بمنى معظم الليل ، إذ المبيت ورد مطلقا ، والاستيعاب غير واجب اتفاقا ، فأقيم المَعْظَمُ مقام الكلّ ، ولا فرق بين أول الليل وآخره . وفى قول أن المعتبر السكون بمنى عند طلوع الفجر ، ومن حضر بها قبله ، فقد أدّى واجب المبيت ،

(١) أى فى ترك رضى حصة واحدة من السيم .

لأن القصد منه التعرّيج على شعار اليوم الذى يليه . وقول ابن عمر لاسائل : أمّا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بات وظلّ ، يدل على أنه لم يعذّره بذلك فى ترك المبيت ، وهذا إذا لم يخف على المال ، أو خاف وأمكنه استصحابه إلى منى ، أمّا إذا انتفى القيدان ، فلا يبعد إلحاقه بالرّعاء ، وسيأتى فى بيان حكمهم من كلام ابن عباس ما يدل على إلحاقهم بهم .

٢ - ما جاء فى حدود منى

عن ابن جُرَيْج قال : قلت لعطاء : ابن منى ؟ قال : من العقبة إلى وادى مُحَسَّر . قال عطاء : فلا أحب أن ينزل أحد إلّا من وراء العقبة إلى وادى مُحَسَّر . أخرجه الأزرقي . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال عمر : لا يبيتنّ أحد من الحاجّ وراء العقبة ، حتى يكونوا بمنى ؛ و [كان] ^(١) يبعث من يَدْخُل من ينزل من الأعراب وراء العقبة ، حتى يكونوا بمنى . أخرجه مالك والأزرقي .

وعن ابن عباس : لا يبيتنّ من وراء العقبة من منى ليلا .

وعن مجاهد مثله . أخرجه سعيد .

شرح - فى هذه الأحاديث دلالة على أن حَدَّ منى من وادى مُحَسَّر إلى جرة العقبة ، وليس وادى مُحَسَّر منه ، على ما تقدّم فى تفسيره . ومنى : شِعْبٌ طَوِيلٌ نحو ميّابن ، وعرضه يسير ، والجبال المحيطة به : ما أقبل منها عليه فهو من منى ، وما أدبر فليس من منى ، والعقبة التى تُنسب إليها الجزرة منه ، بدليل ما تقدّم . والظاهر أنها العقبة التى تُنسب إليها بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار ، إذ ليس تَمَّ عَقَبَةٌ أظهر منها . وعن يسار الطريقى لقاصد منى من مكة شِعْبٌ قريب منها ، فيه مسجد مشهور عند أهل مكة ، أنه مسجد البَيْعة ، وهو على نَشْرٍ من الأرض ، ويجوز أن يكون المراد بالعقبة ، ذلك النَّشْر ، وعلى الأول يكون قد نُسِبَ ذلك الموضع إليها لقربه منها .

(١) ما بين المعوفين من موطن مالك .

٣ - ما جاء في الرخصة لأهل السقاية في ترك المبيت

عن ابن عمر أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى ، من أجل سقايته ، فأذن له . أخرجه .
وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص لأهل السقاية من أهل بيته ، أن يبيتوا بمكة ليالي منى . أخرجه الشافعى .
الرخصة ثابتة لأهل السقاية اتفاقا ، وذهب بعضهم إلى أنها مخصوصة ببني العباس ، محتجًا بالحديث الثانى .

٤ - ما جاء في الرخصة في ترك المبيت لرعاء الإبل

عن أبي البداح بن عدى بن عاصم ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أرخص لرعاء الإبل في البيوتة : يرمون يوم النحر ، ثم يرمون الغد ومن بعد الغد ليومين ، ويرمون يوم النفر . أخرجه أبو داود .
ومعنى قوله : ويرمون الغد ومن بعد الغد ، أى يرمون لها في يوم النحر ، وقوله بعده ليومين : يدل على ذلك . وأخرجه الترمذى ، وقال : أن يرموا يوم النحر ، ويجمعوا رمى يومين بعد يوم النحر ، فيرمونه فى أحدهما ، قال مالك : ظننت أنه قال فى الأول منهما ، ثم يرمون يوم النفر ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه مالك ، وقال فى تفسيره : يرمون يوم النحر ، فإذا مضى اليوم الذى يليه ، رمى من الغد يوم النفر لليوم الذى مضى ، ثم ليومهم ذلك ، وذلك لأنه لا يقضى إلا ما وجب ، وهذا مغاير لما فسرهُ الترمذى .
وفسره البغوى بنحو مما فسرهُ الترمذى ، فقال : معنى قوله « يرمون الغد » ومن بعد الغد للغد ولما بعده . والمنصوص للشافعى أن من كان فى معنى الرعاء يلحق بهم ، وفى مطلق حديث ابن عمر المتقدم فى الفصل الأول ، ما يدل على خلاف ذلك ، وهو وجه عندنا .
واختلف العلماء فى تعيين اليوم الذى يُرمى فيه ، فمالك ذهب إلى ما فسرهُ ، وبه قال الشافعى ، وبعضهم قال : هو الخيار ، على ما فسرهُ الترمذى والبغوى ، وهؤلاء رخص

لهم أن يجمعوا رمي يومين من أيام التشريق في يوم واحد ، ولم يُرخص لهم في ترك يومين على التوالي ، فيرمون في الثالث . وقوله : ويرمون يوم النفر : يريد النفر الثاني ، وهو اليوم الثالث من أيام التشريق ، وهذه رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم للرعاة ، لأنهم يضطرون إلى حفظ أموالهم ، ولو أخذوا بالمبيت لضاعت أموالهم .
وأبو البداح : يقال إنه لقب له ، وكُتِبَ أبو بكر ؛ ويقال : أبو عمر ، وهو بفتح الباء الموحدة ، وتشديد الدال المهملة وفتحها ، وبعد الألف حاء مهملة . اهـ .

هـ - ما جاء في إلحاق مَنْ في معنى الرعاة بهم

عن ابن عباس قال : لا بأس إذا كان للرجل متاع بمكة يخشى عليه ، أن يبيت بها ليالي مَنى .

واختلف أهل العلم في المبيت بمكة ليالي مَنى لحاجة من حفظ ونحوه . فرُوي عن ابن عباس أنه لا بأس به ، كما تقرر آنفاً ، وفي كلام ابن عمر المتقدم في الفصل الأول من فصول هذا الباب ، ما يدل على المنع ، وللشافعي القولان ، والله أعلم .

الباب الثاني والثلاثون

في النفرة والتحصيل

١ — ما جاء في شرط جواز النَّفَرِ الأول

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: مَنْ غَرَبَتْ له الشمس من أوسط أيام التشريق وهو بمنى ، فلا يَنْفِرَنَّ حتى يَرِيَّ الجمار . أُخبر به مالك ، وأُخبر به البغوي عنه . وقال إبراهيم : إذا لم ينفِرْ حتى صَلَّيْتَ العصر من اليوم الثاني ، فلا يَنْفِرَنَّ حتى يَرِيَّ الجمرات . يعني بعد الزوال من الفد ، وهو مذهب داود . وقال أبو حنيفة : له أن يَنْفِرَ ما لم يَطْلُعَ الفجر . وعندنا له ذلك إلى الغروب ، فإن نَفَرَ بعد الزوال ، وقبل الغروب سقط عنه الرمي ، فلو عاد زائراً أو ماراً لم يلزمه ؛ ولو غَرَبَتْ وقد شَدَّ رَحْلَهُ لم يلزمه الخطأ ، ولو كان قد أخذ في التأهب للرحيل فوجهان . ولو نفر قبل الزوال ، فالحكم ما تقدّم في فصل التعجيل .

٢ — ما جاء في نزول الْمُحَصَّبِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، كانوا ينزلون الأبطح . أُخبر به مسلم .

شرح — أبطح الوادي ويطحّاه : حصاه اللين في بطن الوادي ، وهو المحصّب ، وهو خيف بني كنانة . والأبطح : مسيل واسع فيه دُقاق الحصى ، فإذا أردت المكان قلت الأبطح ، وإذا أردت البُقعة قلت البطحاء .

وعن نافع أن ابن عمر كان يرى التحصيل سنة ، وكان يصلي الظهر يوم النَّفَرِ الأول بالخصبة . أُخبر به .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، وقد سئل عن التحصيل فقال : النزول به سنة ،

فقيل له : إن رجلاً يقول : ليس بسنة ، فقال : كَذَب . أناخ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والمصر والمغرب والعشاء ، ثم رقد رَقْدَةً بِالْحَصْب ، ثم ركب إلى البيت ، فطاف به أفرجه البخارى فى باب طواف الوداع وغيره .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى : نحن نازلون غدا ، بخيف بنى كنانة ، يعنى بذلك الحَصْب . أفرجه .

وسن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت : يا رسول الله ! أين تنزل غدا ؟ فى حجة الوداع . قال : هل ترك عقيل منزلاً ؟ ثم قال : نحن نازلون بخيف بنى كنانة ، حيث تقاسمت قريش على الكفر ، يعنى الحَصْب .

وذلك أن بنى كنانة حالفت قريشا على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يبايعوهم ولا يؤوؤوهم ولا يبايعوهم ، حتى يُسَلِّمُوا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الزُّهْرَى : والخيف : الوادى . أفرجه ، وأبو داود ، واللفظ له ، والنسائى وابن ماجه .

وعقيل : هو بفتح العين المهملة ، وكسر القاف : أخو على بن أبى طالب وجعفر رضى الله عنهما ؛ وكنيته أبو زيد ، وقيل : أبو عيسى ، والأول هو المشهور . وكان طالبُ أَسَنَ منه ، وعلىٌ أحدثهم سِنًا ؛ وروى عقيل عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث ؛ واختص عقيل وطالب بمراث أبى طالب ، لأنه مات وهما كافران ، ولم يرثه على وجعفر ، لأنهما كانا مسلمين ؛ وهذا الحديث أصل فى ذلك ، وفقهاء الأنصار على ذلك . وحكى عن معاوية بن أبى سفيان ، ومعاذ بن جبل ، ومسروق ، والحسن البصرى ، وإبراهيم النخعى ، وإسحاق ، أن المسلم يرث الكافر ؛ وأجمعوا أن الكافر لا يرث المسلم ، ولعله صلى الله عليه وسلم أضاف المنزل إليه لسكنائه فيه ، وكان أصلها لأبى طالب ؛ لأنه كان كفلاً ، وكان أكبرَ وَلَدَ عبد المطلب عند موته ، فجاز أملاكه ، على عادة الجاهلية فى ذلك . ويحتمل أن عقيلًا باع جميع الأملاك كما فعل أبو سفيان وغيره بدور من هاجر

من المؤمنين، فباع عقيل ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولبن هاجر من بنى عبدالمطلب وقال بعضهم : في الحديث حُجَّةٌ أن من خرج من بلده مُسَلِّماً وبقي أهله ، وذلك في دار الكفر ، ثم غزاها مع المسلمين ، أن ما فيها من ماله وولده على حكم البلد ، كما كانت دار رسول الله صلى الله عليه وسلم على حكم البلد ، ولم ير نفسه أحق بها . وأجيب عنه بأن هذا الحكم لو كان بهذا المعنى ، لعلَّ به صلى الله عليه وسلم ، ولم يُعَلَّل بما تقدم ، من أنه لم يترك لهم عقيل داراً . وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ترك النزول بها وكرهه ، لأنه ترك ذلك حين هاجر لله تعالى ، فلم يرجع فيما تركه الله تعالى ، كما ذكر عن غير واحد من الصحابة في هذا . وقيل في قوله صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من دار ، دليل على بقاء دور مكة لأربابها . وقد اختلف في دور مكة ورباعها : هل هي مملوكة أم لا ؟ .

وقول أبي هريرة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ونحن بنى ، وقول أسامة إنه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع : لا تضادَّ بينه وبين ما روى من حديث أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين أراد حُتَيْناً : منزلنا غدا إن شاء الله تعالى بخَيْف بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر ، وحديثه الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : منزلنا إن شاء الله تعالى - إذا فتَحَ الله - الخيف ، حيث تقاسموا على الكفر . فإن النبي صلى الله عليه وسلم تكرر منه هذا القول في استقبال فتح مكة ، وهو أول أوقات غلبة دين الله تعالى على الكفر ، وتنسكيس راية الكفر بها ، ثم قاله حين أراد غزو هوازن بحنين ، ثم قاله في حجة الوداع . قال ذلك في الأوقات المذكورة ، شكراً لله تعالى ، وإظهاراً للدين وحكم الإسلام ، حيث تقاسموا على الكفر ، وحيث أظهر الكفر .

وعن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر رضى الله عنهما أنه كان يصلى الظهر يوم النَّفَر بمكة . وعن سميد بن جُبَيْر أنه كان يصلى الظهر بمِنَى يوم النَّفَر ، ويصلى إذا جاوز العقبة . أخرجهما سميد بن منصور .

في هذه الأحاديث دلالة على أن نزول الحَصْب سنة ، وبه صَرَّح ابن عمر . قال الخافظ

المنذرى : وهو مستحب عند جميع العلماء ، وينبى أن يصلى بها الصلوات التى صلاحها
النبي صلى الله عليه وسلم ، على ما سبق تقريره ، ويبى به قليلا ، ثم يدخل مكة للتوديع ،
ثم يذهب حيث شاء .

٣ - حُجَّة من لم ير التحصيب سنة

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ليس التحصيب بشىء ، إنما هو منزل نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : نزول الأبطح ليس بسنة ، إنما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان أسمع بخروجه . أخرجه ، وتفرد مسلم عنه بقولها :
ليس بسنة .

وعن أبى رافع قال : لم يأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل الأبطح
حين خرج من منى ، ولكنى جئت فضربت قبته ، فجاء فنزل . وفى رواية : وكان على ثقل
رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه . واسم أبى رافع إبراهيم ، وقيل أسلم ، وقيل ثابت ،
وقيل هريم ، رضى الله عنه . والثقل ، بفتح التاء المثلثة والقاف : متاع المسافر وحشمه .

وعن عروة أن عائشة كانت لا تحصّب هى ولا أسماء . أخرجه سعيد بن منصور .
التحصيب هو للتوديع على ما تقدم ذكره ، وهو خيف بنى كنانة ، وأخيف :
ما انحدر من الجبل ، وارتفع عن المسيل ، والحصبة بسكون الصاد ، وهى الحصب ، وهو
موضع بين مكة وبين منى ، ما بين الجبل الذى عنده مقبرة أهل مكة ، إلى الجبل الذى
بجانبه مُصْعِدَا فى الشق الآخر ، وأنت ذاهب إلى منى مرتفعا عن بطن الوادى ؛ وليست
المقبرة منه . وإنما سُمى الحصب لاجتماع الحصباء فيه ، وهو المعروف بالأبطح والبطحاء ،
وقد كانت قريش تقاسمت على بنى هاشم وبنى المطلب ، ألاّ يئامحروهم
حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ويمالئوا على مقاطعتهم ؛ وهذا الكفر المشار
إليه فى قوله صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات : حيث تقاسموا على الكفر . ونزوله
شكرا لله تعالى على ما منحه فيه من الظهور فيه على أعدائه ، الذين تقاسموا فيه على

قطيعته ومضرته . والنزول به مُسْتَحَبَّ عند أهل الحجاز، أو كدُّ منه عند الكوفيين^(١) يُجمعون على أنه ليس من المناسك ، وإليه الإشارة بقول ابن عباس : ليس التحصيل بشيء ، أى من المناسك ، وإنما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستراحة وقد صرحت عائشة بأنه ليس بسنة ، على ما تقدم عنها . وقولها « أسمح لخروجه » : أى أسهل لخروجه إلى المدينة ، ليجتمع الناس إليه مدة مقامه ، ثم يرحلوا لرحيله .

٤ - ذكر مده إقامة النبي صلى الله عليه وسلم في حجته من حين دخل مكة إلى أن خرج عنها

تقدم من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة عشرة . والإشارة إلى مدة إقامته في الحج بمكة ، وفي مواضع النسك . وذلك أنه دخلها صبيحة الأحد رابع ذى الحجة ، وارتحل ليلة الأربعاء رابع عشرها . وقد روى عن عمرو بن دينار أنه قال : سألت عروة بن الزبير : كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ؟ قال : عشرة . قلت : إن ابن عباس يزعم أنه أقام بضعة عشر . قال : كذب ابن عباس . قال : فمقته .

أضربه النساءى

قال ابن حزم : وفَّق عمرو في مقته عروة إذ كذب ابن عباس رضى الله عنه . والله إن حق ابن عباس على عروة لأوجب من حق عروة وجميع طبقته علينا ، وإن البون في الفضل والصدق بين ابن عباس وبين عروة وجميع التابعين ، لأبين منه بين عروة وجميع طبقته وبيننا ، ولكنها هفوة من عروة يتعمدها الله جل وعلا له ، وإيس قول ابن عباس هذا مخالفا لقول أنس ، ولكنه عنى غير حجة الوداع ، وأراد ، والله أعلم ، عام الفتح ، فتتفق الروايات ، وينتفى التعارض عنها ، والله أعلم .

(١) لعل الأصل : وهم أو وكلهم يجمعون .

٥ - ما جاء في مدة إقامة الحاج بعد قضاء نسكه

عن العلاء بن الحضرمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقيم المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثاً . أخرجه مسلم ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه أبو داود ، ولفظه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للمهاجرين : إقامة بعد الصدر ثلاثاً . وفيه دلالة على أنه يريد بالصدر صدر الناس آخر أيام منى ، بعد تمام نسكه ، فيقيم هو بعدهم لحاجة ، لا أنه يقيم بعد طواف الصدر ثلاثة أيام ، ويكتفي بما تقدم من طوافه عن طواف الوداع ، بل يعيده عند كافتهم ، إلا ما روى عن أصحاب الرأي . وهذا الحديث حجة لمن منع المهاجر من المقام بمكة بعد الفتح ، وهو قول الجمهور ، وأجاز جماعة ذلك مع الاتفاق على وجوب الهجرة قبل الفتح ، وجوب سكنى المدينة ، لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومواساتهم له بأنفسهم ، وفراراً بدينهم من الفتنة . وأما من آمن به بعد الفتح ، فلا خلاف في جواز سكناه بلده مكة أو غيرها .

٦ - ما جاء في استحباب ختم القرآن للحاج

عن إبراهيم قال : كان يعجبهم إذا قدموا مكة ألا يخرجوا حتى يَتَمُّوا القرآن . وعن أبي مجلز قال : كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة ، أن يحتم فيها القرآن قبل أن يخرج إلى المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد بيت المقدس . أخرجهما سعيد بن منصور .

٧ - ما جاء في استحباب التعجيل إلى الأهل

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السَّفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ، فإذا قضى أحدكم نَهْمته فليَمَجِّلْ إلى أهله . أخرجه . ونَهْمته ، النِّهْمَة : بلوغ الهمة في الشيء ، ومنه النَّهْمُ من الجوع . وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قضى أحدكم حَجَّه فليَمَجِّلْ إلى أهله ، فإنه أعظم لأجره . أخرجه الدارقطني .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْثَلَاثُونَ

فِي طُرُقِ الزَّوَارِعِ

١ - ما جاء في وجوبه ووقته ، والتوسعة على الحائض في تركه

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الناس ينصرفون في كل وجه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينفِرَنَّ أحدٌكم حتى يكون آخرُ عهده بالبيت . أُنْهِرَ بِهِ مُسْلِمٌ . وعنه قال : أمر الناس أن يكون آخرُ عهدهم بالبيت ، إلَّا أنه خَفَّفَ عن الحائض . أُنْهِرَ بِهِ الْبُخَارِيُّ . قال طاووس : وسمعت ابن عمر يقول : إنها لا تنفِرُ ، ثم سمعته بعدُ يقول : إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ لَهَا . أُنْهِرَ بِهِ الْبُخَارِيُّ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : حاضت صفية ليلة النفر ، فقالت : ما أُرَانِي إلَّا حَابِسْتُمْكُمْ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : عَقَرَى حَلَقِي ! أطافت يوم النحر ؟ قيل : نعم . قال : فأنفِرِي . أُنْهِرَ بِهِ مُسْلِمٌ .

وقوله عَقَرَى حَلَقِي : قيل معناه : عَقَرَهَا اللَّهُ وَحَلَقَهَا ، أَيْ أَصَابَهَا بَوَجَعٍ فِي حَلَقِهَا ، كَمَا يُقَالُ رَأْسُهُ وَقَادَهُ ، وَيُقَالُ : حَلَقْتَهُ : إِذَا أَصَبْتَ حَلَقَهُ ، وَوَجَعْتَهُ : إِذَا أَصَبْتَ وَجْهَهُ . قال الخطَّابِيُّ : هَكَذَا يُرْوَى عَلَى فَعَلِي ، وَقِيَاسُهُ فِي الْكَلَامِ عَقَرًا حَلَقًا ، كَمَا يُقَالُ : تَعَسَّأَ وَنَكَسَّأَ ، عَلَى مَذْهَبِ الدُّعَاءِ ، يَعْنِي عَقَرَهَا اللَّهُ عَقْرًا . وقيل : ما روى هو الصحيح ، ومعناه : جعلها الله عَقْرَى حَلَقِي . وقيل : هو دعاء عليها بأن تصير عاقرا لئلا تلد . وأما حَلَقِي فَيُقَالُ : أَصْبَحْتُ أُمُّهُ حَلَقِي ، أَيْ ثَاكِلا ، حَتَّى تَخْلُقَ شَعْرَهَا . وعلى الوجوه كلها ، فهو دعاء لا يُرَادُ بِهِ وَقُوعُهُ ، بَلْ هُوَ عَادَةٌ بَيْنَهُمْ ، كَقَوْلِكَ : لَا أَبَاكَ ، وَتَرَبَّتْ يَمِينُكَ . ونحو ذلك .

وعن عِكْرَمَةَ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَآخَرِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْمَرْأَةِ تَحِيضٍ بَعْدَ الزَّيَارَةِ

في يوم النحر ، بعد ما طافت ، فقال زيد : يكون آخر عهدها الطواف بالبيت . وقال ابن عباس : تنفر إن شئت ، فقال الأنصار : لا نقابُك يا بن عباس وأنت تخالف زيدا ، فقال : اسألوا صاحبكم أم سليم . قالت : حضت بعد ما طُفْتُ بالبيت يوم النحر ، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنفر ؛ وحاضت صفية ، فقالت لها عائشة : الخيبة لك ، إنك لحابستنا . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : مروها فلتنفر . أضرِبِ أحمد . وفي هذه الأحاديث دلالة على وجوب طواف الوداع على غير الحائض ، وهو أصح قولي الشافعي ، ويجب بتركه دم . ويتحقق الترك بمجاوزة مسافة القصر ، فإن جاوزها استقر الدم ، وانقطع التدارك ، ولا يُغنيهِ العود . وقد روى أن عمر رضى الله عنه ردَّ رجلا وامرأة كانا قد سارا يومين أو أياما ، ليكون آخرُ عهدهما بالبيت . أضرِبِ سعيد . وهذا دليل على أن التدارك يحصلُ عنده ولو جاوز مسافة القصر . ومذهب الشافعي ما ذكرناه ، تقريبا على قول الوجوب . أما إذا لم يجاوز مسافة القصر ، إلا أنه جاوز خِطَّة مكة ، فالمنصوص للشافعي أن عليه العود ، ويكون متداركا .

روى عن عمر رضى الله عنه أنه ردَّ رجلا من مرَّ الظَّهران لم يكن ودَّع البيت . أضرِبِ الشافعي . وفيه قول أنه ينقطع التدارك . والقول الآخر أن طواف الوداع يُستحب ، فلا يجب بتركه شيء ، ولا يجب العود على من خرج ولم يُودَّع ، وهو قول عروة بن الزبير ، ومذهب مالك : أما الحائض فيجوز لها تركه ولا دم عليها ، وبه قال علماء الصحابة والتابعين ، والأوزاعي ، ومالك ، وأصحاب الرأي ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ؛ وما روى عن ابن عمر فقد روى عنه الرجوع عنه . وروى عُمَرَةُ بنت عبد الرحمن ، أن عائشة كانت إذا حجت ومعهما نساء تخاف أن يحضنَ قَدَمَتَهُنَّ يوم النحر ، فأفضنَ ، فإن حضن بعد ذلك لم يُنتظرَ بهن أن يطهرن ، بل تنفِرَ بهن وهُنَّ بُيَّض . أضرِبِ البغوي في الشرح .

وهذا الوجوب إذا قلنا به ، فإنما هو على غير المسكى إذا لم ينو الإقامة ، أما المسكى ومن نوى الإقامة فلا وداع عليه ، وسواء نوى الإقامة بعد النفر أو قبله ، وسواء نوى

الإقامة مدة أو متوطنا ، ذكره المُنْذِرِيُّ ، وبه قال أبو يوسف . وقال أبو حنيفة : إن نواه بعد أن حل له النفر الأوَّل ، لم يسقط عنه طواف الوداع . وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « آخر هذه » : تنبيهه على الوقت ، وأنه لا يُعْرَج على شيء بعده ، فلو عُرِج على شد الرِّحال ، فهل يُحْتَمَل ذلك ؟ فيه وجهان : أما لو اشترى في طريقه زادا أو متاعا ، أو حضرت صلاة مكتوبة فصلّاها ، فلا يلزمه الإعادة ، ويُجْزئُه ما جاء به : ورُوي عن عطاء أنه قال : إذا ودَّع وحَضَرَت صلاة مكتوبة فصلّاها ، يعجبه أن يعيد الوداع . وهذا على وجه النَّدْب ، وهو ظاهر من سياق لفظه .

٢ - ما جاء في أن الحائض لا تُعْذَر ، وأن طواف الإفاضة لا يُجْزئُ .

عن طواف الوداع

عن الحارث بن عبد الله بن أوس ، قال : أتيت عمر بن الخطاب ، فسألته عن المرأة تطوف بالبيت يوم النحر ، ثم تحيض : قال : ليكن آخر عهدا بالبيت . فقال الحارث : كذلك أفتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فقال عمر أُرِيتَ عن يدك ، سألتني عن شيء سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكيا أخايف . أُنهرهم أبو داود والنسائي . قال المنذرى : وإسناده حسن . وأُنهرهم الترمذى بإسناد ضعيف ، وقال : غريب .

والحارث بن عبد الله بن أوس الثقفى ، ويقال الحارث بن أوس : سكن المدينة ، وقيل : حجازى سكن الطائف ، له صحبة . وقوله : « أُرِيتَ عن يدك » قيل : معناه ذهب مافى يدك ، حتى تحتاج ، حكاه الهروى ، وضعفه غيره . وقيل : سقطت أَرَأُكَ من اليدين خاصة ، وفيه أيضا نظر . وقد جاءت فى هذا روايات منها أنه قال : تَرَبَّتْ يداك ؛ وفى أخرى : لا أم لك ، وفى أخرى : خَرَزْتَ من بين يدك . وفى أخرى : أُرِيتَ على يدك ، وفى أخرى إخرِرْ من يدك ، على الأمر . وفى أخرى : حررت من يدك . قال بعضهم : رواية تَرَبَّتْ يداك : وَهْمٌ ، لخالفه الأئمة لراويها ، وإنما وهِمَ لكثرة سماعه لِتَرَبَّتْ يداك ، ولا يلىق بعدل عمر وكون الحق معه ، أن يدعو على صحابى بذهاب

مافى يديه ، أو بسقوط يديه ، بسبب سؤال سألَه ، وقد سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن معناه : أصابك خَجَلٌ إذا أردت أن تخجلنى ، بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه يقال للخَجَلِ : سَقَطَ عَنْ يَدِهِ ، كما يقال للنادم : سَقَطَ فى يده ، قال : وهو مشهور فى لسان الفارسية أيضا .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : إن الحائض تجعل آخر عهدا بالبيت : يعنى أنها تصبر حتى تطهر وتطوف . أضرهم البغوى ، وقال : وقيل إن ذلك على سبيل الإضمار : أى إذا كان فى الوقت مُهْلَةً . أما إذا أعجلها السير ، فلها أن تنفر بلا وداع . والمشهور عن الجمهور : ماتقدم ، والعمل عليه عند عامة أهل العلم ، كما وصفنا . وقالت طائفة : لايجل لأحد أن ينفر حتى يطوف طواف الوداع ، ولم يمدروا فى ذلك حائضا ولا غيرها ، ذكره الطحاوى . ولعل هؤلاء لم تبلغهم السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ - ما جاء فى طواف الوداع على المعتبر

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حج هذا البيت أو اعتمر ، فليكن آخرُ عهده بالبيت . فقال له عمر : خَرَرْتَ من يديك ، سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تخبرنا به . أضرهم الترمذى ، وقال : حديث غريب . وفى الحديث دلالة على استواء الحج والعمرة فى طواف الوداع ، إيجابا واستحبابا .

٤ - ما جاء فى أجزاء طواف العمرة عن الوداع

عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم انتظرها فى منزله بالحصب ، حتى قضت عمرتها من التنعيم فى جوف الليل ، ثم أذن فى أصحابه بالرحيل ، فخرج فرًّا بالبيت ، فطاف به قبل صلاة الصبح ، ثم خرج إلى المدينة . أضرهم مسلم . وقال البخارى : فأتيا ، يعنى عبد الرحمن وعائشة ، فقال : فرغتما ؟ قلت : نعم . فنادى بالرحيل فى أصحابه ، وارتحل الناس ، ومن طاف بالبيت قبل صلاة الصبح ، ثم خرج موجِّها إلى المدينة . وبوب عليه

باب : إذا طاف طواف العمرة ثم خرج ، هل يجزئه من طواف الوداع ؟ والظاهر من تبويب البخاري أنه فهم من قول عائشة : « ومن طاف قبل صلاة الصبح » إرادة نفسها وأخيها ، وقد كانا طافا قبل صلاة الصبح طواف العمرة ، فيكون ذلك دليل قول الاستحباب ؛ إذ لو كان واجبا لما اُندرج في غيره . وبشكل بطواف العمرة ، فإنه يندرج في طواف الحج . ويحجب عنه بأنه خلاف الأصل ، خرج بدليل ، فلا يُلحق به غيره ، تقايلا لمخالفة الدليل ؛ ويجوز أن يكون الزائد الواو لا غير ، ويكون من بدلا من الناس ؛ وأما من لم يُطَف فلم يرتحل حتى طاف للوداع . وقولها : « فر بالبيت ثم خرج إلى المدينة » . وسياق هذا اللفظ يشعر بأنه خرج من كُدَى إلى المدينة ، وأن الرحيل قبل التوديع .

وذكر ابن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف للوداع سَجَرًا قبل الصبح يوم الأربعاء ، ثم خرج من كُدَى من أسفل مكة ، من الثنية السفلى ؛ والتقى بعائشة وهو ناهض إلى الطواف المذكور ، وهي راجعة من تلك العمرة التي اعتمرت مع أخيها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بالرحيل ، ومضى من فوره ذلك راجعا إلى المدينة . وكانت مدة إقامته بمكة وخروجه لعرفة ، وإيابه منها ، عشرة أيام ، أولها يوم الأحد رابع ذى الحجة ، وآخرها يوم الثلاثاء ثالث أيام التشريق ، وارتحل يوم الحادي عشر يوم الأربعاء ؛ وعلى ذلك ينزل حديث أنس : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكننا نصل ركعتين ركعتين ، حتى رجعنا إلى المدينة . قلت : أقمت بها سِتًّا ؟ قال : أقمت بها عشرة : يعني ما تقدم ذكره ، لا أنه أقام بنفس مكة عشرة . والله أعلم .

وهذا يدل على أن الرحيل كان بعد الوداع ، ولعل الأمر بالرحيل وقع منه مرتين : مرة قبل الوداع ، فلما خرج من كُدَى تفقد أصحابه ، فرجع إلى المنزل وهو المحصب ، فأمر من بقى بالرحيل ، شفقة عليهم ، ورفقا بهم ، صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يَرْمُلْ في طواف الوداع ، وذكر أنه حَاقَّ بمكة في دخوله وخروجه ، لأنه بات بذي طُوًى ، ثم نهض منها إلى أعلى مكة ، فدخل مكة ، ثم نزل بأعلى مكة ، فلما خرج خرج من كُدَى أسفل مكة ، عند ذي طُوًى ،

بقرب شعب الشافعيين ، ثم حاقَ منها إلى المحصَّب ، وكأنه حلقٌ بدائرة داخلا وخارجا ، ويشبه أن يكون ذلك منه ، والله أعلم ، ليحصل لكل جهة منها نصيب من بركته ، حتى لا يختص بها جهة دون جهة ؛ أو يكون صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تنقداً للأما كن وتردداً في الآثار أو غير ذلك . وعلى هذا ، فيجوز أن يكون مر بالحصَّب فرأى فيه من لم يرحل ، فأمره بالرحيل وهو على نهوضه وسيره الأول ، فيصدق عليه أنه رحل ، ومر بالبيت ، وخرج من الثنية السفلى إلى المدينة من فوره ، وأمر بالرحيل قبل الوداع وبعده ، ولا تضاد بين الروايات .

٥ - ما جاء في دعاء الوداع بعد الطواف في الملتزم

عن مجاهد قال: إذا أردت أن تغفر ، فادخل المسجد ، فاستلم الحجر ، وطُف بالبيت سبعاً ، ثم أت المقام ، فصل خلفه ركعتين ، ثم اشرب من ماء زمزم ، ثم أت ما بين الحجر والباب ، فألصق صدرك وبطنك بالبيت ، وادع الله عز وجل ، واسأل ما أردت ، ثم عد إلى الحجر فاستلمه ، ثم انفر .

وعن إبراهيم ، قيل له : بأي شيء يكون آخر عهده بالبيت ؟ قال : بالحجر .
أنهرهما سعيد بن منصور . قال الشافعي : أحبُّ إذا ودَّع البيت أن يقف في الملتزم ، وهو ما بين الركن والباب ، فيقول : اللهمَّ البيتُ بيتك ، والعبدُ عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمِّتك ، حَمَلْتَنِي عَلَى مَا سَخَرْتَ لِي مِنْ خَلْقِكَ ، حَتَّى سَيَّرْتَنِي فِي بِلَادِكَ ، وَبَلَغْتَنِي بِنِعْمَتِكَ ، حَتَّى أَعْنَتَنِي عَلَى قِضَاءِ مَنَاسِكَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ رَضِيتَ عَنِّي ، فَارْزُدْ عَنِّي رِضَاءً ، وَإِلَّا فَن الْآنَ قَبْلُ أَنْ تَفْأَى عَن يَبْتِكَ دَارِي ، هَذَا أَوْأَنْ أَنْصَرَفَ إِنْ أَذِنْتَ لِي ، غَيْرَ مُسْتَبَدِّلُ بِكَ ، وَلَا بَيْتِكَ ، وَلَا رَاغِبُ عَنكَ ، وَلَا عَن بَيْتِكَ . اللهم فأضحِ بِنِي العافية في بدني ، والعِصْمَةَ في ديني ، وأحسن مُنْقَلَبِي ، وارزقني طاعتك ما أبقيتني . أنهرهم البيهقي وغيره .

٦ - ما جاء في أدعية الحاج إذا رجع إلى أهله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غزوٍ أو حجٍّ أو حمرة ، فملاً فدفدًا من الأرض أو شرفًا ، كَبَّرَ ثَلَاثًا ، ثم قال : لا إله إلا الله ،

وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آثِبُونَ نَائِبُونَ، عَابِدُونَ سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ. صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. أخرجه الترمذی، وقال: حسن صحيح. وأخرج مسلم معناه، وقال: ساجدون، مكان: سائحون. وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ». اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبَرِّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيقَةُ فِي الْأَهْلِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ، وَسَوْءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْأَهْلِ. وَإِذَا رَجَعَ قَاهِنٌ. وزاد: آثِبُونَ، نَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ. أخرجه مسلم.

شرح — قوله «آثِبُونَ...» إلى آخره: دليل على جواز السَّجْعِ في الدعاء والكلام، إذا كان بغير تكلف؛ والمنهَى عنه من ذلك ما كان باستعمال وَرَوِيَّةٍ، لأنه يشغل عن الإخلاص، وأما ما ساقه الطبع، وقُدِّفَ به قوة الخاطر، فباح في كل شيء.

ومعنى آثِبُونَ: راجعون. ووَعَثَاءُ السَّفَرِ: مشقة وشدة، وأصله من الوَعَثِ الرَّمْلُ، والمشي فيه يشتد على صاحبه، يقال: رَمَلَ أَوْعَثَ، ورَمَلَةٌ وَعَثَاءٌ. والكَّآبَةُ: تمير النفس بالانكسار، من شدة الهم والحزن، يقال: كَتَبَ كَآبَةً، واكْتَأَبَ، فهو كَتِيبٌ، ومُكْتَتِبٌ. والمعنى أن يرجع من سفره بأمر يحزنه.

٧ — ما جاء في الدعاء للحاجِّ إذا قَدِمَ، وسؤال الدعاء منه

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول إذا قدم الحاج: قَبِلَ اللَّهُ نُسُكَكَ، وأَعْظَمَ أَجْرَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ. أخرجه سعيد بن منصور.

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا لَقِيتَ الْحَاجَّ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَصَافِهِ، وَمُرَّه أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ. أخرجه أحمد.

الباب الرابع والثلاثون

في ما على من ترك نسكاً

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من نسي شيئاً من نُسكِهِ ، أو تركَهُ ، فليُهِزِقْ دِماً . أضرِبْهُ مالِكُ والشافعي والدارقطني ، والبيهقي .

وفيه دلالة على استواء حكم القصد والنسيان ، في ترك المأمورات ، بخلاف المحظورات ، فإن النسيان في ارتكابها عُذر عندنا ، ما لم يكن إطلافاً ، على ما تقدم تقريره في فصله ، من باب المحظورات .

وعنه قال : كل حَدَثٍ كان بعد عَرَفة فعليه دم ، وقد تَمَّ حَجُّهُ . أضرِبْهُ سعيد ابن منصور .

والظاهر أنه يُريد كلَّ حَدَثٍ في ترك مأمور ، كما تقدم في الحديث الأول ، وإلا فالجَماع بعد الوقوف وقبل التَّحَلُّل الأول ، يَفْسُدُ به حَجُّهُ ، إلا أن يكون ذلك مذهبه ، وهو قول أبي حنيفة .

وجملة أفعال الحج تنقسم إلى أركان ، وواجبات غير أركان ، وسُنَن مُسْتَحَبَّات . فالأركان أربعة : الإحرام ، والوقوف بعرفة ، وطواف الإفاضة ، والسَّعْي . وإذا قلنا : الخَلْقُ نُسْكٌ ، وهو الأصح ، فقد قطع المِراوِزة من أصحابنا بأنه ركن خامس ، على هذا القول ؛ وادعى إمام الحرميين في كتابه النِّهاية أنه متفق عليه ، ولعله يريد بين أصحابه المِراوِزة . وأهل العراق عَدَّوه من جملة الواجبات ، فيكون مُجْبُوراً بالدَّم ، وإنما فواته بالموت ، فيجب الدم حينئذ . وحكم الركن أنه لا يتم الحجُّ إلَّا به ، ولا يُجْبَرُ بدم ولا غيره ، وليس منها مُؤَقَّتُ الابتداء والانتهاؤُ إلَّا الوقوف . وقد تقدم الكلام في كل ركن في موضعه مُسْتَوْفَى .

وأما الواجبات المحبورة بالدم فسته ، وبالحلق على قول أهل العراق سبعة . الأول : الإحرام من الميقات . الثاني : رمى الجمار ، متفق عليهما ؛ وقال ابن الماجشون من أصحاب مالك : رمى جمرة العقبة ركن . الثالث : الجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة . الرابع : المبيت بمزدلفة . الخامس : المبيت ليالي منى . السادس : التحلق . السابع : الوداع . وفي الخمس قولان للشافعي . والأصح الوجوب ، وقد تقدم ذكر كل واحد منها في بابه . وحكما : أن من ترك شيئا منها فعليه دم ، كدم التمتع .
أما الشئ المستحبّات فما سوى ما ذكرناه ، مما تقدم ذكره من المسنونات ، وهَيَّات الأركان والواجبات وصفاتها . وحكما : أنه لا يجب بتركها شيء .

١ - ما جاء أين تكون الفدية الواجبة في النسك ؟

عن عطاء أنه كان يقول : ما كان من دم فبمكة ، وما كان من طمأ أو صيام ، فحيث شاء .

وعن مجاهد قال : أقلّ الفدية حيث شئت . أخرجهما سعيد .
وعندنا أن تفرقة الطمأ تختص بالحرم أيضا ؛ أما الصوم فحيث شاء .

البَابُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ

في المهدى

١ — ما جاء في فضل الهدى

عن الأسود بن هلال قال : هاجرت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،
فقدمت بابل لى ، فأقتها فى الشوق ، ثم دخلت المسجد ، فإذا عمر يخطب ويقول : أهدوا ؛
فإن الله يحب الهدى ؛ فخرجت وقد تعلق بعمق كل بعير رجل ، فبغت فأصبت سوقا .

٢ — ما جاء فيما يهدى من الأنعام

عن جابر حديثه الطويل ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى مئة من الإبل .
وذكر ابن حزم أن هديه كان هدى تطوع ، ولا أعرف له مخالفا .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية
فى هداياه جملا كان لأبى جهل ، فى أنه بُرَّةُ فِضَّة ، قال ابن منال : برة من ذهب .
قال : يفيظ بذلك المشركين . أنهزم أبو داود وأبو ذر .

وفى هذا دلالة على جواز الذَّكْرِ فى الهدى . وروى عن ابن عمر أنه كان يكرهه ،
ويرى أن يهدى الإناث . والبُرَّةُ : حلقة تجعل فى أنف البعير ، وربما كانت من شعر ،
وأصلها بُرْوَةٌ ، بزنة فَرْوَةٍ^(١) ، وجمعها : بُرَيْنَ وَبُرَى وَبُرَات ، بضم الباء . وفى هذا
دلالة على جواز استعمال الذهب والفضة فى مثل ذلك . وقوله « يفيظ بذلك المشركين » :
لأنه كان يُعرَفُ بأبى جهل ، فأخذته صلى الله عليه وسلم فى سَلَبه ، وكان يسوءهم أن يرواه
فى يده وصاحبه قتيلا سَلِيب .

(١) لا أعلم من أين أتى المؤلف بضمط البروة بوزن فروة ، والفروة مفتوحة الفاء ؛ ولعلها مخرفة عن : عروة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه كان يُهْدَى في الحجَّ بَدَنَتَيْنِ ، وفي العمرة بَدَنَةً . أخرجه مالك .

وعن جابر رضى الله عنه قال : ذَبَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَقَرَةً يوم النحر . وفي رواية : في حجته . وفي رواية : نحر عن نسائه . أخرجه بطريقه . وفي رواية : نحر عن عائشة بقرة في حجته : أخرجه مسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر عن أزواجه بَقَرَةً في حجة الوداع . أخرجه النسائي ، ورواه ابن حزم في حجة الوداع الكبرى عنه .

وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر عن آل محمد في حجة الوداع بقرة واحدة . وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح عن اعتمر من

نسائه بقرة بينهن . أخرجه أبو داود والنسائي . وفيه دلائل على جواز اشتراك الجماعة في الذبيحة الواحدة . وفيه حُجَّةٌ على الشَّعْبِيِّ حيث قال : على القارن بدنة ، لأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كنَّ قارنات . وحُجَّةٌ على داود حيث قال : لا شيء على القارن .

وقد تقدم في باب النحر ، في ذكر التضحية بمنى من حديث عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ضَحَّى عن نسائه بالبقرة . ولا تعارض بين هذه الروايات كلها ، فإن حديث أبي هريرة .

« ذَبَحَ عن اعتمر من نسائه بَقَرَةً » : يجوز أن يكون المراد بمن اعتمر جملة نسائه ، ويكون من للبيان ، لا للتبميز ، ويكون المراد بالعمرة العمرة التي فسخوا بها الحج .

ومعنى « من اعتمر » : أى تحلَّلَ بعمرة ، وكلهن فعلمن ذلك حتى عائشة ، على أحد التأويلات ، على رواية من روى أنها أقبلت مُهَلَّةً بحج ، وكلهن كن كذلك إما مفردات .

أو قارنات ، على اختلاف الروايات ، وكان حيضها على هذا التأويل ، بعد فسخاها الحج إلى العمرة ، وقبل تحللها منها ، فإِذْ لَكَ اِمْتَنَعَ تحللها منها ، وحزنت لذلك وبكت ،

وتمنت أن لم تكن خرجت مع الناس ذلك العام ، ظنا منها امتناع الحج عليها لذلك ، فلما شكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، أخبرها أنه لا يضرها ، وأمرها أن تُردفها بالحج ، ومن عداها من صواحبتها تحلل من تلك العمرة ، وأهل بالحج . وعلى هذا

فتكون البقرة عهن واجبة على سبيل الاشتراك ، ويكون دليلا لمن أجاز أن يشترك أكثر من السبعة في البدنة والبقرة ، وإن اختلف الموجب في حقهن ، فمن سوى عائشة وجب عليه الهدى ، بسبب التمتع بالعمرة التي فسّخن بها الحج ، وعائشة وجب عليها بسبب إرداف ، العمرة التي فسّخت بها الحج قبل تحللها منها ، ويكون حكم القرآن على رواية من روى أنهم كن قارنات قد رُفض ، وسقط اعتباره بالفسخ ، وصار الحكم لما خوطب به ثانيا من التمتع في حقهن ، والقرآن في حقها . وقال ابن حزم : البقرة نُحِرت عن سوى عائشة ، لأنهن كن متمتعات ، يعنى بما ذكرناه من الاعتبار من فسّخ الحج بالتحلل بعمل عمرة ، والتمتع بمحظورات الإحرام ، إلى وقت الإحرام بالحج ؛ وأما عائشة فلم يكن عليها شيء ، لأنها كانت قارئة ، وعنده أن القارن لشيء عليه ؛ وهو قول داود ؛ ويستدلون بما روت عائشة : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤافين هلال ذى الحجة ، وكنت فيمن أهل بعمرة . فخرجنا حتى جئنا مكة ، وأدركني يوم عرفة وأنا حائض ، لم أحل من عمرتي ، فشكوت ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : دعي عمرتك ، وأنقض رأسك ، وامشعى وأهلي بالحج . قالت : ففعلت ، فلما كان ليلة الحصة ، ثم ذكرت عمرتها فيها مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر . . الحديث ، وسيأتي في باب نسكها والاختلاف فيه . ثم قالت : فنفى الله حجنا وعمرتنا ، ولم يكن في ذلك هدى ولا صدقة ولا صوم . أمر به مسلم . ثم قال : وفي هذا دلالة ظاهرة على أنها لاحظت لها في البقرة ، وأنها عن صواحبها دونها ، وأنه لشيء على القارن .

فت : وما ذكرناه من التأويل أولى ؛ وما استدل به من الحديث لا تصرح فيه بأنه لشيء على القارن ؛ أما على رواية من روى أنها كانت مفردة للحج ، إلى أن تحلّت منه ، ثم اعتمرت بعد ذلك مع أخيها كما قررناه ، فظاهر لا إشكال فيه ، وأما على رواية من روى أنها كانت قارئة أو مهلة بعمرة ، فعدم الوجوب لعلة كان بسبب أنها لم تنو تمتعا ولا قرانا ، بل أتت بصورة التمتع أو القرآن ، دون قصد إليه ، فلا يجب بذلك شيء ، وهو مذهب أهل العراق من أصحاب الشافعي ؛ أو يكون ذلك خصيصا لها . وقد استوفينا

الكلام في ذلك في باب نسكها واختلاف الروايات فيه ، وسيأتي . وعلى هذا كله يكون قول أبي هريرة « عمن اعتمر من نسائه » : أى فسخن بالعمرة ، على ما قرّرناه ، وكلّهن فعلن ذلك إلا عائشة ، على الخلاف المذكور ، ويكون أفرادها بالبقرة في الرواية الأخرى ، محمولاً على التضحية عنها بها ، فإنه قد روى أنه صلى الله عليه وسلم نحى عن نسائه بالبقرة ، ويحمل ذلك على التسوية بينهما في ذلك ، وهو اللائق به صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك الموطن ، واجتماعهن فيه ، وهو المشرّع ، وليس في اللفظ ما يصرح بالتخصيص ، والجمع ممكن ، فوجب المصير إليه ، وكانت البقرة المشتركة بينهما هدياً واجباً ، وإلى هذا قال ابن حزم .

قلت : ولوقيل بتخصيصها بذلك لم يبعد ، فقد اشتهر تخصيصها بأمر ، منها ما كان برضاها ، كالتمريض في بيتها ونحو ذلك ، ومنه ما ليس برضاها ، كالبداية في التخيير ، وتقرير إهداء الناس إليه في يومها ، وإقراره كفعله ، ونحو ذلك . ولو قال من أثبت إهلالها أولاً بالعمرة : إنها المرادة بمن اعتمر من نسائه ، لم يبعد ذلك ، إذ لم يُرو أن أحداً منهن أهلّ أولاً بالعمرة غيرها ، ويكون أفرادها بنحر البقرة بسبب ذلك ، لأنها انفردت بسبب موجب ، وهو القران ، لأنها أردفت الحج على عمرتها ، وهن لما اشتركن في سبب غيره أشرك بينهن ، ويكون في ذلك أيضاً تخصيص وتفضيل ، لأن الواجب في ذلك شاة ، أو سُنْبُعُ بَدَنَةِ أو بَقَرَة ، كما فَعَلَ في حق صواحبه . وقولها « ذبح عن آل محمد بقرة » : يجوز أن تريد بالآل الأزواج ، ويكون معنى الحديثين واحداً ؛ وآل الرجل : أهله . ويجوز أن تريد أهل بيته ، وتكون غير البقرة التي ذبحها عن نسائه . وهذا توفيق بين الأحاديث كلّها من غير أن يكون بينها تضادٌّ ولا تنافٍ . والله أعلم .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى مرةً إلى البيت غنماً ، فقلدها . أخرجه .

وروى أن حكيم بن حزام لما حج في الإسلام ، أهدى مئة بدنة قد جَلَّلَها بالحِبر ، وكفها عن أعجازها ؛ وأهدى ألف شاة ، ووقف بمئة وصيفٍ بعرفة ، في أعناقهم أطواق

الفِضة ، منقوش فيها : عُمَارة الله عن حكيم بن حزام . وكان حكيم قد أعتق في الجاهلية مئة رَقَبَة ، وحمل على مئة بعير ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم ، فقال : يا رسول الله ، [أَرَأَيْتَ^(١)] أشياء كفت أفعالها في الجاهلية ، أُنَحْنَثُ بِهَا ؛ ألي فيها أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلمت على ما أسلفت من خير . وعاش حكيم هذا مئة وعشرين سنة ، ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام . وكان مولده قبل عام الفيل بثلاثة عشر^(٢) سنة ، أو اثنتي عشرة سنة . وولد في الكعبة ، ولا يُعْهَدُ أَحَدٌ وُلِدَ في الكعبة غيره ، وتأخر إسلامه إلى عام الفتح ، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية ، سنة أربع وخمسين ، رحمه الله . ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب .

٣ - ما جاء في اختيار الهدى

عن هشام بن عروة عن أبيه ، أنه كان يقول لابنه : يَا بَنِيَّ ، لَا يُهْدُ أَحَدُكُمْ لَهِدَةً تَعَالَى مِنَ الْبُذْنِ شَيْئًا بَسْتَحْيِي أَنْ يَهْدِيَهُ لَكَرِيمِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ الْكَرَمَاءِ ، وَأَحَقُّ مِنْ اخْتِيرَ لَهُ . أَضْرِبْهُ مَالِك .

وعن نافع أن ابن عمر سار فيما بين مكة طَلَى نَاقَةَ بُخْتِيَّةَ ، فقال لها : بَخِ بَخِ ، فَأَعْجَبَتْهُ فَزَلَّ عَنْهَا ، وَأَشْعَرَهَا وَأَهْدَاهَا . أَضْرِبْهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور .

شرح - بَخِ بَخِ : هي كلمة ، يقال عند المدح والرضا بالشئ . وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون ، فإن وُصِلَتْ جُرَّتْ وَنَوَّزَتْ ، فَقُلْتُ بَخِ بَخِ . وَرَبَّمَا شُدَّتْ . وَبَخَبَخَتْ الرَّجُلُ : إِذَا قُلْتَ لَهُ ذَلِكَ . وَمَعْنَاهَا تَعْظِيمُ الْأَمْرِ وَتَفْخِيمُهُ . وَالْبُخْتِيَّةُ : الْأُنْثَى مِنَ الْجَمَالِ الْبُخْتِ ، وَالذَّكَرُ بُخْتِي .

٤ - ما جاء في سنّ الهدى

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : فِي الْعَيَا وَالْبُذْنِ الشَّيْءُ فَمَا فَوْقَهُ . أَضْرِبْهُ مَالِك .

(١) ما بين المقوفين زيادة من الاستيعاب ، طبعة حيدر آباد سنة ١٣١٨ ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) الصواب : ثلاث عشرة .

وقوله « الثنى فما فوقه » : هو من المقر ماله سنة تامة ، ومن البقر ماله سنتان ، ومن الإبل ماله خمس سنين . ولا يُجزئ من هذه الأصناف شيء إلا الثنى فما فوقه ، كما في الحديث . وأما الضأن فيُجزئ منه الجذع ، وهو ماله ستة أشهر . وقال الزهري لا يُجزئ الجذع . وقال الأوزاعي : يُجزئ الجذع من جميع الأجناس . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كره الجذع في الهدى ، يعنى من الإبل .
أُهرم سعيد بن منصور .

٥ - ما جاء في إهداء الذكّر

تقدم في الفصل الأول حديث جمل أبي جهل دليلا على ذلك . وسيأتى من حديث ابن عمر أنه أهدى بُحْتِيًّا .
وعن سعيد بن المسيّب أن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما سئل عن الذكّر من الإبل يُهدى . قال : لا بأس^(١) .
وعن نافع قال : ما رأيت أحداً أهدى جَمَلاً إلا عمر بن عبد العزيز ، فإنه أهدى بُحْتِيًّا : أُهرمهما سعيد بن منصور .

٦ - ما جاء في تقليد الهدى ، وإشعار البُدن والبقر ، وفي أى جانب يشعرها
تقدم في الفصل قبله تقليد النعم .

وعن المسور بن مخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بناقته ، فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن ، وسَلَتَ الدَّمَ ، وقلّدها نعلين ، ثم ركب راحلته ، فلما استوت به على البَيْدَاءِ أَهَلَ بالحِج . أُهرم مسلم . وقال أبو داود : وسَلَتَ الدَّمَ عنها بيده . وفي رواية : بأصبعه .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قلّده نعلين ، وأشعر الهدى في الشق الأيمن بذي الحُلَيْفَةِ ، وأماط عنه الدم . أُهرم النسائي والترمذى ،
وقال : حسن صحيح .

(١) في م لا : بأس به .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قَتَلْتُ قَلَانِدَ هَذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
ثُمَّ أَشْعَرَهَا وَقَلَدَهَا . أَضْرِبْهُ الْبُخَارِيُّ .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه أَهْدَى هَذِيًّا مِنَ الْمَدِينَةِ ، قَلَدَهُ وَأَشْعَرَهُ بِذِي
الْحَلِيفَةِ ، فَقَلَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُشْعِرَهُ ، وَذَلِكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْقِبْلَةِ ، يَقْلُدُهُ
بِنَعْلَيْهِ ، وَيَشْعُرُهُ مِنَ الشَّقِّ الْأَيْسَرِ ، ثُمَّ سَاقَ مَعَهُ ، حَتَّى يَقِفَ بِهِ مَعَ الْغَاسِ بِعَرْفَةٍ . ثُمَّ يَدْفَعُ بِهِ
مَعَهُ إِذَا دَفَعُوا ، فَإِذَا قَدِمَ مَعِي غَدَاةَ النَّجْرِ ، نَحَرَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ أَوْ يَقْصُرَ . وَكَانَ هُوَ
يَنْحَرُ هَذِيَهُ بِيَدِهِ ، وَيَصْفُفُهُنَّ قِيَامًا ، وَيُوجِّهُهُنَّ إِلَى الْقِبْلَةِ ، ثُمَّ يَأْكُلُ وَيُطْعِمُ أَضْرِبْهُ مَالِكُ .
وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قَتَلْتُ قَلَانِدَ بُذْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِيَدِي ، ثُمَّ أَشْعَرَهَا وَقَلَدَهَا ، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْبَيْتِ ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ ، فَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ
شَيْءٌ كَانَ لَهُ حَلَالًا . أَضْرِبْهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ .

وعنها : كُنْتُ أَقْتُلُ الْقَلَانِدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقْلُدُ الْغَنَمَ ، وَيُقِيمُ فِي أَهْلِهِ
حَلَالًا . وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَا قَتَلْتُ قَلَانِدَهَا مِنْ عَيْنٍ كَانَتْ عِنْدِي . أَضْرِبْهُ الْبُخَارِيُّ :

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لَنَا وَلِأَحَدٍ عَلَى مَالِكٍ ، وَأَبَى حَنِيفَةَ فِي تَقْلِيدِ الْغَنَمِ ، غَيْرَ أَنَّهُمَا
تَقْلُدُ خُرْبَ (١) الْقَرْبِ ، وَتَقْلُدُ الْإِبِلُ نَعْلَيْنِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ . وَالْإِشْعَارُ يَخْتَصُّ بِالْإِبِلِ
وَالْبَقَرِ ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي السَّنَامِ ، وَالْغَنَمُ لَا سَنَامَ لَهَا . وَقَالَ مَالِكٌ : إِذَا كَانَ لِلْبَقَرِ أَسْنَمَةٌ
أَشْعَرَهَا ، وَإِلَّا فَلَا ، وَهُوَ الْأَقْيَسُ عِنْدِي . وَلَعَلَّ مَنْ خَالَفَهُ بَنَى الْأَمْرَ عَلَى الْغَالِبِ ،
وَالْإِشْعَارُ : أَنْ يَشُقَّ أَحَدُ جَنْبَيْ سَنَامِ الْبَدَنَةِ أَوْ الْبَقَرَةِ ، حَتَّى يَسِيلَ دَمُهَا ، وَيَجْعَلَ ذَلِكَ
عَلَامَةً لِكُونِهَا هَذِيًّا كَمَا فِي الْقَلِيدِ . وَذَهَبَ مَالِكٌ إِلَى أَنَّهُ يَكُونُ فِي الْأَيْسَرِ ، كَمَا أَخْرَجَهُ .
وَعِنْدَنَا أَنَّهُ يَكُونُ فِي الْأَيْمَنِ ، كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِتْبَاعِ
أَوَّلَى مِنْ فَعَلَ ابْنُ عُمَرَ . وَقَدْ رَوَى الْبَغَوِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَبَالِي فِي أَيِّ شَقِّينِ أَشْعَرَ ،
وَبِهِ قَالَ أَحْمَدُ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْإِشْعَارُ مُحَرَّمٌ ، وَالْحَدِيثُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ :
لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَنْكَرَ الْإِشْعَارَ إِلَّا أَبَا حَنِيفَةَ ، وَخَالَفَهُ صَاحِبَاهُ ، وَقَالَا يَقُولُ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ .

(١) جَمَّ خُرْبَةً بَوَازِنَ مَرُوءَةٍ وَمَعْنَاهَا .

٧ - ما جاء في التسمية والتكبير عند الإشمار

عن ابن عمر أنه كان إنما طعن في سنام هديه وهو يشعره ، قال : باسم الله ، والله أكبر . أخرجه مالك .

٨ - ما جاء في سوق الهدى من الميقات

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ساق معه الهدى من ذى الحليفة . أخرجه البخاري .

٩ - ما جاء في اشتراء الهدى من الطريق

عن نافع أن ابن عمر أحرم بالحج والعمرة من البئداء ، ثم اشترى الهدى من قديذ . ثم قدّم فطاف لها طوّافا واحدا ، ولم يحلّ حتى أحلّ منهما جميعا . أخرجه البخاري .

١٠ - ما جاء بالوقوف بالهدى بعرفة

عن ابن عمر أنه كان يقول : الهدى ما قلّد وأشعر ووُفّ به بعرفة . أخرجه مالك .
وعنه قال : كل هدى لم يشعر ويقلّد ، ولم يُفَضَّ به من عرفة ، فليس بهدى ، إنما هي ضحايا .

وعن سعيد بن جبّير قال : لا يصالح ما لم يُعرّف من البُدن والبقر ؛ فليعرّف كلّ من ساق معه بدنة .

وعن عائشة - وقد سُئِلَتْ عن التعريف بالهدى - فقالت : عرّفوا به ، فقالوا : لا نستطيع . فقالت : ما استطعتم أن تُعرّفوا به فعرّفوا ، وإن لم تستطيعوا فاعقلوه بمنى . أخرجه الثلاثة .

١١ - ما جاء فيمن لم يرّ وجوب التعريف

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لمن شئت أن تعرّف بالهدى ، وإن شئت فلا تعرّف به ، إنما أحلت الناس السيّاق مخافة السرّ .

وعن عطاء وطاؤوس قالوا : لا يضرك أن لم نعرف بالبدنة : أضرهم سعيده
ابن منصور

١٢ - ما جاء في تحليل الهدى ، والتصدق بجلاله

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه كان يُجَلَّلُ هَذِيهِ الْقَبَاطِيُّ وَالْأَنْمَاطُ وَالْحُلَلُ ،
ثُمَّ يَبْعَثُ بِهَا إِلَى الْكُفَّةِ ؛ فَيَكْسُوها إِيَّاهَا . وقد تقدّم هذا الحديث وشرحه في باب
كُسوة البيت .

وعنه أنه كان لا يَشُقُّ جِلَالُ بُذْنِهِ ، وَلَا يُجَلِّلُهَا حَتَّى يَفْدُو مِنْ مَنَى إِلَى عَرَفَةَ . أضرهم ماله .
وعنه أنه كان لا يَشُقُّ مِنَ الْجِلَالِ إِلَّا مَوْضِعَ السَّامِ ، وَإِذَا نَحَرَهَا نَزَعَ جِلَالَهَا ، مَخَافَةَ
أَنْ يُفْسِدَهَا الدَّمُ ، ثُمَّ يَتَصَدَّقُ بِهَا . أضرهم البخاري .

وعنه أنه كان يكسو بُذْنَهُ رِيَاطًا ، وَلَا يَشُقُّ وَسَطَهَا ، وَلَا يَخْرِقُهَا ، وَيَبْسِكُهَا كَمَا
يُبْسِكُ الْبَزَّ ، وَلَا يُمْلِفُهَا عَلَيْهَا إِلَّا عَشِيَّةَ يَرُوحُ بِهَا ، وَيَخْلَعُهَا عَنْهَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْعَرَهَا ، لِئَلَّا
تَتَلَطَّخَ بِالدَّمَاءِ ، وَيَتَصَدَّقُ بِهَا . أضرهم أبو ذر .

وعن عليّ عليه السلام ، قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتصدق
بِجِلَالِ الْبُذْنِ الَّتِي تُنْحَرَتْ وَبِجُلُودِهَا . أضرهم البخاري .

نزع - الرِّيَاطُ : جَمْعُ رِبْطَةٍ ، وَهِيَ كُلُّ مُلَاةٍ لَيْسَتْ بِلَفِيقَيْنِ . وقيل : كل ثوب
رقيق لين ، والجمع رِبْطٌ وَرِيَاطٌ . وَيَبْسِكُهَا : أَيِ يَشُدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالْعُسْكَومُ :
الْأَحْمَالُ وَالْفَرَارِثُ الَّتِي تُجْعَلُ فِيهَا الْأَمْتَةُ ، وَاحِدُهَا : عِمْ ، بِالْكَسْرِ .

١٣ - ما جاء في التصديق بجميع لحوم الهدايا إذا نحر

عن عليّ عليه السلام قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقوم على
بُذْنِهِ ، وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْوِهَا وَجُلُودِهَا وَأَجِلَّتِهَا ، وَأَلَّا أُعْطِيَ الْجِزَارَ مِنْهَا شَيْئًا . قال :
نحن نعطيه من عندنا . أضرهم مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يُخَيِّرُ المساكين ، فيقول : إن شئتم أعطيتُ الجزَّارَ من سَقَطِهَا وأَكَارِعِهَا ، وأعطيتكم ثَمَنَهُ ، وإن شئتم أعطيتكم سَقَطِهَا وأَكَارِعِهَا ، وأعطيت الجزَّارَ دَرَاهِمَ .

وعن إبراهيم أنه كان يكره أن يُباعَ مَسَكُ الهَدْيِ . وقال : مَسَكُهُ مِنْهُ ، وَلَكِنْ يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ . أَضْرَمَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

شرح — الْمَسَكُ ، بفتح الميم ، وسكون السين : الجلد .
وقوله في الحديث الأول : « لا أعطى الجزَّار منها شيئاً » : فيه دلالة على أن ما ذُبح من الهَدْيِ لا يجوز أن يُباعَ شيء منه ، لأن ما يُعْطَى الجزَّارُ في مُقَابَلَةِ عَمَلِهِ ، في معنى البيع . أما لو أراد أن يتصدق على الجزَّار بشيء سوى أجرته ، جاز . هذا قول أكثر أهل العلم .
وقال الحسن : يجوز أن يُعْطِيَ الجزَّار الجِلْدَ .

١٤ - ما جاء في قسمة لحوم الهدايا

عن علقمة قال : بعث معي عبدُ الله بهْدًى ، وأمرني إذا نحرته أن أتصدق بثلثه ، وأوكل ثلثه ، وأرسل إلى أهل أخيه عُتْبَةَ ثلثه .

وعنه قال : بعث ابن مسعود بهْدًى إلى البيت ، مع الأسود بن يزيد ، وعُبَيْدَةُ السَّعْمَانِي ، فأمرهما إذا قدما مكة أن ينحرا ويتصدقا بثلث ، ويبيعنا إلى أقاربنا بثلث ، ويأكلوا أو يطعموا من شاءوا ثلثا .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يهْدِي سن بُذْنِهِ إلى بنيهِ وأهلِهِ وناسٍ كان ينزل عليهم بمكة ، لاحتاجة بهم إليه . أخرج الجميع سعيد .

جواز الأكل من الهَدْيِ مَخْتَصٌ بِالْمَطْلُوعِ ، هَذَا كَانَ أَوْ أَضْحِيَّةً . وقال مالك : لا يأكل من فدية الأذى وجزاء الصيد ، وما نَذَرَهُ لِلْمَسَاكِينِ ، وَيَأْكُلُ مِمَّا سِوَاهُ . [وقال أحمد : لا يأكل من المنثور ، ولا من جزاء الصيد ، ويأكل ما سِوَاهُ^(١)] .

(١) ما بين المعرفين زيادة من م وحدها .

وقال أبو حنيفة : يأكل من دم التمتع والقِران وهَذَى التطوع ، ولا يأكل مما سواه ،
وقال عطاء : لا يأكل من جزاء الصيد ، ولا ما جعله للمساكين والنذور ، ولا من الغنّة ،
ويأكل مما سوى ذلك .

وعن الحسن قال : يؤكّل من ذلك كله . أنهره سعيد .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لا يؤكّل من جزاء الصيد والمنذور ، ويؤكّل
مما سوى ذلك . وقال عطاء أيضا : يؤكّل من المنة ويُطعم . أنهره رزين فيما ذكر أنه
متفق عليه . وقد تقدّم في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل هو وعلى من
لحم هداياها . قال ابن حزم : وكان هَذَى تطوع .

١٥ - ما جاء فيما يُضنع بالهدى إذا عطب قبل المحلّ

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسِتّ
عشرة بدنة مع رجل أمره عليها ؛ قال : ففُضى ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ، كيف
أضنع بما أبدعَ قلىّ منها ؟ قال : انحرها ثم اصبغ نعلها في دمه . ثم اجعله على
صفحتها ولا تأكل منها أنت ولا أحد من أهل رُققتك . أنهره مسلم . وفي رواية :
ثمانى عشرة بدنة .

شرح - أبدعَ : أى كَلَّ . يقال : أبدع بالرجل ، إذا كَلَّت ركبته وانقطع . قال
أبو عبيد : قال بعض العرب : لا يكون الإبداع إلا بضلع^(١) . وهذا الحكيم فيه إذا كان
واجبا ، أما إذا كان تطوعا فقد اختلف فيه العلماء ، فقال الشافعى : له أن يتموله ويأكله ،
ولا شيء عليه . وذهب بعضهم إلى أن التقليد كالإيجاب ، فلا يحل له ولا لرُققتة ، فمن
أكل شيئا غريمه . وهو قول ابن عباس وابن المسيّب وأحمد وإسحاق ؛ ولو كان الرقّة
فقراء فهل لهم أن يأكلوا من الواجبة ؟ اختلف أصحابنا فيه ، والأظهر أنه لا يجوز
لظاهر الحديث .

وعن نُهَمان العبدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أهدى هَدَيا واجبا ،

(١) الضلع ، بهريك اللام : نقل الحل ، يقال : أضلعه الحل : أى أنقله ، كأنه يكنى على الأضلاع .

فمعرض له في الطريق عارض ، فليَنحره ، وليأكل منه ، وليقبض مكانه ، ولا يأكل منه إذا قضى . ومن أهدي هدياً تطوعاً ، فمعرض له في الطريق عارض ، فلا يأكل منه ، وإذا قضى فليأكل منه إذا شاء .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان لا يرى بأساً أن يأكل من الهدى إذا عطب . أخرجهما سعيد . وقوله « اصْبُغْ نعلها في دمها » : أى التي قلدها بها . وعليه دل ما أخرجه مالك عن عُرْوَةَ عن أبيه ، أن الذي كان على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ، كيف أصنع بما عطب من الهدى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : كل بدنة عطبت من الهدى ، فانحرها ، ثم ألقِ قلائدها في دمها ، ثم خلَّ بينها وبين المساكين ^(١) يأكلونها . وأخرجه الترمذى عنه عن أبيه كذلك .

ولإنما يفعل ذلك إشعاراً لمن يراها أنها هدى ، فيستبجحها على الوجه الذي يحل له . وقيل معناه : لا ينتفع منها بشيء ، ولا بشيء من قلائدها . وهذا التاويلان مرويان عن مالك . وقال بعض أهل العلم : إنما نهاه أن يأكل منها هو وأهل رفقته : حماية للذريعة أن يتساهل في نحرها قبل أوانه .

١٦ - ما جاء في الاشتراك في الهدى

تقدّم في الفصل الأول من حديث أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه بقرة ينهن : ومن حديث عائشة أنه ذبح عن آل محمد بقرة .

وعن جابر قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية سبعين بدنة ، البدنة عن سبعة . أخرجه سعيد بن منصور . وفي رواية : نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة ، البدنة عن سبعة . أخرجه سعيد أيضاً ، والدارقطنى .

وعنه قال : اشتركتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة ، كل سبعة في بدنة . أخرجه مسلم .

(١) في الترمذى والموطأ : الناس .

وعنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته إذا أحللتنا أن نُهْدَى ، ويَجْتَمِع النَّفَرُ في الهدية .

وعنه : كنّا نتمتع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة ، فنذبح البقرة عن سبعة نشترك فيها .

وعنه : حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحرقنا البعير عن سبعة ، والبقرة عن سبعة أضرهم من الشيخان .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : البقرة عن سبعة ، والجَزُور عن سبعة : أضرهم أبو داود والنسائي .

وظاهره يشعر باختصاص هذا الاسم بالإبل ، وهو يطلق على سائر الأنعام : من إبل وغيرها ، وقد يختص بالشاة ؛ والبَدَنَة والبَدَن يختص بالإبل ، لعظم أبدانها ، وقيل : هو اسم للناقة السمينة المسنة . وقال الخليل : بدنة : ناقة أو بقرة تهدي إلى مكة . وقيل : يقال لما يُهْدَى من الإبل والبقر والغنم : بَدَنَة .

وعن المسور بن تخزومة ومروان بن الحكم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ساق يوم الحُدَيْبِيَّة سبعين بَدَنَة ، عن سبعمائة رجل . أضرهم الدارقطني . وهذا يدل على أن كل بدنة عن عشرة .

وعن عطاء قال : الجَزُور والبقرة عن سبعة ، يشترك فيها المضحون والمتمتعون والمحضورون . أضرهم سعيد بن منصور .

قوله في الحديث الأول « استركنا » : يحتاج به من اختار ذلك . قال الشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي : تجزئ البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة ، كلهم قد وجب عليه دم : من تمتع ، أو قران ، أو حصر . قال الترمذي : وهذا قول النوري وأحمد وأبي يور وداد وعامة الفقهاء . ورؤى ذلك عن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم عليّ وابن مسعود . ومنع مالك في الواجب ، وعنده في التطوع قولان ؛ وحمل الحديث على التطوع في أحد القولين ، وعلى القول الآخر حمله على أن الثمن من عند رجل

واحد ، وقصد أن يُشركهم في أجره . ورؤى عن ابن عمر أنه قال : لا يشترك الجماعة في النُّسك ، إنما يكون ذلك في أهل البيت الواحد فقط ، فلو كان بعضهم يريد القربة ، وبعضهم يريد اللحم ، جاز عندنا ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز .

١٧ - ما جاء في أن سبعا من الغنم تقوم مقام البدنة

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال : يا رسول الله . إني نذرت أن أحرم بدنة فلم أجدها ، قال : اذبح مكانها سبع شياه
وعلى هذا العمل عندنا ، فمن وجب عليه بدنة في كفارة الجراح ، وفيما إذا نذر بدنة في الذمة ولم يجدها ، ولا وجد بقرة ، فتجزئه سبع من الغنم ، وقيل : هو بخير بين الثلاثة ، والمشهور الترتيب .

١٨ - ما جاء أن المهدي لا يحرم عليه شيء

عن عمرة بنت عبد الرحمن ، أن زيادا كتب إلى عائشة ، أن عبد الله بن عباس قال : من أهدى هديا حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى يُنحر المهدي ، وقد بعثت بهدي ، فاكْتُبِي إليّ بأمرك . قالت عمرة : قالت عائشة : ليس كما قال ابن عباس ، لأنني فتلْتُ قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، ثم قلدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم بعث بها مع أبي . فلم يحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء . أحله الله له ، حتى يُنحر المهدي . أخرجه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أقتل قلائد هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها غنما . أخرجه الترمذي ، وقال : حسن صحيح .

وهذا قول كافة أهل العلم ، إلا ما روى عن ابن عباس أنه قال : يصير محرما ، وبه قال عطاء ، ونقله الخطابي عن ابن عمر ، وروى سعيد بن منصور عن جابر بن زيد وقيس بن سعد ، أنهما قالا : إذا قلد أحرم . وروى عن الشعبي ^(١) أنه رأى رجلا بالقادسية قد قلده هديه وعليه قميص ، فأمره أن يُمزق ^(٢) قميصه عنه

(١) في م : أبي الشعبي .

(٢) في نسخة : يحرق .

والقلائد: جمع قِلادة، وهو ما يعاق على البُدن من الخيوط المفتولة والجلود، شُبّهت بالقلائد في الآدمي .

١٩ - ما جاء في ركوب الهدي

عن جابر أنه سُئل عن ركوب الهدي، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اركبها بالمعروف إذا أُجِنتَ إليها ، حتى تجد ظهرا . أُنهر به مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة ، فقال : اركبها . فلقد رأيته راكبها يسائر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنعل في عنقه . أُنهر به . وفي رواية من حديث أنس : فقال : اركبها ، مرتين أو ثلاثا ، أُنهر به مسلم . وفي رواية من حديثه أيضا فقال : اركبها ، قال : إنها بدنة أو هدية ، قال : وإن . أُنهر به مسلم .

وعن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه وهم يمشون ، فيحملهم على بُدن .

وعنه قال : احمل على البدنة إذا احتجت إليها بقدر الرجل .

وعن عطاء والضحاك قالا في قوله تعالى : « لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى نَّمُكِّحِلْهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ » قال : المنافع فيها : الركوب عليها إذا احتاج ، وفي أوبارها وألبانها . والأجل المسمى : أن تُقَلَّد فتصير بُدْنا ، ثم محلها إلى البيت العتيق . قالا : يوم النحر ينحر بِمَنًى .

وعن إبراهيم في الرجل يسوق بدنة قال : يركبها إذا أعيأ ، قدر ما يستريح إلى ظهرها ، ويشرب من لبنها إذا أرمل . أُنهرج الرواية من حديث أنس وما بعدها سعيد ابن منصور . وقوله « إذا أرمل » : هو نفاد الزاد . يقال : أرمل الرجل : نفد زاده ، وقوم مُرْمِلُونَ : أي نفدت أزوادهم ، وأصله من الرمل ، كأنهم لصقوا بالرمل . وفي هذه

الأحاديث دليل لمن أجاز الركوب مطلقا ، لإطلاق حديث أبي هريرة وأنس ، وهو قول مالك وأحمد وإسحاق . وعندنا يختص الجواز بحالة الضرورة ، كما دل عليه حديث الأول ، تنزيلا للمطلق على المقيّد . ولو أبيحت المنافع لغير ضرورة ، لجاز إجارتها ، ولا خلاف في منعها . وقال أبو حنيفة : لا يجوز الركوب ، والحديث حجة عليه . ويجوز عندنا أن يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز ، بل يُرَش على الصرع الماء حتى ينقطع اللبن .

٢٠ - ما جاء في المنع من بيع الهدى

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر أهدى بُخْتِيَةَ ، فأعطى بها ثلاث مئة دينار . فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني أهديت بُخْتِيَةَ ، فأعطيت بها ثلاث مئة دينار ، أفأبيعها وأشتري بئمنها بُدْنًا ؟ قال : لا ، انحرها لإياها . أضربم أبوداود ، وقال : وهذا لأنه كان أشعرها . وفيه حُجَّةٌ على أبي حنيفة حيث يقول : يجوز بيع الهدى المنذور ، وإبداله بغيره ، وله أن يحمله على الأولوية اختياراً للهدى .

والبُخْت من الإبل . معرب ، وقيل : هو عربي ، وهى إبل طوال الأعناق ، غلاظ ، كثيرة الشعر ، الواحد بُخْتِي ، والأنثى بُخْتِيَّة ، وجمعها بُخَاتِي غير مصروف . ولك أن تحذف الياء فتقول البخاتى .

٢١ - ما جاء في الهدى إذا ضلّ

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : من أهدى بَدَنَةً ثم ضلّت أو ماتت ، فإنها إن كانت نَذْرًا أبدلها ؛ وإن كانت تطوعا إن شاء أبدلها ، وإن شاء تركها ، ولا يأكل صاحب الهدى من الجزاء . أضرب مالك . هكذا موقوفا على ابن عمر . وأضرب الدارقطنى

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا إذا كان بتفريط ، أما لو تلف بغير تفريط فلا ضمان عليه .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها سأقت بدنتين ، فضأنا ، فأرسل إليها ابن الزبير
جبدتتين مكانهما ؛ قال : ففخرتهما ، ثم وجدت البدنتين الأولتين^(١) ، ففخرتهما أيضا ،
وقالت : هكذا السنة فى البدل .

٢٢ - ما جاء فى استيسر من الهدى

عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد سئل عن الهدى ، فقال : فيها جزور أو بقرة
أوشاة أو شرك فى دم . أضره البخارى .
وعنه أنه قال فى استيسر من الهدى : الشاة حتى القعود . أضره سعيد .
وعن على وابن عباس رضى الله عنهما ، أنهما قالا : ما استيسر من الهدى : شاة .
أضره مالك .
وعن عائشة نحوه .

وعن عطاء وسعيد بن جببر والضحاك نحوه .
وعن مجاهد عن عمر قال : ما استيسر من الهدى : بقرة . وقال ابن عباس : شاة .
وعن ابن عمر وقد سئل أى جزى للتمتع شاة ؟ فقال ابن عمر : كلكم بشاة ؟
أيسر أحدكم ألا تكون له عند الله إلا شاة . أضره جميع ذلك سعيد بن منصور .
وعنه أنه كان يقول : ما استيسر من الهدى : بدنة ، أو بقرة . أضره مالك .
وعنه : لو لم أجد إلا أن أذبح شاة لكان أحب إلى من الصوم . أضره مالك .
وعنه أنه كان يقول : الصوم للتمتع أحب إلينا من الشاة . أضره سعيد بن منصور .
وفى هذين الحديثين تضاد ، وحديث مالك أصح ، وإن صحا فيحمل على تغير اجتهاده
فى حالين .

(١) حتى تلعب : من الأولات دخولا والآخرات خروجا ، واحدها : الأولية .

٢٣ - ما جاء فيما يتمتع من الهدى

عن طاووس قال : لا يُجْزَى في الهدى العوزاء ولا العزباء ولا الجرباء ولا العجفاء .
وعن أبي الشعثاء قال : لا يُجْزَى المصطلمة أذنّها . أخرجهما سعيد .
وقد وردت الأحاديث الصحيحة متضمنة للمنع من ذلك في الأضاحي ، والهدى في معناها .
وعن الحسن أنهم قالوا : إذا اشتري الرجل البدنة أو الأضحية وهي وافية ،
فأصابها عور أو عرج أو عَجَف قبل يوم النحر ، فليذبحها وقد أجزأته . أخرجه سعيد .

٢٤ - ما جاء في الرخصة وإدخال لحم الهدى

عن جابر رضى الله عنه قال : كنا لانا كل من لحوم بُدِننا فوق ثلاث عني ،
فأرخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كلوا وتزودوا . قيل لعطاء : قال
جابر : حتى جئنا المدينة ؟ قال : نعم . أخرجهما .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : إنها لتَهْبَطُ بها الأمصار ، يعني لحوم
الضحايا . أخرجه سعيد بن منصور .
وهذا فيما كان من البدن تطوعا . أما ماوجب بالشَّرْع أو بالنذر ، فلا تأكل منه
ولا تدخر

الباب السادس والثلاثون

في الفرائد والبرهان

١ - ما جاء فيما يفعله من فاته الحج

تقدم في فصل الوقوف بيان متعلق الفَوَات ، من حديث مالك عن ابن عمر ،
والترمذي وأبي داود عن عُرْوَةَ بن مِصْرَس ، وعبد الرحمن بن بَعْمَر . وتقدم أيضا فيه
حديث الشافعي وأبي ذر عن ابن عمر ، وفيه بيان ما يفعله .

وعن أبي أيوب الأنصاري أنه خرج حاجا حتى إذا كان بالنازبة من طريق
مكة ، أضلّ رواحله ، وأنه قدم على عمر بن الخطاب يوم النحر ، فذكر ذلك له . فقال له
عمر : اصنع ما يصنع المعتمر ، ثم قد حلّلت . وإذا أدركك الحج قابلا فاحجج وأهد ما تيسر
من الهدى . أضرجه مالك .

وفي هذا الحديث دلالة لمن قال : يجب الهدى في القضاء ، وإليه ذهب بعض أصحابنا .
والنازبة ، بالنون والزاى : موضع دون الرّوحاء . بينها وبين الصفراء .

وعن هبّار بن الأسود أنه جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينفجر هذيه ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، أخطأنا العدد ، وكنا نرى أن هذا اليوم يوم عرفة . فقال عمر : اذهب
إلى مكة فطف أنت ومن معك ، وانحروا هديا إن كان معكم ، واحلقوا وقصّروا
وارجموا ، فإذا كان عامّ قابل فحجّجوا . أخرج الحديثين مالك والشافعي . وفي رواية عند
الشافعي عن هبّار أنه فاته الحج ، فقال له عمر . ما شأنك ؟ فقال له هبّار : خرجتُ من
الشام ، فأخطأت العدّد ، وكان معي أهلى . فقال له عمر : تطوف بالبيت ، وبين الصفا
والروة ، ثم احلق أو قصّر . فإن أدركت حجّ قابل فاحجج أنت ومن معك وأهدوا ،
فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجع .

وفي حديث هَبَّارِ الْأَوَّلِ حجة للذهب، أن الدم يجب في الحال، وعلى ذلك يحمل حديثه الثاني .

وعن سَمِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عن الحارث بن عبد الله، أو عبد الله بن الحارث، أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب في أوسط أيام التشريق فاته الحج، فأمره أن يطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، وإن كان معه هدى أن ينحره، وأن يَحْلِقَ وَيَحِلَّ، ويحج من قابل. وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال: لقد سمعت أبي عبد الله بن عمر يُفْتِي في هذا الباب أكثر من ثلاثين مرة كما قال عمر .

وعن سَمِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَالشَّعْبِيِّ وَعطاء فيمن فاته الحج أن عليه الهدي . أخرجهما سَمِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

حكم القَوَاتِ ما ذكره عمر رضي الله عنه من التحلل بعمل عمرة، والدم الواجب فيه كدم التمتع، وبدله كبذله، وبه قال أبو حنيفة إلا في الهدي، فإنه لم يوجب عليه . وقال أبو يوسف: ينقلب لإحرامه عُمرَةً، ويتحلل بها . وقال المزني: لا يسقط عنه المبيت والرمي، كما لا يسقط عنه الطواف والسعي، وروى ذلك عن عمر، وإليه ذهب مالك . وحكى الماوردي من أصحابنا، عن مالك في روايته عنه، أنه يبقى على إحرامه حتى يقف بعرفة من العام المقبل، وَيُتِمُّ حَجَّه . والحكم في الخطأ إذا وقع لِفَقْرٍ ما ذكره عمر رضي الله عنه . وأما الجم الغفير فيجزئهم ذلك، ولا يجب شيء مما ذكرناه .

٢ - ما جاء فيمن قال: ليس عليه هدي

عن الأسود أن رجلاً قدم على عمر بن الخطاب وقد فاته الحج، فأمره عمر أن يحل بعُمرة . قال: وعليك الحج من قابل، ولم يذكر الهدي .

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: سئل طاووس عن قوم قدِمُوا وقد فاتهمُ الحج . قال: ليس عليهم شيء . وخالفه سعيد بن جبير، ثم لحقه، فقال: يا أبا عبد الرحمن: القول ما قلت . فلم يبال حين خالفه، ولم يبال حين وافقه .

وعن هشام بن حُجَيْرٍ أو غيره ، قال : ذات طاووسا الحجج ، فقال لأصحابه : أرجو أن لا تكونوا حَجَجْتُمْ حجة قطُّ أفضل منها . أخرجه سعيد بن منصور .

ولا دلالة في حديث عمر بأنه لم يَنْصَحْ على عدم وجوب الهدْي ، وقد نصَّ فيما تقدم في الفصل الأول على الوجوب ، وكان الأخذ به أولى . ولعل سكوته هاهنا إمالة على ما عُرِفَ منه . وربما يتوهم من كلام طاووس إجزاء هذا الحج الفاتئ ، ولم يُرد ذلك ، وإنما أراد أن يحصل لهم ثواب الحج نظرا إلى قصدهم ، وزيادة الفضل لمكان فوات المقصود ، وعظم المشقة على النفس بذلك .

٣ — ما جاء في الحصر بعدو

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين ، فحالت كفار قريش دون البيت ، ففجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بُذْنَه ، وخالق رأسه . وعن نافع بن عُبَيْد الله بن عبد الله وسالم بن عبد الله أخبراه أنهما كُتِبَا عبد الله ابن عمر ليالي نزل الحُصَيْنُ بعبد الله بن الزُّبَيْر ، فقالا : لا يضرُّك ألاَّ تخرج العام ، إنا نخاف أن يُحال بينك وبين البيت . فقال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحالت كفار قريش دون البيت ، ففجر النبي صلى الله عليه وسلم هَذْيَه ، وخالق رأسه ، وأشهدكم أني قد أوجبت عُمره ، إن شاء الله أنطلق ، فإن خُلِّيَ بيني وبين البيت طُفْتُ ، وإن حِيلَ بيني وبينه فعلت كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه ؛ فأهل بالمُرة من ذِي الحُلَيْفَةِ ، ثم سار ساعة ، ثم قال : إنما شأنهما واحد ، أشهدكم أني قد أوجبت حَجَّةَ مع عمرتي ، فلم يحلَّ منهما حتى حلَّ يوم النحر وأهدى . أخرجهما مالك .

٤ — ما جاء فيمن أُخْصِرَ ، فلم يتحلل حتى فاتته الحج

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : أليس حسبكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن حُبِسَ أحدُكم عن الحج طاف بالبيت وبالصفا والمروة ، ثم حلَّ من كل شيء ، حتى يحج عاما قبالا ، فيُهْدِي أو : يوم إن لم يجد هَدْيًا . أخرجه مالك . وهكذا الحكم عندنا في المُخْصَر إذا أُرْخِرَ التحلل حتى فاتته الحج .

هـ - ما جاء في نحر المحصر قبل حلقه

تقدّم في الفصل الأول طَرَف منه .

وعن المِسْوَرِ بْنِ تَحْرَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ،
وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ . أَضْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

٦ - ما جاء في أن المحرم لا قضاء عليه ، وينحر هذيه حيث أحصر

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : « فَإِنْ أَحْصَرْتُمُ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ » يقول : من أحرم بحج أو بعمره ، ثم حُبِسَ عن البيت ، فعليه ذبح ما استيسر من الهدي : شاة فما فوقها يذبح عنه ، فإن كان حَجَّةَ الْإِسْلَامِ فعليه قضاؤها ، وإن كان حَجَّةَ بَعْدِ حَجِّ الْفَرِيضَةِ ، فلا قضاء عليه . أخرجه البيهقي .

وعن مالك أنه بلغه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جاء هو وأصحابه بالحدبية ،
فَنَحَرُوا الْهَدْيَ ، وَحَاقُوا رِءُوسَهُمْ ، وَحَلَّوْا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ ، وَمَنْ
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ الْهَدْيُ ، ثُمَّ لَمْ يُعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَحَدًا مِنْ
أَصْحَابِهِ وَلَا مِنْ كَانَ مَعَهُ ، أَنْ يَقْضُوا شَيْئًا ، وَلَا يَعُودُوا لَشَيْءٍ . أَنُفَرِمَ الْبُخَارِيُّ عَنْ
مَالِكٍ هَكَذَا ، وَقَالَ : وَالْحَدِيثُ خَارِجُ الْحَرَمِ .

۷- ما جاء فيمن قال : لا قضاء عليه ، لكن يبعث الهدى إن استطاع

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : إنما التبدل على من نقض حَجَّه بالتلذذ ،
فَأَمَّا من حبسه عدو أو غير ذلك ، فإنه يحل ولا يرجع ، وَإِذَا كَانَ معه هَدْيٌ وهو مُحْصَرٌ
نَحْرَهُ إِنْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبِيعَ بِهِ ، وَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبِيعَ بِهِ لَمْ يَحِلَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ
مَحَلَّهُ . أَضْرَاهُ ، وَبَوَّبَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ بَابَ مَنْ قَالَ لَيْسَ عَلَى الْمُحْصَرِ بَدَلٌ .

وعنه إنما البدل على من نقض حجه بالتلذذ ، يعني النساء ، فمن أصابه الله عز وجل بمرض أو بكسر أو بحبس ، فليس عليه شيء ، قال تعالى : « فَإِذَا أُمِيتُمْ » فإنما هو من الخوف ، إنما هو من العدو . أخرجه سعيد بن منصور .

٨ - حُجَّةٌ مِنْ قَالَ : يُجِبُ الْقِضَاءُ عَلَى الْمُحْضَرِّ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أُحْصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَحَرَ هَذِيهَ ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ ، وَجَامَعَ نِسَاءَهُ ، حَتَّى اعْتَمَرَ عَامًا قَابِلًا . أَفْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

هَكَذَا يَسْتَدِلُّ بِهِ مَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الْقِضَاءِ . وَلَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى وَجُوبِ الْقِضَاءِ ، لِأَنَّهُ نَضَمَ حِكَايَةَ مَا وَقَعَ ، وَقَدْ تَخَلَّفَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ فِي عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ عَنْ عُمْرَةِ الْقِضْيَةِ بِالْمَدِينَةِ ، مِنْ غَيْرِ صَرُورَةٍ فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ ، وَلَوْ وَجِبَ عَلَيْهِمُ الْقِضَاءُ لِأَمْرِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَتَخَلَّفُوا عَنْهُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ عُمْرَةُ الْقِضَااصِ وَعُمْرَةُ الْقِضْيَةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اقْتَصَلَ لِنَبِيِّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ كَمَا مَنَعُوهُ ، لِأَعْلَى أَنْ ذَلِكَ وَجِبَ عَلَيْهِ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : لَمْ تَكُنِ الْعُمْرَةُ قِضَاءً ، وَلَكِنْ كَانَ شَرْطًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَمْتَمِرُوا مِنْ قَابِلٍ ، فِي الشَّهْرِ الَّذِي صَدَمَ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٩ - مَا جَاءَ فِيمَنْ قَالَ : إِذَا ذَبَحَ الْهَدْيَ حَيْثُ أُحْصِرَ أَبْدَلَهُ فِي الْقِضَاءِ

عَنْ أَبِي حَاضِرٍ الْحَمِيرِيِّ ، وَهُوَ عُثْمَانُ بْنُ حَاضِرٍ ، قَالَ : خَرَجْتُ مُعْتَمِرًا عَامَ حَاضِرٍ أَهْلَ الشَّامِ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، وَبَقِيَ مَعِيَ رَجُلَانِ مِنْ قَوْمِي هَدْيٌ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، مَنَعُونَا أَنْ نَدْخُلَ الْحَرَمَ ، فَنَحَرْتُ الْهَدْيَ مَكَانِي ، ثُمَّ حَلَلْتُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، خَرَجْتُ لِأَقْضَى عُمْرَتِي ، فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : أَبْدِلِ الْهَدْيَ ، فَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُبْدِلُوا الْهَدْيَ الَّذِي نَحَرُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي عُمْرَةِ الْقِضَاءِ . أَفْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : لَعَلَّهُ إِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ اسْتَحَبَّ الْإِبْدَالُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا ، كَمَا اسْتَحَبَّ الْعُمْرَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِضَاءً مَا أُحْصِرَ عَنْهُ وَاجِبًا بِالْتَحُلُّ .

١٠ - مَا جَاءَ فِيمَنْ قَالَ لَا يَتَحُلُّ الْمُحْضَرُّ فِي الْعُمْرَةِ

عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ^(١) ، أَنَّهُ أَهْلَ بَعْمُرَةَ فَأُجْهِرَ ، فَكُتِبَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فَسَأَلَهُمَا عَنْ ذَلِكَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنْ نَزَرْنَا لِلْحَجِّ وَقَعْنَا ،

(١) كَذَا فِيهِ وَهَامِشٌ م . وَفِي مَتْنٍ م : قَسِيطٌ ، مَكَانَ : الشَّخِيرِ .

ولا ترى للممرة وقتاه، فأمره أن يبعث بالهدى، وأن يقيم مكانه حتى يبرأ ويقضى عمرته، فأقام هناك سنة أشهر أو سبعة أشهر . أخبرني سعيد بن منصور .

اتفق أهل العلم على أن المحصر بعدد في الحج ، عن الوقوف وعن البيت ، إذا لم يكن له طريق آخر ، له أن يتحلل وعليه شاة ، ويذبح حيث أحصر ؛ وإن لم يكن من الحرم ، إذا لم يقدر على الوصول إلى الحرم ، ثم يخلق كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية . ولا يحصل التحلل لمن معه هدى حتى يذبحه ، ثم يخلق عند من يحمل الخلق نسكا . وللشافعي قول آخر : أنه يجوز التحلل قبل الذبح ، وكل الهدايا مختصة بالحرم ، إلا هدى المحصر ، فإن تحلله حيث أحصر ، عند أكثر أهل العلم بقضية الخبر ، فإن الحديبية خارج الحرم . واختلف أصحابنا فيما إذا قدر على الذبح في الحرم على وجهين ، أحدهما أنه يجب ، والخبر محمول على عدم القدرة . وقال أبو حنيفة : لا يراق إلا في الحرم بكل حال ، فيواطى رجلا أن يحمل هديه إلى الحرم ، ويجعل بينه وبينه علامة يتحرّاه ، ليتحلل في ذلك الوقت ، وهذا في حق من قدر على الهدى ، فإن عجز فقولان للشافعي ، أحدهما : لا بدل للهدى ، بل يبقى في ذمته إلى أن يجده ، ويتحلل في الحال على أحد قوليه ، ويقيم على إحرامه في الآخر حتى يجده . والقول الثاني ، وهو الأصح ، أن له بدلا ، وفيه ثلاثة أقوال : أحدها الإطعام ، والثاني الصيام ، والثالث يتخير بينهما ، فإن قلنا يطعم فوجهان : أحدهما إطعام التعديل ، والثاني إطعام فدية الأذى ، وإن قلنا الصوم وثلاثة أقوال : أحدها صوم التمتع ، والثاني صوم الحلق ، والثالث صوم التعديل ، عن كل مديوما . أما القضاء فنحن لا قضاء عليه ، وهو قول مالك . وقال أبو حنيفة : يجب القضاء ، ويحتج بظاهر الحديث المتقدم ، وبحديث عمرو بن ميمون ، أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أسرم بإبدال الهدى ، لأنهم نحرّوا هداياهم عام الحديبية خارج الحرم . والحديث في الصحيح خلاف ذلك ، وما دل على القضاء محمول على الاستحباب ، لما تقدم من حديث ابن عباس ، وتهصر يحره بنفي الوجوب ، وهو أعلم بالحال . نعم ، لو كان المحصر خاصا بمنع الغريم ونحره . ففي وجوب القضاء وجهان : أما لو أحصر عن الوقوف فقط ،

فإنه يتحلل بعمل عمرة ، وهل يجب عليه القضاء ؟ فيه قولان للشافعي ، وكذا لو كان له طريق آخر ، فإنه يجب عليه سلوكه ، فلوفاته الوقوف تحلل بعمل عمرة . وفي القضاء القولان . ولو أحصر عن البيت دون الوقوف ، فالحكم كالحكم لو أحصر عنهما . وقال أبو حنيفة : لا يتحلل إلا من أحصر عنهما جميعا ؛ والحرم بالعمرة يجوز له التحلل . بدليل حديث الحديبية . وقال مالك : لا يتحلل ، متعلقا بقول ابن عباس وابن عمر . والحديث حجة عليه ، وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع .

١١ - ما جاء فيمن لُدِغَ فأُحْصِرَ

عن عبد الرحمن بن يزيد أن رجلا من النُّخَعِ يقال له عمر بن سعد أهل بعمرة . فلما بلغوا ذات الشقوق لُدِغَ ، فخرج أصحابه إلى الماء يستشفون أهل الطريق ، فإذا هم بابن مسعود ، فذكر ذلك له ، فقال : مُرُوهُ فليبعث بالهدى ، واجعلوا بينكم أمارة ، فإذا باغ الهدى يحمله فليجمل ، وعليه قضاء عمرته بعد ذلك . وفي رواية : فقال : قرأوه من البيت ما استطعتم . قالوا : لانستطيع . قال : فليبعث بهدي ، ثم ذكر معنى ما تقدم . أخرجه سعيد بن منصور .

١٢ - ما جاء في أن المحصر بمرض لا يتحلل إلا أن يكون قد شرط

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير ، فقال لها : أردت الحج ؟ فقالت : والله ما أجدي إلا وجعة . فقال لها : حجِّي واشترطي ، وقولي : اللهم تحي من الأرض حيث حبستني ، وكانت تحت المقداد . أخرجه . زاد النسائي فقولي : كَبِّيكَ اللَّهُمَّ كَبِّيكَ ، تحي من الأرض حيث حبستني ، وفي رواية : فإن لك على ربك ما استغنيت . زاد ابن عباس في رواية : فأدركت .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إني امرأة نفيلة ، وإني أريد الحج ، فكيف تأمرني ، كيف أهل ؟ قال : فقال : أهلي واشترطي أن تحي حيث حبستني . قال : فأدركت . أخرجه مسلم .

وعنه أن ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ،
إني أريد الحج ، فأشترط ، قال : نعم . قالت : كيف أقول ؟ قال : قولي : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ،
مَحَلِّي مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ تَخَيَّرْتَنِي . أخرجه الترمذی ، وقال : حسن صحيح .

وعن عروة عن ضباعة بنت الزبير ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أحرى وقولي : إِنْ مَحَلِّي حَيْثُ تَخَيَّرْتَنِي ، فَإِنْ حُبِسْتُ أَوْ مَرِضْتُ فَقَدْ حَلَلَتْ مِنْ ذَلِكَ ،
بشرطك على ربك عز وجل . أخرجه أحمد .

وعن أم سلمة أنها كانت تأمر بالاشتراط في الحج ، وهو قول عائشة . ورؤي عن
علي وابن مسعود وعمار ، ذكره البيهقي ، وقول عمر في جماعة من الصحابة والتابعين
حكاه الخطابي .

احتج بمحدث ضباعة مَنْ ذَهَبَ إِلَى جِوَارِ التَّحَلُّلِ بِالْمَرَضِ ، بِشَرَطِ الْاِشْتِرَاطِ ،
وهو مذهب الشافعي ، وحكاه الخطابي وعياض عن أحمد . ولا يجوز التحلل عند هؤلاء
إلا بالشرط ، وإذا تحلل المشرط ففي وجوب الدم عليه ثلاثة أوجه . الثالث : إن علق
التحلل على المرض صار حلالا ، ولا شيء عليه ، وإلا فلا يتحلل إلا على ما ذكرناه
في حصر العدو . واحتج بمحدث عروة من ذهب إلى أن المشرط يصير حلالا [وهو
محمول على ما إذا اشترط أنه يصير حلالا ^(١)] بالمعذر ، ومع ذلك ففيه خلاف .

١٣ — ما جاء فيمن قال : يجوز التحلل بمعذر المرض من غير شرط

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان ينسكرا الاشتراط ، ويقول : حَسْبُكُمْ
سَنَةُ نَبِيِّكُمْ . أخرجه الدارقطني والترمذی ، وقال : حسن صحيح .

قوله « حَسْبُكُمْ سَنَةُ نَبِيِّكُمْ » : فيه إشعار بالتسوية بين حضر العدو والمرض ،
فإن معنى قوله حَسْبُكُمْ سَنَةُ نَبِيِّكُمْ أي في جواز التحلل بهذا المعذر دون اشتراط .

وعن عكرمة قال : حدثني الحجاج بن عمرو الأنصاري قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : مَنْ كَسِرَ أَوْ عَرَجَ فَقَدْ حَلَّ ، وعابه حجة أخرى ، فذكرت ذلك

لأبي هريرة وابن عباس ، فقالا: صدق، أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن، وأبو داود، وقال: وعليه الحج من قابل، والنسائى وأحمد وابن ماجه، وقال: من عرج أو كسير أو مريض، وفي رواية عند أحمد من حيس بكسر أو مريض.

شرح — عرج بفتح الراء يعرج: إذا أصابه شيء في رجله تخمّع: مشى مشية العرجان، وليس مخلقة، فإذا كان ذلك خلة قيل: عرج بالكسر. قال بعضهم: ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، فكيف يصدق الحجاج فيما رواه من أن الكسر حصر. وتأولّه بعضهم على أنه إنما يحمل بالكسر، إذا كان اشتراط ذلك في عقد الإحرام؛ على معنى حديث ضباعة. قالوا: ولو كان الكسر عذرا لم يكن لاشتراطها معنى، ومعنى قوله حل: أى أشرف على الحل بإباحته. وذهب أبو حنيفة إلى جواز التحلل بالمرض دون شرط، محتجا بما تقدم من الأحاديث، والخالف يتأول الحديث على ما تقدم. وقوله «وعليه الحج من قابل»: هذا فيمن كان حجه عن فرض، فأما المتطوع بالحج إذا أحصر، فلا شيء عليه غير هذى في الإحصار، خلافا لأصحاب الرأى. وذكر البيهقى أن الحديث قد اختلف في إسناده، وأن الثابت عن ابن عباس برواية أصحابه عنه خلاف هذا.

١٤ — ما جاء فيمن قال لا يحل المحصر بالمرض حتى يطوف بالبيت ولو شرط

عن ابن عمر رضى الله عنهما، أنه قال: المحصر بمرض لا يحل حتى يطوف بالبيت. ويسمى بين الصفا والمروة، فإن اضطر إلى لبس شيء من الثياب التي لا بد منها، أو الدواء، ففعل ذلك واقتدى. أخرجه مالك.

وعن سليمان بن يسار أن عثمان ومروان وابن الزبير أفتوا رجلا ضرع ببعض طريق مكة وهو محرم، يتداوى بما لا بد منه ويفتدى، فإذا صح اعتمر، فحل من إحرامه، وكان عليه أن يحج عاما قابلا، ويهذى. أخرجه مالك والشافعى.

شرح — ضرع بالمعجمة: الأصل فيه تخف يقال: ضرع يضرع، فهو ضارع وضرع

بالتحريك ، أى نحيف ضاوى الجسم ، فأراد والله أعلم ، أنه أصابه مرض أو مانع منعه الذهاب ، وأضغفه عنه كالتحيف .

وعن أيوب السخيتي ، عن رجل من أهل البصرة قال : خرجت إلى مكة ، حتى إذا كنت بالطريق كُثِرَت نخذي ، فأرسلتُ إلى مكة وبها عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر والناس ، فلم يرخص لي أحد في أن أحل ، فأفت على ذلك الماء سبعة أشهر ثم أحلت بعمرة . أضرجه مالك والشافعي .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : المحرم لا يُحِلُّه إلا البيت . أضرجه مالك والشافعي . وهذا محمول على غير حصر المدوة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لا حصر إلا حصر المدوة . أضرجه الشافعي في مسنده . وهذا يؤيد ما تقدم في تأويل حديث عائشة آنفا .

ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا ينفع الاشتراط ، وحملوا حديث ضباعة على أنه قضية في عين ، خُصَّت به هذه المرأة ؛ وبه قال أحمد ، وتأوله بعضهم على معنى التحلل بعمرة . وقد جاء مفسراً من رواية ابن السبب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ضباعة أن تشرط : اللهم الحج أردت ، فإن تيسر ، وإلا فعمره . وعن عائشة نحوه .

واختلاف قول ابن عمر في هذا الفصل والذي قبله محمول على تغير اجتهاده بالثاني . منهما ؛ أو يكون أراد بقوله « حسبكم سنة نبيكم » : في جواز الخروج من الإحرام ، لكن بالطواف والسعى ، يدل عليه ما روى عن معمر ، أنه قال : حسبكم سنة نبيكم ، أنه لم يكن يشترط ، فإن حبس أحدكم حابس ، فإذا وصل إلى البيت طاف به ، وبين الصفا والمروة ، وحلق أو قصر ، وعليه الحج من قابل . أضرجه الدارقطني .

١٥ - ما جاء في المرأة تحرم بغير إذن زوجها فيمنعها

عن عطاء أنه قال في المرأة تُهل بالحج فيمنعها زوجها : هي بمنزلة المحصر . أضرجه الشافعي . وقد تقدم في باب شروط الحج بعد فصل اعتبار المحرم من قول الحسن والحكم ابن عيينة ، ما يدل على مثل قول عطاء ، وتقدم من قول عطاء مثل قوله هنا ، وذكرته ثم قول من خالف فيه .

الباب السابع والثلاثون

في نسخ الحج

١ - ما جاء في جواز فسخ الحج إلى الثمرة

عن جابر رضى الله عنه أنه حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ساق الهدى معه ، وقد أهلوا بالحج مفردا ، فقال صلى الله عليه وسلم : حِلُّوا من إحرامكم ، وطوفوا بالبيت . وبين الصفا والمروة ، وقصَّروا ، وأقيموا خللا ، حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج ، واجعلوا الذى قدَّمتم به مُتعة ، قالوا : كيف نجعلها مُتعة يا رسول الله وقد سمينا الحج ؟ قال : اعملوا ما أمركم به ، فإني سئلتُ الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ، ولكنى لا يحل منى حرام حتى يبلغ الهدى محله ، ففعلوا . أضرجه . وقال البخاري : حلوا من إحرامكم بطواف البيت ، وبالصفا والمروة .

وعن ابن عباس أنه سئل عن مُتعة الحج ، قال : أهل المهاجرون وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهلنا ، فلما قدمنا مكة قال صلى الله عليه وسلم : اجعلوا إهلالكم بالحج مُعَمَّرة ، إلا من قلَّد الهدى . أضرجه . قال ابن حزم في صفة الحج الكبرى : كان أمره صلى الله عليه وسلم من لم يكن معه الهدى بالفسخ حتما ولا بد ، قارنا كان أو مفردا ، وسيأتى في الفصل الرابع من قول عطاء ما يرد ذلك .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : خرجنا محرمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان معه هدى فليقيم على إحرامه ، ومن لم يكن معه هدى فليحل ، ولم يكن معي هدى فحل ، وكان مع ابن الزبير هدى ، فلم يحل . أضرجه مسلم .

وعن مجاهد قال : قال عبد الله بن الزبير . أفردوا الحج ، ودَعُوا قول أعمامهم هذا ،

يعنى ابن عباس : قال : فقال عبد الله بن عباس : إن الذى أسمى الله قابه أنت ، ألا تسأل . أمك عن هذا . فأرسل إليها ، فقالت : صدق ابن عباس ، جئنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا ، فجعلناها حُمْرَةً ، فحللنا الإحلال كله ، حتى سطعت المجامرُ بين الرجال . أضرم أبو بكر بن أبى شيبة ، ورواه ابن حزم عنه بسنده .

٢ - ما جاء فيمن قال بالمنع منه

عن أبى نَصْرَةَ قال : كان ابن عباس يأمر بالتمعة ، وكان ابن الزُّبَيْر ينهاى عنها . قال : فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله ، فقال : على يدى دار الحديث . تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قام عمر قال : إن الله عزَّ وجلَّ كان يُحِلُّ لنبيه ما شاء بما شاء ، وإن القرآن قد نزل منازلَه ، فأتوا الحج والعمرة لله ، كما أمركم الله عزَّ وجلَّ . وفى رواية : فانصلوا حجَّكم من عمرتكم ، إله أتم لحجكم ، وأنتم لعمرتكم

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منبُخ بالبطحاء ، قال : أَحَجَجْتُمْ ؟ قلت : نعم . قال : بم أهلات ؟ قلت : لبَيْتُ بَاهِلَالٍ . كَاهِلَالِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : طُفْ بالبَيْتِ ، وبين الصفا والمروة ، وأَحِلَّ . قال : فطُفْتُ بالبَيْتِ ، وبين الصفا والمروة ، ثم أتيت امرأة من بنى قَيْسٍ ، فَقَلْتُ رَأْسِي ، ثم أهلات بالحج . قال : فكنت أفتى به الناس ، حتى كان فى خلافة عمر ، فقال رجل : يا أبا موسى ، أو يا عبد الله بن قَيْسٍ ، رُوِيَكَ بعضُ قُتَيْبٍ ، فإنك لاتدرى ما أحدث أمير المؤمنين فى النسك بعدك . فقال : بَأْيَاهِا الناس : من كان أَقْتِنَادَ قُتَيْبٍ فليَتَّقِدْ ، فإن أمير المؤمنين قادم عليكم ، فاقْتَدُوا . قال : فقدم عمر ، فذكرت ذلك له ، فقال : إن نأخذ بكتاب الله ، فإنَّ كتاب الله يأمر بالإتمام ؛ وإن نأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُحِلَّ حتى بلغ المَدَنَى محلَه . وفى رواية : أن عمر قال : علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعل هو وأصحابه . ولكن كرهت أن يظلوا مُعْرِسِينَ بهن فى الأراك ، ثم يروحوا إلى الحج تقطُر رؤوسهم . أضرمه .

٣ - ما جاء في اختصاص الصحابة بالفسخ عامداً

عن أبي ذرٍّ رضى الله عنه قال : كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد ، صلى الله عليه وسلم . وفي لفظ : كانت لنا رخصة ، وفي لفظ : لاتصلح المتعة إلا لنا خاصة ، يعنى متعة النساء ومتعة الحج . أضرهم مسلم .

وعنه أنه كان يقول : فيمن حج ثم فسخها بعمرة : لم يكن ذلك إلا للركب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن بلال بن الحارث عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، فسَخُ الحج لنا خاصة . أو لمن بعدنا ؟ قال : بل لكم خاصة . أضرهم أبو داود والنسائي والدارقطني ، وقال النسائي : من حديث أبي ذرٍّ متعة الحج ليست لكم ، ولستم منها في شيء ، إنما كانت رخصة لنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن عثمان رضى الله عنه أنه سُئِلَ عن مُتعة الحج ، قال : كانت لنا ، وإيست لكم أضرهم سعيد بن منصور .

٤ - حجة من قال بعموم جواز الفسخ إلى اليوم

عن عطاء قال : سمعت جابراً قال : أهلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالحج خالصاً وحده ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيَّح رابعة مضت من الحجة ، فأمرنا أن نَحِلَّ . قال عطاء : قال : حِلُّوا وأصيبوا النساء . قال عطاء : ولم يَعْزَم عليهم ، وإن كان أحدهم لهم . قال : لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عِرْفَةِ إِلَّا خَمْسُ أَيَّامٍ ، أمرنا أن نُفْضِيَ إِلَى نِسَائِنَا ، فنأتى عرفة تقار ماذا كبرنا للمَنِيِّ . قال : يقول جابر : فقام النبي صلى الله عليه وسلم فينا ، فقال : لقد علمتم أنى أتاكم الله ، وأصدقكم وأبركم ، ولولا هديي لحَلَلْتُ كما تحِلُّون ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ، فحِلُّوا ، فحللنا وسمنا وأطعنا . قال عطاء : وقال جابر : فقال سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشَمٍ : يا رسول الله ، لعامنا هذا أم للأبد ؟ قال : للأبد . وعنه أن سراقَةَ بْنَ مَالِكٍ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَقْبَةِ وَهُوَ يَرْمِيهَا ، فَقَالَ : أَلَيْسَ لَكُمْ هَذِهِ خَاصَّةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : لَا ، بَلْ لِلْأَبَدِ . أضرهما .

وسراقة كنيته أبو سفيان كُناهُ مُذِلِّجِيّ ، أسلم عام الفتح ، ويقال فيه سراقة ابن جُشم ، وسُراقة بن مالك بن جُشم ، وقصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة مشهورة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه عُمْرَة استمتعنا بها ، فمن لم يكن معه هدى فَلْيُحِلِّ الحِلَّ كاه ، إن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة .

احتج بظاهر قوله « هذه عمرة استمتعنا بها » من قال : إنه كان متمتعاً ، وحمله غيره على ما تقدم من إرادة مَنْ تمتع من أصحابه ، وهو كقول الرجل الرئيس : فعلنا كذا ، ولم يباشر هو الفعل ، وقد سبق ذكر ذلك في فصل التمتع .

وعن عمران بن الحصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى متعة الحج ، وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم تنزل آية تنسخ آية المتعة ، ولم ينه عنها حتى مات ، قال رجل برأيه بعد ما شاء . وفي رواية : قال رجل برأيه ما شاء ، يعني عمر . وفي رواية قد كان يسلم على حتى اكتويت ، ثم تركت السكينة فماد . أخرجهما .

احتج بعض أهل الظاهر بظواهر هذه الأحاديث ، على أن التشيخ جائز إلى الآن ، وهو مذهب أحمد ؛ وجمهور أهل العلم على أنه كان خاصاً بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عامئذ ، وإنما أمرهم به ليخالفوا عادة الجاهلية ، وما كانوا عليه من منع العمرة في أشهر الحج . وقوله « بل للأبد » : أى الاعتمار في أشهر الحج ، لافسخ الحج إلى العمرة ، بدليل حديث أبي ذرٍّ وغيره . وقوله « دخلت العمرة في الحج » : أى جاز فعلها في أشهره ، خلافاً لما كانت الجاهلية عليه في إنكارها فيها . وقد تقدم الكلام في هذا مستوفى في باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تأوله من لم ير وجوب العمرة ، أنها ساقطة بالحج ؛ فعنى دخولها فيه سقوط وجوبها . ويُحتمل أن يقال : كان ذلك خاصاً بالصحابة ماداموا ، ويدل عليه رواية أبي ذرٍّ . وبلال بن الحارث ، من إضافة التخصيص إليهم . ومن العلماء من ذهب إلى أن إحرام الصحابة كان مطلقاً ، موقوفاً على انتظار القضاء ، فأمرهم صلى الله

عليه وسلم أن يجعلوها عمرة لا أنهم أحرموا بالحج ، ثم فسخونه إلى العمرة ، والمشهور هو الأول . وأما قول عمر فظاهره إنكار فسوخ الحج إلى العمرة ، محتجاً بالآية وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن يكون كره المتعة والقرآن كراهية تنزيه ، لا مانعاً ؛ ويدل على ذلك قوله قد فعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واسكنى كرهت . . . إلى آخره ؛ وهذا مثل استحبابه لأهل مكة الإلهال من أول الشهر ، ليكثر الشعث ، وعليه يدل ظاهر إنكار عمران بن الحصين ، فإنه لم يتعرض إلا لمطاق المتعة ، فيحمل على المتعة المعروفة .

٥ - ما جاء من الاختلاف في نسك عائشة ،

والتوفيق بين المختلف بقدر الإمكان

عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاندكرُ إلا الحج ، حتى جئنا سرف ، فطُمِئْتُ ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قلت : والله ودِدْتُ أنى لم أكن خرجت العام . قال : مالك ؟ لعلك نفِستِ . قلت : نعم . قال : هذا شئء كتبته الله على بنات آدم ، افعلى مايفعل الحاج ، غيراً ألا تطوفى بالبيت حتى تطهرى . قال : فلما قدمنا مكة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : اجعلوها عُمرَةً . فأحل الناس ، إلا من كان منه الهدى ، قالت : فسكان الهدى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ، وذوى اليسارة ، ثم أهلوا حين راحوا ، قالت : فلما كان يوم النحر طهرت ، فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضت . قالت : فأتينى بلحم بقر ، وفى سيرة ابن إسحاق : أتيت بأحم بقر كثير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ؛ فلما كانت ليلة الخضبة ، قلت : يا رسول الله ، يرجع الناس بحجّة وعُمرة ، وأرجع بحجة ، قالت : فأمر عبد الرحمن بن أبى بكر فأردفنى على جملته ، قالت : فإنى لأذكر وأنا جارية حديثة السن أنعُسُ ، فيصيب وجهى مؤخرة الرجل ، حتى أتى التميم ، فأهلَّتْ منها بمُرة ، جزاء

بِعُمْرَةِ النَّاسِ الَّتِي اعْتَمَرُوا . وفي رواية : حتى نزلنا سَرِفَ ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فقال : من لم يكن معه هدى ، فأحب أن يجعلها عُمرَةً فليفعل ، ومن كان معه هدى فلا ، فمنهم الآخذ بها والتارك ، ممن لم يكن معه هدى ؛ وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه الهدى ، ومع رجال من أصحابه لهم قوة ، فدخل عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال : ما بَيْـكُكَ ؟ قلت : سمعت كلامك مع أصحابك ، فَمُنَعْتُ العِمْرَةَ . قال : ومالك ؟ قلت : لأصلى . قال : لا يضرك ، كوني في حجك ، فعسى الله أن يرزقكها ، إنما أنت من بنات آدم . قالت : فخرجت في حجتي حتى نزلنا مِنِّي ، فطَهَّرْتُ ثُمَّ طُفْتُ بِالْبَيْتِ ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمُحَصَّبُ ، فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : اخرج بأختك من الحرم ، فَنُتِهَلْ بِعُمْرَةٍ ، ثُمَّ لَتُطَفْ بِالْبَيْتِ . وإني أنتظر كما هاهنا . قالت : فخرجت فأهملت ، ثُمَّ طُفْتُ بِالْبَيْتِ ، وبالصفاء والمروة ، فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في منزله ، في جوف الليل ، فقال : هل فَرَّغْتَ ؟ قلت : نعم . فأَذَّنَ في أصحابه بالرحيل ، فخرج ، فَرَّ بِالْبَيْتِ ، فطاف به قبل صلاة الصبح ، وخرج إلى المدينة . وفي رواية : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من القعدة ، لا نرى إلا أنه الحج ، حتى إذا دنونا من مكة ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن معه هدى إذا طاف بالبيت ، وبين الصفاء والمروة أن يَحِلَّ . وفي رواية : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موافين لَهلال ذي الحجة . وفيها : فلما كنت في بعض الطريق حَضَّتْ . وفي رواية : فلما قدمنا تطوفنا بالبيت ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن معه هدى أن يَحِلَّ . وفيها : أنها لما اعتمرت قالت : فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُضْعِدٌ مِنَ الْأَكْمَةِ ، وأنا منهبطة منها ، أو أنا مُضْعِدَةٌ ، وهو منهبط . وفي رواية : أنه انتظرها بأعلى مكة . وقد سبق قولها : يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ ، وَأَصْدُرُ بِنُسْكَ ، الحديث ... إلى آخره ، والأكمة : بفتح الهمزة والكاف والميم ، وجمعها آكام بالفتح والد ، وقيل : إكّام بالكسر والقصر . ويجمع أيضا [على] أَكْمَ وَأَكْمُ بفتحها وضمها : قيل هي

الجبـال الصغار ، وقيل : ما اجتمع من التراب أكبر من السكـدنية . وقيل : ما علـامـن الأرض ولم يبلغ أن يكون حـجـراً . وقيل : هـى فوق الـرابـية ، ودون الجبل . وقيل : هـى الـرابـية . وقيل : هـى التل العظيم المرتفع من الأرض .

وعنها قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع مـضـين من الحـجـة أو خـمس ، فدخل على وهو غضبان ، فقالت : من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار . قال : أو ما شعرت أنى أمرت الناس بأمر ، فإذا هم يترددون ، ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى معى حتى أسير به ، وأحل كما أحلوا .

فى هذا الحديث وفيما تقدمه فى هذا الباب ، وفى الباب قبله ، وفى باب التمتع فى أول الكتاب ، ما يدل على أنه ختم الفسخ ، وأن الأمر به كان حين قدم مكة . وفى الحديث قبله أنه خـيـر بين الفسخ والبقاء على الإحرام ، وأنه كان بـسـرِف . وكل ذلك فى حق من لم يسق الهدى . ولا تضاد بين الأحاديث كلها ، فإنه فى أول إحرامهم بذى الحليفة خيـرهم بين أنواع النسك : من الأفراد ، والتمتع ، والقران ، على ما تضمنه الحديث فى باب وجوه أداء النسكين ؛ فلما كان بـسـرِف خيـر من لم يسق الهدى بين البقاء والفسخ ، فلما طاف وسعى أمرهم أمراً حتماً ، وكل ذلك إنما كان بوحي من الله جل وعلا فى الأوقات الثلاثة ، « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى » .

هذه الأحاديث كلها ليس فيها أن عائشة كانت مـعـتـمة ، بل مصرحة بأنها كانت فى حج ؛ وأخرج هذه الأحاديث بطرقها الشيخان ، وقد جاء ما يدل على أنها كانت مـعـتـمة ، عنها أنها أهلت بعمرة وقدمت ، ولم تطف بالبيت حتى حاضت ، فنسكت للناسك كلها ، وقد أهلت بالحج ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : سعيك وطوافك لحجك وعمرك ، فأبت ، فبعث بها مع عبد الرحمن إلى التمتع ، فاعتمرت بعد الحج . وفى لفظ آخر : أنها حاضت بـسـرِف ، وطهرت بعرفة : وفى رواية : فلم أزل حائضاً حتى كان يوم عرفة ولم أهـل إلا بعمرة ، فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتقض رأسى ، وأهـلـتـهـنـط ، وأهـلـتـهـنـط بالحج ، وأترك العمرة قالت : ففعلت ذلك .

وفي رواية أنها قالت بعد ذكر العمرة : فقضى الله حَجَّنا وعُمَرَتنا ، ولم يكن في ذلك هَدْي ولا صَدَقَةٌ ولا صَوْم . أضر بهما الشيخان . ولفظ البخاري : فقضى الله حَجَّها وعُمَرَتها . وفي رواية عند البخاري : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فأهلانا بعمرة ، فقَدِمَت مكة وأنا حائض ، فشكوت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : انقُضِي رأسك ، وامتشطي ، وأهلي بالحج ، ودعي العمرة : ففعلت . وفي رواية عنده أيضا : أنها قالت : كنت ممن أهل بعمرة ، فأظنني يوم عرفة وأنا حائض ، فشكوت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرُقُضِي عُمرتك ، وانقُضِي رأسك ، وامتشطي ، وأهلي بالحج . وفي رواية عند مسلم : أنها حاضت بسَرف ، وطهرت بمرقة . وفيها : فقال صلى الله عليه وسلم : يَجْزِي عنك طوافُك بالصفاء والمروة عن حجك وعمرتك . وفي رواية عند أبي داود : كنت ممن أهل بعمرة ، فلما كان في بعض الطريق حضت . ثم ذكر معنى ماتقدم . وفي رواية عنده أيضا : أنها حاضت ليلة البطحاء .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أقبلنا مهلين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجٍّ مُفَرَّد ، وأقبلت عائشة بعمرة ، حتى إذا كنا بِسَرف عَرَكت عائشة ، حتى إذا قدمنا طُفْنَا بالسكبة ، وبالصفاء والمروة ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل منامن لم يكن معه هَدْي ، قال : فقلنا : [حِلٌّ] ماذا ؟ قال : الحل كله ، فواقعنا النساء ، وتطيببنا بالطيب ، وكيسنا الثياب ، وليس بيننا وبين عَرَفة إلا أربع ليال ، ثم أهلنا يوم التروية ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فوجدها تبكي ، فقال : ما شأنك ! فقالت : شأنى أنى قد حضت وقد حل الناس ولم أحل ، ولم أطف بالبيت ، والناس يذهبون إلى الحج الآن . فقال : إنَّ هذا أمر كتب الله على بنات آدم ، فاغتسلي ، ثم أهلي بالحج ، ففعلت . ثم وقفت المواقف ، حتى إذا طهرت طافت بالسكبة ، وبالصفاء والمروة ، ثم قال : قد حَلَّت من حجِّك وعُمَرَتك جميعا . قالت : يا رسول الله ، إني أجد في نفسي أنى لم أطف بالبيت حين حجَّجت . قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن ، فأعمره .

من التمتع ، وذلك ليلة الحَضْبَةِ . أخرجه الشيخان^(١) . زاد البخاري : فاعتمرت عُمرَةَ في ذِي الحِجَّةِ ، بعد إتمام الحج . ولمسلم في طريق آخر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً سَهْلًا ، إِذَا هَوَيْتَ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى التَّمَتُّعِ ، فاعتمرت ، وقال : هذه مكانُ عُمرَتِكَ ، وطاف الذين أَهَلُّوا بِالْعُمْرَةِ بِالْبَيْتِ ، وبالصفا والروة ، ثم حَلَّوْا ، ثم طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بعد أن رَجَعُوا مِنْ مَنَى لِحَجَّتِهِمْ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَانُوا جَمَعُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَإِنَّمَا طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا .

شرح — قوله : « عَرَّكَتَ » بعين وراء مهملةتين مفتوحتين : أى حاضت . والعارك الحائض . وقوله « فَأَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى آخِرِهِ » : قال أبو حنيفة بظاهر هذه الأحاديث : إن المَعمِرَ في أشهر الحج ، المرید للحج ، إِذَا كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ ، فَلَا يَحِلُّ مِنْ عُمرَتِهِ ، وَيَبْقَى عَلَى إِحْرَامِهِ حَتَّى يَحْجَّ .

وتعلق أيضا بإخباره صلى الله عليه وسلم ، أن المانع له من الإحلال سَوَقُ الْهَدْيِ ، وَأَجِيبَ عَنْ هَذَا بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ مُعْتَمِرًا . واحتجَّ أبو حنيفة وأصحابه بهذه الأحاديث أيضا على أن للحائض رفض العمرة إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا هَدْيٌ .

وقوله « قَضَى اللَّهُ حَجَّنَا وَعُمرَتَنَا ... » إِلَى آخِرِهِ : أى أتم ، وفيه إشعار بأنها كانت مُفَرَّدَةً ، إِذْ لَمْ يَخْتَلَفِ الْعُلَمَاءُ فِي وَجوبِ الدَّمِ أَوْ الصَّوْمِ لِمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا فِيهِمَا ، إِلَّا دَاوُدَ فِي إِسْقَاطِ دَمِ الْقِرَانِ ، وَتَابِعَهُ ابْنُ حَزْمٍ ، وَأَنَّ عَمْرَتَهَا الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ الْحَجِّ ، لَمْ تَكُنْ قِضَاءً ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مَبْتَدَأً ، وَيَكُونُ هَذَا إِخْبَارًا عَنْ نَفْسِهَا بِأَنَّهُمَا كَانَتْ أَحْرَمَتَ بِالْحَجِّ ، ثُمَّ نَوَتْ فَسَخَهُ إِلَى الْعُمْرَةِ ، فَلَمَّا حَاضَتْ وَلَمْ يَتِمَّ لَهَا ذَلِكَ ، رَجَعَتْ إِلَى حَجِّهَا مِنْ غَيْرِ إِهْلَالٍ ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ الرَّوَايَةُ الْآخَرَى : كَوْنِي فِي حَجِّكَ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَكِيهَا ، فَلَمَّا أَكْمَلْتُهُ اعْتَمَرْتُ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ خَاصًّا ، أَوْ تَكُونُ نَوَتْ أَنْ تَفْسَخَ وَلَمْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَظْهَرُ ، فَإِنَّ التَّخْصِصَ خِلَافَ الْأَصْلِ ؛ أَوْ يَكُونُ الدَّمُ وَالصِّيَامُ إِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَمَتِّعِ وَالْقَارِنِ الْقَاصِدِ لِرَبْحِهِ مَشَقَّةَ أَحَدِ النَّسُكَيْنِ ، عَلَى مَا عَلَّلَ بِهِ فِي وَجوبِ الدَّمِ ، وَتَكُونُ

(١) أقول : الذي أخرجه بهذا اللفظ هو أبو داود .

هى غير قاصدة لذلك . وهذا يلتفت ^(١) على اعتبار نية التمتع في وجوب الدم ، وفيه خلاف .
ومن قال : كانت مُفَرِّدة أجل قولها في هذا الحديث : « فسكنت فيمن أهل بمرة » ،
على أنها أشارت إلى الوقت الذي نوت فيه الفسخ .

وجملة هذه الأحاديث تدل على أنها كانت محرمة بالعمرة ؛ وقد اختلف العلماء
في تأويل ذلك ؛ فذهب بعضهم إلى ترجيح رواية الحج ، فإنها رواية عمرة والأسود
والقاسم ، وغلطوا رواية عروة ، لأن من روى الحج ساق عملها في الحج ، من أوله إلى
آخره ؛ ومن روى العمرة أخبر عن مجرد الإحرام بها فقط ، وبمحتمل أن يكون إهلالها
بالحج أولا ، ثم أهلت بالعمرة حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بفسخ الحج إلى العمرة ،
لما سمعته قال لأصحابه ذلك ، ولهذا قالت له : فتمتعت بالعمرة أى ففعلتها ، وفي بعض
النسخ فتعت العمرة ، أى التحلل منها وتماها ؛ وعليه يُحمل قولها لما دخل عليها يوم التروية
وهى تبكى ، فقال : ما شأنك ؟ فقالت : قد حُضت وحلّ الناس ، ولم أُحِلْ أى من
العمرة التى فسخت الحج إليها ، وهذا فسره القاسم في حديثه ، فأخبر عنها بالحج والعمرة
جميعا . وأما قوله صلى الله عليه وسلم : أهلى بالحج ، واتركى العمرة . أى العمرة التى
فَسَخَتْ الحج إليها . وليس المراد هنا بترك العمرة إسقاطها جملة ، وإنما المراد ترك فعلها ،
وإرداف الحج عليها ، حتى تصير قارئة ، وتندرج أفعالها في أفعال الحج ؛ ويؤيد ذلك
ما جاء في بعض الطرق : وانسكى عن العمرة ، ويبينه قوله لما يوم النفر : سعيك وطوافك
لحجك وعمرك جميعا . فأبت فأمرها أن تمضى إلى التمتع . وهذا قول الشافعى ، وعلى
هذا تكون عمرتها من التمتع تطوعا ، أمرها صلى الله عليه وسلم بها ، تطيبا لنفسها .
وأما قوله « وانقضى رأسك ، وامتنطى » فهو محمول على أنها كانت مضطرة إلى ذلك ،
كما أبيع لكمب بن مُجَرَّة الحلاق . أو نقول : ليس من ضرورة نقض الشعر والامتشاط
إزالة الشعر ، بل ذلك جائز المحرم لاحتالة ، إذا لم يقطع شعرا ، فصَحَّ بهذا أنها كانت
قارئة بين الحج والعمرة ، عاملة لها عملا واحدا ، وأن طوافها وسعيها أجزأها عنهما ؛ وقد

تظاهرت الأخبار على أنها لم تكن أحلت من عمرتها حتى أردفت الحج عليها ، ثم حلت
منهما جميعا بفعل الحج . والمراد بتلك العمرة العمرة التي فسخت حجها إليها ، على ماقررناه .
وأما قوله : « هذه مكانَ عمرتك » ، فيحتمل أن يكون قال ذلك لأنها أرادت أن تكون
لها عمرة مفردة ، فقال لها ذلك ، أى أنها مكان الذى أردت إفرادها ؛ ويدل عليه حديث
أبي أيوب الغيلاني « فأهلتَ منها » ، يعنى التمتع « بعمرة » ، جزاء بعمرة الناس التي
اعتمرُوا . ومن أدل دليل على أن العمرة لم تكن قضاء ، وأنها كانت لما ذكرناه ،
قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الطُّرُق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا ،
إذا هَوَيْتَ الشيء تابعها عليه . وأما قوله « كوني في حجك » : أى صيرى نفسك
حاجة كما كنت أولا ، أى جددي الإهلال به ، إذ نويت رفضه ؛ إلا أن هذا يشكل بقولها :
« فقصى الله حجنا وعمرتنا ، ولم يكن في ذلك هذى ولا صدقة ولا صوم » ، أى أتمه .
ولا خلاف بين أهل العلم في وجوب الدم على القارن والمتمتع ، أو الصوم عند العجز
عنه ، إلا من حكينا الخلاف عنه ؛ فإما أن يكون هذا الحكم خاصا بها ، أو يكون قوله
« ارفضى عمرتك » على ظاهره ، وتأويله على ما تقدم ذكره ، من أنها أرادت فسخ الحج
إلى العمرة ، فلما حاضت رجعت إلى الحج من غير تجديد إهلال ، ويكون ذلك خاصا بها
أيضا ، أو يكون الدم إنما يجب على من قصد التمتع أو القران ، على ما سبق تقريره . وأما
قوله : « واستمرى على عمرتك » ، أى إحرامك الأول بالحج ، والحج قد يسمى عمرة ،
لاشترائيهما في معنى القصد ، ويبينه الحديث الآخر ، وهو قوله : « كوني في حجك »
أى اثبتى عليه . وقوله « إن هذا شيء كتبه الله عز وجل على بنات آدم » : يرد قول
من قال إن الحيض أرسل على بنى إسرائيل ، ويؤيده قوله تعالى : « وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ
فَضَحِكَتْ » . قال أهل التفسير : ضحكت : أى حاضت ، وهو معروف في لغة العرب ،
وإبراهيم جد إسرائيل . وقد جاء في بعض هذه الطرق ، أنه صلى الله عليه وسلم
أمرهم بالنسخ بعد ما تطوفوا ، وفي لفظ : بعد ما دنوا من مكة ، وفي لفظ : بعد أن
خدم مكة ، وفي لفظ : أمرهم بسرف ، وذلك محمول على تكرار الأمر بذلك ،

وحضهم عليه ، ويكون أمره صلى الله عليه وسلم بالفسخ بعد التطواف ، أمرا
بالتحلل مع تقدم الأمر بالفسخ عليه . وقوله في حديث جابر « ثم دخل على عائشة ،
فوجدها تبكي ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : شأني أني قد حضت » : قد يتغيل من هذا
السياق أن حيضها كان بمكة ، لأن دخوله كان بعد القدوم إلى مكة ، وليس كذلك ،
بل كان بسرف كما تضمنته الطريق الصحيحة مصرحاً به ، وإنما أخبرته بمكة بما وقع
بسرف ، وقد تقدم في حديثها في أول الفصل ، أنه دخل عليها بسرف ، وقال لها ،
وأجابته بمثل ما ذكرناه ، فيكون الدخول تكرر منه ، وكذلك القول منه والإجابة
منها ؛ وابتداء الحيض بسرف ، وعليه تحمل الرواية عنها المتقدمة « حتى إذا كنا ببعض
الطريق حضت » إذ يصدق عليه بعض الطريق ، وأما الطهر فكان بعرفة ، على ماتضمنته
الأحاديث المصرحة به . وقد جاء في بعض الطرق أنها طهرت يوم النحر ، على التطهر
بالفصل ، ويكون معنى طهرت : تطهرت . وأما من روى طهرها ليلة البطحاء فهو مخالف
للروايات كلها ، وهذه اللفظة منسكرة مردودة ، وليلة البطحاء هي ليلة الحصى ، بعد عرفة
بأربع ليال . وهذه اللفظة ليست من كلام عائشة ، وسياق اللفظ يشعر به ، فإنها قالت :
« خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » فذكرت الحديث . وفيه : « فلما كانت
ليلة البطحاء حاضت عائشة » ، ولو كان من كلامها لقالت : حضت ، فهذا مع مغايرته
لجميع الروايات يوجب سقوط اعتبارها ، وما أخبرت به عائشة عن نفسها هو المعتبر ،
إذ هي أعرف محلها من غيرها ، وهذه اللفظة رواها حماد بن سلمة ، وقد روى الحديث
وهيب بن خالد ، وحماد بن زيد ، ولم يذكر هذه اللفظة ، فسقط التعاقب بها . وقولها في
بعض الطرق « فلم أزل حائضاً حتى كان يوم عرفة » ، وقولها « فأظاني يوم عرفة وأنا
حائض » : لا يصاد ما جاء أنها طهرت بعرفة ، لأنها تكون في أوله حائضاً ، ثم تطهر
في مَظْمَه . والله أعلم . وقولها « فإني وهو مصعد على مكة ، وأنا منهبطة ، أو أنا مصعدة
وهو مُنْهَبِطٌ » . وفي رواية : « فجاء وهو في منزله » . وفي رواية : « وهو بالحصى » : فيحتمل

أنه أرسلها مع أخيها من منزله ، وهو المحصب ، ثم ركب إلى البيت فطاف ، فتخلفت
بعده قليلا ، ثم ركبت بعد طوافه ، وقيل تمام عمرتها ، ثم لما أتمت عمرتها جاءته في
منزله بالحضبة ، ثم طاف بعد ذلك للوداع ، وكان منزله بالأبطح ، فلما ارتحل مرَّ بالبيت
فطاف به ، لأن خروجه من أسفل مكة ، وأعاد الطواف ، ليكون آخر عهده بالبيت .
ويحتمل أن يكون هذا الطَّوَّاف للوداع ، ولم يكن طاف قبله ، إذ روى البخارى :
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طاف بالبيت ، فجعل من طاف غير النبي صلى الله
عليه وسلم ؛ ويكون على هذا لقاءه لعائشة حين انتقل من المحصب إلى ظهر العقبه ، خوف
الافتداء به في نزول البطحاء . روى ذلك عبد الرزاق في مصنفه ، والله أعلم .

البَابُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي الْعُمْرَةِ

١ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِهَا وَالْحَثِّ عَلَيْهَا

تقدم في الباب الأول حديث : العُمرة إلى العُمرة كفَّارة لما بينهما . وحديث : تابعوا بين الحج والعُمرة . وحديث : الحاجُّ والعمار وفد الله . وحديث : من مات حاجًّا أو معتمرًا . وأحاديث تتضمن الحج والعُمرة .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، أن عمر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العُمرة ، فأذن له ، وقال : لاتنسنا من دعائك أو أشركنا في دعائك . أضرجه أبو داود . وأضرجه أحمد بزيادة ، ولفظه : عن عمر أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العُمرة ، فأذن له ، وقال : يا أخى ، لاتنسنا من دعائك . وفى لفظ : يا أخى أشركنا في دعائك ، قال : ما أحب أن يكون لى بها ماطلعت عليه الشمس . لقوله « يا أخى » . وأضرجه كذلك الحافظ السلفى وصاحب الصَّفوة ، وضرجه ابن حرب الطائى ، ولفظه : أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا .

وعن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جده ، أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العُمرة الحج الأصغر . أضرجه ابن الحاج فى منسكه .

٢ - مَا جَاءَ فِي وَجوبِ الْعُمْرَةِ

تقدم فى باب إيجاب الحج حديث أبى رَزِين العُقَيْلى دليلا على ذلك .

وعن عمر بن الخطاب حديثه فى مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وسؤاله عن الإسلام . قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم

الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتُحجّ البيت ، وتعمّر . أُنْزِمَ الجوزقي في كتابه الخرج على الصحيحين ، وذكره أبو الفرج في مُنِير الفرام .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنها لقرينتها في كتاب الله : « وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » أُنْزِمَ البخاري

وعنه قال : الحج والعمرة واجبان . أُنْزِمَ سعيد بن منصور .

وعنه : العمرة واجبة كوجوب الحج ، من استطاع إليه سبيلا . أُنْزِمَ الدارقطني .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال : ليس أحد إلا وعليه حجٌّ وعمرة .

أُنْزِمَ البخاري .

وعن عطاء مثله . أُنْزِمَ البيهقي .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحج

والعمرة فريضتان ، لا يضرّك بأيهما بدأت .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الحج والعمرة فريضتان على الناس كلّهم ،

إلا أهل مكة ، فإن عمرتهم طوافهم ، فإن أبوا فليخرّجوا إلى التنعيم ، ثم ليدخلوا بها

مُحْرِمِينَ . والله ما دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم قط إلا حاجاً أو معتمراً .

أُنْزِمَ مهرا الدارقطني .

وعن عليّ وابن عباس رضي الله عنهما ، أنهما قالوا : الحجُّ الأكبر يوم النحر ،

والحجُّ الأصغر العمرة . أُنْزِمَ أبو ذرّ .

وعن عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتاباً ،

وبعث به مع عمرو بن حزم فيه ، وأنَّ العمرة الحج الأصغر . ولا يمسُّ القرآن إلا طاهر

أُنْزِمَ الدارقطني .

وعن سعيد بن جبّير وقيل له : إن الشعبي يقول : إن العمرة تطوُّع . قال : يقول

لي : وأتمُّوا الحج والعمرة لله . وفي رواية : أنه سُئِلَ عن العمرة . فقال : هي واجبة .

فقيل له : إن فلانا يزعم أنها تطوُّع . قال سعيد : كذب فلان . أُنْزِمَ مهرا سعيد بن منصور .

في هذه الأحاديث دلالة على وجوب العمرة . ومن قال بوجوبها عُمرُ وابنُ عمر
وابن عباس ، وهو مذهب الشافعي وأحمد . وقال مالك وأصحاب الرأي : هي سنة .
وأما تخصيص ابن عباس أهل مكة بعدم الوجوب ، فيحتمل أن يكون هذا رأيه فيهم ،
ووجهه أن العمرة زيارة البيت ، وهم أهل البيت ، فلا يحتاجون إلى زيارة ؛ ولهذا قال :
فإن أبوا وإلا خرجوا إلى التنعيم ، أي حتى يثبت لهم حكم غير الحُرْمَةِ ، ثم يقصدون
الحَرَمَ كما يقصده غيرهم . وقد رُوِيَ عن عطاء مثل قول ابن عباس ، ولفظه : بأهل مكة ،
إنما عمرتكم الطواف بالبيت ، فإن كنتم لابد فاعلمين ، فاجعلوا بينكم وبين الحرم بطن واد .
وعنه أنه كان يقول : المجاور بمنزلة أهل مكة . أخرجهما سعيد بن منصور .

٣ - حجة من قال لا تجب مطلقا

عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة ، أهى واجبة؟
قال : لا . وأن تعتمر هو أفضل . أخرجه الترمذي ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه أحمد ،
وقال : وأن تعتمر خير لك .

وعن أبي صالح الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحج جهاد ،
والعمرة تطوع . أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي .

٤ - ما جاء في عدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم ووقت اعتمازه

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربعَ عُمرٍ ، كلها
في ذى القعدة ، إلا التي مع حجته : عُمرَةُ الحُدَيْبِيَّةِ ، أو زمن الحديبية ، في ذى القعدة ،
وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة ، وعمرة من الجمرانة ، حيث قسم غنائم حُتَيْنِ
في ذى القعدة ، وعمرة في حجته .

وعن قتادة قال : سألت أنسًا : كم حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حجة
واحدة ، واعتمر أربعَ عُمرٍ ، ثم ذكر نحوه .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربعَ عُمرٍ ، إحداهن في رجب ،

فَأَنكَرْتُ ذَلِكَ عَائِشَةَ ، وَقَالَتْ : مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَجَبٍ قَطًا ، فَسَكَتَ وَلَمْ يَرَا جَمْعًا : أَضْرِبْهُنَ الشَّيْخَانِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعًا ، إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ . أَضْرِبْهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحِّحْهُ . هَكَذَا فِي بَعْضِ نَسَخِ التِّرْمِذِيِّ ، وَالْأَصُولُ الصَّحِيحَةُ مِنْهُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، وَتَخْرِيجُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ غُلَطٌ . وَقَدْ رَوَى ابْنُ حَزَمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمرَةٍ : عُمرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَالثَّانِيَةَ حِينَ تَوَاطَعُوا عَلَى عُمرَةٍ قَابِلٍ ، وَثَلَاثَةَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ ، وَالرَّابِعَةَ الَّتِي قَرَنَ مَعَ حَجَّتِهِ . وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ ثَلَاثَ عُمرٍ ، سِوَى الَّتِي قَرَنَ بِحُجَّةِ الْوُدَاعِ : أَضْرِبْهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عَزْرَةَ بِنِ الزَّيْبِرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْتَمَرَ إِلَّا ثَلَاثَ عُمرٍ ، إِحْدَاهُنَّ فِي شَوَّالٍ وَاثْنَتَيْنِ فِي الْقَعْدَةِ . أَضْرِبْهُ مَالِكٌ وَرَزِينٌ . وَأُضْرَجُ ابْنَ حَبَّانَ فِي التَّقَاسِيمِ وَالْأَنْوَاعِ أَنَّ عُمرَةَ الْقَضَاءِ كَانَتْ فِي رَمَضَانَ ، وَأَنَّ عُمرَةَ الْجِعْرَانَةِ كَانَتْ فِي شَوَّالٍ ، وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ ذَلِكَ غَيْرَهُ فِيمَا عَلِمْتُ ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ كِلْتُمَاهُمَا فِي الْقَعْدَةِ . وَأُضْرَجُ الدَّارِقُطَنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فِي رَمَضَانَ ، فَلَعَلَّهَا الَّتِي فَعَلَهَا فِي شَوَّالٍ ، وَكَانَ ابْتِدَاؤُهَا فِي رَمَضَانَ . وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ سَلِيمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِي فِي فَوَائِدِهِ الْمُنْتَاقَةِ الْحَسَانَ الْعَوَالِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْحَنْفِيُّ ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ قَبْلَ حَجَّتِهِ عُمَرَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَلَمْ يَحْجْ غَيْرَهَا ، إِحْدَى عُمرِهِ فِي رَمَضَانَ ، أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ عَمَّ أَبُو يَحْيَى الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الطَّائِبِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ بِمَكَّةَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، ثَنَا زَاهِرُ بْنُ رَسَمٍ الْأَصْبَهَانِي سَمَاعًا (أَنَا) أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ السَّيِّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّبَاغِ ، (أَنَا) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ هَزَارْمَرْدِ الصَّرِيفِيِّ ، قَالَ : (أَنَا) ابْنُ زُبَيْرٍ قَالَ : (أَنَا) أَبُو بَكْرٍ . وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرٍ وَقَدْ سُئِلَ : كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : مَرَّتَيْنِ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَقَدْ عَلِمَ ابْنُ عَمْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ ثَلَاثًا سِوَى الَّتِي قَرَنَ مَعَ حُجَّةِ الْوُدَاعِ ،

أُضْرِمَ أَبُو دَاوُدَ . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : صَدَقَتْ عَائِشَةُ ، وَصَدَّقَ ابْنُ عَمْرٍ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْتَمِرْ مَذْهَابًا إِلَى الْمَدِينَةِ عُمْرَةً كَامِلَةً مَقْرَرَةً إِلَّا اثْنَتَيْنِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَمْرٍ ، وَهِيَ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ ، وَعُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ عَامَ حَنْبِنٍ وَعَدَّتْ عَائِشَةُ إِلَى هَاتَيْنِ الْعُمَرَتَيْنِ عُمْرَةً الْحَدَيْبِيَّةَ ، الَّتِي صَدَّ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَحَلَّ بِالْحَدَيْبِيَّةِ وَنَحَرَ الْهَدْيَ ، وَالْعُمْرَةَ الَّتِي قَرَنَ مَعَ حُجَّةِ الْوَدَاعِ لَمْ يَكْمَلْ أَفْعَالَهَا ، فَتَنَافَقُوا لَهَا . وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ قَوْلُ أَنَسٍ : أَرْبَعُ عُمَرٍ ؛ وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ ثَلَاثَ عُمَرٍ : عُمْرَةُ الْحَدَيْبِيَّةِ ، وَعُمْرَةُ الْقَضَاءِ ، وَعُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ الثَّلَاثَ كَانَتْ فِي الْقَعْدَةِ . وَاخْتَلَفُوا : هَلْ اعْتَمَرَ الرَّابِعَةُ ؟ فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ كَانَ قَارِنًا أَوْ مَتَمِّعًا فِي حُجَّتِهِ عِدهَا أَرْبَعًا ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ كَانَ مُفْرِدًا عِدهَا ثَلَاثًا ، وَيَجُوزُ عَلَى هَذَا نِسْبَةُ الرَّابِعَةِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ أَمَرَ النَّاسَ بِهَا ، وَعَمِلَتْ بِحَضْرَتِهِ .

٥ - مَا جَاءَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ قَبْلَ حَجَّهِ

عَنِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُمَا قَالَ : اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ . أَوْضَحَهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ . وَقَوْلُ ابْنِ عَمْرٍ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَرَضَ الْحَجِّ قَدْ كَانَ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ اعْتِمَارِهِ ، وَلَوْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَزُولِ فَرَضِ الْحَجِّ ، مَا صَحَّ اسْتِدْلَالُ ابْنِ عَمْرِو عَلَى جَوَازِ الْإِعْتِمَارِ قَبْلَ الْحَجِّ ، لِإِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْعُمْرَةِ قَبْلَ الْحَجِّ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ . وَهُوَ قَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ مَرَّتَيْنِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ .

٦ - مَا جَاءَ فِي إِبَاحَةِ تَكَرُّارِ الْعُمْرَةِ فِي الطَّوَافِ

تَقَدَّمَ فِي فَصْلِ تَفْضِيلِ الطَّوَافِ عَلَى الْعُمْرَةِ مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ وَعَطَاءٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَفَعَلَ جَمْعُ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مَا تَضَمَّنَ الدَّلَالَةَ عَلَى ذَلِكَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ ، وَأَصْدُرُ بِنُسْكَ ؟ فَقِيلَ لَهَا : انْتَظِرِي ، فَإِذَا طَهَّرْتَ فَاخْرَجِي إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَأَهْلِي ، ثُمَّ أَنْتِينَا

ممكن كذا وكذا ، ولكنها على قدر نفقتك أو نصيبك . أضرهما .
وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر عشرين في ذى القعدة ، وعمرة في شوال .
أضرهما الترمذى .

وعن سعيد بن المسيّب ، أن عائشة اعتمرت في سنة واحدة مرتين ، مرة من
ذى الحليفة ، ومرة من الجحفة

وعن نافع أن ابن عمر اعتمر أعواما في عهد ابن الزبير ، عُمرتين في كل عام .

وعن أنس رضى الله عنه أنه كان إذا حَمَمَ رأسه خرج فاعتمر .

وعن مجاهد أن عليا عليه السلام قال في كل شهر عُمرة . أضره الجميع الشافعى

في مسنده . أضره حديث على سعيد بن منصور والبيهقى وأبو ذر .

وعن عطاء أنه قال : في كل شهر عُمرة ، وفي كل شهر عمرتان ، وفي كل شهر
ثلاثُ عمر .

وعن القاسم أن عائشة اعتمرت في شهر ثلاثُ عمر .

وعنها أنها قالت : حَلَّت العمرة السنة كلها ، إلا أربعة أيام : يوم عرفة ، ويوم النحر ،
ويومان بعده . أضره الأربعة أبو ذر .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : خمسة أيام ، يوم عرفة ، ويوم النحر ، وثلاثة
أيام التشريق ، فاعتمر قبلها وبعدها متى شئت .

وعن طاووس : إذا مضت أيام التشريق فاعتمروا إلى قابل . أضرهما سعيدُ
ابن منصور .

في هذه الأحاديث دلالة على إباحة تكرار العُمرة في السنة ، خلافا لمن أنكره ،
ووجه الدلالة من حديث عائشة الأول ، أنه ثبت أنها قدِمَت محرمة بعُمرة ، ثم أدخلت
الحج عليها بأمره صلى الله عليه وسلم ، ثم أعرها صلى الله عليه وسلم من التمتع ، فحصلت
العُمرتان في ذلك العام ، ولم يكن بينهما عشرة أيام . ووجه الدلالة من غيره ظاهر . وقوله .
في حديث أنس « كان إذا حَمَمَ رأسه » هو بالخاء المهملة : أى اسودَّ بعد الخلق في الحج

سبببات الشعر ؛ والمعنى أنه كان لا يؤخر العُمرة إلى الحرم ، بل كان يخرج إلى الميقات ، ويعتمر في ذى الحجة . هكذا ذكره الجوهري وابن الأثير ، وقَيَّده بالمهلة ؛ ومن عوام الرواة من يرويه بالجيم ، يذهب به إلى الحُجَّة ، والمحفوظ بالمهلة .

ووجه دلالة على التكرار أن الظاهر من حاله أن هذه عادته ، كُلَّما اسودَّ شعره من حلق في نُسْك ، خرج وأتى بآخر .

إذا تقرر هذا ، فتكرار العُمرة والإكثار منها مستحب عندنا مطلقا ، للآفاق والمسكى ، وإن كان ذلك على خلاف ظاهر قول السَّلف في المسكى وفعلهم ، على ما تقدم تقريره في باب الطواف ؛ ولهذا خالف فيه مَنْ خالف من الأئمة . والختمار اتباع السلف في تمهدها بعد أيام ، بحيث لاتصير مهجورة ، على ما تقدم تقريره آنفا .

٧ - ما جاء فيمن قال : العمرة مرة في السنة

عن الحسن وإبراهيم أنهما كانا يقولان : العمرة في السَّنة مرة واحدة .
وعن سعيد بن جبَّير وسُئِل عن تكرار العُمرة في السنة . قال : أما أنا فأعتمر في السنة مرة واحدة .

وعن إبراهيم قال : كانوا يكرهون أن يعتمروا في السنة إلا مرة واحدة . أخرجه الجميع سعيد بن منصور .

٨ - ما جاء في عُمرة رمضان

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار ، سماها ابن عباس : ما منمك أن تحجِّي معنا ؟ قالت : لم يكن لنا إلا ناضحان ، فحج أبو ولدها وابنها على ناضح ، وترك لنا ناضحا ننضح عليه . قال : فإذا جاء رمضان فاعتمري ، فإنَّ عمرة في رمضان تعدل حجة . أخرجه . وفي طريق آخر لمسلم : فعمرة في رمضان تقضى حجة ، أو حجة معنى . وسَمَّى المرأة أم سنان الأنصارية .

وعن أم مَعْقِل قالت: جاء أبو مَعْقِل حاجاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قدم قالت أم مَعْقِل: قد علمت أن عليَّ حجة، فانطلقا يمشيان، حتى دخلا عليه صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن عليَّ حجة، وإن لأبي مَعْقِل بكراً، فقال أبو مَعْقِل: صدقت، جملة في سبيل الله. فقال صلى الله عليه وسلم: أعطها فتهجج عليه، فإنه في سبيل الله، فأعطاهما البكر، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة قد كبرتُ وسَقَمْتُ، فهل من عمل يُجْزِي عني من حجتي؟ قال: عمرة في رمضان تجزي عن حجة. أضرهم أحمد. وأبو داود وأضرهم النسائي والترمذي، وقال: حديث حسن.

وعن أبي مَعْقِل أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن أم مَعْقِل جعلت عليها حجة مهلك، فلم يتيسر لها ذلك، فما يجزي عنها؟ قال: عمرة في رمضان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج، فقالت امرأة لزوجها: أحجني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما عندي ما أحجك عليه. قالت: أحجني على جمالك فلان، قال ذلك حبيس في سبيل الله عز وجل، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني امرأتى تقرأ عليك السلام ورحمة الله، وإنها سألتني الحج معك. قالت: أحجني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندي ما أحجك عليه. قالت: أحجني على جمالك فلان. فقلت: ذلك حبيس في سبيل الله؛ قال صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو أحجبتها عليه، كان في سبيل الله. قال^(١): وإنها أمرتني أن أسألك: ما يعدل حجة معك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرئها السلام ورحمة الله، وأخبرها أنها تعدل حجة معي، يعني^(١) عمرة في رمضان. أضرهم أبو داود.

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الأنصار وامرأته: اعتمرا في رمضان، فإن عمرة لسكاً تعدل حجة. أضرهم أحمد وسعيد بن منصور. ويوسف بن عبد الله بن سلام: هو ولد عبد الله بن

(١) الكلمة ساقطة من م، هـ.

سلام ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورؤى عنه ؛ وسلام جده بتخفيف اللام .
وضرح ابن حزم في حجة الوداع الكبرى ، بسنده عن عيسى بن مَعْقِل عن يوسف بن
عبد الله بن سلام ، عن معقل جده عيسى بن معقل ، قالت لها : تهياً رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحجة الوداع ، وأمر الناس بالخروج معه ، أصابتهم هذه القرحة : الجدرى
أو الحصبة ، قالت : فدخل عليها ما شاء الله أن يدخل ، لمرض أبى مَعْقِل ، ومرضت
معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إذا فانتك هذه الحجة معنا يا أم مَعْقِل ،
فاعتمرى عمره في رمضان ، فإنها تعدل حجة .

قلت : يجوز أن تكون أم مَعْقِل هذه هي المذكورة في الأحاديث الثلاثة المتقدمة ،
ويجوز أن يكون زوجها قد شفى قبل توجهه النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه ، فلذلك
قال في حق زوجته ماتقدم ذكره . ويجوز أن تكون غيرها ، ووافقتها في الكنية ،
وتكون المشار إليها في حديث يوسف بن عبد الله بن سلام المتقدم آنفا ، ويكون الراوى
قد خصها بالذكر تارة لمعنى اقتضى ذلك ، إما انفرادها بالسؤال أو غيره ، كما تقدم
في الأحاديث المتقدمة ، وجمعهما في الذكر أخرى ، كما رواه يوسف في الحديث قبله .
وضرح ابن حزم أيضا بسنده عن عيسى ابن مَعْقِل أن ابن أم معقل قال : ثنا يوسف بن
عبد الله بن سلام ، عن حديث أم معقل ، قالت : لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع ، وكان لنا جمل ، فجعله أبو مَعْقِل في سبيل الله ، فأصابنا مرض ، وهلك
أبو معقل ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ جثته ، فقال : مامنك أن
تخرجي معنا ؟ قالت : لقد تهيانا ، فو لك أبو مَعْقِل ، وكان لنا جمل ، وهو الذى نخرج عليه ،
فأوصى به أبو مَعْقِل في سبيل الله . قال : فهلاً خرجت عليه ، فإن الحج في سبيل الله ،
فأما إذا فانتك هذه الحجة معنا ، فاعتمرى في رمضان ، فإنها كحجة .

قال : وذكر ابن إسحق : كان أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
لا يعتمر إلا في العشر الأخير من رمضان لذلك .

قلت : لا يجوز أن تكون هذه المرأة هي المذكورة أولا في حديث ابن عباس ، لأن

تلك ذكرت أن أبا ولدها وولدها حجاً على الناضح ، وهذه ذكرت أن أبا ولدها هلك ، ولا يجوز أن تكون المذكورة في الحديث الثاني ، ولا في الثالث ، وكذلك الرابع ، لما ذكرناه من هلاك زوج هذه ، وما تضمنت هذه الأحاديث من حياته وتحاوره وسؤالها النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك يمنع أن تكون إياها ، ولا يجوز أن تكون المذكورة في حديث يوسف الأول ، لما ذكرناه من الموت والحياة ؛ وأما حديثه الثاني الذي خرجه ابن حزم ، فلا يبعد أن تكون المشار إليها فيه هي المذكورة في هذا الحديث الذي خرجه ثانياً ، فإنها صرحت في هذا بأن زوجها هلك ، ولم تذكر فيما قبله ما يدل على أنه حتى ، فلا تضاد بينهما ، وتكون هذه المرأة المشار إليها في الحديثين ، غير ما تضمنتها الأحاديث قبلها ، وتكون القضايا متكررة ، والأسئلة كذلك ، فبعضها بعد الحج ، كما دل عليه حديث ابن عباس الأول ، وحديث أم معقل بعده ، وحديث يوسف هذا الأخير ؛ وبعضها قبل الحج ، كما دل عليه حديث ابن عباس الثاني ، وحديث يوسف الأول ، مما خرجه ابن حزم ، وتكون المرأة على تقرير اتحادها فيهما ، قد تكرر سؤالها قبل الحج وبعده على ما ذكرنا ، ويكون صلى الله عليه وسلم عرّف الناس بفضيلة عمرة رمضان قبل حجة ، لما أصابهم القرح^(١) ، تسلياً لهم عن الحج معه ، ثم أعاد ذكر ذلك توكيداً عليهم في تدارك تلك الفضيلة . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك لعدة نسوة : أم معقل ، وأم سنان ، كما تقدّم ذكره وأم طلق ، وأم الهيثم ، وأمّ سليم ، ولا تضاد بين قوله في السند : عن أم معقل جدة عيسى بن معقل ، ثم قال : عن يوسف ، عن جدته أم معقل ، لأنها جدة عيسى أم أبيه معقل ، وتكون جدة يوسف بن عبد الله لأمه ، والله أعلم .

شرح — الناضح : هو البعير الذي يستقى عليه الماء خاصة ، والجمع : نواضح . وقوله « تقضى » أى تجزى عن أجرها . وجاء في بعض الطرق « تجزى » ، وهو بمعنى تعدل في الحديث الآخر ، وهو بفتح التاء ، دون همز ، ومنه قوله تعالى « لا تجزى نفس عن

(١) هو الجدري ، كما في النهاية لابن الأثير .

نفس شيئاً» وبنو تميم يقولون : وَجَزَأَتْ عَنْكَ شاةٌ ، بالهمزة ، أى قضت ، وذلك كله فى الأجر والثواب ، لافى الإجزاء عن الفريضة . قال إسحاق : معنى هذا الحديث مثل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأ قل هو الله أحد ، فقد قرأ ثلث القرآن » وقال أبو بكر المَعافرى : وحديث العُمرة فى رمضان حديث صحيح مליح ، ففضل من الله ونعمة ، وأدركتِ العُمرة منزلة الحجِّ معه على الله عليه وسلم ، بانضمام رمضان إليها . وقال أبو الحسن : على بن خَلَف القُرطُبى : وقوله « كحجة » : يريد فى الثواب ، والفضل لا يُدرك بقياس ، والله يُؤتى فضله من يشاء .

قلت : وحديث أم معقل ظاهر فى الإجزاء عنها ، لأنها قالت لزوجها : قد علمت أن على حجة ، ثم وقع السؤال عن الإجزاء عنها ، فطابقه الجواب ، إلا أنى لأعلم أحداً من العلماء قال به . ويحتمل أنها لم تَرِدْ بقولها « على » الوجوب ، وإنما أرادت أنى جعلتها على نفسى ، على سبيل التطوع بها ، لا مُوجِبَةٍ . وفى تعيينه ووصفه صلى الله عليه وسلم عُمرة فى رمضان الإجزاء عن الحجِّ معه ، دليل على أنها أفضل من جنس الحجِّ ، لأنه صلى الله عليه وسلم عدل عنه إليها ، مع القدرة عليه ، فلو كان حجة لأمعه صلى الله عليه وسلم أفضل من عُمرة فى رمضان ، لما عدل إليها . وقد عدل إليها ، فدلّ على ما قلناه . ويمكن أن يقال حال القدرة على عُمرة رمضان ، لا يكون الحجُّ مقدوراً عليه فى ذلك الوقت ، فصار كأنه جاوز عنه ، فوجب الإتيان بالمقدور ، ولو كان مفضولاً ، وصار كمن قدر على سبع من الغنم فى موضع النُّسك ، وعجز عن البدنة والبقرة ، وهو قادر عليهما فى موضعه ، فإنما نوجب عليه سبعة من الغنم ، ونقول : الأفضل أن يأتى بها معجلاً لبراءة الذمة . وفيه دليل على جواز حبس الحيوان فى سبيل الله ، ودليل على أن الحج من جملة السبيل . وقد اختلف العلماء فيه ، فكان ابن عباس لا يرى بأساً أن يُعطى الرجل من زكاته فى الحج ؛ وروى مثله عن ابن عمر ، وبه قال أحمد بن حنبل وإسحاق . ومذهب الشافعى وسفيان وأصحاب الرأى أن سهم سبيل الله يصرف إلى الفزاة والمجاهدين لا غير ، ولا يصرف شىء منه فى الحج . وفيه جواز تسمية الحيوان ، وقد جاء فى السنة الصحيحة ما يشهد

لذلك . وفي أحاديث هذا الفصل دليل على استحباب تكرار العمرة من وجهين : الأول : أن النكرة في سياق التفضيل ، الظاهر منها إرادة العموم ، فإنك إذا قلت رجل من بني تميم يعدل قبيلة من غيرها ، لم يتبادر إلى الفهم إلا أن كل واحد منها كذلك ، فكذلك كل عمرة في رمضان . الثاني : المراد بعمرة في رمضان ، إما أن يُقال كل عمرة لكل أحد ، أو عمرة لكل أحد ، أو عمرة لواحد لا بعينه ، والأول هو المطلوب ، والثالث غير مراد بالاتفاق ، والثاني لازم للأول ، فيتعدى الحكم . بيان الملازمة : أن اتصاف الفعل بالفضل إنما نشأ من جهة الزمان لا محالة ، فإذا ثبت لفعل ، لزم ثبوته لمثله ، وإن تكرر لقيام موجب الصفة ، ولعدم جواز تخلف الحكم عن مقتضيه ، ومن ادعى تخصيصها بعدم التكرار أو تخصيصها بالمخاطبة ، أو بميقات دون غيره ، أو معارضا ، فعليه البيان ، وبهذا فارق الصلاة بعد العصر ، وإن أبيحت لمن لم يصل ، لأن الصفة نمت نشأت من الفعل ، لا من الزمان .

٩ - ما جاء في العمرة في ذى القعدة

تقدمت أحاديث هذا الفصل في فصل عدد عمره صلى الله عليه وسلم « أنه اعتمر ثلاث عمر ، لإحداهن في شوال » . وتقدم في فصل تكرار العمرة من حاديث عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر في شوال » .

١٠ - ما جاء فيمن استحب العمرة في المحرم

عن القاسم بن محمد وسئل عن العمرة في أشهر الحج ، والعمرة في المحرم ، ففضل العمرة التي في المحرم . أخرج سعيد بن منصور .

١١ - ما جاء في عمرة رجب

عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر ، لإحداهن في رجب . وقد تقدم الحديثان في فصل عدد عمره صلى الله عليه وسلم .

وروى الواقدي عن أشياخه أن أبا بكر اعتمر في رجب سنة إحدى عشرة ، ودخل مكة ضحوة النهار ، فأتى منزله ، وأبوه أبو قحافة جالس على باب داره ، فقيل له : هذا ابنك ، فنهض قائما ، وعجل أبو بكر أن يُدبِخ راحلته ، فنزل عنها وهي قائمة ، فجعل يقول : يا أنة ، لانتقم ، ثم التزمه ، وقبل بين عيني أبي قحافة ، وجعل الشيخ يبكي فرحا بقدمه ، وجاءه إلى مكة عتّاب بن أسيد ، ومُهَيْل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، فسلموا عليه : سلامٌ عليك يا خليفة رسول الله ، وصاحبه جميعا ؛ فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم سَلَّمُوا على أبي قحافة ، فقال أبو قحافة : يا عتيق ، هؤلاء الملاء^(١) ، فأحسن صُحبَهُمْ . فقال أبو بكر : لاحول ولا قوّة إلا بالله يا أبة ، طوّقتُ عظيما من الأمر ، لا قوّة لي به ولا يدان إلا بالله ، ثم دخل فاغتسل وخرج ، وتبعه أصحابه ، فنحاهم ، ولقيه الناس يعزّونه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي ، حتى انتهى إلى البيت ، فاضطجع بردائه ، ثم استلم الركن ، ثم طاف سبعا ، وركع ركعتين ، ثم انصرف إلى منزله ، فلما كان انظره خرج ، فطاف بالبيت ، ثم جالس قريبا من دار النَّذْوَة ، فقال : هل من أحد يشتكي من ظُلامَة ، أو يطلب حَقّا ، فما أنا أحد ، وأثنى الناس على واليهم خيرا ، ثم صَلَّى العصر ، وجلس فودعه الناس ، ثم خرج راجعا إلى المدينة .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه كان يعتمر في رجب كل عام ، ويتبع في ذلك فعل عمر وعثمان ، وكلاهما كان يعتمر في رجب ، ويَرَوْنَهُ شهرا حراما من أوسط الشهور ، وأحق أن يُعتمر فيه ، لتعظيم حرّمات الله تعالى . أخرجه أبو ذرّ في مَنْسَكِهِ . وفي رواية : أنه كان يعتمر في رجب ويُهْدِي . قال نافع : وليس الهدى بواجب ، إنما كان هَدْى تطوع . أخرجه ابن حبيب المالكي بسنده . ذكره ابن الحاج في منسكه .

وعن القاسم ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها كانت تعتمر من المدينة في رجب ،

(١) الملاء : أشراف القوم وعليتهم .

وتَهَلَّ من ذِي الْحُلَيْفَةِ . ذكره ابن الحاجِّ وابن الصلاح في منسَكَيْهِمَا . قال ابن الصلاح :
ورَوَى الاعتِمَارُ في رَجَبٍ عن جماعة من السَّائِفِ .

وعن أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عن عَمْرَةٍ رَمَضَانَ ، فقال : أدركت أصحاب
عبد الله لَا يَعْتَدِلُونَ بِعُمْرَةِ رَجَبٍ . وهذا كله لَا يَعْدِلُ الحديث الصحيح في عَمْرَةِ رَمَضَانَ .

١٢ - ما جاء في عَمْرَةِ الْجِعْرَانَةِ

عن مُحَرَّشِ الكَعْبِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ لَيْلًا
مُعْتَمِرًا ، وَجَاءَ مَكَّةَ لَيْلًا ، فَقَضَى عُمْرَتَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَأَصْبَحَ فِي الْجِعْرَانَةِ كِبَاثًا ،
فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْغَدِ خَرَجَ فِي بَطْنِ سَرِفٍ ، حَتَّى جَاءَ مَعَ الطَّرِيقِ [طَرِيقَ جَمْعِ بَيْطُنِ
سَرِفٍ^(١)] . فَنَ أَجَلَ ذَلِكَ خَفِيتْ عُمْرَتُهُ عَلَى النَّاسِ . أَضْرَبَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ :
حَسَنٌ غَرِيبٌ ، وَلَا يَعْرِفُ لِ مُحَرَّشِ الكَعْبِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ .
وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ لَيْلًا فَنَظَرْتُ إِلَى ظَهْرِهِ
كَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ ، فَاعْتَمَرَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، ثُمَّ أَصْبَحَ بِهَا كِبَاثًا . أَضْرَبَهُ أَحْمَدُ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .
وَعَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ لَيْلًا ، وَهُوَ مُحْرَمٌ ، حَتَّى
دَخَلَ مَكَّةَ لَيْلًا ، وَلَمْ يَزَلْ يُبَاجِي حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ . وَفِي رِوَايَةٍ : حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ،
ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، ثُمَّ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى رَاِحِلَتِهِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَرْوَةِ
فِي آخِرِ الْأَشْوَاطِ ، حَلَّقَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ عَادَ فَنَجَرَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَعَادَ إِلَى الْعَسْكَرِ فِي لَيْلَتِهِ ، ثُمَّ رَاحَ
إِلَى الْمَدِينَةِ . أَضْرَبَهُ الْمُتَأَلِّفُ فِي سِيرَتِهِ .

وَمُحَرَّشُ بَضْمِ الْمِمْ ، وَفَتْحُ الْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَتَشْدِيدُ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَكُسْرُهَا ، ثُمَّ شَيْنٌ مُعْجَمَةٌ ،
هَكَذَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَقِيْدَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَكَذَلِكَ قِيْدَهُ أَبُو نَصْرٍ .
وَيَحْكِي أَنَّهُ مَحْرَّشٌ بِكُسْرِ الْمِمْ ، وَإِسْكَانِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، ثُمَّ شَيْنٌ مُعْجَمَةٌ .
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) مَا بَيْنَ الْمُعَقَّوفَيْنِ عَنْ صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ .

واعتمرنا معه ، فدخل مكة ، ونحن معه نستره من الناس ، أن يؤذيه أحد ، أو يصيبه شيء ، فطاف بالبيت ، وصلى خلف المقام ركعتين ، فقالت له : أَدْخَلَ الْبَيْتَ ؟ فقال : لا . أضرِبَ سَعِيدَ بْنِ مَنْصُورٍ ، فِي بَابِ عُمْرَةِ الْجِعْرَانَةِ ، وَلَا دِلَالَةَ فِيهِ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْجِعْرَانَةِ .

وذكر الواقدي أن إحرامه بالعمرة من الجِعْرَانَةِ كان ليلة الأربعاء لانتفى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ، وأنه أحرم من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى ، وكان مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان بالجِعْرَانَةِ به ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش ، واتخذ ذلك الحائط عنده ، ولم يجز رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلا محرماً ، فلم يزل يأتي حتى استلم الركن ، وحلق رأسه أبو هِنْدٌ عَبْدُ بَنِي بَيَاضَةَ ، وقيل خَرَّاشٌ ^(١) ابن أُمِيَّةٍ ؛ ولم يسق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هذياً ، ثم انصرف إلى الجِعْرَانَةِ من ليلته ، ثم سار منها يوم الخميس ، حتى خرج على سَرَفٍ .

وعن محمد بن طارق قال : اعتمرت مع مجاهد من الجِعْرَانَةِ ، وأنه أحرم من وراء الوادي ، حيث الحجارة المنصوبة ، قال : ومن هاهنا أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني لأعرف من اتخذ هذا المسجد على الأكمة ، بناه رجل من قريش سماه ، واشترى مالا عنده وتخلأ . قال ابن جُرَيْجٍ : فلقيت محمد بن طارق ، فسألته ، فقال : اتفقت أنا ومجاهد بالجِعْرَانَةِ ، فأخبرني أن المسجد الأقصى الذي من وراء الوادي بالعدوة القصوى ، مُصَلَّى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ بِالْجِعْرَانَةِ . قال : فأما المسجد فإِنَّمَا بناه رجل من قريش ، واتخذ ذلك الحائط . أضرِبَ الْأَزْرَقُ .

شرح — الجِعْرَانَةِ : بكسر الجيم ، وإسكان العين المهملة : وقد تكسر وتشدّد الراء : لفتان . قال ابن المَدِينِي : أَهْلُ الْمَدِينَةِ يُثْقَلُونَ ، وَأَهْلُ الْعِرَاقِ يُخَفَّفُونَ ، وبالتخفيف قَيْدَهَا الْمُتَقَنُونَ . وقال الخطّاب في « تصحيف المحدثين » : إِنَّ هَذَا عَمَّا ثَقَلُوهُ وَهُوَ مُخَفَّفٌ .

قلت : وهي موضع قريب من مكة معروف ، بينهما وبين الطائف ، وهي إلى مكة

(١) قال ابن حجر في الإصابة : ذكره أبو موسى في الذيل وقال : ذكره ابن طرخان في الحاء المهملة . قلت : وهو تصحيف ، وإنما هو بالحاء المعجمة ، ذكره ابن مندة على الصواب . اهـ .

أقرب . وبها قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حُنَيْن ، ومنها يُحْرِم أهل مكة كل عام ، في ليلة سَبْعَ عَشْرَةَ مِنَ الْقَعْدَةِ ، وذلك خِلَافَ ما ذكره الواقدي . وتخصيص رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها بالإحرام منها دلائل على أنها أفضل بقاع الحِلِّ . وسمى هذا الموضع باسم امرأة كانت تُلقَّب بالجعرانة ، وهي رَيْطَةُ بنت سعد بن زيد بن عبد مناف ، وقيل : كانت من قُرَيْش ، وهي المشار إليها في قوله تعالى : « كَأَنِّي نَقَّضْتُ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا » . كانت تغزل من أول النهار إلى نصفه ، ثم تنقُضه ، فضربت بها العرب مثلاً في الحلق ، ونقض ما أحكم من العتود ، وأُبرِم من العهود . حكى ذلك السَّهْمِيُّ في كتاب « التعريف والإعلام » . والجعرانة أيضاً : موضع في أرض العراق ، نزله المسلمون في قتال الفُرس . قاله سَيْفُ بن عُمر . وسَرِف ، بكسر الراء : موضع قريب من مكة ، في الحِلِّ أيضاً ، على عشرة أميال من مكة ، وبه قَبْرُ مَيْمُونَةَ أم المؤمنين رضي الله عنها .

وقد تضمن حديث الواقدي والمُلاَّ أنه صلى الله عليه وسلم حَلَّقَ في عُمرَةِ الجعرانة ، كما تقدم تقريره ، وقد رُوِيَ عن معاوية رضي الله عنه قال : قَصَّرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشَقَص وهو على المَرْوَةِ . أخرجه . وفي رواية أن معاوية قصَّرت عن النبي صلى الله عليه وسلم بِمَشَقَص في عمرته على المروة . أخرجه النسائي . وقد تقدمت الروايتان في فصل كيفية التقصير . ولا جائز أن يكون ذلك في حَجَّته عند من صحح إفرادهم أو قِرَّانه . واحتج به من قال إنه كان مُتَمَتِّعاً ، فإنه قد رُوِيَ في بعض الطُّرُق عنه ، أنه قال : أخذت من أطراف شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشَقَص كان معي ، بعد ما طاف بالبيت ، وبالصفا والمروة ، في أيام العشر . أخرجه النسائي . وقد تقدم ذكر ذلك في الفصل المذكور ، ولكن هذه الزيادة لم تذكر في الصحيح . وقد أنكرت على معاوية ، ولا جائز أن يكون ذلك أيضاً في عُمرَةِ الحُدَيْبِيَّةِ ، ولا القَضِيَّةِ ، فإن معاوية إنما أسلم مع أبيه في فتح مكة ؛ فتمين عند من قال إنه كان مُفَرِّداً أو قارِناً ، أن يكون ذلك

التقصير في عُمرَةِ الجِعرَانَةِ ، إذ لم يصح أنه اعتمر أكثر من ثلاث عُمرَ اتِّفاقاً ، واختلفوا في عُمرَةٍ مع حجته والله أعلم .

١٣ - ما جاء في عُمرَةِ الحُدَيْبِيَّةِ وعُمرة القضية

تقدم في باب الحضر أكثر عُمرة الحُدَيْبِيَّةِ .

وعن السُّوَرِ بن نَحْرَمَةَ ، وَمَرْوَانَ بن الحَكَمِ ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحُدَيْبِيَّةِ ، وذكرنا حديث الصَّاحِبِ بطوله ، وفيه أن قريشاً لما صدَّوا النبي صلى الله عليه وسلم عن لقاء البيت ، ثم صالحهم ، فلما فرغ من قضية الصُّلْحِ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ، ثم اخلقوا ، ودعا صلى الله عليه وسلم حالقَه ، فَحَلَقَهُ . أضرجه البخاري : وتبعه في تلك العُمرة من أهل المدينة والمهاجرين وناس من الأعراب ، أربعَ عَشْرَةَ مِثَّةً ، رواه جابر بن عبد الله ، وذكره المَلَّا . وذكر الزُّبَيْرُ ابن بكار ، عن السُّوَرِ وَمَرْوَانَ ، أنهما قالا : خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عام الحُدَيْبِيَّةِ يريد زيارة البيت ، وساق معه سبعين بدنة ، وكان أصحابه سَبْعَ مِثَّةٍ ، كل بدنة عن عشرة .

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى عامَ الحُدَيْبِيَّةِ في هداياه جَمَلًا كان لأبي جهل ، في أنفه بُرَّةٌ فِضَّةٌ . وقال ابن مِثْهال : بُرَّةٌ من ذهب ، يغيظ بذلك المشركين . أضرجه أبو داود والترمذي . والْبُرَّةُ : حَلْقَةٌ تُجْعَلُ في أنف البعير ، وربما تكون من شعر ، قال : الواحدى^(١) ، عن محمد بن يحيى وعبد الله بن جعفر بن أبي سَبْرَةَ وأبي معشر ، قالوا : لما دخل هلال ذى القعدة سنة سَبْعِ أُمُرٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يعتمرُوا قضاء عُمرَتِهِم التي صدَّوا عنها ، وألاً يتخاف أحد من شهد الحُدَيْبِيَّةِ ، فلم يتخلف أحد من شهداءها ، إلا من قُتِلَ بِخَيْبَرِ أَوَمَاتٍ ، فخرجوا ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس ممن لم يشهدوا الحُدَيْبِيَّةَ ، فكان عِدَّةٌ من تبعه من المسلمين

(١) كذا في م وهامش م وهو تصويب اللجنة المكية . وفي متن م : الواحدى .

أُثْلَفَيْن ، وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عُمرته تلك ستين بَدَنَةً ، وجعل على هديه ناجية بن جُنْدَب الأَسْلَمِي^(١) ، ليسير به أمامه ، يطلب الرعى في الشجر ، وكان معه أربعة فتيان من أسلم .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرَم من باب المسجد ، لأنه سلك طريق الفرع . ولولا ذلك لأهل من البيداء .

وعن أبي قتادة قال : سلكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عُمره القضاء طريقَ وادي الفرع ، وسار صلى الله عليه وسلم حتى نزل بمرّ الظَّهْران ، وقَدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّلاح إلى بطن بأَجَج^(٢) ، حيث ينظر أنصاب الحرم ، وبمَث قريش مِكرَز بن حفص بن الأخيف في نفر من قريش ، حتى نفوه ببطن بأَجَج ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه والسَّلاح والهدى . فقالوا : والله يا محمد ما عَرَفْت صغيراً ولا كبيراً بالقدر ، تدخل بالسَّلاح الحرم على قومك ، وقد شرطت ألا تدخل إلا بسلاح المسافر : السيف في القُرْب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أدخل عليهم بسلاح . فقال له مِكرَز هذا : الذي نعرف منك البرّ والوفاء . ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة ، فقال : إن محمداً لا يدخل بسلاح ، وإنه على الشرط الذي شرطه لكم ، فحينئذ خرجت قريش من مكة ، حتى كانت برءوس الجبال ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى أمامه ، حتى حُبِس بذي طُوًى ، وركب صلى الله عليه وسلم ناقته القَصْوَاء ، وأصحابه مُتَحِدِّقُونَ به ، متَوَشَّحُونَ السيوف ، ثم دخل صلى الله عليه وسلم من الثَّنِيَّة التي تُطلِعُه على الحُجُون ، وابن رَوَاحَة أخذ بزِمَام ناقته .

وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لَبَّى حين استلم الركن ، وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت على راحلته ، وابن رَوَاحَة أخذ بزمامها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُضْطَبِّع ، وأصحابه من حوله يطوفون ، وقد

(١) قال المزرعِي في الخلاصة : ناجية بن كعب أو ابن جندب بن كعب الأسدي المزاعي : صحابي اسمه ذكوان . وفي الإصابة لابن حجر : ناجية بن كعب المزاعي ؛ صاحب هدى النبي . . الخ .
(٢) يأجج : واد ينصب من مطلع الشمس إلى مكة ؛ قريب منها . (عن معجم ما استعجم للبكري) .

اضطبعوا بذيابهم ، وابن رواحة يرتجز ويقول :

خَلَوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبُّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
حَقًّا وَكُلُّ الْخَيْرِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَأَضْرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

ثم طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته ، ثم وقف الهدى له عند المروة ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذا المنحَر ، وكلُّ حِجَاجِ مَكَّةَ مَنَحَرٌ ، ونَحَرَ عند المروة .
وعن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنبي : هذا المنحَر ، وكلُّ مَنَى مَنَحَرٌ ، وفي العمرة : هذا المنحَر ، يعني المروة ، وكلُّ حِجَاجِ مَكَّةَ وطَرُقُهَا مَنَحَرٌ .
وعن أمّ عمار أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر الهدى بين الصفا والمروة .
وعن هشام عن أبيه أن خَرَّاشَ بن أُمَيَّةَ حَقَّقَ رَأْسَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عند المروة ، ثم دخل البيت .

وعن سعيد بن المسيَّب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أُتِمَّ نسكه دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذَّنَ بِلَالٌ بِالظَّهْرِ عَلَى ظَهْرِ السَّكْمَةِ . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ ثَلَاثًا ، فلما كَانَ الظُّهْرُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، أَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَبَنُو عُبَيْدِ بْنِ أَبِي رَيْثٍ .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في مجلس من الأنصار ، يتحدث مع سعد بن عُبَادَةَ ، فقال : يا محمد ، قد انقضى أَجْلُكَ ، فأخْرِجْ عَنَّا . قال : وماذا عليكم لو تركتموني ، فأعرستُ عندكم ، وصنعت لكم طعاما ، وكان قد تزَوَّجَ ميمونة الهلالية في طريقه ، وهو محرم أو حلال على الاختلاف فيه ، فقالوا : لا حاجة لنا في طعامِكَ . أَخْرِجْ عَنَّا . نَشُدُّكَ اللَّهَ يَا مُحَمَّدَ ، وَالْمَهْدَ الَّذِي يَدْنُو بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، إِلَّا خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِنَا ، فهذه ثلاث قد انقضت . ولم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الأيام بيتا من بيوت مكة ، وإنما أمر بِقُبَّةِ

خُرِبَتْ لَهُ بِالْأَبْطَحِ ، فَكَانَ هُنَاكَ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا ، وَلَمْ يَنْزِلْ تَحْتَ سَقْفٍ ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّحِيلِ ، وَقَالَ : لَا يَبْتَئِنَّ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ رَكِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى سَرِفَ ، فَزَلَّ بِهَا ، وَعَرَّسَ بِمَيْمُونَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 شَرَحَ — الْحُدَيْبِيَّةُ ، مَخْفَفَةُ الْبَاءِ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . كَذَا قَيَّدَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِ النُّوَادِرِ . وَقَالَ أَبُو نُعْمَانَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : الْحُدَيْبِيَّةُ : آخِرُ الْحِلِّ وَأَوَّلُ الْحَرَمِ . وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمَالَكِيُّ ، أَنَّ حَدَّ الْحَرَمِ مِمَّا يَلِي جُدَّةَ عَشْرَةِ أَمْيَالٍ ، إِلَى مُنْتَهَى الْحُدَيْبِيَّةِ . وَقَالَ : قَالَ مَالِكٌ فِي الْعُتْبِيَّةِ : وَالْحُدَيْبِيَّةُ فِي الْحَرَمِ . ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ الْقَبَسِ فِي شَرْحِ مَوْطَأِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ .

١٤ — مَا جَاءَ فِي عِمْرَةِ التَّنْعِيمِ

تَقْدِمُ فِي فَصْلِ الْإِخْتِلَافِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ طَرَفَ مِنْ ذَلِكَ .
 وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ أَنْ يُرْدِفَ عَائِشَةَ وَيُعِمِّرَهَا مِنَ التَّنْعِيمِ . أَمَرَهُمْ . زَادَ أَبُو دَاوُدَ : فَإِذَا هَبَطْتَ بِهَا مِنَ الْأَكَةِ فَلْتُحْرِمِ بِهَا ، فَإِنَّهَا عِمْرَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ .

وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : ارْحَلْ هَذِهِ النَّاقَةَ ، ثُمَّ ارْدِفْ أَخْتَكِ ، فَإِذَا هَبَطْتَ مِنَ الْأَكَةِ التَّنْعِيمِ ، فَأَهْلًا . وَذَلِكَ لَيْلَةُ الصَّدَرِ . وَفِي رِوَايَةٍ : فَإِذَا انْحَدَرْتَ مِنَ الْأَكَةِ الْحَرَاءِ . وَفِي رِوَايَةٍ : فَإِذَا هَبَطْتَ بِهَا وَادِيًا فَأَعِمِّرْهَا ، فَإِنَّهَا عِمْرَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ . وَفِي رِوَايَةٍ : فَإِذَا هَبَطْتَ بِهَا وَادِيًا أَوْ وَادِيَيْنِ . أَمَرَهُمْ بِطَرَقِهِ أَحْمَدُ .

وَذَكَرَ أَبُو الْوَلِيدِ الْأَزْرُقِيُّ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ السَّكْبَةِ خَلَقَهَا مِنْ دَاخِلِهَا وَخَارِجِهَا ، مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا ، وَكَسَاهَا الْقَبَاطِيَّ ، وَقَالَ : مَنْ كَانَتْ لِي عَلَيْهِ طَاعَةٌ ، فَلْيَخْرِجْ ، فَلْيَعْتَمِرْ مِنَ التَّنْعِيمِ ، فَمَنْ قَدَّرَ أَنْ يَفْجَرَ بَدَنَةً فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَذْجِ شَاةً ، فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَتَصَدَّقْ بِقَدَرِ طَوَّلِهِ ؛ وَخَرَجَ مَاشِيًا ، وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ مُشَاةً حَتَّى اعْتَمَرُوا مِنَ التَّنْعِيمِ ، شَكَرُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ ، وَلَمْ يَرَوْا^(١) يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ عَتِيقًا ، وَلَا أَكْثَرَ

(١) كَذَا فِي م، وَأَخْبَارُ مَكَّةَ لِلْأَزْرُقِيِّ بِنَاءُ الْفَعْلِ لِلْفَاعِلِ وَنَصْبُ يَوْمًا . وَلَعَلَّ الْفَاعِلَ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ .

بَدَنَةً مَنْحُورَةً ، وَلَا شَاةَ مَذْبُوحَةٍ ، وَلَا صَدَقَةً ، مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَنَحَرُ ابْنِ الزُّبَيْرِ
مِئَةَ بَدَنَةٍ .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ هَدَمَ
الْكَعْبَةَ كُلَّهَا ، فَلَمَّا بَنَى وَفَرَّغَ ، خَلَقَ جُوفَهَا بِالْعَنْبَرِ وَالْمِسْكِ ، وَلَطَّخَ جُدْرَهَا بِالْمِسْكِ
مِنْ خَارِجٍ ، وَسَتَرَهَا بِالذَّبْيَاجِ ، وَأَدْخَلَ الْحِجْرَ فِيهَا ، وَرَدَّ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ فِي مَوْضِعِهِ ،
وَكَانَ قَدْ انْكَسَرَ بَثْلَاثَ فِرْقٍ ، مِنَ الْحَرِيقِ الَّذِي أَصَابَ الْكَعْبَةَ ، وَكَانَ الرُّكْنُ عِنْدَ
ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي صُنْدُوقٍ فِي بَيْتِهِ ، عَلَيْهِ قُفْلٌ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ الْبِنَاءَ مَوْضِعَ الرُّكْنِ جَاءَ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى
وَضَعَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ ، وَشَدَّهُ بِالْفِضَّةِ ، فَهُوَ مُشْدُودٌ بِالْفِضَّةِ . وَاعْتَمَرَ مِنْ خِيْمَةِ جُمَانَةَ مَاشِيًا ، فَرَأَى
النَّاسَ أَنَّ قَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَاجْتَبَى حِينَ نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ . وَاهْتَرَجَ الْأَزْرَقِيُّ أَيْضًا .
وَلَا تَضَادُّ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، إِذْ قَدْ يَكُونُ كَسَاهَا الْقَبَاطِيُّ وَالذَّبْيَاجُ ، فَرَوَى كُلُّ رَاوٍ مَا بَلَغَهُ ،
أَوْ اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِ مَا بَلَغَهُ .

وَذَكَرَ أَبُو الْوَلِيدِ : أَنَّ هَدْمَ الْكَعْبَةِ كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ ، النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ،
سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ ابْتِدَاءَ الْبِنَاءِ عَقِيبَهُ بَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْهُ ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يَعْتَمِرُونَ
فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَيَنْسُجُونَ هَذِهِ الْعِمْرَةَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ،
وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ بِنَاءُ الْكَعْبَةِ امْتَدَّ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ ، فَإِنَّ تَطَابُقَ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ بِأَثَرِهِ
اخْتَلَفَ عَنِ السَّلَفِ ، وَفَعَلَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ تَأْسِيًا بِهِ ، يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ النِّسْبَةِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ اعْتَمَرَ
فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَأَنَّ الْفِرَاقَ مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ كَانَ فِي هَذَا التَّارِيخِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قُتِبَ : وَرَوَى أَبُو الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِيُّ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ خَيْثَمٍ قَالَ : رَأَيْتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ
وَمُجَاهِدًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَثِيرٍ الدَّارِيَّ ، وَنَاسًا مِنَ الْقُرَّاءِ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ
مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، خَرَجُوا إِلَى خِيْمَةِ جُمَانَةَ ، فَاعْتَمَرُوا مِنْهَا . قَالَ ابْنُ خَيْثَمٍ : ثُمَّ تَرَكُوا
ذَلِكَ . قَالَ يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ : حِينَ كَثُرُوا .

وَعَنْ الْحُجَّاجِ بْنِ زَيْادٍ ، أَنَّهُ رَأَى ابْنَ الزُّبَيْرِ عِنْدَ خِيْمَةِ جُمَانَةَ ، وَرَأَاهُ أَنَا مَاشِيًا
بِالتَّنْعِيمِ ، اعْتَمَرَ عَلَى بَرْدُونَ أَبْيَضٍ . خَفِيفٌ لَهُ : مَنْ مَعَهُ ؟ قَالَ : مَعَهُ أَرْبَعَةٌ نَفَرٌ أَوْ خَمْسَةٌ

من الأحراس . قال الزنجي : فسألت الحجاج أنا بعدُ ، فقال : رأيت ابن الزبير يصلي في مسجد من وراء خيمة بُجانة ، على يمينك وأنت ذاهب ، فلا أراه إلا معتمرا .

وعن ابن جريج قال : رأيت عطاء يصف الموضع الذي اعتمرت منه عائشة ، قال : فأشار لي إلى الموضع الذي ابتنى فيه محمد بن علي الشافعي للمسجد الذي وراء الأكمة ، وهو المسجد الحَرَب . قال الخزاعي : ثم عمره أبو العباس عبد الله بن محمد بن داود ، وجعل على بئر قُبَّة ، وهو أمير مكة ، ثم عمرته المعجوز ، وأحسن بناءه .

وذكر الفاكهي في كتابه ، في الموضع الذي أحرمت منه عائشة ، أنها مسجدان ، يزعم بعض المسكين أن الخراب الأدنى من الحرم هو الذي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين ، ونقل ذلك عن ابن جريج والمثنى بن الصَّبَّاح . وزعم بعضهم أنه المسجد الأقصى ، على الأكمة الحمراء .

قلت : وهذا هو الأظهر ، فإنه قد نقل بالتواتر عندهم ، أن عبد الله بن الزبير أحرَم من . ثم . والظاهر أنه إنما أحرَم من ذلك المكان ، اتباعاً لذلك الأثر . ويكون في ذلك الموضع خيمة بُجانة المشار إليه فيما تقدم آنفاً ، وقد كان ذلك الموضع مُنْذِرًا ، ولم يبق منه إلا أحجار بعضها فوق بعض ، إلى أن جاء سيلٌ ، فأظهر أنصاباً مكتوبة مُشعرة ببناء قديم كان ثمَّ ، تاريخ بنائه من ثلاث مئة سنة ، فبني وحفرت بئر ، وكانت قد ارتدمت ، وذلك في عام أربع وأربعين وست مئة ، وتمَّ البناء وحفر البئر في عام خمسة وأربعين . وفي الحديث دلالة على أن ميقات مكة في العُمرة أدنى الحِلِّ . قال الشافعي : وأحب لمن أراد العُمرة أن يعتمر من الجُفرانة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر منها ، ثم التنعيم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عائشة أن تعتمر منها ثم الحديبية ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الدخول لِمُمرته منها ، ثم تحلل صلى الله عليه وسلم بها . وصلى فيها .

١٥ - ما جاء في العمرة في أشهر الحج

تقدم في باب فسخ الحج جملة من أحاديث هذا الفصل .

وعن ابن عباس قال : كانوا يَرَوْنَ العمرة في أشهر الحج من أجزء الفُجُور ، ويقولون : إذا برأ الدَّبر ، وعفا الأثر ، ودخل ^(١) صَفَر ، حَلَّتْ العمرة لمن اعتمر . قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج ، فأمرهم أن يجعلوها عمرة ، فتعاضم ذلك عندهم ، فقالوا : يا رسول الله ، أَى الحِلِّ ؟ قال : الحِلُّ بَكُلِّه . أُنْزِلَ بِهِ :

وعنه قال : والله ما أَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عائشة في ذى الحِجَّةِ إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشُّرك ، فإن هذا الحى من قُرَيْشٍ وَمَنْ دَانَ دِينَهُمْ كانوا يقولون : إذا عفا الوبر ، وبرأ الدَّبر ، ودخل صَفَر ، حلت العمرة لمن اعتمر ، فكانوا يُحَرِّمُونَ العمرة حتى يَنْسَلِخَ ذُو الحِجَّةِ والمُحَرَّم . أُنْزِلَ بِهِ أَبُو دَاوُد . وَأُنْزِلَ بِهِ الشَّيْخَان طَرَفَا مِنْهُ .

شرح - قوله كانوا يرون : يعنى فى الجاهلية ، وكانوا يجعلون الحَرَمَ صفراً ، وذلك هو النَّسْيُ المردودُ عليهم ، وقد تقدم ذكره وشرحه فى الباب السادس والعشرين ، فى فصل يوم النحر . والدَّبر ، بفتح الدال المهملة ، وبعدها باء موحدة مفتوحة ، ثم راء مُمَهَّملة : هو أن يَتَقَرَّحَ خِفُّ البعير . وقيل : هو الجُزْح الذى يكون فى ظهر الدابة ، يقال منه دَبِرَ البعير ، بالسكسر ، وأدْبَرَهُ القَتَب ، يريدون أن الإبل كانت تُدْبَرُ بالسير عليها ، أى إلى الحِجِّ ، وقوله وعفا الوبر أى كثُرَ وبرُّ الإبل ، ومنه قوله تعالى : « حَتَّى عَفَوْا » أى كثُرُوا ، وهو من أسماء الأضداد . وفى رواية : وعفا الأثر : أى درس أثر الحاج من الطريق ، وانمحي بعد رجوعهم ، بوقوع الأمطار وغير ذلك ، وقيل : عفا الأثر : أى أثر الدَّبر ، أى زال .

وعن عمر بن أبى سَلَمَةَ أنه استأذن عمر بن الخطاب فى العمرة فى شوال ، فأذن له ، فاعتمر ، ثم قَفَلَ ولم يَحْجْ .

(١) فى البخارى طبعة بلاى ١٢١٢ هـ : وانسلخ ، فى مكان : ودخل .

وعن ابن عمر أنه كان يقول : لَأَنْ أَعْتَمِرَ عِمْرَةَ فِي شَهْرٍ يَكُونُ عَلَيَّ فِيهَا هَذَى ،
أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَعْتَمِرَ فِي شَهْرٍ لَا يَكُونُ عَلَيَّ هَذَى .
وعنه أنه كان يقول : عِمْرَةٌ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِمْرَةٍ فِي الْعَشْرِينَ الْآخِرِ .
أُضْرَجُ الثَّلَاثَةَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

وعن سعيد بن المسيَّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دَخَلَتِ الْعِمْرَةُ فِي
الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . أُضْرَجُ التِّرْمِذِيُّ .
وفي هذه الأحاديث ، وفيما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربعَ عُمَرٍ ، كُلُّهَا
فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، حُجَّةٌ لِمَنْ وَسَّعَ فِي الْعِمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ . وقوله في حديث ابن المسيَّب
« دَخَلَتِ الْعِمْرَةُ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » : أَيْ لَا بَأْسَ بِفَعْلِهَا فِيهِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ
فِي ذَلِكَ .

١٦ - حُجَّةٌ مِنْ كَرِهِ الْعِمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ

عن سعيد بن المسيَّب أن رجُلًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتى عمر
ابن الخطاب ، فشهد عنده أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه ،
ينهى عن العِمْرَةِ قَبْلَ الْحَجِّ . أُضْرَجُ أَبُو دَاوُدَ . وقوله « ينهى عن العِمْرَةِ قَبْلَ الْحَجِّ » :
قَالَ الْخَطَّابِيُّ : فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ مَقَالٌ . وَالْإِجْمَاعُ مَنْعُهُ عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ . وَحَدِيثُ
النَّهْيِ إِنْ صَحَّ ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ الْإِخْتِيَارِ وَالِاسْتِحْبَابِ ، إِذِ الْحَجُّ أَكْبَرُ الْأُمُورِ ،
فَكَانَ أَوْلَى بِالْتَّقَدُّمِ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » ،
وَلَأَنَّ وَقْتَهُ مُحْصُورٌ ، وَالْعِمْرَةُ رَفَتْهَا الْعُمُرُ كُلُّهَا ، وَفَعْلُهَا جَائِزٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَدَلِيلُ
الْجَوَازِ مَا تَقَدَّمَ .

وعن محمد بن سيرين قال : مَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَشْكُ أَنْ عِمْرَةً فِي غَيْرِ أَشْهُرِ
الْحَجِّ أَفْضَلُ مِنْ عِمْرَةٍ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ .
وعن ابن عمر ، وسأله رجل عن العِمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ، قَالَ : هِيَ فِي غَيْرِ أَشْهُرِ
الْحَجِّ أَحَبُّ إِلَيَّ . أُضْرَجُ مَرْمَرُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

١٧ -- ما جاء في إقامة المعتمر بعد عمرته

عن سفيان عن شيخ غفارى ، عن أبيه قال : كان أبو ذرّ يقدّم علينا مكة ، فيقيم ثلاثا في العمرة ، ثم يذهب .

وعن إبراهيم قال : كان يهيجهم أن يقيموا في العمرة ثلاثا .

وعن الشعبي أنه كان يقول : يقيم المعتمر ثلاثا ، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في عمرته ثلاثا .

وعن ابن سيرين مثله . أخرج الجميع سعيد بن منصور .

وهذا كله داخل في عموم ما تقدم من حديث : « يقيم المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثا .

١٨ — ما جاء في عمرة الحريق

ذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن الحاج المالكي ، في مناسكه المترجم بكتاب المنهاج ، قال الشيخ أبو محمد مكيّ بن أبي طالب ، رحمه الله : كانوا إذا كان ليلة عاشوراء اجتهد النار في الطواف والصلاة ، وأخذ سُكَّان مكة في شعابها في الحريق ، يوقدون النيران على حيف إبل الحاج ، أيذهب عنهم ريحها ، ولو تسكفوا إخراجها ل طال عليهم ، لكثرة الجيف ويوقدون على الجبال المشرفة على البيت ، سنّة لهم ، ثم يَصْبَحُ الناس إلى العمرة فلذلك تسمى عمرة الحريق . ثم يخرج الناس إلى أبي ثور ، وهو الجبل الذي فيه الثار الذي ذكره الله تعالى في القرآن ، وبين أبي ثور وبين مكة ثلاثة أميال .

قلت : هكذا قيده بأبي ثور . والمعروف المشهور فيه : ثور وهو المذكور

في الحديث .

البَابُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ

في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه ، والصلاة عليه

١ — ذكر زيارته صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضى الله عنه قال : لما أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أظلم منها كل شيء ، ولما دخل المدينة أضاء منها كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة فيها قبري ، وسها بيتي وتربتي ، وحق على كل مسلم زيارتها . أخرجه أبو داود .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد من أمّتي له سعة ولم يزرنى فليس له عذر . أخرجه الحافظ أبو محمد بن عساكر في فضائل المدينة .
وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من زارنى بالمدينة مُحْتَسِبًا ، كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة . أخرجه صاحب مثير الغرام .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من حجَّ ولم يزرنى فقد جفانى . ورؤي : من زارنى إلى المدينة متعمداً كان في جوارى يوم القيامة . أخرجهما الحافظ عبد الواحد التميمي في كتابه المترجم بـ « جواهر الكلام » ، في الحكم والأحكام ، من كلام سيد الأنام .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حجج فزار قبري بعد وفاتي ، فكأنما زارنى في حياتي . أخرجه الدارقطني وسعيد بن منصور . وأخرجه صاحب مثير الغرام ، وزاد : وصحبتى .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من زار قبري ، وجبت له شفاعتي . أخرجه الدارقطني وأبو بكر البزار .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي ، كان حقاً على أن أكون له شهيداً يوم القيامة . أنهرهم الدارقطني في أماليه والخلعي .

وعن حاطب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات في أحد الحرمين بُعث من الأمنين يوم القيامة . أنهرهم الدارقطني وأبو بكر أحد المالكي في كتاب المجالسة له .

وعن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً ، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل من الأمنين يوم القيامة . أنهرهم أبو داود الطيالسي .

(١) وأخرج الأول أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات ، وقال : هذا حديث . قال ابن حبان في سننه النعمان بن شبل ، وهو يأتي عن الثقات بالمطبقات (٢) . وقال الدارقطني : الطعن في هذا الحديث من محمد بن محمد النعمان (٣) .

وعن محمد بن كعب الهلالي قال : دخلت المدينة ، فأثبت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرت ، وجئت بمحذاته ، فجاء أعرابي فزاره ، ثم قال : يا خير الرسل ، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً ، وقال فيه : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً » ، وإني قد جئتكم مستغفراً لديك من ذنوبي ، مستشفعاً بك إلى الله فيها ، ثم بكى ، وأنشأ يقول :

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِينَ الْقَاعِ وَالْأَكْمُ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِقَبْرِ أَنْتَ سَأَكُنْهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثم استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومي ، وهو

(١ - ١) هذه العبارة من أول . « وأخرج الأول أبو الفرج » إلى هنا ، وردت في م بعد عبارة « من كلام سيد الأنام » التي مرت قريباً . وموضعها هنا ، لأن هذا الحديث خرج الدارقطني ، دون حديث ابن عباس في أول الباب ، الذي نشر إليه العبارة المذكورة في نسخة م . (٢) في م : الطامات .

يقول : الحقِّ الرَّجُلُ ، فبشَّرته بأن الله قد غَفَرَ له بشفاعتي . فاستيقظتُ ، فخرجت أطلبه ، فلم أجده . أضرب أبو أحمد بن عساكر .

اعلم أن زيارة قَبرِ النبي صلى الله عليه وسلم من أهم القُرُبات ، لما ذكرناه . ويُنْدَب أن ينوي الزائر مع التَّقَرُّب بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم التَّقَرُّبَ بالمسافة إلى مسجده بالصَّلَاة فيه ، كي لا يفوته فضيلةُ شدِّ الرَّحَالِ إليه ، على ما سيأتى ذكره في فصل فضل المدينة ، إن شاء الله تعالى ؛ ولا يتطرقُ بهذا خلل إلى الزيارة . وكرِه مالك أن يُقال : زرنا قبرَ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأحسن ما علَّلَ به وجهُ الكراهة ، ما رُوِيَ من قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم لا تجعل قبري وَثَنًا يُعْبَد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قُبُور أنبيائهم مساجد . فسكرِه إضافة هذا اللفظ إلى القبر ، لثلايق التشبُّه بفعل أولئك سدًّا للذريعة ، وحسماً للباب . فعلى هذا ، إذا قال : زُرْنَا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرِه . ويستحب للزائر إذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها أن يقول : اللَّهُمَّ هذا حَرَمُ نبيك ورسولك ، فاجعله لى وقايةً من النار ، وأمنًا من العذاب . ويُستَحَب أن يغتسل ويلبس أحسن ثيابه ، ويدخل المسجدَ من باب جبريل ، مُقَدِّمًا يمينه في الدخول ، قائلاً : بِاسْمِ اللَّهِ . اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، رب اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك . ثم يُصَلِّ تحية المسجد ؛ ويُستَحَب أن يصلِّها فى الروضة بين القبر والمنبر ، ثم يأتى القبر من ناحية القبلة ، فيستقبله ، ويستدبر القبلة ، ويكون وقوفه أمام القبر ويتباعد عنه قليلاً ، ولا يمس . قال صاحب الإحياء : ويكون بينه وبينه أربعة أذرع . وعن ابن أبي فديك قال : أخبرنى عمر بن حفص ، أن ابن أبى مُلَيْكَةَ كان يقول : من أحب أن يقوم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه . ذكره صاحب الإحياء ؛ وصاحب مثير الغرام ، قال : وثمَّ ما هو أوضح من القنديل ، وهو مشمار من صُفْر ، فى حائط القبر ، إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه ، ويكون نظره إلى أسفل ما يستقبله من القبر ، ثم يُسَلِّم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يرفع صوته ، بل يكون مُقْتَصِدًا . والمروى عن الأولين الإيجاز فى ألفاظهم عند التسليم .

وَرَوَى عَنْ مَالِكٍ إِمَامَ دَارِ الْمِجْرَةِ ، أَنَّهُ قَالَ : يَقُولُ الْمُسَلِّمُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وعن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ، ثم أتى القبر ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه . وإن قال ما قاله الناس في ذلك فلا بأس ، إلا أن الاتباع أولى من الابتداع ولو حسن ، قال الإمام أبو عبد الله الحلبي : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُطَرُّوني لوَجَدْنَا فيما يُذَنَّبُ به عليه ، ما تَكَلَّفُ الألسن عن بلوغ مداه ، لكنَّ امتثال نهيه خصوصاً بمحضرة أولى ، فليُعَدِّلْ عن التوسُّع في ذلك إلى الدعاء له ، فقد رَوَى ابنُ أبي فديك وهو من علماء المدينة ، ممن روى عنه الشافعي ، قال : سَمِعْتُ بعضَ من أَدْرَكَ يقول : بَلَّغْنَا أَنَّهُ مِنْ وَثَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتلَّا هذه الآية : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » ثم يقول : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد ، يقولها سبعين مرة ، ناداه مَلَكٌ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا فُلَان ، ولم تَسْقُطْ له حاجة . ثم يُبَلِّغُ السلامَ ممن أوصاه به . ثم يُسَلِّمُ على أبي بكر ، ثم يسلم على عمر ، ثم يقف عند رأس النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو بما أَحَبَّ ثم يزور الأماكن الفاضلة ، على ما سيأتى بيانه في فصل فضل المدينة إن شاء الله تعالى .

٢ - ذكر ما جاء في السلام عليه صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من أحدٍ يسلم على إلا رَدَّ اللَّهُ عَلَى رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ . أخرجه أبو داود .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكةَ سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ، يَبْلَغُونِي ^(١) مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ . أخرجه أبو حاتم بن حَبَّان ، والإمام أحمد . وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يُبْرِدُ الْبَرِيدَ مِنَ الشَّامِ ، يقول : سلم لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرجه أبو الفرج في مثير الغرام .

(١) كذا في م ، ه ، بحذف إحدى النونين .

وعن سليمان بن سُهَيْمٍ قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، قلت : يا رسول الله ، هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك ، أتعلم سلامهم ؟ قال : نعم . وأردُّ عليهم .

وعن ابن عمر أنه كان يأتي القبر ، فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسلم على أبي بكر وعمر .

وعنه أنه كان إذا قَدِمَ من سَفَرٍ أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فسَلَّمَ وصَلَّى عليه ، وقال : السَّلام عليك يا رسول الله . السَّلام عليك يا أبا بكر . السَّلام عليك يا أبتاه . أَضْرِبْهُمَا سعيد بن منصور . وأخرج الثاني أيضا البيهقي .

وعن أبي طَلْحَةَ قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسرور ، فقال : إن المَلَكَ جاءني فقال : يا محمد ، إن الله تعالى يقول : أَمَّا تَرْضَى أَلَّا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ عَبْدٌ من عِبَادِي صلاةً إِلَّا صَلَّيْتُ عليه بها عَشْرًا ، وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ تَسْلِيمَةً إِلَّا سَلَّيْتُ عليه بها عَشْرًا . فقلت : بلى ، أَى رَبِّ . أَضْرِبْهُ ابن حبان .

٣ — ما جاء في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

تقدم في الفصل قبله طَرَفٌ منه .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجعلوا بُيُوتَكم قُبُورًا ، ولا تجعلوا قُبُرى عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ . أَضْرِبْهُ أبو داود . وقوله « لا تجعلوا قُبُرى عِيدًا » : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْحَثُّ عَلَى كَثْرَةِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ صلى الله عليه وسلم ، وَأَلَّا يَهْمَلَ حَتَّى لَا يُزَارَ إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، كَالْعِيدِ الَّذِي لَا يَأْتِي فِي الْعَامِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ؛ وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، أَى لَا تَتْرَكُوا الصَّلَاةَ فِي بُيُوتِكُمْ ، حَتَّى تَجْعَلُوهَا كَالْقُبُورِ الَّتِي لَا يُصَلِّي فِيهَا .

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ

قَبْرِي سَمِعْتُهُ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا أُبْلِغْتُهُ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَفْرَجَهُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ
ابْنُ الْفَضْلِ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهيبُ ^(١) .

وَعَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ
الْبَخِيلَ مِنْ ذِكْرَتِ عِنْدَهُ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ . أَفْرَجَهُ أَبُو حَاتِمٍ ، وَقَالَ : هَذَا أَشْبَهَ شَيْءَ
رُويَ عَنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ يَوْمَ قُبُضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ سِتِّينَ
إِلَّا شَهْرًا .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ
صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ،
فَقَالَ : آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَمَّا صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ : آمِينَ ،
آمِينَ ، آمِينَ . فَقَالَ : إِنْ جَبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ،
فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعِدَهُ اللَّهُ . قُلْتُ : آمِينَ . فَقُلْتُ : آمِينَ . وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ،
فَلَمْ يَبْرِّهِمَا ، فَاتَ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعِدَهُ اللَّهُ . قُلْتُ : آمِينَ . فَقُلْتُ : آمِينَ . وَمَنْ ذُكِرَتْ
عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلِّ عَلَيْكَ ، فَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعِدَهُ اللَّهُ . قُلْتُ : آمِينَ . فَقُلْتُ : آمِينَ .

وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ مِنْ أَفْضَلِ
أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ، قَالُوا :
وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ وَقَدْ أُرْمَتْ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ
أَجْسَادَنَا ، وَفِي رِوَايَةٍ : أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَلَّى
عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي وَكُلَّ يَوْمٍ مَلَكَ يُبَلِّغُنِي ، وَكُنِّي أَمْرَ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي ، وَكُنْتُ لَهُ شَهِيدًا
وَشَفِيعًا ، أَفْرَجَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَسَاكِرَ ، فِي فَضَائِلِ الْمَدِينَةِ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَيُّمَا عَبْدٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ
^(١) الماروف أن كتاب التَّغْيِيبِ وَالتَّرْهيبِ لِلْحَافِظِ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْمُتَذَكِّرِ الْمِصْرِيِّ ، وَأَمِلَ هَذَا كِتَابَ آخَرَ .

صدقة ، فليَقُلْ في دعائه : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، وصلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ .

وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ ، قَالَ : سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ ،
فَلَمْ يَصِلْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَجَلْ هَذَا ،
ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ،
ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدَ مَا شَاءَ . أَضْرَجَ جَمِيعُ ذَلِكَ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَّانٍ فِي كِتَابِ التَّقَاسِيمِ وَالْأَنْوَاعِ .
وَأَضْرَجَ بَعْضُهَا التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ . وَمَا رَوَى فِي هَذَا الْبَابِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ
يُعَدَّ ، وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا طَرَفًا صَالِحًا مِنْهُ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ .

٤ - مَا جَاءَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْفُ بِقَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُصَلِّي عَلَيْهِ

عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهَبٍ ، أَنَّ كَعْبًا دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ كَعْبٌ : مَا مِنْ فَرَجٍ يَطْلُعُ إِلَّا نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَحْفُوا
بِالْقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنَحَتِهِمْ ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا
عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفًا ، حَتَّى يَحْفُوا بِالْقَبْرِ ، يَضْرِبُونَ بِأَجْنَحَتِهِمْ ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَبْعُونَ أَلْفًا بِاللَّيْلِ ، وَسَبْعُونَ أَلْفًا بِالنَّهَارِ ، حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ ،
خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُوقِرُونَهُ . رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ خَالِدِ
ابْنِ يَزِيدَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ ، عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهَبٍ . ذَكَرَهُ صَاحِبُ مَثِيرِ الْغَرَامِ
وَابْنُ الْحَاجِّ الْمَالِكِيُّ .

٥ - مَا جَاءَ فِي زِيَارَةِ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزُورُ قُبُورَ
الشُّهَدَاءِ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى حَرَّةٍ وَاقِمَ ، فَلَمَّا تَدَلَّيْنَا مِنْهَا ، فَإِذَا قُبُورٌ بِمَحَنِيَّةٍ ؟ قَالَ :
قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقُبُورُ إِخْوَانِنَا هَذِهِ ؟ قَالَ : قُبُورُ أَحِبَّائِنَا . فَلَمَّا جِئْنَا قُبُورَ الشُّهَدَاءِ
قَالَ : هَذِهِ قُبُورُ إِخْوَانِنَا . أَضْرَجَ أَبُو دَاوُدَ .

شرح — الحرّة : الأرض بين الجبلين فيها حجارة سود مُمَيّت بذلك حرّها ،
وَوَدَّجَ الشمس فيها . وواقِم ، بواو مفتوحة ، وبعد الألف قاف مكسورة ، ثم ميم : أطم
من أطام المدينة ، وهى حصونها ، وأضيفت الحرّة إليه . وَخَنِيّة : بفتح الميم ، وسكون
الخاء المهملة ، وكسر الفون ، وتخفيف الياء آخر الحروف ، وبعدها ناء تأنيث . والجمع
تَحَانٍ ، وهى معاطِف الوادى ، أى قُبُورٌ بمنعطف الوادى ، وهو منعناه أيضا . وقول
كعب بن زُهَيْر : « من ماء تَخْنِيّة » . . . البيت ، خَصَّ ماءً الحنّية ، لأنه يكون
أصفى وأبرد .

وعن ابن عمر قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمُصْعَب بن عُمر حين رجع ،
فوقف عليه وعلى أصحابه ، وقال : أشهد أنكم أحياء عند الله ، فزورهم وسلّموا عليهم ؛
فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردّوا عليه إلى يوم القيامة . أنهرجه الحافظ
أبو نُعَيْمٍ فى حِلْيَتِهِ .

البَابُ الأَرْبَعُونَ

في فضل الحرمين وبيت المقدس

١ - ما جاء في تنظيم حرم مكة وتحريمه ؛ وقدم حرمة ، ثم تحليله للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار ؛ ثم نسخ التحليل ؛ وعود حرمتها كما كانت

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، فتح مكة : إن هذا البلد حرّمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله عز وجل إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يُفصدُ شوْكُهُ ، ولا يُنْفَرُ صيدهُ ، ولا يُلتَقَطُ لُقَطَتُهُ ، إلا من عَرَفَها ؛ ولا يُخْتَلَى خَلاها ، فقال العباس : يا رسول الله ، إلا الإذخر ، فإنه لَقَيْنَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ . قال : إلا الإذخر . أضرجه .

وفي بعض طرق البخارى : فلم يحل لأحد قبلي ، ولا يحل لأحد بعدى . وفيها : إلا الإذخر ، فإنه لصاغتنا وبيوتنا . وفي رواية أبى هريرة : إلا الإذخر ، فإننا نجعله لبيوتنا وقبورنا .

قال : إلا الإذخر وفيها : ومن قُتِلَ له قتيل فيها فهو بخير النظرين : إما أن يفتدى ، وإما أن يقتل . وفيها : فقام أبو شاة ، رجل من أهل اليمن ، فقال : يا رسول الله اكتبوا لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبى شاة . فقيل للأوزاعى : ما قوله : اكتبوا لأبى شاة ؟ قال : هذه الخطبة . أضرجه .

وعن عكرمة قال لرجل : أتدرى ما لا ينفر صيدها هو أن ينحيه من الظلّ وبنزل مكانه . أضرجه رزين فيما ذكر أنه مُتَّفَق عليه .

وعن ابن عباس في فتح مكة قال . لما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة كف الناس أن يدخلوها ، حتى يأتيه رسول العباس ، فأبطأ عليه ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : لعلهم يصنعون بعباس ما صنعت بُرُوة بن مسعود ، إذ أن لا أَسْتَنْبِيحِي منهم أحدا . قال : ثم جاء رسول العباس فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر أصحابه بالكف ، قال فكفوا السلاح إلا خِزَاعة ساعة ، ثم أمرهم فكفوا ، فأمن الناس كلهم إلا أربعة : ابن أبي سَرْح ، وابن خَطَل ، ومِقْيَس الكِنَانِي ، وامرأة أُخْرَى ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لم أحرّم مكة ، ولكن الله عز وجل حرّمها ، وإنها لم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدى إلى يوم القيامة ، وإنما أحلّها الله لي ساعة من نهار . أخرجه ^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدّم مكة ، فبعث الزُّبَيْر على إحدى المُجَنَّبَتَيْن ، وبعث خالد بن الوليد على المُجَنَّبَةِ الأُخْرَى ، وبعث أبا عُبَيْدَةَ بن الجراح على الحُسَرة ، فأخذوا على الوادي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته ، فنظر فرآني ، فقال : يا أبا هريرة ، اهتف لي بالأنصار ، ولا يأتني إلا أنصارى ، فهتفت ، فجاءوا حتى أطافوا به ، وقد وبّشت قريش أوباشاً لها وأنبياء ، فلما أطافت الأنصار برسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : أترون أوباش قريش وأتباعهم ؟ ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : احصُدوهم حصداً ، حتى توافوني بالصفاء ، قال أبو هريرة : فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل منهم من شاء إلا قتله ، فجاء أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا رسول الله ، أبيع قريش ، أو قال : أبيع خَصْرَاء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؛ قال : فغلق الناس أبوابهم . أخرجه ^(٢) .

وعن أنى شَرَّح المدوى ، أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم فتحه

(١) سقط مصدر الحديث هنا من م ، ه ، ولم نذكر عليه .

(٢) كذا في م ، ه ، والحديث وارد في صحيح مسلم بطرق مختلفة . وفي سيرة ابن هشام في غزوة الفتح . وفي فتوح البلدان للبلاذري : (ص ٤٥ - ٤٧) .

مكة، سمعته أذنأى، ووغاه قلبي، وأبصرته عينأى حين تكلم به؛ إنه حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك بها دمًا، ولا يعصّد شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا [له] ^(١): إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لکم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب. فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: [قال:] ^(٢) أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيا، ولا فارّا بدم، ولا فارّا بخربة. أنهرجه. وقال البخاري: يعني السرقة. وقال الترمذی: یعنی الخيانة. يقول: وفي بعض أو أصاب دمًا، ثم جاء إلى الحرم، إنه يقام عليه الحد. قال: ويروى: بحزبة. من جن جنایة نسخه بحزبه. وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، أنهما كرها أن يخرج من تراب الحرم وحجارتها إلى الحِلّ شيء. وأنهرجه الشافعي. وقال: قال غير واحد من أهل العلم: لا ينبغي أن يخرج شيء من الحرم إلى غيره. وقال أبو حنيفة: لا بأس. وعن عطاء أنه كان يكره أن يخرج تراب الحرم إلى الحِلّ، أو يدخل تراب الحِلّ إلى الحرم. أنهرجه سميد بن منصور.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه ضرب فسطاطا في الحرم، وفسطاطا في الحِلّ؛ فقيل له في ذلك. فقال: الذي في الحرم أصلى فيه، والذي في الحِلّ آتى فيه أهلي. أنهرجه أبو ذر.

وعن عياش بن أبي ربيعة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حقّ تعظيمها، يعني السكبة والحرم، فإن ضيعوها هلكوا. أنهرجه ابن الحاج في منسكه.

وعن ابن الزبير قال: قال إن كانت الأمة من بني إسرائيل لتقدّم مكة، فإذا بلغت ذا طوى خلعت نعالها تعظيما للحرم.

(١) ماين المقوفين زيادة من صحيح البخاري.

وعن القاسم قال : يُعرف الحرم من غيره ، بأنه لا يحمي سبيل من الحل ، فيدخل الحرم وإنما يخرج السبيل من الحرم إلى الحل ولا يخرج من الحل إلى الحرم ، وإنما يحمي من الحل ، حتى إذا انتهى إلى الحرم وقف ، ولا يدخل الحرم إلا سبيل الحرم . ذكر ذلك ابن الحاج أيضاً في منسكه .

شرح — في هذه الأحاديث والآثار دلالة على تعظيم حرمة الحرم ، إذ لا خلاف أن المراد بالبلد في حديث ابن عباس المتقدم ، وبمكة في حديث أبي شريح ، جملة الحرم ، وأن التحريم عام فيه . وفي حديث ابن عباس الأول دليل على قدم حرمة . وفيه أيضاً وفي حديث أبي شريح دليل على نسخ الحرمة المتقدمة في حق النبي صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار ، ثم نسخ ذلك وعودها كما كانت ، وفيهما بيان ما حرم في الحرم ؛ وفيما قاله ابن عمر وابن عباس وعطاء دليل على كراهية إخراج تراب الحرم إلى الحل ، وهي كراهة تحريم عندنا . وفعل عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في تعظيم الحرم ، فعل مثله ، ولا يجوز لأحد أخذ شيء من مساويك أراك الحرم ، ولا سائر شجره ، إلحاقاً بالمضاه . ذكر ذلك الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في منسكه . وفي حديث أبي شريح حجة لمن قال : الحرم لا يميز عاصياً ، وإن الحدود تمام فيه ، وهو قول مالك والشافعي ، وبؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في ابن خطل : اقتلوه ، وكان قتله بعد دخول المسجد ، وبعد قوله : مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، لأنه كان ممن ارتد عن الإسلام ، وقتل مسلماً كان يخدمه ، وجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح : أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم : الحويرث بن نُقَيْد ، ومقيس ، وهلال بن خطل ، وعبد الله بن أبي سرح . فأما الحويرث فقتله علي بن أبي طالب ، وأما المقيس فقتله ابن عم له . وأما هلال فقتله الزبير ، وأما عبد الله بن أبي سرح فاستأمن له عثمان ، وكان أخاه من الرضاعة ، وكان للمقيس قنيتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلت إحداهما ، وأغللت الأخرى وأسلمت . أخرجه الدارقطني من حديث عبد الرحمن ابن سعيد الخزومي . ويتأيد أيضاً بأمره صلى الله عليه وسلم لقتل الحية والعقرب وأخوانهما ،

على ما تقدم في حديث ما يُقتل في الحرم والإحرام ، في الباب الثالث عشر ، فيما رُخص
للمُحَرَّم فيه . ووجه الدلالة أنه إذا أُبيح قتل هذا الحيوان مع ضعف أذاه ، واستحقاقه به
القتل ، فالقاتل عداءنا أولى . وقال أبو حنيفة وأصحابه بالفرق بين من اجتَرَحَهَا فيه ،
أو خارجاً منه ، فن اجتَرَحَهَا فيه أُقيم عليه ، ومن اجتَرَحَهَا خارجاً من الحرم وجب فيها
إتلاف نفسه ، ثم عاذ بالحرم ، لا يقام عليه الحد ، بل يُضَيَّق عليه ، فلا يخالط ولا يكلم
ولا يبايع حتى يُضطرَّ إلى الخروج منه فيقام . ورؤى عن ابن عباس وعطاء نحوه ،
إلا أنهم لم يُفَرِّقوا بين النفس وغيرها . وقوله « لم يحل لأحد قبلي » : الكلام في موضعين :
الأول فيما أحل له ، وفيه احتمالان : الأول القتال خاصة ، ويدل عليه حديث ابن عباس ،
حديثه الأول ، وفيه : وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي . الاحتمال الثاني : في جميع ما حرم
فيه من تفجير الصيد ، واختلاء الخلاء وعَضْدُ الشَّجَر ، لأن ذلك من لوازم انتشار العسكر
غالبا ، فالصيد ينفر بذلك ، والدواب يُخْتَلَى لها ويُخَبَط ، فحصوله وإن كان تبعاً وضمناً ،
لكنه لما كان معلوماً بالضرورة كان كالماشئ .

الموضع الثاني : قوله « قبلي » : معناه ، والله أعلم ، أن قتالها بهذا السبب لم يُشرع
لأحد قبلي من الأنبياء ، فهو من باب : أُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ولم تحل لأحد قبلي . وقوله
« ولا تحل لأحد من بعدي » : يحتمل وجوها : أحدها معناه أنه لا يشرع ذلك لأحد بعدي ،
إذ لا نبوة ، فلا شرع ؛ فإن قيل لاختلاف في حل القتال بعده صلى الله عليه وسلم إذا وُجِدَ
سبب موجب للقتال : من استيلاء أهل الشرك أو البغي ، أو منع حق ، هو فرض عين
أو كفاية . قلنا : نقول بالوجوب مع بقاء الدَّعْوَى ، وهي أنه لا يشرع ذلك لأحد بعده ،
ولمَّا أُحِلَّ ما ذكرتموه بشرعه صلى الله عليه وسلم ، لا يشرع غيره . وقوله « لاختلاف
في حل القتال ... » إلى آخره ، ممدوع ، بل قد وقع الخلاف فيه ، وسيأتى بيانه في الوجاه
الرابع إن شاء الله تعالى .

الوجه الثاني : أن يكون قد أعلمه الله جلَّ وعلا أن أهل الشرك لا يستولون عليها
بعد اليوم ؛ ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان قد يئس أن يُفبد بأرضكم

هذه ... الحديث، وقد تقدم في باب صفة حجه صلى الله عليه وسلم، فنفي حل القتال بسبب استيلاء أهل الشرك، لانقضاء موجب، وإذا انتفى الموجب انتفى الموجب لاحالة؛ وكأنه صلى الله عليه وسلم قال: ولا يحل لأحد بعدى بالسبب الذي أُحِلَّت لي به، وهو قتال المشركين.

الوجه الثالث: أن يكون معنى قوله «ولا يحل لأحد بعدى»: بغير ذلك السبب الذي أُحِلَّت لي به، أو ما في معناه من بنى أو منع حق؛ ويؤيد ذلك قول عمرو بن سعيد لأبي شريح: أنا أعرف بذلك منك، إن الحرم لا يعيد عاصيا، لما فهم أبو شريح من اللفظ العموم، وفهم عمرو أنه مخصوص ببعض الأحوال، نبهه على ذلك؛ فإن قيل قد علم تحريم القتال بغير موجب، من غير هذا الحديث، في مكة وفي غيرها فلا معنى ولا فائدة في التخصيص بمكة. قلنا: بلى، فيه فائدة، وهي أن تخصيصها بالذكر، فيه تأكيد لحرمتها، وتفضيل لها، وتشريف على غيرها، وتوكيد التفضيل شائع في الكلام، قال تعالى: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ» وهما من الملائكة، وقال تعالى: «فِيهِمَا قَاكِمَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ»، وهما من الناكهة. فإن قيل: إنما يحسن التوكيد عند ذكر جمع، ثم يخص بعضهم بالذكر، فيستفاد منه ذلك، وهذا مفقود هنا. قلنا: لما كان عموم التحريم في جميع الأمكنة معلوما لكل أحد، كان كأنه قد ذكر جملتها، ثم خص مكة بالذكر. أو نقول: مطلق التوكيد، وإن لم يُردَّ به التفضيل، شائع في الكلام، قال تعالى: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» ثم لا نقول إنه خال عن الفائدة، بل نفس التوكيد أعظم فائدة.

الوجه الرابع: وهو أقواها وأسلمها عن الاعتراض، أن يريد تحريم القتل بها وكان مستحقاً، حتى لو دخل كافر بغير أمان، أو زان مُحْصَن، أو من قتل إنساناً عَمْدًا عَدُوًّا، لم يُقتل بها، بل يُصَيِّق عليه حتى يخرج، وهذا مذهب أبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن أحمد، وقول بعض أصحاب مالك؛ وكذلك القتال أيضا لا يكون بقتل، بل بالحصر والتضييق والمدافعة حتى يخرجوا منها، ولا كذلك سائر البلاد، وإليه الإشارة بقوله

صلى الله عليه وسلم : فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى وقتله ابن خطل وغيره ، وقد عاذوا بالحرم ، فيقال لهم : إن الله عز وجل أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم ، فنع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يقتلوا به فى هذه الرخصة ، وأن يعد سببها تحقيقا لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذه الرخصة ، وما يحتاج به المخالف مما تضمنه الحديث « أن الحرم لا يميز عاصيا » ، فذلك ليس من قوله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو من قول عمرو بن سعيد ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بأن يتبع ، وأحق ، والله أعلم .

الوجه الخامس : ذكره بعضهم ، هو دخوله إياها بغير إحرام .

قلت : وفيه نظر ، فإن من اضطر إلى دخولها لقتال ، فلا يبعد أن يجوز له ترك الإحرام فى كل وقت ، فلا معنى للتخصيص حينئذ . وقوله « وإنما أحلت لى ساعة من بهار » : قال الخطائى : إنما أحلت له فى تلك الساعة إراقة الدماء ، إلا دم صيد وغيره مما حرّم بالحرم ، من قطع شجر ، وتغير صيد .

قلت : ويحتمل العموم كما تقدم تقريره ، فإن انتشار العسكر لا يخلو من تغير صيد ، ودوس خلى وقطعه ، وغير ذلك ، والعمد والخطأ فيه سواء ، وقد استدرك بهذا من قال إن مكة فُتِحَتْ عَنْوَةً . قوله « ولا يُقَصَّدُ شَجَرُهَا » : أى لا يقطع ، والعصد : القطع . يقال : عَصَدْتُ الشجر أعصده ، بالكسر : قطعته . وقوله « ولا يُخْتَلَى خِلاَهُ » : أى يُقَطَّعُ كَلْوُهُ . والخلى مقصور : السكلا الرطب ، فإذا يبس فهو خشيش وهشيم . وانفق العلماء على أن النهى فيما يَنْبُتُ نفسه ، مما جرت العادة منه أن يثبت بنفسه . فإن زال أحد القيدين ثار الخلاف بين أهل العلم : وجاء فى بعض الروايات ولا يُحْبِطُ شَوْكُهُ ، أى لا يضرب بالعصا ، اينكسر ويتساقط ورقه ، فتأكله الماشية . والخبط بالإسكان : المصدر ، واسم ذلك الورق الخبط ، بالتحريك . وقوله « ولا يُنْفَرُ صَيْدُهُ » أى لا يصاح عليه فينفر . وقال عكرمة : هو أن يُنَحَّى من الظل إلى الشمس . وقد تقدم قوله هذا مستوفى . وقال سفيان بن عيينة : معناه أن يكون الصيد فى ظل الشجرة ، فنز ينفر (٤١ - القرى)

لِيُجْلَسَ مَكَانَهُ وَيُسْتَقَالَ . ولا خلاف أنه لو نَفَرَهُ وَسَلِمَ ، فلا جزاء عليه ، لكنه يَأْتِمُّ بارتكابه النَّهْيَ ، فلو أَتَلَفَهُ أو تَلَفَ بِنَفْسِهِ ، وجب جزاؤه .

وعن عطاء أن غلاماً من قريش قتل حمامة ، فأمره ابن عباس أن يَفْدِيَ عنها بشاة . أضرجه الشافعي وقال : وبه قال عمر وعثمان وعبد الله بن عمر وعاصم بن عمر وناقع ابن عبد الحارث وسعيد بن المسيب وعطاء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ماسوي حمام الحرم ففيه ثمنه إذا أصابه المحرم . وفي رواية عنه : كل طير دون الحمام ، ففيه قيمته . أضرجه البيهقي .

وعنه وسئل عن صيد الجراد في الحرم ؟ قال : لا ، ونهى عنه . وقوله « ولا يُلْتَقَطُ لِقَطْعَتُهُ إِلَّا من عَرَفَهَا » وفي رواية أبي هريرة : ولا يحل سافطه إلا لئشيد . قال أبو عبيد إلا للمعرف ، وفي رواية ابن عباس إلا من عَرَفَهَا ، أما الطالب فيقال فيه ناشد ، تقول نشدت الضالة ، أي طلبتها ، وأنشدتها عَرَفْتُهَا . هذا هو المشهور . وقيل : اللشيد هنا الطالب ، والناشد : المعروف . وعند مالك حُكْمُ اللقطة في سائر البلاد واحد ، والحدث حجة عليه ، فإن معناه مُنْشِدٌ أبداً ، لا يقصد التملك ، وإلا لما كان في التقييد به فائدة ، إذ في سائر البلاد لا يحل له التملك إلا بعد الإنشاد . وبقولنا قال غير واحد من العلماء . وعند مالك : الحديث محمول على المبالغة في التعريف ، فإن الحاج يرجع إلى بلاده ، فلا يعود إلا بعد أعوام ، فتدعو الضرورة إلى إطالة التعريف ، أو على قطع وهم من يظن أنه لا يحتاج إلى التعريف ، فإن الغالب أن الحجاج إذا تفرقوا مُشْرِفِينَ ومُعَرِّبِينَ ، وقد مدَّت المطايا أعناقها ، لا يعرَّجون على شيء ، فلا فائدة في التعريف . وقوله « إلا الإذخر » : هو بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين ، وبمسدها راء مهملة ، نَبَتْ معروف طيِّب الريح ، يُسَقَفُ به البيوت فوق الخشب ، وهزته زائدة ، واستثناء النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أنه مما لم يحرم الله عز وجل ، وعلى أن من هذه الحرمات ما حرم الله تعالى ، ومنها ما حرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو يكون الجميع مما حرمه ، لكنه أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بإباحة الحرمات عند الاضطرار ، ويكون حكمه في هذا

على التعيين بجتهاده صلى الله عليه وسلم . وقوله « لَقَيْنِهِمْ » ، الْقَيْنِ الْخَدَّادُ وَالصَّانِعُ .
وقوله « بَخِيرَ النَّظَرَيْنِ » أى الْوَلَى غَيْرَ بَيْنَ أَنْ يَقْدِيَ الْقَاتِلَ ، وَبَيْنَ أَنْ يَقْتُلَهُ . وهذا
مذهب الشافعى وأحمد ، وإحدى الروايتين عن مالك ؛ والرواية الأخرى عنه : « ليس له
إلا القتل » ، ولا يُجَبَّرُ الْقَاتِلُ عَلَى دَفْعِ الدَّيَّةِ . واحتج بقوله فى بعض الطُرُقُ يُفَادَى ،
قال : وهذا لا يكون إلا من اثنين يتراضيان ويصطلحان على ذلك ، لا إجبارا . وقوله
« ا كْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ » : دليل على تقييد العلم بالكتاب ، وقد اختلف علماء السلف
فى إباحة ذلك ، فمنهم من كرهه ، ومنهم من أجازوه ، وهم الآخرون ، ومنهم من كان
يكتب ، فإذا حفظ محام ، ثم وقع بعد الإجماع على جوازه ، وقد حثَّ رسول الله صلى الله
عليه وسلم على التبليغ ، وحذَّر من الكذب عليه ، فَإِنْ لَمْ يُكْتَبْ ذَهَبَ الْعِلْمُ . وأبو شاه :
بفتح الشين المعجمة ، وبمدها ألف ثم هاء ، وهو مصروف ، والشاه : للالك .

٢ - ما جاء فى الرجل يرسل كلبه فى الحل ؛ فيأخذ فى الحرم ؛ أو بالعكس

عن عطاء أنه سُئِلَ عَنْهُمَا فَقَالَ : عَلَيْهِ الْجَزَاءُ . أخرجه سعيد بن منصور .

٣ - ما جاء فىمن يمسك فى الحرم صيدا لمصلحة ؛ فيموت فى يده

عن عطاء وأتته امرأة فقالت : إني رأيت حمامة من حمام الحرم ، وقد تشبَّكَ
برجليها خيط ، فأخذتها لأنزع الخيط من رجليها ، فاضطربت فى يدي ، فانت . فقال :
ليس فيها شيء ، إنما أرادت الخير . أخرجه سعيد بن منصور .

وفى المسألة خلاف بين أصحابنا ، وهو جار فى نظيره من الإحرام .

٤ - ما جاء فى جواز التنفير بشرط سلامة العاقبة

عن مالك بن دينار قال : دخلت على مجاهد بيته فى مكة ، فرأيت فى يده سَعَفَةً
يطرد بها الحمام . أخرجه سعيد بن منصور .

وعن نافع بن عبد الرحمن أن عمر دخل دار الندوة ، فملق زاده ، فوقع عليه

طائرٌ، يخاف أن ينجسه، فطيره، فهشته حية، فقال: أنا طيرته حتى نهشته الحية. فسأل من كان معه أن يحكموا عليه، فحكموا عليه بشاة. أضرهم الشافعي.
فَدَلَّ على أن التنفير إنما جاز في حديث مجاهد للتقدم آتفاً، بشرط سلامة العاقبة وفي حديث عمر دلالة على نجاسة بول ما يؤكل لحمه.

٥ - ما جاء فيما يباح في الحرم والإحرام

تقدم هذا الفصل وأحاديثه في باب محظورات الإحرام.

٦ - ما جاء في الصيد يُصاد في الحل؛ ثم يُدخل به الحرم

عن ابن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم أنهم كرهوا أن يذبح الصيد الذي يُصاد في الحل في الحرم.

وعن ابن عمر أنه قال: هو آمِن وكفارته على من قتله.

وعن عطاء مثله. أضرهم سعيد بن منصور.

وعن عطاء أنه سُئِلَ عن صَيْدٍ صِيدَ في الحِلِّ، وذُبح في الحرم. فقال: كان ابن

عمر وابن عباس وعائشة يقولون ذلك. أضرهم أبو ذر.

٧ - حجة من أباح ذبحه وأكله؛ وأثبت الملك فيه

عن أنس بن مالك قال: كان لأبي طلحة من أم سليم، ابن يقال له أبو عُمَيْر، وكان صلى الله عليه وسلم يضاحكه إذا دخل، وكان له نُفَيْرٌ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى أبا عُمَيْر حزيناً، فقال: ما شأن أبا عُمَيْر حزيناً؟ قالوا: يا رسول الله، مات نُفَيْرُهُ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبا عُمَيْر، ما فعل النُفَيْرُ^(١).

وعن مجاهد أنه أكل من الصيد الذي أدخل الحرم حياً، في مرضه الذي مات فيه.

(١) هو تصفير النفر (بوزن مضر)، وهو طائر يشبه المصفر أحمر المنقار، ويجمع على نفران

(عن النهاية لابن الأثير).

وعن عطاء أنه كان لا يرى بأساً بما أدخل من الصيد الحرم مأسوراً . أخرج جميع ذلك سعيد بن منصور .

٨ - ماجاء فيمن أصاب حداً ثم لجأ إلى الحرم

تقدم في حديث أبي شريح في الفصل الأول ، ما يدل ظاهره على أنه يقام عليه الحد فيه .

٩ - حُجَّة من قال لا يقيم عليه الحد فيه

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : من أصاب حداً ، وفي رواية : من أحدث حداً في غير الحرم ، ثم دخل الحرم ، فإنه لا يُجَالَس ، ولا يُبَايَع ولا يُؤْوَى ، ويأتيه الذي يطلبه فيقول : أي فلان ، أتت الله في دم فلان ، أخرج من الحرم ، فإذا خرج منه أقيم عليه . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هيجته^(٢) . وعن الحسن وعطاء قالا : إذا أصاب الحرم حداً أقيم عليه ، إلا القتل ، فإنه يُنْتَظَر به حتى يفرغ من حجه ، ثم يُقْتَل . أخرج الجميع سعيد بن منصور .

١٠ - ماجاء فيما يجب قطع الشجرة في الحرمية

عن عطاء أنه كان يقول في المُحَرَّم إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم ، فعليه بَدَنَةٌ .

وعنه أنه قال : في الدَّوْحَةِ بقرة .

وهكذا الحكم عندنا . ولعل إيجاب البدنة في الحديث الأول كان لمكان الإحرام . وعنه أنه سُئِلَ عن قطع من شجر الحرم . فقال : يستغفر الله عز وجل ، ولا يعود . وعنه أنه كان يرخص من الحرم في القَصَب والشوك والسَّيِّ . ولعل الذي قال فيه أنفاً : يستغفر الله عز وجل ثم لا يعود ، من هذا القسم ، لا من الأول .

(٢) كذا وردت هذه اللفظة في م ، هـ . وفي الأزرق : ندهته . وشرحه ابن الأثير في النهاية ونقله عنه صاحب اللسان : أي زجرته .

وعنه أنه قال : لا بأس أن يَجْنِيَ السَّكْمَاءُ من الحرم .
وعنه : لا بأس ^(١) بالمِشْرِيقِ والسَّكْمَاءِ .

١١ - ما جاء في حمل السلاح في الحرم

عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحِلُّ لأحد أن يحمل السلاح بمكة . ^{أُضْرِبَ} .
وهو محمول عند أهل العلم على تحمله من غير ضرورة ولا حاجة ، فإن كان حرب أو حاجة جاز ، وهو قول مالك والشافعي وعطاء .

١٢ - ما جاء في احتكار الطعام في الحرم

عن يعلى بن أمية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتكار الطعام بمكة إحداد فيها . ^{أُضْرِبَ} أبوداود .

١٣ - ما جاء في الإحداد فيه

عن ابن عمر أنه أتى ابن الزبير وهو جالس في الحجر . فقال : يا ابن الزبير ، إيتاك والإحداد في حرم الله عز وجل ، فإنني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُحِلُّهَا رجل من قريش . وفي رواية : سُلَيْمٌ فِيهِ رجل من قريش ، لو وُزِنَتْ ذُنُوبُهُ وذُنُوبُ الثَّقَلَيْنِ لَوَزَّتْهَا ، فانظر ألا تكون هو . ^{أُضْرِبَ} أحمد .
قال أهل العلم : الإحداد في الحرم : القتل والمعاصي .

١٤ - ما جاء في أجور ربيع مكة

عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مكة حرم ، حرَّمها الله تعالى ، لا يحِلُّ بيع ربيعها ، ولا أجور بيوتها .

(١- ١) المشرق (كروج) : نبات ينفرش على وجه الأرض ، مريض الورق ، وليس له شوك تأكل منه الغنم . (تاج العروس) . والسكماء : نبات ينفض الأرس ، فيخرج كما يخرج الطير ، يأكله الناس والحيوان .

وعن ابن جُرَيج قال : أنا قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز يَنْهَى عن كِرَاء بيوت
حكمة . أُنْهِرَهما سعيد بن منصور .

١٥ - ما جاء في فضل مكة وحرَمها ؛ وأنها خير أرض الله عز وجل

تقدم في الفصل الأول من هذا الباب أحاديث تحريرها ؛ وفيها دلالة على فضلها .
وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما عَقَرَتْ ثمودُ الناقة ،
وأخذتهم الصيحة ، لم يبق تحت أديم السماء منهم أحدٌ إلا أهلكته ، إلا رجلاً واحداً
كان في حرم الله عز وجل ، : الحَرَم . فقالوا : من هو يا رسول الله ؟ فقال : أبو رِغال ،
أبو ثقيف ، فلما خرج من الحَرَم أصابه ما أصاب قومه . أُنْهِرَ أحمد ومسلم وأبو حاتم .
وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
واقف على راحلته على الخَزْوَرة من مكة ، وهو يقول لمكة : والله لك خير أرض الله ،
وأحبُّ أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت . أُنْهِرَ النَّسَائِيُّ والترمذى ،
وقال : حديث حسن صحيح . وأُنْهِرَ أبو حاتم بن حبان في التَّقاسيم والأنواع ، وسعيد
ابن منصور في سننه . وذكره رَزِين عن الموطأ من حديث أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن ،
عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أره في موطأ يحيى بن يحيى . وأُنْهِرَ
أحمد في المسند ، وقال : واقف بالخَزْوَرة في سوق مكة . وأُضْرَجَ رَزِين أيضاً عن ابن
عباس ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة وقف
عند الخَزْوَرة ، وقال : ما أطيبك من بلد ، وأحبك إلي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك
ما سكنت غيرك . وعلم عليه علامة الموطأ . ولم أره في موطأ يحيى بن يحيى . وأُنْهِرَ
الترمذى وقال : حسن صحيح ، غريب من هذا الوجه . وأُنْهِرَ أبو حاتم بن حَبَّان ،
ولم بقولا : « حين خرج من مكة ، ووقف عند الخَزْوَرة » ، وذكرنا باقية .

والخَزْوَرة : الراية الصغيرة ، والجمع الخَزَاور . وقال أبو موسى اللدني : هو موضع
بمكة ، عند باب الخياطين ، وهو يوزن قسورة . وقال الشافعي : الناس يشددون الخَزْوَرة
والخَدْبِيَّة ، وهما مخفقتان . حكاه ابن الأثير .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحجّون ، وقال : إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ، ولو تركتُ فيك ماخرجت منك .
أضرب سعيد بن منصور .

والحجّون : تقدم تفسيره في فصل للنزل بمكة ، في أول الباب الرابع عشر في دخول مكة وماسنّ فيه .

وعنه قال : لما قدّمنا مكة أتت الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلسوا حوله ، فجعل يقلبُ بصره في نواحي مكة ، وينظر إليها ويقول : والله لقد عرفتُ أنك أحبّ البلاد إلى الله ، وأكرمها على الله ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ماخرجت .

وعن كعب قال : اختار الله البلاد ، فأحبّ البلاد إلى الله البلد الحرام .

وعن ابن إسحاق قال : حدّثنا أن قريشا وجدت في ركن كتابا بالشريانية ، فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود ، فإذا فيه :

أنا الله ذوبكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصوّرت الشمس والقمر ، وحفّفتها بسبعة أملاك خنفاء ، ولا تزول حتى يزول أخشابها ، مبارك لأهلها في الماء واللين . أضربهما صاحب مثير الغرام .

والأخشبان : الجبلان ، وهما أبو قبيس ، والجبل الذي يقال له الأحمر ، وكان يسمى الأعرف ، وهو الجبل المشرف وجهه على قُعَيْقَعَانَ ، ومكة بين هذين الجبلين . واختلف في سبب تسمية أبي قبيس بذلك ، فقيل : إنه أول من نهض بيني فيه رجل من مذحج ، يقال له أبو قبيس ، فسُمي به . وقيل لأنه اقتبس منه الركن ، فسُمي بذلك . والأول أصح . ذكره في مثير الغرام . وفي هذه الأحاديث دلالة ظاهرة على فضل مكة على المدينة ، وسيأتي الكلام فيه مُستوفًى في فصل فضل المدينة ، إن شاء الله تعالى .

١٦ - ذكر أن الدجال لا يدخل مكة

(أنا) شيخنا ابن المقيّر قراءة عاياه بالمسجد الحرام ، قال : أنبأنا أحمد بن المقرب بن الحسين السكرخيّ البغدادي ، قال : (أنا) أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد البرّيّ البیدار ،

قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : (أنا) أبو الحسن محمد بن محمد بن نُحَيْلَة البزار ، قال : أنا أبو الحسن عمر بن علي بن الحسن الشيباني ، قال : (أنا) محمد بن مسلمة بن الوليد بن عبد الملك ، قال : (أنا) يزيد بن هارون ، (ثنا) شُعْبَةُ عن قتادة عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدَّجَالُ لا يَدْخُلُ مَكَّةَ ؛ عَلَى كُلِّ قَبْرِ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ شَاهِرٌ سَيْفَهُ . وَاللَّهِ أَعْلَمُ .

١٧ - ذكر ما جاء أن أهل مكة أهل الله عز وجل

رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اسْتَعْمَلَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ لَهُ : يَا عَتَّابُ ، أُنْذِرُ عَلَى مَنْ اسْتَعْمَلْتَكِ ؟ اسْتَعْمَلْتَكِ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَاسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا . يَقُولُهَا ثَلَاثًا .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ فِيهَا مَضَى يُلَقَّوْنَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : يَا أَهْلَ اللَّهِ ، وَهَذَا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ .

وَكَانَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ يَرَوِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : مَنْ آمَنَ أَهْلُ الْحَرَمِ اسْتَوْجِبْ أَمَانِي ، وَمَنْ أَخَافَهُمْ فَقَدْ أَخْضَرَنِي فِي ذِمَّتِي ، وَلِكُلِّ مَلِكٍ حِيَازَةٌ مَحَالِيهِ ، وَبَطْنُ مَكَّةَ حَوْزَتِي الَّتِي اخْتَرْتُ لِنَفْسِي أَنَا اللَّهُ ذُو مَكَّةَ ، أَهْلُهَا جِيرَتِي ، وَجِيرَانُ بَيْتِي وَعُمَرَاؤُهَا وَزُؤَارُهَا وَفُزْدَى وَأَضْيَافِي ، وَفِي كَنْفِي ، وَأَمَانِي ، ضَامِنُونَ عَلَيَّ ، وَفِي ذِمَّتِي وَجِوَارِي . ذَكَرَ جَمِيعَ ذَلِكَ صَاحِبُ مَثِيرِ الْفَرَامِ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : غِلَظَ الْقُلُوبُ وَالْجَفَا فِي الْمَشْرِقِ ، وَالْإِيمَانُ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ . أَضْرَبَهُ أَبُو حَاتِمٍ .

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا أَرْضُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالنِّيمَاةِ ، وَمَخَالِفُهَا ، وَجَمِيعُ مَا حُدِّدَ بِهِ الْحِجَازُ ، وَتُسَمِّي الْحِجَازَ بِهِ ، وَهِيَ مَا كَانَ بَيْنَ نَجْدٍ وَالنَّوَرِ ؛ وَتُسَمِّي حِجَازًا لِأَنَّهَا حَبَزَتْ بَيْنَهُمَا . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : لِأَنَّهَا احْتَبَزَتْ بِالْحَرَارِ الْخَمْسِ ، مِنْهَا حَرَّةٌ سَلِيمٌ ، وَحَرَّةٌ وَاقِمٌ . حَكَى ذَلِكَ الْجَوْهَرِيُّ .

١٨ - ذكر ما جاء في أسماء مكة

سَمَّى اللهُ تعالى بكةً بخمسة أسماء : مكة ، وبكة ، والبلد ، والقرية ، وأم القرى .
فأما مكة ففي قوله تعالى : « بيطن مكة » . وفي تسميتها بهذا الاسم أربعة أقوال :
أحدها : لأنها يؤمها الناس من كل مكان ، فكانها تجذبهم إليها ، من قول العرب :
امتكَّ الفصيل ما في ضرع الناقة : إذا لم يُبقي فيه شيئاً .

الثاني : لأنها تَمَكُّ مَنْ ظَلَمَ فيها ، أى تهلكه ، وأنشدوا :

يَا مَكَّةُ الْفَاجِرَ مُكِّيٌّ مَكَا وَلَا تُمَكِّيْ مَذْحِجًا وَعَكَا

والثالث : لجهْد أهلها ، من قوله : تَمَكَّكَ الْعَظْمُ : إذا أُخرجت نُحْهً ، والتمسك

الاستقصا .

الرابع : لقلة الماء بها ، ولعله فيما تقدم أنفا .

وأما بكة : ففي قوله تعالى : « لِلَّذِي بَسَكَةٌ » . قال الضحاك : مكة وبكة :
أسمان للبلد . واحتج ابن قتيبة لتصحيحه ، فإن الباء تُبْذَلُ من الميم ، يقال سَبَدَ رأسه
وسَمَدَهُ : إذا استأصله ، وشَرَّ لازِب ولازِم ، والنَّبِيْطُ والمِيط : اسم موضع بالدهناء ،
وأمر راتب وراتم ، وُحِّيْ مُعْمَطة ومعبطة . وقد قيل بكة بالباء : اسم للبقعة التي فيها
الكعبة ، قاله ابن عباس ، وذهب إليه مالك . وقيل : اسم لها ولما حول البيت ، ومكة
اسم لما وراء ذلك ، قاله عكرمة . وقيل : إنها المسجد والبيت ، ومكة اسم للحرم كله ،
قاله الجوهري .

وفي تسميتها بكة ثلاثة أقوال :

أحدها : لازدحام الناس بها ، يقال : هم فيها يَبْكَبُونَ ، أى يزدهمون . قاله
ابن عباس .

والثاني : لأنها تَبْكُ أعناق الجبابرة ، أى تدقها ، وما قصدَها جَبَّارٌ إلا قَصَصَهُ اللهُ
تعالى . قاله ابن الزبير .

والثالث : لأنها تضع من نخوة المتكبرين . قاله اليزيدى . وأما تسميتها بالبلد في قوله تعالى : « لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ » ، قال المفسرون : أراد مكة . والبلد في اللغة : صدر القرى . وأما تسميتها بالقرية في قوله تعالى : « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مَطْمَئِنَّةً ... الآية » ، الإشارة إلى مكة ، فإنها كانت ذات أمن ، يأمن أهلها أن يُغارَ عليهم ؛ وكانوا أهل طمأنينة ، لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق ، والقرية : اسم لما يجمع جماعة كثيرة من الناس ، من قولهم : قرية الماء في الحوض : إذا جمعت فيه ، ويقال للحوض مِقرة . وأما تسميتها أم القرى في قوله تعالى : « لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا » يعنى مكة . وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال :

أحدها أن الأرض دُحِيت من تحتها . قاله ابن عباس . وقال ابن قتيبة : لأنها أقدم الأرض .

والثاني : لأنها قبلة يؤمها جميع الأمة .

الثالث : لأنها أعظم القرى شأنا .

الرابع : لأن فيها بيت الله تعالى . ولما جرت العادة أن بلد الملك وبيته مقدَّمان على جميع الأماكن ، سُمِّيَ أمًا ، لأن الأم متقدمة .

ومن أسمائها أيضا صلاح أيضا ، مثل قطام . وقد تُصرف قال شاعرهم :

أبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَلاحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قُرَيْشٍ
ذكر ذلك الجوهري .

١٩ - ذكر حدود الحرم

وحده من طريق المدينة دون التنعيم ، على ثلاثة أميال من مكة ، وقيل أربعة أميال . وقال أبو محمد بن أبي زيد المالكي في كتاب النواحر : هو إلى منتهى التنعيم أربعة أميال ؛ ومن طريق لبين طرف أضاة ، على ستة أميال ، وقال ابن أبي زيد : سبعة . ومن طريق الطائف على طريق عرفة ، من بطن نبرة ، على أحد عشر ميلا ؛ كذلك ذكره الأزرقى .

وقال ابن أبي زيد : على تسعة أميال . ومن طريق العراق على ثنية خَلْ بالقطع ، على سبعة أميال ، كذلك ذكره الأزرقي . وقال ابن أبي زيد ثمانية . ومن طريق الجمرانة على شعب آل عبد الله بن خالد بن أسيد على تسعة أميال . ومن طريق جُدَّة مُنْقَطَع الأعشاش ، على عشرة أميال . وقال ابن أبي زيد ومن طريق جُدَّة إلى منتهى الحديبية ، على عشرة أميال . قال : قال مالك في العُتَيْبَةِ : والحديبية في الحرم .

وأول من نصَّب حدود الحرم إبراهيم عليه السلام ، ثم إن قريشا قلعوها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء جبريل عليه السلام ، فقال : اشتد عليك يا محمد ؟ قال : نعم . قال : أما إنهم سيميدونها . فرأى رجل منهم في المنام قائلا يقول : حَرَّمَ أَغْزَمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ ، فَنَزَعْتُمْ أَنْصَابَهُ الْآنَ . تَخْطِفُكُمْ الْعَرَبُ . فَأَصْبَحُوا يَتَجَدَّثُونَ بِذَلِكَ فِي مَجَالِسِهِمْ ، فَأَعَادُوهَا ، فجاء جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد ، قد أعادوها . قال : أفأصابوا يا جبريل ؟ قال : ما وضعوا منها نُصْبًا إِلَّا بِيَدِ مَلَكٍ .

وعن الزهري عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عُقْبَةَ قال : نصَّب إبراهيم أنصاب الحرم ، يُرِيهِ جبريل عليه السلام ، ثم لم تُحْرَكْ حتى كان قُصَى جَدَّهَا ، ثم لم تُحْرَكْ حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم ، فَبِمَثْ عام الفتح تَمِيمَ بن أسيد الخُزَاعِي ، جَدَّهَا ، ثم لم تُحْرَكْ حتى كان عمر بن الخطاب ، فَبِمَثْ أربعة من قريش فجَدَّدوها : نَحْرَمَةُ بن نَوْفَل وسعيد بن بَرْبُوع ، وَحُوَيْطِبُ بن عبد العُزَّى ، وَأَزْهَرُ بن عبد عَوْف ، ثم جَدَّدَهَا معاوية ؛ ثم أمر عبدُ الْمَلِكِ بتجديدها .

وقد ذكر في سبب تجديد الحرم واختلاف حدوده أربعة أوجه :

أحدها : مارواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال : لما هَبَطَ آدَمُ عليه السلام خَرَّ ساجداً معتذراً ، فأرسل الله عز وجل إليه جبريل بعد أربعين سنة ، فقال : ارفع رأسك ، فقد قَبِلْتُ تَوْبَتَكَ . فقال : يارب ، إِنَّمَا أَتْلَفُ عَلَى مَا قَاتَنِي مِنَ الطَّوَافِ بِمَشْكٍ مَعَ مَلَائِكَتِكَ ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : إِنِّي سَأُنْزِلُ إِلَيْكَ بَيْتًا ، أَجْعَلُهُ

قَبْلَهُ ، فَأَهْبَطَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ، وَكَانَ يَاقُوتَةُ حِمْرَاءَ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا ، وَلَهُ بَاهَانُ :
شَرْقِي وَغَرْبِي ، قَدْ نَظَّمَتْ حَيْطَانَهُ بَكَوَا كَبِيبِضٍ مِنْ يَاقُوتِ الْجَنَّةِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْبَيْتُ
فِي الْأَرْضِ ، أَضَاءَ نُورُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَفُتِرَتْ لَذَلِكَ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ وَفَزَعُوا ،
فَرَقُّوا فِي الْجَوِّ يَنْظُرُونَ مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ النُّورِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ مِنْ مَكَّةَ أَقْبَلُوا يَرِيدُونَ الْإِقْتِرَابَ
إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَائِكَةً ، فَقَامُوا حَوْلَ الْحَرَمِ فِي مَكَانِ الْأَعْلَامِ الْيَوْمَ ، فَمَنَعَتْهُمْ ،
فَمِنْ نَحْمٍ ابْتَدَأَ اسْمَ الْحَرَمِ .

الوجه الثاني : ما رواه وهب بن منبه ، أن آدم عليه السلام لما نزل إلى الأرض
اشتد بكأؤه ، فوضع الله له خيمة بمكة موضع السكبة ، وكانت الخيمة ياقوتة حمراء من
الجنة ، وفيها ثلاثة قناديل ، فيها نور يلهب من الجنة ، وكان ضوء النور ينتهي إلى مواضع
الحرم ، وحرس الله تعالى تلك الخيمة بملائكة ، فكانوا يقفون على مواضع أنصاب
الحرم ، يحرسونه ويدودون عنه سكان الأرض من الجن ، فلما قبض الله تعالى آدم دفنها إليه .

الثالث : روى أن إبراهيم عليه السلام لما بنى البيت قال لإسماعيل : ابني حجرا
أجعلهُ للناس آية ، فذهب إسماعيل ورجع ولم يأت به بشيء ، ووجد الركن عنده ، فقال :
من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لم يكلني إلى حَجَرِكَ ، جاء به جبريل ، فوضعه
إبراهيم في موضعه هذا ، فأثار شرقا وغربا ويمنا وشاما . فحرم الله الحرم حيث انتهى إليه
نور الركن وإشراقه من كل جانب .

الرابع : أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشياطين ،
فاستعاذ بالله ، فأرسل الله تعالى ملائكة حَفُّوا بِمَكَّةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَوَقَفُوا حَوْلَهَا ،
فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَرَمَ حَيْثُ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ . قال عبد الله بن عمر : والحرم حرام إلى السماء
السابعة . وقال عطاء : كانوا يرون أن العرش على الحرم .

٢٠ - ذكر مقبرة الحرم

عن ابن مسعود قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على البيت بيت المقبرة ، وليس بها يومئذ مقبرة ، قال : يبعث الله عز وجل من هذه البقعة ، أو من هذا الحرم كله ، سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا ، وجوههم كالقمر ليلة البدر . وقال أبو بكر : يا رسول الله من هم ؟ قال : القرباء . أخرجه أبو حفص الملاء في سيرته .

وعن حاطب بن أبي بلتعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من مات بأحد الحرمين ، بُعث يوم القيامة من الآمنين . أخرجه الدارقطني وأبو بكر بن أحمد في كتابه المجالسة . وأخرجه أبو داود الطيالسي من حديث عمر ، ولفظه : من مات في أحد الحرمين ، بعثه الله من الآمنين يوم القيامة . وقد تقدم الحديثان في فصل استحباب الزيارة .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لمقبرة مكة : نعم المقبرة هذه . وعن ابن عمر أنه قال : من قُبر بمكة مسلماً ، بُعث آمناً يوم القيامة . أخرجهما الحافظ أبو الفرج .

٢١ - ذكر أعيان المدفونين في المسجد الحرام

تقدم في الباب الأول في فصل حج الأنبياء عليهم السلام طرّف من ذلك . وعن محمد بن سابط قال : مات هود ونوح وصالح وشعيب بمكة ، فقبورهم بين زمزم والحجر ، وكان النبي إذا هلكت أمته لحق بمكة ، فيتعبد فيها ومن معه حتى يموت . وعنه قال : ما بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً ، وإن قبر هود وصالح وشعيب وإسماعيل في تلك البقعة .

وقال ابن إسحاق : لما توفى إسماعيل دفن في الحجر مع أمه ، يزعمون أنها فيه دفنت . وعن صفوان بن أمية الجمحي^(١) قال : حفّر ابن الزبير الحجر ، فوجد سقفاً من

(١) الذي في أخبار مكة للأزرقي : صفوان بن عبد الله بن صفوان الجمحي ، وهو جد صفوان بن أمية بن عبد الله والمؤلف نقل عبارة الأزرقي .

حجارة خضر^(١) ، فسأل قريشا عنه ، فلم يجد عند أحد منهم علما ، فأرسل إلى أبي فسأله ، فقال : هذا قبر إسماعيل عليه السلام فلا تحركه . فتركه .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : شكى إسماعيل إلى ربه حرَّ مكة ، فأوحى الله تعالى إليه : إني أفتح لك بابا من الجنة في الحجر ، يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة ، وفي ذلك الموضع توفي . قال خالد الخزومي : إن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربي ، وفيه قبره . أنهرب الحافظ أبو الفرج في مثير الفرام

وعن ابن الزبير أنه قال على المنبر : إن هذا المحدود قبور عذاري بنات إسماعيل عليه السلام ، يعني بما يلي الركن الشامي من المسجد الحرام ، قال : وذلك الموضع يسوي مع المسجد . فلا ينشأ أن يعود محدودا منذ كان . أنهرب الأزرقي في كتاب مكة .

٢٢ - ماجاء في فضل المسجد الحرام

عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى . وفي لفظ آخر : إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء . أنهرباهما .

وقوله « لا تشد الرحال » الخ : إنما خص هذه الثلاثة لفضلها على ما سواها ، فن قال لله صلى صلاة في واحد منها على التعمين ، وهو في غيرها ، فعليه إتيانه دون ما سواها ، فإنه إذا نذر أن يصلي في بعض المساجد سواها ، فهو بالخيار ، إن شاء صلى فيه ، وإن شاء صلى في غيره . وقال بعضهم لا يصح الاعتكاف إلا في أحد هذه المساجد ، وعليه تأويل الخبر ، وقوله : « مسجد الأقصى ، ومسجد الحرام » من إضافة الشيء إلى صفته ، كمسجد الجامع . وأما مسجد الكعبة ، فعلى قول من يقول للمسجد الحرام هو الكعبة ، وسيأتي ، يكون من باب إضافة الشيء إلى نفسه . ومسجد إيلياء : هو بيت المقدس ، وحكي فيه القصر ، واللام فيه مكسورة ، وفيه أمة ثالثة : إيلياء ، بسكون اللام .

(١) كذا في الأزرقي . وفي نسخة منه كما في م ، هـ : أخضر . وفي نسخة : خضر .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم أين أدركت الصلاة بعد فصل ، فإن الفضل فيه . أخرجه .
فيه دلالة على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل من الصلاة فى المسجد الحرام آخر الوقت .

٢٣ - ما جاء فى فضل الصلاة فى المسجد الحرام

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فى غيره من المساجد ، إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى ذلك أفضل من مئة صلاة فى هذا ، يعنى مسجد المدينة . أخرجه أحمد فى المسند ، وابن حبان فى التماسيم والأنواع ، وأبو ذر فى منسكه ، وقال : إلا المسجد الحرام فإنه أفضل .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل خمسين صلاة ، وصلاته فى المسجد يُجمَع فيه بِخَمْسٍ مِئَةِ صلاة ، وصلاته فى المسجد الأقصى بِخَمْسِينَ ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بِخَمْسِينَ ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بِمِئَةِ ألف صلاة . أخرجه ابن ماجه .

وعن الأرقم ، أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أين تريد ؟ فقال : أردت يا رسول الله هاهنا ، وأوماً إلى حيز بيت المقدس ، قال : ما يخرجك إليه تجارة ؟ قال : لا . ولكن أردت الصلاة فيه . قال : فالصلاة هاهنا ، وأوماً بيده إلى مكة ، خير من ألف صلاة هاهنا ، وأوماً بيده إلى الشام . أخرجه أحمد .

وعن أبي الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره ثلاثة آلاف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمس مئة صلاة . هذا حديث غريب من حديث سعد بن بشير ، عن إسماعيل ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء . والصحيح ما تقدم .

٢٤ - ما جاء في بناء المسجد الحرام مختصراً

اعلم أن المسجد الحرام كان صغيراً، ولم يكن عليه جدار، وإنما كانت الدور محذقة به، يوبن الدور أبواب، يدخل الناس من كل ناحية، فضاقت على الناس المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب دوراً، فهدمها وأدخلها فيه، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً. ثم وسع المسجد عثمان بن عفان، فاشترى من قوم، ثم زاد ابن الزبير فيه، واشترى دوراً وأدخلها فيه. وأول من نقل إليه أساطين الرخام، وسقفة بالساج المزخرف، الوليد بن عبد الملك. ثم زاد المنصور في شقه الشامي، ثم زاد المهدي، وكانت الكعبة في جانب، فأحب أن تكون وسطاً، فاشترى من الناس الدور ووسَّطها. ذكر ذلك كله الحافظ أبو الفرج في مثير الفرام. وذكره الأزرقي مطولاً مستوفى.

٢٥ - ما جاء في إطلاق المسجد الحرام على الحرم كله

عن ابن عباس قال: الحرم كله هو المسجد الحرام. أخرجه سعيد بن منصور وأبو ذر. وهو قول بعض أهل العلم، ويتأيد بقوله تعالى: «وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَمَاءُ كَفُّ فِيهِ وَالْبَادِ، وَمَنْ يُرْذِ فِيهِ بِالْإِحَادِ يُعْظَمُ نَذْرُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ». وقوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ». وكان ذلك من بيت أم هانئ. وقال بعضهم: المسجد الحرام مسجد الجماعة، ويتأيد بما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم: صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام. والإشارة بمسجده إلى مسجد الجماعة، فينبغي أن يكون المسندنى كذلك. وقال بعضهم: المسجد الحرام هو الكعبة خاصة. واختاره بعض المتأخرين من أصحابنا، واستدل بقوله تعالى: «قَوْلًا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» وقال هذا القائل: لو نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمه في البيت، أو فيما في الحجر منه، والله أعلم. ويتأيد هذا القول بحديث ميمونة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الكعبة، وبحديث أبي هريرة: صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا الكعبة. أخرجهما النسائي.

(٤٢ - القرى)

٢٦ - ما جاء في فضل الصوم في الحرم

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه ، وقام منه ما تيسر له ، كُتِبَ له مِئَةُ أَلْفِ شهر رمضان فيما سواه ، وكتب الله له بكل يوم ليلة عتق رقبة ، وبكل يوم مُحْلان فرس في سبيل الله ، وفي كل يوم حسنة ، وفي كل ليلة حسنة . أضرهم ابن ماجه ، وأخرج نحوه الحافظ أبو حفص عمر بن عبد الجيد الميَّانِشِي في المجالس المسكية ، ولفظه : من أدرك شهر رمضان بمكة من أوله إلى آخره فصامه وقامه ، كُتِبَ له مِئَةُ أَلْفِ شهر رمضان في غيره ، وكان له بكل يوم مغفرة وشفاعة ، وبكل يوم مُحْلان فرس في سبيل الله عز وجل ، وله بكل يوم دعوة مستجابة . وعن الحسن البصري قال : صوم يوم بمكة بمئة ألف ، وصدقة درهم بمئة ألف ، وكل حسنة بمئة ألف . أضرهم صاحب مثير الغرام .

٢٧ - ما جاء في تضعيف حسنات الحرم

عن زاذان قال : مرض ابن عباس رضى الله عنهما مرضا شديدا ، فدعا ولده ، فجمعهم ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خرج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة - يعنى في الحج - كتب الله له بكل خَطْوَةٍ سَبْعَ مِئَةِ حسنة ، كل حسنة مثل حسنات الحرم . قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : بكل حسنة مِئَةُ أَلْفِ حسنة . أضرهم أبو ذرّ وأبو الوليد الأزرقى .

وفما تقدم من أحاديث مضاعفة الصلاة والصوم ، دليل على اطراد التضعيف في جميع الحسنات ، إلخافا بهما ، ويؤيد ذلك قول الحسن المتقدم في الفصل قبله ، ولم يقله إلا وله مستند في ذلك . وهذا الحديث يدل على أن المراد بالسجد الحرام في فصل تضعيفه ، الصلاة في الحرم جميعه ، لأنه عم التضعيف في جميع الحرم ؛ وكذلك حديث تضعيف الصوم عمه في جميع مكة ، وحكم الحرم ومكة في ذلك سواء باتفاق ، إلا أن يَحْصَلَ للسجد بتضعيف زائد على ذلك ، فيقدر كل صلاة بمئة ألف صلاة فيما سواه ، والصلاة فيما سواه

بمئزر حسنات ، فتكون الصلاة فيه بألف ألف حسنة ، والصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بمئة ألف حسنة . ويشهد لذلك ظاهر اللفظ ، والله أعلم .
وعلى هذا تكون حسنة الحرم بمئة ألف ، وحسنة مسجده : إما مسجد الجماعة ، وإما الكعبة على اختلاف القولين ، بألف ألف^(١) ، ويقاس بعض الحسفات على بعض ؛ أو يكون ذلك خِصِيصِيَّ للصلاة ، والله أعلم .

٢٨ - ذكر من قال تُضاعَفُ السيئةُ بمكة

عن مجاهد قال : تُضاعَفُ الديئات بمكة كما تُضاعَفُ الحُفَمَاتُ ،
وسئل أحمد بن حنبل : نُكْتُبُ السيئةَ أكثر من واحدة ؟ فقال : لا ، إلا بمكة ،
لتعظيم البلد .

وعن ابن مسعود : لو أن رجلاً مَّ بقتل رجل عند البيت وهو بعدن أبين ،
أذاقه الله عز وجل في الدنيا من عذاب أليم . أضرجه صاحب مُبِير الغرام .

٢٩ - ذكر ما جاء في منع القص في مسجد مكة

عن النضر أبي^(٢) لؤؤة ، قال : رأيت ابن عمر أرسل إلى قاصٍ في المسجد الحرام ،
فنهاه ، فلم يفته ؛ قال : فرأيت ابن عمر أخذ شيئاً^(٣) فرماه به ، وقال : قال الله عز وجل :
« وَلْيُطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْمَكِينِ » . لا تَشْمَلُ الناس عن طوافهم . أضرجه أبو ذر .

٣٠ - ذكر ما جاء في كراهية النوم فيه

عن أبي البلاد^٧ ، قال : نمت خاف المقام فاحتلمت ، فسأت ابن عباس ، فقال :
أثماً أن تجعله مَقِيلًا أو مَقِيلًا فلا . أضرجه سعيد بن منصور .

(١) كذا في م . وفي م : بألف الألف .

(٢) في م : ابن . (٣) في م : شيئاً بيده .

٣١ - ذكر ما جاء في التوسعة فيه

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لا بأس بالنوم في المسجد ، يعنى الحرام .
أخبرهم أبو ذر ، وأخبرهم علي بن الجعد عن سفيان بن سعيد ، عن عبد الله ، عن نافع ،
عن ابن عمر ،

٣٢ - ذكر الجوار بمكة ، ومن أحبه ومن كرهه

عن سهل بن عبد الله ، قال : كان عبد الله بن صالح رجلا له سابقة جليلة ، وكان
يفر من الناس من بلد إلى بلد ، حتى أتى مكة ، فطال مقامه بها ، فقلت له لقد طال مقامك
بها . فقال لى : لم لأقيم بها ، ولم أربلدا تنزل فيه الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد ،
والملائكة تنفد فيه وتروح ؟ وإنى أرى فيه أعاجيب كثيرة ، وأرى الملائكة
يطوفون به على صور شتى ، مابقطعون ذلك ، ولو قلت لك كل ما رأيت ، اصفرت عنه
عقول قوم ليسوا بمؤمنين . فقلت له : أسألك إلا أخبرتنى بشيء من ذلك ؟ فقال :
ما من لى الله عز وجل صحت ولايته ، إلا وهو يحضر هذا البلد^(١) فى كل جمعة ، ولا يتأخر
عنه ، فمقامى هاهنا لأجل من أراه منهم ، ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم جبلى ،
وقد جاء ويده غميرة ، فقلت : إنك قريب عهد بالأكل ، فقال لى : أستغفر الله ، فإننى
منذ أسبوع لم آكل ، ولا سكت أطعمت والدتى ، وأسرع لألحق صلاة الفجر ، وبينه
وبين الموضع الذى جاء منه سبع مئة فرسخ . فهل أنت مؤمن ؟ فقلت : نعم . فقال :
الحمد لله الذى أرانى مؤمنا موقنا . أخبرهم صاحب منير الغرام .

وقوله « غميرة » : هذا إنما يقال فى اللحم خاصة ، قال ابن الأعرابى : تقول العرب : يدى من
الوحل : لثقة ، ومن اللحم : غميرة ، ومن السمك : صميرة ، ومن اللبن والزبد : وضررة^(٢) ،
ومن العجين : ردغة^(٣) ، ومن الدم : سطة وسطة ، ومن البرد : صردة ، ومن الحماة :

(١) فى م : البيت .

(٢) فى م : شرة ، وفى م : سبرة ، ولعلها تحريف عما أثبتناه .

(٣) من الردغ ومثله الرزع ، وهو الوحل الكثير والطين ؛ وهو مناسب لمعنى العجين . وفى م ،

م : درخة ، ولم نجد بهذا المعنى فى المعاجم .

تَمَطَّة^(٢) ، ومن الأَشْنَان : قَصِصَةٌ^(٣) ، ومن المِداد : وِمْدَةٌ^(٤) ، ومن الماء : بِلَلَةٌ ، ومن
الْبَزْر والنَّفْط : نَمِيسَةٌ ونَسِيسَةٌ ، ومن الزعفران : رَدِيعَةٌ ، ومن المِسْك : عَيْقَةٌ .

وعن جابر ، أنه أقام بمكة في أخواله بنى سهم سبعة أشهر . أضرهم . سميد بن منصوره
وعن إبراهيم قال : كان الاختلاف إلى مكة أحبَّ إليهم من مجاورة البيت .

وعن الشعبي ، قال : لم يكن أحد من المهاجرين والأنصار يقيم بمكة . ذكرهما سميد .

وعن سميد بن المسيَّب ، أنه قال لرجل من أهل المدينة جاء يطلب العلم : ارجع
إلى المدينة ، فإننا كنا نسمع أن ساكن مكة لا يموت حتى يكون الحرم عنده بمنزلة الحِلِّ ،
لما يستحل من حُرْمَتِهَا . ذكره ابن الصلاح في منسكه .

وكره أبو حنيفة الجوار بمكة . ووجه الكراهية خوف المَلَل ، وقلة الاحترام ؛
لداومة الأنس بالمسكن ، وخوف ارتكاب ذنب هنالك ، فإن المعصية ليست كغيرها ،
وتهميها للشوق بسبب الفراق . قال أبو عمرو الزَّجَّاجي : من جاور بالحرم وقلبه متعلق
بشيء سوى الله تعالى ، فقد ظهر خسارته . ولم يكره المجاورة أحمد بن حنبل في خلق
كثير ، وقالوا : إنها فضيلة ، وما يُخاف من ذنب ، فيقابل بما يُرجى لمن أحسن من
تضييف الثواب .

(٢) التَّمَطُّ : اللحم المتغير والجلد إذا أُنْتِن . وفي م : ومن الحاد درة . وفي م ذرطة ، كلاهما تحريف .

(٣) كذا في م والقضض : الذي أصابه التراب . وفي م : صصة ، ولعل اللفظين عرفان من
قصة . يقال قضى السقاء والقرية : إذا غفن وفسد .

(٤) يقال : ليلة ومدة ، أى ذات لثق وندى يجي . من جهة البحر إذا نار بخاره . وهذا المعنى قريب
من معنى البلل الذي يصيب اليد من المِداد . وفي م و م : وحدة . ولعله تحريف عما أثبتناه - أقول -
قد وقع التحريف في كثير من هذه الألفاظ التي نقاها المؤلف من كلام ابن الأعرابي ، ومنها طائفة
في الألفاظ الكتابية للمذاهب وطائفة في لغة الفقهاء ، وأخرى في جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ، وفي
أكثرها وقع التحريف . وقد أحسن بذلك القدماء أنفسهم ؛ قال الثعالبي في فقه اللغة في فصل تقسيم
الآثار على اليد ، من الباب الثالث عشر « هذا فن واسم إجمال . مما روى عن الفراء وابن الأعرابي
والجاني وغيرهم ، من قولهم : يدى من كذا » فقرة « ثم زاد الناس عليه ألفاظا كثيرة ، بعضها على
القياس ، وبعضها على التقريب ، وقد كتبت منها ما اخترته ، وإطمان إليه قلبي » الخ . وقد عرضت
ما أورده المؤلف هنا على معاجم اللغة ، فوجدت بعضه صحيحا ، وبعضه لم يصح ، إما لتحريف اللفظ ،
ولما لحقها مأخذه من اللغة وغموضه .

وقد نزل بها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة وخمسون رجلا ،
نذكركم على حروف المعجم :

الأسود بن خلف ، إياس بن عبد ، بُدَيْل بن وَرْقَاء ، بُسر بن سفيان ، تميم بن أسد ،
حارث بن هشام ، حُجَيْر بن أَبِي إهاب ، الحسكَم بن أَبِي العاص ، حُوَيْطِب ، خالد بن أسيد ،
خالد بن العاص ، خُوَيْلِد بن خالد ، خُوَيْلِد بن صخر ، سَمُرَة بن المؤذن ، سُهَيْل بن عمرو ،
شيبَة بن عثمان ، صفوان بن أمية ، ضِرَار بن الخطاب ، عامر بن وائلة ، عبد الله بن حُبْشَى ،
عبد الله بن الزُّبَيْر ، عبد الله بن السائب ، عبد الله بن السعدى ، عبد الله بن أَبِي ربيعة ،
عبد الرحمن بن أَبَرْزَى ، عبد الرحمن بن صفوان ، عتاب بن أسيد ، عُتْبَة بن أَبِي لَهَب ،
عثمان بن طلحة ، عثمان بن عامر^(١) : أَبُو قُحَاة ، عُتْبَة بن الحارث ، عِكْرَمَة بن أَبِي جَهْل ،
علقمة بن الفغواء ، عمرو بن بَغْكَكْ ، عمرو بن أَبِي عَقْرَب^(٢) ، عُمر بن قتادة ، عياش
بن أَبِي ربيعة ، قيس بن السائب ، كُرْز بن علقمة ، كَلْدَة بن الحنبل ، كَيْسَان^(٣) ، لَقِيْط ،
مُحْرَش ، مُسْلِم ، مُطِيع ، الْمُطَلِب ، مَعْتَب ، المهاجر ، نافع بن عبد الحارث ، النضر بن
الحارث ، يعلى بن أمية . ومن عرف بكنيته ولم يعرف له اسم : أبو جمعة ، أبو سبرة ،
أبو عبد الرحمن الفهري^(٤) . فهؤلاء أربعة وخمسون استوطنوها .

وقد جاور بها جابر بن عبد الله ؛ وكان عبد الله بن عمر يقيم بها .
وقد جاور بها من كبراء التابعين جم غفير ؛ وبلغ من تعظيم بعضهم أنه كان لا يقضى
حاجته بالحرم .

ومات بها من الصحابة : الحارث بن عوف . أبو واقد الليثي . ويعد في أهل المدينة ،

(١) في ٢ : عتيق أبو قحافة .

(٢) عمرو بن أبي عقرب ليس له حجة ، وإنما هو تابعي ، سمع من عتاب بن أسيد (الإصابة لابن حجر) .

(٣ - ٣) ذكر المؤلف أسماء هؤلاء الأعلام ، ولم يميز كلا منهم بما يمنع الاشتراك في الاسم .

ولا نريد التلويح بذكر ما يتعلق بكل واحد منهم ، ونكتفي بالإشارة إلى المظان الآتية ففيها مقم الاستيما ، في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر بن عبد البر . وأسد الغابة ، في معرفة الصحابة . لابن الأثير والإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر .

وجاور بمكة سنة ، وتوفي بها ، ودفن في مقبرة المهاجرين . وحبة بن بكك أبو السنايل .
وحبيب بن عدي ؛ قتله كفار قريش بمكة وصلبوه بالتنميم . سعد بن خولي ، ويقال
ابن خولة أيضا ، ورد في الصحيح أنه مات بمكة . وقال ابن سعد : قتل شهيدا يوم
أحد ، وكذلك ذكره الحافظ أبو عمر . سمر بن مغير ، أبو مخذرة ^(١) ، مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم . عبد الرحمن بن أبي بكر ، مات فجأة بجبل يقال له الحبشي ، بضم
الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وكسر الشين والتشديد ، قريب من مكة ، قاله ابن
الأثير . وقال الحافظ أبو عمر : على عشرة أميال من مكة . وقال شيخنا الصاغاني : على ستة
أميال . وقال الجوهري : جبل بأسفل مكة ، وحمل على أعناق الرجال إلى مكة ، فدفن
بها : عبد الله بن الزبير بن العوام ، قتل بمكة ، ودفن جسده بها ، وحمل رأسه إلى المدينة
ثم إلى خراسان . عبد الله بن كرز ، توفي بمكة ودفن بعرفات . عبد الله بن عمر ^(٢) ، دفن
بفخ ، وقيل بمخاط أم حرمان . قلت : ولعله عند فخ ، جمعا بينهما . عبد الله بن قيس :
أبو موسى الأشعري ، على موضع على ميلين من الكوفة . عتاب بن أسيد ، ولله النبي
صلى الله عليه وسلم إمارة مكة بعد الفتح ، ومات بها يوم مات أبو بكر الصديق ، وعثمان
ابن طلحة بن أبي طلحة . عثمان بن عامر : أبو حنيفة ، توفي بمكة بعد أبي بكر بستة أشهر
وأيام . عياش بن أبي ربيعة الخزومي ، مات بمكة . محمد بن حاطب بن الحارث . المسور
ابن ثخمة بن نوفل . وهب بن عبد الله . أبو جحيفة ، وهو ممن عرف بكنيته .
أبو الطفيل : عامر بن وائلة ، وهو ممن عرف بكنيته ، وهو آخر من مات من الصحابة .
سميد بن يربوع ، قيل مات بمكة ، وقيل : مات بالمدينة وهو الأشهر . وعبد الله بن
عمرو بن العاص على خلف في موضع وفاته .
فيسْتَحَبُّ لمن زار مقابر مكة أن يقصد زيارة هؤلاء المعدودين ، وأن يسم عليهم ،
والله أعلم .

(١) الصحيح أن اسم أبي مخذرة أوس . وأن سمرة أخوه (انظر الإصابة) .

(٢) م : مات بمكة ودفن . . . الخ .

٣٣ - ما جاء في ذكر أما كن بمكة وحواليها ، يُسْتَحَبُّ زيارتها

والصلاة والدعاء فيها رجاء بركتها

وهي ثمانية عشر موضعا :

الأول : الموضع الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عقيل بن أبي طالب قد استولى عليه زمن الهجرة ، فلم يزل بيده ويد ولده حتى باعوه لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ، فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء ، ثم تعرفت بدار ابن يوسف ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حَبَّتْ الخيزران جارية المهدي ، فجعلته مسجدا يصلي فيه ، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له زقاق المولد .

الثاني : دار خزيمة ، كان مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولدت فيه خديجة أولادها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه تُؤَفِّت : ولم يزل صلى الله عليه وسلم مقبلا فيه حتى هاجر ، فأخذه عقيل ، ثم اشتراه منه معاوية وهو خليفة ، فجعله مسجدا يصلي فيه ، ويعرف اليوم بمولد فاطمة ، وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام .

الثالث : مسجد في دار الأرقم بن أبي الأرقم التي عند الصفا ، ويُعرف اليوم بدار الخيزران ، كان النبي صلى الله عليه وسلم مستترا فيه في بدء الإسلام ، وله أيضا فضل كثير ، وكان به اجتماع من أسلم من الصحابة ، وبه أسلم عمر بن الخطاب وحزرة وغيرهما ، ومنه ظهر الإسلام .

الرابع : مسجد بأعلى مكة عند أول الردم ، وعند بئر جُبَيْر بن مُطْعِم : يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، ويعرف اليوم بمسجد الراية .

الخامس : مسجد بأعلى مكة أيضا ، يقال له مسجد الجن ، ويقال له مسجد البيعة ؛ يقال إن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك .

السادس : مسجد بأعلى مكة ، يقال له مسجد الشجرة ، مقابل مسجد الجن ، يقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا شجرة كانت في ذلك المسجد ، فأقبلت تحفر الأرض ، حتى وقفت بين يديه ، ثم أمرها فرجعت .

السابع : مسجد بأعلى مكة أيضا عند سوق الغنم ، يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح .

الثامن : مسجد بأجباد ، وفيه موضع يقال له المَتَّسَكُ يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتكأ هنالك .

التاسع : مسجد على جبل أبي قُبَيْس ، يقال له مسجد إبراهيم .

العاشر : مسجد بذى طُوًى ، نزل هنالك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اعتمر وحين حج ، تحت شجرة في موضع المسجد .

الحادى عشر : مسجد القَبَّة ، حيث بايع صلى الله عليه وسلم الأنصار .

الثانى عشر : مسجد الجُعْرَانَة ، أحرم صلى الله عليه وسلم من هنالك بعُمرة .

الثالث عشر : مسجد التنعيم ، حيث أمر صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أن يُعْمِرَ عائشة منه .

الرابع عشر : مسجد الكَبْشِ بِمَنَى فُدَى إِسْمَاعِيلَ أو إِسْحَاقَ بِكَابِشِ هُنَالِكَ .

الخامس عشر : مسجد عن يمين الموقف ، وهو غير المسجد الذى صلى فيه الإمام بعرفة .

السادس عشر : مسجد الخُيْف ، وقد تقدم ذكره مُستوفًى فى باب عمل أيام منى .

السابع عشر : مسجد بقرب مسجد الخُيْف من يَمَانِيَّتِهِ ، يعرف بمسجد المرسلات ،

فيه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم سُورَةُ : والمرسلات .

الثامن عشر : غار جبل حراء ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه .

التاسع عشر : غار جبل ثَوْر ، اختفى فيه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه .

* * *

ومما يقرب ويناسب ذكره بعد ذكر المسجد الحرام ومتعلقاته ، ذكر الطائف ،

ومحريم صيد وجّ وادياها ، لقربها منه .

٣٤ - ذكر فضل الطائف

وهو على مرحلتين من مكة .

عن عبد الملك بن عباد بن جعفر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي ، أهل المدينة وأهل الطائف . أنهرهم الحافظ ابن الحافظ ، أبو محمد القاسم بن علي بن عساكر الدمشقي .
توفي بها عبد الله بن عباس ، وبني عليه مسجد . وقيل توفي بها أيضا عبد الله ابن عمرو بن العاص .

٣٥ - ذكر ما جاء في تحريم صيد وادياها ، وهو وَجَّ ،

وهو على مرحلتين من مكة

عن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليثية ، حتى إذا كنا عند السدرة ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في طرف القرن الأسود حذوها ، فاستقبل نخباً ببصره ، ووقف حتى انفق الناس كلهم ، ثم قال : إن صيد وجَّ وعِضاهاه حرام^(١) محرّم . وذلك قبل نزوله الطائف ، وحصاره لتقيف . أنهرهم أحمد وأبو داود .
وليثية ، بكسر اللام وتشديد الياء آخر الحروف : موضع قبل الطائف ، كثير السدّر . ونخب ، بفتح النون ، وكسر الخاء المعجمة^(٢) : واد بالطائف ، وقيل : هو واد بأرض هذيل . ووجَّ ، بفتح الواو وتشديد الجيم : قيل هو أرض الطائف نفسه . سمي بوجَّ بن عبد الحق^(٣) من العالقة . وقد جاء في حديث : أن وجَّاً مقدس . وتحريمه يحتمل أن يكون على وجه الإلحاح له ، وعليه العمل عندنا ؛ ويحتمل أن يكون حرمة في وقت ثم نُسح .
والقرن : جبيل صغير ، ورأسه مشرف على هذه .

(١) كذا في النهاية لابن الأثير . وفي نسخة ، م ومعجم ما استعجم للبكري : حرم .

(٢) في معجم البكري يسكون الخاء .

(٣) كذا في معجم البلدان ، وفي معجم ما استعجم للبكري وتاج المروس للزبيدي : الحى .

٣٦ - ذكر ما جاء في فضل المدينة

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا جَعَلْتَهُ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَاتِ . أَضْرَهُ .

والمدينة : فَعِيلَة ، من قولهم مَدَنَ بالمكان : إذا أقام به ، وقيل : الميم زائدة ، وهى مَفْعِلَةٌ من دِنْتُ : أى ملكْتُ ، يقال : دان فلان بنى فلان : أى ملكهم .

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت : قدمنا المدينة ، وهي وَبِيَّةٌ ، فرض أبو بكر ، فكان إذا أخذته الحمى يقول :

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَفْلِهِ
وكان بلال يقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبْيَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِثْلَ مَجْنَنَةِ
بَوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خِرَ وَجَائِلُ
وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَاكَةً وَطَفِيلُ

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا ، قال : اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة
كحبنا مكة أو أشد ، اللهم ضَخِّمْهَا ، وبارك لنا في صاعِها ومُدِّها ، وانقل حُمَاهَا إلى
الجحفة . قال : فكان المولود يُولد بالجحفة ، فما يبالغ حتى تصرعه إلى الجحفة .

شرح — الإذخر : نبت معروف . والجليل : الثَّام ، وقيل : الثَّام إذا جل وعظم .
 ونجدة : موضع بأعلى مكة ، على أميال ، كان يقام للعرب بها سوق ؛ وبعضهم يكسر
 ميمها ، والفتح أكثر ، وهى زائدة . وشامة وطفيل : قيل : جبلان مشرفان على بحنة ؛
 وقيل : عينان عندها ، والأول أشهر . والمعروف عند العرب اليوم أن شامة وطفيل :
 جبلان على مرحلتين وأكثر من مكة ، فى وجهة اليمن . قال ابن الأثير : وبعضهم يقول
 شامة ، بالباء الموحدة ، وهو جبل حجازى . وصحح هذا الوجه شيخنا رضى الدين الحسن
 الصاغانى اللغوى . والجحفة : كانت دار اليهود ، وقد تقدم شرحها فى باب المواقيت .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . أضرهه .

شرح - قوله « ليأرز » : أى ينضم وينجمع .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة كالسكير تنفى خبيثها ، وتنصع طيبها . أضرهه .

شرح - قوله : وتنصع طيبها : أى تخلصه ، وشئ ناصع : أى خالص ، وأنصع : أظهر ما فى نفسه ، ونصع الشئ ينصع : إذا ظهر وبان . ويروى وينصع طيبها ، على إسناد الفعل إلى الطيب ، أى يظهر . ويروى بالباء الموحدة ، والصاد المعجمة ؛ وكذلك ذكره الزمخشري ، وقال : فهو من أبضعه بضاعة إذا دفعها إليه ، أى أن المدينة تعطى ساكنها طيبها ، والمشهور بالنون والصاد المهملة ، وقد روى بالصاد والخاء المعجمتين ، وبالحاء المهملة ، من النصح ، وهو رش الماء ، والنصح بالمعجمة أكثر منه .

وعن السائب بن خلاد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أخاف المدينة ظلمها أخافه الله عز وجل ، وعليه لمنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا . أضرهه أحمد .

وعن سعد بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المدينة مشتبكة بالملائكة ، على كل نقب منها ملكان يحرسانها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال ، من أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء . أضرهه أحمد .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال .

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المدينة يأتيها الدجال ، فيجد الملائكة يحرسونها ، فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى .

وعن أبي سعيد قال : يأتى الدجال ، وهو محرم عليه أن يدخل أنقاب المدينة ، فينزل بمض السباخ التى تلى المدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجل ، وهو خير الناس ، أو من

خيار الناس ، فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حَدَّثَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول الدجال : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتَهُ ، هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا . فيقتله ثم يحييه ، فيقول : والله ، ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم . فيريد الدجال أن يقتله ، فلا يَسْلُطُ عليه . أخرجه الثلاثة البخاري .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إِنْ أَلَّهِ أَوْحَى إِلَى : أَيَّ هَؤُلَاءِ نَزَلَتْ فِيهِ دَارُ هَجْرَتِكَ : الْمَدِينَةُ ، أَوِ الْبَحْرَيْنِ ، أَوْ قَنْسَرَيْنِ . وعن عبد الملك بن عباد بن جعفر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي ، أهل المدينة وأهل الطائف . أخرجهما الحافظ أبو محمد القاسم بن علي بن عساكر في كتاب « فضل المدينة » .

وعن مَعْقِل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الْمَدِينَةُ مَهْجَرِي ، فِيهَا مَضْجَعِي ، وَفِيهَا مَبْعَثِي ، حَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكِبَاثِرَ ؛ مَنْ حَفِظَهُمْ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْهُمْ سُدَّتْ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ . قيل لمعقل : ما طينة الخبال ؟ قال : عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ . أخرجه أبو عمرو وابن السَّكَّاءَ وصاحب منير الغرام .

وعن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غُبَارُ الْمَدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ . أخرجه صاحب منير الغرام .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كُلُّ الْبِلَادِ افْتَتِحَتْ بِالسَّيْفِ ، وَافْتَتَحَتِ الْمَدِينَةُ بِالْقُرْآنِ ، وَهِيَ مُهَاجَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَحَلُّ أَزْوَاجِهِ ، فِيهَا قَبْرُهُ . وكان مالك بن أنس يقول في فضل المدينة : هي دار الهجرة والسنة ، وهي محفوفة بالشهداء ، واختارها الله عز وجل لنبيه ، فجعل قبره بها ، وفيها روضة من رياض الجنة ، وفيها منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٧- ذكر تسميتها طابة وطيبة

عن البراء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سمي المدينة يَثْرِبَ فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ، هي طابة . أخرجه الإمام أحمد .

قال الأزهري : كره ذكر الثَّرب ، لأنه فساد في لسان العرب .

وعن جابر بن سُمرة قال : كان الناس يقولون : يَثْرِبُ والمدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل سماها طابة . أخرجه مسلم ^(١) .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنها طيبة ، وإنها تنفي الخبيث كما تنفي النار خَبِثَ الفضة . [أخرجه مسلم] .

٣٨- ذكر ما جاء في تحريم حرَم المدينة ، والحث على الصبر على لأوائها ،

وكرهية الخروج منها

عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أحرم ما بين لابتي المدينة : أن يُقَطَّعَ عِضَاهُهَا أو يُقَتَّلَ صَيِّدُهَا . وقال : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدَعُها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها خيرا منه ، ولا يَنْبُتُ أحد على لأوائها وجهدها ، إلا كفت له شفيما أو شهيدا يوم القيامة .

وفي آخر : ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذَوْبَ الرَّصَاصِ ، أو ذَوْبَ المِلْحِ في الماء . أخرجه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني حرمت ما بين لابتي المدينة ، كما حرم إبراهيم مكة . قال : ثم كان أبو سعيد يأخذ ^(٢) أحدنا في يده الطير ، فيأخذُه فيرسله . وفي رواية : إني حرمت المدينة ما بين

(١) زادت م هنا حديثا آخر رواه مسلم عن سمرة بن جندب ، وتفسيرا لطابة وطيبة ، والمدينة ، ولم تذكر فيه شيئا منه . ولعل المؤلف أضرب عنه بعد تسويته .

(٢) في رواية أبي بكر بن أبي شيبة : « يجد » .

مَأْزَمِهَا أَلَّا يَهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ ، وَلَا يُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلَفٍ .
وفي رواية من حديث أنس : إني أحرّم ما بين جبليها . وفي رواية من حديث عليّ :
المدينة حَرَمٌ من غير إلى نور . أخرج الحمسة الشيخان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
لابتئ المدينة . قال أبو هريرة : فلو وجدتَ الأطباء ترتع ما بين لابتيها ما دَعَرْتَهَا ، وجعل
حول المدينة اثني عشر ميلاً حَرَمِي . أخرجهم .

وعن عليّ عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : لَا يُحْتَلَى خَلَاهَا ،
وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا ، وَلَا يُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا مِنْ أَشَادِهَا ، وَلَا يَصْلُحُ لِرَجُلٍ أَنْ يَحْمَلَ فِيهَا
السِّلَاحَ لِقِتَالٍ ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَقْطَعَ فِيهَا شَجَرَةٌ ، إِلَّا أَنْ يَعْلَفَ رَجُلٌ بَعِيرَهُ . أخرجهم .
أحمد وأبو داود .

وعن يَحْنَسَ مولى الزبير ، أنه كان جالسا عند عبد الله بن عمر في الفتنة ، فأنته
مولاة له تسلم عليه ، فقالت : إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن ، اشتد علينا الزمان .
فقال لها عبد الله : اقعدي لكاعر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لَا بَصِيرُ أَحَدٍ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفيعاً يوم القيامة . أخرجهم مسلم .
وأخرجهم الترمذي ، ولفظه : أن مولاة له أنته ، فقالت : اشتد عليّ الزمان ، وإني أريد
أن أخرج إلى العراق ، فقال : فهلاًّ إلى الشام أرض المنشّر ؟ واصبري لكاعر ، ثم
ذكر بنحوه . وأخرجهم مالك بنحو ما أخرجه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُفْتَحُ
الشام ، فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يَبْشُونَ ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .
أخرجهم مسلم .

وعن عدي بن زيد قال : حَمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّ ناحية من
المدينة يريد بريداً . لَا يُخْبَطُ شَجَرُهُ وَلَا يُعْصَدُ ، إِلَّا مَا يَسَاقُ بِهِ الْجُلُ . أخرجهم أبو داود .
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لَا يَجْبُطُ وَلَا يُعْضَدُ حَتَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ يَهْشَ هَشًّا رَفِيقًا .
فَهَرَّبَهُ أَبُو دَاوُدَ .

شرح — أحاديث هذا الفصل جميعها :

قوله : ما بين لابتى المدينة : ثنية لابة ، واللاية : الأرض ذات الحجارة السود ، وجمعها
لُؤْب ولا بَات ولا ب ، قال ابن حبيب : هي الحرتان : الشرقية والغربية ، وللمدينة حرتان ؛
حرة بالقبلة ، وحرة بالجُرف ، ويرجع كلهما إلى الحرتين : الشرقية والغربية ، لاتصالهما
بهما ؛ ولذلك جمعها على الله عليه وسلم في اللَّابَتَيْنِ ، وقد ردهما حسان حرة واحدة
لاتصالهما ، فقال :

لَنَا حَرَّةٌ مَأْطُورَةٌ بِجِبَالِهَا بَنَى الْعِزُّ فِيهَا بَيْتَهُ فَتَأَنَّلَا

ومعنى مأطورة : أى معطوفة لاستدارتها ، فيكون معنى لابتى المدينة : أى طرفاها
وقوله صلى الله عليه وسلم « لَا يُقْطَعُ عِضَاهُمَا وَلَا يُقْتَلُ صَيْدُهَا » : نص فى تحريم الصيد ،
وقطع الشجر . والعِضَاهُ : كل شجر له شوك ، واحدها : عِضَاهَةٌ وَعِضْهَةٌ وَعِضَةٌ
[وَعِضَةٌ ^(١)] ، كالأطلس والعوسج . وقد حكى الخطابى وغيره أن قطع مثل هذا الشجر
ممنوع ، لما فيه من الضرر . وفى حديث على وأبى سعيد ، ما يدل على جواز الاحتشاش
للعائف ، قال الشافعى : ولا خير فى الاحتشاش ؛ لأن الذى حرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يُخْتَلَى السَّكَلَا ، إلا الإذخر ، على ما تقدم فى حرم مكة ، وفى حديث على أيضا .
والاختلاء : الاحتشاش .

قلت : والحديث نص فى الجواز ، والقول به أولى ، وبَطَّرَدَ فى الحرمين ؛ إذ لافرق
من جهة التحريم ، ويُحْتَمَلُ المطلق فى ذلك على المقيّد ، ويكون الاختلاء المحرّم لا الاحتشاش .
واللأواء : شدة الجوع ، ويحتمل أن يعود ذلك إلى كل ما يشتد معه سكنها ويُسْتَضَرُّ به .
وقوله « شهيدا أو شفيعا » : ليست « أو » هنا للشك ، خلافا لمن ذهب إليه ؛ إذ قد

(١) زيادة من لسان العرب .

رواه جابر وأبو هريرة ، أو أبو سعيد وسعد بن أبي وقاص وأسماء بنت محميس بهذا اللفظ ويبعد اتفاق الكل ، واتفاق روايتهم على الشك ، ووقوعه بصيغة واحدة ؛ بل الظاهر أنه صلى الله عليه وسلم قاله كذلك ؛ فيكون « أو » للتقسيم ، ويكون صلى الله عليه وسلم شفيعا لبعض أهل المدينة ، وشهيدا لبعضهم ، إما شهيدا للطائعين شفيعا للعاصين أو شهيدا لمن مات في حياته ، شفيعا لمن ملت بعده ، أو غير ذلك مما الله أعلم به . وهذه الشفاعة والشفاعة خِصِيصِي زائدة على الشفاعة لكافة المذنبين ، وعلى الشهادة لكافة الأمة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد : أنا شهيد على هؤلاء ، فيكون في تخصيصهم زيادة منزلة . وقد يكون « أو » بمعنى الواو ، فيكون لأهل المدينة شهيدا وشفيعا بالشفاعة العامة . وإن جعلنا « أو » للشك ، كما ذهب إليه بعضهم ، فإن كانت اللفظة الصحيحة الشهادة ؛ فلا إشكال ، إذ هي زائدة على الشفاعة المذخرة ، وإن كانت الشفاعة ، فاختصاص أهل المدينة بها يدل على أنها شفاعة أخرى ، غير التي لإخراج أمته من النار ، إما لزيادة الدرجات ، أو تخفيف الحساب ، أو غير ذلك . وقوله : إني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة . هذا حجة لنا ولمالك على أن المدينة حرم ، خلافا لأبي حنيفة ، وحجته أنه نعم به البلوى ، فلا يقبل فيه خبر الواحد . وجوابه أنه اشتهر عند أهل النقل ، واتفقوا على محته ، فوجب العمل به كحرم مكة . قال البيهقي : زعم المخالف أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بذلك بقاء زينة المدينة ، لتألفها طيورها ، كما نهى عن هدم آطام المدينة ، وقال : إنها زينة المدينة . قال : والنهي عندنا للتحريم ، حتى تقوم دلالة ثابتة على التنزيه دون التحريم . وقوله في حديث عاصم بن سعد ، وهو أوله : « لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله . . . » إلى آخره ، ذهب بعضهم أن هذا مخصوص بمدة حياته صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : هو عام أبدا ، وهو الأظهر ، لقوله في الحديث الآخر : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه : هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي بنفسى بيده ، لا يخرج أحد منها إلا أخلف الله فيها من هو خير منه ؛ ألا إن المدينة

كالكبير تخرج الخَبِيثُ ، لاتقوم الساعة حتى تَنفِي المدينة شرارها ، كما ينفي الكبير خَبِيثَ الحديد . أضره مسلم . وهذا مخصوص بالمستوطن بها ، والله أعلم .

قوله : « أذابه الله في النار » : هذه الزيادة ترفع إشكال الأحاديث التي وردت ولم يُذكر فيها ، وأن هذا حكمه في الآخرة ؛ ويمكن أن يُراد بذلك من أراد هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيضمحل كبده كما يضمحل الرصاص في النار . أو يكون ذلك لمن أرادها في الدنيا ، فلا يُمهل ، ويذهب ملكه عن قريب ، كما هلك مسلم ابن عُمَيْة مُنْصَرَفَ عَنْهَا ، ثم هلك يزيد الذي أرسله على إثره . وقوله في حديث أبي سعيد « ما بين مَازِمِهَا » : تقدم شرح المأزمين في فصل الإفاضة من عرفة . وقوله في حديث عليّ : « ما بين عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ » : هكذا رَوَى فِي الصَّحِيح . قال شراح الحديث : وقد أخبرني الشيخ الثقة الصدوق الحافظ العلامة المسند : أبو محمد عبد السلام بن محمد ابن مزروع البصري ، المجاور بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن حِذَاءً أُحْدَعَنَ بِسَارِهِ جِبَلًا صَغِيرًا ، يُقَالُ لَهُ ثَوْر ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين تلك المواضع ، وما فيها من الجبال ، فكلُّ أَخْبَرٍ أَنَّ ذَلِكَ الْجَبَلَ اسْمُهُ ثَوْرٌ ، وتواردت أخبارهم على تصديق بعضهم بعضا ، فعلمنا بذلك أن ما تضمنه الخبر من ذكر ثَوْرٍ صحيح وعدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته ، ولعدم سؤالهم وبخبرهم عنه ؛ وما يؤيد ذلك التحديد في الرواية الأخرى بأحد ، وهما متقاربان ، فحُذِّتَا تَارَةً بِهَذَا وَتَارَةً بِهَذَا ، وهذه فائدة جليّة ، نفع الله تعالى من نفع بإفادتها ، والله أعلم .

ولا يُعرف بالمدينة جبل يُقال له ثَوْرٌ ، وإنما ثَوْرٌ بِمَكَّةَ ، ونحوه الغار الذي استخفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر ، وفي بعض الروايات : ما بين عَيْرٍ إِلَى أَحَدٍ . وأحد : جبل معروف بالمدينة ، فيكون ثَوْرٌ غُلَظًا مِنَ الرَّوَايَةِ ، وإن كان الأشهر في الرواية والأكثر . وقيل المراد به : الجبل الذي بِمَكَّةَ ، والمعنى أنه حرم للمدينة مثل تحريم ما بين عَيْرٍ وَثَوْرٍ بِمَكَّةَ ، على حذف المضاف ، وليس هذا بشيء ، لأنَّ عَيْرًا لَا يُعْرَفُ بِمَكَّةَ أَيْضًا ، وإنما هو جبل

معروف بالمدينة إلى ناحية العقيق ، يُنظر من طريق الرُّكبان والمشاة^(١) .

هذا آخر كلام من وقتت على كلامه من شرح الحديث .

وقوله « إلا من أشاد بها » : أى أشاع ، يقال : أشاده وأشاده به : إذا أشاعه ورفع ذكره . وفيه دلالة على التسوية بين الحرمين في حكم اللقطة وحمل السلاح . وقوله « ببُسُون » : يقال : بسست الناقة وأبستها : إذا سقتها وزجرتها وقلت لها : بَسِ بَسِ بفتح الباء وكسرها . وقوله : « يَهْشُ هَشًا » : أى يَنْثُرُهُ نَثْرًا لينا ، تقول هشتت الورق أهشه هشًا إذا خبطته بعضًا ليتحات ، وهذا نص في جواز أخذ الورق للعلف ، وإنما أمره بالهش قصره على إباحة الورق ، ومنعه من الخبط ، لأنه يكسر الأغصان ، والله أعلم .

٣٩ - ما جاء فيما يجب في قتل صيده وقطع شجره

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أنه ركب إلى قصره بالعقيق ، فوجد عبدا يقطع شجرا أو يخبطه ، فسأبه ، فلما رجع سعد جاءه أهل العبد ، فكلّموه أن يرد على غلامهم أو عليهم ما أخذ من غلامهم ، فقال : معاذ الله أن أرد شيئا نفلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنى أن يرد عليهم . أضرمه .

وعنه أنه وجد^(٢) رجلا يصيد في حرم المدينة ، الذي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأبه ثيابه ، فجاء مواليه إليه فكلّموه فيه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم هذا الحرم ، وقال : من وجد^(٣) أحدا يصيد فيه فلْيَسْلُبْهُ ثيابه^(٤) ، ولا^(٥) أرد عليكم طُعْمَةً أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه . أضرمه .

وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يُقطع من شجر المدينة شيء ، وقال : من قطع منه شيئا فلن أخذه سلبه . أضرمه أبو داود .

(١) انظر تحفة لفظ « نور » في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري : (ج ١ صفحة ٣٤٨ -

٣٥) طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٥ .

(٢) في سنن أبي داود الطبري بالقاهرة : « أخذ » في الموضعين . (٣) ساقطة من السنن .

(٤) في سنن الترمذي : « فلا » .

احتج بهذه الأحاديث من حرّم صيد المدينة ، وقطع شجرها ، وسلب القاتل والقاطع لم يقل به أحد بعد زمان الصحابة إلا الشافعي في قوله القديم . وقد تظاهرت الأخبار في تحريم المدينة . رَوَى ذلك عبد الله بن زيد ورافع بن خديج وجابر وسعد وأنس وأبو هريرة وعليّ وأبو سعيد وسهل بن حنيف ، كل هؤلاء روى عنهم مسلم ؛ وقد أخرج غيره عن غيرهم .

٤ . — ما جاء في فضل مسجد المدينة والصلاة فيه

تقدم حديث : لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، والكلام عليه في فضل المسجد الحرام .

وعن أبي سعيد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أُسّس على التقوى ، قال : مسجدكم هذا ؛ مسجد المدينة . أخرجه مسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن امرأة شكت شكوى ، فقالت : إن شفاني الله عزّ وجلّ لأخرجنّ فلاصلّينّ في بيت المقدس ، فبرأت ، ثم تجهزت تريد الخروج ، فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرتها ذلك ، فقالت : اجاسي فكلّي حاصنمت ، وصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا مسجد الكعبة ، أخرجه مسلم .

وقد روى ذلك من حديث الأرقم بن أبي الأرقم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه : قال : قلت : يا رسول الله ، إني أريد أن أخرج إلى بيت المقدس . قال : فإني ؟ قلت : للصلاة فيه . قال : الصلاة هنا أفضل من الصلاة هناك بألف مرة . أخرجه أبو الفرج في منير الغرام .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء ، وإن مسجده آخر المساجد . أخرجه .

وقد روى مالك من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا خاتم الأنبياء ومسجدي آخر المساجد ، أحق أن يُزار ، وتُركب إليه الرواحل ، صلاة في مسجدي هذا . . . الحديث . أخرجه أبو الفرج في مثير الغرام .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى في مسجدي أربعين صلاة كُتِبَ له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبرئ من النفاق . أخرجه أحمد .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدي ، فرجل تكتب له حسنة ، ورجل تحط عنه خطيئة ، حتى يرجع . أخرجه أبو حاتم ، وترجم عليه ذكر الخبر الدال على أن الخارج من منزله يريد مسجد المدينة من أى بلد تكتب له بكل خطوة حسنة ، وتحط عنه بالأخرى سيئة ، إلى أن يرجع إلى بلده .

والحديث الأول حجة على من قال: المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد قبا . . وقول ميمونة لثي نذرت أن تصلى في مسجد بيت المقدس حجة لنا على أن المسكى والمدنى إذا نذر الخروج إلى بيت المقدس والصلاة فيه ، لا يلزمهما ذلك ؛ لأن مكانهما أفضل . وقوله « إلا المسجد الحرام » : اختلف في المراد بهذا الاستثناء ، فمئنا أن المراد إلا المسجد الحرام فإنه أفضل من مسجدي ، ويدل عليه ما تقدم في فصل فضل المسجد الحرام ، في حديث أبي حاتم وغيره ، وعلى هذا فتكون مكة أفضل من المدينة : وقال عياض : أجمعوا على أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض ، وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض بعده ، ثم اختلفوا في أيهما أفضل : فذهب عمر وبعض الصحابة إلى تفضيل المدينة ، وهو قول مالك وأكثر المدنيين ، وحلوا الاستثناء في قوله صلى الله عليه وسلم : إلا المسجد الحرام ، على أن مسجدي يفضل به دون الألف . وذهب أهل الكوفة إلى تفضيل مكة ، وبه قال ابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك ، وإليه ذهب الشافعى ؛ ودليله ما تقدم ، وزيادة أبي حاتم وغيره ترد ما ذهبوا إليه من التأويل .

وما احتجوا به من قوله صلى الله عليه وسلم : أخرجتني من أحب البقاع إلى ، فأسكني في أحب البقاع إليك ، محمول على أنه أراد أحب البقاع بعد مكة ، بدليل حديث النسائي وابن حبان المتقدم في فصل فضل مكة ؛ فإنه دل على أنها أحب أرض الله إلى الله . على أن الحديث نفسه لا دلالة فيه ؛ لأن قوله : فأسكني في أحب البقاع ، هذا السياق يدل في العرف على أن المراد به بعد مكة ، فإن الإنسان لا يسأل ما أخرج منه ، فإن قال : «أخرجتني فأسكني» : يدل على إرادة غير المخرج منه ، وتكون مكة مسكوتا عنها في الحديث .

(١) [٤١] — ذكر آداب زيارته صلى الله عليه وسلم

فنها أن يُكثِر من تَوَجُّهه إلى زيارته صلى الله عليه وسلم ، من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرَمها وما يَعْرِف بها ، زاد من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله أن ينفعه بزيارته صلى الله عليه وسلم ، وأن يقبلها منه .

ومنها أن يغتسل الزائر قبل الدخول ، وأن يلبس أحسن الثياب .

ومنها أن يستحضر في قلبه حينئذ شرف المدينة ، وأنها أفضل أرض الله تعالى بعد مكة عند بعض العلماء ، وعند بعضهم أفضل على الإطلاق ، وأن الذي قصده - صلى الله عليه وسلم - خيرُ الخلائق أجمعين .

ومنها أن يكون دخوله إلى المسجد من باب جبريل عليه السلام ، ويبدأ بتحية المسجد عند أول دخوله ، ثم يأتي القبر ويقف أمامه ، فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم على خبيعه رضى الله عنهما ، ثم يأتي من جهة رأسه ، فيقف للدعاء خاشعا متواضعا مجتهدا في الإخلاص ، حسن الظن بالله تعالى ، جميل المعتقد في الإجابة .

وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه كان يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .

وعن مالك أنه كان يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ثم إن كان أحد قد وهاه بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقل : السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان ، أو فلان ابن فلان يسلم عليك يا رسول الله ، أو نحو هذا من العبارات .

ومنها ألا يُطاف بقبره صلى الله عليه وسلم ، بل لا يجوز ذلك ، ويكره إصاق الظهر والبطن بدارة القبر . قال الحليمي وغيره : قالوا : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه ، كما يبعد منه لو حضره في حياته صلى الله عليه وسلم .

وينبغي ألا تفوته صلاة مكتوبة مع الجماعة في مسجده ، مدة إقامته فيه .
وينبغي أن يتمكف في مسجده صلى الله عليه وسلم ولو يوما واحدا ، وكذلك يفعل في المسجد الحرام ، والأولى أن يكون بقرب البيت في الحجر ، في القدر الذي فيه من البيت .

٤٢ - ما جاء في فضل صلاة الجمعة بالمدينة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها . أخرج صاحب مثير الغرام .

٤٣ - ما جاء في فضل الصوم بها

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر رمضان فيما سواه . أخرج الحافظ أبو الفرج في مثير الغرام .

وهذا دليل على أن حسنات المدينة أجمع مضاعفة بألف ، كما أن حسنات مكة بمئة ألف .

٤٤ - ما جاء في ذكر بناء مسجد المدينة مختصرا

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيًا باللين ، وسقفه بالجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ،

وزاد فيه عمر ، وبناءه على بفتائه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وأعاد عمدته خَشَبًا . ثم عمَّره عثمان ، وزاد فيه زيادة كبيرة ، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقِصَّة ، وجعل عمدته من حجارة منقوشة ، وسقَّفه بالسَّاج . أضرم البخاري . وذكر غيره أن عمر جعل أساطينه من لبن ونزع الخشب .

عن ابن عمر قال : إن الناس كثروا في عهد عمر ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين ، لو سمعت في المسجد . فقال له عمر : لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا ما زدت فيه : وزاد عمر في القبلة إلى موضع المقصورة ، وكان بين المنبر وبين الجدار الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدر مائة شاة ، فأخرج إلى موضع المقصورة اليوم ، وأدخل عمر في هذه الزيادة دار العباس بن عبد المطلب وهبها للمسلمين .

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : لما ولي عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين ، كله الناس أن يزيد في مسجدهم ، وشكوا إليه سنة يوم الجمعة ، حتى إنهم ليصنئون في الرحاب ، فشاور فيه عثمان أهل الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه ، فأصبح عثمان ، فدعا العمال ، وبأشر ذلك بنفسه ، وكان رجلا بصوم الدهر ، ويصلي الليل ، وكان لا يخرج من المسجد ، وأمر بالقِصَّة أن تعمل ببطان نخل ، وكان أول عمله في ربيع الأول سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه حين دخلت السنة للال الحرم سنة ثلاثين . فكان عمله في عشرة أشهر

وعن خارجة بن زيد قال : زاد عثمان في قبلة المسجد ، ولم يزد في شرقيه ، وزاد في غربيه قدر أسطوانتين ، وبناءه بالحجارة المنقوشة والقِصَّة وعُسب النخل والجريد ، وبَيَّضه بالقِصَّة ، وزاد فيه إلى الشام خمسين ذراعا . ثم لم يزد أحد فيه شيئا إلى زمن الوليد ابن عبد الملك ، فأمر عمر بن عبد العزيز بالزيادة فيه ، وبعث إلى صاحب الروم يطلب إليه أن يعينه بعمال وبُفسَتَيْفَسَاء ، فبعث إليه بأربعين من الروم ، وأربعين من القبط ، وبعث إليه بأربعين ألف مثقال ذهبا ، وقيل ثمانين ألفا ، وبعث إليه بفسَتَيْفَسَاء ، فهدم عمر

ابن عبد العزيز المسجد ، وأخر الثَّوْرَة التي تعمل بها الفسيفساء سنة ، وعَمِلَ الأساس بالحجارة ، والجدار بالحجارة المطابقة والقِصَّة ، وجعل عَمَدَ المسجد من حجارة حَشَوها عَمَدُ الحديد والرصاص ، وكان طوله مِئْتَيْ ذراع ، وعرضه في مقدمه مِئْتَيْن ، وفي مؤخره ثمانين ومِئَة ، ثم لم يزد فيه أحد شيئا إلى أيام المهدي ، فأمر بالزيادة ، وزيد فيه مِئَة ذراع من ناحية الشام ، ولم يزد في القبلة ، ولا في الشرق والغرب ، والله أعلم . ذكر الأَكْثَر من هذا الحافظ المحب ابن النَجَّار ، وذكر غيره الأقل ، والله أعلم .

٤٥ — ما جاء أن الفضل الثابت لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لما زيد فيه

عن ابن عمر قال : زاد عمر بن الخطاب في المسجد من شاميه ، وقال : لو زدنا فيه حتى نباع به الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو بُني هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي . وكان أبو هريرة يقول : ظهر المسجد كقعره . وروى غيره مرفوعا أنه قال : هذا مسجدي ، وما زيد فيه فهو منه ، ولو بلغ صنعاء كان مسجدي . ذكر ذلك الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي ، يعرف بالمحب ابن النَجَّار في « الدرّة الثمينة » ، في أخبار المدينة .

٤٦ — ما جاء في فضل المنبر ، وفضل ما بينه وبين القبر

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي . أخرجهما .
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين منبري إلى حُجْرَتِي روضة من رياض الجنة ، وإن منبري على تُرْعَة من تُرْع الجنة . وفي رواية من حديث عبد الله بن زيد : ما بين هذه البيوت - يعني بيوته - إلى منبري روضة من رياض الجنة . أخرجهما أحمد .

وعن أم سلمة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قواعد منبرى رواتب فى الجنة . أخرجه أحمد .

شرح — قوله « ما بين بيتى ومنبرى روضة » : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ يَنْتَقِلُ بَعِيْنُهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ أَنْ الْعَمَلُ فِيْهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ سَبِيْلاً لِنَيْلِ ذَلِكَ . كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ . وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَرِيْباً ، وَقَالَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ : لَمَّا كَانَ جُلُوسُهُ وَجُلُوسُ النَّاسِ إِلَيْهِ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ وَالْدِيْنَ وَالْإِيْمَانَ هُنَاكَ ، شَبِهَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بِالرَّوْضَةِ ؛ لِكَرَمِ مَا يَحْتَنِي فِيْهِ ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، لِأَنَّهَا تُؤَوَّلُ إِلَى الْجَنَّةِ ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيْفِ ، وَكَأَنَّهَا : الْأُمُّ بَابُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؛ يَرِيدُ أَنْ يَرْهَأَ يَقُوْدَ الْمُسْلِمَ إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَمِثْلُ هَذَا مَعْلُومٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ . قَالَ الطَّبْرِيُّ : وَبَيْتُهُ : قَبْرُهُ . وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ : مَا بَيْنَ قَبْرِى وَمَنْبَرِى ، وَقِيلَ بَيْتُهُ : مَسْكَنُهُ . وَقَوْلُهُ : « وَمَنْبَرِى عَلَى حَوْضٍ » ، وَعَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ » : قِيلَ يَحْتَمِلُ أَنْ مَنْبَرِهِ بَعِيْنُهُ الَّذِى كَانَ فِي الدُّنْيَا ، وَهُوَ الْآظْهَرُ ، وَعَالِيَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ . وَقِيلَ إِنْ هُنَاكَ مَنْبَرٌ عَلَى حَوْضِهِ ، وَعَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ . وَقِيلَ إِنْ قَصَّدَ مَنْبَرَهُ وَالْحَاضِرَ عِنْدَهُ لِلْمَلَاظِمَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِدُ [صَاحِبِهِ] ^(١) الْحَوْضَ ، وَيُوجِبُ الشَّرْبَ مِنْهُ ، وَيُوجِبُ التَّرْعَةَ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ . وَالتَّرْعَةُ : الرُّوْضَةُ عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٤٧ — مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْمَوْتِ بِالْمَدِيْنَةِ

عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِيْنَةِ فَلَيْمَتْ بِهَا ، فَإِنِى أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا . أخرجه أحمد والترمذى وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قِتَالًا فِي سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ . أخرجه البخارى .

(١) زيادة من شرح النووى على صحيح مسلم .

وعن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما على الأرض بقعة أحبَّ إلىَّ أن يكون قبرى بها منها ، ثلاث مرات ، يعنى المدينة . أضرجه رزين ، وعلم عليه بعلامة مالك .

وعن أبى سعيد مولى المهرى ، أنه جاء أبا سعيد الخدرى ليلالى الحرّة ، فاستشاره فى الجلاء من المدينة ، وشكا إليه أشعارها وكثرة عياله ، وأخبره أن لا يصبر له على جهنم المدينة ولأوائها ، فقال له : ويحك ، لا آمرك بذلك ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يصبر أحد على لأوائها فيموت ، إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ، إذا كان مسلما . أضرجه مسلم .

وفى رواية : أن مولى المهرى قال له : إني كثير العيال ، وقد أصابتنا شدة ، فأردت أن أنقل عيالى إلى بعض الرّيف ؟ فقال أبو سعيد : لا تفعل ، ألزم المدينة ، فإننا خرجنا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم : أظن أنه قال : حتى قدمنا عُسْفان ، فأقام بها ليلالى ، فقال الناس : ما نحن هاهنا فى شيء ، وإن عيالنا نُخْلُوف ، ما نأمن عليهم . فبلغ ذلك النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذا الذى يبغى من حديثكم ؟ والذى أحلف به ، أو الذى نفسى بيده ، لقد هممت ، أو إن شئتم — لا أدري أيتهما قال — لأمرن بِنَاقَتِي أَنْ تُرَحَّلَ ، ثم لا أحلّ لها عُقْدَةً حتى أقدم المدينة . والنفس نفسى بيده ، ما من المدينة شُعْب ولا نَقَب إلا وعليه ملكان يحرسانها ، حتى تقدّما إليها ، ثم قال للناس : ارحلوا . فارتحلنا ، فأقبلنا إلى المدينة ، فوالذى نحلف به أو يُخْلَف به ، ما وضعنا رحالنا ، حين دخلنا المدينة ، حتى أغار علينا بنو عبد الله بن عَطَفان ، وما يهيجهم قبل ذلك شيء . أضرجه مسلم .

وقد تقدم فى الباب التاسع والثلاثين ، فى زيارة قبر النّبي صلى الله عليه وسلم ، من حديث حاطب بن أبى بلتعة : من مات فى أحد الحرمين بُمِيت من الأمنين يوم القيامة .

٤٨ - ذكر ما جاء في البقيع ، وهو مقبرة المدينة ، وصلاة النبي

صلى الله عليه وسلم على أهله

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليأتي منه ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأناكم ما توعدون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد . أضرجه مسلم .
وعنها قالت : لما كانت ليأتي التي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عندي ، انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجله ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ربما ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويدا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب رويدا ، فخرج ثم أجافه رويدا ، فجعلت درعي في رأسي ، واختمرت وتقمعت إزاري ، ثم انطلقت على إثره . حتى جاء البقيع ، فقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت ، فدخل فقال : مالك يا عائشة حشيا رابية ؟ قالت : قلت : لاشيء . قال لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير . فأخبرته ، قال : فأنت السواد الذي رأيت أمامي . قلت : نعم . فلهمزني في صدري لهزة أوجعتني ، ثم قال : أظننت أن يخيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : قلت مهمايكمم الناس يعلمه الله عز وجل . قال : نعم . قال : فإن جبريل أتاني حين رأيت ، فناداني فأخفاه منك ، فأجبتة ، فأخفيتك منك ، ولم يكن يدخل عليك ، وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت ، فذكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشني ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع ، فتستغفر لهم . قالت : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله للاحقون . أضرجه مسلم .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أول من تنشق عنه

الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتَى أهل البقيع ، فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة حتى يحشروا بين الحرمين . أضرجه أبو حاتم وصاحب مثير الغرام .

وعن نافع قال : حدثني أم قيس بنت مَحْصَن قالت : لقد رأيتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بيدي في سكة المدينة ، ما هي إلا نخل ، ما بها بيت ، حتى انتهى إلى بقيع الفرقد ، فقال : يا أم قيس . قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : ترين هذه القبرة ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله . قال : يبعث منها يوم القيامة سبعون ألفا على صورة القمر ليلة البدر ، يدخلون الجنة بغير حساب ؛ فقام رجل فقال : يا رسول الله وأنا ؟ قال : وأنت . وقام آخر فقال : وأنا ؟ قال : سبقك بها عَصَاكُ . أضرجه الحافظ أبو محمد القاسم بن علي بن عساكر في فضائل المدينة .

وتستحب زيارة من في البقيع والمقابر التي أضيفت إليه من الصحابة : قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده عثمان بن مظعون ، وقبر العباس ، وعنده قبر الحسن ابن علي ، وقبر فاطمة عليهما السلام إلى جانبه ، على اختلاف فيه ، وقبر عقيل بن أبي طالب ، وقبر صَفِيَّة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبور أمهات المؤمنين ، وقبر عثمان ابن عفان بُحْشٌ كوكب ، وهو مضاف إلى البقيع ، وأسفل منه قبر فاطمة بنت أسد ، أم علي بن أبي طالب ، ممن اشتهر وعرف قبره ، ومن خفي قبره من المهاجرين والأنصار أكثر ، فلينزو زيارة من في تلك المواضع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من مات بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحن نورد على حروف المعجم .
حرف الألف : الأرقم بن أبي الأرقم . أسامة بن زيد . أسعد بن زرارة . أسيد ابن خُضَيْر .

حرف الباء : بشر بن أرطاة بن أبي^(١) أرطاة ، واسم أبي أرطاة عُمر بن عُوَيْر .
البراء بن معرور ، مات قبل مَقْدَم النبي صلى الله عليه وسلم بشهر . ابنه بشر ، بالشين

(١) كذا في الاستيعاب . وقال ابن حبان : من قال ابن أبي أرطاة ، فقد وهم (الإصابة) .

المعجزة ، أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة ومات مكانه . وقيل = مرض سنة ومات .

حرف الجيم : جابر بن عبد الله ، جبار بن صخر ، جُبَيْر بن مُطْعِم .

حرف الحاء : حمزة بن عبد المطلب ، الحارث بن خُزَيْمة الأنصاري ، حاطب بن أبي بلتعة ،

الحسن بن علي بن أبي طالب ، حَكِيم بن حِزام ، وعاش مئة وعشرين سنة ، ستمين جاهلية

وستين مسلما . حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، عاش أيضا مئة وعشرين سنة .

حرف الخاء : حَبَّاب أبو يحيى مولى عُتْبَةَ بن غَزْوان ، ذكره الصاغاني .

حرف الراء : رُكَّانة بن عبد يزيد .

حرف الزاي : زيد بن ثابت ، زيد بن سهل : أبو طلحة الأنصاري ، وقيل إنه ركب

البحر فمات ، فدفن بجزيرة .

حرف السين : سعد بن مالك أبو سعيد الخُدْرِي . سعد بن مُعَاذ ، رُمِيَ بسهم يوم

الخنندق فمات به . سعد بن مالك بن وهب ، وهو ابن أبي وقَّاص ، مات بقصره بالعقيق ،

وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة ، ودُفِنَ بالبقيع . سعيد بن زيد ، تُوُفِّيَ بالعقيق ،

وحمل إلى المدينة ، وقيل : توفي بالكوفة ، ولا يصح . سعيد بن يربوع ، وقيل توفي بمكة .

سهل بن وهب بن البيضاء . سهل بن سعد الساعدي ، وهو آخر من مات من الصحابة

بالمدينة .

حرف الصاد : صُهَيْب بن سنان .

حرف العين : عبد الله بن عثمان : أبو بكر ابن أبي قُحافة ، عُمر بن الخطاب .

عثمان بن عفان . عثمان بن مظعون ، وهو أول من دفن بالبقيع ، وهو قَرَّط المسلمين .

عبد الرحمن بن عوف . العباس بن عبد المطلب . عبد الله بن صخر : أبو هريرة الدَّوْسِي ^(١) ،

وقيل توفي بالعقيق . عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . عبد الله بن أنَيْس بن السَّكَن ،

عبد الله بن سلام . عبد الله بن عبد الأسد . أبو سَلَمَة زوج أم سَلَمَة . عبد الله بن عَتِيك .

(١) الأصح : أن اسم أبي هريرة : عبد الرحمن بن صخر (انظر الإصابة) .

الأنصاري . عبد الله بن عمرو بن قيس^(١) ، وهو ابن أم مكتوم . عبد الله بن كعب
ابن عمر الأنصاري ، وقيل توفي بالقادسية ، وبالمدينة أصح . عبد الله بن مسعود .
عمر بن أبي سلمة . عمرو بن أمية الضمري . عمرو بن حزام . عويمر بن ساعدة .
حرف القاف : قتادة بن النعمان .

حرف الكاف : كعب بن عُجْرة . كعب بن عمرو أبو اليسر . كتوم بن المهدي ،
كناز بن الحصين أبو مرثد الغنوي .

حرف الميم : مالك بن أوس بن الحدثان . مالك بن التَّيَّهَان أبو الهيثم ، وقيل مات
بغيرها . مالك بن ربيعة : أبو أسيد الساعدي . محمد بن مسلمة بن خالد . مخزومة بن نوفل .
مُسْطَح بن أنانة ، مسلمة بن مُحَمَّد . معاذ بن عَفْرَاء .

حرف النون : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . نوفل بن معاذ بن عُرْوَة .
ومن عرف بكنيته : أبو سَبْرَة بن إبراهيم ، على خلف فيه .
ويستحب لزائر البقيع أو مقبرة غيره أن يقصد زيارتهم ، ويسلم عليهم .

٤٩ - ذكر ما جاء في زيارة قبور الشهداء

عن طاحه بن عبيد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قبور
الشهداء ، حتى إذا أشرفنا على حَرَّة واقم ، فلما تدلينا منها ، فإذا قبور بِمَحْنِيَّة ، فقلنا :
يا رسول الله ، أقبور إخواننا هذه ؟ قال قبور أصحابنا . فلما جئنا قبور الشهداء ، قلنا : هذه
قبور إخواننا أضرهم أبو داود .

وروينا من حديث ابن السراج عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
سلموا على إخوانكم ، هؤلاء الشهداء ، فإنهم يرُدُّون عليكم .

وروي أبو مُصْعَب عن العَطَّاف بن خالد قال : حدثني حالة لي ، وكانت من العوابد ،
قالت : جئت قبر حمزة فصلت ماشاء الله ، ولا والله ما في الوادي داع ولا محيب ، وغلامي

(١) في الإصابة نقلا عن ابن إسحاق : عبد الله بن عمرو بن شريح .

آخذ برأس دابتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت : السلام عليكم ! فسمعت رد السلام على من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني ، فاقشعرت كل شعرة ، فدعوت الغلام وركبت . ذكره صاحب مثير الغرام .

وقد تقدم هذا الفصل والحديثان الأولان منه ، في باب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والموضعان مناسبان الذكر ، والله أعلم .

٥٠ - ذكر فضل مسجد قباء

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قباء بكل سبت ، كان يأتيه راكباً و ماشياً . أضرجه ، وأضرجه أبو داود ، وزاد : ويصلي ركعتين .

وعن نافع قال : لم يكن عمر يأتي شيئاً من المساجد ، التي يقال صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المساجد التي بالمدينة ، غير مسجد قباء . أضرجه أبو محمد القاسم ابن عساكر ، في فضائل المدينة .

وعن أسيد بن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الصلاة في مسجد قباء كعمرة . أضرجه أحمد ، والترمذي ، وقال : لا يعلم لأسيد بن ظهير شيء يصح غير هذا الحديث . وأضرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من توضأ فأصبح الوضوء ، وجاء مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين ، كان له أجر عمرة . أضرجه صاحب مثير الغرام .

وعن أبي غزيرة قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتي قباء يوم الاثنين ويوم الخميس ، فجاء يوماً فلم يجد أحداً من أهله ، فقال : والذي نفسي بيده ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباً بكر في أصحابه ، يَنْقُلُونَ حجارته على بطونهم ، يؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وجبريل يؤم به البيت ، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف ، لضربنا إليه أكباد الإبل .

وعن عائشة بنت سعد عن أبيها قالت : والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين ،

أحب إلى من أن آتَى بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل .
أضربهما صاحب مثير الغرام .

وفي أفراد البخارى من حديث عمر قال : كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين
الأولين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء ، منهم أبو بكر وعمر ،
رضى الله عنهما .

وعن عاصم قال : أخبرنا أنه من صلى في المساجد الأربعة غُفِرَ له . قال له أبو أيوب :
يا بن أخي ، أدلك على ما هو أيسر من ذلك ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من تَوَضَّأَ كما أُمِرَ ، وصلى كما أُمِرَ ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه .
المساجد الأربعة : المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الأقصى ، ومسجد قباء .
أضرب أبو حاتم بن حبان في صحيحه .

شرح — قُباء تَمُدُّ وتَقْصُرُ ، وتَذَكَّرُ وتَوَنَّثُ ، وتصرف ولا تصرف ، وهى قرية
على ثلاثة أميال من المدينة ، وقيل على ميابين ، وأصله اسم بئر هناك . واختلف العلماء
فيمن نذر الصلاة فيه . فروى ابن عباس وغيره : أنه أوجب ذلك ، ومنهم من قال :
لا يجب ذلك ويصلى في غيره . وفي الحديث جواز تخصيص المواضع الشريفة بالزيارة ،
والقصد إليها ، والصلاة فيها ، وفيه دليل على فضل هذا المسجد ، واستحباب زيارته
في يوم السبت . وقد كره ابن مَسْلَمَةَ من أصحاب مالك ذلك ؛ مخافة أن يُتخذ سنة
في ذلك اليوم ، ولعله يبلغه الحديث . وفيه دليل على جواز تخصيص بعض الأيام ببعض
القُرُبات ، أو بزيارة الإخوان ، أو افتقاد بعض أمورهم ، ويجعله يوم راحة من أشغال
العامة ، وإجماع نفسه ، سبتا كان أو غيره ، ما لم يتألاً الناس كلهم على يوم واحد ،
ويظنه الجهال سنة ، وهذا الذى كرهه ابن مسلمة .

٥١ - ذكر فضل مسجد الفتح

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بمسجد الفتح ، الذى على الجبل ، وقد حضرت صلاة العصر ، فرقي ، فصلى فيه صلاة العصر . .
أخبره الحافظ أبو القاسم بن عساكر وصاحب مثير الغرام .
وعن هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الخندق على الأحزاب ، فى موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح ، الذى على الجبل .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا فى مسجد الفتح يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ؛ فاستجيب له يوم الأربعاء ، بين الصلاتين ، فُعرف السرور فى وجهه . أخبره من صاحب مثير الغرام .

٥٢ - ذكر مواضع صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم

رُوى أنه صلى صلى الله عليه وسلم فى مسجد القبلتين ، ومسجد بنى عبد الأشهل ، ومسجد بنى غصينة ، ومسجد بنى حارثة ، ومسجد بنى معاوية ، ومسجد بنى ظفر .
وفى هذا المسجد حجر جالس عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلَّ امرأة يصعب حملها تجلس على ذلك الحجر إلا حملت ؛ ومسجد بكحيلي ، ومسجد بنى الحارث بن الخزرج ، ومسجد بنى السَّلح ، ومسجد بنى خَطْمَة ، ومسجد بنى وائل ، ومسجد العجوز فى بنى خَطْمَة ، وهى امرأة من بنى سُليم ، ومسجد بنى أمية بن زيد ، ومسجد بنى بياضة ، ومسجد بنى واقف . وفى بيت أنس ، وفى دار الشفا . ذكر ذلك الحافظ أبو الفرج فى مثير الغرام .
قال : وصلى صلى الله عليه وسلم فى مواضع يطول ذكرها ، فيستحب تتبعها لمن عرفها ، وكذلك يستحب تتبع الآبار التى شرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأماكن التى جلس فيها صلى الله عليه وسلم .

٥٣ - ذكر ما جاء في فضل أحد

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، فقال : إن أحدا جيل يحبنا ونحبه . أضرجه مسلم .

قيل : المراد يحبنا أهلُه ونحبهم ، فحذف أهلُه لدلالة اللفظ عليه ، كما في قوله تعالى : « وأشرَبُوا في قلوبهم العِجْلَ » أى حُبَّه ، و « أسأل القرية » أى أهلها . وقيل : هو ضرب من الجاز ، أى نحن نحبه ، ونستبشر برؤيته ، ولو كان ممن يفقل لأحبنا ، على سبيل مطابقة الكلام . وقيل : يحتمل أن يكون ذلك حقيقة ، وأن الله تعالى جعل فيه أو في بعضه إدراكا ومحبة ، كما جعل في تسبيح الحصى ، وحنين الجذع ، ويكون من خوارق العادات . ويحتمل أن يكون يحبنا هنا : عبارة عن نفعه لنا في الحاية والنصرة ، كمن يحبنا .

٥٤ - ما جاء في فضل العقيق وهو ذو الحليفة

عن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بواى العقيق : أتانى الليلة آت من ربي ، فقال : صل في هذا الوادى المبارك وقل : عُمره في حجة . أضرجه البخارى .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى في مُعرَس بذي الحليفة ببطن الوادى ، قيل له : إنك ببطحاء مباركة . أضرجه . قال موسى بن عُقبة : وقد أناخ بها سالم ؛ يتوخى المناخ الذى كان عبد الله يُنِخ به ، يتحرَّى مُعرَس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى ، بينه وبين الطريق وسط من ذلك . أضرجه . وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أناخ بالبطحاء التى بذي الحليفة . وكان ابن عمر يفعل ذلك . أضرجه أبو داود .

قال مالك : ولا ينبغي لأحد أن يجاوز المُعرَس ، إذا قفل راجعا إلى المدينة ، حتى يصلى فيها ما بدا له ، لأنه بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرَّس به . قال إسحاق ابن المدينى : وهو على ستة أميال من المدينة .

(١) ٥٥ - ما جاء في فضل الحجاز

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غاظ القلوب والجفء في المشرق ، والإيمان في أهل الحجاز . أخرجه مسلم .

٥٦ - ما جاء في فضل بيت المقدس

تقدم في فصل فضل المسجد الحرام حديث : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... الحديث .

وعن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ، أى مسجد وُضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . أخرجه البخارى .
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن سليمان بن داود صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما ، لما بنى بيت المقدس ، سأل الله عز وجل خلا لا ثلاثا ؛ سألَهُ حُكْمًا يصادف حُكْمَهُ ؛ فأوتيته ؛ وسألَهُ مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحد من بعده ، فأوتيته ؛ وسألَهُ حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتية أحد لا يَنْهَرُهُ إلا الصلاة فيه ، أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . أخرجه النسائي . وأخرجه أحمد وزاد : فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل ، يعنى قد أعطاه إياه .
شرح - النهز : الدفع والتحرّك ، يقال : نهزت الرجل أنهزُهُ : إذا دفعته ، ونهزَ رأسه : إذا حركه .

وعن دى الأصابع قال : قلنا : يا رسول الله ، إن ابتُلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا ؟ قال : عليك بيت المقدس ، فاعل أن ينشأ لك ذرية تغدو إلى ذلك المسجد وتروح . أخرجه أحمد .

وعن عبد الله رضي الله عنه قال : سكن الخضر بيت المقدس ، فيما بين باب الرحمة إلى أبواب الأسباط ، وهو يصلى كل جمعة في خمسة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد

(١) ما بين المعقوفين : زيادة عن م وحدها .

المدينة ، ومسجد بيت المقدس ، ومسجد قُباء ؛ ويصلي كل ليلة جمعة في مسجد الطور ؛
ويأكل كل جمعة أكلتين من كَمَاة وكرَفَس ، ويشرب مرة من زمزم ، ومرة من
جُبَّ سليمان صلوات الله على نبينا وعليه ، الذي ببيت المقدس ، ويفتسل من عين سُلوَان .
أُفْرِمَ الحافظ أبو محمد القاسم بن عساكر .

٥٧ - ما جاء في فضل الصلاة فيه ، وإهداء الزيت إليه

تقدمت أحاديث هذا الفصل في فصل فضل المسجد الحرام ، وتقدم في الفصل
قبله بعضها .

وعن ميمونة بنت سعد قالت : يا نبي الله : أفتنينا في بيت المقدس ؟ فقال لها :
أرض المنشَر والمحشَر ، اثقوه فصلوا فيه ، فإن صلاتكم فيه كألف صلاة . قالت : أرايتَ
من لم يطيق أن يتحمل إليه أو يأتيه ؟ قال : قَلِيْهُدٍ إليه زيتا ؛ يُسْرَجُ به فيه ، فإنه من
أهدى كان كمن صلى . أُفْرِمَ أحمد .

٥٨ - ما جاء في فضل كَنَسِهِ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس قال لكعب : أين ترى
أن أصلي ؟ قال : إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين
يديك . فقال : ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلي حيث صلى النبي صلى الله عليه وسلم .
فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء وبسط رداءه ، وكنس الكُنَاسَة في رداءه ، وكنس الناس
أفْرِمَ أحمد .

٥٩ - ما جاء في فضل الموت في الأرض المقدسة

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاء ملك الموت إلى
موسى عليه السلام فقال : أجب ربك . قال : فلطم موسى عين ملك الموت ، ففقا عينه .
فرجع الملك إلى الله جلّ وعلا ، فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد
فقا عيني . قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إلى عبدى ، فقل : الحياة تريد ؟ فإن

كنت تريد الحياة ، فضع يدك على متن ثور ، فما توارت بيدك من شعرة ، فإنك تعيش بها سنة ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب . قال : رب ، أدنني من الأرض المقدسة رَمِيَةً بِحَجَرٍ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لو أني عنده لأرْبَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ . أَفْرَجَاهُ .
وقد وردت أحاديث في فضل مواضع نختم كتابنا هذا بإيراد ما حضرنا منها .

٦٠ - ما جاء في فضل دِمَشْقَ

(١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ : الْغُوطَةُ ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ . أَفْرَجَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : سَيُفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامُ ، فَإِذَا خُيِّرْتُمُ الْمَنَازِلَ فِيهَا ، فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ ، فَإِنَّهَا مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلَا حِمٍ ، وَفُسْطَاطُهَا فِيهَا بِأَرْضِ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ . وَفِي رِوَايَةٍ : عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) .

شرح - الْفُسْطَاطُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ : الْمَدِينَةُ الَّتِي فِيهَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ فُسْطَاطٌ . وَقَالَ الزَّخَّشِيُّ : هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ فِي السَّفَرِ دُونَ الشَّرَاقِ ، وَبِهِ سَمِيَتْ الْمَدِينَةُ ، وَيُقَالُ لِمِصْرَ وَالْبَصْرَةَ : الْفُسْطَاطُ . وَالْغُوطَةُ : اسْمٌ لِلْبَسَاتِينِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي حَوْلَ دِمَشْقَ ، وَهِيَ غُوطَتُهَا الْمَعْرُوفَةُ . وَالْمَعْقِلُ : الْحَصْنُ ، وَجَعَهُ مَعَاقِلُ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ظَبْيَانٍ : إِنْ مَلَوكَ حَمِيرٌ مَلَكَوْا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ ، أَيْ حَصُونَهَا . وَالْمَلَا حِمٌ : جَمْعُ مَلْحَمَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، مَا خُوِذَ مِنْ اخْتِلَاطِ الْمُقَاتِلَةِ ، وَاشْتَبَاكَ كَهْمُ كَاشْتَبَاكَ نُحْمَةُ الثَّوْبِ بَسَدَاهُ . وَقِيلَ : هِيَ مِنْ كَثَرَةِ اللَّحْمِ ، لِكَثَرَةِ لَحُومِ الْقَتْلِ فِيهَا .

(١) في سنن أبي داود : عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ يَحْدُثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ .

(٢) لم يذكر المؤلف من أخرج هذا الحديث كما دته .

وعن أوس بن أوس الثقفي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقاً دمشق .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة . أخرجهما تمام الرازى فى فوائده .

شرح — دِمَشْقُ : بكسر الدال ، وفتح الميم ؛ ومنهم من يكسر الميم ، والأول أشهر . قيل : هى عربية ، وقيل معربة ، ويقال فيها دِمَشْقَةٌ بالهاء . قيل : نسبت إلى رجل اسمه دِمَشْقُ . وقيل : دمشق بالرومية : مسك مضاعف ، لطيبها . وقيل : هى من قول العرب : ناقة دمشق اللحم ، إذا كانت خفيفة . وقيل : الناقة السمينة يقال لها دمشق ، والمرأة السريعة اليد فى العمل يقال لها أيضا دمشق ؛ وبشبه أن تكون الخفيفة السريعة العمل ، يقال : دِمَشْقُ الضرب دِمَشْقَةٌ : إذا ضرب ضربا سريعا خفيفا . ذكره الحافظ المنذرى فى المختصر .

٦١ — ذكر من مات بها من الصحابة^(١)

بلال بن أبى رباح ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، وقيل غير ذلك ، وهذا أصح سهل ابن عبيد وهو ابن الحنظلية . عبادة بن الصامت ، قيل : مات بدمشق ، وقيل بالرملة . النمر بن السعدى ، عويمر ، أبو الدرداء ، فضالة بن عبيد . فيستحب لمن زار مقبرة دمشق أن يقصد زيارة هؤلاء ، ويسلم عليهم .

(١) يظهر أن هذا الفصل ليس من أصل الكتاب ، وإنما كان زيادة فى الحاشية ، من المؤلف أو من غيره ثم أدخل بعد ذلك فى المتن . وقد نهت على ذلك نسخة فى هامش . أما نسخة م فإن الكاتب أدخله فى الفصل السابق قبل شرحه لكامة دمشق . وفى اختلاف النسخ دلالة على أن مكانه فى الأصل ليس متحينا ، لأنه ليس من إلحاق للمؤلف .

٦٢ - ما جاء في فضل عَسْقَلان

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
إني أريد الغزو؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك بالشام ، فإن الله قد تسكفل لى
بالشام ، ثم ازم الشام ، فإنه إذا دارت الرحى بين أمتى ، كان أهل عَسْقَلان فى راحة
وعافية . أضرهم الإمام أبو بكر الإسماعيلى فى معجمه .

شرح - قوله : إذا دارت الرحى ، أى رحى الحرب ، أى قامت على ساق ؛ وأصله
من الرحى التى يطحن بها .

٦٣ - ما جاء فى فضل الشام

تقدم فى الفصل قبله ما يدل عليه .

وعن زيد بن ثابت قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن
من الرِّقَاع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طُوبَى للشام ! فقلنا : لم ذلك يا رسول الله ؟
قال : لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليه . أضرهم رَزِين فى كتابه « تجريد الصَّحاح » .
وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن عنده : طُوبَى للشام ! إن
ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه .

وعن النّوأس بن سمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
عَقْرُ دار المؤمنين الشام . أضرهم سمر ابن جَبان ، وأضرع النسائي الثانى .

شرح - العَقْر هاهنا بالفتح ، قال الهَرَوَى : هو أصل الدار .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يزال
من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم مَنْ خذلهم ولا مَنْ خالفهم حتى يأتىهم أمر الله وهم
على ذلك . قال عُمر^(١) : فقال مالك بن يخامر : قال مُعاذ : وهم بالشام . فقال معاوية :

(١) هو راوى الحديث عن معاوية .

هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول : وهم بالشام . أضرجه البخاري في باب بعد باب سؤال المشركين أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر .

وعن أبي إدريس الخولاني ، عن عبد الله بن حوالة الأزدي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنكم ستجفدون أجنادا : جندا بالشام ، وجندا بالعراق ، وجندا باليمن ، فقال الخولاني : خزي لي يا رسول الله . قال : عليكم بالشام ، فن أبي فليكن بيمته ، وسبق من عذره ؛ فإن الله تكفل لي بالشام وأهله . فكان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث التفت إلى ابن عامر فقال : من تكفل الله به فلا ضيعة عليه . (أنا) بذلك الشيخ المعمر المُسند ، أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي حرمي بن حرمي بن أبي فتوح ، قراءة عليه في منزله بمكة ، شرفها الله تعالى ، سنة سبع وثلاثين وست مئة ، قال : (أنا) الشيخ أبو المجد ، الفضل بن الحسين بن إبراهيم البانياسي ، قراءة عليه في رجب سنة إحدى وثمانين وخمس مئة ، (أنا) الشيخان أبو الحسن علي وأبو الفضل محمد ابنا الحسن ابن الحسين السلمي الموازبي ، سماعا عليهما ، قالا : (أنا) أبو عبد الله محمد بن علي بن يحيى ابن سلوان المازني قراءة عليه ، (أنا) أبو القاسم الفضل بن جعفر التميمي المؤذن ، قراءة عليه ، (حدثنا) عبد الرحمن بن القاسم الهاشمي ، (ثنا) أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني ، (ثنا) سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخولاني . . . الحديث . وأضرجه الإمام أحمد وأبو داود ، ولفظهما : عن أبي حوالة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سيصير الأمر إلى أن تجفدوا أجنادا مجفدة : جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق . فقال له ابن حوالة : خزي لي يا رسول الله إن أدركت ذلك . قال : عليك بالشام ، فإنه خيرة الله من أرضه ، تُجْتَبَى إليه خيرته من عباده ، فأما إن أيتم فعليكم بيمتكم ، فإن الله قد توكل لي بالشام وأهله .

وبالإسناد إلى أبي مسهر ، (ثنا) خالد بن يزيد بن صالح ، عن صديح ، قال : (ثنا) حبيب الوصابي وعُمير بن أبي ربيعة ، أن كعب الأحبار كان يقول : مقبرة باب الفريديس يُبعث منها سبعون ألف شهيد ، يشفع كل إنسان في سبعين .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا . قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا . قال في الثالثة : هناك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان . أخرجه البخارى .

قوله « قرن الشيطان » : يحتمل أن يريد ظهور قوم الشيطان وتابعيه^(١) ، ومنه : خير الناس قرنى . ويحتمل أن يريد اقترانه بالشمس عند طلوعها ، ليسجد له عبدها ؛ ومنه : إن الشمس تطلع بين قرنى الشيطان . . . الحديث .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ستكون هجرة بعد هجرة ، فخير أهل الأرض أئمة هجرة إبراهيم عليه السلام ، ويبقى في الأرض شرار أهلها ، تَذْفِظُهُمْ أَرْضُهُمْ ، وَتَقْدَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ ، وَتَحْشَرُهُمُ النَّارُ مع القردة والخنازير . أخرجه أبو داود .

وعن أبي شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب ، وهو بالعراق ، فقالوا : نلعنهم ؟ قال : لا . إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، يُسَمَّى بِهِمُ الْفَيْثُ ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ الْعَذَابُ . أخرجه أحمد .

وعن أنس رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : البدلاء أربعون ، اثنتان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر ، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم ، فعند ذلك تقوم الساعة . (أنا) بذلك الشيخ المعمر المسند أبو الحسن علي بن محمد النجار ، يعرف بابن المقير ، قراءة عليه ، قال : أنبأنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسن البنا ، (أنا) علي بن الحسين بن قريش ، (أنا) أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان المروزي ، يعرف بابن شاهين ، (ثنا) أبي ،

قال : (ثنا) محمد بن زهير ، (ثنا) عمر بن يحيى بن نافع ، (ثنا) العلاء بن زيدك ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . . . الحديث .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وصادق ، فنظرت فإذا هو نور ساطع عُمِد به إلى الشام ، ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام . أُنهر به تمام الرّأزي في فوائده . قال أبو عبد الله البخاري : سميت الين يمنا لأنها عن يمين الكعبة ، والشام شاما لأنها عن يسار الكعبة ، والمَشَامَة : اليسرة ، واليد اليسرى الشَّوْى ، والجانب الأيسر : الأَشَام .

(١) [٦٤] - ذكر من مات بها من الصحابة

جُرثوم ، ويقال جُرهم بن ناشر . أبو ثعلبة الخشني . الحارث بن هشام بن المغيرة ، أخو أبي سهل ، توفي في طاعون عمواس . خالد بن الوليد بن المغيرة ، تُوِيَ بِمِحْض ، وتُوفى بقرية على ميل من حص . شهيل بن عمرو . وأبو جندل ، توفي في طاعون عمواس . شُرْحَبِيل بن حَسَنَة ، توفي في طاعون عمواس ، سيبه بن عتيبة ، أبو هاشم صَدَى ابن عجلان . أبو أمانة الباهلي . الضحّاك بن قيس بن خالد . ضرار بن الخطاب بن مرداس . عبادة بن الصامت ، توفي بالرملة . وهى من الشام . وقيل بدمشق . عبد الله بن أبي سَرْح عبد الله بن عُبَيْد بن وَقْدان ، وهو العَرِيّاض بن سارية ؛ وقيل مات في فتنة ابن الزبير . عياض بن زهير ، ويقال عُمر . معاذ بن جبل ، في طاعون عمواس . للقُدَام ابن معد يكرب .

ومات ممن يعرف بكنيته : أبو هاشم بن معاوية [.

٦٥ - ذكر ما جاء في فضل مسجد العِشار بالأُبَلَّة

عن إبراهيم بن صالح بن درهم ، قال : سمعت أبي يقول : انطلقنا حاجّين ، فإذا رجل فقال لنا : إلى جنبكم قرية يقال لها الأُبَلَّة ؟ قلنا : نعم . قال : من يضمن لى منكم ركعتين

(١) ما بين المعقوفين من موحدا وفى كتب السكاتب علامة الإلحاق فى الفقه ، ولم يلحق شيئا فى الماش .

في مسجد العِشار ، ويقول : هذه لأبي هريرة . سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول :
إن الله عز وجل يبعث من مسجد العِشار يوم القيامة شهداء ، لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم .
أضربهم أبو داود .

٦٦ - ما جاء في فضل اليمين وأهله

تقدم في ذكر فضل الشام حديث بن حوالة، وحديث ابن عمر بعده، دالّين على ذلك.
أخبرنا أبو القاسم بن أبي أحمد بن أبي محمد ، يرتقى ، قراءة عليه بالمسجد الحرام ،
نجاه الكعبة المشرفة ، (أنا) جدى أبو محمد أحمد بن يزيد ، (أنا) أبو محمد بن عبد الرحمن
ابن محمد بن عتاب ، عن أبيه ، (ثنا) خالف بن يحيى قال : (ثنا) تميم بن محمد ، (ثنا)
المعمر عثمان بن خطّاب ، سمعت عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : من أحب أهل اليمين فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني .
حديث ثمانى الإسناد ، وقع لنا عاليا ، والله الحمد والمنة .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإيمان يمان ، والحكمة
يمانية . أضربهم البخارى ، وأضربهم . سلم بزيادة ؛ ولفظه : جاءكم أهل اليمين ، هم أرق أفئدة ،
[الإيمان يمان ^(١)] ، والفقهاء يمان ، والحكمة يمانية .

وقال البخارى : سميت اليمين ، لأنها عن يمين الكعبة ، والشام ، لأنها عن يسار
الكعبة ، والمشأمة : الميسرة . واليد اليسرى : الشؤمى ، والجانب الأيسر : الأشام .
فتت : وظاهره الدلالة على أن اليمين ما كان عن يمين الكعبة ، وليست الكعبة منه ،
وذكر الإمام أبو عمر بن عبد البر : سميت اليمين نسبة إلى يمين بن إسماعيل بن إبراهيم
عليهما السلام .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا كم أهل اليمين ، هم أولين قلوبا ،
وأرق أفئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية . أضربهم . وفى رواية : هم أضعف قلوبا ،

(١) زيادة عن م .

وأرق أفئدة . (١) الفقه يمان ، والحكمة يمانية . أضرجه البخاري ؛ وأضرجه مسلم : الإيمان يمان . . . إلى آخره . وفي رواية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يَفْتَدِمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ هُمَ أَرْقَ مِنْكُمْ قُلُوبًا . فَعَدِمَ الْأَشْعَرِيُونَ ، فَبِهِمْ أَبُو مُوسَى ، فَنَجَعُوا لِي أَنْ يَتَجَزَّؤُنِي : غَدَاً نَلْقَى الْأَحَبَّ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ

أضرجه أبو حاتم في صحيحه ، والبيهقي في كتاب الدلائل . وفي رواية من حديث ابن عباس : يَأْتِيَكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ ، هُمَ أَرْقَ قُلُوبًا ، وَأَلْيَنَ أَفئدة . يريد أقوام أن يضعوهم ، ويأبى الله إلا أن يرفعهم . أضرجه الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الضمري ، في كتابه المشتغل على أخبار أبي حنيفة ، وفضائله ومولده . حكى ذلك الإمام ابن أبي الصنف . وعن ابن عباس قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، إذ قال : الله أكبر ، الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح ، وجاء أهل اليمن ، قوم نقيّة قلوبهم ، الإيمان يمان ، والفقه والحكمة يمانية . أضرجه أبو حاتم .

قوله « الإيمان يمان » : في تأويله أوجه :

أمرها : أن أهله لما أسرعوا إلى الإيمان ، وحسن قبولهم له بكتابه ورسوله ، ولم يتوقفوا ، ولم يقترحوا معجزة كما فعل غيرهم ، أثنى عليهم بذلك ؛ ونسب الإيمان إلى اليمن ، لظهوره منه بذلك الوصف ، ومنه قول الشاعر :

وَسَهِّلْ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

أي طلوعه وظهوره . وكذلك القول في قوله : الحكمة يمانية ، وذلك أن أهله لما وقّفُوا إلى المبادرة إلى الإيمان ، وإصابة الحق ، كان ذلك عين الحكمة . وكذلك القول في قوله : « الفقه يمان » ، لأن من أسرع فهمه إلى إصابة الحق وقبوله ، فهو أكثر فقها ممن لم يسرع فهمه إلى ذلك .

الرمز الثاني : أن معناه الإيمان الكامل الذي لم يصحبه كدر ولا تَلَفُظٌ يمان ، فإنه حصل من أهله من الانقياد إلى قبول الحق مالم يحصل من غيرهم .

الثالث : وَيُرْوَى عَنْ طَاوُوسٍ ، أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِيمَانِ يَمَانٌ : مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ .
قلت : ويحتمل أنه إنما قال ذلك ، لأن بعضهم يقول : أول اليمين من وادي القرى ،
فتدخلان فيه ؛ وَرُويَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى بَنِيَّةِ تَبُوكَ ، وَقَالَ :
مَا هَاهُنَا شَامٌ - وَأَشَارَ إِلَى جَهَةِ الشَّامِ - وَمَا هَاهُنَا يَمَنٌ - وَأَشَارَ إِلَى جَهَةِ الْمَدِينَةِ - ذَكَرَ
ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ فِي « السُّنَنِ وَالْآثَارِ » ، وَحَكَاهُ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي الصَّيْفِ ، قَالَ : وَيَدْخُلُ فِيهِ
مَا وَرَاءَهَا إِلَى أَقْصَى الدُّنْيَا . وَقَوْلُهُ : أَلَيْنَ قُلُوبَا ، وَأَرْقُ أَفْتَدَةُ ، إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ خُلُوصِ
الْإِيمَانِ إِلَى قُلُوبِهِمْ ، وَحَسَنَ قَبُولِهِمْ لَهُ . وَيُقَالُ : الْفَوَادِ غِشَاءُ الْقَلْبِ ، وَالْقَلْبُ حُبَّتُهُ
وَسُوْدَاؤُهُ ، وَإِذَا رَقَ الْغِشَاءُ أَسْرَعَ نَفُوذَ الشَّيْءِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ جُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ، فَقَالَ : اقْبَلُوا الْبَشْرَى يَا بَنِي تَيْمٍ . قَالُوا : بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا .
فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَقَالَ : اقْبَلُوا الْبَشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَيْمٍ .
قَالُوا : قَبَلْنَا ، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ : كَانَ اللَّهُ
وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَكُتِبَ
فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَتَى رَجُلٌ فَقَالَ : يَا عِمْرَانُ ، أَدْرَكَ نَاقَتُكَ ، فَقَدْ ذَهَبَتْ .
فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا ، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ وَدِدْتُ أَنَّهَا ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ .
أَضْرَبَهُ الْبُخَارِيُّ

وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : إِنِّي لَبُعْثَرُ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسِ عَنْهُ لِأَهْلِ الْيَمَنِ ، أَضْرَبُ بِمِصْصَى حَتَّى يَرْفُضَ
عَلَيْهِمْ . أَضْرَبَاهُ .

قَوْلُهُ « عُمْرُ حَوْضِي » بَضْمُ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ : مُؤَخَّرُهُ ، وَعُمْرُ الدَّارِ : مُحَلَّةُ الْقَوْمِ ، بِالضَّمِّ
أَيْضًا ، وَعُمْرُ الدَّارِ ، بِالْفَتْحِ : أَصْلَاهَا ، قَالَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي غَرِيبِهِ . حَكَاهُ ابْنُ أَبِي الصَّيْفِ
وَقَالَ غَيْرُهُ : الْعُمْرُ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَعُمْرُ الْحَوْضِ : مَوْقِفُ الْإِبِلِ إِذَا وَرَدَتْ . وَارْفُضَ
الِدَمْعُ : أَيْ سَالَ ، وَارْفُضَ الشَّيْءُ : تَفَرَّقَ ، وَكُلُّ مُتَفَرِّقٍ مُرْفُضٌ .

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : تلوت عند النبي صلى الله عليه وسلم : « فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم قومك يا أبا موسى ، أهل اليمن . أخرج البيهقي في دلائل النبوة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : لما نادى إبراهيم عليه السلام بالحج عند فراغه من بناء البيت ، أجابته كل من حجَّ إلى يوم القيامة ، وكان أهل اليمن أكثر إجابة . أخرج أبو حذيفة عبد الله بن بشر ، في كتاب « المبتدأ » .

وذكر أبو الوليد الأزرق في كتاب مكة ، أن إبراهيم استقبل في ندائه الجهات الأربع ، وبدأ بجهة اليمن .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تسبوا أهل اليمن ، فإنهم زين الحاج . أخرج أبو الشيخ أبو الحافظ في كتاب « الأمصار والبلدان » .
وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أنه رأى رُفقة من أهل اليمن ، رحلهم الأدم ، فقال : من أحب أن ينظر إلى أشبه رُفقة بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فليُنظر إلى هؤلاء . أخرج أبو داود .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاءكم أهل اليمن ، وهم أول من جاء بالمصاحفة . أخرج أبو داود ، وأبو حاتم بزيادة ، ولفظه : يقدّم عليكم قوم أرق منكم قلوبا ، فقدم الأشعريون ، وفيهم أبو موسى ، فكانوا أول من أظهر المصاحفة في الإسلام ، فجعلوا حين دَنَوْا من المدينة يَرْجُزُونَ ويقولون :

غَدَا نَلْقَى الْأَحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ

ووجه التفضيل بالابتداء بالمصاحفة وإظهارها ، أنهم سَنَوْا سنة ، فلم أجراها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة وتلك فضيلة جليلة .

ورجال إسناد هذا الحديث ثقات ، اتفق الشيخان على الاحتجاج بحديثهم .

وعن جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فقال : أناكم أهل اليمن ، كأنهم السحاب ، هم خيار من في الأرض . فقال رجل

من الأنصار : إلّا نحن يا رسول الله . فسكت صلى الله عليه وسلم . ثم قال : إلّا نحن يا رسول الله . فسكت . ثم قال : إلّا نحن يا رسول الله . فقال : إلّا أنتم ، كلمة ضعيفة .
أضربهم البيهقي في كتاب « الدلائل » :

فيه رد لقول من قال : المراد بأهل اليمن الأنصار .

وعن جُبَيْر بن نَفَرٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الشام ، وولى ظهره اليمن ، قال : فقيل لى : يا محمد ما بين يديك ^(١) غَنِيمة ورزق ، وما خلف ظهرك مثل ذلك . ذكره ابن أبي الصَّيْف في مصنف له ، في فضل أهل اليمن .

وذكر أبو حفص عُمر المَلّا في كتابه « وسيلة المتعبدين » ، إلى متابعة سيد المرسلين ، أنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب ، ثم الأنصار ، ثم من آمن بى واتبعنى من أهل اليمن ، ثم سائر العرب والعجم . وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا هاجت الفتن ، فعليكم باليمن ، فإنها مباركة .

وعن أبي سعيد الخُدْرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم باليمن إذا هاجت الفتن ؛ فإن أهله رُحَاء ، وإن أرضه مباركة ، وللعباداة فيها أجر كبير . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ترجع بركة الدنيا إلى اليمن ، فمن كان هارباً من الفتنة فإليها يهرب ، فإن العبادة في اليمن رضا الله الأكبر . أضرب الثلاثة أبو حفص المَلّا المَوْصِلِي في كتابه « وسيلة المتعبدين » .
وأضرب صاحب كتاب « العروس » والله أعلم .

٦٧ - ذكر أشخاص من أهل اليمن نُصَّ على تفضيلهم

منهم أُوَيْسُ الْقَرَنِي .

وعن عمر رضى الله عنه قال : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عمر ،

(١) لى هنا ينتهى الساقط من م .

من التابعين رجل يقال له أُوَيْسُ الْقَرَنِيّ ، يصيبه بلاء في بدنه ، فيدعو الله ، فيذهب إلا لُحْمَةً في جنبه ، إذا رآها ذكر الله ، إذا رأيته فأقرئه عن السلام ، واسأله الدعاء ، فإنه على الله كريم ، فرآه عمر ، وكان من أمره ما كان . أخرجه ابن حبان .
ومنهم أبو عامر الأشعري .

عن أبي موسى الأشعري ، قال : قُتِلَ أَبُو عامر الأشعري ، وكان صلى الله عليه وسلم قد عقد له يوم حُنَيْنٍ على خَيْلِ الطائف ، فلما انهزموا ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أوطاس فقتل ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قتله ، رفع يديه يدعو : اللَّهُمَّ أَبَا عامر اجعله في الأكثرين يوم القيامة . وفي رواية : أنه دعا بماء فتوضأ ، ورفع يديه ، وقال : اللَّهُمَّ اغفر لِعُيْبِكَ أَبِي عامر ، اللَّهُمَّ اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك . قال أبو موسى : فقلت : ولي يا رسول الله فاستغفر . فقال : اللَّهُمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وَأَدْخِلْهُ مَدْخَلًا كريمًا .

ومنهم أبو موسى الأشعري :

تقدم في الحديث قبله دعاؤه صلى الله عليه وسلم له ، وتقدم في ذكر فضل أهل اليمن التَّنْصِيفُ فيما وُصِفُوا به في حديثين .

وعن أَبِي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سمع قراءة أَبِي موسى الأشعري ، فقال : لقد أُوتِيَ هَذَا مَرَّارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ . قال أبو سَلَمَةَ : وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى وهو جالس في المجلس : يَا أَبَا موسى ذَكَّرْنَا رَبَّنَا ، فبقِراً عنده أبو موسى ويتلاحن .
ومنهم جرير بن عبد الله البجلي .

ذكره أبو حاتم في أهل اليمن ، والحديث دالٌّ عليه .

عن جرير بن عبد الله قال : لَمَّا دَنَوْتُ مِنْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم انْحَنَيْتُ رَاِحَتِي ، وَطَلَبْتُ عَيْنَيْتِي ، فَلَبِثْتُ حُلَّتِي ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ ، فَقُلْتُ

الجليلسى: يا عبد الله، هل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمرى شيئا؟ قال: نعم. ذكرتك بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ قال: إنه سيدخل عليكم امرؤ من هذا الفج، من خير ذى يمن، وإن على وجهه مسحة ملك، فحمدت الله على ما أبلانى.

قوله «مسحة ملك»: يقال ذلك، ويقال: مسحة جمال، أى أثر ظاهر، ولا يقال ذلك إلا فى المدح. ذكره الهروى. والإبلاء: يكون فى الخير والشر معا. وقال القتيبى: يقال فى الخير: أبليته أبلية إبلاء، وفى الشر بلوته أبلوه إبلاء. قال ابن الأثير: والمعروف هو الأول من غير فرق.

وعنه قال: ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسم

فى وجهى.

وعنه قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا ترينى من ذى الخلصة، بيت كان نختم فى الجاهلية، تسمى الكعبة اليمانية؟ قال: قلت: يا رسول الله، إني رجل لا أثبت على الخيل. قال: فمسح صدرى، ثم قال: اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا، حتى وجدت بردها. وفى رواية: أنه صلى الله عليه وسلم قال: يا جرير، إنه لم يبق من طواغيت الجاهلية إلا بيت ذى الخلصة، فاكفنيه. قال: فخرجت فى سبعين ومئة من قومي، فأجرقناه، وبعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يبشره، يُكنى أبا أرطاة، فقال: والله يا رسول الله، ما جئتك حتى تركته مثل البعير الأجر، فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم بارك فى خيل أحسن ورجالها. أخرج هذا الذكر وأحاديثه أبو حاتم فى صحيحه.

٦٨ - ما جاء فى ذكر مصر والتوصية بأهلها

عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم ستفتحون أرضا يُذكر فيها القيراط. وفى رواية: إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يُسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم رحما وذمة. وفى رواية: فإن فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما، أو قال: ذمة وصنهما. فإذا رأيت رجلين

يختصمان في موضع لَبَنَة ، فأخرج منها . وفي رواية : فرأيت ، فخرجت : أخرجه بطرقه مُسلم .

روى عن الإمام أحمد أنه سُئِلَ عن قوله : « ذمة ورعها » ، فقال : من الناس من يقول : هاجر كانت قبطية ، وهي أم إسماعيل ، ومنهم من يقول : كانت مارية أم إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قبطية . وقوله « فإذا رأيت رجلين يختصمان » ... إلى آخره : الإشارة إلى كثرة الناس وازدحامهم ، والله أعلم .

٦٩ - ما جاء في أهل الغرب

عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق ، حتى تقوم الساعة . أخرجه مسلم .

ذهب ابن المديني إلى أن المراد بهم العرب ، والغرب الدلو الكبير ، وهم المختصون بالاستسقاء به . والظاهر المتبادر إلى الفهم أنهم أهل بلاد المغرب ، وتدُلُّ عليه الرواية الأخرى : « أهل المغرب » ، وهذه الرواية صريحة فيهم ، قاطعة للتأويل :

وذكر هذه البلاد ليس من غرض كتابنا هذا ، وإنما ساق إلى ذكرها ذكر المساجد الثلاثة ، وفضل بلادها ، فناسب أن يُلْحَقَ بها من الأمكنة الفاضلة ما اشتهر فضله ، لتشوق النفس إليه ، وتوفر الداعية عليه ، ولو استرسلنا في ذلك لأطلنا وأطبنا ، وأكثرنا وأسهبنا ، وإنما اقتصرنا على المشهور من الوارد ، في المشهور من الموارد .

* * *

والله أسأل أن ينفع به مؤلفه وطالبيه ، وقارئه وكتابه ، وأن يعينه من شوائب الأكدار ومن التطلع إلى ماسوى النفع به من الأغيار ، والوسيلة في ذلك سيد المرسلين ، المبعوث إلى كافة الخلق أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله المنتجبين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، فبيان سنته صلى الله عليه وسلم في الحج أردنا ، وإلى ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم عمَدنا ، وبترادف ذكره والصلاة عليه تيمنا واستسعدنا .

فِيَا طَيْفُ قُلْ لِي كَيْفَ كَانَ طَوَافُهَا وَيَا عَمْرُو قُلْ لِي : كَيْفَ كَانَ اعْتِمَارُهَا
أَعَادَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَتِهِ ، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِ ، وَنَفَعَنَا بِمَا أَلْهَمَنَا لَهُ ، وَأَنَالَنَا بِهِ أَجَلَ
نَوَابٍ وَأَجْزَلِهِ .

وقد رأينا أن نَحْتَمِ كتابنا بدعاء ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يحْتَمِ به مجلسه ؛
وهو ما أخبرنا به الشيخ الأجلّ الثقة المسند المَعْمَرُ ، أبو الحسن عليّ بن أبي عبد الله
ابن أبي الحسن بن المَظْيَرِ البغداديّ الأزجيّ ، قراءة عليه بالمسجد الحرام ، تجاه الكعبة المعظمة ،
زادها الله شرفاً وتعظيماً ، قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة فخر النساء ، شهيدة بنت أحمد
ابن الفَرَجِ الدينوريّ البغدادية السكاتية ، قراءة عليها ، وأنا أسمع ببغداد مدينة السلام ،
قالت : أخبرنا النقيب الكامل أبو الفوارس طواد^(١) بن محمد بن عليّ الزينبيّ (أنا)
أبو الحسين عليّ بن محمد بن عبد الله بن سران^(٢) المعدل (أنا) أبو عليّ الحسين بن صفوان
البرّديّ ، قراءة عليه ، (ثنا) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا (ثنا) داود
ابن عمرو الضبيّ ، (ثنا) عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر ،
عن خالد بن أبي عمران ، أن ابن عمر رضی الله عنهما قال : قلما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه :

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ
مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنْ اليَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا ، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا
وَأَبْصَارِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانصُرْنَا
عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنا ، وَلَا تَبْلُغْ
عِلْمَنَا ، وَلَا تَسَلِّطْ عَلَيْنَا بَذُنُوبِنَا مِنْ لَا يَرْحَمُنَا .

هذا حديث حسن مليح عال ، وقع لنا عاليا . أخرجه الإمام أبو عيسى الترمذيّ
في جامعه ، عن عليّ بن حُبَيْرٍ ، عن ابن المبارك . وأخرجه النسائيّ في « اليوم والليلة » ،

(١) في م : طراد . كذا في م . وفي م الثران .

عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك، فوقع لنا بدلا، والله الحمد والمنة . وقال الترمذى :
هذا حديث حسن . وقد روى بعضهم هذا الحديث عن خالد بن أبي عمران ، عن نافع ،
عن ابن عمر .

وأخبرنا الشيخ الصالح الميمون أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي حَرَمٍ فُتُوح بن بشر
ابن عبد الرحمن المكيّ الكاتب^(١)، بقراءتي عليه بمكة شرفها الله سنة ست وثلاثين
وسِت مئة ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال : أخبرنا الشيخ الإمام
الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن الحسن الميَّانسي، سماعا عليه بالمسجد الحرام،
فلما فرغ من القراءة دعا لنا ، وختم المجلس بالدعاء . (أنا) القاضي الإمام جمال الإسلام
قاضي الحرمين الشريفين ، أبو المظفر محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ الشَّيباني الطَّبريّ ،
فلما فرغ من القراءة دعا لنا ، وختم المجلس بالدعاء . (أنا) الشيخ الإمام الأوحد مفتي
الحرمين ، أبو الطاهر يحيى بن أحمد الحامليّ ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا ، وختم المجلس
بالدعاء (أنا) الشيخ أبو الحسن جابر بن ياسر بن الحسن الحناء ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا
وختم المجلس بالدعاء . (أنا) أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص ، فلما
فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . (ثنا) أبو جعفر أحمد بن إسحاق
ابن بُهلول بن حَسَّان التنوخي ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء .
(ثنا) أبي ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . (ثنا) عبد الرحمن
ابن مهديّ ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . (ثنا) مالك بن أنس ،
فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . (ثنا) محمد بن شهاب الزُّهريّ ، فلما
فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . (ثنا) عُرْوَة ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا
وختم المجلس بالدعاء . قال : حدثتني عائشة رضي الله عنها ، فلما فرغت من حديثها
دعت لنا ، وختمت المجلس بالدعاء ، وقالت :

(١) اهل هذا هو الاسم الكامل للشيخ عبد الرحمن بن أبي حرمي ، وقد ورد قبل هذا في صفحة ٢٩

وفي صفحة ٦٩٧ بصور أخرى فيها زيادة ونقص .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من حديثه ، وأراد أن يقوم
من مجلسه يقول :

« اللهم اغفر لنا ما أخطأنا وما تعمّدنا ، وما أسررنا وما أعلنّا ، وما أنت
أعلم به منا . أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » .
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما

آخر الكتاب المسمى بالقرى ، لقاصد أم القرى ، فرغ من نساخته يوم
الأحد آخر صفر سنة ثمانين ومبعض مئة .
غفر الله لكاتبه ، ولقارئه ، ولناظره ، ولجميع المسلمين أجمعين .
والحمد لله رب العالمين

فهرس الكتاب

فهرس الموضوعات

الصفحة	الأبواب والفصول
٤٠	ما جاء فى مصافحة الحاج عند قدومه
»	» ثواب المتابعة بين الحج والعمرة .
٤١	» فيمن أضحي محرما يلبى
»	» فيمن مات حاجا أو معتمرا .
٤٢	ذكر ثواب من مات عقيب الحج .
٤٣	ما جاء فى فضل النفقة فى الحج .
»	» الزغب فى طيب النفقة .
»	» الحج .
٤٤	» » معونة الله تعالى للحاج .
٤٥	» » فضل الراحلة التى يحج عليها .
»	» استحباب تواضع الحاج فى ركوبه .
»	» فضل المشى فى الحج .
٤٧	» » حج آدم عليه السلام وحج الملائكة .
٤٩	» » حج إبراهيم عليه السلام .
٥١	» » إسماعيل وتعليم إبراهيم لإياه المناسك .

الصفحة	الأبواب والفصول
٣	مقدمة الناشر
٢٧	» المؤلف
	كتاب المناسك
	الباب الأول
	فى فضل الحج والترغيب فيه
٢٨	ما جاء فى أن الحج يهدم ما قبله .
٣١	» » » الحاج يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .
٣٢	» » » الحج أفضل العمل بعد الإيمان والجهاد .
٣٣	» » الحج المبرور .
٣٤	» » فيما يفضل الله به على الحاج الخ
٣٧	» » فى تسمية الحج جهادا .
٣٨	» » أن حج من لم يحج أفضل من الجهاد .
»	» فضل الجهاد بسبب تقدم الحج عليه .
٣٩	» » أن الحجاج والعمار وفد الله .
»	» » إجابة دعاء الحاج والمعتمر .

الصفحة	الأبواب والفصول	الصفحة	الأبواب والفصول
٦٧	ما جاء في اعتبار صحة البدن .	٥٩	ما جاء في حج الأنبياء عليهم السلام
»	اعتبار أمن الطريق .	»	عن ذكرناه .
»	ركوب البحر المحج	٥٦	» الخلفاء الراشدين .
»	والعمرة	٥٧	» فيمن حج من خلفاء بني أمية
»	المنع منه عند ارتجاعه .	٥٨	» » » » » العباس
٦٨	اعتبار المحرم في حق المرأة .	»	» كره لمن خرج إلى الحج أن
٧٠	أن العبد لا يقوم مقام المحرم .	»	يقول إني حاج ، حتى يحرم
٧١	حجة من قال : لا يعتبر المحرم .	»	» كره أن يقول إني حاج
٧٢	ما جاء في المرأة تستأذن زوجها	مطلقا .	
»	في حجة الإسلام ، فلا	الباب الثاني	
»	يأذن لها .	في إيجاب الحج	
»	أن على الرجل أن يحج	٥٩	ما جاء دليلا على ذلك منظوما
»	بزوجته	ومفهوما .	
٧٣	» كراهية حج التطوع	٦٠	» أن الحج لا يجب إلا مرة
»	للمرأة .	٦٣	» استحباب تعجيل الحج
		٦٤	» استحباب تعهد البيت
			الحرام بالحج .
	الباب الرابع		
	في حج التابع غير المستقل بنفسه		الباب الثالث
٧٥	ما جاء في حج النساء والصبيان .		في شرائط الوجوب
٧٧	» التلبية عن النساء والصبيان	٦٥	ما جاء في اعتبار الزاد والراحلة
»	والرعى عن الصبيان .		في الوجوب
٧٨	» الصبي يحج ثم يبلغ .	»	» تفسير الاستطاعة .
»	والعبد يحج ثم يعتق .	٦٠	» استحباب حمل الزاد في
٧٩	» حج المسكاري .		طريق الحج .
»	التجارة في الحج .	٦٧	» أنه لا يجب الاقتراض
			للحج .

الصفحة	الأبواب والفصول
٩١	ما جاء في استحباب الإحرام إذا استوت به راحلته أخذاً في السير .
٩٢	حجّة من قال : يستحب الإحرام عقب الصلاة في مكانه .
٩٤	ما جاء في استحباب إحرام أهل مكة عند هلال ذى الحجة .
٩٥	حجّة من قال : إنما يستحب لهم الإحرام عند التوجه إلى الوقوف .
٩٧	فصول المواقيت المسكانية
	ما جاء في تعيين الأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها إلا بإحرام .
٩٩	حجّة من قال : يجوز الإهلال بالحج لأهل مكة من الحرم خارجاً عن مكة .
١٠٠	ما جاء فيمن قال : يطوف من أراد الإحرام من مكة قبل إحرامه
	» فيمن سلك طريقاً لم ينص فيها على ميقات
	حجّة من قال : إن ذات عرق منصوص عليه .
١٠٢	ما جاء في استحباب الإحرام عند مسجد الميقات .
	» استحباب ألا يتقدم بالإحرام على الميقات .
١٠٣	حجّة من قال : تقديمه قبل الميقات أفضل .
١٠٤	ما جاء في استحباب الإحرام من المسجد الأقصى .
١٠٥	ما جاء فيمن جاوز الميقات غير محرم .

الصفحة	الأبواب والفصول
	الباب الخامس
	في الحج عن الميت
٨٠	ما جاء في جوازه .
٨١	» » ثواب الحج عن الميت .
	حجّة من قال : لا يحج عن الميت
	الباب السادس
	في الحج عن المعصوب
٨٢	ما جاء في جوازه .
٨٣	» » وجوبه على المعصوب .
٨٦	» » ثواب من حج عن أبويه
	الباب السابع
	في شرط صحة النيابة
٨٤	ما جاء في أنه لا يحج عن الغير من لم يحج عن نفسه .
٨٨	» فيمن حج لذّر وعليه حجّة الإسلام
	الباب الثامن
	في المواقيت الزمانية والمكانية
	فصول المواقيت الزمانية
٨٩	ما جاء في وقت الإحرام بالحج .
٩٠	» » أنه يستحب لمن دخل عليه أشهر الحج وأراد الحج ألا يأخذ من شعره .
	» فيمن أحرم بالحج في غير أشهره .
	» في وقت الإحرام بالعمرة .

الصفحة	الأبواب والفصول
١٦٢	ما جاء في التوسعة في تركه .
» »	التجرد عن المحيط عند
» »	إرادة الإحرام .
» »	استحباب البياض في ثوب
» »	الإحرام .
» »	استحباب الأخذ من الشعر
» »	والظفر عند الإحرام .
١٦٣	فيمن كره ذلك .
» »	في التطيب للإحرام .
١٦٤	فيمن كره الطيب عند الإحرام
١٦٥	في الترجل للإحرام .
١٦٧	حجة من كره الطيب بما يبقى له جرم
» »	بعد الإحرام .
١٦٨	ما جاء فيمن كره الدهن للإحرام
» »	في تلييد الشعر للإحرام .
١٦٩	» » الصلاة عند إرادة الإحرام
» »	الوقت والحال المستحب
» »	للإحرام .
» »	استقبال القبلة للإهلال :
» »	التسبيح والتحميد والتكبير
» »	قبل الإهلال :
١٧٠	» » استحباب الاشتراط في
» »	الإحرام .
» »	التلبية والإكثار منها
١٧١	» » رفع الصوت بها .
١٧٣	» » كراهة ذلك للمرأة .
» »	فيمن كره ذلك بين البيوت .

الصفحة	الأبواب والفصول
	الباب التاسع
	في وجوه أداء النسكين
١٠٦	ما جاء في التخيير بين أنواع النسك
» »	الإفراد .
١٠٧	» » التمتع .
١١٢	» » فيمن أحرم بالعمرة قبل أشهر
الحج ، ثم دخل مكة	
في أشهره :	
» » في العبد إذا تمتع بإذن سيده .	
» » إباحة صوم أيام التشريق	
للمتمتع إذا لم يجد الهدى .	
» » القرآن .	
١٢٨	» » أن القارن يجزئه طواف
واحد وسعى واحد للنسكين	
١٢٩	حجة من قال : على القارن طوافان
وسعيان .	
١٣٠	ما جاء في إطلاق الإحرام :
١٣١	» » لبهام الإحرام .
١٣٢	» » فيمن أهل بحجتين :
	الباب العاشر
١٣٣	في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم
١٦٠	ما جاء في عدد حجه صلى الله
عليه وسلم	
	الباب الحادي عشر
	في سنن الإحرام
١٦١	ما جاء في الغسل للإحرام .

الصفحة	الأبواب والفصول
١٧٣	ما جاء في كيفية التلبية .
١٧٦	» » بدو التلبية .
» »	» انعقاد الإحرام بمجرد النية ، وكراهية تسمية النسك في التلبية .
١٧٧	ذكر حجة من استحب ذكر النسك في التلبية
١٧٨	ما جاء في استحباب الصلاة على النبي والدعاء عقيب التلبية .
» »	» من أحوال جرت لبعض الخائفين عند التلبية .
١٧٩	» » في المواطن التي تستحب فيها التلبية .
١٨٠	» فيما إذا رأى شيئاً معجباً قال ليلىك إن العيش عيش الآخرة
» »	» فيمن رأى التلبية لمن لم يحرم موافقة للمحرمين
» »	» أنه يستديم التلبية في الحج إلى أن يرمى جمرة العقبة
١٨١	حجة من قال : يمسك عن التلبية إذا دخل الحرم ، ويقطعها إذا توجه إلى عرفة .
١٨٣	ما جاء في التلبية في الطواف .
حجة من قال إنما يقطعها إذا راح إلى الوقوف بعد الزوال .	
ما جاء متى يقطع التلبية في العمرة .	
الصفحة	الأبواب والفصول
١٨٣	ما جاء فيمن لبى بعد ذلك .
حجة من قال : يقطعها إذا دخل الحرم .	
١٨٤	ما جاء في كراهية ضرب الخادم في الإحرام .
١٨٦	» » اجتنب المحرم الحدال في الحج .
١٨٧	» » استحباب ترك فضول الكلام للمحرم
	الباب الثاني عشر
	في محظورات الإحرام
	فصول اللباس
١٨٨	ما جاء فيما يحرم من اللباس على المحرم
١٩١	» » في إباحة تغطية المحرم وجهه .
» »	» فيمن منع ذلك .
» »	» في إباحة السر او يلبس لمن لم يجد الإزار ، والخف لمن لم يجد النعلين
» »	» إباحة لبس الخفين للنساء مطلقاً .
١٩٣	» » فيمن رخص في الخف في الدجلة .
» »	» في إباحة الثبان .
» »	» القباء .
» »	» فيمن كره عقد الرداء للمحرم .

الصفحة	الأبواب والفصول
١٧٣	ما جاء في كيفية التلبية .
١٧٦	» » بدو التلبية .
» »	» انعقاد الإحرام بمجرد النية ، وكراهية تسمية النسك في التلبية .
١٧٧	ذكر حجة من استحب ذكر النسك في التلبية
١٧٨	ما جاء في استحباب الصلاة على النبي والدعاء عقيب التلبية .
» »	» من أحوال جرت لبعض الخائفين عند التلبية .
١٧٩	» » في المواطن التي تستحب فيها التلبية .
١٨٠	» فيما إذا رأى شيئاً معجباً قال ليلىك إن العيش عيش الآخرة
» »	» فيمن رأى التلبية لمن لم يحرم موافقة للمحرمين
» »	» أنه يستديم التلبية في الحج إلى أن يرمى جمرة العقبة
١٨١	حجة من قال : يمسك عن التلبية إذا دخل الحرم ، ويقطعها إذا توجه إلى عرفة .
١٨٣	ما جاء في التلبية في الطواف .
حجة من قال إنما يقطعها إذا راح إلى الوقوف بعد الزوال .	
ما جاء متى يقطع التلبية في العمرة .	

الصفحة	الأبواب والفصول
٢٠٢	ما جاء في درس الطيب إذا انقطع ريحه .
٢٠٣	ما جاء فيمن أباح للمحرم أكل الطعام المطيب .
»	في التطيب ناسيا أوجاهلا .
»	التوسعة في استصحاب طيب الإحرام .
٢٠٥	» » العصفور والخناء .
٢٠٦	» » استرسال حكم الإحرام على من مات محرما .
٢٠٧	حجة من قال : ينقطع حكم الإحرام بالموت .
	فصول الخلق والقلم
	ما جاء في قطع الشعر وإباحته للمحرم .
٢٠٩	ما جاء فيما ياكل به الدم من قطع الشعر .
٢١٠	» » في استواء العمدة والخطأ في الإتيان .
»	» المحرم يأخذ من شعر الحلال .
٢١١	» » المحرم ينكسر ظفروه أو يشقكي ضرسه .
	فصول الجماع ومتعلقاته سابقا ولاحقا
	ما جاء في نكاح المحرم .
٢١٣	» » جماع المحرم بالحج .
٢١٤	» » فيمن جامع بين التحللين .
٢١٥	» » في جامع المحرم بعمرة .

الصفحة	الأبواب والفصول
١٩٤	ما جاء فيمن وسع فيه » » أحرم في الخيط أنه ينزعه من قبل رأسه ولا يشقه ، وأن الجهل عذر تسقط به الفدية .
١٩٥	» » المحرم يغطي رأسه ناسيا .
»	» المنطقة والهميان والخاتم والتقلد بالسيف .
١٩٦	» » لبس الثياب المصبغة بغير الطيب
١٩٧	» » فيمن كره ذلك .
١٩٨	ما جاء في المصبوغ بطيب انقطع ريحه وردعه
»	» سدل المرأة شيئا على وجهها دون مباشرة .
»	» الاستظلال للمحرم راكبا ومستقرا .
١٩٩	» » فيمن كره الاستظلال للمحرم .
	فصول الطيب
٢٠٠	ما جاء : تحريم الطيب على المحرم ، والعذر بالجهل .
٢٠٢	» » التوسعة في شم الرياح والشيخ والقيصوم .
»	» التوسعة فيمن أصابه خلوق الكعبة .

الصفحة	الأبواب والفصول	الصفحة	الأبواب والفصول
٢١٥	ما جاء فيمن جامع بعد الطواف بالبيت قبل السعى أو بعده وقبل أن يقصر في العمرة	٢٢٨	جزاء القنفذ .
٢١٦	» فيمن تكرر منه الجماع :	» أم حنين .	
» في الحرم يقبل ويلمس بشهوة .		٢٢٩	» صغار الصيد ومعيبه .
٢١٧	» في النظر بشهوة حتى يمتنى .	٢٣٠	» الطير من الحمام وغيره .
فصول الصيد .		» » الجراد .	
ما جاء في تحريم قتل الصيد والإعاقة عليه بقول أو فعل .		٢٣١	» فيمن أوجب فيه الجزاء .
٢١٩	» فيمن سوى بين الخطأ والعمد :	٢٣٢	» » افترش الجراد في طريقه .
» » قال ليس في الخطأ شيء		» في بيض الصيد .	
» في تحريم لحم الصيد على المحرم ولو كان الصائد حلالا .		٢٣٤	» » اعتبار عدلين في الحكم بالمثل .
٢٢٣	حجة من قال : لا يحرم على المحرم من لحم الصيد إلا ما صيد له :	» » العمل إذا عدم الجزاء .	
٢٢٥	ما جاء في جزاء الصيد .	٢٣٥	» » جماعة يشتركون في قتل صيد .
جزاء النعام .		٢٣٦	» فيمن قال : على كل واحد منهم جزاء .
» بقر الوحش .		» في الصيد يتوالد في أيدي الناس ويأهل بالقرى .	
» الإبل .		» » صيد البرك والأنهار .	
٢٢٦	» الضبع .	» » المضطر يجد صيدا وميته وهو محرم .	
» الغزال .		٢٣٧	ما جاء في المحرم يأخذ الصيد ثم يطلقه .
٢٢٧	» الأرنب .	» » المحرم يضرب الصيد ثم لا يدرى ما يفعل .	
» اليربوع .		» » أين يفرق جزاء الصيد .	
» الثعلب .			
٢٢٨	» الفضب .		
» الوبر .			

الصفحة	الأبواب والفصول
٢٥٢	ما جاء فيمن وصع في دخولها ليلا .
»	في مصلى رسول الله الصبح
»	يوم دخول مكة
٢٥٣	» بيان اليوم الذي دخل فيه
»	رسول الله صلى الله عليه
»	وسلم مكة .
»	من أين يدخل مكة .
٢٥٤	» في استحباب التواضع لدخل
»	مكة .
٢٥٥	» الدعاء عند رؤية البيت .
»	استحباب رفع اليد في
٢٥٦	الدعاء عند رؤية البيت
٢٥٧	حجة من كره ذلك .
»	ما جاء في المفزل بمكة .
٢٥٨	» استحقاق الحاج سكنى
»	بيوت مكة من غير أجر .
٢٥٩	» فيمن قال : لا يدخل أحد
»	الحرم إلا وهو محرم .
»	حجة من قال : يجوز الدخول بغير
»	إحرام .
	الباب الخامس عشر
	في الطواف بالبيت
٢٦١	ما جاء في أصل الطواف .
	ما جاء في طواف القدوم واستحباب
	ألا يعرج على شيء بعد
	دخول مكة قبله .

الصفحة	الأبواب والفصول
	الباب الثالث عشر
	فيما رخص فيه للمحرم .
٢٣٨	ما جاء في تبديل ثوب الإحرام
٢٣٩	» الغسل للمحرم .
٢٤١	» فيمن كره الغسل للمحرم .
»	في حك المحرم رأسه وجسده .
٢٤٢	» الدهن غير المطيب .
»	الكحل غير المطيب .
٢٤٣	» النظر في المرأة .
٢٤٤	» حمل السلاح للمحرم .
٢٤٥	» الحجامة للمحرم .
	حجة من منع الحجامة .
	ما جاء في فزع الدم والقرحة ونزع
	الضرس ، وقطع العرق .
٢٤٦	» قتال المحرم من حل به .
»	فيما أبيح قتله من الحيوان
	في الحرم والإحرام
٢٤٨	» في قتل القمل .
٢٤٩	» الذباب والنمل والقراد .
»	المحرم يقرد بغيره .
٢٥٠	» فيمن كره ذلك .
	الباب الرابع عشر
	في دخوله مكة وما سن فيه
٢٥١	ما جاء في استحباب النزول بذي طوى
	قبل دخول مكة والاعتسال
	للدخول والدخول نهارة

الصفحة	الأبواب والفصول
٢٧٢	ما جاء في عقوبة قوم أساءوا الأدب عند البيت .
٢٧٣	» فيمن كان يتكلم في الطواف ويفتى .
»	» في إباحة الضحك في الطواف
»	» » الشرب » »
»	» » الطواف على الراحلة
٢٧٦	» » كراهية الطواف على الخيل .
٢٧٧	» » إباحة الطواف في النعلين
٢٧٨	» » كراهية القيام في الطواف
»	» » التلثم » »
»	» » الحث على تقبيل الحجر واستلامه .
٢٨١	» » كيفية تقبيل الحجر .
٢٨٢	» » كيفية الاستلام .
٢٨٣	» » وضع اليدين على الحجر ومسح الوجه بهما .
»	» من أين يستلم الحجر .
٢٨٤	» » في السجود على الحجر .
»	» استحباب استلام الحجر والركن اليماني في كل طوفة
»	» » المزاحمة على الحجر .
٢٨٥	حجة من لم ير المزاحمة .
٢٨٦	ما جاء في الاستلام بالعصا والمحجن وكيفيةهما .
»	» في الإشارة بالاستلام .

الصفحة	الأبواب والفصول
٢٦٢	ما جاء في التوسعة لمن جاء مراهقا في ترك طواف القدوم .
٢٦٣	» » الطواف قبل الوقوف لمن أحرم بمكة .
٢٦٤	» فيمن قال : لا يطوف حتى يرجع من عرفة .
»	» في اشتراط الطهارة في الطواف .
٢٦٥	» » في اشتراط ستر العورة في الطواف .
٢٦٦	» » اشتراط جعل البيت عن يساره ، ويطوف على يمينه والابتداء من الحجر الأسود
»	» » اشتراط الطواف من وراء الحجر
٢٦٧	» » اشتراط استكمال سبعة أطواف .
٢٦٨	» » إباحة قطع الطواف لعارض .
»	» فيمن قال : يستأنف إذا قطع لرعاف ونحوه .
٢٦٩	» » في إباحة القعود في الطواف للاستراحة .
»	» » إباحة الخروج من طواف التطوع .
»	» » إباحة الكلام في الطواف
٢٧١	» » أولوية تركه بل كراهيته ولزوم الأدب حول البيت .

الصفحة	الأبواب والفصول
٣٠٣	ما جاء فيمن رمل السبع كله .
» »	» لم ير الرمل لمن أحرم بالحج من مكة .
» »	ما جاء في الاضطباع في طواف الحج والعمرة .
٣٠٤	» » هيئة المشي في الطواف .
٣٠٥	» » أذكار الطواف وفضل الذكر فيه
٣٠٧	ما يقال عند استلام الحجر .
٣٠٨	ما جاء في التكبير كلما حاذى الحجر
» »	» رفع اليدين بالتكبير عند محاذاة الحجر إذا حبل بينه وبينه .
٣٠٩	ما يقال عند استلام الركن اليماني .
٣١٠	» » بين الركنين اليمانيين .
» »	» عند محاذاة الميزاب .
٣١١	ما جاء في تلاوة القرآن في الطواف
٣١٢	» » سجود التلاوة في الطواف
» »	» أن شرعية الطواف لإقامة ذكر الله تعالى .
٣١٣	» » الملتزم وثنائه وتسميته بالخطيم ، وإجابة الدعاء عنده ، وكيفية الوقوف للدعاء .
٣١٨	» » فيمن كره وضع الوجه على البيت كهيئة للساجد .
» »	» في كراهية أن يلصق ظهره إلى السكبة .

الصفحة	الأبواب والفصول
٢٨٧	ما جاء في تقبيل الركن اليماني ووضع الخد عليه .
» »	» أن مسح الركنين اليمانيين يحط الخطايا .
» »	» استلام جميع الأركان .
٢٨٩	حجة من لم ير ذلك .
٢٩٠	ما جاء في العلة التي لأجلها ترك استلام ما سوى الركنين اليمانيين .
» »	» استلام غير الأركان من البيت .
٢٩١	» » التشديد في ترك الاستلام
» »	» التوسعة في تركه :
» »	» كراهية الاستلام للنساء .
٢٩٢	» » التوسعة لمن حال الخلوة
» »	» فضل الحجر .
٢٩٥	» » استلام الحجر قبل الصلاة المكتوبة وبعدها ، وأول من فعل ذلك من الأئمة .
» »	» فضل الركن اليماني .
٢٩٦	» » الرمل في طواف الحج والعمرة .
٢٩٩	» » أنه ليس على النساء رمل .
» »	» في استحباب الرمل من الحجر إلى الحجر :
» »	» حجة من قال : يمشي بين الركنين اليمانيين وبيان سبب الرمل

الصفحة	الأبواب والفصول
٣٣١	ما جاء في تفضيل الطواف على الصلاة .
٣٣٢	ما جاء في تفضيل الطواف على العمرة .
٣٣٤	» » فضل البيت .
٣٣٧	» » قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس » .
٣٤٠	ما جاء في قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » .
	ذكر سبب تسميته بالبيت العتيق
	في قوله تعالى « ثم محلها إلى البيت العتيق » .
٣٤١	ما جاء في فضل النظر إلى الكعبة .
	» » ركعتي الطواف وما يقرأ فيهما ، واستحبابهما خلف مقام إبراهيم عليه السلام ،
	بما يقال عند المقام .
٣٤٢	» » بدء الصلاة خلف المقام
٣٤٣	» » بدء وقوف إبراهيم على المقام حتى سمى مقاما .
٣٤٤	» » موضع المقام في عهد النبي وقبله وبعده .
٣٤٨	ذكر مواضع حول البيت روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها .
٣٥٢	ما جاء في جواز أداء ركعتي الطواف خارجا من المسجد .

الصفحة	الأبواب والفصول
٣١٨	ما جاء في التعوذ عند ظهر الكعبة ويقال له المستجار .
٣١٩	» » الدعاء تحت الميزاب .
» »	كراهية أن يقود أحدا
	بخيطة أو نحوه .
» »	طواف النساء ناحية من الرجال :
٣٢٠	» » إباحة إخلاء المسجد لطواف للنساء ذوات الأقدار .
» »	كراهية طواف الجذوم مع الناس .
» »	أن الطواف لا يكره في وقت .
٣٢٢	حجة من منع الطواف في الوقت المكروه .
	حجة من أباح طوافا واحدا أو منع الصلاة .
	ما جاء في فضل الطواف والحث عليه والإكثار منه .
٣٢٩	» » في طواف سفينة نوح زمن الفرق .
» »	طواف حية بالبيت .
٣٣٠	» » فضل الطواف عند طلوع الشمس وعند غروبها .
» »	فضل الطواف في المطر .
٣٣١	» » » » في شدة الحر

الصفحة الأبواب والفصول
 ٣٦٥ ما جاء في البداية بالصفائح بالمرورة
 والرقى عليهما حتى يرى
 البيت واستقبال القبلة والدعاء
 عليهما ورفع اليدين فيه .
 ٣٦٦ ما جاء فيما يقال على الصفا والمرورة
 ٣٦٧ في رفع اليد بالذكر والدعاء
 على الصفا .
 ٣٦٨ فيما يقال بين الصفا والمرورة
 في شدة السعى في بطن
 الوادى .
 ٣٧٠ أن السعى في بطن الوادى
 لا يستحب للنساء .
 ترك الرجل السعى في
 بطن الوادى للعذر .
 أنه صلى الله عليه وسلم سعى
 ماشيا .
 أنه صلى الله عليه وسلم سعى
 راكبا .
 ٣٧٣ في الاضطباع في السعى .
 أنه لا يشترط الطهارة
 في السعى .
 ٣٧٤ فيمن وسع في ترك الموالاة
 الباب السابع عشر
 في التوجه من مسكة إلى منى إلى
 الموقف وسنن ذلك
 ١٧٥ ما جاء في خطبة الإمام يوم السابع .
 ٣٧٦ وقت التوجه إلى منى من
 يوم التروية .

الصفحة الأبواب والفصول
 ٣٥٣ ما جاء فيمن ختم القرآن في ركعات
 الطواف .
 ٣٥٤ الدعاء عقيب ركعتي
 الطواف .
 أنه لا يزيد على الركعتين
 فيمن قال : يزيد عليهما .
 في الجمع بين أسابيع ، ثم يصلى
 لكل أسبوع ركعتين .
 ٣٥٥ حجة من منع ذلك .
 ما جاء في أن المكتوبة لا تجزى عن
 ركعتي الطواف .
 ٣٥٦ فيمن قال تجزى المكتوبة
 عنهما .
 ٣٥٧ فيمن نسي ركعتي الطواف
 حتى نفر .
 في الاستلام بعد الفراغ من
 الركعتين والشرب من ماء
 زمزم .
 ٣٥٨ كراهية التمسح بالمقام .
 القيام عند باب المسجد
 عند الخروج منه للدعاء .
 الباب السادس عشر
 في السعى
 ٣٥٩ ما جاء في سبب شرعية السعى .
 ٣٦١ وجوب السعى .
 ٣٦٣ حجة من نفي وجوب السعى .

الصفحة	الأبواب والفصول
٤٠٢	ما جاء في خوف بعض الصادقين عندوقوفهم بعرفة :
٤٠٣	» » » التلبية يوم عرفة .
» » » صوم يوم عرفة .	
» » » كراهية صوم يوم عرفة بعرفة .	
٤٠٥	» » » فيمن صام يوم عرفة .
٤٠٦	» » » في الصلاة يوم عرفة .
» » » فضل يوم عرفة ، وإجابة الدعاء وتزل الرحمة على الواقعة فيه .	
٤١٠	ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان وقوفه بعرفة في حجته في يوم الجمعة .
» » » في فضل وقفة الجمعة	
» » » اجتماع جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر بعرفة	
٤١١	» » » اجتماع الخضر واللباس في الموسم وبعرفة
	الباب التاسع عشر
	في الإفاضة من عرفة ، والوقوف بالمزلفة
٤١٣	ما جاء في صفة سيره صلى الله عليه وسلم لما أفاض من عرفة
٤١٥	» » » فيما يقال حال الإفاضة من الذكر .
» » » في النزول دون مزدلفة للحاجة	
٤١٨	» » » مما يؤهم مضادة الحديث قبله

الصفحة	الأبواب والفصول
٣٧٨	ما جاء في فضل إحياء ليلة التروية
» » » فضل يوم التروية .	
٣٧٩	» » » فيمن خرج إلى منى قبل يوم التروية .
» » » في التوجه من منى إلى عرفة وما يقال حينئذ .	
٣٨٠	» » » الفزول بنمرة .
	الباب الثامن عشر
	في الوقوف بعرفة
٣٨١	ما جاء في مكان الوقوف ، وبيان موقف النبي صلى الله عليه وسلم .
٣٨٧	» » » الوقوف بالمساجد تشبها بالواقفين بعرفة .
٣٨٨	» » » وقت الوقوف .
٣٩١	» » » الكافر إذا أسلم بعرفة .
٣٩٢	» » » خطبة الإمام يوم عرفة .
٣٩٣	» » » الجمع بين الظهر والعصر بعرفة .
٣٩٤	» » » قصر الصلاة بعرفة .
٣٩٥	» » » الغسل للوقوف .
٣٩٦	» » » الدعاء يوم عرفة وفضله ، والحث عليه .
٤٠١	» » » رفع اليدين في الدعاء بعرفة والوقوف راكبا .

الصفحة	الأبواب والفصول	الصفحة	الأبواب والفصول
٤١٨	ما جاء في الوقوف للمسئلة حال الإفاضة	٤٢٧	ما جاء في وقت الإفاضة .
٤٢٠	أن المزدلفة كلها موقف ، وبيان موقفه صلى الله عليه وسلم منها .	٤٢٨	حجة من قال : يجوز الدفع بعد نصف الليل .
٤٢١	في الجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة .	٤٣٠	ما جاء في التلبية حال الإفاضة من جمع الى منى .
٤٢٢	أنه يجمع بينهما بأذان واحد وإقامتين .	٤٣١	أمره صلى الله عليه وسلم بالسكينة حال الدفع
٤٢٣	يجمع بينهما بأذان واحد وإقامة واحدة .	٤٣٢	الإسراع في وادى محسر
٤٢٤	يجمع بينهما بأذنين وإقامتين	٤٣٣	وقت رمى جمرة العقبة .
٤٢٥	يجمع بينهما بإقامتين دون أذان .	٤٣٤	حجة من قال : يجوز الرمي قبل الفجر وبعد نصف الليل .
٤٢٦	أنه يجمع بينهما بإقامة واحدة دون أذان .	٤٣٥	ما جاء في جواز رمى يوم النحر في ليلة القر :
٤٢٧	يجمع بينهما بغير أذان ولا إقامة .	٤٣٦	ما جاء من أين يلتقط حصى الجمار
٤٢٨	في التلبية بالمزدلفة .	٤٣٧	في أن ما تقبل من الجمار يرفع .
٤٢٩	إحياء ليلة العيد .	٤٣٨	قدر ما يرمى به من الحصى
٤٣٠	التكبير بالصبح بالمزدلفة	٤٣٩	رمي جمرة العقبة على الراحلة
٤٣١	وقت الوقوف بالمزدلفة	٤٤٠	كيفية الرمي .
٤٣٢	فيما يتفضل الله به في غداة جمع على الواقفين بها .	٤٤١	كيفية الوقوف لرمي جمرة العقبة ورميها من بطن الوادى .
٤٣٣	في جواز الوقوف قبل وقوف الإمام وقبل الفجر .	٤٤٢	عدد حصى الجمرة :

الصفحة	الأبواب والفصول
٤٤٨	ما جاء في مكان النحر في الحج والأمرة .
٤٤٩	» ذكر الأضحية بمنى يوم النحر .
٤٥٠	» فيمن ترك الأضحية بمنى .
	» في الاختلاف في الذبيح :
	هل هو إسحاق أو إسماعيل
	الباب الثاني والعشرون
	في الخلق والتقصير
٤٥١	ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم خلق في حجة الوداع .
	» في فضل الخلق على التقصير
٤٥٣	» استحباب تقديم الرمي ثم النحر ثم الخلق ، وكيفية الخلق وتفريقه شعره صلى الله عليه وسلم بين الناس
٤٥٤	» أين يبلغ بالخلق من الرأس .
	» في كيفية التقصير .
٤٥٦	» استحباب أخذ المتحلل بالخلق أو التقصير من لحيته وشاربه .
٤٥٧	» فيمن قال يجب على الملبد الخلق .
	» اعثر مع ذلك النية .
	» في نهى النساء عن الخلق وأمرهن بالتقصير .

الصفحة	الأبواب والفصول
٤٤٠	ما جاء في العفو عن حصاة .
٤٤١	» التكبير مع كل حصاة .
	» فيما يقال عند رمي الجمرة .
	» في أن ما رمى به وتر .
٤٤٢	» فيمن رمى الجمرة من فوقها لأنه لا يقف عندها .
	» في وقوف الإمام للمسئلة للناس بعد الرمي
	الباب الحادي والعشرون
	في النحر
٣٤٣	ما جاء في فضل إراقة الدم يوم النحر .
	» فيمن قال : يصلي ركعتين عند الذبيح بمنى ، ومن كره ذلك
	» في نحر الإبل قياما .
٤٤٤	» كيفية نحر الإبل وتوجيهها إلى القبلة ،
٤٤٥	» فيمن نحرها بركة
	» في أن البقر والغنم تذبح ولاننحر .
٤٤٦	» نحر ما يذبح ، وذبح ما ينحر ،
	» الأمر بالإحسان في الذبح فيما يجوز الذبح به .
٤٤٧	» في وقت النحر :

الصفحة الأبواب والفصول
 ٤٦٤ ما جاء في المرأة الحائض تشرب
 الدواء ليرتفع حيضها
 حتى تطوف وتنفر .
 ٤٦٦ الباب الرابع والعشرون
 في جواز تقديم بعض النسك على بعض
 ٤٦٩ حجة من منع تقديم بعض النسك على
 بعض وأوجب به القدية .
 ٤٧٠ الباب الخامس والعشرون
 فيما يحل بالتحلل الأول أو الثاني
 ٤٧١ حجة من قال بإباحة الطيب بالتحلل
 الأول .
 ما جاء في الرجل يزور البيت ثم
 يواقع أهله قبل أن يرجع
 إلى منى .
 ٤٧٢ « أن من أمسى ليلة القر ولم يفيض
 عاد حراما كما كان .
 الباب السادس والعشرون
 في فضل يوم النحر وبقية أعماله
 ٢٧٣ ما جاء في فضل يوم النحر ، وأنه
 يوم الحج الأكبر .
 ٤٧٨ « تنزيل الإمام الناس منازلهم
 ٤٨٠ « منع البناء بمنى
 « خطبة يوم النحر .
 ٤٨٢ « تكبير يوم النحر .

الصفحة الأبواب والفصول
 ٤٥٧ ما جاء في قدر ما تأخذ المرأة من
 رأسها .
 ٤٥٨ « قوله تعالى « ثم ليقتضوا
 نفوسهم » .
 « أن الحلق نسك .
 ٤٥٩ حجة من قال : ليس بنسك ،
 ولا يقف التحلل عليه .
 الباب الثالث والعشرون
 في طواف الإفاضة
 ٤٦٠ ما جاء أنه ركن لا يجبر بالدم .
 ٤٦١ « في وقت طواف الإفاضة
 واستحباب تعجيله يوم
 النحر .
 ٤٦٤ « أنه لا يرمل في طواف
 الإفاضة
 « أن القارن يجزئه طواف
 واحد .
 « فيمن قال : يطوف القارن
 طوافين وسعيين :
 « في استحباب تعجيل الإفاضة
 للنساء
 « « استحباب الإفاضة في
 أيام التشريق لمن فاته يوم
 النحر .
 « « المرأة تحيض وقد طافت
 خمسة أطواف من طواف
 الزيارة .

الصفحة	الأبواب والفصول
٥٣٠	ما جاء في عدد أيام منى وأنها أيام أكل وشرب .
	» » قصر الصلاة أيام منى لجميع الحاج .
٥٣٢	ذكر سبب إتمام عثمان الصلاة بمنى
٥٣٤	ذكر حجة من قال : يجب الإتمام على غير الآفاق .
	ما جاء في أنه لاجمة على أهل منى .
	» » التجارة أيام منى .
٥٣٥	» » الخطبة في اليوم الأول من أيام التشريق
	» » الخطبة يوم النفر الأول لوداع الحاج .
٥٣٧	» » جواز تعجيل النفر .
٥٣٨	» » فضل مسجد الخيف واستحباب الصلاة فيه .
٥٣٩	» » ذكر الغبار الذي أنزلت فيه سورة المرسلات .
٥٤٠	» » مسجد الكعبش .
	» » فضل السرحة التي بين الأخشبين من منى .
٥٤١	» » صوم أيام التشريق .
	» » انساع منى للحاج ، ولم سميت منى ؟ .

الصفحة	الأبواب والفصول
٥٢٢	ما جاء في كنز الكعبة .
	» » تطيب الكعبة .
	الباب الثلاثون
	في عمل أيام منى
٥٢٣	ما جاء في سبب الرمي في هذه الأيام
	» » وقت الرمي في هذه الأيام
٥٢٥	» » الدعاء إذا رمى الجمرتين الأوليين دون جرة العقبة ورفع اليدين فيه .
٥٢٦	» » الرخصة في ترك القيام عند الجمار يوم النفر
	» » استحباب استكمال رمي أيام التشريق : وأن يرمي الجمار ماشيا .
	» » استحباب الغسل للرمي .
٥٢٨	» » الرمي عن المريض .
	» » الرخصة لرعاء الإبل ومن في معناتهم في ترك رمي يوم إلى آخر .
	» » كيفية قضاء الرمي لأهل العدر .
٥٢٩	» » أول من رمى الجمار وسببه .
٥٣١	» » استحباب زيارة البيت أيام منى ولياليها .

الصفحة	الأبواب والفصول
	الباب الثالث والثلاثون
	في طواف الوداع
٥٥٢	ما جاء في وجوبه ووقته ، والتوسعة
	على الحائض في تركه .
٥٥٤	» » أن الحائض لا تعذر ،
	وأن طواف الإفاضة
	لا يجزئ عن طواف
	الوداع .
٥٥٥	» » طواف الوداع على المعتمر
	» » لإجزاء طواف العمرة
	عن الوداع .
٥٥٧	» » دعاء الوداع بعد الطواف
	في الملتزم .
	» » أدعية الحاج إذا رجع
	إلى أهله .
٥٥٨	» » الدعاء للحاج إذا قدم ،
	وسؤال الدعاء منه .
٥٥٩	الباب الرابع والثلاثون
	في ما على من ترك نسكا
٥٦٠	ما جاء في أين تكون الفدية الواجبة
	في النسك .
	الباب الخامس والثلاثون
	في الهدى
٥٦١	ما جاء في فضل الهدى .
	» فيما يهدى من الأنعام .
٥٦٥	» » في اختيار الهدى .
	» سن الهدى .

الصفحة	الأبواب والفصول
	الباب الحادي والثلاثون
	في المبيت ليالى منى
٥٤٢	ما جاء في وجوب استكمال المبيت
	في الليالى الثلاث .
٥٤٣	» » حدود منى .
٥٤٤	» » الرخصة لأهل السقاية
	في ترك المبيت .
	» » الرخصة في ترك المبيت
	لرعاة الإبل .
٥٤٥	» » إلحاق من في معنى الرعاء بهم
	الباب الثاني والثلاثون
	في النفر والتحصيب
٥٤٦	ما جاء في شرط جواز النفر الأول
	» » نزول المحصب .
٥٤٩	حجة من لم ير التحصيب سنة .
٥٥٠	ذكر مدة إقامة النبي صلى الله عليه
	وسلم في حجته من حين
	دخل مكة إلى أن خرج عنها
٥٤٦	ما جاء في مدة إقامة الحاج بعد قضاء
	نسكه .
	» » استحباب ختم القرآن
	للحاج .
	» » استحباب التعجيل إلى
	الأهل .

الصفحة	الأبواب والفصول
٥٧٨	ما جاء فيما يمنع من الهدى :
»	في الرخصة وادخار لحم الهدى .
	الباب السادس والثلاثون
	في القوات والإحصار
٥٧٩	ما جاء فيما يفعله من فاته الحج .
٥٨٠	» فيمن قال : ليس عليه هدى .
٥٨١	» في الحصر بعدو .
»	فيمن أحصر ، فلم يتحلل حتى فاته الحج .
٥٨٢	» في نحر المحصر قبل حلقه .
»	» أن المحصر لا قضاء عليه ، وينحر هديه حيث أحصر .
»	فيمن قال : لا قضاء عليه ، لكن يبعث الهدى إن استطاع .
٥٨٣	حجة من قال : يجب القضاء على المحصر .
	ما جاء فيمن قال : إذا ذبح الهدى حيث أحصر أبدله في القضاء .
»	فيمن قال : لا يتحلل المحصر في العمرة .
٥٨٥	» فيمن لدغ فأحصر .
	ما جاء في أن المحصر بمرض لا يتحلل إلا أن يكون قد شرط .

الصفحة	الأبواب والفصول
٥٦٦	ما جاء في إهداء الذكر .
»	» تقليد الهدى وإشعار البدن والبقر ، وفي أى جانب يشعرها .
٥٦٨	» التسمية والتكبير عند الإشعار .
»	» سوق الهدى من الميقات .
»	» اشتراء الهدى من الطريق .
»	» الوقوف بالهدى بعرفة .
»	» فيمن لم ير وجوب التعريف .
٥٦٩	» في تجليل الهدى ، والتصدق بجلاله .
»	» التصدق بجميع لحوم الهدايا إذا نحرته .
»	» قسمة لحوم الهدايا .
٥٧١	» فيما يصنع بالهدى إذا عطب قبل الحل .
٥٧٢	» الاشتراك في الهدى .
٥٧٤	» في أن سبعا من الغنم تقوم مقام البدنة .
	ما جاء أن المهدي لا يحرم عليه شيء .
٥٧٥	» في ركوب الهدى .
٥٧٦	» المنع من بيع الهدى .
»	» الهدى إذا ضل .
٥٧٧	» فيما استيسر من الهدى .

الصفحة	الأبواب والفصول
٥٨٦	ما جاء فيمن قال : يجوز التحلل بعذر المرض من غير شرط .
٥٨٧	» فيمن قال : لا يحل المحصر بالمرض حتى يطوف بالبيت ولو شرط .
٥٨٨	» في المرأة تحرم بغير إذن زوجها فيمنعها .
الباب السابع والثلاثون	
	في فسخ الحج
٥٨٩	ما جاء في جواز فسخ الحج إلى العمرة .
٥٩٠	» فيمن قال : بالمنع منه .
٥٩١	» في اختصاص الصحابة بالفسخ عامئذ .
	حجة من قال : بعموم جواز الفسخ إلى اليوم .
٥٩٣	ما جاء من الاختلاف في نسك عائشة والتوفيق بين المختلف بقدر الإمكان .
الباب الثامن والثلاثون	
	في العمرة
٦٠٢	ما جاء في فضلها والحث عليها .
»	» وجوب العمرة .
٦٠٤	حجة من قال : لا تجب مطلقا .
٦٠٤	ما جاء في عدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ووقت اغتاراه .
٦٠٦	» أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر قبل حجه .
»	في إباحة تكرار العمره في الطواف .
٦٠٨	» فيمن قال : العمرة مرة في السنة .
»	في عمرة رمضان .
٦١٣	» » العمرة في ذى القعدة (صوابه : شوال) .
»	فيمن استحب العمرة في الحرم .
»	في عمرة رجب .
٦١٥	» » عمرة الجعرانة .
٦١٨	» » عمرة الحديبية وعمرة القضية .
٦٢١	» » عمرة التمتع .
٦٢٤	» » العمرة في أشهر الحج .
٦٢٥	حجة من كره العمرة في أشهر الحج .
٦٢٦	ما جاء في إقامة المعتبر بعد عمرته .
»	» عمرة الحريق .
الباب التاسع والثلاثون	
	في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه ، والصلاة عليه .
٦٢٧	ذكر زيارته صلى الله عليه وسلم .

الصفحة	الأبواب والفصول
٥٨٦	ما جاء فيمن قال : يجوز التحلل بعذر المرض من غير شرط .
٥٨٧	» فيمن قال : لا يحل المحصر بالمرض حتى يطوف بالبيت ولو شرط .
٥٨٨	» في المرأة تحرم بغير إذن زوجها فيمنعها .
الباب السابع والثلاثون	
	في فسخ الحج
٥٨٩	ما جاء في جواز فسخ الحج إلى العمرة .
٥٩٠	» فيمن قال : بالمنع منه .
٥٩١	» في اختصاص الصحابة بالفسخ عامئذ .
	حجة من قال : بعموم جواز الفسخ إلى اليوم .
٥٩٣	ما جاء من الاختلاف في نسك عائشة والتوفيق بين المختلف بقدر الإمكان .
الباب الثامن والثلاثون	
	في العمرة
٦٠٢	ما جاء في فضلها والحث عليها .
»	» وجوب العمرة .
٦٠٤	حجة من قال : لا تجب مطلقا .

الصفحة	الأبواب والفصول	الصفحة	الأبواب والفصول
٦٤٤	حجة من أباح ذبحه وأكله، وأثبت الملك فيه .	٦٣٠	ذكر ما جاء في السلام عليه صلى الله عليه وسلم .
٦٤٥	ما جاء فيمن أصاب حداً ، ثم لجأ إلى الحرم .	٦٣١	ما جاء في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .
	حجة من قال لا يقيم عليه الحد فيه ، ما جاء فيما يجب في قطع الشجرة الحرمية .	٦٣٣	أن الملائكة تحف بقبره صلى الله عليه وسلم ، وتصلى عليه .
٦٤٦	في حمل السلاح في الحرم .		في زيارة قبور الشهداء .
	احتكار الطعام في الحرم .		الباب الأربعون
	الإلحاد في الحرم .		في فضل الحرمين وبيت المقدس
	أجور رباة مكة .	٦٣٥	ما جاء في تعظيم حرم مكة وتحريمه وقدم حرمة ، ثم تحليله للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار ، ثم نسخ التحليل وعود حرمتها كما كانت .
٦٤٧	فضل مكة وحرمتها ، وأنها خير أرض الله عز وجل .	٦٤٣	الرجل يرسل كلبه في الحل فيأخذ في الحرم ، أو بالعكس
٦٤٨	ذكر أن الدجال لا يدخل مكة .		فيمن يمسك في الحرم صيدا لمصلحة فيموت في يده .
٦٤٩	ذكر ما جاء أن أهل مكة أهل الله عز وجل .		في جواز التنفير ، بشرط سلامة العاقبة .
٦٥٠	ذكر ما جاء في أسماء مكة .	٦٤٤	فيما يباح في الحرم والإحرام في الصيد يصاد في الحل ثم يدخل به الحرم .
٦٥١	ذكر حدود الحرم .		
٦٥٤	ذكر مقبرة الحرم .		
	ذكر أعيان المدفونين في المسجد الحرام .		
٦٥٥	فضل المسجد الحرام .		
٦٥٦	ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام .		
٦٥٧	بناء المسجد الحرام مخضرة .		
	إطلاق المسجد الحرام على الحرم كله .		

الصفحة الأبواب والفصول
 ٦٦٥ العاشر : مسجد بذي طوى .
 الحادى عشر : مسجد العقبة
 أو البيعة .
 الثانى عشر : مسجد الجعرانه .
 الثالث عشر : مسجد التنعيم .
 الرابع عشر : مسجد الكعبش بمعى
 الخامس عشر : مسجد بعرفة .
 السادس عشر : مسجد الخيف .
 السابع عشر : مسجد غار المرسلات
 الثامن عشر : غار جبل حراء .
 التاسع عشر : غار جبل ثور .
 ٦٦٥ ومما يناسب ذكره بعد المسجد
 الحرام ومتعلقاته ، الطائف
 ٦٦٦ ذكر فضل الطائف .
 ما جاء فى تحريم صيد وادى وج .
 ٦٦٧ ذكر ما جاء فى فضل المدينة .
 ٦٧٠ ذكر تسميتها طابة وطيبة .
 ذكر ما جاء فى تحريم حرم المدينة ،
 والحث على الصبر على
 لأوائها وكراهية الخروج
 منها .
 ٦٧٥ ما جاء فيما يجب فى قتل صيده ،
 وقطع شجره .
 » فضل مسجد المدينة
 والصلاة فيه .
 ٦٧٨ ذكر آداب زيارته صلى الله عليه
 وسلم .

الصفحة الأبواب والفصول
 ٦٥٨ ما جاء فى فضل الصوم فى الحرم :
 » تضعيف حسنات الحرم
 ٦٥٩ ذكر من قال : تضاعف السيئة
 بمكة
 ذكر ما جاء فى منع القص فى مسجد
 مكة .
 ذكر ما جاء فى كراهية النوم فيه .
 ٦٦٠ ذكر ما جاء فى التوسعة فيه .
 ذكر الجوار بمكة ، ومن أحبه ومن
 كرهه .
 ٦٦٤ ما جاء فى ذكر أماكن بمكة
 وحواليها يستحب زيارتها .
 والصلاة والدعاء فيها
 إرجاء وبركتها .
 الأول : الموضع الذى ولد فيه
 رسول الله .
 الثانى : بيت خديجة ، مسكنه
 صلى الله عليه وسلم .
 الثالث : مسجد دار الأرقم ، ويقال
 له دار الخيزران .
 الرابع : مسجد عند أول الردم .
 الخامس : مسجد الجن .
 السادس : مسجد الشجرة .
 ٦٦٥ السابع : عند سوق الغنم .
 الثامن : مسجد المتكأ بأجباد .
 التاسع ، مسجد على جبل أبى قبيس .

الصفحة	الأبواب والفصول	الصفحة	الأبواب والفصول
٦٧٩	ما جاء في فضل صلاة الجمعة بالمدينة .	٦٩٢	ما جاء في فضل بيت المقدس .
»	» فضل الصوم بها .	٦٩٣	» » فضل الصلاة فيه ، وإهداء الزيت إليه .
»	» ذكر بناء مسجد المدينة مختصرا .	»	» فضل كنيسة .
٦٨١	» أن الفضل الثابت لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لما يزيد فيه .	»	» فضل الموت في الأرض المقدسة .
»	» فضل المنبر وفضل ما بينه وبين القبر .	٦٩٤	» » فضل دمشق .
٦٨٣	» » فضل الموت بالمدينة .	٦٩٥	ذكر من مات بها من الصحابة :
٦٨٤	» » البقيع ، وهو مقبرة المدينة وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على أهله .	٦٩٦	ما جاء في فضل عسقلان .
٦٨٧	ذكر ما جاء في زيارة قبور الشهداء .	»	» فضل الشام .
٦٨٨	» فضل مسجد قباء .	٦٩٩	ذكر من مات بها من الصحابة .
٦٩٠	» فضل مسجد الفتح .	»	ما جاء في فضل مسجد العشار بالأبلة :
»	مواضع صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم .	٧٠٠	» » فضل اليمن وأهله .
٦٩١	» ما جاء في فضل أحد .	٧٠٤	ذكر أشخاص من أهل اليمن نص على تفصيلهم
»	ما جاء في فضل العقيق ، وهو ذو الحليفة .	»	أويس القرني .
٦٩٢	ما جاء في فضل الحجاز .	٧٠٥	أبو عامر الأشعري .
		»	أبو موسى الأشعري .
		»	جرير بن عبد الله البجلي .
		٧٠٧	ما جاء في ذكر مصر والتوصية بأهلها
		»	» أهل الغرب .
		٧٠٨	خاتمة الكتاب وذكر الدعاء المعروف عند اختتام المجلس